

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الأول

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

مقدمة المحقق

جعل ابن بسام هذا القسم الرابع من الذخيرة - وهو آخر الأقسام - في جزئين واضحين دون أن يصرح بذلك ، يتناول الجزء الأول منهما الشعراء الطارئين على الأندلس من المشرق والقيروان وصقلية ، ويشمل الثاني ثلاثة عشر شاعراً من شعراء المشرق والقيروان ، تخيرهم تحكماً ، وقد أحسّ هو بذلك عندما ترجم لابن قاضي ميلة من شعراء « الأنموذج » دون رفاقه ممن ضمهم ذلك الكتاب فقال : « ولعلّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول إن شعراء الأنموذج مائة شاعر وشاعرة وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة... أفلا ذكرهم عن آخرهم ؟ وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم ؟ » وهاد يعتذر عن ذلك بما قاله في المقدمة وهو أنه احتذى فعل أبي منصور الثعالبي ، في اليتيمة ، مع أن من يدق في الأمر يجد أن أبا منصور لم يفعل كما فعل ابن بسام ، وإنما وجد بين يديه قطعة من شعر الأندلسيين فأدرجها في كتابه ، وهو لا يدرك تفاوت الزمن بين أصحابها .

ولقد راعيت في نشر هذا القسم تلك التجزئة الطبيعية ، ففي هذا الجزء تراجع الطارئين وفي الجزء التالي ترد تراجم المشاركة المقيمين ، رغم أن الجزئين قد يجمعان لصغر حجمهما في مجلد واحد ، ولما كانا متباعدين في المادة وجدت من المفيد صنع فهرس مستقلة لكل منهما على خلاف ما صنعه في الأقسام الثلاثة السابقة .

وقد اعترضني في تحقيق القسم الرابع هذا صعوبة لم أجد لها حلاً ، أوقفتني بين المضي في العمل أو التوقف عنه ، وذلك أني لم أجد منه سوى مخطوطة

واحدة هي نسخة الخزائن العامة بالرباط رقم ١٣٥٠ ؛ ومادة هذا القسم فيها تقع بين الصفحة ٣٠ والصفحة ١٩٤ ، وفضلاً عن ما يمثلها انفرادها من صعوبة في العمل فإنها ليست حسنة الضبط أبداً ، كما أن الترقيم فيها رغم تسلسله وعدم انقطاعه غير صحيح لأنه قد سقط منها ورقة ضاع بسقوطها آخر ترجمة جلال الدولة وأول ترجمة ابن أبي الشخباء ، أقول « ورقة » ، وهذا من حسن الظن ، فربما كان ما سقط يزيد على هذا المقدار . وقد اخترت المضي في التحقيق ، رغبة في أن أجد الذخيرة قد اكتملت وأن أبلغ بما عزمت عليه آخر الشوط ، بعد اليأس من العثور على مخطوطات أخرى من هذا القسم .

وفي سنة ١٩٤٥ قامت لجنة مؤلفة من الأساتذة عبد العزيز محمد الأهواني وعبد القادر القط ومحمد عبده عزام تحت إشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بنشر جانب من هذا القسم شمل حتى نهاية ترجمة عبد الكريم ابن فضال القيرواني المعروف بالحلواني (أي حتى ص ٣٠٠ من هذه الطبعة) اعتماداً على هذه النسخة الوحيدة التي لم أجد لدي أيضاً سواها ؛ وفي مقدمة تلك الطبعة إشارة إلى كثرة التحريف والتصحيف في هذه النسخة ، ولكن الجهد الذي بذله المحققون الفضلاء قد أعانني كثيراً في عملي هذا ، وإن كنت قد خالفتهم في بعض القراءات ، واهتديت إلى حل بعض المشكلات على ضوء مصادر لم تكن متيسرة لديهم حينئذ .

ولست أشك في أن هذا العمل لا يحظى لدي بالرضى الكامل ، وعسى أن تسعفنا الأيام بالعثور على نسخ أخرى تعين على مزيد من الضبط والتدقيق ، والله الموفق .

احسان عباس

بيروت في أول يونيه (حزيران) ١٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ذِكْرُ الْكِتَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَالْأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ وَالشُعْرَاءِ ،
الوَافِدِينَ عَلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالطَّارِثِينَ عَلَيْهَا ،
مِنْ أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا
الَّذِي هُوَ سَنَةُ الثَّانِيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ ،
وَاجْتِلَابُ مَا بَلَغَنِي مِنْ نَوَادِرِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ أَشْعَارِهِمْ ،
مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَيُذَكَّرُ بِسَبَبِهَا

قال علي بن بسّام : قد استوفيتُ في ثلاثةِ الأقسامِ ، جُمْلَةً مما انتهى
إلَيَّ مِنْ مُحَاسِنِ النُّثْرِ وَالنِّظَامِ ، لِمَنْ نَشَأَ بِالْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ الْأَعْلَامِ ،
مِنْ أَوَّلِ تَارِيخِ هَذَا الْمَجْمُوعِ إِلَى وَقْتِنَا . وَلِنُعْقِبُ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ
بِذِكْرِ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْآفَاقِ ، وَطَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ شُعْرَاءِ الشَّامِ
وَالْعِiraقِ ، مِمَّنْ تَبَحَّحَ ذَرَاهَا ، وَتَسَرَّبَلَ نُعْمَاهَا ، وَنَجَمَ فِي
أَفْلَاقِهَا ، وَخَيَّمَ فِي ظِلَالِ أَمْلَاقِهَا . وَلَمْ آتِ بِهَذِهِ الْفِرْقَةِ مِنْ أَرْبَابِ
هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَنَا فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ . مُتَعَزِّزاً مِنْ ذِلَّتِهِ ، وَلَا مُسْتَكْتَرِئاً مِنْ
قِلَّتِهِ ، وَلَا لَأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ أَعْيَانِ وَزَرَانِنَا وَكِتَابِينَا مَنْ هُوَ أَبْعَدُ غَايَةٍ ،
وَلَا أَبْهَرُ آيَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ أَسْنَدُوا إِلَى أَعْلَامِهَا ، وَتَرَدَّدُوا بَيْنَ جَمِيمِهَا
وَجِيمِهَا ، فَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا بِالْوِفَادَةِ عَلَيْهَا ، وَخَلَعِ أَوْطَانِهِمْ

إليها ؛ مع أن هذه الطائفة لم يَسْمُ إلا بالأندلس ذكرهم ، ولا طارَ
إلا بمدح ملوكنا شعرهم ؛ وكم في شعرائنا ممن عاصرني ولم أسمع
بذكره ، ولا وقع إلي شيء من شعره ، ولعله كان أخلق بأن يُذكر ،
وأحق بأن تُنلى آباته وتُسطر ، لكن يبلغ المرء جهده ، والإحاطة
لله وحده .

وقد أثبت أيضاً آخر هذا القسم طرفاً من كلام أهل المشرق ، وإن
كانوا لم يَطُرُوا على هذا الأفق ، حدّو أبي منصور الثعالبي ؛ فإنه ذكر
في يتيمة نقرأ من أهل الأندلس فعارضته أو ناقضته ، والأدب مبدان
يليق به المِتاح ، ويُستحسن فيه الجِماج .

فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي^١ ،
وإثبات جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

هو صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادي تربية^٢ ، والطبري أصلاً ،
والزبعي نسباً ، ينتمي في ربيعة الفرس ، وكان^٣ طلع على آفاق الجزيرة
في أيام المنصور محمد بن أبي عامر نجماً من المشرق غرب ، ولساناً عن

١ ترجمة صاعد في جذوة المقتبس : ٢٣٣ (بغية الملتبس رقم : ٨٥٢٣) والصلة : ٢٣٢

وانباه الرواة : ٢ : ٨٥ ومعجم الأدباء : ١١ : ٢٨١ والمجب : ٧٥ والوفيات : ٢ : ٤٨٨

وشذرات الذهب : ٣ : ٢٠٦ ونفح الطيب : ٣ : ٧٧ (وصفحات أخرى متفرقة) وروضات

الحنات : ٣٢٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ وللمستشرق بلاشير بحث منه في مجلة Hesperis

العدد العاشر ١٩٣٠ ص : ٢٨ .

٢ نقل المقرئ بعض هذا في النفح : ٣ : ٩٥ .

العَرَبِ أَغْرَبَ . أَبْدَهُ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ . وَأَذَكَى مَنْ طَارَ وَوَقَعَ .
فَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يُعْفِيَ بِهِ آثَارَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْوَاقِدِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ
قَبْلَهُ . وَهَزَّهُ لَذَلِكَ فَأَلْفَى سَيْفَهُ كَهَاتَمًا . وَسَحَابَهُ جَهَامًا ؛ مِنْ رَجُلٍ
يَتَكَلَّمُ بِمَلَأٍ فِيهِ ، وَلَا يُوثِقُ عَلَى مَا يَنْدَرُهُ وَمَا يَأْتِيهِ .

وَقَدْ أَجْرَى ابْنُ حَيَّانٍ ذِكْرَهُ فَقَالَ : وَلَمَّا دَخَلَ قُتْرُطَبَةَ دَفَعَهُ
بِالْجُمْلَةِ عَنِ الْعِلْمِ بِالسَّلَافِ . وَأَبْعَدُوهُ عَنِ الثِّقَةِ فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ .
وَلِذَلِكَ مَا رَضِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَيْتَامَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا ، وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلْأَخْذِ
عَنْهُ وَلَا لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَغَرَّقُوا كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ : « الْفُصُوص »^١ . فَهَا هُوَ
إِلَى الْيَوْمِ فِي نَهْرِهِمْ يَغْوِصُ .

وَقَدْ أَتَيْتُ أَنَا بِلُصَحٍ مِنْ أَعَاجِيْبِهِ ، وَأُورِدْتُ غَرَائِبَ مِنْ أَكَاذِيْبِهِ .
وَتَخَلَّلْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ . مِمَّا يَشْهَدُ عَلَى ثُبُوتِ
قَدَمِهِ وَشُهْرَةِ تَقْدَمِهِ .

١ كتاب الفصوص فيما ذكره ابن حيان يحتوي على آداب وأشعار وأخبار (وبالفرويين
نسخة جيدة منه) . وقد قرأه ابن حيان على مؤلفه في داره سنة ٣٩٩ (بدأ صاعد بتأليفه
سنة ٣٨٥ في ربيع الأول واكمله في شهر رمضان من العام نفسه) وعن ابن حيان اتصلت
روايته بابن خير (فهرسة ابن خير : ٣١٦) .

فصول من نثره في أوصاف شتى

اتصل أوّل دُخوله الأندلس بالوزير عبد الله بن مسّلمة . فلحقا نكيب استعطف له الوزير أبا جعفر بن الدّبّ ليشفع له عند الخليفة سلیمان وخاطبه في ذلك بعدة رسائل . فكانت رُقّي لم تنفع ، ووسائل لم تنجع [٣١] .

منها فصلٌ يقول فيه : لما جمع الله طوائف الفضل عليك . وأذلق بك الألسن ، وأرهف فيك الخواطر . ورفرف عليك طيرُ الآمال ، ونُفِضت إليك علائقُ الرّحال ، لم أجِدْ لابن مسّلمة حين عضّه الثّفاف ، وضاق به الحناق ، وانقطع به الرّجاء . وكبا به الدّهر . ملجأ غيرك . فعطفك على واله نبته النّحس من سِنَة السّعد ، وأيقظته الآفات من رقدة الغفلة ، ورشّقتَه سهامُ الزّمان بصنوف الامتهان ، حتى لثّقت المنية أمّنيّة . وسمّى الموت قوتا . ومن لم يكتب له الدّهر سجّلا . ولا عقّد له أمانا . ولا أشهد على نفسه ثبّقة ، فليكن منه على حدّر . ومن نبوته على يقين الخبر . وليعلم أن اصطناع المعروف يكافئ المرء في سمّعه وبصره . ويلقاه في طريقه ، ويحول بينه وبين مُحاربه ، ويُجازيه في أهله وولده . ويصحبه في اغترابه عن بَلَدِه .

وفي فصلٍ منها : فحنانك عليه وعليّ فيه ، واذكرُ تعلّق الآمال به وتعلّق أمليه بك . وحاجة الرّؤساء إليه وحاجته إليك . وحشدت لك القول ، والله تعالى خلق الدنيا بحرفين ، وإنّ الكلمة لترقأ الدم ، والرقية لتُخرج الحيّة من مكمنها ، فإن خبيت من طيلابك نثرأ قلت نظاماً :

يا أحمد بن سعيد العلم الذي
أخذ العقاب من ابن مسلمة الذي
لم تبق غير حشاشة إن أدركت
بيدك بعد الله فك أساره
فارحم أنين أبي بنات لم يصب
أسف الفراخ على كفيل كاسب
فاجعله في يمين يدك فإنها
ما ذنبه إلا الزمان فإنه
كالمرأة الورهام تنقص غزلها

أوقى فليحدثان عنه ذليل
حكّم القضاء به وغالت غول
خلصت وإن أسلمت فهو قتل
وعليك في استنقاذ التعويل
لدموعهن على الخدود مثل
أودى فليس لهن بعد كفيل
سور تحوط المستجير وغيل
رخو البدن بمن يحب مكلول
والشاة تملأ قعبتها ونميل

وله من أخرى إلى مجاهد يصف ظهوره على خيран وأسرته
لجماعة من الصقلب^١ :

كتابي وأنا مستطار فرحاً ، ومستوفيز مراحاً ، بالغادي والرائح علي
من البشائر التي تسمع الصم . وتُنطق البكم ، بعلو نجاً بعد ما ظن
أن ليس ناجياً ، وخترواني^٢ أقبل في صفاذه عانياً ، صنعا من الله أسأله
ضارعا أن يجعله عندك راسياً ، عليك مخيماً ، فإن الذي آوي إليه من
تطوّلك يبدي ولوعاً وبغري بالذراع إليك . والنزوع نحوك . [وم]ا

١ كان مجاهد صاحب دانية والجزائر وخيран صاحب المرية (بعيد الفتنة حتى سنة ٤١٩) وقد
كانت تدور بين هذين الفتيين العامريين حروب أعرض عن ذكرها صاحب البيان المغرب
(٣ : ١٦٦) وانظر أعمال الاعلام : ٢١٢ .

٢ الخزواني : الصلف المتكبر .

أَنشدني باليمن أبو الغزور^١ الأعرابي لنفسه وقد حجَّ ابنه فقال يذكُر
شوقه إليه :

ألا ليت لي عينان^٢ تطلّعان على النأي أحياناً وتنصرفان
فإن كان خيراً سرّتي وعرفتُه وإن كان شراً ظلّتنا تكيفان

: ولما أتتني إحدى خرائطك الجزيلة ، وتبادرت التبشير باحتلال المركب ،
كاد الفرح يقضي عليّ ، وينزع التماسك من يدي . ولولا أنني ثبتتُ
التحيرة^٣ ، ومُحَمَّدُ المَريرة ، لكنتُ كأمّ أبي مُزبد^٤ إذ بعث إليه
يحيى بن خالد غلاماً ، فقال لها : يا أمّه ! وهب لي يحيى « غ » قالت :
وما « غ » ؟ قال : لا قالت : وما « لا » ؟ قال : [« م »] وطبق
الميم على شفتيه ، فضرّط ، فقال : الحمد لله ، لولا تقطيع الحروف
لخرت . فحضرتني إذأ عند ورود المال ما كتبت به :

أنتك الخريطة والمركب كما اقترن السعد والكوكب
فقالوا من الواهب المستقل عقائل يعيا بها الحُسب
فقلت فتي أصفري^٥ التجار يروع به المشرق المغرب

١ كذا هو بالغين المعجمة في الأصل ، والأرجح أنه « الحزور » أو « العزور » - بالعين
المهمله - فهاتان صورتان تردان في الأعلام .

٢ هذه هي لغة من يقول : « يا ليت عينها لنا وفاها » .

٣ نجيرة الرجل (بالراء المهمله) : طبيعته .

٤ المشهور مزبد المدني أبو اسحاق صاحب النوادر الحارة (انظر الفتاوى ٤ : ١٣١ وله نوادر

كثيرة في كتب الأدب كالبيان والحيوان والبصائر ومحاضرات الراغب) .

٥ أصفري : من بني الأصفر ، وهم الروم بوجه عام .

يُحَكِّكُ^١ أَسِيفَهُ بِالرَّدَى كَمَا حُكَّ بِالْهَانِءِ^١ الْأَجْرَبُ
فَلَوْلَا شَجَاعَتُهُ مَا نَجَا وَلَكِنَّهُ حَوَّلَ قَلْبَهُ
بَصِيرٌ بِتَوْسِيعِ سَبِيلِ الْفِرَارِ إِذَا ضَاقَ بِالْمُرْهَقِ الْمَهْرَبِ

ومنها :

هَناكَ أبا الجَيْشِ مَنْ جَيْشُهُ أَسَارَى كَأَنَّهُمْ الرَّبْرَبُ
يَرِقُ^٢ عَلَيْهَا السَّنَانُ الْخَقُودُ وَيَرْحُمُهَا الصَّارِمُ الْمُغْضَبُ
وَهُمْ يَخْضِبُونَ صُدُورَ الْقَنَا وَأَنْمُلُهُمْ بَصَّةً تُخْضِبُ
وَلَمْ أَرْ مِنْ قَبْلِهِمْ فَارِسًا يَلْقَى بِهِ الْحَلْيُ وَالْمُدْهَبُ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا

ينظر هذا بناظرٍ مُريب . إلى قول حبيب^٣ :

قَدْ جَاءَنَا الرَّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خَيْرُ قَا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ

ومن أناشيد الثعلبي في معناه^٤ : [٣٢]

وَنِسَاءٌ لِمَطْمَئِنِّ مُقِيمٍ وَرِجَالٌ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ

وقوله « يرق عليها السنان » . . . البيت : كقول بعض أهل العصر :

لَعَلَّكَ يَوْمًا ذَاكِرِي فِي مُلْمَةِ يَلِينُ بِهَا قَلْبُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَيْدِ

١ الهانء : الذي يطلي الجمال بالقطران .

٢ ص : يروق .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٢ .

٤ التمثيل والمحاضرة : ٢٢٤ .

وأراهُ قلبَ قول أبي الطيّب^١ :

وغيظ على الأيتام كالنار في الحشا ولكنه غيظُ الأسير على القيد

وأرى أبا الطيّب لم بعض الإمام . بقول أبي تمام^٢ :

يلحظه في جده وهزله لحظ الأسير حلقات كتبه

جملة أخبار نوادر . جرت له مع المنصور بن أبي عامر

اجتمع^٣ عند المنصور ابن أبي عامر أعيان الأوان كالزبيدي والعاصمي وابن العريف ، ومن سواهم : فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم سرّجها الضاحية ، وأهملتها السارية . وأحب أن يمتحن ما عنده . فوجّه إليه . ودخل المجلس قد احتفل فخرج . فرفع المنصور مجلسه وآتسه . وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيته وقرأ عليه كتاب سيبويه . فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب .

١ ديوان المتنبي : ٥٤٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ٤ : ٥٣٢ .

٣ النفع : ٣ : ٧٧ وفيه بعض إيجاز .

٤ أبو بكر الزبيدي اللغوي المشهور صاحب طبقات النحويين والحن العامة والاستدراك على المعين وغيرها ؛ والعاصمي هو محمد بن عاصم النحوي القرطبي (الجذوة : ٧٤ والصلة : ٤٥٣) وابن العريف هو أبو القاسم الحسين بن الوليد (الجذوة : ١٨٢) .

واعتذرَ أن النحول ليس جُلّ بضاعته . ولا رأسَ صناعته . فقال له الزبيدي :
 فما تُحسِنُ أيتها الشيخ ؟ قال : حِفْظَ الغريب . قال : فما وَرَنَ أولَئِكَ ؟
 فضحك صاعد وقال : أمِثلي يُسألُ عَنّ هذا ؟ إنَّما يُسألُ عنه صبيان
 المكتب . قال الزبيدي : فقد سألتناكَ ، ولا تَشْكُ أنكَ تجهلُهُ . فتغيّرَ
 لونه وقال : « أفعل » . قال الزبيدي : صاحبكم مُمخِرٌ ! قال له
 صاعد : إخالُ الشيخِ صناعتهُ الأبنية ؟ قال له : أجل . قال صاعد :
 وبضاعتي أنا حِفْظُ الأشعار . وروايةُ الأخبار ، وفكّ المُعمى . وعلمُ
 الموسيقى . قال فناظرَهُ ابنُ العَرِيفِ فظهرَ عليه صاعد ، وجعل لا يَتَجَرى
 في المجلسِ كلمةً إلا أنشدَ عليها شعراً شاهداً ، أو أتى بحكايةٍ تُجانِسُها ،
 فازداد المنصورُ عَجَباً . ثم أراه كتابَ النوادرِ لأبي عليّ فقال : إذا أراد
 المنصورُ أمليْتُ على مُقْبِدي خِدْمَتِهِ وكتّابِ دَوْلَتِهِ كتاباً أرفعَ منه
 قَدْرًا . وأجلَ خطراً . [لا] أدخِلُ فيه خبراً ممّا أدخلَهُ أبو عليّ . فأذِنَ
 له المنصورُ في ذلك ، وجلسَ بِجامعِ مدينةِ الزَّاهِرَةِ يُحلي كتابَه المترجِمَ
 : « الفصوص » . فلمّا أكمله وتتبَّعَهُ أدباءُ الوقتِ ، لم تمرّ فيه كلمةٌ زَعَمُوا
 صِحَّتَها عندهم . ولا خَبِرْتُ نَبْتَ لَدَيْهِمْ . فقالوا للمنصور : رجلٌ
 [مقتدر] على تأليفِ الكذبِ . [. . .] من عيونِ الأدبِ ، يُسندُها إلى شيوخٍ
 لم يَرَهُمْ ولا أخذَ عنهم . حتّى لأنّهم كلّفُوا المنصورَ أن يأمرَ بِتفسيرِ
 كَاغِدٍ أبيضٍ وتغييرِ بهجَتِهِ ليدُلَّ على القِدَمِ ، ففعل وترجمَ على ظهرِ
 ذلكَ السِّفَرِ بكتابٍ « النكت » ١ تأليفِ أبي الغوثِ الصَّنَعَانِي . فترامى إليه
 صاعِدٌ حينَ رآه ، وجعل يُقَلِّبُهُ ، وقال : إني واللهِ قرأته بالبلدِ القُلّانيّ

١ التفسير - هند الاندلسيين والمغاربة - تجليد الكتب .

٢ ص : النكت ؛ وأثبت ما في النفع .

على الشيخ أبي فلان ، وهذا خطه . فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه . وقال له : إن كنت رأيت كما تزعمُ فعلامَ يحتوي ؟ قال : ورأسك^١ لقد بعدَ عهدي به ولا أنص منه شيئاً ، ولكنه يحتوي على لغة مثورة لا يشوبها شعرٌ ولا خبر . فقال له المنصور : أبعد الله مثلك ! فما رأيتُ الذي هو أكذبُ منك . وأمرَ بإخراجه وأن يُقذف بكتاب « الفصوص » في النهر ، وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر^٢ :

قد غاص في البحر كتابُ الفصوص^٣ وهكذا كلُّ ثَقيلٍ يغوص^٤

فجاوبه صاعداً بقوله :

عادَ إلى معدنه إنما تُوجد في قعر البحارِ الفصوص

قال ابن بسام : وما أحسبُ أن أحداً يجترأ على إخراج تصنيف ، وإبداء تأليف ، يضيِّقُ عنه التعديل ، ويدفع في صدره النقد والتحصيل ، لا سيما وصاعداً علم أن قُرطبة - حسب ما ذكرنا - ميدانُ جِداد ، وبلدُ جِداد وجِداد ؛ ولكنه اشترط غير المشهور ، فلم يظفروا منه بكثير ، وأعانهم هو على نفسه بما كان ينفقُ به من تنحليه وكذبه . ولم يكن عند ابن أبي عامر تحرير ولا بصيرٌ بالنقد مشهور ؛ وإلا فليس يخلو كتاب « الفصوص » المذكور من غريبة مسموعة ، ولا من فائدة راقية بديعة ، ولكنه خبرٌ وجدناه فستقلناه .

١ النفع : وأبيك .

٢ انظر أيضاً ابن خلكان ٢ : ٤٨٩ ، والمسلك السهل : ٢٥٣

٣ ابن خلكان : عنصره إنما يخرج من .

وأدخل^١ على المنصور يوماً ورْدَةً في غير أَيْامِهَا ، لم تستَـثِمَ
فتَحَ كِمَامِهَا . فقال فيها صاعدٌ على الارتجال :

أَتَتَكَ أبا عامرٍ ورْدَةٌ يَذْكُرُكَ الْمِسْكُ أَنْفَاسُهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

فسُرَّ بذلك المنصور ، وكان ابنُ العَرِيفِ حاضِراً ، فحسَدَهُ وجرى
إلى مُناقَضَتِهِ . وقال لابنُ عامرٍ : إنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَغَيْرِهِ ، [٣٣]
وقد أنشَدَنيهما بعضُ البَغْدَادِيِّينَ بِمِصْرَ لِنَفْسِهِ ، وهُمَا عِنْدِي عَلَى ظَهْرِ
كِتَابٍ بِخَطِّهِ . فقال لهُ المنصور : أَرِنِيهِ . فخرَجَ ابنُ العَرِيفِ وَرَكِيبَ
وجعلَ يَحُثُّ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ ابنِ بَدْرٍ . وكان أَحْسَنَ أَهْلِ
وَقْتِهِ بِدِيَهَةِ^٢ ، فوصَفَ لَهُ ما جَرَى فقال :

عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَلْتُ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا
فَأَلْغَمْتُهَا وَهِيَ فِي خِدْرِهَا وَقَدْ صَرَخَ السَّكْرُ أَنْفَاسَهَا
فَقَالَتْ : أَسَارِي عَلَى هَجْجَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَرَمَتْ كَاسَهَا
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا
وَقَالَتْ : خَفِ اللَّهُ لَا تَفْضَحَنَّ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى عِفَّةٍ وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فطارَ ابنُ العَرِيفِ بِهَا ، وَعَلَّقَهَا عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطِّ مِصْرِيٍّ^٣ ،

١ الخبر في جذوة المقتبس : ١٨٢ - ١٨٣ ونفع الطيب ٣ : ٧٩ وبدائع البداهة : ٢٩٩

والريحان والريمان ١ : ١٥٤ / ١ والثريشي ١ : ١١٨ - ١٢٠ .

٢ بدائع : مشرق .

وورئى وتحيلَ بمدادِ أَشْقَر . ودَحَلَ بها على المنصور ، فلمَّا رآها اشتدَّ غيظاً على صاعِدٍ وقال : غداً أمتَحِنُهُ . فإن فضحه الامتحان . لم يبقَ في موضِع لي فيه سلطان . فلمَّا أصبحَ وجَّهه عنهُ بمجلسٍ حَقْل . وقد أعدَّ طبقاً فيه سقائِفُ من ضرُوبِ التواوير ، وصنعَ على السقائِفِ جوارىَ ياسمين ، وتحتَ السقائِفِ بركةُ ماءٍ حصاها اللؤلؤ . وكان في البركةِ حيَّةٌ تسبح . فلما دخلَ صاعِدٌ مُثَلَّ الطبقُ بين يديه ؛ فقال لهُ المنصور : إنَّ هذا يومٌ إمَّا أن تسعدَ فيه معنَّا ، وإمَّا بالصد عندنا ، لأنَّه قد زعمَ ق م أنَّ كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقعتُ مِن ذلك على حقيقة . وهذا طبقٌ ما توهمتُ أنَّه مُثَلَّ بين يديَّ ملكٍ قبلي في شكله . فصيفهُ بجميع ما فيه . فقال صاعِدٌ بديهةً :

أبا عامرٍ هلْ غيرُ جدواكَ واكِفُ	وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائفُ
يسوقُ إليك الدهرُ كلَّ عجيبةٍ	وأعجبُ ما يلقاهُ عندكَ واصِفُ
وشائعُ نورٍ صاغها هَامِرُ الحَيَا	عليها فمِئنها عِبْقَرُ ورَقَارِفُ
ولما تناهى الحسنُ فيها تقابلتُ	عليها بأنواعِ الملاهي الوصائفُ
كمثلِ الظباءِ المستَكِنَةِ كُنُسا	تُظَلِّلُها بالياسمينِ السقائِفُ
وأعجبُ منها أنهنَّ نواظِرُ	إلى بركةٍ ضُمَّتْ إليها الظرائِفُ
حصاها اللَّآلِي ، سابحٌ في عبايها	من الرُّقشِ مَسْمومُ اللَّعاينِ زاحِفُ ^٢
ترى ما تشاء العينُ في جنباتها	من الوحشِ حتى بينهنَّ السلاحِفُ

فاستغرِبت له يومئذٍ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه . وكان إلى

١ كذا في ص ، ولعلها « وضع » كما في النسخ .

٢ ص : راجف .

ناحية سقيفة فيها جارية^١ تجذف^٢ بمجاذف ذهب لم يرها صاعدا .
فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصيف هذه الجارية . فقال :

وأعجب منها عادة^٣ في سفينة مَكَلَّمَةٌ^٤ تصبو إليها المهايف^٥
إذا راعها مَوْجٌ من الماء تتقي بسُكَّانِهَا ما أُنْذَرَتْهُ العواصِفُ^٦
مَنْ كَانَتْ الحَسَناءُ رَبَّانَ مَرْكَبِ تُصَرِّفُ^٧ في يَمْنَى يديها^٨ المجاذِفُ^٩
فلم ترَ عيني في البلادِ حَديقَةً تُنْقَلِبُهَا في الرَّاحَتَيْنِ المَنَاصِفُ^{١٠}
ولا غَرَوَانُ شَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً زَهَتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَى والزَّخَارِفُ^{١١}
فأنت امرؤ لو رُمْتَ نَقْلَ مُتَالِيعِ وَرَضَوَى ذَرَّتْهَا مِنْ سَطَاكِ العواصِفُ^{١٢}
إذا قلتَ قَوْلًا أو بَدَهْتَ^{١٣} بديهة^{١٤} فَكِلَيْهِ لَهَا إِنِّي لمجدك واصِفُ

. فأمر له المنصورُ بألف دينارٍ ومائةِ ثوبٍ . ما بين غلائلٍ وطبقانٍ
وعمامٍ ، وأجرى عليه المراتبَ من ذلك اليومِ ثلاثينَ ديناراً ، وألحقَ في
ديوانِ النَّدَماءِ مع زيادةِ الله بنِ مُضَرَّ الطَّبَنِيِّ وابنِ العَرِيفِ وابنِ التَّيَّانِيِّ^{١٥}
وغيرهم . والحسدُ مُوروثٌ ، وقديمٌ لا حديثٌ ، وليس في الحيوانِ ،
أخْبثُ في ذاته من الإنسانِ .

١ ص : تقذف .

٢ النفع : المهااتف .

٣ بدائع : تصرف في الكفين منها .

٤ النفع : الوصائف .

٥ بدائع : طلبت .

٦ قد مر الحديث عن بني الطَّبَنِيِّ في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٥ وأما ابن التَّيَّانِيِّ فقد يكون هو
تمام بن غالب أبو غالب المرسي اللغوي (الجذوة : ١٧٢) وأعاد الحميدي ذكر ابن
التَّيَّانِيِّ : (٣٨٠) .

وأذكر بفعله ابن العريف في صاعدٍ بعض ما مُنيتُ أنا به في خبر
هذا التصنيف مع غير واحدٍ من أهلٍ وقتي ، إذ سردتُ في بعض قصصه
كلام ابن حيانهم ، وكان على ما تقدّم وصفه متكلمهم أوانهم ، فلما
أعوزني لفظه في بعض ما سُقت ، ولم أجده في كل حديث نسقت ،
رجعتُ إلى تحيزي ، واستمطرتُ غريزتي . وماؤها جامد ، ورماؤها
هامد ، كما قال سابق :

أخلقتُ جيدتي وبانٍ شبّابي واستراحتُ عواذلي من عتابي

وأنا يومئذٍ بإشبيلية ، أتصرفُ مضطراً في بعض الأعمال السلطانية .
والكلامُ إذا لم يحككه قلبٌ فارغٌ . ولم يسبكه لبٌ من ظلماء الشغل
بازغ^١ . لم يرق تطريزه^٢ . ولم ينفق إبريزه^٣ . وعلى ذلك لما اندرجتُ
لي فيه كلمات رائقات ، في أوصافٍ مختلفات ، وبلغتُ فيه أمد المراد ،
بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد ، انثال عليّ فيها الكلام . انثيال الغمام ،
قالوا : نعم ما صنّف ابنُ بسّام وأتقن . لو لم يستعين^٤ : وما أحسن
ما قصص^٥ ، لو لم يتلصص . والله درهم [٣٤] فالدماء لا يزيد من القري^٦ .
وذكاء لا تضيء من الدرّي . بل درّ درّ أبي الطيّب من شاعرٍ نطق
بالبدّي ، وجرتي على عثق جدّه الكندي ، فسبق^٧ ، واستولى على الأمد
بقوله إذ صدق^٨ :

أتيتُ بمنطيق العرب الأصيل وكان بقدر ما أحسبتُ قبلي

١ ص : فارغ .

٢ الدماء : البحر ، والقري مجرى الماء في الخوض .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٤ .

٤ الديوان : عاينت .

فعارضته كلاماً كان منه
وليس يصح في الأوهام شيء
بمترلة النساء من البعول
إذا احتاج النهار إلى دليل

رجع :

وخرج المنصور مع صاعد يوماً إلى رياض الزاهرة ، فمدَّ يده إلى
شيء من الترنجان فعبث به ورماه إليه معرضاً أن يصفه فقال ^١ :

لم أدرِ قبل ترنجان عيشتَ به
من طيبه سرق الأترج نكهته
كأنما الحاجب المنصور علمه
من ليس يقعده من سؤدد قدم
أن الزمرد قُضبان ^٢ وأوراق
يا قومُ حتّى من الأشجار سراق
فعل الحميل فطابت منه أخلاق
ولا تقوم له في سواة ساق

وله في الخيري ^٣ :

بعث إليك من خيرى دارى
توكل بالعزوف عن التصابي
مُحزّمة كأوراق العقيق
وتصطاد الخليع من الطريق

وصاعد القائل ^٤ :

لي من سيرة بني العبد
شهِد المسجد عليه
فإذا جالسته لَمْ
أس خيل وجليس
أنه العليق النقيس
تدري من منّا الجليس

١ النفع ٣ : ٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٩ والشريشي ١ : ١٢١ .

٢ النفع : أغصان .

٣ النفع ٣ : ٩٧ والشريشي ١ : ١٢١ .

٤ الشريشي ٣ : ٤٣ .

وهذا كقول ابن زُرارة^١ :

لي صديقٌ . غَلِطْتُ ، بل لي مَوْلى
يُتَلَقَّى التَّقَاءَ رُوحَ رُوحٍ
ليسَ في الأرضِ مَنْ يُمَيِّزُ منا
عاشِقاً في اللقَاءِ من معشوقٍ

وقال^٢ :

قلتُ له والرقيبُ يُعْجِلُهُ
مُودَعاً للفراقِ : أين أنا ؟
فمدَّ كَفّاً إلى ترائيبِهِ
وقال سِرّاً وادِعاً فأنت هُنا
وأُنشد المنصورُ يوماً قصيدةَ أبي نُؤاسَ « أجارة بيتينا أبوك غيورُ »
فعرّضَ عليه أن يُعارضه . فأبى صاعداً من ذلك إجلالاً لأبي نُؤاسَ .
فعرّضَ عليه المنصورُ فأنشده مُتَمَثِّلاً^٣ :

إنّني لمستحيٍ عسلاً لك من ارتجال القول فيه
مَنْ ليسَ يُدْرِكُ بالرّويَةِ كيفَ يُدْرِكُ بالبديةِ

فلم ينفعه ذلك عنده . ومكثَ فيه بقيّةَ يومه وليلته . وجاءه من الغد
فأنشدهُ قصيدته التي أولّها :

خِدَالَ البُرى ؛ إنّني بكنٍّ بصيرُ طونكنّ عني خُلُوسةٌ وقَتيرُ

[ومنها] :

١ النفع ٣ : ٩٧ والشريشي ٥ : ٣٧٨ .

٢ الشريشي ٣ : ٤٣ .

٣ المصدر السابق .

٤ ص : جذال الشرى .

وباتت كما باتت مَهَاءُ حَمِيلَةٍ لها جُوذَرٌ عند الصَّرَاةِ عَقِيرُ
وقد أَكَلَتْ أَشْلَاوَهُ فَكَأَنَّهُا¹ مَقْسَمَةٌ عند القِدَاحِ جَزُورُ
كما بَغَمَتْ² من شَجْوِهَا أُمٌ واحد أُنِجَ لها مِثْلُ الزَّجَاجِ طَرِيسِرُ
لَدُنْ غُلُوَةٍ حَتَّى صَغَتْ³ شَمْسُ يَوْمِهَا وفي أَبْهَرِيهَا رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
تَسُوفُ ثَرَاهُ⁴ عن مَشَقِّ إِهَابِهِ كَانَ⁵ أَسَابِي الدَّمَاءِ عَتِيرُ⁶

قال ابن بسام : وصاعدٌ على تتابعه⁵ في الكذب ، ولحاجته بين
الامتهانِ وسوء الأدب ، قد أخذ بطرف من الترفيق ، وخلا بجانب من
لَقَمِ الطَّرِيقِ ، ألا تراه كيف صَرَّحَ بالياسِ ، عن شَقِّ غُبَارِ أَبِي نُوَّاسٍ ؟
ولكن ابن أبي عامر حملَه على الغَرَرِ . وعَرَّضَه لسوء الخَبَرِ ، ولعلَّه
ذهب إلى قول أبي الطَّيِّبِ⁶ :

بلغتُ بسيفِ الدولة النُّورِ رَتْبَةً أنرتُ بها ما بينَ غربٍ ومشرقٍ
إذا شاء أن يَلْهُو بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ أراهُ غُبَارِي ثُمَّ قال له : الحقِّ

وذكرتُ بهذا الخبر ما وُصِفَ عن أبي عبدِ الله بن شرف . وذلك أنه
قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إِيَّاهُ ، واستشفاه صُبَابَةً عُمَرُه

١ ص : فكَأَنَّهُ .

٢ ص : نَعِمَتْ .

٣ صفت : مالت ؛ ص : صفت .

٤ أسابي الدماء : طرائقها ؛ والعنبرة : أول ما ينتج ، كانت تقدم قرباناً لأصنامهم .

٥ التتابع : التماذي في اللجاجة .

٦ ديوان المتنبي : ٣٣٨ .

في ذراه . وقد أجروا ذكرَ أبي الطيّب . فذهبوا في تأبينه كلَّ مذهب :
 إن رأى المأمون - لا فارقَ العِزَّةَ والعِلاءَ - أن يُشيرَ إلى أيِّ قصيدةٍ شاء .
 من شعر أبي الطيّب حتى أعارضه بقصيدةٍ تُنسي اسمه . وتُعفّي رسمه .
 فتناقلَ ابنُ ذي النون عن جوابه . علماً بضيقِ جنابه . وإشفاقاً من فضيحتهِ
 وانتشابه . وألحَّ أبو عبدِ اللهِ حتى أخرجَ ابنُ ذي النون وأغراه : فقال له :
 دونكَ قوله : « لعينيك ما يلقي الفؤادُ وما لقي » . فخلا بها ابنُ شرفٍ
 أيتاماً فوجدَ مركبها وعِرا . ومَريرتها شَزْراً . ولكنه أبلى عُذْراً . وأرهِقَ
 نفسه من أمرها عُسْراً . فما قام ولا قعد . ولا حلَّ ولا عقَدَ . وسُئِلَ
 ابنُ ذي النون بَعْدُ : أيُّ شيءٍ أقصدَه إلى تلكَ القصيدةِ [٣٥] ؟ فقال : لأنَّ
 أبا الطيّب يقول فيها : « بلغتُ بسيفِ الدولةِ النُّورَ » وأنشد البيهقي . وهذه
 غَرِيبَةٌ ولو صدرتْ عن أبي العباس المأمون . فضلاً عن مُتَزَعٍ لِقَبهِ
 يحيى بن ذي النون . وقِدْماً كبا الحَمْوُح . وذهبت بالباطل الريح : ولم
 يتنم من بَنَى على أسفه . ولا هلك من عرفَ قدرَ نفسه .

وقد حَدَّثْتُ أيضاً أنَّ أبا علي بن رشيقي ناجى نفسه بمعارضة أبي
 الطيّب في بعض أشعاره . وراطنَ شيطانه بالدخولِ في مِضمارِهِ . فأطال
 الفِكْرَةَ . وأعملَ النظرةَ بعدَ النظرة . فاخترَ من شعرهِ ما لم يَطِيرُ ذِكْرُهُ
 ولا لُحْظُ قَدْرِهِ . فأدَّاهُ جهدهُ . وذهبَ به نَقْدُهُ . إلى مُعارضةِ
 قولهِ : « آمِنَ ازديارك في الدُّجى الرُّقباءُ »^٢ . فبَثَّ عيونَهُ . واستمد
 مَلَأَ مَكْتَمَهُ وشياطينَهُ . ولم يدعْ نِيَّةً إلَّا طَلَعَهَا . ولا خَبِيئَةً إلَّا أَطْلَعَهَا ،

١ ص : الخط .

٢ ديوان المتنبي : ١١٤ ، وعجز البيت : « إذ حيث أنت من الظلام ضياء » .

ولا رويّةٌ إلاّ اتّسع لها فوسعها : ثم صنع قصيدةً - فيما بلغني - رأى أنّها مادةٌ طبعه . ومُنْتَهَى طاقتهِ وسعِهِ : ثم حكّمَ نقدَه . ورضي بما عنده ، فرأى أنّ قد قَصُرَتْ يداه ، وقَصَرَ مداه ، وعَلِمَ أنّ الإحسانَ كنزٌ لا يوجد بالطلب . ومَيِّدانٌ لا يَسْتَوِي عليه التعصّب . وصانَ نفسه عن أن يُحدّثَ عنه بأن تكونَ الهرةُ أحزمَ منه .

وقد ذُكِرَ عن صاعد . أنه افْتُضِحَ في سرقةِ شعيرٍ غير واحد من أهلِ تلك الآفاق ، من شعراءِ الشام والعراق ؛ إذ كان وردَ بها وهي بغُبارِ السفر ، فاشتهرَ بها في غير ما شعرٍ وخبر . منها قولهُ يصفُ إبريقاً قد سُليَ منه كأسٌ وبقِيَتْ في فمِهِ نقطةٌ لم تسقط ^١ :

وقهوةٍ في فمِ الإبريقِ صافيةٍ كدمعٍ مفجوعةٍ بالإلفِ مِعْبَارِ
كأنَّ إبريقنا والراحُ في فمِهِ طيرٌ تناولَ ياقوتاً بمنقارِ

فكانوا يولعونَ بهذا التشبيه ، كما قاله - زعم - على البديه ، وإنما نقلَ لفظُ أبي البركاتِ العلوي ممّا أنشدهُ الثعالبي ^٢ :

كأنّما إبريقنا طائرٌ يحملُ ياقوتاً بمنقارِ

أو قولَ أبي الفرجِ البَغْدَادِيِّ من أرجوزةٍ خاطبَ بها الصابي ^٣ :

كأنّما الحبةُ في منقارِها حَبَابَةٌ تطفو على عُمُقارِها

١ نفع الطيب ٣ : ٩٦ وبدائع البدائنه : ٣٠٢ .

٢ اليتيمة ٤ : ٤٢٠ .

٣ اليتيمة ١ : ٢٧٠ .

وكان صاعداً مع ما قدَّمته من صفتهِ بديعِ الجوابِ حاضره . طيَّبَ
 المعاشرة . فكَّيةَ المجالسة . مُمتعاً مُحسناً للسؤال . حاذقاً في استخراجِ
 الأموال . دخلَ^١ على المنصور يومَ أنسٍ وقد تقدَّم وانخذَ قميصاً من
 رِقاعِ الخرائطِ التي وصَّلتْ إليه فيها^٢ صلاتُهُ وليبسه تحت ثيابه . فلمَّا
 خلا المجلسُ ورأى فُرصةً لما أراد . تجرَّدَ وبقيَ في القميصِ المخيطِ
 من الخرائطِ . فقال له : ما هذا ؟ قال : هذه رِقاعُ صِلاتِ مَولانا اتخذُتها
 شِعاراً . وبكى ، وأتبعَ ذلك من الشكر بما استوفاه . فأعجِبَ به المنصور
 وقال له : عندي مزيد .

وحُكي عنه^٣ أنه لم يَحْضُرْ بعد موتِ المنصورِ مجلسَ أنسٍ لأحدٍ
 ممن وكَّيَ بعده . وادَّعى وجعاً لَحِقَ ساقه .

وكان صاعداً كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرقِ بمجلسِ المنصورِ . ويُباهي
 بأخبارِها ، ووصفِ أشربتها وأديارِها ، فكتبَ الوزيرُ أبو مروانَ عبدُ الملكِ
 ابنُ شهيدٍ^٤ إلى المنصورِ في يومٍ قُرَّ بهذه الأبيات :

أما ترى بردَ يومينا هذا صيِّرنا للكُمونِ أفذاذا
 قد فُطرتْ صحةُ الكبودِ به حتى لكادتْ تعودُ أفلاذا

١ القصة في انباه الرواة ٢ : ٨٦ بليحاز .

٢ ص : فيه .

٣ انباه الرواة ٢ : ٨٧ .

٤ نفع الطيب ٣ : ٢٦٠ وبدائع البدائنه : ٣٥٤ .

٥ هو الوزير عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن شهيد والد الشاعر أبي عامر وأحد شيوخ
 الوزراء في الدولة العامية (الجذوة : ٢٦١) .

فادعُ بنا للشمولِ مُصْطَلِياً نُغِذْ سِيراً إِلَيْكَ إِغْذَاذا
 وادعُ المسمَى بها' وصاحبَه تدعُ نَبِيلاً وتَدعُ أستاذَا
 لو مَعْبِداً أو غريضةً لحقا لكان عن ذا وذاك أَخْذاذا
 ولا تُبالِ أبا العلاءِ زها بخمرِ قَطْرُبُلٍ وكَلْواذا
 ما دام من أرمِلاطٍ مَشْرَبُنا مَن ٢٠ دَيْرٍ عَمّا وطِيزنا باذا ٢١؟

وكان المنصورُ قد عزمَ ذلكَ اليومَ على الانفرادِ بالعيالِ . فأمرَ بإحضارِ
 الأصحابِ . وأحضرَ الوزيرَ أبا مروانَ ، وأخذوا في شأنِهِم . فمرَّ لهم
 يومٌ مِمنَ الطَّيِّبِ لم يُشْهَدْ . وألَوْنَةُ منَ اللّهُ ولم تُعْهَدْ . وطما الأمرُ وسما
 حتى تصايحَ القومُ وتزافنوا ٤ ، ودارَ الدورُ . ثم انتهى إلى الوزيرِ ابنِ
 شُهَيْدٍ . وكان لا يُطِيقُ القيامَ لِنَقْرسٍ كان يلازمُه . فأقامه الوزيرُ
 أبو عبدِ اللهِ بنُ عِياشٍ ، فارتجلَ الشَّيْخُ أبياتاً جعلَ يقودُ بها وَيُنْشِدُ :

١ ص : به ؟ والضميرُ عائِدٌ إلى « الشمولِ » يريدُ ادعُ من سمي بهذا الاسمَ ، وهو مَعْنَى اسمه
 « شمول » كما يتضح من البيتِ التالي .

٢ النفع : دع .

٣ أرمِلاط : (Guadimellato) ، يتردد ذكرها في عدة مواطن من البيانِ المغربِ ، ولم
 يذكر دِيرَ عَمى عند ياقوتٍ والبكري والشابثي والروضِ المعطار . وذكر ياقوت دِيرَ عَمانَ
 (ومعناه دِيرَ الجماعة) بنواحي حلب ، والتسمية مشبهة أيضاً لدِيرَ عَمى ، فإن كان في الاسمِ
 تحريفُ فلعله « دِيرَ قنَى » ؛ وطِيزنا باذا : منزلة للهِو بين الكوفة والقادسية يتردد ذكرها
 في شعر أبي نواس مع قطربل وكِلْواذَى .

٤ التزافن : الرقص .

٥ النفع ٣ : ٢٦١ وبدائعُ البدائِه : ٣٥٥ واسم الوزير الذي أنهض ابنُ شهيد : « أبو عبدِ
 الله بن عباس » وانظر القسم الأول : ٢١٠ .

هَاكَ شَيْخٌ قَادَهُ عُدَّتُهُ لَكَ^١ قَامَ فِي رَقْصَتِهِ مُسْتَهْلِكَا
 لَمْ يُطِيقْ يَرْقُصُهَا مُسْتَنْبِتَا فَانْتَنَى يَرْقُصُهَا مُسْتَمْسِكَا
 عَاقَهُ مِنْ هَزَا مُعْتَدِلَا^٢ نَقَرَسُ أَنْحَى عَلَيْهِ فَانْتَكَا
 طَرِبَ اللَّهُوْ وَقَدْ حَقَّ لَهُ^٣ طَرِبَا أَرْمَضَهُ^٤ حَتَّى اشْتَكَى [٣٦]
 مِنْ وَزِيرٍ فِيهِمْ رَقَاصَةً قَامَ مِنْ طَيْبٍ يُنَاغِي مَلِكَا
 أَنَا لَوْ كُنْتُ كَمَا تَعْرِفُنِي قَمْتُ لِإِجْلَالٍ عَلَى رَأْسِي لَكَ
 قَهْقَهَةَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ ضَحِكَا وَرَأَى رِعْشَةَ رِجْلِي فَبَكَى

وكان أيضاً في أصحاب ابن شهيد رجلٌ ببغداد يُعرف بالكك^٥ ،
 له نوادرٌ تُضحك ، فحضرَ معه في بعضِ مجلسِ الأنس . وقد ألحَّ عليه
 وجَّعُ النقرسِ فجعلَ يُصلي الصلوات كلها حانت واحدةً بعد أخرى
 جالساً ، وكان عِنْدَهُ ذلك اليومَ أحدُ أصحابِ المنصورِ ممن يعزُّ عليه
 ويكرِّم لديه . فلما حَمِيَ الوطيسُ ، وأنسَ المجلسُ ، وطاب المجلسُ .
 ودارت الأكؤسُ ، ونُسِيَّتْ أوجاعُ النقرسِ . وقامَ ذلك الصاحبُ
 المجلسُ يَرْقُصُ ، ودارَ الدَّورُ حَتَّى انتهى إلى ابنِ شهيد . فقامَ يَرْقُصُ
 معتمداً على عادَتِهِ ، فقال له البغدادي : لله دَرَكُ يا وزير ! تُصلي بالقاعدة
 وترقصُ بالقائمة ! فطاب المجلسُ بهذا الكلام : وتَمَّ حسَنُهُ أَكْمَلُ تَمَامُ ،

١ ص : له .

٢ النفع والبدايع : منفرداً .

٣ ص : أمرضه .

٤ النفع والبدايع : قام للسكر .

٥ النفع : بالفكيك .

وخلع ابن شهيد على الكك ، وانتهى الخبر إلى المنصور ، فذهب به كل مذهب الضحك .

وكان ابن أبي عامر كثيراً ما يرتاح إليه ، ويوالي الإحسان عليه ؛ انصرف مرة من غزوة تختلف عنها ابن شهيد لعذره ، فكتب إليه من جملة أبيات^١ :

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا فبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفبي لمن لم يحث فيه المطايا

فأجابه ابن أبي عامر :

قد بعثنا بها كشمس النهار في ثلاث من المها أبكار
وامتحننا بعذرة الغيد إن كُنْ ت توخى^٢ بوادر الاعذار
فاتتد واجتهد^٣ فلانك شيخ قد جلا الليل عن بياض النهار^٤
صانك الله من كلالك فيها فمن العار كلفة الميسمار

فافتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب إليه بكرة :

١ الحلقة ١ : ٢٧٦ والنفع ١ : ٤٠٠ ، ٥٨٥ ، والبيان المغرب ٢ : ٣٠٠ وتحفة العروس : ٨٤ (عن الذخيرة) .

٢ النفع : ترجي .

٣ النفع : فاجتهد وابتدر .

٤ الحلقة : خفي الليل عن بياض النهار .

قد فَضَّضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السَّوَارِ ١
وَصَبَّوْنَا فِي ظِلِّ أَطْيَبِ عَيْشٍ ٢
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِجُسَامٍ
فَاصْطَلَبْنَاهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
وَاصْطَبَّغْنَا مِنْ النَّجِيعِ الْبَحَارِي
وَلَعَبْنَا بِالْذَّرِّ أَوْ بِالذَّرَارِي
ذِي مَضَاءٍ عَضْبِ الظُّبَا بِتَارٍ
وَاتَّخِذْهُ فَحْلًا عَلَى الْكُفَارِ

وأهدى له ابنُ أبي عامرٍ محفظةَ خَيْرُزَانَ إِذْ نَقَرَسَ ، فقال :

للهِ نَفْسُكَ فَهِيَ أَزْكَى الْأَنْفُسِ
عُنَيْتُ بِحَالِي كُلَّهَا حَتَّى لَقَدْ
فَتَخَيَّرْتُ لِي إِذْ شَكْتُ قَدَمِي الْوَتَى
لَا فِي الْعِتَاقِ وَلَا الشَّوَاحِجِ تَنْتَهِي
إِنْ أَهْمَيْتُ لَمْ تَنْبَعْثْ أَوْ أَجْهَدْتَ
مَحْبُوكَةً مِنْ خَيْرُزَانَ مَائِسٍ
وَيَحْفَتِي فِيهَا إِذَا اسْتَمَطَّيْتُهَا
عَقَدْتُ عَلاهَا بِالْجَوَارِي الْكُنُتْسِ
عُنَيْتُ مَكَارِمَهَا بِعَلَّةِ نِقْرَسِ
عَلَيَا مَطْيِيَّةَ رِحْلَةٍ لَمْ تُحْبَسِ
نَسَبًا وَلَا هِيَ بِالْأَمُونِ الْعِرْمَسِ
لَمْ تَعْتَذِرْ أَوْ أُحْرِجْتَ لَمْ تُشْمِسِ
لَدُنْ مَهْزَنَةِ كَرِيمِ الْمَغْرَسِ
بِيضُ الْوُجُوهِ هَبَاتُ أَرْوَعِ أَشْوَسِ

وَدَخَلَ صَاعِدٌ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، وَجَدَ عَوْدًا بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قَدْ تَوَاتَرَ الْخَبْرُ ، وَتَحَدَّثَ عَنْكَ الْبَشَرُ : أَنَّكَ
فَرَدْتَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقَى . وَقَدْ أَرَدْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ الْإِنْبِسَاطَ مَعَكَ سِرًّا فِي ذَلِكَ .
فَشَقَّ الْأَمْرُ عَلَى صَاعِدٍ هُنَالِكَ . وَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَحِيدٍ عَنْ أَخْذِ الْعُودِ ،

١ هكذا في الأصل والمصادر . وقد تكون قراءته « الصَّوَار » وهو وعاء المسك ، كما قدر
ذلك محققو الطبعة المصرية .

٢ النفع : وصبرنا على دفاع وحرب ؛ الحلة : ونعمنا في ظل أنعم ليل .

فتناولته وجسّ أوتاره وسوّى تسويةً أطربت ابنَ أبي عامر ، ثم اندفع
بُنشده بيّتي مجنونِ بني عامر^١ :

أبى القلبُ إلّا حبّها عامريّةً لها كُنيةٌ عمرو وليس لها عمرو
تكادُ يدي تندي إذا ما لمسّتها وينتبتُ في أطرافها^٢ الورقُ الخضرُ

فغضبَ ابنُ أبي عامرٍ وتسوّر . لثوّهتِه أنه عرّضَ بحبرٍ ، وقال له :
يا أبا العلاء . أبا الإخوة عرّضتَ أم بالأبناء ؟ وهذه إشارة رئيس أنف
من أن يجاوبه . على مغزى ما خاطبه ، فأخرج الجواب على التذكير ،
همّةً إمامٍ غيور .

وذكرتُ بهذا الحديث ما ذكره بعضُ الرواة عن المعتصم أنه قال
يوماً للقاضي ابن أبي دواد : أتعلمُ أن أبا دُلْف^٣ من المغنّين الأفراد . وإن
كان من الشجعان الأنجاد ؟ قال القاضي : فكيف بسماعه ؟ فأحضره المعتصم ،
وخبأ ابنَ أبي دواد . وعزمَ عليه في الغناء . فلما اندفعَ يُغني هتكت
الستارةُ . فخرجَ أبو دُلْف وقال : أجبروني أعزَّ الله القاضي . قال له
ابن أبي دواد : يا ماجنُ ، هبّهم أجبروك على أن تُغني فمَن أجبرَكَ على
الإحسان ، فقال أبو دُلْف : ويربّي منكَ أيّها القاضي معرِفَتكَ بمحاسنِ
الألحانِ وتآلفِ الأوزانِ ! !

١ ديوان المجنون : ١٣٠ ويرد البيتان في قصيدة أبي الصخر الهذلي (الأمازي : ١ : ١٤٨) وورد

الثاني وحده لأبي الصخر في شعر الهذليين ٢ : ٩٥٧ .

٢ ص : أوراقها .

٣ هو القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي ، وانظر عن شهرته في الشعر والغناء زهر الآداب :

١٠٦٧ والأغاني ٨ : ٢٤٦ والحكاية فيه ص : ٢٤٩ بالمعنى دون اللفظ .

وكان صاعداً [كثيراً] ما تُستغربُ له الألفاظُ ويُسألُ عنها فيُجيبُ
 عن ذلك أسرعَ جواب . على نحوِ ما يُحكى عن أبي عمر الزاهد . ولولا
 أنه كان كثيراً المزاح لما [٣٧] حملَ إلّا على الصدق . دَخَلَ^٢ يوماً على المنصور
 وبِيدِهِ كِتَابٌ وردَّ عليه من عاملٍ له اسمه مَسِيدمان^٣ بن يزيد من أهل
 يابرة ، يذكرُ فيه القلبَ والتزبيل^٤ وما عندهم من مُعانةِ الأرضِ قبل
 زرعها^٥ ، فقال له : يا أبا العلاء . وقعَ إليّ من الكتبِ كتابُ القوالبِ
 والزوالبِ لميدمان بن يزيد . قال : نعم رأيتُهُ في نُسخةِ أبي بكر بن دُرَيْدٍ
 بخطِّ كأكرُع النملِ : في جوانبها علاماتُ الوُضَاعِ^٦ . فقال له : أما
 تَسْتَحْيِي مِن هَذَا الكَذِبِ ! ! هَذَا كتابُ عاملينا ببلدِ يابرة^٧ ، يُعَلِّمُ
 بالذي تقدّمَ ذِكْرُهُ من صِفَةِ الأرضِ ، وإنما صنعتُ هذا تَجَرُّبَةً لك .
 فجعلَ يَحْلِفُ أَنَّهُ ما كَذَبَ وأنه أمرٌ وافق .

وقال^٨ له المنصور يوماً : ما الخنبشار في اللغة ؟ قال : حَشِيشَةٌ يُعَقَدُ بها
 اللبُّ بباديةِ الأعراب . وفي ذلك يقول شاعرهم :

-
- ١ ص : أبو عامر ؛ أبو عمر الزاهد هو محمد بن عبد الواحد اللغوي غلام ثعلب (- ٣٤٥)
 وكان جماعة يكذبونه في أكثر رواياته ، وكان الطلبة يسألونه أسئلة مصنوعة ملفقة كتلك
 التي امتحن بها صاعد (انظر انباء الرواة ٣ : ١٧١ - ١٧٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .
 ٢ القصة في الجذوة : ٢٢٤ والنفع ٣ : ٩٨ .
 ٣ الجذوة والنفع : مبرمان .
 ٤ ص : والتزبيل .
 ٥ ص : زراعها .
 ٦ زاد في الجذوة : هكذا ، هكذا .
 ٧ نفع الطيب ٣ : ٨١ .

لقد عَقِدَتُ محبتها بقلبي كما عَقِدَ الحليبُ بجنِّشارِ
وقال له^١ مرّةً وقد قدّمَ طبقٌ فيه تمرٌ : ما التَّمَرُ كُلُّ في كلامِ العربِ ؟
[فقال] : يُقالُ تَمَرُ كُلَّ الرجلُ تَمَرُكُلًا إذا التَفَّ في كسائه .

وكان مع ذلك عالماً ؛ حدّث العاصميّ النحويّ قال^٢ : لما سألناه مراراً
عن مسائلٍ من النحويِّ بحضرةِ المنصورِ فقصرَ فيها ، قال ابن أبي عامرٍ :
فلأنّه من طبقتي في النحو أنا أناظره . ثمَّ سألنا صاعداً يوماً فقال : ما معنَى
قولِ امرئ القيسِ :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ عَصَارَةُ حَنْتَاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلٍ

فقلنا هذا واضح ، وإنّما وصف فرساً أشهبَ عَقُرَت عليه الوحشُ
فتطايرَ دَمُها إلى صدرِهِ فجاء هكذا . فقال صاعداً : سبحان الله ! أنسيتم
قوله قبلَ هذا في صِفَتِهِ :

كَمَيِّتٌ يَنْزِلُ الْأَبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ

قال فبُهِتْنَا وكأنا لم نَقْرَأَ الْبَيْتَ قَطْ : وقد اضطررنا إلى سؤالِهِ ،
فقال : إنّما عني أحدَ وَجْهين : إمّا أَنَّهُ نَضَحَ صدرُهُ بِالْعَرَقِ وعرقُ الخيلِ
أبيضُ ، فجاء مع الدم كَالشَّيْبِ ، وإمّا أَشْيَاءُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَصْنَعُهَا وَذَلِكَ

١ الجذوة : ٢٢٥ والنفع ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٥ .

٣ فانت هذه الملاحظة شراح المعلقة ، فقد قال ابن الأنباري (الصبح الطوال : ٩٢) (أراد أنه يلحقها فيطعنها فتصيب دماؤها نحره ، وقوله : بشيب مرجل : معناه بشيب قد غسل عنه الحناء فرجل .

أنها كانت تسمُّ باللبنِ الحارِّ في صدرِ الخيلِ فَيَتَمَعَّطُ ذلك الشعرُ ،
ويَنبَتُ كأنَّه شعرٌ أبيضُ ، فأيتا ما عني من أحدِ الوجهين فالوصف مستقيم .

وكان^١ لابن أبي عامرٍ فتيٌ يُسمَّى فاتناً أوحدٌ لا نظيرَ له في علمِ كلامِ
العربِ ، وكلِّ ما يتعلقُ بالأدبِ ، فناظرَ صاعداً بين يديه ، فظَهَرَ عليه ،
وبكَّتته حتى أسكته ، فازداد المنصور به عُجباً ، وكان فاتنٌ حَسَنَ الخطِّ ،
واسعَ المعرفةِ ، فصيحَ اللسانِ ، حاضرَ الجوابِ ، إلى عفافِ طُعْمَةٍ ،
ونزاهةِ نفْسٍ ، وجمالِ صورةٍ . وكان ممن ثباهي الملوك بخدمتهِ ،
ونستريح إلى حلمِهِ . وتوفِّي هذا الفتي فاتنٌ سنة اثنتين وأربعمئة ، وبيعت
في تركته قطعةُ دفاترٍ أدبيَّةٍ حَسَنَةِ الضبطِ دلَّت على جَوْدَةِ عنايته . وكان
منقاداً لما نزلَ به من المُثْلَةِ ، فلم يتخذ النساء ولا كَشْفَنَ له عَوْرَةٍ .

وكان في ذلك الزمانِ بقرطبةَ جُمْلَةٌ من الفتيانِ المجايِبِ ، ممن أخذَ
من الأدبِ بأوفرِ نصيبٍ . ورأيتُ تأليفاً لرجلٍ منهم يُدعى بحبيبٍ مُترجماً
: « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكرَ فضائل الصقالبة » وذكرَ فيه
جُمْلَةٌ من أشعارهم ونوادر أخبارهم . منهم عمارةُ الصَّقْلبي الفتي
الكبير ، والصَّقْلبي ميسور ، ، ونَجْمُ الوصيف ، وغيرهم ممن يشتمِلُ
عليه ذلك التصنيف ، وشعرُهم خارجٌ من شَرَطِنَا ، وليس مِن جمَعِينَا .

ومن^٢ عجائب الدنيا الغريبةِ الوقوع ، العَجِيبَةُ المسموعة ، أن صاعداً
أهدى إلى المنصور يوماً إيتلاً وكتب معه بأبياتٍ يقول فيها :

١ نفع الطيب ٣ : ٨٢ .

٢ الحذوة : ٢٢٦ والنفع ٣ : ٨٢ والأبيات أيضاً في انباء الرواة ٢ : ٨٨ والمجب : ٨٢

والريحان والريمان ١ : ١٥٤ ب .

يا حِرَزَ كُلِّ مَخْوَفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرَدٍ وَمُعِيزَ كُلِّ مُدَلِّلٍ
عَبْدٌ جَذَبَتْ بِضَبْعِهِ وَرَفَعَتْ مِنْ مِقْدَارِهِ^١ أَهْلِي إِلَيْكَ يَا بَلَّ
سَمِيَّتُهُ غَرْسِيَّةً وَبَعَثُهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَفَاوُلِي

فقضي في سابقِ علمِ الله تعالى وَقَدَرِهِ أَنْ غَرْسِيَّةَ بِنِ شَانَجُهُ مِنْ مُلُوكِ
الرُّومِ ؛ وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ النُّجُومِ . أُسِرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعَيْنُهُ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ صَاعِدٌ
بِالْإِبِلِ وَسَمَّاهُ غَرْسِيَّةً عَلَى التَّفَاوُلِ بِأَسْرِهِ . وَكَانَ أُسْرُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ^٢
سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْجَدُّ لِلصَّاحِبِ وَالْمُصْحُوبِ .

وَدَخَلَ^٣ يَوْمًا صَاعِدٌ عَلَى الْمَنْصُورِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جَدُّدٌ
وَحُفَّتْ طَرِييٌ ، فَمَشَى عَلَى حَاشِيَةِ الصَّهْرِيحِ لِازْدِحَامِ مَنْ حَضَرَ فَنَزَلَ
وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . وَكَادَ الْبَرْدُ يَأْتِي عَلَيْهِ .
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ [٣٨] أَمَرَ بِإِخْلَاعِ ثِيَابِهِ لَهُ ، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا
العَلَاءِ هَلْ قُلْتَ فِي سَقَطَتِكَ شَيْئًا ؟ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ :

شَيْئَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ غَرَبِيَّةً ضَرَطُ ابْنِ وَهْبٍ ثُمَّ زَلْفَةُ صَاعِدٍ

فَاسْتَبْرَدَ مَا أَتَى بِهِ ؛ وَكَانَ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ الْجَزِيرِيُّ حَاضِرًا ، فَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلَّا قُلْتَ :

١ المعجب والجلوة : نثلت بضبعه وغرسته في نعمة .

٢ الجلوة : ربيع الآخر .

٣ نفح الطيب ٣ : ٥٩ والمغرب ١ : ٣٢٢ .

٤ النفح : وقعة .

سُرُوري بغيرتك المشرقة ودِيمة راحتك المهددة
ثنائي نشوان حتى هويت في لجة البركة المطبقة
لئن ظلَّ عبدك فيها الغريق فجودك من قبل ذا أغرقه

فقال له المنصور : لله ذلك يا أبا مروان ، قيسناك بأهل العِراق
ففضلتهم فبمن تُقاس بعد ! فأنهض الجزيري للشرطة .

وقد فرَّق^١ حدائق النظر بين البديهة والارتجال ، فجعلوا الارتجال
ما كان على طريق الانهمار والتدفق لا يتوقف فيه قائله ، كالذي وقع
للفرزدق إذ أمره سليمان بن عبد الملك بضرب عتق أسير رومي ،
ودس إليه بعض بني عبس سيفاً كهاماً فنبأ حين ضرب به ، وضحك
سليمان ، فقال الفرزدق^٢ :

فلإن يك سيفُ خانٍ أو قَدَرُ أبي لتأخير نفسٍ حينها^٣ غيرُ شاهدٍ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبأ بيدي ورقاء^٤ عن رأسِ خالدٍ
كذلك سيوفُ الهندِ تنبو طبأتها ويقطعن أحياناً منَاطَ القلائدِ
ولو شئتُ قطَّ السيفُ ما بين أنفيه إلى علقٍ دونَ الشراسيفِ جاسدٍ

ثم جلس وهو يقول :

١ متابع للمدة ١ : ١٨٩ .

٢ انظر إلى جانب المدة : طبقات ابن سلام : ٤٠٠ والنقائض : ٣٨٤ .

٣ ابن سلام : حنفها .

٤ هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب فلم تؤثر فيه الضربة .

٥ النقائض : ٣٨٣ وابن سلام : ٤٠٢ .

ولا نَقْتُلُ الأسرى ولكن نفكّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حَمْلُ المغارِمِ .

ومن غريبِ البديهةِ خَبَرُ حَبِيبٍ ، مع الكِنْدِيِّ يَعْقُوبَ ، وقد
أَنشد أحمد ابن المعتصم^٢ قوله :

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ خالدٍ في حِلْمٍ أَحْنَفَ في ذكاءِ إِيَّاسٍ
فقال له الكندي : ما صَنَعْتَ شَيْئاً فَإِنَّ الأميرَ أَفْضَلُ مِمَّنْ ذَكَرْتَ ،
وما هؤلاءِ وقدرُهم ؟ فَأُطْرِقَ ثُمَّ قال :

لا تُنْكروا غمَّ رَبِّي له مَن دُونَهُ مَثَلاً شَرُّوداً في النَّدَى والبَاسِ
فإنَّه قد ضَرَبَ الأَقْلَ لنورِهِ مَثَلاً من المِشْكَاةِ والنَّبْرَاسِ .

فَتُعْجِبَ مِن بَدِيعَتِهِ يَوْمئِذٍ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُصَنِّعًا لا يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ هَذَا فِي طَبْعِهِ . وقد قِيلَ إِنَّ الكِنْدِي لما خَرَجَ حَبِيبٌ قال : أَرَى
هَذَا الْفَتَى يَمُوتُ شَابًا لِأَنَّ ذَكَاءَهُ يُنْشِئُ عُمرَهُ كَمَا يَأْكُلُ السِّيفُ الصَّقِيلُ
غَيْمَهُ . فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَاتَ وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّلَاثِينَ . وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ
كَثِيرَ الْبَدِيعَةِ إِلَّا أَنَّ شِعْرَهُ نَازِلٌ فِيهِ . وَأَهْلُ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ فِي سَعَةِ مِنَ
العُذْرِ ، إِذْ هُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ^٣ :

نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جِدَّةٌ مُنْضِجَةٌ وَلِلْبَدِيعَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِسُرْعَتِهَا لَكِنَّهَا سُرْعَةٌ تَحْضِي مَعَ الرِّيحِ

١ المَعْدَةُ ١ : ١٩٢ وانظر أخبار أبي تمام : ٢٣٠ - ٢٣٢ .

٢ ص : المأمون .

٣ المَعْدَةُ ١ : ١٩٣ وديوان ابن الرومي : ٥٦٧ وبدائع البدائع : ٩ والشريشي : ١٢٢ .

وقال ابن المعتز^١ :

والقولُ بعدَ الفكرِ يؤمِّنُ زيغَهُ شَتَتانَ بينَ رويَةٍ وبَدِيهِ

ومن الشعراء^٢ مَنْ شعرُهُ فيهما وعندَ الأمنِ والخوفِ سَوَاءٌ . بمقدارِ
قُدْرَةِ كُلِّ أَحَدٍ ، وسُكُونِ جَأَشِهِ . وقوةِ غَرِيزَتِهِ . كهُدْبَةِ بنِ
الحِشْرَمِ ، وطَرَفَةِ بنِ العَبْدِ ، ومُرَّةِ بنِ مَحْكَنَ السَّعْدِيِّ ، إذْ يقولُ
وقد أمرَ مُضْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ بقتله^٣ :

بني أسدٍ إنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيمًا إذا الحَرْبُ العَوَانِ اشْمَعَلَتْ
ولستُ وإنْ كَانَتْ لِي حَبِيبَةٌ بِسَبَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إذا مَا تَوَلَّيْتُ

وكعَبْدٍ يَغُوثَ إذْ أُعْطِيَ فِي نَفْسِهِ لَبْنِي تَمِيمٍ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قتله ، وكانوا قد شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنَ الهِجَاءِ ، فعَاهَدَهُمْ فَأُطْلِقُوهُ لِيُنَوِّحَ
عَلَى نَفْسِهِ ، فقال القصيدة التي أولها^٤ :

أقول وقد شَدُّوا لِسَانِي بِسَعَةٍ أَمَعَشَرَ تَمِيمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا
فيا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ تَجَرَّانَ أَلَّا تَلَاقيَا

وتميم بن جَمِيلٍ السَّدُوسِي^٥ وكان قامَ بِشَاطِئِ الفُرَاتِ ، واجتمعَ

١ العمدة : ١٩٣ وبدائع البديع : ٩

٢ لا يزال متابعاً للعمدة ١ : ١٩٣ .

٣ الكامل ١ : ١٩٩ .

٤ هي المفضلية رقم : ٣٠ وانظر النقائض ١ : ١٧٣ والبيت الذي أورده ليس مطلقاً لها .

٥ مع أن الإشارة إلى الخبر والأبيات قد وردت في العمدة ١ : ١٩٤ - ١٩٥ إلا أن المؤلف

هنا يتابع زهر الآداب : ٨٧٤ .

إليه الأعرابُ وغلظَ أمره ، فظفرَ به وحملَ إلى بابِ المعتصم ، فلما
 مثَّلَ بين يديه ، وكانَ وسيماً جميلاً ، فأحبَّ المعتصم أن يعلمَ أين
 المنظرُ مِنَ المخبرِ ، قال له : تكلمْ ، فقال بعد أن حمِدَ الله ودعا للمعتصم :
 إنَّ الذُّنوبَ تُخَرِّسُ الألسنةَ ، وتُعمِّي الأفئدةَ ، ولقد عظمتَ الجريرةَ
 وانقطعت الحُجةُ وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلَّا العفو أو الانتقام ، وأرجو أن
 يكونَ أقربُهُمَا مِنِّي وأسرعهما إليَّ أشبهَهُمَا بك ، وأولاهُما بكرَمِكَ .
 ثم قال وقد كان قدَّم [٣٩] السيف والنِيطعُ لقتله :

أرى الموتَ بين السيفِ والنِيطعِ كامناً	بُلاحيظني مِن حَيْثُما أتلفتُ
وأكبرُ ظني أنَّكَ اليومَ قاتلي	وأني أرى ممَّا قضَى اللهُ يُفَلتُ
وأني أرى يدِّي بعددِ وَحُجَّةٍ	وسيفُ المنايا بين عَيْنَيْهِ مُصَلَّتُ
يَعِزُّ على الأوسِ بن تغليبٍ مَوْقِفُ	يُهَزُّ عَلَيَّ السيفُ فيه واسكتُ
فما حزَّني أُنِي أموتُ ^١ وإنتي	لأَعْلَمُ أنَّ الموتَ شيءٌ مَوْقَتُ
ولكنَّ خلفي صِيبَةٌ قد تَرَكْتُهُمُ	وأكبادُهُمُ من حَسْرَةٍ تفتتُ
كأنِّي أراهم حين أنعمي إليهمُ	وقد خَمَسُوا تلكَ الوجوهَ وصوتوا
فإنَّ عشتَ عاشوا خافِضِينَ ^٢ بنعمةٍ	أزودُ الردى عنهم وإن مِتُّ موتوا
فكم قاتلٍ لا أبعدَ اللهُ دارَهُ	وأخَّرَ جَدُّ لَانٍ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ ^٣

فعفا عنه المعتصمُ ، وأحسنَ إليه وقلَّدهُ عملاً . وعلي بن الجهم الذي
 قال ارتجالاً وقد صُلبَ عُرِياناً^٣ :

١ زمر الآداب : وما جزعي من أن أموت .

٢ زمر الآداب : سالمين .

٣ الممددة ١ : ١٩٥ وديوان علي بن الجهم : ١٧١ (وفيه تخريج المصادر) .

لم يَنْصَبُوا بِالشَّاذِ بِاخٍ عَشِيَّةَ الِ إِثْنَيْنِ مَفْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِيلَ عِيُونِهِمْ حُسْنًا وَمِيلَ قُلُوبِهِمْ تَبَجِيلًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بَزَّ عَنْهُ غِطَاؤُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا

إلى غير ذلك من غرائب أهل المشرق .

فأما ما جاء في هذا الباب لأهل عصرنا بهذا الأفق ، فكالذي وقع
لأبي عامر بن شهيد القرطبي^١ مع لُحمة من أصحابه ، فإنه حكي أنهم
قالوا له : يا أبا عامر إنك آت بالعجائب ، وجاذب بدوائب الغرائب ،
ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك لعطف الزهو عند النادرة تتاح
لك ، ولكن نريد أن تصف لنا مجلسنا هذا . وكان الذي طلبوه منه
يَوْمئذٍ زُبْدَةُ التَّعْنِيتِ ، وَمَحَّةُ بَيْضَةِ التَّبَكُّيتِ ، لأنَّ المعنى الجلف إذا
لم يَطْبُ على النفس ، وتناولته الْمُحْسِنُ أساء فيه ، وكانت هيئة ذلك
المجلس وصيفته مما يقتل لبرده . وهيئة لا يَتَمَكَّنُ فيها كلام ولا
يتركب عليها معنى : باب غريب مُعَرَّضٌ في المجلس ، ولبد أحمر
مبسوط على أرضه ، وصُدورُ إخفافهم على حاشيته . وذكر أبوابه وانضمامها
على أرجله فقال :

وفتية كالنجوم حُسْنًا كلهم شاعرٌ تَبِيلُ
مُتَّقِدُ الجانِبَيْنِ ماضٍ كأنه الصَّارِمُ الصَّقِيلُ
راموا انصرافي عن المعالي والغرب من دونها فليل^٢

١ نقله المقرئ في النفع ٣ : ٢٤٥ وابن ظافر في بدائع البدائع : ٣٠٤ وانظر ديوان ابن

شهيد : ١٢٧ . والشريشي ٤ : ١٧٠ .

٢ النفع والبدائع : والغرب من دونها كليل .

فاشْتَدَّ في إثرها مِسْحٌ^١ كلُّ كثير بها قليل
 في مجلس شابه^٢ التصابي وطاردت وصفه العقول
 كأنما بابه أسير^٣ قد عرّضت وسطه نُصُول^٤
 يرادُ منه المقال قسراً وهو على ذاك لا يقول
 ينظرُ من لبّده لدينا بحرُ دمٍ تحته يسيل
 كأنَّ أخفافنا عليه مراكبٌ مالها دليل
 ضلّت فلم تدر أين تجري فهي على شطّهِ تَقِيل

وافْتَقَّ^٥ أن خرج من عندهم فاجتاز بحانوت بعض معارفه من
 الطرائقيين^٥ وبين يديه رامشة جميلة في زنبيل ملآن حرشفاً ، فجعل
 يده في لجّام دابة ابن شهيد وقال له : صف هذا أبا عامر .
 فإن صاعداً رام وصف ذلك لابن أبي عامر فلم يأت بشيء غير ذكر
 الحرشف . فقال ابن شهيد وهو على ظهر دابته :

هل أبصرت عيناك يا خليلي قسفاً فبدأ تباع في زنبيل
 من حرشف معتمد جليلي ذي إبر تنفذ جليد الفيل
 كأنها أنياب بنت الغول لو نخست في است امرئ ثقیل
 لقفزته نحو أرض النيل ليست ترى طمي حشا مندیل

١ في البدائع وأصول النفع : فالشد في أمرها فسيح .

٢ البدائع والنفع : زانه .

٣ البدائع والنفع : تعرض من دونه النصول .

٤ بدائع البدائه : ٣٠٤ ونفع الطيب ٣ : ٢٤٦ وديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

٥ ص : الطرائقيين ؛ البدائع : الطوافين .

نُقِلُ السَّخِيفِ المَاتِقِ الجُهُولِ وَأَكْلُ قَوْمٍ نَازِحِي^١ العُقُولِ
أَقْسِمُ لَا أَطْعَمْتُهَا أَكْبَلِي وَلَا طَعِمْتُهَا عَلَيَّ شَمُولِ

وكان^٢ يوماً مع جَمَاعَةٍ من أَهْلِ الأَدَبِ ، بِمَجْلِسِ ابْنِ ذَكْوَانَ ،
فَجِيءَ بِبَاكُورٍ بَاقِلِي ، فَقَالُوا : لَا يَسْتَفِيدُ بِهَا إِلَّا مَنْ وَصَفَهَا^٣ ، فَقَالَ ابْنُ
شَهِيد :

إِنَّ لَأَلِيكَ أَحَدَتَ صَلَفا	فَاتَّخَذَتْ مِنْ زُمُرْدٍ صَدَفا
تَسْكُنُ ضَرَاتِهَا الْبُحُورَ وَذِي	تَسْكُنُ لِلْحُسْنِ رَوْضَةَ أَنْفَا
هَامَتْ بِالْحُفِّ الْجِنَانِ فَاتَّخَذَتْ	مِنْ سُنْدُسٍ فِي جِنَانِهَا لُحُفا
نَثَقِبَهَا ^٥ بِالثَغُورِ مِنْ لَطْفٍ	حَسْبُكَ مِثْلُ بَيْرٍ مِنْ لَطْفَا
جَازَ ابْنُ ذَكْوَانَ فِي مَكَارِمِهِ	حُدُودَ كَعْبٍ وَمَا بِهِ وَصَفا
قَدَّمَ دُرَّ الرِّبَاضِ مُتَخَبِئاً	مِنْهُ لَأَفْرَاسٍ مَدْحِيهِ عِلَفا
أَكْلُ ظَرِيفٍ وَطُعْمُ ذِي أَدَبٍ	وَالْفُؤْلُ يَتَوَاهُ كُلُّ مَنْ ظَرُفا
رَخِصَ فِيهِ شَيْخٌ لَهُ قَدَرٌ ^٧	فَكَانَ حَسْبِي مِنَ الْمُنَى وَكَفَى [٤٠]

١ اللفظة غير معجمة في ص ؛ وقد وردت كما أثبتت في البدائع والنفح .

٢ بدائع : ٣٠٣ والنفح : ٣ : ٢٤٤ وديوان ابن شهيد : ١٢٧ .

٣ ص : وصفه .

٤ ص : دراتها ، وأثبت ما في البدائع والنفح .

٥ البدائع والنفح : شبهتها ؛ ص : بتقبيها .

٦ ص والبدائع : حاز .

٧ البدائع : حسب .

وخرج سعدان المؤدب^١ من قرطبة إلى الحجاز وشيعة جماعته ،
وكان قد باع دارة وشد جهاز طريقه تحته في خروجه ، فقال فيه يومئذ
مؤمن بن سعيد^٢ :

قد بيعت دارك فارحل غير محتقِب زَادَ التَّقَى عَنْ بَنِي الدُّنْيَا إِلَى سَقَرٍ
لما رأيت أذى الأمطارِ مُتَّصِلًا حَصَنْتَ دَارَكَ فِي خُرُوجٍ عَنِ الْمَطَرِ
فلست تخشى على حيطانها زللاً مِينَ وَكَيْفٍ يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ مِنْهُمْ
زَوَّدْتُكَ اللَّعْنُ مَخْصُوصاً بِهِ أَبَدًا لَمَّا غَدَوْتَ بِلَا زَادٍ عَلَى سَقَرٍ
فاغرب إلى حيث لا ماء ولا شجر كما غنيت بلا ماء ولا شجر

وساير^٣ ابن عمار في بعض الأسفار غلامين وسيمين من بني جهور ،
أحدهما أشقر والآخر بعيدار أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهير دابته
إلى الذي وصفه منهما حيث قال ارتجالاً :

تعلقتُه جهوْرِي النَّجَارِ حُلُوَ اللَّشَى جَوْهَرِيَّ الثَّنَايَا

١ المشهور بهذا الاسم سعدان بن معاوية القرطبي (٣٢٧ -) وقد رحل حاجاً فوافق دخوله مكة إتيان القرامطة (سنة ٣١٨) فأصيب بضربة شقت خده وعينه (ابن القراضي ١ : ٢١٤) ولا يمكن أن يكون هو المقصود هنا لأن مؤمن بن سعيد توفي سنة ٢٦٧ إلا أن يكون الشعر قد نسب لمؤمن خطأ .

٢ مؤمن بن سعيد (- ٢٦٧) ترجمته في الجذوة : ٣٣٠ والمغرب ١ : ١٣٢ واليخيمة ١ : ٣٧١ وانظر مزيداً من المصادر في دراسة كتبها عنه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة : ١٧٠ ط / ١٩٧٣) .

٣ وردت القصة والأبيات في الذخيرة (القسم الثاني : ٣٨٩) وبدائع البدائع : ٣٦٩ - ٣٧٠ ونفع الطيب ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٤ البدائع والنفع والذخيرة : اللى .

مِنَ النَّفَرِ الْبَيْضِ جُرُؤًا الزَّمانَ رِقَاقَ الْحَوَاشِي كَرَامَ السَّجَايا
ولا غَرَوْا أَنْ تَغْرُبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مُحَاسِنُهَا بِالْعَشَايا
ولا وَصَلَ إِلَّا جُمانَ الْحَدِيثِ نُسَاقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمَطَايا
شَنِتُّ الْمَثَلِ لِلزَّعْفَرَانِ وَمِلْتُ إِلَى خُضْرَةٍ فِي التَّفَايا^٢

قال ابن بسّام^٣ : وكان الأستاذ أبو الوليد بن ضابط قد بدأ عليه
بالقراءة الوزير أبو محمد بن عبدون وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة ،
وكان ابن ضابط المذكور متكسباً بالشعر . فضجيراً يوماً وقال : « الشعْرُ
خُطَّةٌ خَسَفَ » فقال له ابن عبدون :

لِكُلِّ طَالِبٍ عُرْفٌ
لِلشَّيْخِ عَيْبَةٌ عَيْبٌ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٌ

والبديهة والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية وإن لم تلحق بالأشعار
المشرقية ، ولا فيها كبير طائيل ، ولا تقرب مما ألصقته إلیها من
أشعار الأوائل ، فهي تحوي في هذا المجموع الذي انتحيت ، وطلعتي

١ البدائع : جرد ؛ النفع : أسد .

٢ التفايا من بسائط الأطعمة عند الأندلسيين ، وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضر من لحم الضأن
القي في قطع صغار ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة وقليل من ماء بصلصة مدقوقة
ومغرفة من الزيت العذب . . . ويحمل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم . فإذا أردتها خضراء
أضفت إليها ماء الكزبرة الرطبة (انظر كتاب الطببخ ٨٥ - ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩) .

٣ انظر نفع الطيب ٣ : ٣٩٧ ، ٦٠٩ (وفي الموضع الثاني ذكر أن صانع القسم الأول هو
المتوكل بن الأفطس) وبدائع البدائع : ٨٠ والتكملة : ٤٠٧ .

٤ هو محمد بن علي بن يعيش بن داود سمع من أبوي مروان : الطنبلي وابن سراج سنة ٤٥٤ ،
وسكن بطلوس وقعد فيها لتعليم الآداب واللغات (التكملة : ٤٠٧) .

الذي إليه جريتُ ، ولذلك ما أثبتُ مُذالَّها ومَصونها ، وكتبتُ غَشَّها وسَمينها ،
والأدبُ طريقُ يسْلُكُها الصَّحيحُ والجَرِبُ ، وسُوقُ يَنْفُتُ فيها الدرُّ
والمخشَلَبُ ، ولأخْرُجَ من جدِّ إلى هَزَلٍ ، وأنتَقِلَ من حَزَنٍ إلى سَهْلٍ .

رجعتُ إلى ما قَطَعْتُ من أخبارِ صاعِدٍ ، وما يَتعلَقُ بها ويذكرُ بسببها
من الفوائد .

إيجاز الخبر عن أسر غَرْسِيَّةَ الذي ذكرُ

قال ابنُ حَيَّانَ : لما قَتَلَ ابنُ أبي عامرٍ سنةَ أربعٍ وثمانينَ عن بلدِ
غَرْسِيَّةَ صاحبَ قَشْتِيلَةٍ ، حَشَرَ عَدُوَّ اللَّهِ جُمُوعَهُ لَغَزْوِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ،
فاغْتَمَّ الْمَنْصُورُ لِلدَّاءِ . فبينما هو يُحَاوِلُ بَعْضَ الْأَمْرِ هُنَاكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ
كِتَابُ قَنْدِ الْوَزِيرِ^٢ صَاحِبِ مَدِينَةِ سَلَمٍ يَذْكُرُ أَنَّهُ أَسْرَى فِي نُخْبَةٍ أَهْلَ
ثَغْرِهِ إِلَى بَلَدِ غَرْسِيَّةَ فَقَتَلَ وَغَنِمَ ، ثُمَّ انْكَمَشَ فَتَبِعَهُ غَرْسِيَّةُ فِي قِطْعَةٍ
حَسَنَةٍ مِنْ نُخْبَةٍ حُمَاتِهِ ، فَثَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَ الْإِسْلَامِ ، وَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَلَى
أَسْرِ غَرْسِيَّةَ جَرِيحاً ، وَسِيقَ إِلَى مَدِينَةِ سَلَمٍ ، وَأَقَامَ بَيْدَ قَنْدٍ يَبَالِغُهُ مِنْ
جُرْحِهِ فَهَلَكَ فِي يَدِهِ ، وَحَزَّ رَأْسَهُ وَجَعَلَهُ فِي تَابُوتٍ ، وَأَنْقَذَهُ إِلَى حَضْرَةِ
قُرْطُبَةٍ ، وَاخْتَزَنَ جَسَدَهُ إِلَى أَنْ دُفِعَ مَعَ رَأْسِهِ إِلَى وَلَدِهِ شَانِجِهِ عِنْدَ عَقْدِ
السَّلَامِ بَعْدَ مُدَّةٍ .

١ قارن بما أورده ليفي بروثسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية ٢ : ٢٤٤ .
٢ ذكره الفقيه أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة وقال : إنه كان صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور
ابن أبي عامر وكانت ابنته عاتكة على غاية من الجمال ، وقد تزوجها أبو بكر أخو الفقيه .

مقتل أبي مروان الخزيري^١

وكان أبو مروان عبدُ الملكِ الخزيري أحدَ شعراءِ الأندلسِ المجيدين وقتَه
ومن اجتمعَ له بهذا الإقليمِ نوعا البلاغةِ في المثنوي والمنظوم . وتقدّمُ
عصرهِ معني من ذِكره ؛ وفي خبرٍ مقتله طُول . لكنْ نُلَمِّعُ منه بلمعة ،
بعدَ أنْ تقدّمَ من نوعي كلامه قطعة .

فمن ذلك أنَّ المنصورَ بن أبي عامرٍ صنَعَ صنيعاً في ذلك الأوان . لتطهير
ابنه عبدِ الرحمن ، وكان عامَ قحطٍ فارتفعَ السعرُ بقرطبةَ . وبلغَ رُبُعُ
الدَّقِيقِ إلى دينارين ، فجلا الناسُ . فلما كان يومُ ذلك الصنيعِ . نشأتُ في
السماءِ سحابةٌ عمّتْ الأفقَ ، ثم أتى المطرُ الوابلُ فاستبشر الناسُ وسُرُّ
ابن أبي عامر ، فقال الخزيري بديهة^٢ :

أما الغمامُ فشاهدٌ لك أنَّه لا شكَّ صنوكَ بل أخوك الأوثقُ
وافي الصنيعِ فحينَ تمَّ تمامه في النحوِ أنشأ ودقه يتدفقُ [٤١]
وأظنه يحكيكَ جوداً إذ رأى في اليومِ بحركَ زاحراً يتفهقُ

ومنها :

١ لعبد الملك بن إدريس الخزيري ترجمة في الجذوة : ٢٦١ (البغية رقم : ١٠٥٨) والمطمح
١٣ والصلة : ٣٥٠ ، واثاب الكتاب : ١٩٣ والمغرب ١ : ٣٢١ والنفع ٢ : ١١٩
وله أشعار في اليتيمة ٢ : ١٠٢ وقطعة في تشبيهات ابن الكثاني رقم : ١٥٦ ومقطعات في
البدیع (انظر الفهرست) وانظر الذخيرة ١ : ١٠٣ .
٢ نفع الطيب ١ : ٥٣٠ .

وتوسّطتها - بلعةً في قعرها
تنساب من فكّتي هزبرٍ إن يكن
صاغوه من ندى وخلّق صفحتي
للباسمين تطلّع في عرشه
ونضائد من نرجس وبنفسج
ترنو بسجّو عيونها وتكاد من
وعلى يمينك سوسنات أطلعت
نكأتما هي في اختلاف رقومها
في مجلس جمع السرور لأهله
حازت بدولته المغارب عيزة

وعتب^١ عليه المنصور وسجنه في مطبق الزاهرة . واستعطفه برسائل
وأشعار عدّة ، فلم يسمع منه . ثم صفّح بعد عنه ، فكتب إليه الجزيري :

عجبت من عفو أبي عامر لا بدّ أن تتبعه منه
كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

فسرّ المنصور بذلك ، وصرفته إلى حاله . وردّ عليه ما كان اعتقل
من ماله .

ومن^٢ شعره أيضاً ، مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملّح فيه ، مخاطبته
على السنة أسماء كرائمه بزهور رياضه . من ذلك عن بهار العامرية
قصيدة^٣ أولها :

١ نفع الطيب ٤ : ٦٦ ووردا (في ١ : ١٩) غير منسوين له . وانظر المغرب ١ : ٣٢١ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبدیع : ٩٩ والشريشي : ١٠٦ .

حَدَقُ الحِسانِ تُقِرَّ لي وتغارُ وتَضِلُّ في صَفِي النِّهى وتَحارُ
 طَلَعَتْ على فُضْبي عيونُ كِثامي مثلُ العيونِ تحفُّها الأشجارُ
 وأُخْصُ شَيْءَ بي إذا شَبَّهْتَنِي دُرٌّ تَنْطِقُ سِلَكُها دِينارُ
 أَهْدَى له قُضْبُ الزَّمْرَدِ ساقَه وحبَّاهُ أنْفَسَ عَطْرِه العطارُ
 أنا نَرَجِسُ حقاً بهرتُ عقولهم ببديعِ تركِيبِي فقيلَ بهارُ

ومِنْ أُخْرى على لسانِ نَرَجِسَ العامريَّة^١ :

حيثُكَ يا قَمَرَ العِلا والمَجْلِسِ أَزْكى تَحِيَّتِها عيونُ النَرَجِسِ
 زَهْرًا تُرِيكَ بِحُسْنِها وبلونها زُهرَ النجومِ الجارِياتِ الكُنُتِسِ
 يَمْلِكُنْ أَفئْدَةَ النَّدَامَى كلِّما دارَتْ بِمَجْلِسِهِم مَدَارُ الأَكْثُوسِ
 مِلْكُ الهِمَامِ العامريِّ مُحَمَّدٍ للمَكْرُماتِ وللنِّهى والأنفَسِ

ومِنْ أُخْرى عن بَنَفْسَجَ العامريَّة^٢ :

إذا تَدافَعَتِ الخُصُومُ — أَيْدِ اللَّهِ مُولانا المَنْصُورَ — في مَذاهِبِها ،
 وتَنافَرَتْ في مَفاخِرِها ، فَإِليه^٣ مَفْزَعُها ، وَهُوَ المَقْنَعُ في فَصْلِ القَضِيَّةِ
 بَيْنِها ، لاسْتِيلائِهِ على المَفْاخِرِ بِأَسْرَها . وَعِلْمِيهِ بِسَرِّها وَجَهْرِها . وَقَدْ ذَهَبَ
 البِهارُ والنَرَجِسُ في وَصْفِ مَحاسِنِهما ، والفَخْرُ بِمِشابِيهِما كُلِّ مَذْهَبٍ .
 وما مِنْهُما إِلَّا ذُو فَضِيلَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيهِما أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي

١ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١ : ٥٣١ والبَدِيعُ : ١١٥ - ١١٦ .

٢ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١ : ٥٣١ والبَدِيعُ : ٧٨ - ٧٩ .

٣ بَنِي الأَسْلُوبِ فِي البَدِيعِ عَلَى الخُطابِ : فَإِليكِ ... وَأَنْتِ .. لاسْتِيلائِكَ ... الخ .

تعلونا ، وأعذب^١ من الغمام الذي يسقينا . فإن كانا قد تشبَّهنا في شعريهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومصابيح السماء ، وهي من الموات الصامت ، فإنني أشبَّه بأحسن ما زين الله به الإنسان وهو الحيوان الناطق^٢ . مع أنني أعطرُ منهما عطرًا ، وأحمدُ خُبْرًا ، وأكرمُ إمتاعاً شاهداً وغائباً . ويانعاً وذابلًا . وكلاهما لا يُمتنعُ إلا ريشما يمنع^٣ . ثم إذا ذبلَ تَسْتَكْرهُ الأنوفُ شمته ، وتستدفعُ الأكفُ ضمته ، وأنا أمتعُ رطباً ويابساً ، وتدخرُني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء ، وأصرَفُ في منافع الأعضاء^٤ . فإن فخرًا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساق ، فلا غروَ إنَّ الوشيَ ضعيف ، والهواء لطيف ، والمسك خفيف

* وليس المجدُ يندركُ بالصراع *

وقد أودعتُ - أيد الله مولانا - قوافي الشعر من وصفٍ مشابهي ما أودعاه ، وحضرتُ بنفسي لثلاً أغيبَ عن حضرتيها ؛ فقديماً فُضِّلَ الحاضرُ وإن كان مفضولاً ، ولهذا قالوا أَلَذُّ الطعام ما حضرَ لوقتِه ، وأشعرُ الناس من أنت في شعره ؛ فلمولانا أتمُّ الفضل في أن يفصلَ بحُكمه العدل . وأقول :

شَهِدْتُ لِنُورِ الْبَتَفْسَجِ السَّنْ من لَوْنِهِ الْأَحْوَى ومن إِيْنَاعِهِ

١ البديع : وأعرف .

٢ زاد في البديع : من أدوات خلقه وأنفس ما ركب فيه من مواد حياته .

٣ البديع : وكلاهما لا يمتع إلا ريشما يبدو للعيون ويسلم من الذبول .

٤ تصرف ابن بسام في العبارة هنا ، بحيث ابتعدت كثيراً عما في البديع .

لَمَشَابِهَ الشَّعَرِ الْأَثِيثِ أَعَارَهُ الـ
ولربما جمداً النجيجُ من الطلّي
فحكاهُ غيرَ مُخَالَفٍ فِي لَوْنِهِ
مِلِكٌ جَهْلُنَا قَبْلَهُ سَبُلُ الْهَدَى
فِي سَيْفِهِ قِصَرٌ لَطُولِ نِجَادِهِ
ذُو هِمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ
تَلْقَى الزَّمَانَ لَهُ مُطِيعاً سَامِعاً

قَمَرُ الْمُنِيرِ الْطَّلُقُ^١ نَوْرَ شُعَاعِهِ
فِي صَارِمِ الْمَنْصُورِ يَوْمَ قِرَاعِهِ
لَا فِي رَوَائِحِهِ وَطِيبِ طِبَاعِهِ
حَتَّى وَضَحْنَ بِنَهْجِهِ وَشِرَاعِهِ
وَتَعَامَ سَاعِدِهِ وَفُسْحَةَ بَاعِهِ
وَصَرِيحَةَ كَالْحَيْنِ فِي إِيقَاعِهِ
وَتَرَى الْمُلُوكَ الشُّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ [٤٢]

قال ابنُ حَيَّانَ : وكان عبدُ الملك بعد أبيه قد فَوَّضَ إِلَى عِيسَى بْنِ سَعِيدِ الْقِطَاعِ وزيره أمره ، فصار عيسى قِيسَمَ الدَّوْلَةِ ؛ فحسده رجال العامريّة ، وحملوا طَرْفَةً فَنَى عبد الملك على مُنَاوَأَتِهِ ؛ فَسَمَتِ نَفْسُ طَرْفَةٍ لَذَلِكَ لِفَضْلِ هِمَّةٍ كَانَتْ لَهُ ، وَحَظَّ أَدَبٍ مَيَّزَهُ عَنْ طَبَقَتِهِ . فَاسْتَخْلَصَ مِنْ أَعْدَاءِ عِيسَى لُحْمَةً^٢ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيُّ وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ ذَكْوَانَ^٣ ، فَزَيَّنَ لَهُ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِ . وَعَرَفَهُ الْجَزِيرِيُّ مَا تَهَيَّأَ لِكَافُورِ الْأَسْوَدِ مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ صَاحِبِ مِصْرَ مِنْ الْمَلِكِ بِاسْمِ مَوْلَاهُ تِلْكَ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَأَنَّ حَمَلَتَهُ فَوْقَ مَحَلٍّ ذَلِكَ بِابْيَضَاضِ النَّفْسِ وَالْجِلْدِ ، وَاكْتِمَالِ الْفَضْلِ وَالْمَعْرِفَةِ . فَأَصْغَى لَهُ طَرْفَةً وَتَدَبَّرَ بِرَأْيِهِ ، وَحَمَلَ مَوْلَاهُ عَلَى أَنْ قَدَّمَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيَّ إِلَى خِطَّةِ الْوِزَارَةِ . فَعَارَضَ عِيسَى فِي كُلِّ أَمْرٍ حَتَّى كَادَ يُسْقِطُهُ لَوْلَا اسْتِخْدَاؤُ^٣ عِيسَى لَهُ . ثُمَّ اعْتَلَّ عَبْدُ الْمَلِكِ

١ البديع : الصلت .

٢ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، انظر دراسة لي عنه وعن أسرة بني ذكوان في كتاب دراسات في الأدب الأندلسي ص : ٣٥ - ٨٣ .

٣ ص : استخدام .

المظفر ، فانفردَ طرفةُ بخدمته ، وكثُرَ الإرجافُ به ، فجمتلَ له ^١ ابن
الجزيري بغيه وسوء رأيه ، وجسّره على أن يضبطَ الأمرَ لنفسه باسمِ الطفلِ
مولاه . على رسمِ كافورٍ الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفرُ أن يُخرجَ عسكرياً إلى شرقي الأندلسِ لإنفاذٍ ^٢ ما فيه
من الأطعمة . فهشّ فتاهُ طرفةُ لذلك ، وسأل مولاه أن يُخرجَ معه
عيسى الوزيرَ وقد أسراً الإيقاعَ به ، فأجابه مولاه لذلك : فأخذَ في التجهّزِ
وأُسرفَ فيما أتاه ، ولم يُبقَ من وجوهِ القوّادِ وصنوفِ العُددِ والحلّي
وكرائمِ النجائبِ عند مولاه إلاّ ما لا قدرَ له حتى صارَ في أبتهةِ الملوكِ . وأخذ
الوزيرَ عيسى في الخروجِ معه ، فتثاقلَ له ، وأحسَّ بالشرِّ في صحبته
ورامَ الانفرادَ بالمظفرِ في ذلك ، فلمْ يُمكنه لضبطِ طرفةَ بابَ مولاه ،
فألقي عيسى بنفسه إلى مفرّجِ صاحبِ مدينةِ الزاهرةِ ثيقةِ المظفرِ واستغاثه
لمحنّته . فوصلَ له رقعةٌ إلى المظفرِ شرحَ فيها مُرادَ طرفةَ . عند
ذلك أتى [طرفةُ] من مأمّنه واستعفى الخروجَ جملةً ^٣ ، فلمْ يساعِفْهُ مولاه .
فتمتدّ لطبّيته ، والعُجبُ يقودُه والحسِنُ يسوقُه . وخلا وجهُ المظفرِ
لعيسى بعده ، وذكرَ له أشياءَ حنّيقَ بها على طرفةَ . وتعمّجَلَ المظفرُ
الخروجَ إلى غزوتهِ إثرَ طرفةَ ، فخرجَ معه وزيرُه عيسى ، والجزيري
يغالطُه في القدحِ في طرفةَ ، وفي قلبه من عيسى النارُ المتضمرّةُ ، وعيسى
أعلمُ الناسُ بنفاقه ، وأحبّهم في سفلِ دمه . فلما صارَ عبدُ الملكِ إلى
بعضِ الطريقِ دبّرَ عيسى على ابنِ الجزيري أن يَنصرفَ إلى الحضرةِ ليحصلَ

١ ص : فعله .

٢ ص : لانفاق .

٣ ص : معه .

قبضَ بقايا الخراج والنفقات ، ولم يحسَّ بما دُبِّرَ عليه وعلى صاحبيه . فلما وصلَ المظفرُ سرقسطةَ ، وطرفهُ مُرتقبٌ قدومَ مولاه على مقربةٍ منها ، دخلَ في أبيتهِ وتعَبَّتهِ وصارَ إلى قصرِ مولاه مُدلاً بمنزلته ، فعُدلَ به عن مجلسِهِ ولم تقعْ عينُ المظفرِ عليه ، وقِيَدَ لوقتِهِ ، وأُخرجَ إلى الجزائرِ الشرقية . فلم يكنْ بينَ دُخوله سَرَقُسطَةَ أميراً وخروجِهِ عنها أسيراً إلاَّ ساعة . واتَّخذَ الناسُ حديثَهُ عَجَباً . ثم أنفذَ المظفرُ إلى الحضرةِ بضمَّ عبدِ الملكِ الجزيريِّ إلى المطبقِ بالزَّاهرة . وكتبَ عيسى الوزيرُ إلى مُقرِّجِ العامريِّ وإلى عبدِ الملكِ بنِ مَسْلَمَةَ ، وكانا من أعداءِ ابنِ الجزيريِّ ، وحرَّضَهُما على إبادتِهِ ؛ فأدخلَ عليه في مُطَبَّقِهِ قومٌ^١ من السُّودانِ وخنقوه ، وأشيعَ موتهُ . وأُخرجَ ميتاً بعد أيام ، وأسلمَ إلى أهليهِ ولا أثرَ به ، ودُفِنَ في شوالَ سنةٍ أربعٍ وتسعين . فصُرعَ منه - رحمه الله - يومئذٍ فارسٌ نثرٍ ونظام ، ومُزقَ بقتليهِ وشي الكلام . وكانَ يُشبهُ في ذكائِهِ وأدبِهِ مع عَقْرِيَّةِ الطبعِ ، وكثرةِ الضَّرِّ وقلةِ النفعِ ، محمدَ بنَ الزياتِ في ذلك الصِّقع . أخبرني أبي خلفُ بنُ حُسَيْنٍ قال : سألتُ الذي تولى قتلَ ابنِ الجزيريِّ في محبِسِهِ فجعلَ يصفُ لي سُهولةَ ما عاناه منه لِقْصافَتِهِ وضعفِ أسْرِهِ ويقول : ما كانَ الشقي إلاَّ كالْفُرُوجِ في يدي : دَقَّتْ رقبته برُكْبتي فما زادَ أنْ نفخَ في وجهي . فعمِجتُ من جهلِ هذا الأسود .

رجع ما انقطع

وكان صاعدٌ قد طُوِّسَ في أخرياتِ تلكِ الدَّولةِ ، وانتهتْ به الحال ، إلى أن أغرِمَ في خبرٍ طويلٍ مائةَ مثقالٍ ، فاستغاثَ عليٌّ بنَ وداعةٍ^١ أحدَ الفرسانِ الأبطالِ ونُبَّهَاءِ الدولةِ - كان - في ذلك الأوان ، وكتب إليه رقعةً قال فيها :

إني على وهتي ، وما أخذهُ الدهرُ مني ، ونَحَّته من قيدنحي ، لأربأ بالفضلِ أن ينحطَّ إلَّا في مصَّابه ، ويُحَلَّ رجله في غير مَعَانِهِ . فلم أحوم على أحدٍ طيَّرَ رجائي ، ولا رَمَقْتُ بأُملي إلَّا من نوَّةِ اللهُ باسمِهِ ، وناسَبَ بين أحواله ، وشابهَ بين خياله ؛ فسُبْحانَ من جعلَ سِنانَكَ عِدْلَ لسانِكَ ، وبياناتِكَ كَفءَ طِيعانِكَ ، فالألسنُ تُتَنادِمُ على وَصْفِكَ ، والقلوبُ تُعاقِرُ خمرةَ حبِّكَ ، خبيثةٌ أذاعها اللهُ منك ، وذخيرةٌ أبرزها الدهرُ بك . وما زلتُ في الأيامِ التي تعرفُها منقباً عن محاسنِكَ ، بحثاً لآثارِكَ بالعدوةِ وذواتها ، ومُفَارَعَتِكَ الأهوالِ ، ومُماصَّةِكَ الأبطالِ ، عاركاً بجنيبك شوكةَ [٤٣] الأسنةِ ، ومُناجياً أطرافَ الأعنةِ ، فأذكُرُ بك صعالِكَ العربِ وذُوبانَها ، وشُعراءَ الفُرسانِ وغيرِ بانها ، كَعَنَتِرةَ وزيدِ الخيلِ ، وأنتَ بهمةُ^٢ السريَّةِ وقرنُ الكتيبةِ ؛ وغارةَ قومك من سُلَيْمٍ على فزارةٍ ونذيرُها يَهْتِفُ : أتيتمُ يا فزارة ! هذه سُلَيْمٌ والموت ! وأنا ابنُ عمِّك من ربيعةَ ، إذْ هي وسُلَيْمٌ أحلافُ ، فالعدنانيةُ تَلَفَّتْنا ،

١ أبو الحسن السلمي ، علي بن وداعة ، وصف إلى جانب البطولة بالأدب البارِع والشعر الرائع ،

انظر الجذوة : ٢٩٧ وترجم له ابن الأثير في الحلة ١ : ٢٨٢ ونقل بعض ما جاء هنا في الذخيرة .

٢ ص : يعين .

والنسبُ يضمُّ شَعْبَنَا . وفي البلدِ من وَتَرْتَنِي فاستقَادَ منه لساني ، وظلمني
فانتصر لي حُماة كَلِمَاتِي ^١ . فأرسلْتُهَا فِيهِ شُعْثًا قَبَاحًا ، موروثةً في الأعقابِ
خالدةً على الأحقابِ ، أشردَ من نعمة ، وألزمَ له من طوقِ الحمامة ،
فهو يبغيني الغوائل ، ويبثُّ لي الحبائل .

ومن شعره فيه :

أبا حسنٍ ربيعةٌ مِن سُلَيْمٍ	سنانٌ زانٌ عاليةَ الرماحِ
وإني عائدٌ بكَ مِن هَنَاتٍ	نَحْتَنُ دَعَائِمِي نَحْتَ الْقِدَاحِ
فكُفِّرْ عَلى ابنِ عَمِّكَ وانتِشِلْهُ	فليسَ حمى ابنِ عَمِّكَ بالمباحِ
فإنَّ الجارَ عندكَ بينَ جنبيْ	عُقَابِ الدَّجْنِ كَاسِرَةِ الجَنَاحِ

ومنها في المدح :

تُصَدُّ الخيلُ بِاسْمِكَ في غَدِيرٍ	على ظَهْلٍ عَنِ المَاءِ القَرَارِ
تَظَنُّكَ طَالِعاً بَينِي سُلَيْمٍ	عليها عِندَ مُفْتَضِّحِ الصِّبَاحِ
إِذَا سَاوَرْتَ قِيرَتَكَ في مَكْرٍ	جَعَلْتَ لَهُ ذِرَاعَكَ كَالوِشَاحِ

فما انتفع بعلي بن وداعة . ولا كانت له فيه شفاعة .

وكان خاطباً أيضاً هشام بن الحكم الخليفة في تلافٍ حاله ، فما
أصغى له لزهده فيه وفي أمثاله . وعوجل ^١ علي بن وداعة وقتل في خبر

١ ص : كماتي .

٢ ص : وعولج .

طويل ، فانسدَّ بابُ الفهمِ بقرطبة يومئذٍ وطَمَسَتْ العبيدُ العاقبونَ
له رسمه . وأيسَ ذوو الأحسابِ منهم . فتفرقوا شذَر مَذَر ، ولم يبقَ
بها منهم مَنْ له خَطَر . وتناصَرَتْ خِلالُ المكروهِ فيما بعدُ على ضاعدٍ
بارتجاجِ الفتنة . غلاءَ سِعَرٍ ورِخَصَ شِعَر ، حتى اختلَّ وعجزَ عن
سترِ ولده وأهله . وبخلَ هشامٌ على ذلك كله بتسريحه والإذن له في الانطلاق
عن الأندلس فرَقاً من خُبثِ لسانه . فخرج مُستخفياً وجاز بشكطِيشٍ
على يدِ أبي زيدٍ البكري رئيسِها سنة ثلاثٍ وأربعمائة ، فاتصلَ بصاحبِ
صقلية ، وفارقَ البؤسَ وراجعَ النعمة . ثم رجع إلى الأندلس إثرَ غلبةِ
سليمانَ والبرابر على قرطبة مُستخرجاً لمن تخالفَ بها من أهليه وولده .
وتعرضَ أيضاً لمديحِ سليمانَ فما أنجحَ معه ولا أفلحَ . وقد كان استطرفَ
أولَ دولته ، فرثمه رثمانُ العلوقِ^١ ولم يَقْرِهِ قَرْضاً لاستحالاته عن فعلِ
الجميلِ جملة . ثم عجلَ الانكفاءَ إلى صقلية ، ومات بها رحمه الله سنة
عشرٍ وأربعمائة .

قوله : « جعلت له ذراعك كالوشاح » أخذه من قول أسر يزيد بن
الصَّعْق^٢ :

١ العلوق : هي التي ترأَم بأنفها وتمنع درتها ؛ أو هي لا ترأَم الولد جملة؛ وفي المثل : حاملنا
معاملة العلوق ترأَم فتشم ، وقال أفنون التغلبي :

أَمْ كيف ينفع ما تأتي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالابن

٢ البيتان لقيس بن زهير العبسي ، انظر حماسة الخالدين ١ : ٩١ ووردا دون نسبة في البيان
٣ : ٢٤٦ والحيوان ٦ : ٤٢٥ وشرح ديوان زهير : ٥٤ ونقد الشعر : ٩١ والثاني
في العمدة ١ : ٣٠٢ . وانظر الذخيرة ٣ : ٣٨١

تركتُ الركابَ لأربابها^١ وأكرهتُ نفسي على ابنِ الصَّعَقِ
جعلتُ يَدَيَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارس لا يُعْتَنَقُ

ونُعْقِبُ أخبارَ صاعدٍ بمصادرٍ ومواردٍ من أخبارِ ابنِ أبي عامرٍ ،
منسوقةَ الأوائلِ والأواخرِ . مقيدةَ العيونِ والنوادرِ . ونُلَمِّعُ بشيءٍ
من الأسبابِ التي ذكَّلتُ له الصَّعَابِ . وأخضعتُ له الرقابَ . ولأنما نعتمدُ
من الأخبارِ أشهرَها بُسُوقاً . وأخصرَها طريقاً . وأمستَها بالأدبِ رَحِيماً ،
وأشبهَها بغرَضٍ هذا الكتابِ أرضاً وسماً . وبحسبنا من دولةِ ابنِ أبي عامرٍ
أن ننقلَ نصَّ ابنِ حَيَّانَ : كيف طلعتْ نجومُها ، ومن أين نَشَأَتْ غيومُها ،
ونُتلي ذلك كيف مالَ ظِلُّها واضطربَ حبلُها ، إذ أكثرُ ما يقالُ للحاضرِ
من أين طَلَعَ ، وللغابرِ الدابرِ ما صَنَعَ . ونهايةُ المُرادِ . علمُ الكونِ والفسادِ .

تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر من الأول إلى الآخر^٢

هو أبو عامر^٣ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ بنِ أبي عامرٍ محمدِ بنِ الوليدِ
ابنِ يزيدِ بنِ عبدِ الملكِ المَعافِرِيِّ . وعبدُ الملكِ جدُّه هو الداخلُ بالأندلسِ
مع طارقٍ مولى موسى بنِ نُصَيْرٍ في أولِ الداخلينِ من المغربِ . وهو في
قومه وسيطٌ .

١ حماسة الخالدين : النهاب لأربابه .

٢ مصادر ترجمته متعددة : نشير منها إلى المعجب وأعمال الأعلام وابن عذاري ونفع الطيب
والجلدوة : ٧٣ والحلة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٧ وكتب التاريخ العامة كابن الأثير وابن خلدون... الخ

٣ انظر البيان المغرب ٢ : ٢٥٦ وما بعدها .

ونقلتُ من خطِّ ابنِ حيانَ قال^١ : انتهت خِلافةُ بني مروانَ إلى الحَكَمِ تاسعِ الأئمَّةِ فيها ، فتناهت في السَّروِ والجلالةِ والكمالِ والأبَّهةِ ؛ ونظمَ رِوايةَ الأخبارِ وحَمَلَةَ الآثارِ من مناقِبِهِ ما طارَ كلَّ مَطارٍ في جميعِ الأقطارِ ، إلَّا أَنَّهُ - تَعَمَّدَ اللهُ خطاياهُ - مع ما وُصِفَ من رِجَاحَتِهِ ، كان ممن استهواه حُبُّ الولَدِ وأفرطَ فيه ، وخالفَ الحِزْمَ في توريثِهِ المُلكَ بَعْدَهُ في سَنَةِ الصَّبَا ، دونَ مَشِيخَةِ الإخوةِ وفِيَتِيانِ العَشِيرَةِ [٤٤] وَمَنْ يَكْمُلُ للإمامَةِ بلا عِجَابٍ ، فَرَطَ هَوًى ووهلةً انتقدها النَّاسُ على الحَكَمِ وعدُّوها البِخانيةَ على دَوْلَتِهِ . وقد كان يعيبُها على ولدِ العباسِ قبلَهُ ، فَأَناها هو مختاراً ولا مردَّ لأمرِ اللهِ . وذلك أَنَّهُ نَقَسَ بِسُلْطَانِهِ على ثلاثةِ رجالٍ من إِخْوَتِهِ وَلَدِ النَّاصِرِ : عبدِ العزِيزِ شقيقِهِ والأَصْبَغِ والمَغيرةِ . مع جماعةٍ من وَلَدِ الخلفاءِ كَهولٍ وشَبَّانٍ ، ما فيهِمُ إلَّا مضطَّيِّعٌ للأمرِ قوياً عليه . فتخطى جماعتَهُمُ إلى ابْنِهِ هِشامٍ وهو في الوقتِ طفلٌ ما بَلَغَ الحُلُمَ .

قال ابنِ بسام^٢ : وحُدِّثْتُ عن أحمدَ بنِ زيادٍ عن محمدِ بنِ وضَّاحٍ عن رجلٍ يَتَكَلَّمُ في الحِديثِ أَنَّهُ قال : لا يزالُ مُلْكُ بني أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ في إقبالٍ ودوامٍ ما توارثَهُ الأبناءُ عن الآباءِ . فإذا انتقلَ إلى الإخوةِ وتوارثوه بينهم فقد أدبرَ وانصرفَ . ففعلَ الحَكَمُ بهذا الخبرِ تَوْهَمَ ، فجاذبَهُ عن إِخْوَتِهِ ؛ وإن كان ذَوُو اللَّبِّ والنظرِ ، لا يلتفتونَ إلى مثلِ هذا الخبرِ .

١ نقل المقرئ جانباً منه في نفع الطيب ٣ : ٨٥ .

٢ انظر المصدر السابق ٣ : ٨٦ .

رجع الخبر إلى ابن حبان^١ : وكان جوذر^٢ وفائق^٣ فستيا الحكم قد أخفيا موته . ودبرا على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة . وكان قال له فائق : " إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي . فقال له جوذر : ونستفتيح^٤ أمرنا بسفك دم شيخ دولة مولانا ؟ ! قال له : هو والله ما أقول لك . ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم . وعرفاه برأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تتبع^٥ لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الأمر . ولكما الرأي فيما قُلتما ؛ فأخذا في تدبير ما رأياه . وخرج المصحفي وجمع حاشيته وجنده . ونعى إليهم الحكم وعرفهم مذهب جوذر وفائق في المغيرة ، وقال : إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا ، وإن بدلنا استبدل بنا . فقالوا : الرأي رأيك . فبادر المصحفي ببعثه محمد بن [أبي] عامر مع طائفة من الجند وقتته إلى دار المغيرة لقتله . قال ابن أبي عامر : فألفت المغيرة مطمئناً لا خبر عنده . فنعت إليه أخاه الحكم فجزع . وعرفتته جلوس ابنه هشام في الخلافة . فقال : أنا سامع مطيع . فكتبت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألفتته عليها من السلامة . فراجعني جعفر المصحفي وهو يقول : غررتنا ، اقصر عليه وإلا وجهت^٦ غيرك من يقتله ! فقتل رحمه الله خنقاً . وكانت علة الحكم الفالسيج ، وكان تقدمه عبد العزيز أخوه بمديدة . وتعطل أخوه الأصبغ ببطالة أزالته عنه الرهبة . فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الخزة^٧ ، وتوفر اهتمامه بعدهما بالمغيرة . وكان فتى القوم كرمًا ورجلة ، ومن أشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة ، فأخذ له أهبتة ؛ فلما قضى الحكم نحبته ليلة

١ قارن بما أورده ابن عذاري ٢ : ٢٦٠ وما بعدها ، وما جاء في النفع .

٢ لعل الصواب : الحرة ، إشارة إلى الغيظ على سبيل المجاز .

الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين . بادر بالمغيرة على الصفة المذكورة .

وافتح المصحفي أمره بعد بإيثار النصف . واطراح الكبير . وكان أول ما أتاه من ذلك صدر تقلده حجابة هشام - وقد رفع فراشه فوق فراش الوزراء أصحابه ، وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة - أن قال : إني أستحي من أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم . مع عجزني عن درك شأوهم . غير أننا نسلّم لأمر المؤمنين اختياره ، فلما يساوي بيننا في فرش كرامته . ولما أقرنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمته . فأفرش للجميع . مذ زال فرش الديباج . فرش الكتان ، فجرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان . واستحسن فعل جعفر يومئذ وعُدّ من [بعد] غوره . وعول جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع من السياسة . فلزم التواضع للناس . وأطلق لهم البشّر وألان كنفه ووطأ خلقه . ورأى أنهم بذلك يصلحون له . دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة ؛ فاستأثر بالأعمال . واحتجن الأموال ولم يسلبهم . وبني المنازل وهدمهم . وشج بالنشب وسخا بهم . وعارضه من محمد بن أبي عامر فتى ماجداً أخذ معه بطر في نقيض : بالبخل جوداً ، وبلاستبداد أثرة . [و] باقتناء الضياع اصطناع الرجال . حتى غلبه عما قليل . وتحركت حال ابن أبي عامر لأول الدولة ؛ وشارك في التدبير بحق الوزارة ، وتقوى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح أم هشام . وكانت حاله عند جميع الحرّم أرفع الأحوال ، بقديم الاتصال ، وحسن الخدمة . والتصدي لمواقع الإرادة ، وطلاقة اليد في باب الإلطاف والهدية ، فأخرجن له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به

في التدبير والمشورة له في الأمور ، والاختصاص به على الجمهور . وكان جعفرٌ لمحمدٍ على بعض ما أريد منه ثقةً به وسُكُوناً إلى جهته ، فامتثل ما أمَرَ به في ابن أبي عامر لغفلته ، وتزَيَّدَ في برِّه . وأشركه في سرِّه وجَهْرِهِ . وانهمك^١ [٤٥] ابنُ أبي عامرٍ في مُغالطة جعفرٍ ، وأراه أنه صاحبه الحافظ لخاليه ؛ وعولَ جعفرُ على رأي محمد ، ووصلَ يدهَ بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابنُ أبي عامرٍ يُمَكِّرُ به ويُضَرِّبُ بين حسدته ، ويناقضه في أكثر ما يعاملُ به الناس ، ويُجْعَلُ^٢ إليهم بالبدلِ وقضاء الحوائج ، ويتقدَّمُ من المعالي إلى ما يُحْجِمُ جعفرٌ عنه ؛ يستضمُّ الرجالَ وجعفرٌ يَدْفَعُهُمْ ، ويزيدُهُم وجعفرٌ يَنْقُصُهُمْ ، يظُنُّ أنه كَلَّ يَحْمِلُهُ عنه . فيا لك من جامعٍ لمحمدٍ ومُفَرِّقٍ عن جعفرٍ ! إلى أن هَوَى نجمه وزال أمره .

وكان أوَّلَ اتصالِ ابنِ أبي عامرٍ بالحكم أَنَّهُ وُصِفَ له فاستُخْلِفَ على قضاء كورة رِيَّة . ثم تصرفَ في وكالةِ صُبْحِ أمِّ هشام ، فاضطلع بكلِّ ما قلَّند ، استهوى هذه المرأةَ بحُسنِ الخِدمةِ - وهي الغالبةُ على الحكم - فأزلفتَهُ . ووليَ الشرطةَ والسكةَ والمواريثَ ؛ والسكةُ يومئذٍ أعلى الخُطَطِ في الإفادةِ . وقُرِنَ له بهذا كله القضاءُ باشيلية . فعلتْ حاله وعَرَضَ جاهه . وعمَّرَ بابه في حياةِ الحكم . وهمَّتْهُ ترتبي به وراء ما يناله من الدنيا أبعدَ مَرَمًى ، وهو في كلِّ ذلك يغدو إلى باب جعفرٍ ويروح . ويختص به ويتحققُ نصيحته . إلى أن أحظاه الجُدُّ وساعده القضاء . فأسقط جعفرًا . فلمَّا انفردَ بشأنه وتمكَّنَ من سلطانيه ،

١ ص : وانتَهك .

٢ ص : ويستعمل .

توفَّقَ لِنَفْسِهِ وَحَصَّنَ حَالَهُ ، وَرَمَى إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى مِنْ ضَبْطِ الْمَلِكِ
وَالْحَجَرِ عَلَيْهِ وَالْإِسْتِبْدَادِ دُونَهُ . وَامْتَلَأَ رَسْمَ الْمُسْتَغْلِبِينَ عَلَى سُلْطَانٍ وَلَكِنَّ
الْعَبَّاسَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّيْلَمِ فِي عَصَرِهِ ، فَنَالَ بُغْيَتَهُ ، وَهَذَا مَعِيشَتُهُ ،
وَأُورِثَهُ عَقَبَتُهُ بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ اقْتِدَارٍ عَلَيْهِ بِجَنْدٍ خَاصٍّ وَلَا صِيَالٍ بَعْشِيرَةٍ ،
وَلَا مُكَاثَرَةٍ بِمَالٍ وَلَا عِدَّةٍ ، بَلْ رَمَى الدَّوْلَةَ مِنْ كَيْنَانَتَيْهَا ، وَعَدَا عَلَيْهَا
بِأَعْضَادِهَا ، وَانْتَضَلَّهَا بِمَشَاقِصِهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى ضَبْطِهَا أَمْوَالَهَا وَعُدَدَهَا ،
حَتَّى حَوَّلَهَا إِلَيْهِ ، وَسَبَّكَهَا فِي قَالْبِهِ ، وَسَلَخَ رِجَالَهَا بِرِجَالِهِ ، وَعَفَى
رُسُومَهَا بِمَا أَوْضَحَ مِنْ رُسُومِهِ ، وَأَسْقَطَ رِجَالَ الْحُكْمِ مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ :
الْكِتَابَ وَالْعُمَلَّ وَالْقَضَاةَ وَالْحُكَّامَ وَأَصْحَابَ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَمَزَقَهُمْ ،
وَأَقَامَ بِإِزَائِهِمْ مِنْ تَخْرِيجِهِ وَاصْطِنَاعِهِ رِجَالًا سَدُّوا مَكَانَهُمْ ، وَمَحَا
ذِكْرَهُمْ ، أَعَانُوهُ عَلَى أَمْرِهِ .

وَأَوَّلُ عُرْوَةٍ فَضَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنْ عُرَى الْمُلِكِ جَمَاعَةَ الصَّقَلَبِ ،
اسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ بِأَسْبَابِ الْمُصَادَرَةِ أَمْوَالًا جَمَّةً اسْتَأَثَرَ بِأَكْثَرِهَا ، وَتَتَبَعَ
لِلذَلِكَ كُتُبَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ وَقَتًا بَعْدَ آخَرَ ، وَتَقَسَّمَتْهُمْ أَيْدِي الْقَدَرِ نَفِيًّا
وَقَتْلًا ، صَبْرًا وَغَلَبَةً ، سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، حَتَّى هَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ فِي
أَسْرَعِ مُدَّةٍ . وَاخْتَلَفَتْ مَقَاتِلُهُمْ بِحَسَبِ اسْتِيفَائِهِمْ مُدَدَ أَعْمَارِهِمْ ، فَلَمْ
يَبْصَحْ لِي تَارِيخُ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَتِهِ . فَكَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَوَّلَ مَنْ ظَهَرَ
إِنْتِقَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِابْنِ أَبِي عَامِرٍ مِنْهَا ؛ فَكَانُوا جَبَّارِينَ قَاسِطِينَ فِي بِلَادِهِ ،
مُتَمَرِّدِينَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَرْسَلَهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ مِنْ خَلْقِهِ فَأَبَادَهُمْ ،
وَنَجَّى أَهْلَ السَّلَامَةِ مِنْ سَوْرَتِهِ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ تَعَالَى فِي مَنْ نَكَسَبَ عَنْ
سَبِيلِهِ .

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه بالجهاد
دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

قال ابن حبان^١ : وجاشت النصرانية بموت الحكم . وخرجوا
على أهل الثغور ، فجاء صرّاحهم إلى باب قُربطية فلم يسجدوا عند جعفر
غناءً ولا نصرة . وكان مما غرّب به لجنه وعظيم أفنيه أن أمر أهل قلعة
رباح بقطع سدّ نهرهم آتة لغمقيّه وسوء دجلتيّه . يلتمس بذلك دفاع
العدوّ عن حوزتيّه ، لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان
يومئذ وجُموم أمواله . فكانت من سقطات جعفر المأثورة ، فأنيّف
ابن أبي عامر من تلك الدنيّة . وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد .
وخوّفه سوء العاقبة في تركه . وأجمع الوزراء على ذلك إلاّ جماعة
خاموا عنه ، فبادر ابن أبي عامر إليه ووعد من نفسه الاستقلال به على
أن يختار الرجال ، ويجهز لغزواته مائة ألفٍ مثقال . فنفر بالجيش ودخل
على الثغر الجوفي إلى جليقية . فنازل حصن الحامة من أعمال رُدْمير .
فدخل ربضه وأفشى النكاية وغنم . وقفل ووصل الحضرة بالسبي
إلى اثنين وخمسين يوماً ، فعظم السرور وخلّص الجند له ، واستهلكوا
في طاعته لما رأوه من كرمه .

حدثني أبي خلف بن حسين قال^٢ : تذاكرنا جُود ابن أبي عامر [٤٦] يوماً .

١ انظر نفح الطيب ٣ : ٨٧ .

٢ يتابع المقرئ النقل في النفح ٣ : ٨٨ .

وبالحضرة محمد بن أفلح غلام الحكم . فقال : عندي من جوده غريبة ،
أنكحتُ بنتي على عهد مولانا الحكم . والحالُ بنا ضيقة . فاضطرتُّ لما
أصلحُ به حالَ الجارية إلى بيعِ لجامٍ محلىً ثَقِيلُ الوزنِ رديءِ العيار ،
وكان عندي لزيّنتي أيامَ المراكب ، وتقاعدَ فيه التجارُ فانقطع بي أُملي ؛
فوقع في نفسي قَصْدُ ابنِ أبي عامر صاحبِ السكّةِ للدائع من كرمِهِ ،
وأعظمُ رغبتِي أن يَضْرِبَ لي في السكّةِ دراهم ، فقصدته وعرفته رغبتِي ،
فسارعَ بأطلقِ وجهٍ وقال : سِرْ إليّ بدارِ الضربِ ؛ فجئتُهُ وأوصلني
إلى نفسه والدراهمُ المطبوعةُ بين يديه . وأوماً إليّ فأخرجتُ اللجامَ وأنا
خائفٌ من صرفِهِ لسقوطِ عيارِهِ . فوالله ما نظرَ إليه ولا عايرَهُ . وراطلني
والله باللجامِ بحدائده وسيوره . فأخذتُ ما لم يَدْرُ في وَهْمِي أنِّي أظفرُ
بمثله . وعظّمَ ابنُ أبي عامرٍ في عيني ، وقُمتُ عنه وحجّرتي ملآن ولا
أصدّقُ بما حصَلتُ عليه ؛ فجهزتُ بنتي وفضلَ لي شيءٌ يكفيني ؛ وقلَّ
مولاي الحكمُ في عيني وأحببتُ ابنَ أبي عامرٍ ، حتى لو دعاني إلى معصيةِ
الحكم - وهو مالِكُ رِقَتِي وإمامي - لما قعدتُ عنه .

مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر
ومظاهرتَه على المصحفي إلى أن أسقطه ومات في سجنه

قال ابن حبان^٢ : وكان بين المصحفيِّ وغالبٍ صاحبِ مدينةِ سالمٍ .

١ ص : جلى ؛ وأثبت ما في النسخ .

٢ قارن بما في النسخ ٣ : ٨٨ .

شيخ الموالي وفارس الأندلس غير مدافع أشد ما كان بين اثنين من
العداوة والتقاطع . فأهم المصحفي شأنه . وناظر الوزراء في ما بدا من
ثاقليه في الذب عن الثغر . فأشاروا باستصلاحه . وبادر بذلك ابن
أبي عامر لما أراده من مظاهراته . فلم يزل يقوم بشأنيه ويخدمه داخل
الدار من قبل الحرم كعادته حتى تم على إرادته . وخرج الإذن أن
يُنْهَضَ غالب إلى ثنى الوزارة ويُدبّر جيش الثغر ، وابن أبي عامر
جيش الحضرة . ثم خرج ابن أبي عامر إلى غزاته الثانية ، واجتمع به
وتعاقدا على الإيقاع بجعفر . وقفل ابن أبي عامر غانماً ، وبعد صيته .
فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة ، وكانت في يده
يومئذ ، فخلف عليها ابنه . فخرج ابن أبي عامر نحو كرسيها في ذلك اليوم
والخيل عليه . ولا خبر عند جعفر . وإن ابنه باللس مجلسها في
أبتهته ، حتى صعد ابن أبي عامر نحوه ، فوالى ولد المصحفي الدبر ناكصاً
على عقبيه ، وأتبع بدابته ، وعاد إلى داره . وملك محمد بن أبي عامر
الباب بولايته الشرطة ، وأخذ على جعفر وجوه الحيلة ، وخلاه وليس
بيده من الأمر إلا أقله . وكان ذلك - زعموا - بتدبير غالب معه عند اجتماعهما
بالثغر ، وقال له : سيطر لك ذكر بهذا الفتح ويشغل السرور أهله عن
الخصوص فيما تحذره من قيصه ، فإياك أن تخرج عن الدار حتى يُعزل
جعفر عن المدينة وتقلدتها ، ويزول أمره على الباب والدار ويتم عليه
التدبير حتى يُزال عن الحجابة . ففعل ذلك وضبط المدينة ضبطاً أنسى
به أهل الحضرة من سلف قبل من الكفاة أولي السياسة .

١ كذا ولعل صوابه « مثنى » كما هو الشائع عند الأندلسيين .

وانهمكَّ ابنُ أبي عامر في صحبةِ غالب ؛ ففطنَ جعفرٌ لتدبيرِ ابنِ أبي عامر عليه بعدُ من وهلاتِهِ ، فكاتبَ غالباً يستصلحه وخطبَ أسماءَ بنته لابنه عُثمانَ ، فأجابه غالبٌ لذلك . وكادت تَمَّ مصاهرته له . وبلغ ابنُ أبي عامر فقامت قيامتهُ ، وكاتبَ غالباً يخوفُهُ الحيلةَ ويهيجُ منه الحقدَ . وألقى عليه أهلَ الدار وكاتبوه فصرفوا غالباً ، ورجعَ إلى محمد بن أبي عامر وأنكحَ ابنته أسماءَ منه ، وتمَّ العقدُ له في محرمِ سنةِ سبعٍ وستينَ ، وأدخلَ السلطانُ تلكَ الإبنةَ إلى قصرِهِ وجهَّزَهَا إلى محمد بن أبي عامر من قبَلِهِ ؛ فظَهَرَ كلُّ الظُّهورِ ، واستوثقَ له التدبيرُ ، وصارَ عنده جعفرٌ لا شيءَ ، إلاَّ أنه غالطَهُ زمنُهُ إلى أن أحكمَ أسبابَ صَرْفِهِ . واستقدَّمَ السلطانُ غالباً وقلدَهُ خُطَّةَ الحِجَابَةِ مُشْتَرِكاً مع جعفرِ . ودخلَ ابنُ أبي عامر بأسماءَ بنته ليلةَ نِروزِ العامِ المؤرَّخِ ، وكانت أعظمَ ليلةٍ عُرِسَ بالأندلسِ . ولجعفرُ في ذلكَ رسالةً إلى السلطانِ حَسَنَةً في بابِها تملِّقُ فيها وتُصنِّعُ ، وهو قد أيقنَ بالنكبةِ ؛ وكفَّ عن اعتراضِ ابنِ أبي عامر في شيءٍ من التدبيرِ . وابنُ أبي عامر يُدَاهِنُهُ ولا يَكْشِفُهُ ، وجعفرُ يشكُّ في أمرِهِ ، قد استولى عليه الإدبارُ والحيرةُ . فلم يَصِحَّ له رأيٌ ولا رويةٌ ؛ وانقبضَ الناسُ عنه ، وانتالوا على ابنِ أبي عامر ، إلى أن صار يغدو [٤٧] إلى قِصرِ قُرْطُبَةَ ويروحُ وحدهَ وليس في يده من الحِجَابَةِ سوى اسمِها ، وابنُ أبي عامر قائمٌ بشروطِها ، ينصبُ الحَبَائِلَ لسقوطِ جعفرِ ، والأقدارُ السماويةُ تنجدهُ . وكانت لله عندَ جعفرِ في إشارِهِ هشاماً بخلافتهِ ، واتَّباعَهُ شهوةَ نفسه وحظَّ دنياه ، وتسرعُهُ إلى قتلِ المغيرةِ لأوَّلِ وهلةٍ دونَ قِصاصِ جَرِيرَةٍ استدركتُهُ دونَ إِمْلَاءِ ، فسلطَ عليه من كانَ قَدَّرَ أَنَّهُ يتسلطُ على الناسِ باسمِهِ .

ولما اتفقت على جعفر هذه الأسباب ، جدَّ المقدارُ به وسخِطَ السلطانُ عليه وعلى ولده وأنسابه وعلى أخيه هشامٍ وسائر طبiquته ، وطولبوا بالأموال وأخذوا برفع حساب تصرّفوا فيه لأول الزمان . وأخذهم ابنُ أبي عامر بالخروج عنها ، وتوصل بذلك إلى استئصال أموالهم وانتهاك حرمتهم وأبشارهم ، واجتثاث أصولهم . وكان هشام ابن أخى جعفر قد بلغ من حسادته لابن أبي عامر أن سرّق له في غزاته الثالثة في طريقه رؤوساً للنصارى كانت تُساقُ للحضرة ، فنفسه فيها وأمر غلماناه فصبّوها في النهر ، فقامت قيامة ابن أبي عامر لذلك ، وكاشف آل عثمان من ذلك اليوم ، وتجرّد لإبادتهم فاستبلغ في مكروه هشام وعاجله بالقتل في المطبق قبل عمته جعفر ، فلما [قتل] استقصى ابن عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة ، وكانت من أعظم قصور قرطبة . واستمرت النكبة عليه سنين ، مرة يُحبسُ ومرة يُخلّى ويُقرُّ بالحضرة وتارة يسيّر عنها ، ولا يُراح في الحاليتين من المطالبة والأذى . إذا ستم ابن أبي عامر إعناته وكنهه إلى غالب صهره فيتولى كبره ، ويضعف عذابه . والأخبار عنهما في ذلك كثيرة . فلما بان عجز جعفر وضعفه أقرّ في المطبق بالزهراء إلى أن وافاه^٢ هنالك حِمَامُه وأسلم مبيتاً إلى أهله ، وما ترك الناس بعد أن عدّوه في قتل ابن أبي عامر ، وزعموا أنه دس له شربة سمٍ قضت عليه . والله أعلم .

أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر قال^٣ : سِرتُ مع محمد ابن مسلمة ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لتسليم جسد جعفر بن عثمان

٢ ص : وفاه .

١ النفع : ولا براح له .

٣ يستمر النص في نفع الطيب ٣ : ٩٠ . وقارن صياغة ابن خاقان لهذا الخبر في المطمح : ٦

إلى أهله وننظر^١ إلى عَيْشِهِ . وسرنا إلى منزله وما غطى جسده إلا كِسَاءُ خَلَقَ لبعض البوابين ألقاه على سريرِهِ . ودعا له محمد بن مسلمة بغاسلٍ يغسله على فردٍ بابٍ اختلج من ناحية الدار . وخرجنا بنعشه وواريناه ، وما جَسَرَ أحدٌ شهودَهُ معنا سوى إمام مسجده المُستدعى للصلاة عليه ومن حضره من ولده . فعمجت من عُدوانِ الزمان بعد تصريفه له ، وإن لي بالاعتبار بشأنه في الحالتين مع قُربِ المدَّةِ لموعظة : وقفتُ له في طريقه من داره وقتَ علَّةِ الحكم . وقد تناهى أمرُهُ في الجلالة أرومُ أن أناولَهُ قِصَّةً . فوالله ما تمكَّنتُ من الدُّنُوِّ إليه لكثافة موكبه ، وأخذ الناس الطرقَ عليه مسلمين وسائلين ، فانشيتُ حَسيراً مبهوتاً . فلم تطلِ المدَّة حتى سلبه ابنُ أبي عامر حالَهُ وقبض عليه ، وجعل يحمله في الغزواتِ معه . وسرت في صحبةِ ابنِ أبي عامر فاتفقَ لي أن نزلتُ في بعض المنازل بجلِيقية إلى جَنَبِ خِيائِهِ . وفي ليلة نَهَى ابنُ أبي عامر عن وقودِ النار ليخفي على العدو مكانه . فرأيتُ والله عثمانَ بنَ جعفر يَسقي أباه جعفرأ دقيقاً قد خلطه بالماء يُقيمُ أودَهُ . والشيخُ يحسوه ويحرصُ عليه ، ضَعَفَ حالُ وعدمَ زاد : فلا أنسى تلك الموعظة . وما يَغتر بالأيام إلاَّ ضعيفُ العقل .

وكان مَهْلِكُ جعفر فيما أخبرني به أبي خلفُ بنُ حسين سنة اثنتين وسبعين .

وممَّا طُوْلَبَ به جعفر مالُ الصَّقْلِي جعفر ، كان الحكمُ وقفَهُ قِبَلِ خالد بن هشامٍ وتورَّع عنه وأوصى أن يوزَّع في الكُور التي كانت

١ ص : والنظر .

إليه وقته ، تَحَلَّتْ مِنْ مَظَالِمِ أَهْلِهَا . فَأَرْجَاهُ عِنْدَ خَالِدٍ مُدَّةً إِلَى أَنْ أَحْتَاجَ
إِلَيْهِ فَقَبْضَهُ سَرَّاءً . وَانْدَفَعَ إِلَى جَعْفَرٍ وَأَخَذَ خَالِدُ بْنُ هِشَامٍ بَرَاءَتَهُ مِنْهُ ،
فَسُئِلَ جَعْفَرٌ عَنْهُ ، فَقَالَ : كُنْتُ خَادِمَ الرَّجُلِ وَصَاحِبَ سِرِّهِ فَعَمِلْتُ بِرِسْمِهِ ،
وَإِنْ رُجِعَ فِي الاسْتِدْلَالِ إِلَى زِمَامِهِ الْمَاضِي الَّذِي كُنْتُ أَقِيدُ فِيهِ الْأَمْوَالَ
الْبَاطِنَةَ وَجَدَ فِيهِ ثَبَتُهُ . فَجِئْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِذَلِكَ الزِّمَامِ وَقَدْ قُطِعَ مِنْهُ
الدَّرَجُ الَّذِي فِيهِ ذَكَرُ الْمَالِ الْبَاطِنِ وَوُصِّلَ مَا انْقَطَعَ بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا
بَعْدَهُ . وَأَرَشَدَ جَعْفَرٌ إِلَى هَذِهِ الْوَهْلَةِ ، وَحَسِبَ أَنْ مَعَ وجودِهَا لَا تَلْزِمُهُ
الْحُجَّةُ . فَعَدَّلُوا بِهِ إِلَى بَيْدَاءِ مُضَلَّةٍ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَلَمَّا أَمَرَ بِضَمَّتِهِ إِلَى الْمُطَبَّقِ بِالزَّهْرَاءِ وَدَعَا أَهْلَهُ
وَوَلَدَهُ وَدَاعَ الْفُرْقَةِ . وَقَالَ : لَسْتُ تَرَوْنِي بَعْدَهَا حَيًّا . فَقَدْ أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ
الدَّعْوَةِ وَأَنَا أَرْتَقِبُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَذَلِكَ أَتَى أَسْرَفْتُ عَلَى فُلَانٍ - رَجُلٍ
[٤٨] سَجَنَ بَعْدَ النَّاصِرِ - وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا . قِيلَ لِي : أَطْلِقْ فُلَانًا فَقَدْ
أُجِيبَتْ فِيكَ دَعْوَتُهُ ، فَأَطْلَقْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، دَعْوَتُ
عَلَى مَنْ شَارَكَ فِي أَمْرِي أَنْ يُسَمِّيَهُ اللَّهُ فِي أَضْيَقِ السَّجُونِ . فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
قَدْ أُجِيبَتْ . وَنَدِمْتُ بِحَيْثُ لَا تُغْنِي النَّدَامَةُ . فَأَطْلَقْتُ الرَّجُلَ . قَالُوا : فَمَا
لَبِثَ فِي مَحْبَسِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَأَخْرَجَ مَيِّتًا ، فَسَلَّسَمَ إِلَى أَهْلِهِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ .
وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ قُتِلَ خَنْفَاءً ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ . الْمُغْضِي عَلَى مُحَالٍ
هَذِهِ الْخَلِيقَةِ . انْتَهَى مَا لَخَصْتَهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَيَّانَ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَثْمَانَ .

وَكَانَ أَحَدُ مَنْ اجْتَمَعَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَوْعَا الْبَلَاغَةِ فِي النِّظْمِ
وَالنَّثَرِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي نَكْبَتِهِ :

١ ص : الْمُقْضَى عَلَى مَجَالٍ .

لا تأمننَّ من الزمانِ تفلّباً إنَّ الزمانَ بأهلهِ يتقلّبُ^١
ولقد أراني والديوثُ تخافُني وأخافني من بعدِ ذاكَ الثعلبِ
حسبُ الكريمِ^٢ مدّالةٌ ونقيصةٌ ألاَّ يزالَ إلى لثيمٍ يطلبُ
وإذا أنتَ أعجوبةٌ فاصبرِ لها فالدهرُ يأتي بالذي هو أعجبُ

وحدث غير واحدٍ أنه استعطف المنصورَ بهذه الأبيات^٣ :

هَبْنِي أَسَاتُ فَأَيْنَ الْفَضْلُ وَالكَرَمُ إِذْ قَادَنِي نَحْوَكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ^٤
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي لِإِلِيهِ أَمَا تَرْتِي لَشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بَالِغَتِ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْحَمُوا رَحِمُوا

فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الحزيري^٥ :

الْآنَ يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ تَبْغِي التَّكْرُمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ^٦
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَفْزُزْ مِنَّا بِطَائِلَةٍ وَقَلَمًا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ

ومنها :

نَفْسِي إِذَا جَمَعَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ^٧ وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

١ الأبيات في النفع ١ : ٤٢١ والمطمح : ٧ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ ص : اللثيم . وهو سهو .

٣ الأبيات في النفع ١ : ٤٠٧ ، ٦٠١ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ والحلة ١ : ٢٦٥ وقال ابن الأبار : « هذه الأبيات متنازعة ينسبها إلى المصحفي جماعة ، وقد وجدتها منسوبة إلى ابن دراج القسطلي . وذكر الرقيق أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب » (وانظر البيان المغرب ١ : ٣١) .

٤ نفع الطيب ١ : ٤٠٨ ، ٦٠١ والحلة ١ : ٢٦٧ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ .

٥ الحلة : إذا سخطت ليست براضية .

وأخبرت أن المصحفي لما بلغ إليه هذا الجواب قال ١ :

لي مُدَّةٌ لا بدَّ أبلغُها فإذا انقضت أيتامُها مُتُّ
لو قابلتني الأسدُ ضاريةً والموتُ لم يَدُنْ ٢ . لما خِيفْتُ
فانظرُ إليَّ وكنْ على حَذَرٍ فبمثلِ حالِكَ أمسٍ قد كنتُ

قال ابن بسّام : ومما يُروى لجعفر المصحفي عند ظهور ابن أبي عامر عليه ، وانتزاعه ما كان من الحِجَابَةِ في يديه . وإفضائه به إلى هذه الحال . من الهضم والاعتقال . قوله ٣ :

تندمت والمغرور من قد تَنَدَّما وهل ينفع الإنسان أن يتندَّما
غرستُ قَضِيْباً خَلِيْتُهِ عُدَدَ كَرَمَةٍ وكنتُ عليه في الحوادثِ قَيِّمًا
أكرَّمهُ دَهْرِي فَيَزِدَادُ خَيْسَةً ٤ ولو كان من عودٍ كريمٍ تَكَرَّمًا

جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية .

قال ابن حبان : أوَّلُ ذلك الوحشةُ الحادثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة هشام ووالدته صبيح . والذي أثارها أسبابُ الحسد ودواعي المُتَافَسَةِ بين

١ النفع ١ : ٦٠٣ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ الحلقة : لم يقدر ؛ النفع : لم يقرب .

٣ منها بيتان في النفع ١ : ٦٠٣ .

٤ النفع : فيزداد خبيثه .

٥ نقله المقرئ بإيجاز وتلخيص ٣ : ٩١ .

أهل القصر الهشامي والعامري ؛ وأشاعوا عنه أنه يريد أن يستبد بالأمر ، فقام ابن أبي عامر في ركائبه لحسم حديثه . وعلم أنه أتى من حاشية القصر ، وكان به عِدَّةٌ من الخدم ففرقهم ومزقهم . ولم يدع في خدمة القصر إلا من استشعر له رهبةً وهيبةً . وأذكى العيون مع ذلك عليهم حتى ملك نفوسهم . ثم نظر في شدة الأموال المختزنة فيه مذ عهد الخلفاء . ووصف أن أيدي الحرم تنبسط عليها .

قال ابن حيان : أخبرني ولد الخال من بعض ما كانت تفعله السيدة صبيح معها أخيها رائق أنها أخرجت عند تمكن الوحشة بينهما وبين ابن أبي عامر مائة كوز على أعناق الخدم الصقالية مختومة . قد صيرت أسطارها مالا عيناً ذهباً وفضة . وموتت على ذلك كله بالمري والشهد وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة المتخذة بقصر الخلافة . وكتبت على رؤوس الكيزان أسماء ذلك . ومرت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت عليها . وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار . فأحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظها بانهماكها بالعبادة ، وأن في تضييعها على المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة . فرأت الجماعة أن تكون الأموال بيد المنصور أسلم . وهو على حفظها أقدر وأقوم . ثم نالته على ذلك بقيّة علية طاولته فأرجفوا به . فانتقل ابنه عبد

١ ص : أوتي .

٢ المري (muria) : أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة منها المري النقيع والطيب ومري الحبز ومري الحوت وبعض أنواعه يصنع من عصير العنب بالأفاويه دون خبز محرق (انظر صفحات متفرقة من كتاب الطبخ ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٤٩ وقاموس دوزي مادة « مري » والحاشية ٤ ص ٩٢ من النسخ ج ٣) .

الملك إليه بالزاهرة لينفذ الأمور عنه . فكشف أعداؤه وجوههم عند
 استحكام الإرجاف به . وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرّاً . وجهّزوا للقيام
 عليه : فلم يكن فيهم فضلٌ لذهاب أعيانهم [٤٩] . واشتدّ [ذلك] على ابن
 أبي عامر ، فتقدّم إلى ابنه عبد الملك أن يعترض ألفي فارس من المصططعين
 للدولة والغلمان العامريين . وأن يبيتوا معه بالزاهرة لإنفاذ العزيمة
 فيما رآه من حمل الأموال إليه . وأحكم الأمر مع الفقهاء والوزراء ،
 فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جمادى
 الأولى سنة ست وثمانين . فأقى قصر الخلافة بقربة . وأذن لمن وافى
 من الفقهاء والوزراء بالوصول إلى مجلسه . وشافههم في ذلك . فاعترف
 الملأ بفضل أبيه المنصور . فقال لهم عبد الملك : إن قوماً ميمّن يتصل
 بأسباب الخليفة هشام يؤثر الفتنة ويكره الدّعة . فأنكرت الجماعة
 ذلك . وأحبّ عبد الملك الوصول بهم إلى مجلس هشام ليشافهوه بهذه
 الكروب العظام . فكبره هشام ذلك وامتنع منه وتبرأ منه أعداء ابن أبي
 عامر : وانصدع جمعهم على انتقال المال . فنقل في ثلاثة أيام حتى
 استنفد جميع ما ظهر عليه من بيت المال ، وتعذر ما كان بجوف القصر
 من بيت مال الخاصة : ودافع عنه أهل الدار لقيام السيدة أم هشام
 دونه . أخبرني أبي بعظيم ما شاهدته من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر
 وولده ورميها لهما بكل عزيمة . وعبد الملك يومئذ ساكت يتجرّع
 غصصه . لا يرد كلمة . فبلغ عبد الملك رغبته ، وانكفأ إلى أبيه بالزاهرة
 بعد أن ثقّف القصر . فسكن جاش ابن أبي عامر بإحراز تلك الأموال .

وكان جُمْلَةُ ما حُمِلَ - زعموا - من الورقِ خَمْسَةَ آلافِ ألفِ دينارٍ
دراهمٍ قاسِمية . ومن الذهبِ سَبْعِمِائَةِ ألفِ جعفرِيَّة .

ثم استبَلَّ المنصورُ ، وَوَصَلَ إلى مجلسِ الخليفةِ هشامٍ مع ابنِهِ عبدِ
الملكِ وسائِرِ عُظَمَاءِ الدَوْلَةِ ، فخلَا هشامٌ مع ابنِ أبي عامرٍ واعترفَ له
بالفضلِ والاضطلاعِ بالدَوْلَةِ ، فَخَرَسَتْ ألسِنَةُ الحَسَدَةِ . وعَلِمَ
المنصورُ ما في نفوسِ الناسِ لظهورِ هشامٍ ورؤيتِهِمْ له ، إذ كان مِنْهُمْ
مَنْ لم يَرَهُ قطُّ ، فأبرزَهُ للناسِ وَرَكَبَ ركبَتَهُ المشهورةَ ، وقد برزوا
له في خلقٍ عظيمٍ لا يحصِيهِمْ إِلَّا مَنْ أَحصى آجالَهُمْ ، في بهجةٍ ولبوسٍ
وهيئةٍ . مُعَمِّمًا على الطَّوِيلَةِ ، سادِلًا للذُّوَابَةِ ، والقَضِيبِ في يَدِهِ ،
زِيَّ الخِلافَةِ ، وإلى جانبِهِ المنصورُ راكِبًا يسايرُهُ ، وقدَّامَهُ الحاجبُ عبدُ
الملِكِ راجِلًا يمشي . ويسيرُ الجيشُ أمامَهُ ، ومِنْ المَواكِبِ وطوائِفِ
الجُنُودِ والغِلَمانِ والفتيانِ القَصَصِرِيِّينَ والعامريينَ ما عَجِبَ مِنْ كَثَرَتِهِمْ .

وفاة المنصور بن أبي عامر

قال ابنُ حيان^١ : وخرجَ المنصورُ إلى الغَزَاةِ ، وقد وَقَعَ في مرضِهِ
الذي ماتَ مِنْهُ في صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . واقتَحَمَ أرضَ
جَلِيقِيَّةَ مِنْ تِلْقاءِ مَدِينَةِ طُلَيْطَلَةَ ، ومرضُهُ يُخَفُّ وَقَتًا وَيَثْقُلُ
وَقَتًا . وَنَفَذَ على عَمَلِ بَنِي غُوَمَسَ إلى أرضِ قَشْشِيلَةَ ، بَلَدٍ شَانِجُهُ

١ قارن بالنفع ٣ : ٩٢ .

بن غرسية . وهو كان مطلوبه الذي ألتب عليه الجماعة . فأحل الغارات بأقطاره فقيوت عليه العلة هناك ، فاتخذ له سرير خشب ودع عليه أعضائه ، وسوي مهاده متطاوّل الشكل بمكينه الاضطجاع عليه متى خارت قواه . وكان يحملُ سريره على أعناق الرجال ، وسجفهُ منسدلٌ عليه ، وعساكرهُ تحفُّ به وتطيعُ أمره . وكان يحملُ بين يديه شراعٌ خفيفٌ منصوبٌ ينقلُ على الأيدي : فإذا حركته الخلفة^١ أنزلَ سريره إلى جنب الشراع ليقتضي ما به من حاجة ؛ وتناول وضوءه جاريّتان من قواميه كان حملهما في غزاته ، فكانتا تسيران وسطَ الفتيان . وما كان بين نزوله واستقلاله إلاّ الفترة لقوة الخلفة ؛ بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم . وكان هجر الأطباء في علية تلك لاختلافهم فيها ، واقتصر على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك . وأيقن هناك بالموت ، وكان يقول : إن زمامي يشتملُ على عشرين ألف مرتزقٍ ما فيهم أسوأ حالاً مني ؛ وددتُ أن أقالَ زلتني وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري . وكان تحملُ سريره السودانُ الرقاصة ليلين مشيهم ، وكان يتأذى بصنّان ربحهم مع ما كان حوله من الطيب . فاشتغل ذهنه يومئذ بقسرة وهو بمدينة سالم وقد أيقن بالوفاة . فأمر ابنه عبد الملك بالتفوذ لشدها في طائفة من ثقات غلمانهِ بعد أن أوصى كلهم أشتاتاً وجماعة . ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبضُ على يده ، وكلما ذهب عنه استردّه مستدرّكاً بوصيته . وعبدُ الملك يبكي فيسكّرُ ذلك عليه ويقول : هذا

١ ص : الحلية ؛ والخلفة : الهیضة ، وهي فساد المعدة من الطعام يقال : أخذته خلفه إذا كثرترده إلى المتوضأ لذب معدته من الهیضة .

أَوَّلُ الْعَجَزِ وَالْفَسَلِ : إِلَى أَنْ قَضَى وَطَرَهُ مِمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْتَخْلَفَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْ يُشْفِدَ حُكْمَهُ فِيهِ . وَخَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى قُرْطُبَةَ وَمَعَهُ الْقَاضِي ابْنُ [٥٠] ذَكْوَانَ فَدَخَلَهَا فِي صَدْرِ شَوَالٍ مِنَ الْعَامِ . فَسَكَنَ الْإِرْجَاءَ بِمَوْتِ وَالِدِهِ . وَعَرَفَ الْخَلِيفَةُ كَيْفَ تَرَكَهُ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ ^١ : قَالَ لِي أَبِي خَلْفُ بْنُ حُسَيْنٍ : وَوَجَدَ الْمَنْصُورُ بَعْضَ الرَّاحَةِ . وَأَمَرَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَدَخَلَتْ فِي جُمْلَتِهِمْ وَدَنُوتُ مِنْهُ وَهُوَ كَالْخِيَالِ لَا يُبِينُ كَلَاماً . وَأَكْثَرُ عَمَلِهِ بِالْإِشَارَةِ كَالْمُسْلِمِ الْمُوَدَّعِ . وَخَرَجْنَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ . وَمَاتَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ لِرَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُرَّخِ ، وَعَلَيْنَا فِي الْعَسْكَرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ فَعَزَّيْنَاهُ : وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ حَيْثُ يُقْبَضُ وَلَا يُنْقَلُ تَابُوتُهُ . فَدُفِنَ فِي قَصْرِهِ بِمَدِينَةِ سَالِمٍ . وَرَأَوْا أَنَّهُ اخْتَارَ اللَّهَ لَهُ ، إِذْ كَانَتْ مِنْ أَطْيَبِ مَا بَنَاهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَتَلَوَّمَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْعَسْكَرِ مَدَّةَ الْأُسْبُوعِ وَهُوَ يَنْتَظِرُ رَأْيَ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْقُفُولِ ، وَالْغِلْمَانُ يَضْطَرُّونَ عَلَيْهِ وَطَمِعُوا فِي رَدِّ الدَّوْلَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اصْبِرُوا . فَكَشَفُوا مَا فِي أَنْفُسِهِمْ لَهُ ، وَقَالُوا : وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي حِجْرِ آلِ أَبِي عَامِرٍ الدَّهْرَ الدَّاهِرَ ؟ ! نَلْحَقُ بِيَابِ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ وَلَا نَتَدَبَّرُ إِلَّا بِأَمْرِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى قُرْطُبَةَ مِنْهُمْ نَحْوَ سَبْعِمِائَةٍ مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ بَدْرِ . ثُمَّ جَاءَهُ بَعْدُ إِذْنُ أَخِيهِ . فَقَدِمَ هُوَ بِسَائِرِ الْعَسْكَرِ . وَتَجَدَّدَ يَوْمَ وَرَدِ قُرْطُبَةَ مِنَ الْحُزْنِ بَابُنِ أَبِي عَامِرٍ ،

١ قَارَنَ بِالْفَجْ ٣ : ٩٤ .

وحرّكته خَدَمَهُ ، وقِيَانُهُ قد أَلْبَسَ المِسْوَحَ والأَكْسِيَّةَ بعدَ الوشي
والحِبرِ ، ما لا شيء فوقه .

أخبرني أبي قال : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عامرٍ يوصي ابنه عبد الملك في
مَرَضَتِهِ تلك ويقولُ في جُمْلَةٍ كلامِهِ : يا بنيَّ . لست تجدُ أنصحَ لكَ
مني فلا تُعَدِّينَ مشورتي : قد جَرَدْتُ لكَ رأبي ورويتي على حين اجتماعِ
من ذِهني ، فاجعلها مثلاً بين يديك . قد وطَّأتُ لكَ مِهَادَ الدَّولَةِ ،
وعَدَلْتُ لكَ طَبَقَاتِ أُولِيائِهَا . وغيَرتُ لكَ بينَ دُخُلِ المَمْلَكَةِ وخَرَجِهَا ،
واستَكثرتُ لكَ من أَطْعِمَتِهَا وَعُدَدِهَا . وخالَفتُ جبايةً تُزِيدُ على ما
ينوبُكَ بلَحيشِكَ ونَفَقَتِكَ ؛ فلا تُطْلِقْ يدَكَ في الإنفاقِ . ولا تَقْبِضْ
لظَلَمَةِ العَمَالِ . فيخْتَلِ أَمْرُكَ سَريعاً . فكلُّ سَرفٍ راجعٌ إلى اخْتِلالِ
لا محالة . فاقصِدْ في أَمْرِكَ جَهْدَكَ . واستثبِتْ فيما يرفعُ أَهْلُ السَّعَايَةِ
إليك . والرَّعيَّةُ قد استقصيتُ لكَ تقويمَها . وأعظمُ مُناها أن تأمنَ البادِرةَ
وتسكنَ إلى لينِ الجَنَبَةِ . وصاحبُ القصرِ قد علمتَ مذهبَهُ . وأنَّهُ لا
يأتِيكَ مِن قِبَلِهِ شيءٌ تَكرهُهُ . والآفَةُ ممَّنْ يتولَّاهُ ويلتمسُ الوُثوبَ بِاسمِهِ .
فلا تنمَ عن هذه الطائفةِ جُمْلَةً . ولا ترفعَ عنها سوءَ ظنٍّ وتهمَةً ؛ وعاجِلُ
بها من خِيفَتِهِ على أَقلِّ بادِرةٍ . مع قيامِكَ بِأسبابِ صاحبِ القصرِ على أتمِّ
وجهٍ ؛ فليس لكَ ولا لأصحابِكَ شيءٌ يقيكم الحِشْمَتَ في يَمِينِ البيعةِ إلَّا
ما تُقيمهُ لوليَّتها من هذه النَفَقَةِ . فأَمَّا الانفرادُ بالتدبيرِ دونَهُ مع ما بلوته
من جَهْلِهِ وعجزِهِ عنه . فإني أرجو أني وإياكَ منه في سعةٍ ما تمسكنا بالكتابِ
والسَّنةِ . والمالُ المخزونُ عندَ والدَتِكَ هو ذخيرةُ مَمْلَكَتِكَ . وعدةُ
الحاجةِ تنزلُ بك . فأقمهُ مقامَ الجارِحَةِ من جوارِحِكَ الَّتي لا تَبْذُلُها
إِلَّا عندَ الشدَّةِ تخافُ منها على سائرِ جَسَدِكَ . ومادَّةُ الخراجِ غيرُ منقُطَةٍ

عنك بالحالة المعتدلة . وأخوك عبدُ الرحمنِ قد صيرتُ إليه في حياتي ما رجوتُ أني قد خرجتُ له فيه عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولايةِ الثغرِ لثلا يجدُ العدوَّ مساعاً بينكما في خلافٍ وصيتي فيُسرع ذلك في نقضِ أمري ، ويسجلِبَ الفاقةَ على دولتي . وقد كفيْتُك الحيرة فيه فاكفيه الحيفَ منك . وكذلك سائرُ أهليكَ فيما صنعتُ فيهم بحسبِ ما قدَّرتُ به خلاصي من مالِ الله الذي في يدي . وخيلافتُك بعدي أجدي عليهم ممّا صرفته ؛ فلا تُضَيِّعْ أمرَ جميعهم . والحظنهم بعيني ، فإنك أبوهم بعدي . فخرجْ ذكورهم باستخدامِكَ ، وألحيفْ لأنهم جناحتك ، جبرَ الله جماعتهم ، وأحسنْ الخلافةَ عليكم . فإن انقادتْ لك الأمورُ بالحضرةِ فهذا وجهُ العملِ ، وسبيلُ السيرة ، وإن اعتاصتْ عليك فلا تلقينَ بيدك إلقاءَ الأمةِ ، ولا تطيعك^١ وأصحابك السلامةُ فتنسوا ما لكم في نفوسِ بني أُمَيَّة وشيعتهم بقرطبة . فإن قاومتَ من توثبَ عليك منهم فلا تذْهَلْ عن الخزمِ فيهم . وإن خيفتَ الضعفَ فانتدِ بخاصتك وغلمانك إلى بعض الأطراف التي حصنتُها لك . واختبرْ غداً إن أنكرتَ يومك . وإياك أن تضعَ يدَكَ في يدِ مرواني ما طاوعتكَ بنائِكَ ، فلاني أعرفُ ذنبي إليهم .

قال : وسمعتُه يقول لِغلمانِهِ عند هذه الوصية : تنبهوا لأمركم . واحفظوا نعمةَ الله عليكم : في طاعةِ عبدِ الملكِ أخيكُم ومولاكم ، ولا تغرنكم بوارقُ بني أُمَيَّة ، ومواعيدُ مَنْ يطلبُ منهم شتاتكم . وقدروا ما في قلوبهم وقلوبِ شيعتهم بقرطبةَ من الحقدِ عليكم ، فليس يرأسُكم

بعدي أشفقُ عليكم من ولدي. وميلاكُ أمركم [٥١] أن تنسوا الأحقادَ وأن تكونَ جماعتُكم كرجلٍ واحدٍ . فإنه لا يُفْلُ فيكم . وما زال يُكرّر هذا وشبهه لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضَعُفَ وشُغِلَ بنفسه .

قيام عبد الملك ابنه بالدولة

ولمّا وردَ النبأُ بموته ركبَ عبدُ الملك إلى هشامٍ ونعى إليه المنصورَ أباه ، فأظهرَ الإشفاقَ . وعرفه بما اضطربَ من أمرِ الفتيانِ وعصيانهم : فخرجَ هشامٌ وأمره بتدبيرِ أمرهم بحسبِ ما يستقيمُ به أمرُ الدولة . وحذّره مُواقعةَ الدماءِ وتلقيحِ الفِتنة . وخلعَ عليه ، وأخرجَ معه كِتَابَه بولايةِ الحِجَابَةِ مكانَ أبيه . وقُرِئَ على الكافّةِ . وأنشئ به الكُتُوبُ إلى الأقطارِ . وعاقبَ بعضَ الفتيانِ العاصينَ . وأخرجَ بعضهم إلى سَبْتَةٍ . فما قَنَلُوا عنها إلّا عندَ وثوبِ المهديّ بنِ عبدِ الجبّارِ على الدولةِ العامريّةِ . ثم وافى العسكرُ الكبيرُ مع أخيه عبدِ الرحمن . واجتمعَ الشملُ ، وتمكّنتِ الطاعةُ ، وأيسرَ الأعداءُ من دولةِ بني عامرٍ . وعلموا أنّها وراثَةٌ .

وأسقطَ عبدُ الملكِ سُدُسَ الحِجَابَةِ لأوّلِ ولايتهِ في جميعِ أقطارِ الأندلسِ عن الرعيّةِ . فراقَتْ أيتامُه . وأحبّه الناسُ سرّاً وعلانيةً ، وانصبَّ الإقبالُ والتأييدُ عليه انصباباً لم يُسمعْ بمثلهِ . وسكنَ الناسُ منه إلى عَفَافٍ ونزاهةٍ نفسٍ . فباحثوا بالنعمةِ . وأخذوا في المكاسبِ والزينةِ من المراكبِ والملابسِ والقيانِ . حتى سَمَتِ أثمانُ هذه الأشياءِ في مُدَّتِهِ . وبلغتِ الأندلسُ في أيتامه إلى نهايةِ الجمالِ والكمالِ وسعةِ

الحال . في كَنَفِ مَلِكٍ مُقْتَبِلِ السَّعْدِ . مَيِّمُونَ الطَّائِرَ . غَافِلٍ عَنِ
الْأَيَّامِ . مَسْرُورٍ بِمَا تَنَافَسُ فِيهِ رَعِيَّتُهُ مِنْ زُخْرَفِ دُنْيَاهَا . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ
عَلَى حُجَّتِهِ . وَنَجَا مِنَ الْفِتَنِ . وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَأْثُورَةٌ . وَكَانَ عَلَى أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ أَسْعَدُ مَوْلُودٍ وَلِيدٍ . بَلَغَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَارَسٍ الْبَصْرِيِّ الْمُنْجَمِ
زَعِيمِ الصَّنَاعَةِ بِهَا عَلَى عَهْدِ الْحَكَمِ أَنَّهُ نَظَرَ فِي مَوْلِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا
وَهُوَ طِفْلٌ فَأَشَارَ مِنْ بُعْدِ سَعَادَتِهِ إِلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ لَمْ يَدْرِكْهُ هُوَ آخِرُهُ .
فَعَجِبَ مَنْ شَاهَدَهُ مِنْ جَوْدَةِ إِصَابَتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يُولَدْ قَطُّ
بِالْأَنْدَلُسِ مَوْلُودٌ أَسْعَدُ مِنْهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَحَاشِيَتِهِ . نَعَمْ . وَعَلَى
أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ طَرًّا . وَعَلَى أَرْضِهَا فَضْلًا عَنْ نَاسِهَا . وَأَنْتَهَا لَا تَزَالُ
بِخَيْرِ حَيَاتِهِ . وَإِذَا هَلَكَ مَا أَرَاهَا إِلَّا بِالضَّدِّ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ
هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ فَارَسٍ مِنْ غَيْرِ مَا طَرِيقٍ . فَكَانَ كَمَا قَالَ . لَقَدْ حَدَّثَ
بِالْأَنْدَلُسِ إِثْرَ مَهْلِكِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحْيَا النَّاسِ . فَإِذَا كَانَتِ الْحَرْبُ عُيُونَ مِنْهُ
الْأَسَدُ الْمُحَرَّبُ فِي بَرَائِنِهِ حَقْطَمًا وَشِدَّةً . مِنْ رَجُلٍ عَدِيمِ الْفَهْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ جُمْلَةً . صِفَرٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّعَالِيمِ . حَتَّى مَا كَانَ يُسَايِرُهُ وَيُنَادِيهِ
إِلَّا الْعَجْمُ مِنَ الْجَلَالِيَّةِ وَالْبَرَابِرَةِ مَعْنَى لَا يَنْهَشُ لِسْمَاعٍ . وَلَا يَطْرُبُ
لِإِبْقَاعٍ . فَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ عَنْ مَجَالِسِ لَهْوِهِ طَبَقَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَقَوَّضَ عَنْهَا
كُلُّ فَاضِلٍ وَعَالِمٍ . وَاعْتَاضَ مِنْهُمْ بِجُفَاءِ الْبَرَابِرِ وَالْأَعَاجِمِ . إِلَّا أَنَّهُ
مَعَ زُهْدِهِ فِي الْأَدَبِ تَمَسَّكَ بِمَنْ كَانَ اسْتَخْلَصَهُ أَبَوُهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
مِنْ خُطِيبٍ وَشَاعِرٍ . وَنَدِيمٍ وَشَيْطَرَنْجِيٍّ ، وَمُعَدَّلٍ وَتَارِيخِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ،

حِفْظاً لِّصَنَائِعِ والدِهِ وقِياماً بِرُسُومِهِ ^١ . ففَرَّرَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ . ولم يَنْقُصْهُمْ سِوَى الفُوزِ بِمُخْصِصِيَّتِهِ . وكانت تُرْفَعُ إِلَيْهِ بِطَائِقُ أَهْلِ الشَّعْرِ وَيَصْلُحُهُمْ عَلَى تَسَاهُلِهِمْ فِي مَدِيحِهِ لِأَمَانِهِمْ مِنْ نَظَرِهِ فِيهَا . وَأَحْرَزَ لَهُمْ مَعَ الْفَائِدَةِ عَفْوُ الْقَرِيحَةِ ، وَذَلِكَ بَيْنَ لَمَنْ تَأَمَّلَهُ فِي أَشْعَارِ مَادِحِيهِ لِفُتُورِهَا .

ثم أغرقَ عَبْدُ الْمَلِكِ النُّزْعَ فِي دَوْلَتِهِ ، وَانْهَكَ فِي طَلَبِ الْآلَاتِ الْمُلُوكِيَّةِ حَتَّى جُلِسَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ عِلْقٍ خَطِيرٍ ، وَتَأَنَّقَ فِي مَرَاكِبِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحِلْيَةِ التَّامَةِ بِخَالِصِ اللَّحَجِينَ . عَهْدِي بِهِ يَوْمَ فُصُولِهِ لِفُزَوْتِهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ الَّتِي احْتَفَلَ فِيهَا لِشَانِجِهِ بْنِ غَرْسِيَّةٍ . وَاسْتَكْثَرَ فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ . فَبَرَزَ عَلَى جَوَادٍ مِنْ مُقْرَبَاتِهِ ^٢ الْمُنْسُوبَةِ ، بِأَفْخَمِ تِلْكَ الْمَرَاكِبِ الْمُسَلَّسَةِ . وَلِبُؤُسِ دَرْعٍ فَضِيَّةٍ مَطْرَّزَةٍ بِالذَّهَبِ . وَعَلَى رَأْسِهِ خُوْذَةٌ ^٣ مُثْمَنَةٌ الشَّكْلِ ، مُحَدَّدَةٌ الرَّأْسِ . مُرْصَعَةٌ الطَّرْقِ بِدُرٍّ فَاخِرٍ ، وَاسْطَنَتْهُ حَجَرُ يَاقُوتٍ أَحْمَرٌ مُرْتَفِعُ الْقِيَمَةِ : قَدْ لَزِمَ وَسَطَ الْجَيْشِ ، وَطُورِحَ الشَّعَاعُ عَلَى سُنَّةٍ وَجْهِهِ . فَمَا رَأَى النَّاسُ بَعْدَهُ مَلِكاً يَبْدُلُهُ فِي الْبَهَاءِ وَالْبَهْجَةِ .

وكانت مما راقته به دولته في الجمال ما تلاحق فيها [٥٢] [من] غلمان أبيه العامريين الناشئين في دولة المنصور ، وكان قد وفتر عناية بهم . وجد في تدريبهم ، ووقف حذائق المناقفين * على تخريجهم . فأثمر

١ ص : لرسومه .

٢ ص : مغرياته .

٣ ص : حزرة .

٤ ص : الناسبين .

٥ المناقفون : الذين لديهم مهارة في المناجزة بالسيوف .

غرسهم ، وأمكن جناهم . وراقَت جُمْلَتُهُمْ في الفُروسِيَّةِ والرَّمايَةِ ،
وبَلَّغُوا الْفَتَى غُلَام .

وانهمك أيضاً في اصطباع البرابرة العُدُوِيَّين ، ودعا القبائل منهم إلى
الدخول إليه والخدمة له . وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري
ابن مناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب
الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته . وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له
بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهبه ومكره وبعُد صيته في المغرب . فأضرب
عبد الملك عن الفكر في شأنه ^١ . وطلب السَّمْعَةَ باستخدام مثله ، فأدخله بمن
معه من إخوته ، وهم من سعة النعمة وبعُد الهيم واستصغار الرغائب فيما يكون
عليه أشباههم من أبناء الملوك . فاستقلوا ما وصلهم به عيد الملك على كثرته ،
وما استقر ^٢ [وا] [الدار] إلا على قُلْعَةٍ ، ولا [. . .] معروفهم ^٣ ، ولا لبسوا
أعالي المراتب السلطانية إلا على ابتذال ومَحْقَرَةٍ . ولا قَطَعُوا أمدَّ المنقَامِ
بالأندلس إلا بذكر الرخلة والتماس التسريح بكرة وعشيّة . جهلاً
وفرط أنفة ، والأقدار موكَّلة بشئ عزم عبد الملك عن إسعافهم
بسراحيهم لِمَا كان قدره - عزَّ وجهه - من الفِتْنَةِ وتفريق شمل
الأندلس بأشباههم . فلم يخرجوا عنها إلى أن قاموا على الجماعة ، وشغَبُوا
عليها بعد عبد الملك . وكان شيخُهم زاوي أوَّلَ دخوله الأندلس يُظْهِرُ
[من] [أنواع البِرِّ والبِشْرِ للناس ما لا شيء فوقه . وكان شأنه في الدهني

١ ص : في الفكر عن شأنه .

٢ الحملة ناقصة ولعلها أن تكون في الأصل : ولا قبلوا معروفهم إلا هل نية الرجعة ، أو
شيئاً شبيهاً بذلك .

والمكر والخلافة عجباً . وكان يرجع^١ في إقامة ما اعتاده من سعة إنفاقه إلى ما جاء به من بلده من عقود وذخائر . فيبيع^٢ من ذلك النفيس والخطير ، وربما اشترى من ذلك عبدُ الملك فيزيد في حسرته . وكان عبدُ الملك [راغباً] في رفعة منزلته ، وولاه^٣ الوزارة أرفعَ خططِ أصحابِ السلطان بالأندلس ، ووصل إليه الرسولُ بالصَّكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه ، فقال : لو جئتنا بمال لأسهمناك . وإنما [خُطَّتْنا الامارة]^٤ لا الوزارة ، وأقلَّامنا الرماح ، وصحائفنا الأجساد^٥ . ولم يمتنع عبدُ الملك مع غطرسة زاوي هذا من إقامة الحدِّ على مَنْ وجبَ عليه من أهله : عدا ابنُ أخيه على مولى^٦ لهم فقتله فأقاده عبدُ الملك لحينه ، وأسلمه أهله السيفَ فضُربت عنقه على قتيله ذلك ، بمقبرة كلاع^٧ بمشهدٍ عظيمٍ من الناس ، وأسلمت جثته إلى أهله . وتبَّتِ الأنْدلسُ بعدُ بأخي زيري أبيه فقوَّض عنها أوَّلُ المقوِّضين من صنهاجة^٨ بسراجٍ من عبد الملك .

قال ابنُ حيتان : وانبسطت حاشيةُ الخليفةِ هشامٍ على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها ، فحملهم على مرادهم . وانهمك هشامٌ طول أيامه فلم يظهر وقتاً فيها ، ولا شهد صلاةً ، واحتجبَ في نَزَهِه الباطنة على رَسَمه في أيامِ أبيه المنصور . وبلغه منها عبد الملك بُغْيَتَه ، وجعلَ يُخرجه

١ ص : إل .

٢ ورد جانب من هذا النص في مخطوطة الرباط (رقم : ١٢٧٥) ص : ١٥٤ .

٣ ما بين معقوفين زيادة من مخطوطة الرباط .

٤ زاد في المخطوطة : أحمل قرطاسك لا حاجة لي به ، فبلغ ذلك المظفر فحقدها له ، وقطع عنه الجراية ، فأخرج من ذخائره أعلاتاً نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وأنفقها على قومه صنهاجة ، وربما اشترى منها المظفر في خفية .

منها مع حرمة مستخفياً بعد طرد الناس عن طريقه ، فيضربُ به إلى كل ناحيةٍ ، ثم يعود إلى قصره . ونال في مدّة هذا الانهماكِ والدّعة أهلُ الاحتيال من الناس عندهم الرغائب النفيسة ، بما ازدلفوا به من أثرِ كريم ، أو زخرفوه من كذبٍ صريح . حتى لقد اجتمع عند نساء القصر ثمانية حوافرَ عُزَيّ جميعها إلى حِمَارِ عُزَيْرِ المُسْتَحْبِيّ بِالآيَةِ الباهرة ، واجتمع عندهنّ من خشبِ سفينةِ نوح عليه السلام وألواحها قطعة ، وظفّيرن من نَسْلِ غَنَمٍ شُعَيْبٍ عليه السلامُ بثلاث . وكَلِيفنَ من هذا ومثله لعَفْتَهْنِ وزُهدِ صاحِبهنّ بأشياء توجّهتْ على أموالهن من قبلِها أعظم حيلة ، ولتَهيجنَ مع ذلك بطلبِ ذوي الأسماء الغريبةِ من الناس ، الموافقةِ أسماؤهم لمن اجتباهُ اللهُ من خَلْقِهِ . مثل عبدِ النور وعبدِ السميع وعبدِ اللطيف وعبدِ المؤمن وحزبِ الله ونصرِ الله وفضلِ الله . ومثل ياسينَ واليسعَ ومَن جَانَسَهُ ، يَصِيرُ الرجل من هؤلاء في الحاشية ، ويُسْتَعْمَلُ على وكالة جهةٍ ، ولا يَبْعَدُ أن يتموّلَ في أقربِ مدّةٍ ، وإن اتَّفَقَ مع ذلك أن يكون ذا لَحْيَةٍ عثُوليّة¹ ، وصاحبَ سِبَالٍ وهامةٍ ، فقد تَمَّتْ له السعادة ، ولا سيما إن كانت لَحْيَتُهُ حمراء قانيةً ، فلأنّها أجدَى عليه من دارِ البطيخِ غلّةً ، ثم لا يُسألُ عمّا وراءَ رواثه من أصل ولا فضيلةٍ ، ولو كان مُردّداً في بني اللخناء² ، وعارياً من جميع الخصال ، والأخبار في مثل هذا عنهن كثيرةٌ [٥٣] مأثورة . فباهتْ حُرْمُ هشامٍ بمثل³ هذه المعاني الشاذّة ، وبذلنَ [من] الأموال في التماسِها بما لم يُسمع مثلاً . ولم تزل الدولة

١ ص : عثولية ؛ ولحية عثولة : ضخمة ، والعثول : الكثير شعر الجسد والرأس .

٢ من قول الشاعر : « مردد في بني اللخناء تردّداً » .

٣ ص : من مثل .

تزدادُ انهماكاً إلى أن ماتَ عبدُ الملك ، وكَبَتَ كِبَوةٌ لم تَسْتَقِلْهُما
آخرَ الدهرِ :

قال ابنُ حَيَّانَ : وكانت ولايةُ عبد الملك وفِرَقُ النصرانيةِ بأسرها
منتَقِصةٌ . وعهدُها قريبٌ بالاجتماعِ على المسلمين . وأطامعُها بموتِ
حَتَفِها المنصورِ ثابتة . وكانت الإفرنجيةُ في آخرِ وقتِ المنصورِ قد تَمَسَّكَتْ
بالمُسالمةِ ، فلمَّا سَمِعَتْ بموته طَمِعَتْ . واحتاجَ عبد الملك إلى التثاقلِ عنهم
توطيداً للحضرةِ ، إلى أن اعتدلت فيهِا الدولة . وأخبارُ الثغورِ توافيه كلَّ
وقتٍ بما لا يوافقُه . وكان أهمُّ جُمُوعِ طَوَائِفِ الطواغيتِ عليه يومئذٍ
أميراً^١ شيطانُهُم الرجيم . ومُغْوِيهِم الزعيم . شانجُه بن غُرسِيه بن فَرْدِ لَسْنَدِ
صاحبُ قَشْتِيلَةِ . وكان يليه في النكابةِ مَنَنْدَسُ [بن] غُنْدَشَلْبِ^٢ قَتُومَسِ
غَلِيَسِيَةِ . وكافلُ مَلِيكِهِم أَذْفُونَش بن بَرْمُنْدِ^٣ . وسائرُ القواميسِ عندهما
سَقَطُ وحاشِيَةِ . فقدمَ عبد الملك الحذرَ منهما ، فألقى مولاَه واضِحاً
الفتى صاحبَ مدينةِ سالم على شائِجِه ، فصالحَه واضِحٌ سنةَ ثلاثٍ وتسعين
ولاطفَه إلى أن تمهدتِ قواعدُ الدولة . وجردَ عبد الملك يومئذٍ إلى ثَغَرِ
قُلُمُريَةِ قاصِيَةِ الثَغَرِ الجَوْفِي المواجهِ لأرضِ غَلِيَسِيَةِ جيشاً كثيفاً . وبقي
في وجهِ مَنَنْدَسِ بن غُنْدَشَلْبِ . وصمدُ عبد الملك بِلَدَ الإفرنجيةِ إذ لم
تَزَلْ عندَ وِلاَةِ الأندلسِ مبدأَ كلِّ عِلَّةٍ . فاستعدَّ لِقصدِهِم . واقتحم
أرضَهُم في جُمُوعِه وأوغل في بَسِيطِ بَرَشِلُونَةِ . وحطَّم غير ما مدينة ،

١ ص : أمير .

٢ Menendo Gonzalez

٣ Leon Alphonse V

٤ ص : وصد .

وعاد قافلاً سالماً غانماً . فهابته الإفرنجة وأذعنت إلى السلم ، وجاء رسولها إلى قرطبة ، وقد أعدَّ عبدُ الملك لوروده أكلَ العُدَّة من ترتيب الجنود ، فكان يوم دخلَ ذلك الرسولُ بقرطبة آخر أيام الزينة ، إذ انتفض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة .

قال ابنُ حبان : سمعتُ بعضَ المشايخ يومئذٍ يقول : إنَّه ما كان بالأندلس مثل ذلك في أمد الدولة ، بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزة السلطانية . وأما التجار الغرباء فدخلوا يومئذٍ إلى موضع هيئة التجافيف والأعلام المصورة وسائر القِطَع العجمية والقنا الهندية ، وموقف خيل الركاب بالسروج الثقال ، والتّراس المذهبة والمفضضة ، معها بيغالُ الركاب الرائقة في زيّها المشهور ، وما اتصل بذلك من عُدَّة غريبة . وتوصل أولئك التجار إلى ذلك المكان قبل إباحته للنظارة بإذن التمسوه من عبد الملك ، فلم يختلفوا في استيساع ما عاينوه ، واتفقوا — وكانوا جملة عراقيين ومصريين وغيرهم — على أنه ما شاهدوا لأحدٍ من ملوكهم مثله .

ولما أحكم عبدُ الملك الشدَّ لفتنِ الفرنجة دبّرَ قصدَ شانجه ، فخرج نحوه صائفة سنة أربع وتسعين ، وأوغلَ في أرضه وخامَ عنه شانجه ولم يَظْهَر له ، وقفلَ عبدُ الملك إلى قرطبة . فاضطرَّ شانجه إلى السلم ووفد بنفسه إلى قرطبة ، فأعظمَ عبدُ الملك مؤرده ، وضمن أن يغزو معه قومه . فخرج مع عبد الملك سنة خمس وتسعين ، فاقتحم جليقية وغادر أعمال بني غومس مُضطلمة^١ . وهدى المسلمين شانجه إلى عورات قومه ، وانتهى بهم إلى مدينة ليونه وهي من أمنع المعاقل ، ولم يكن المنصور بلغها لصعوبتها ،

١ ص : مصممة ؛ وفيها معنى اليبس ، وصوبتها اجتهداً .

وطمع عبد الملك فيها ونازلتها فأعيت عليه . وقفل إلى قرطبة . وبقي شانجه في مسالمة ثلاثة أعوام يستعد لحربه . فأحسَّ عبدُ الملك بغدره . فسابقه بالغزو سنة ست بعدَها ، وضحي^١ عبدُ الملك يومئذ بمدينة سالم . ووافاه هنالك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه . يسأله المواصل على سبيل سلفه مع ملوك المروانية . وساق له هدية وعدة من أسارى الأندلس طير^٢ عليهم بأطراف جزائره البحرية . فسُرَّ عبدُ الملك بذلك ، وإذا كتابه مكتوب بالذهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة . وذكر صاعد^٣ ورود ذلك الرسول في شعر قال فيه :

زلزلت بالمرهقات صاحب قسطنطين حتى اتفأك بالكتيب
يتطلب فيها رضاك مجتهداً من قبل أن يتتقك بالهرب
فليس بالفات البعيد مع إلا إذا [ما] هممت بالطلب

وتمادى استعداد شانجه سراً لغزو عبد الملك فسابقه [٥٤] سنة سبع وتسعين . وظهر المسلمون عليهم . ثم قفل إلى قرطبة آخرَ ذي الحجة منها . ثم غزا سنة ثمان غزوته الأخيرة في شوال . فاعتل في مدينة سالم . ورجع إلى قرطبة محرماً سنة تسع وتسعين . فكانت آخر غزاة نفذت إلى بلاد الحرب لو شكان موته في صفر منها . وضبط أخوه عبد الرحمن الأمر بعده لنفسه .

١ ضحي : شهد عيد الأضحى .

٢ طير : لعله يعني أنه افلك أولئك الأسرى عن طريق المراسلة السريّة .

فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي^١ ، وابتات جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من طريف أخباره

بلغني أنه خرج من بغداد إذ مات أبوه . وأساء عشرته أخوه . وسينته
دون العشرين . فلحق بالأمير محمود^٢ . وشهد حروبه بأرض الهندود .
وله فيه غير ما قصيد . إلى أن توفي فولي أكبر ولدته بعده^٣ ، فبقي أبو
الفضل على حاله عنده . إلى أن خرج بعض إخوته عليه . فنهض لحربه .
فدبره وزراءه في طريقه الفتك به ، وشاوروا أبا الفضل في القضية ، فأبي
من تلك الدنيئة . وأودع أذن الأمير . ذلك التدبير . فخاف وزراؤه
أن يفتضحوا . وعاجلوه قبل أن يُصبحوا ، وقبضوه قبل أن يُقدم أخوه ،
فسبقهم أبو الفضل إليه ، ونص ما فعلوه بأخيه عليه . فشكر له وفاءه لصاحبه ،
وقال : الوفاء حلية الأحرار . والغدر ثوب الأشرار . ووصل القوم
بعد بأخيه . ففك عن أغلاله ، وحبسه عند بعض عماله . وضرب أعناق
الغدره ، وقرب أبا الفضل واستوزره . إلى أن خرج عنه في خبر طويل

١ محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٣٨٨ - ٤٥٤ أو ٤٥٥) له
ترجمة في الجذوة : ٦٨ (البغية رقم : ٢٠٩) ونفع الطيب ٣ : ١١١ - ١١٦ وله ذكر
عارض في المغرب ٢ : ١٢ وانظر بدائع البدائ : ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣٦٤ ونسمة اليتيمة
١ : ٦٤ والوافي ٤ : ٦٧ .

٢ يعني محموداً الغزنوي (- ٤٢١) .

٣ هو جلال الدولة محمد بن محمود ، وقد ثار عليه أخوه مسعود وسمل عينيه وانتزع السلطة
من يده ، وفي هذا ما يخالف كلام ابن بسام فيما يلي .

٤ ص : فدبروا .

ولحق بشروان شاه^١ ، وصحبه إلى أن توفّي أيضاً وولّوا أخاه . فكتاب أبو الفضل الخليفة^٢ أبا جعفر^٣ القائم ببغداد في الوصول إليه . فاتفق ورود كتابه إثر وفود رسول المعز بن باديس عليه . فطلب الخليفة رجلاً يسفر بينهما ، فأرشد إلى أبي الفضل . فوجته عنه وورد . فجهزه وخرج مستتراً من بلد إلى بلد حتى وصل حلب ، فاشتهر خبره وطلب . فمدح معز الدولة بقصيدته التي أولها : « عهود الصبا من بعد عهدك أمل » فأمر له بثياب سرية ، وحمله على فرس عربية . ثم انفصل عنه واجتاز بمرّة النعمان . وبها المعري أحمد بن سليمان . فوصل إليه . وأنشده قصيدته اللامية . فقبل المعري بين عينيه ، وقال له : بأبي أنت من ناظم ! ما أراك إلاّ الرسول إلى المغرب . فوصل مصر ووزيرها يومئذ صدقة ابن يوسف بن علي الملقب بالفلاح^٤ . فقصد مجلس قاضي القضاة بها . وأثبت عقداً على رجل مشهور . كان يومئذ ببلاد المغرب بشهادات زور . ولما ثبت ذلك من الطومار . خرج من مصر في زيّ التجار . يؤم بلاد إفريقية ، فوقع على خبره صاحب الإسكندرية . وطلبه فأعجزه . وبلغ

١ ليس هناك ملك هذا الاسم ، وإنما هذا لقب لحكام شروان ؛ ولعل المقصود هنا هو منوهر ابن يزيد أو علي بن يزيد أو قباد بن يزيد (٤١٨ - ٤٤١) .

٢ ص : أبا .

٣ تولى القائم أبو جعفر الخلافة سنة ٤٢٢ وثار عليه البساسيري سنة ٤٥٠ ثم أعاده السلاجقة وبقي حتى توفي ٤٦٧ .

٤ هو شمال بن صالح الأرداسي ولي قلعة حلب أول مرة سنة ٤٢٠ ثم أقصي عنها وعاد إليها سنة ٤٢٩ فلم تطل مدته ، وأقصي مرة أخرى ثم عاد إليها سنة ٤٣٤ واعتزل أخيراً سنة ٤٤٩ .

٥ تولى صدقة الوزارة سنة ٤٣٦ وبقي فيها إلى أن اعتقل وقتل سنة ٤٣٩ . (الإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٧ - ٣٨) .

طرابلس المغرب أول عمل المعز ، فأفشي أمره ، وفُضح سره ، فأمر المعز بإشخاضه . فلمّا وصل سُعيّ به عنده وأراد قتله ، فقال له : تأنّ في . واستقص عليّ . فإن صدقتُ وإلاّ قُتلتُ . فمشى أبو الفضل بالقيروان مرقباً عليه ، إلى أن ورد كتابُ القائم بصدقه ، فاعتذر إليه ، ورفع منزلته وأكرمه . وبسط يده في مطالبيه وحكمته^١ . فحملهم أبو الفضل إلى منزله ، وأحسن إليهم . وخلع عليهم . فعجب المعز من كرمه . وقلّده تدبير حشّمه . وكان ورود أبي الفضل بلد القيروان سنة تسع وثلاثين . حكى ذلك أبو عليّ بن رشيّق وقال : انه أول من أدخل كتاب اليتيمة للشعالبي عندهم . وشهيد حصار القيروان معهم . فلما كان عام ستّة وأربعين صرف المعز خطبته إلى صاحب مصر ، ونبذ العباسية^٢ . فخرج أبو الفضل إلى سوسة . فتطاول عليه أهلها ، فخرج عنهم بعد أن أوقع الفتنة بينهم ، وتركهم فرقتين : قيسية وعينية . وأوقع في نفوسهم أن الحرب قائمة بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة . فاقتتل الفريقان إلى أن تغلب عليهم نعيم بن المعز . وتردّد أبو الفضل هنالك عدّة سنين . وشهد الحروب مع بلّقين^٣ . ثمّ انتبذ من تلك الناحية . وركب البحر فنزل بدانية ، فبعث إليه أميرها ابن مجاهد بالحمل وأرباع دقيق أول نزوله . فصرفها في وجه رسوله . وتعجّل الارتحال عنه إلى بلنسية فلقى بيراً . واستجلبه المأمون ابن ذي النون فحسن بطليطلة مشواه [٥٥] وأجزل قيراه . وتوسّع له ولعبيده في البرّ . وأجرى له ستين مثقالاً في الشهر . وكان دخوله طليطلة

١ أي جعل له الحكم في الذين سعوا به إلى السلطان .

٢ يبدو أن ابن بسم ينفرد بهذا الخبر .

٣ هو بلقين بن محمد بن حماد من الحماديين أصحاب القلعة ، تولى سنة ٤٤٧ هـ (أعمال الأعلام ٣: ٨٧)

يوم الجمعة لثلاث بقين لجمادى الأولى سنة أربع وخمسين : وتوفيت بها
رحمه الله منتصف شوال سنة خمس وخمسين .

ومن غريب وفاء المأمون له - زعموا - أنه استمرت جريائته على
حاشيته، وتجاقت عن ميراثه وجعله وصية له إذ لم يوص لفجأة وفاته .
ورثاه الحكم أبو محمد بن خليفة بشعر يقول فيه :

سقى الله قبراً حل فيه أبو الفضل سحاباً يسح المزن وبلاً على وبلى
وكيف يسقى المزن قبراً يحله وفي طيته بحر المكارم والفضل
وبدر تمام من تميم نيجاره ملوك لهم قام الملوك على رجل
ومنها :

وما الدهر إلا آكل من نفوسنا ونحن لديه في الحقيقة كالأكل
وهذا كقول المعري^١ :

وما الأرض إلا مثلنا الرزق تبغى وتأكل من هذا الأنام وتشرب
وقد كرر المعري هذا المعنى في مواضع^٢ :

فشم صارماً واركز قناة فللردى يد هي أدرى بالطعان وأدرب
أفض ليhamat وأرمى بأسهمهم وأطعن في قلب الحميس وأضرب

١ اللزوميات ١ : ٦٣ .

٢ اللزوميات ١ : ٥٦ .

ووزير مصر الملقب بالفلاحي المتقدم الذكر : والدّه كان يوسف
ابن عليّ الذي هجاه الواساني بالقصيدة التي أوّلها^١ :

يا أهلَ جَيْرُونِ هل لسا مِرْكم^٢ إذ استقلتْ كواكبُ الحَمَلِ

وهو يومئذٍ مشرفٌ على دمشق في أيام الحاكم : وهي قصيدة في معناها
فريدة^٣ . وقال الحاكم يوماً : أريد سماع هذه القصيدة من رجلٍ حسن
النشيد . فقبل له صوت الذي قيلت فيه ، لا أحد يُجارِيه . فأحضِر واستعفى
من نشيدها فلم يُعذر ، وأنشد إلى أن انتهى إلى قول الواساني فيها :

كنتُ على بابِ مَترلي سَحَرًا	أنتظرُ الشاكري ^٣ يُسرجُ لي
وطال ليلى بِحاجةٍ عَرَضَتْ	باكرتُها والنجومُ لم تَمِلِ
فمرَّ بي [في الظلامِ] أسودٌ كالـ	فيلٍ عريضٍ الأكتافِ ذو عضلٍ
مُشَقَّقٍ الكعبِ أفدعُ اليدِ والـ	رجلٍ طويلٍ الساقينِ في سملٍ
فأهدتِ الريحُ منه لي أرجًا	مثل جنى الرّوضِ في الندى الخضرِ
فصِحتُ من خلفِهِ رُويدَكَ يا	أمودُ مالي بالعدوِّ من قبَلِ
فكرٍ تحوي عَجَلانَ يَغرُّ في	مِرْطٍ كسامٍ مُبرغثٍ قَمِيلِ
وقد مَدَى فالمدى يَقطرُ منـ	غرْمولِهِ في الذبولِ كالوشلِ
وظنَّ أنِّي صَيْدٌ فأبرَزَ لي	فَيْشَلَةً مثلَ رُكبةِ الحَمَلِ

١ البيتية ١ : ٣٦٥ .

٢ ص : لساكنكم .

٣ الشاكري : الخادم أو الأجير .

وقال : لَسِجْ دَارَكُمْ لَاوَلَجَهَا
 فطالما أسهلتَ طَبِيعَةً مَنْ
 فانظرُ إليها فإن رأيتَ لها
 وخُذْ عَمُوداً غِلافُهُ شَرَجٌ
 قلتُ له : والذي يَمُدُّ لك الـ
 ما شقَّ دُبْرِي مُذْ قُطِّفَ فَيَشْثَلَةُ
 ولا لهذا [دُعَيْتَ] فاطلبْ لَغُرُ
 وهاتِ قُلَّ لِي باللهِ من أينَ أَقْبَلْتُ
 فقال لي بَيْتٌ عِنْدَ عَامِلِكُمْ
 فصاكَ بِي طَبِيعُهُ وَصَاكَ بِهِ
 تَرَكْتُهُ فِي النَّهَارِ أَخْفَشَ لَا
 قلتُ تَرَدَّيْتُ^٣ واعتديتُ على
 لَعَلَّاهُ غَيْرُهُ^٤ فَصِفْهُ فَمَا
 فقال : يَا سَيِّدِي عَجَلْتُ بِمَكَ
 هذا الذي بَيْتٌ عِنْدَهُ نَصَفُ
 آدُرُ رِخْوُ الْعِجَّانِ مُنْحَرِفُ الـ

فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبَلْ قَبْلُ
 لَيْسَ بِأَمْثَالِهَا بِمُحْتَمِلٍ
 شَيْئاً فَلَا تَدْعُنِي أَبَا الْجُعَلِ
 لَمْ يُحْتَمَنْ سَاعَةً وَلَمْ يُذَلْ
 عُمُرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ
 وَلَا انْتِخَابُ الْأَيُّورِ مِنْ عَمَلِي
 مُوَلِّكَ^٢ مَنْ يَسْتَلِذُّهُ بَدَلِي
 تَ وَدَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَالِ
 هَذَا أَبِي الْفَضْلِ يَوْسُفُ بْنُ عَلِيٍّ
 مَنِي صَنَانٍ فِي حِدَّةِ الْبَصَلِ
 يَنْظُرُ فِي خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلٍ
 شَيْخٌ نَبِيلٌ يُنْمَى إِلَى نُبُلٍ
 تَخْدَعُ مِثْلِي بِهِذِهِ الْحَيْلِ
 رُوْهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
 دُونَ مُسِينٍ وَفَوْقَ مُكْتَهِلٍ
 مَبْعَرٍ الْفَحْيِ مُهَيَّجِ السَّفَلِ

١ ص : العجل .

٢ اليتيمة : لميلوخك .

٣ اليتيمة : تزيدت .

٤ اليتيمة : لعل ذا غيره .

أَنْتَنْ مِينَ كُلَّ مَا يُقَالُ إِذَا بِالْعَ فِي النَّتَنِ ضَارِبُ الْمَثَلِ
نَعَمَ ، وَفِي بَابِ سُورِهِ وَضَحَّ أَبَيْتُ لَيْلِي مِنْهُ عَلَى وَجَعَلِ
أَخَافُ يُعْدي أَيْشِي بِبِرْصَتِهِ فَأُغْتَدِي مُثْلَةً مِنْ الْمَثَلِ
فَقُلْتُ : هَذِي صِفَاتُهُ وَلَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ

ومنها في التعريض بمنشا بن ابراهيم :

فَقُلْتُ قُلْ لِي مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُهُ فَقَالَ ذَرْنِي مِنْ هَذِهِ الْعَقْلِ
كُنْتُ أُجِيرُ بَيْدًا^٢ مَعْصَرَةً كَانَتْ قَدِيمًا^٣ لِكَاتِبِ الْبَجَلِ^٤
فَنَمْتُ يَوْمًا وَكُنْتُ مِنْ سَهَرِ الْ لَيْلِ وَقِيدًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
فَاجْتَازَ لِلْحَيْنِ وَالْقَضَاءِ الَّذِي مَّ مَنَشَا فِي مَوَكِبِ زَجَلِ
وَكَانَ مِنْهُ التَّفَاتَةُ^٥ فَرَأَى ذَيْلَ قَمِيصِي قَدْ قُدَّ مِنْ قُبُلِ
فَاشْتَدَّ تَحْدِيقُهُ إِلَيَّ كَمَا حَدَّقَ ذَنْبٌ طَاوٍ إِلَى حَمَلِ [٥٦]
وَلَمْ أَبَيْتُ لَيْلِي وَعَيْشِيكَ يَا مَوْلَايَ حَتَّى رُفِعَتْهُ بِالرُّسُلِ
فَجِثَّتُهُ خَائِفًا كَمَا يَلْسِجُ الْ عَصْفُورُ مُسْتَكْرَهًا عَلَى الْوَرَلِ
فَارْتَعْتُ لَمَّا رَأَيْتُ لَحِيَّتَهُ وَكَدْتُ أُخْرَى مِنْ شِدَّةِ الْوَجَلِ

١ ص : زدني ، والتصويب عن اليتيمة .

٢ البد : موضع عصر الزيت في ديار الشام ؛ ص : بيد ، اليتيمة : بيدي .

٣ اليتيمة : بصور كانت (أي كانت بمدينة صور) .

٤ كذا وردت هذه اللفظة أيضاً في اليتيمة ولا أستطيع أن أجزم بما تعنيه فقد تعني بني بجيلة (أو بجلة) وقد تعني جماعة الأعيان ، وقد تكون لفظة شامية محلية .

٥ اليتيمة : دعيت .

وظنَّ أَنِّي استَحْيَيْتُهُ فغَدَا
وقال إن كنت مُكرِمي ثُلَّ قَدْ
إنْتِفِ سِبَالِي واصْفَعْ قَتْمَايَ وَلَا
ولم يَزَلْ دَائِباً يُشْمِرُ شَا
فحين أدلَيْتُ كالحِمَارِ بدا
وخرَّ للوجْهِ والجَيْنِ وقد
طَعْنَتْهُ طَعْنَةً بَصْدَقِ الْأَنَا
ثم رَمَى صَفْحِي بِلَحْيَتِهِ
فقال أخطأت إذ أسَلْتَ دَمِي
أينَ النَّجِيعُ القَانِي فدَيْتَكَ من
فقال أيرُّ أَرَى بِهِ هَوَجاً
ياسَيْدِي ما اسْمُهُ فقلتُ أباوال

يَبْسُطُنِي بِالْمُزَاحِ والغَسَزَلِ
ري فبعضُ الهَوَانِ أَرْفَعُ لِي
تَنْظُرُ إِلَى قُدْرَتِي وَلَا خَوَلِي
قَوْلِي وَيَحْتَالُ لِي عَلَى مَهْلٍ
يَرْفَعُ أَثْوَابَهُ عَلَى ٢ الكَفَلِ
رَطَّبَ حَوَلَتِي خُصْيَتِهِ بِالْبَلَلِ
يَبِ أَصَمِ الكُعُوبِ مُعْتَدِلِ
فقلتُ ذَا ٣ السَّرْمِ من بَنِي ثُعَلِ
فقلتُ كَلّاً وَاللَّهِ لَمْ يَسِلِ
لَطِخَ رَجِيعِ كَالْوَرَسِ مُنْسَجَلِ
قد جازَ ٤ حَدَّ الجُنُونِ والخَبَلِ
أَسْوَدِ يَكْنَى وَلَيْسَ بالدُّوَلِي

وهي طويلة ، فلما فرغ قال له الحاكم : لِمَ لَمْ تَقْطَعْ لِسَانَهُ ؟ والله
لا عملتَ لي عملاً بعدُ ، فصرفه .

١ رواية اليتيمة :

إن كنت أكرمتني لترفع من قدرِي فبعض الهوان أرفع لي

٢ اليتيمة : اجلاله عن .

٣ اليتيمة : فقلت يا سيدي ويا أملي ، أظن . . .

٤ اليتيمة : وخاض جمسي أير به هوج يجوز .

جملة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى النسيب وما يناسبه

كان يوماً مع المعز بن باديس في مجلس أنس . و غلامٌ وسيمٌ
يدورُ بالكأسِ فقال فيه ^١ :

ومُعَذِّرِ نَقْشَ الْجَمَالِ بِمَسْكِهِ خَدَّاهُ بَدَمَ الْقُلُوبِ مُضَرَّجَا
لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ سَيْفَ جُفُونِهِ مِنْ نَرْجِسٍ جَعَلَ النِّجَادَ بِنَفْسِجَا

وكان له هوىٌ بـغلامٍ في مدينة السلامِ فإذا رآه أنكرَ حُبَّه . والغلامُ
يعرفُ شدةَ وجدِّه وكلَّفَه . فدَمَعَتْ عَيْنَا أَبِي الْفَضْلِ . فقال الغلامُ :
دمعُكَ شاهدٌ عليك ، فقال ^٢ :

وَهَبْنِي قَدْ أَنْكَرْتُ حُبَّكَ جُمْلَةً وَآلَيْتُ أَنِّي لَا أُرُومُ عَظَمَتَهَا
فَمَنْ أَيْنَ لِي فِي الْحُبِّ جَرَحُ شَهَادَةٍ سَقَامِي أَمْلَاهَا وَدَمْعِي خَطَمَهَا

ودخل يوماً على قينةٍ وهي تتبخترُ بالنَّدِ ، ودُخَانُهُ قَدْ عَلَا وَجْهَهَا فقال ^٤ :

١ بدائع البدائ : ٣٠٩ والنفع ٣ : ١١٤ وابن خلكان ١ : ١١٠ وتردد في نسبتها .

٢ النفع ٣ : ١١٧ وبدائع البدائ : ٣٦٤ .

٣ بدائع : وهونت من نقي العزيزة سقطها .

٤ النفع ٣ : ١١٤ والشريشي ٢ : ٨٧ .

وَمَحْطُوطَةُ الْمُتَنِينَ مَهْضُومَةُ الْحِشَا
إِذَا مَا دَخَانُ النَّدَى مِنْ جَيْبِهَا^١ [علا]
مُنْعَمَةٌ الْأُرْدَافُ تَدْمَى مِنَ اللَّمَسِ
عَلَى وَجْهِهَا أَبْصُرَتْ غَيْمًا عَلَى الشَّمْسِ

وهو القائل^٢ :

يَغْرِسُ^٣ وَرَدًا نَاضِرًا نَاطِرِي
فَلَمْ مَنَعَمْ شَفَتِي قَطْفَهُ
فِي وَجْنَةٍ كَالْقَمَرِ الطَّالِعِ
وَالْحُكْمُ أَنَّ الزَّرْعَ لِلزَّارِعِ!^٤

وقال^٥ :

وَمُبْلَبِلٍ مِنْ صُدُغِهِ الْعَطِيرِ الَّذِي
وَحْيَاةٌ مَا غَرَسَ الْحَيَاءُ بَخْدَهُ
لَا غَرَرَنَّ بِمُسْجَعِي فِي حُبِّهِ
وَلَنْ تَعَزَّزَ إِنَّ عِنْدِي ذِلَّةً
أَهْدَى لِي الْبَلْبَالَ دُونَ حِجَابِ
مِنْ وَرْدِهِ بِيَعْتَابِهِ وَعَتَابِي
غَرَّرًا يُطِيلُ مَعَ الْخَطُوبِ خَطَابِي
تَسْتَعْطِفُ الْأَحْبَابَ الْأَحْبَابِ

وقال^٦ :

يَا لَيْلُ هَلَّا انْجَلَيْتَ عَنْ فَلَاقِ
جَفَّتْ جَفُونِي الْآمَاقَ فَيْكَ فَمَا
طُلْتُ وَلَا صَبَرَ لِي عَلَى الْقَلَقِ
تُسَبِّلُ أَشْفَارُهَا^٧ عَلَى الْحَدَقِ

١ ص : من جيبها .

٢ النفع ٣ : ١١٢ .

٣ النفع : يزرع .

٤ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٤ .

٥ النفع : الأعداء .

٦ سرور النفس : ٢٨ والنفع ٣ : ١١٢ .

٧ النفع : جفت لحاظي التغميض فيك فما تطبق أجفانها .

كَأَنِّي صُورَةٌ مُثَلَّثَةٌ نَاطِرُهَا الدَّهْرُ غَيْرُ مُنْتَظَبٍ

ولمّا أشار في هذا إلى قول بشار^١ :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

فنقل لفظه ومعناه ، وقصّر عنه كما تراه . وقد أخذ أيضاً العتّابي هذا المعنى ، واجتناه أرباباً ، فردّه شريعياً ، بقوله^٢ :

فِي مَاقِيٍّ انْقِبَاضٌ عَنْ جَفُونِهَا وَفِي الْبُحْفُونِ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ

وقال أبو الفضل :

بَدْرُ تَيْمٍ عَلِيٍّ لَيْسَ يَلِينُ خَابَ فِيمَا رَجَوْتُ فِيهِ الظَّنُونُ
طَالِباً لِلْخِلَافِ إِنْ لَمْ أَكُنْ كَا ن وَإِنْ كُنْتُ حَاضِراً لَا يَكُونُ
فَعَلَى ذَا مَا نَلْتَقِي قَطُّ حَتَّى يَتَلَاقَى الْمُضَافُ وَالتَّنْوِينُ

وقال :

وظنّني أراني غرّةً من جبينه تَزِيدُ ضِيَاءَ بَيْنِ أَصْدَاغِهِ الدُّهْمُ
تَجَرَّعْتُ بِالْإِسْعَافِ جُرْعَةَ ظَلَمِهِ لَأَنِّي رَأَيْتُ الظُّلْمَ يَدْرَأُ بِالظُّلْمِ
وَكَمْ أَمَكَّنْتَنِي فَرَسَةً فَتَرَكْتُهَا حَيَاءً مِنَ الشَّيْبِ الْمَوْقَرِ بِالْحِلْمِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي ثَوْبِ الشَّيْبَةِ رَافِلاً لَصَحَّ عَلَى لَتْيَانٍ زَلَّتْهَا عَزْمِي

١ ديوانه ٣ : ٧ وزهر الآداب : ٧٤٧ والمختار : ٧ - ٨ والزهرة ١ : ٢٩٠ .

٢ زهر الآداب : ٧٤٧ وابن بسام يتابعه في الحكم على البيت ، والمختار : ٢٣ .

وهذا كقول الآخر^١ :

دُعْتَنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصَّبَا دُعَاءٌ تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
فَلَوْلَا وَحَقَّتْ عَذْرُ الْمُشِيبِ لَقُلْتُ لِعَيْنِكَ سَمْعًا وَطَاعَةً

وهذا مثل قول جرير : [٥٧]

[يقول العاذلات علاك شيبٌ أهذا الشيب يمنعني مراحي]^٢

ومنه أنشد^٣ : [٥٧]

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْتِي مَشْهُورٌ وَالْعَيْبُ يَلْحَقُ بِالْكَبِيرِ كَبِيرٌ
لَحَلَلْتُ مَتْرَلَكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ وَلَكِنْ مَتْرَلُنَا هُوَ الْمَهْجُورُ

وابن الرقاع هو القائل^٤ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمُشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

وقال بعض أهل عصرنا :

فَلَوْلَا حَيَاءُ الْمُحَيَّا وَمَا عَرَانِي لِفَقْدِ الصَّبَا مِنْ مُصَابٍ

١ أوردتهما صاحب النفع ٣ : ١١٥ ونسبهما لأبي الفضل ، وانظر المسلك السهل : ٥٠٠ وهما

في زهر الآداب : ٨٢٧ للصاحب أبي القاسم .

٢ ليس في الأصل بياض ؛ وزدت بيت جرير إذ البيتان التاليان ليسا له قطعاً .

٣ وردا في زهر الآداب : ٢٧ لمنصور الفقيه ، وقال المؤلف أن أكثر الناس يرويهما لإبراهيم

ابن المهدي .

٤ المختار : ٢٧٠ وأما المرتضى ١ : ٥١١ واللاقي : ٥٢١ والحماسة البصرية ٢ : ٨٥ .

لَمَرَّغْتُ خَدَّيْ وَأَلْفْتُ^١ بَيْنَ هَشِيمِ الْمَشِيبِ وَرَوْضِ الشَّبَابِ

وقال محمد بن هاني^٢ :

والله لولا أن يُسْفَتِهني الهوى	ويقول بعضُ القائلين تصابي
لَكَسَّرْتُ دُمْلُجَهَا بِضِيقِ عِناقِها	وَلَثَمْتُ من فيها البرود رُضابا
بَنِمْتُ فَلولا أن أُغَيَّرَ لِمَتِّي	عَبَثًا وَالقاكم عليَّ غِضابا
لَخَطَطْتُ شَيْبًا في عِذارِي كاذِبًا	وَمَحَوْتُ مَحْوَالِ النَّفْسِ عَنْهُ شِبابا
وَحَلَعْتُهُ خَلَعَ النِّجادِ مُدَمِّمًا	واعتَضْتُ من جِلِبابِيهِ جِلِبابا
وَحَضَبْتُ مُسَوِّدَ الحِدادِ عَلَيْكُمْ	لو أَنِّي أَجِدُ البِياضَ خِضابا

وسأله أبو منصور الثعالبي أن يَصِفَ غلاماً صغيراً كان بديع الحسن
ليُثَبِتَ ذلك في كتابه المترجم بألف غلام ، فقال^٣ :

لأنِّي عَشِقتُ صَغِيرًا	قد دَبَّ فيه الجمالُ
وكادَ يُفْشِي حديثًا	فمُضُولٍ منه الدَّلَالُ
لو مرَّ في طُرُقِ الهَجَرِ	رِ لا عِتراهُ ضلالُ
وتاهَ فيه اغْتِرارًا	لو لم يُغَيِّثهُ الوِصالُ
يُريكَ بَدْرًا تَمامًا	في الحُسْنِ وهو هلالُ

وسأله أيضًا أن يَصِفَ غلاماً كاتباً كان حَسَنَ الخَطِّينِ خطَّ اليَدِ
وخطَّ الوجهِ ، فقال^٤ :

١ ص : وألقت .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٨ وزهر الآداب : ٩٠٣ .

٣ هذه القطعة والقطعتان التاليتان في النفع ٣ : ١١٦ وانظر الشريشي ٥ : ٢٥٢ .

٤ الشريشي ٥ : ٢٢١

وكاتبٍ أهديتُ نفسي له فهي من السوءِ فِداً نفسه
سلطَ خديبه على مُهجتي فاستأصلاها وهي من غرسه
كأنما خطَّ على خده مثل الذي قد خطَّ في طيرسه
فلستُ أدري بعدَ ما حلَّ بي بمسكه أثلِفُ أمْ نِقِسه

وقال فيه ^١ :

وشادنٍ أسرفَ في صدّه وزادَ في التيهِ على عبده
الحسنُ قد بثَّ على خده بنفسجاً يرنو إلى ورده
رأيتُه يكتبُ في طيرسه خطأً يضاهي الدرّ في عِقده
فخلتُ ما [قد] خطّه كفه للحسنِ قد خطَّ على خده

والمُ أبو الفضل في هذا بقول بعض الكتّاب ^٢ :

ما أخطأتُ نوناتُه من صدغِه شيئاً ولا أليفاته من قدّه
وكأنما أنفاسُه من شعره وكأنما قيرطاسُه من جيلده

وينظر إلى هذا من طرفٍ خفي ، قولُ [ابن] أبي سَمْرَةَ الدارمي ^٣ قال :

سرابُ الفَيّافِ صادقٌ عندَ وعدِها وسمُّ الأفاعي مُبرئٌ عندَ صدّها
رمّني ولم أسعدْ بأيامٍ وصلِها بعينني مهارةً أُنحسني ببعدها

١ الشريشي ٥ : ٢٢٢

٢ ينسبان للصنوبري ، انظر تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٨ ورض الحجب ١ : ٨٨ والعمدة

٢ : ٣٥ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٩ وديوانه ٤٧٤ : ١ وابن بسام يتابع زهر الآداب : ٦٧٦ .

٣ اسمه أحمد بن أبي سمرّة ، وانظر أبياته في زهر الآداب : ٦٧٦ .

تعلقها قلبي كما قد تعلقْتُ صوالجُ صُدْغِيها^١ بتفاحِ خدِّها
فقلبي لما أضعفَتْه كخصرِها ودمعي لما نظَّمتْه كعقدها

وقال أبو الفضل^٢ :

قلت للملقى على الخدين من وردٍ خيمارا
والذي سلَّ على العشاقِ بالحفظِ شيفارا
أسبَل الصُدغُ على خدِّكَ من ميسكِ عذارا
أم أعانَ الليلَ حتى قهرَ الليلُ النهارا ؟
قال مَيِّدانُ جرى الحُسْنُ نُ عليه فاستدارا
ركضتُ فيه عيونُ فأثارتهُ غُبَّارا

وقال يتشوق إلى بلده^٣ :

أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبةً
إذا خطرَت ذِكْراهمُ في خَواطِري ولم أنسَ مَنْ ودَّعتْ بالشطِّ سُحرةً
وما بي شرقٌ للبلادِ ولا غربٌ فقَدْتُ مني أذكُرُ عهدَهمُ أصبُ
تنائرٌ من أجفاني اللؤلؤُ الرطبِ وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركبُ
أليفانِ هذا سائرٌ نحو غُربةٍ وهذا مقيمٌ سارَ عن صدرِه القلبُ

وقال في مثله^٤ :

١ ص : خديها .

٢ النفع ٣ : ١١٦ والشرطي ٤ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

٣ ستأتي منسوبة لعبد الوهاب المالكي ؛ وقد اضطربت نسبة بعض المقطوعات بينه وبين أبي الفضل .

٤ النفع ٣ : ١١٥ .

تذكرَ نَجْداً والحِمْيَ فبكى وَجَدَا
وحَيْثَهُ أَنْفَاسُ الْخُزَامَى عَشِيَّةً
فَأَظْهَرَ سُلُواناً وَأَضْمَرَ لَوْعَةً
ولو أَنَّهُ أُعْطِيَ الصَّبَابَةَ حُكْمَهَا
ولم أَنَسَهُ وَالسُّكْرُ يَفْتِيلُ قَدَّهُ

وقال :

ومحمورِ الجُفُونِ بلا خُمَارٍ
فَمَا زَالَتْ بِهِ حَيْبَلِي إِلَى أَنْ
وَجَادَ بِقُبْلَةٍ فشمِيتُ مِسْكَاً
فَكَانَ السُّكْرُ لِي سِبْأً سَقَانِي
فِيَا شِرْباً وَرَدْتُ فَكَانَ عَذْباً

وقال :

قالوا تَبَدَّى شَعْرُهُ فَأَجَبْتُهُمْ
وَالْبَدْرُ أَبْهَرُ مَا يَكُونُ ضِيَاؤُهُ

وقال ١ :

ظَبْيٌ إِذَا حَرَّكَ أَصْدَاغَهُ
غَشَى بِشَعْرِي مُنْشِداً لَيْتَنِي أَلَا

لم يَلْتَفْتُ خَلْقٌ إِلَى الْعِطْرِ
لَمَفْظِ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ شَعْرِي

١ النفع ٣ : ١١٧ والشريشي ٥ : ٢٣٨ .

فكَلَّمَا كَرَّرَ إِنْشَادَهُ قَبْلَهُ فِيهِ وَلَمْ يَدْرِ
وَقَالَ ١ :

يَا ذَا الَّذِي خَطَّ الْجَمَالَ بِوَجْهِهِ سَطَرَيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلَا
مَا صَحَّ عِنْدِي أَنْ لَحَظْتُكَ صَارِمٌ حَتَّى لَبِستَ بِعَارِضِيكَ حَمَائِلَا
وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ رَشِيقٍ ٢ :

وَهَلْ [عَلَى] عَارِضِيهِ إِلَّا حَمَائِلٌ قُلْتُدْتُ حُسَامَا

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ فِي بَعْضِ غِلْمَانِيهِ وَكَانَ لَهُ بِهِ هَوًى :

عَلِيٌّ لَا تَصِلْ وَبَيْنَ فَقَلْبِي غَيْرُ مُرْتَهِنِ
غَضَبْتَ فَرَدُّ وَدُمْ غَضَبًا فَلَمَنِي عَنْ رِضَاكَ غَتِي
أَتُخْفِي بِغَضَبِي سِرًّا وَتُبْدِي الْحُبَّ فِي الْعَلَنِ؟
لَقَدْ غَرَّتْكَ فِي مَيَلِي إِلَيْكَ كَوَازِبُ الظَّنِّ
أَتَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ هَوًى وَوَدُّكَ لِي عَلَى دَخْنِ؟
إِذَا فَسَدَتْ يَدٌ قُطِعَتْ لَيْسَلَمَ سَائِرُ الْبَدَنِ

فَأَجَابَهُ الْغَلَامُ :

غَلَامُكَ غَيْرُ مُمْتَهَنٍ تَخَوَّنُهُ وَلَمْ يَخْنِ
وَتَطْلُبُ عَتَبَهُ ظُلْمًا عَلَى غَضَبٍ وَلَمْ يَكُنْ

١ الشريشي ٤ : ٣٩٠ وينبان لابن عبد ربه ، انظر نفع الطيب ٧ : ٥١ والمطمح ٥٢ : وابن

خلكان ١ : ١١٠ .

٢ ديوان ابن رشيقي : ١٦٩ وابن خلكان ٢ : ٣٦٧ .

وتَوَقَّعُهُ بما قد قَسَدَ
فَقُلْ لي كُلَّ طَرَفُكَ أَمْ
تَ في بَحْرِ من المَحْنِ
خَلَا طَرَفِي من الفِتَنِ ؟

وقال أبو الفضل ٢ :

وحبيب [قد ضَنَّ] بالوصلِ تيهًا
أنا أخشى إن دامَ ذا الهجرُ أن يُنْهَ
هل تَنْصِنُ البدورُ بالإشراقِ
فأريحَ الفؤادَ ممّا اعتراهُ
شِطًّا من حَبِّهِ عِقالَ وثاقي
وأردَّ الهوى على العُشاقِ

وقال :

سَمَحْتُ بنفسي غداةَ الرحيلِ
وبتُّ أفضُّ ختامَ الجفونِ
غَرَامًا على القمرِ الآفلِ
ومن عجبِ العشق أنَّ القَتيلَ
وأبكي على الجسدِ الناحلِ
يَحْنُ ويصبو إلى القاتلِ !

وقال :

يا حاديًا وجِمالُ الحَيِّ هائمةٌ
كلفتَه السَّيرَ من جسمي ففارقَه
ماذا تريدُ بقلبي أيَّها الحادي ؟
رفقًا فقد هِجَّتْ شوقًا ما استعدَّ له
وهل يَسِيرُ أسيرٌ ما له فادٍ ؟
فكيف يَرحلُ مشتاقٌ بلا زادٍ ؟

وقال :

١ ص : الفتن .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٧ .

أَيَا بَصَرِي عَزَّاءَ عَلَيَّ وَيَا سَمْعِي وَيَا مُسْرِفًا عِنْدَ التَضَرُّعِ فِي مَسْعِي
إِذَا كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى الْهَجْرِ وَالْجَفَا فَمَنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلْهُ طَبْعِي ؟
سَلِّ الْمَطَرَ الْغَمْرَ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ أَجَاءَ بِمَقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْعِي ؟

ما أخرجته من شعره في سائر الأوصاف

كَانَ لَيْلَةً مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَمْعَةٌ ، فَأَفْضَى حَدِيثُهُمْ
إِلَى وَصْفِهَا ، فَجَعَلَ مَنْ حَضَرَ يُرِيضُ نَفْسَهُ ، وَيُعْمَلُ فِي ذَلِكَ حِسِّهِ ،
فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ ١ :

ذَهَبْنَا فَأَذْهَبْنَا الْهَمُومَ بِشَمْعَةٍ غَنَيْنَا بِهَا عَنْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
أَقُولُ وَجَسْمِي ذَائِبٌ مِثْلَ جَسْمِهَا وَدَمْعُهَا تَجْرِي كَمَا دَمْعِي تَجْرِي
كَلَانَا لَعَمْرِي ذَوْبَانٌ ٢ مِنَ الْهَوَى فَنَارُكَ مِنْ جَمْرٍ وَنَارِي مِنْ هَجْرٍ
وَأَنْتِ عَلَى مَا قَدْ تُقَاسِمِينَ مِنْ أَدَى فَصَدْرُكَ فِي نَارٍ وَنَارِي فِي صَدْرِي

وَلَهُ فِي وَصْفِ طَيْرِفَ :

حَكَى فَرَسِي اللَّيْلَ فِي لَوْنِهِ فَقَابِلَهُ الْبَدْرُ عِنْدَ اضْطِرَارٍ
فَكَانَ لَهُ غُرَّةٌ فِي التَّمَامِ وَنَعْلًا لِحَافِرِهِ فِي السَّرَارِ

١ بدائع البدائه : ٣٦٤ والنفع ٣ : ١١٧ وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٧٨٣ حيث جمع

بين عجز البيت الثالث وعجز البيت الرابع .

٢ البدائع : ذوب نار ؛ النفع : ذائبان .

وقال :

رُبَّ لَيْلٍ أَبْطَا عَلَيَّ فَلَمَّأَ مَدَّ ضَافِي دُجَاهَ مَا اسْتَبْطَانِي
جَثْتُ أَسْعَى إِلَيْهِ سَعَى زُلَالٍ أَلِ هَامٍ يَسْتَنُّ فِي حَشَا الظَّمَانِ
ظَلَيْتُ أُسْرِي بِمَثَلِهِ فِيهِ حَتَّى خَلَيْتُنِي قَدْ أَحَاطَ بِي لَيْلَانِ
فَهُوَ طَرَفٌ لَهُ خَضَابِي سَوَادٌ أَنَا فِيهِ كَهَيْثَةِ الْإِنْسَانِ

وأرى السلاميَّ قد نَبَّته على هذا التشبيه ، وإن كان أبو الفضل قد زاد فيه ، وكان السلاميُّ قد ركبَ زورقاً بدجلة فقال ^١ :

وميدانٍ تجولُ به خيولٌ تقودُ الدارعينَ وما تُقَادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طيرُفأً له جِسْمٌ وليس له فؤادُ
جرى فظننتُ أن الأرضَ وجهٌ ودجلةٌ ناظِرٌ وهو السوادُ

وقال عبد الجليل للمعتمد بن عبادٍ من شعرٍ قد تقدّم إنشاده في صفة جوازِ البحر ^٢ :

فسرتُ فوقَ دِفَاعِ الله تَهْصِرُهُ براحةِ الدينِ والتَّقْوَى فينْهَصِرُ
كأنَّما كان عَيْنًا أَنْتَ ناظِرُهَا وكلُّ شَطَطٍ بِأَشْخَاصِ الْوَرَى شُفِرُ

وقال أبو الفضل في زامرٍ أسود ^٣ : [٥٩]

١ البيتة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ والشريشي ٤٥:٣ - ٤٦ .

٢ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٥٠٥

٣ الشريشي ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

وحالكِ اللونِ كالليلِ البهيمِ له
تنوب عن نطقه ريحٌ مؤثرةٌ
تخالُ مجلسنا وجهاً به حسنا
كأنما كفه من زمرة سُلَيْبِ
تراه يحفظ ما يُوحى إليه به
يحدو بأنفاسه الأوتارَ مجتهداً
أهدى الشبابُ إليه حُسنَ بهجته
وقال :

هاتِ اسقني فالعيشُ شاكٍ جُرأةً
من قهوةٍ تدعُ الفتى مُستحسناً
مع ناعسِ الأخطارِ تخبيراً أنه
والثلجُ يحكي في اكتنانٍ سقوطه
والدهرُ تكتبُ عن لِقَاءٍ أعزلاً
من غفلةٍ في شربه أن يسجلاً
ما قال فيما ريمَ منه قطُّ لا
وضئيلٍ جثته دقيماً غريباً
ويا بُعداً ما بين هذا وبين قولٍ بعضِ أهلِ عصرنا وهو :

[٢]
خلت الرّذاذَ برادةً من فيضةٍ
والشمسُ طالعةٌ ولما تغربِ
قد غرّبت من فوقٍ نطعٍ مُذهبِ
ولأبي الفضل في الشيب^٣ :

١ ص : فتسبهم .

٢ بياض في ص .

٣ الشريشي ٢٩٧:٤ .

طاقة^١ نغصت^١ علي^٢ شبابي فتعمدت^٣ ننفها غير^٤ وان
فأقامت^٥ عند المكان ونابت^٦ عند ننفني من غيرها طاقتان^٧
قلت^٨ ماذا هذا لعمر^٩ التصابي لشبابي وجدتي محتان^{١٠}
قالنا^{١١} قد جرى من الرسم^{١٢} للسا طان أخذ^{١٣} البراة قبيل^{١٤} الجان^{١٥}
وان ازددت^{١٦} في الجفاء فلا تن^{١٧} كبر^{١٨} قدومي عليك مع^{١٩} أعوان^{٢٠}

ألم^{٢١} في البيت الأخير بقول [الآخر] :

[وزائرة للشيب لاحت بعارضي فبادرتها بالقطف خوفاً من الختف]^{٢٢}
[فقالت علي ضعفي استظلت ووحدي] رويدك حتى يلكح الجيش من ختلفي

وفي البيت الثاني والثالث بقول كشاجم^{٢٣} :

أخي قسّم^{٢٤} فعاوني على شيبة^{٢٥} بنغت^{٢٦} فإني منها في عذاب^{٢٧} وفي حرّ^{٢٨}
إذا ما مضى^{٢٩} المتناش^{٣٠} يأتي بها أبت^{٣١} وقد أخذت^{٣٢} من دونها جارة^{٣٣} الجنب^{٣٤}
كجان^{٣٥} على السلطان^{٣٦} يجزى^{٣٧} بذنبه تعاقب^{٣٨} بالخيران^{٣٩} من شدة^{٤٠} الرعب^{٤١}

وقال أبو الفضل من طردية^{٤٢} :

أنعت^{٤٣} كلباً لم ينصب^{٤٤} مثاله^{٤٥} يطنمعه^{٤٦} من حيرصه^{٤٧} خياله^{٤٨}
مثل^{٤٩} الهزبر^{٥٠} سلبت^{٥١} أشباله^{٥٢} أو كالظليم^{٥٣} ضل^{٥٤} عنه^{٥٥} راله^{٥٦}

٢ ص : قالت .

١ ص : نغصت .

٣ . زيادة من الشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٤ زهر الآداب : ٨٩٨ والشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٥ ص : يطعمه . . . خباله .

يَسَامُ مِنْ مَطَالِهِ مَطَالُهُ وَفِي وَدَيْقٍ فَمَهُ جَرِيَالُهُ
فَكَلَّتْنَا مِنْ صَيْدِهِ عِيَالُهُ

وله من قصيدٍ طويلٍ^١ :

كَأَنَّمَا الْفَحْمُ وَالنِّيرَانُ تُلْهِبُهُ أَوْ الزُّنُودُ بَرَاهَا السِّيفُ فِي رَهَجٍ
مَدَّ الرَّمَادُ عَلَيْهِ بَعْدَ رَقْدَتِهِ أَقُولُ لِلنَّارِ وَالْأَحْزَانُ نَائِرَةٌ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرِي نَاراً مُوجَّحَةً أَظُنُّ أَنَّكَ مَا لَاقَيْتَ مَا لَقَيْتَ
وَلَا مُنِيَّتَ بِتَوْدِيعٍ وَقَدْ جَعَلُوا وَلَا فَجَعْتَ بِغَزْلَانٍ أَلْفَتَهُمْ
سَطَا الْفِرَاقُ عَلَيْهِمْ غَفْلَةً فُغِدُوا فَسَرْتُ شَرْقاً وَأَشْوَاقِي مُغْرَبَةٌ
لَوْلَا تَدَارُكَ دَمْعِي يَوْمَ كَاطِمَةٍ يَأْسَارِقُ الْقَلْبَ جَهْرًا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
أَرْمُقُ بَعَيْنَ الرِّضَا تَنْعِيشَ بِعَاطِفَةٍ

هَامٌ مِنَ الزَّيْنِجِ فِي ثَوْبٍ مِنَ السَّرَقِ
مِنَ الْهِنُودِ عَلَيْهَا شَطْبَةُ الْعَلَقِ
عَيْنًا لَهُ حَسَكٌ مِّنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
وَالْقَلْبُ فِي غَمَرَاتِ الْحُبِّ لَمْ يُفْقِ
بِلَا عِجْجِ الشُّوقِ فِي قَلْبِي فَتَحْتَرِقِ
قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى مِنْ جَاحِمِ الْقَلَقِ
بِيضَ السَّوَادِ أَطَوَاقًا عَلَى الْعُنُقِ
سَارُوا بِقَلْبِكَ إِذْ سَارُوا مَعَ الرُّفُقِ
مِنْ جَوْرِهِ فَيَرْقَا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَقِ
يَا بَعْدَ مَا نَزَحْتُ مِنْ طُرُقِهِمْ طُرُقِي
لَأَحْرِقَ الرِّكْبَ مَا أَبْدَيْتُ مِنْ حُرْقِ
أُمْنَتِي فِي الْحُبِّ مَن بَعْدِي^٢ عَلَى السَّرَقِ
قَبْلَ الْمُنِيَّةِ مَا أَوْهَيْتَ^٣ مِثْنَ رَمَقِ

١ منها أبيات في نفح الطيب ٣ : ١١٥ .

٢ ص : بعدي ؛ النفح : أن يعدي .

٣ النفح : أبقيت .

لم يبقَ مني سوى لفظٍ يبوح بما ألقى فيا عجباً للفظٍ كيف بقي
صلي إذ اشيت أوفاهنجِرُ علانيةً فكلُّ ذلك محمولٌ على الحدق

ومنها في وصف الطفل والنور :

كَأَنَّ قَطْرَاتِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَدَتْ لآلِءٌ فَوْقَ أَصْدَافٍ مِنَ الْوَرَقِ
فَالنَّورُ قَدْ رَمَدَتْ بِالثَّلَجِ أَعْيُنُهُ فَلَيْسَ يَرْنُو بِجَفْنٍ غَيْرِ مُنْطَبِقِ
وَالْغَصْنُ قَدْ ضَرَبَتْ أَيْدِي الضَّرِيبِ عَلَى أَوْرَاقِهِ فَتَرَاهُ مَائِلَ الْعُنُقِ

قوله : « بيض السواعد أطواقاً على العُنُقِ » معنى مشهور ، ومنه قول القائل وهي أبياتٌ يتداولها القوَّالون ^١ :

مُشْتَاقَةٌ طَرَقَتْ بِاللَّيْلِ مُشْتَاقًا أَهْلًا بِمَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدًا وَمِثَاقًا
يَا زَائِرًا زَارَ مِنْ قُرْبٍ عَلَى بُعْدٍ آنَسْتَ مُسْتَوْحِشًا لَا ذُقْتَ مَا ذَاقَا
يَا لَيْلُ عَرَّسْ عَلَى خِلَاتَيْنِ قَدْ جَعَلَا بِيضَ السَّوَادِ لِلْأَعْنَاقِ أَطْوَاقَا

ومن قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به من الصفات
ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها

قال من قصيدة في معز الدولة صاحب حلب :

وقفت على رسم الديار مسائلاً وهل يشتفي ^٢ من لوعة الحب سؤال؟

٢ ص : يشفي .

١ الشريشي ٤ : ٣٠ .

فألوى رسوم الصبر رسم من اللوى
يُحيي بها صوب الحياء معلماً
فما روضت أرض المهاد ملاحيف
وورقاء تستملي حنيني بنوحها
ولاني إذا ما ازور عني منزل
أقيم إذا ما العز وطد مفرشي
أنا ابن السرى إن ملتي متن سابق
كان الفلا ظير^٢ لها الليل حجلة
تفوز في قطع المفاوز جرأتي
إذا البدر جلى وجهة البر نوره
سقى حلباً والحى من آل عامر
فكهم أثمرت فيه القنا من مناقف
إذا خطبوا العلياء يوم كريمة
يسمن معز الدولة انكشفت لنا
تجافى محيّا المال حتى كأنما

وطلّ دموعي بالسبيبة^١ أطلال [٦٠]
خلعن عليهن المحاسن أنوال
وزهر رباها الحلي والنور خلخال
كيلانا على عهد الأوبة هدّال
رمى الحل في قنطرة شد وترحال
وأنبو إذا ما أعقب العزّ إذلال
تسلمني شخت الجزارة مرقال
تحن إليها من ركابي أطفال
إذا كاع عن قطع المجاهل جنهتال
فممدّة ظلي فوق وجنته خال
هزيم توالى من نشاصك مهطال
وكم أتعبت فيه الصوارم أبطال
فأسيافهم فيها مهور وأجمال
من الدهر أحوال مرتتهن أحوال
يقابله منه وشاة وعذال

١ ص : بالست ، والتصويب تقدير ي .

٢ ص : أعقت .

٣ ص : طير .

٤ ص : طاع . . . جاهل ؛ وكاع لغة في كع أي أحجم .

٥ النشاص : السحاب .

كَأَنَّ الْوُغَى طَرَفٌ لَهُ الْجَبَلُ مَحْجَرٌ لَهُ النَّقْعُ أَكْحَالٌ لَهُ الزَّانُ ٢ أُمِيَالٌ
وَأَسْمَرَ عَسَّالٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى تَصَدَّقَ مِنْهُ الزَّادَ أَطْلَسَ عَسَّالٌ

وله من أخرى في ابنِ ذي النون المأمون :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ مَا لَمْ يُحْنَفْ حَافَتَهُ ٣ حَتَّى إِذَا قَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ شَرِبَا
وَلَا يَرُدُّ الْمُحْيَا الطَّلُقُ بَغْفَرَتَهُ كَالْقَيْرِنِ عَنْ بَرَقِ خُلْتَبٍ خُلْبَا
مَا بَالُ بَالِي إِذَا سَكَنَتْهُ نَفَرَتْ عِشَارُهُ وَإِذَا كَتَفَكَفَتْهُ انْسَرَبَا
الْتَبَرِمُ بِالْدُنْيَا وَزَيْنَتِهَا أَمْ الْبَعِيدُ مِنَ الْآمَالِ قَدْ قَرَّبَا
بِهَيْمَةِ الْمَلِكِ الْمَأْمُونِ حِينَ غَدَا إِفْضَالُهَا لِيَتَنَاهِيَ هِمَّتِي سَبَبَا
الْوَاهِبِ الْأَلْفِ لَا عَيْنًا وَلَا وَرَقًا وَلَا عِشَارًا وَلَكِنْ أَنْعُمًا قُشْبَا
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مُرْتَكِمٍ لَكِنْ أَسْنَتُهُ صَارَتْ لَهُ شُهْبَا
كَأَنَّمَا نَهَجُ أَنْبُوبِ الرَّمَاحِ بِهِ مَا قَدْ وَرِثَتْ مِنَ الْعَلِيَا أَبَا فَا بَا
قَتُومٌ إِذَا رَكِبُوا سُدَّ الْفَضَاءُ وَإِنْ [حَلَّتُوا] تَوَهَّمَتْهُمْ فِي الْبَيْدِ رَجُلٌ دَبَا
قَدْ صَيَّرُوا الْحَرْبَ كَأْسًا وَالدَّمَاءَ بِهَا خَمْرًا وَمَا جَوَّفَتْ ٥ مِنْ بَيْنِضِهَا حَبَا

وله فيه من أخرى :

١ الجبل : الساحة ، يعني هنا ساحة الوغى .

٢ ص : الران .

٣ كذا هو ولم أستطع توجيهه .

٤ البقرة : قوة الماء أو الدفعة الشديدة من المطر ، وقد يكون معناها هنا : الشرب دون ارتواء .

٥ ص : حوَّفت .

ولم يفهموا ما تكتبُ البيضُ في الوغى
تسرعُ حتى خيلتُ كلَّ مُقَصِّرٍ
وحتى توهمتنا النجومُ أسِنَّةً
ولا السمرُ حتى أعجمنا بالحوافرِ
مِن الخيلِ محمولاً على ظَهرِ طائرٍ
وخيلنا الهلالَ بينها إثرَ حافرٍ

وله من مرثية في الملك شروان شاه :

يا موضِعاً^١ عن مُلكِهِ وسريره
طلعتُ^٢ رزيتُهُ دمي إن لم أدع
يا تاركاً رُسلَ الملوكِ ببابه
أرحلتُ ثم تركتنا ولقبَلْ ذا
أترى دليلك في السرايا غرّة
صيرنا نُقبَلُ قبره ولطامسا
جدتُ غداً جفنًا لأبصرِ ناظرٍ
يا قبرُ لم نعرفِ تشنتَ شملينا^٣
ظلنا نشقُ جيوبنا من بعد أن
ونعُبُ كاساتِ الدموعِ كأننا
عُدلَ البكاءَ فظلَّ ينشِدُ نفسه^٤
ماذا أضرك لو لبثت قليلاً ؟
دمَ مُقلتي في لحدِهِ مطلولا
مَن ذا يردُّ عليهمُ التَّجميلاً ؟
كنا نحفُ^٥ إذا أردتَ رَحِيلاً
خطأُ فسارَ إلى الحِمامِ دليلاً ؟
كنا نبيحُ بِساطه التَّقبيلاً
أمسى وأصبحَ بالردى مكحولا
حتى غمَدتَ الصَّارِمَ المصقولاً
كنا نُجرُّ في ذراهُ ذيولا
في أنسٍ مَجلسه نَعْبُ شمولاً
بيتاً يُمهدُ عُدَّه المقبولا

١ ص : مرصعاً ، ولعل الصواب « مزعماً » .

٢ ص : طلب .

٣ نحف : لعله يعني نحيط بركابك ، والا فاقراً « نحف » .

٤ ص : لانصر ناصر .

٥ ص : تعرف ... بعملنا .

رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
مَا لِلرَّماحِ قَصْرُنَ عَنْ دَرَكِ الْمَدَى
وَلتَقْبَلُ كُنَّ إِذَا رَأَيْتَكَ عَازِمًا
لَيْسَ الْحِدَادَ حَدِيدُهُنَّ فَمَا نَرَى
تَبْكِيكَ أَقْلَامُ [زَهَتْ] مِنْ عَظُمٍ مَا
وَبَجُورُ شَعْرِ غَاصَ^٢ مَدْحُكَ فَانْتَقَى

وله من أخرى في بعض عبده :

أَعْبَدَيْ قَدْ أَسَارْتَا [فِي] جَوَانِحِي
أَسَاتَمُ وَلِلْحَبِّ الْمَبْرَحِ حُجَّةٌ
لَنْ بَنَزَنِي دَهْرِي بِيغْدَادَ ثُرُوتِي
فَمَا لَيْتَنِي لَمْ آتِ بَغْدَادَ نَابَهَا
فَلَوْ كُنْتُ فِيهَا لَمْ تُحْصَ قَوَادِمِي
فَمَزَقْتُ أَثْوَابَ الْفَلَاسِ بِسَوَابِقِي
إِذَا [مَا] أُمَلَّتْنِي بِهَا نَشْوَةُ الْكُرَى
وَأَنَا طَلَقْتُ النَّهَارَ بِجَوَازِهَا
وَمَنْ طَلَبَ الْغَايَاتِ جَرَّعَ نَفْسَهُ

مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ سَبِيلًا
وَرَأَيْنَ حَمْلَ نَصُوحُنَّ فَضُولًا ؟
عَيْنٌ طُولُكَ فَاسْتَفْدَنَ الطُّوْلَا
إِلَّا سِنَانًا مِنْ صَدَاهُ كَلِيلَا
كُنْتُ فَتُوحَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
مِنْهُمْ دُرًّا فِي النِّظَامِ جَزِيلَا

مِنْ الْوَجْدِ دَاءٌ مُسْتَكِينًا وَبَادِيَا
تُحَسِّنُ فِي عَيْنِي تِلْكَ الْمَسَاوِيَا
فَمَا زِلْتُ مِنْ كَسْبِ الْمُحَامِدِ كَاسِيَا
وَأَصْبَحْتُ فِي أَكْنَافِ شِرْوَانِ عَارِيَا
وَلَا أَحْفَتِ الْأَشْوَاقُ مِنْهَا الْخَوَافِيَا
تَظَلُّ بِهَا الْأَنْضَاءُ تَتَفَلَّى الْفِيَا فَيَا
تَرْنَحُ فِي كَفْتِي الْمَهْنَدُ صَافِيَا
خَطَبْتُ خُدَارِيًّا^٣ مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
سَلَفِ السَّرَى وَاسْتَنْهَضَ النِّجْمَ سَاقِيَا [٦١]

١ ص : عن .

٢ ص : عام .

٣ ص : حواريا .

ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها في أوصاف مختلفات

له من قصيدة في وصف القيروان وقت فتنة العامة بها يقول فيها :

حالت علي القيروان بحالها عمّا عهدت العيش فهو منغص
فخرابها في كل يوم زائد وصباة المعمور فيها تنقص

ومنها :

إن كان أرخصني الزمان فلأنه أسدى إلي بضائعاً لا ترخص
أو كان غير من طبعي موضعي فالحمر إن تركت وعاءها تقرض
كيف الرجوع وطيرف حالي عائر وجناح آمالي الكسير مقصص

وله من أخرى :

ولما أن كساني الشيب ثوباً ولم يك وقت تغيير الثياب
أتاني غفلة والنفس فيها بقايا من عقابيل التصابي
وغصن شيبتي غصن نصير به ظمأ إلى ماء الشباب
ورام الناس مني ما يضاهي مشيبي في فيالي أو خطابي
ولم أقدم على وصل التصابي مخافة أن أدنسه بعاب
فداومت الندام فما أبالي بيالي إن تخطى عن صواب
فلن ظهر التصابي في يوماً أحلت به على فعل الشراب

وهذا من قول حسّان^١ .

نوليها الملامة إن ألمننا إذا ما كان مغث أو لحاء

وقال أبو الفضل :

ومُعْتَفٍ لي في المُقامِ ضرورة
ألقى الهوانَ بها وكم مِن عِزَّةٍ
جَهِلُوا على الإحسانِ فيها مَوْضِعِي
فكَأَنِّي القُرْآنُ عندَ مُعْطَلٍ
ما الدر يتقصُ فضله في بحرهِ
كلاً وليس المسكُ يبطلُ عَرفُهُ
ما عيبُ ضوءِ الشمسِ عند بزوغها
والليثُ لا ينسى استطالةَ بأسِهِ
أو ما ترى الدنيا بفقدِ ما ليكها

وله من أخرى :

وأعظمُ من مُصِيباتِ الليالي
يقابلُني بُودٌ مُستميلٍ
إذا عاتبتهُ أبدى مجوناً
ومن جعل السّمومَ له دواءً
علّيّ وصرفيها خيلَ خَوّونٍ
وبينَ ضلوعِهِ داءٌ دفينُ
وعِلّةُ ذلك العَتَبِ المجونِ
فيوشكُ أن يفاجئتهُ المنونُ

١ ديوان حسان ١ : ١٧ .

أَهْمُ بَأْنُ أَجَازِيهِ فَيَسْأَلُنِي
أَرَى هَذَا رَأْيَ الْكَلَامِ الْمُحَضِّ غَشًّا
وَلَمْ يُزْعِجْ زَيْرُ الْأَسَدِ حِلْمِي
أَيْطَعُ أَنْ يَشُقَّ غُبَارَ مُهْرِي
سَلِّ السَّمَرَ الذَّوَابِلَ مَا غَنَائِي
أَلَمْ أَجْعَلْ مُثَارَ النَّقْعِ بَحْرًا
عَلَى الْأَصْلُ وَالْعَرِضُ الْمُصُونِ
فَيَرُدُّ عَنِّي عَنِ الْغَتِّ السَّمِينِ
أَيَزْعِجُهُ مِنْ الْبَقِّ الطَّنِينِ ؟
ذَكِيلٌ تَحْتَهُ عَيْرٌ حَرُونِ ؟
إِذَا اشْتَجَرَتْ بِهَا الْحَرْبُ الزَّبُونِ
عَلَى أَنْ الْجِيَادَ لَهُ سَفِينُ ؟

وله من أخرى في صاحب الخيل ابن أذين من قصيدة طويلة ، منها
قوله :

وَأَعَذِبُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعُدْبِ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَطْطِيبُهُ الْغِنَى
وَمَنْ عَشِثَتْ نَفْسُهُ بِالْغِنَى
وَكَمْ طَسَمَ الدَّهْرُ مِنْ جَبَلَتِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا رَمَانِي الزَّمَانُ
عَلَيْقْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمُرْتَجَى
فَتَى لَوْ رَأَى الْبُخْلُ فِي نَوْمِهِ
وَلَوْ كَانَ طَيْفًا وَكَانَ الْكُرَى
فَمَا لِي أَرَى عِقْدَ إِحْسَانِهِ
وَلَمْ ذَمَّتْنِي عِنْدَهُ حَامِدُ
سَلَامَتُنَا الْيَوْمَ مِنْ ذِي سَلَمٍ
وَيَرْصُدُ طَيْفًا لَهُ أَنْ يَنْلِمَ
تَسَاوَى الْغِنَى عِنْدَهُ وَالْعَدَمُ
فَرْدٌ نَضَارَةٌ مَا قَدْ طَسَمَ
أَوْ كَادَ أَوْ هَمَّ بِي أَوْ عَزَمَ
فَأَمْسَيْتُ مِنْ صَرْفِهِ فِي حَرَمٍ
أَوْ الْجَبْنَ خُلُقًا لَهُ لَمْ يَنْسَمِ
طَرَوْقًا لَغَيْرِ الْعَلَا مَا أَلَمْ
تَبَدَّدَ مِنْ سِلَاحِهِ مَا نَظَمَ ؟
كَأَنَّ بِهِ جِنَّةً أَوْ لَمَمَ

وكلمني فاستزرت الصمم
ودادي فما لودادي فطم؟
ترعرع غيب عنه الحكم
وما قلت لي قط إلا نعم

بدا وجهه فاشتتهت العمى
وقد كنت ترضع در الصفا
كذا الطفل يرضع حتى إذا
يسألني الناس عما تقول

[وله] :

مدحاً يناسب أنواع الأماهير
أقلد الدر أعناق الخنازير

قالوا مدحت أناساً لا خلاق لهم
فقلت لا تعذلوني إني رجل

وقال :

وأنتم لي غير أجناس
أعدكم من بعض جلاسي [٦٢]
تعللنا من عدم الناس

ما إن^١ أرى قربكم صائباً
وما جلوسي عندكم أنتي
لكنني أجلس [ما] بينكم

وقال في رجل يعرف بابن كثير :

فكيف نرجيه من ابن كثير؟

وما الخير مما يرتجى في ابن واحد

وقال :

لا يطمع الطير فيه وهو مصلوب
والتمس من ظن أن التيس مخلوب

وكيف نرجو السحاب الجود من رجل
أصبحت أحلب تيساً لا مدر له

وقال :

١ ص : مالي إن .

يا لائماً عِمرانَ لا تُنْشِدَنَّ عَمْرُو بنَ كَلْثُومٍ ، أَلَا هُبِّي ،
طَمَعْتَ في كَلْبٍ فَدارَيْتَهُ ، وَالكَلْبُ من يَطْمَعُ في كَلْبٍ

**فصلٌ في ذكر طائفة من الشعراء المقلتين الطارئين على هذا الأفق من بلاد
المشرق ، مع ما يتصل بذكرهم من المعارف المفيدة**

منهم :

سليمان بن محمد الصقلي^١ : كان - فيما بلغني - من أهل العلم والأدب
والشعر . ووفد على هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة ، وقصد بمديحه
عيدة من الرؤساء ، وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء . ومما أنشدته له
في عذول قبيح قوله^٢ :

رأى وجهَ مَنْ أهوى عذولي فقال لي أجليكَ عن وجهٍ أراهُ كريها
فقلتُ له بل وجهُ حبيبي مِراءة^٣ وأنت ترى [تمثال] ^٤ وجهيك فيها
ومن شعره^٤ :

١ سليمان بن محمد الصقلي ترجمة في الجذوة : ٢٠٦ (بغية الملتبس رقم : ٧٦٤) وفي الخريدة
(١ : ٩٤) ترجمة لسليمان بن محمد الطرابلسي (اقرأ : الطراينشي أي من طرابلس بصقلية)
وذكر أنه دخل إفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها واتخذها لمخالطة ملوكها سكناً ،
وليس من المقطوع به أن يكون هو نفسه المترجم به عند ابن بسام ، وانظر مسالك الأبصار
١١ : ٤٥٤ والمكتبة الصقلية : ٥٧٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٥ .

٢ الجذوة : ٢٠٨ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زيادة من جذوة المقتبس .

٤ الجذوة : ٢٠٨ .

تَقَلَّبَ دهرنا فالصقرُ فيه يُطالِبُ فضلَ أرزاقِ الحمامِ
على الدنيا العفاءُ فقد تناهى تسرَّعها إلى أيدي النّامِ
وما النعماءُ للمفضولِ إلّا كمِثْلِ الحِلْيِ للسيفِ الكَهَمِ
ذَريني أجعلِ الترحالَ سِلْكَاً أنظِّمُ فيهِ ساحاتِ المَوامي
فلإني كالزُّلالِ العَذْبِ يُؤْذي صفاهُ وطعمه طولُ المُقامِ

وهذا المعنى مشهور . وقد مرَّ منه في تَضاعيفِ هذا التصنيفِ كثير ،
كقولِ بعضِ أهلِ عصرنا ^١ :

مَلَلْتُ حِمَصَ وَمَلَّتْنِي فَلَوْ نَطَقْتُ كما نَطَقْتُ تَلاحِينا على قَدَرِ
وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفارقَها والماءِ في المِزْنِ أَصْفى مِنْهُ في الغُدرِ
وكذلك قوله : « بَلْ وَجْهُهُ حَبِيبِي مِرْءاةٌ » معنى مُتداول ، منه قول
يوسف بن هارون الرَّمادي ^٢ :

وإذا أرادَ تَتَرُّهاً في رَوْضَةٍ أخذَ المِراةَ بِكَفِّهِ فَأَدَارَها
وقال الآخر ^٣ :

أنا كالمِراةِ ألقى كلَّ وجهٍ بِمِثالِهِ
وقال العباسُ بنُ الأحنف ^٤ :

١ هو الأعمى التطيلي ، انظر ديوانه : ٤٥ .

٢ الشريشي ٤ : ٨٧ .

٣ لابن الرومي في تشبيهات ابن أبي عون : ٢٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٢٨٠ والشريشي ١ : ٣٠ .

همتْ بِإِتْيَانِنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ نَهَاهَا وَجْهَهَا الْحَسَنُ

ولبعضِ المصريين^١ في غُلامٍ كان يتهواه ، مما يَنْتَظِرُفُ معناه^٢ :

يَجْرِي النِّسِيمُ عَلَى غِلَالَةٍ^٣ وَجْهَهُ وَأَرْقُ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاوَلَتْهُ الْمِرَاةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَعَكَسَتْ فِتْنَةً نَاطِرِيَهُ إِلَيْهِ

ورأى أبو الحسن السَّلَامِي فِي يَدِ غُلَامٍ يَحْمِلُ إِلَيْهِ مِرَاةً فَقَالَ^٤ :

رَأَيْتُهُ وَالْمِرَاةُ فِي يَدِهِ كَأَنَّهَا شَمْسٌ عَلَى مَلِكٍ
فَقُلْتُ لِلصُّورَةِ الَّتِي احْتَجَبَتْ مِنْ غَيْرِ زُهْدٍ فِيهَا وَلَا نُسُكٍ
يَا أَشْبَهَ النَّاسِ بِالْحَبِيبِ أَلَا تُخْبِرُنَا عَنْكَ غَيْرَ مُؤْتَقِنِكَ
قَالَ أَنَا الْبَدْرُ زَرْتُ بِدَرَكَمٍ وَهَذِهِ قِطْعَةٌ مِنْ الْفَلَكَ
قُلْتُ فَلَمَّا أَرَى بِهَا صَدَأً فَقَالَ هَذَا بَقِيَّةُ الْحُبِّكَ

١ ص : أهل المصريين ، وقد صوبته اعتماداً على ما يرد في الحاشية التالية .

٢ البيهتان لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (وجده يونس ابن عبد الأعلى صاحب الفقيه المصري عبد الله بن وهب) وكان عالماً بالنجوم (انظر القفطي : ٢٣٠ وحسن المحاضرة ١ : ٥٣٩) وقد ذكره صاحب زهر الآداب وقال : وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن وطبع صحيح وحوك مليح (٦١٣) وأورد نماذج من شعره وفيها البيهتان (٦١٤) وعند التوطئة لذكره قال : وقال بعض أهل العصر ، ويبدو أن ابن بسام اضطرب في النقل ، فالشاعر بعض أهل العصر بالنسبة للحصري صاحب زهر الآداب ، لا بالنسبة لابن بسام ، وبعد أن أدرك ذلك رجع على « أهل » وحول لفظة العصر إلى « المصر » يين ، ولا وجه يسوغ أن يقال أهل المصريين ، وانظر الشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زهر الآداب : غلال .

٤ اليتيمة ٢ : ٣٩٧ .

وذكرتُ بذكره المرأة قولَ القراطيبي الكوفي ^١ ، وهي أبياتٌ يتداولها
القوَّالون :

ما تَنقُضي مِن عَجَبٍ فكري	في خَصَلَةٍ فرطَ فيها الولاهُ
تَرَكَ المحبينَ بلا حاكمٍ	لم يُقعدوا للعاشقينَ انقُضاهُ
وقد أتاني خبرٌ ساءني	مقالُها في السرِّ : واستَوَّأناهُ
أمِثِلُ هذا يَبْتَغي وصلنا	أما يرى ذا وجهه في المراهُ !

قال القراطيبي ^٢ : وقلتُ يوماً للعباس بن الأحنف : هل أَلَمْتَ بهذا
المعنى ؟ فأَنشدني لنفسه :

جاريةٌ أعجبها حُسْنُها	ومِثْلُها في الناسِ لم يُخلَقِ
خبرْتُها أَني مُحِبٌّ لها	فأقبلتُ تَضْحَكُ من منطقي
والمتفتتُ نحوَ فتاةٍ لها	كالرُشْمِ الوسنانِ في قُرْطِ
قالتُ لها قولي لهذا الفتي	أنظُرْ إلى وَجْهِكَ ثم اعشَقِ

وحَدَّثني الفقيهُ أبو بكرٍ بنِ الوزير الفقيهِ [أبي محمد ابن] العربي ^٣ ؛
قال : حَدَّثْتُ عن الفقيهِ أبي عبد الله الحُمَيْدِيِّ عن سليمان بن محمدٍ

١ هو اسماعيل بن معمر القراطيبي الكوفي وكان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية (انظر ترجمته
في الورقة : ١٩١ - ١٠٢ والأغاني ٢٣ : ٧٢ وأبواب التي ذكرها ابن بسام وردت في
المصدرين المذكورين والشريشي ٤ : ٧٧) .

٢ انظر المصدرين السابقين ، وديوان العباس : ٢٠٣ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ وردت القصة في الجذوة : ٢٠٦ مع اختلافات يسيرة في العبارة وبدائع البدائع : ٣٤٨ .

الصَّغْلِي . قال : كان بُسُوسَةَ إفريقيةَ رجلٌ أديبٌ ظريفٌ يَهْوِي غلاماً
 جميلاً من غلمانها . واشتدَّ كلفُهُ به . ففتجنى الغلام عليه ، فبيَّناه
 ذاتَ ليلةٍ يشربُ مُتَفَرِّداً وقد غَلَبَ عليه السُّكْرُ خَطَرَ بِيالِهِ [٦٣] أن
 يأخذَ قَبَسَ نارٍ فيحرقَ به دارَهُ . ففعلَ وجعلهُ عند بابِ الغلام فاشتعل
 ناراً ، فاتَّفَقَ أنْ رآه بعضُ الجيرانِ فأطفأهُ : فلمَّا أصبحَ حُمِّلَ إلى القاضي
 فسأله لِمَ فعلَ ذلك ، فأنشأ يقول :

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فَوَادِي
 وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بَدَأَ وَلَا مُعِينًا عَلَى السَّهَادِي
 حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِيَابِهِ حَمَلَةً الْجَوَادِي
 وَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارٍ قَلْبِي أَقْلُ فِي الْوَصْفِ مِنْ زَنَادِي
 فَاحْتَرَقَ الْبَابُ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْ مُرَادِي

فاستظرفه قاضي البلد : وتحمل عنه ما أفسد .

قال الحميدي^١ : وكنتُ أظنُّ أن هذا المعنى ممَّا تفردَ به هذا القائل
 حتى أخبرتُ أن نصرَ بنَ أحمدَ الخبزرُزِّي^٢ دخلَ على أبي الحسن^٣ ابنِ المثنى
 في إثرِ حريقِ المربد ، فقال له : هل قلتَ في هذا شيئاً ؟ فقال : ما قلتُ ،
 ولكن أنشيدك ارتجالاً ، وجعلَ ينشيدُ هذه الأبيات :

١ انظر الجذوة : ٢٠٧ ، والأبيات في بدائع البداه : ٣٤٨ .
 ٢ كان الخبزرُزِّي (- ٣٢٧) شاعراً أُمياً يخبزُ خبزَ الأرزِ بمرصدِ البصرة في دكان ، وينشد
 أشعاره فيحتشد الناس حوله لسماعها (ابن خلكان ٥ : ٣٧٦ وفي الحاشية مصادر أخرى) .
 ٣ الجذوة : الحسين .

أَتَتَكُمُ شُهُودُ الْوَرَى تَشْهَدُ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجْهَدُوا
 فِيَا مِرْبِدِيَتُونَ نَاشِدَتُكُمْ عَلَى أَنِّي مِنْكُمْ مُكَمَدُ^١
 جَرَى نَفْسِي صَعْدًا نَحْوَكُمْ فَمِنْ حَرِّهِ احْتَرَقَ الْمِرْبِدُ
 وَهَاجَتِ رِيَا حُ حَنِينِي لَكُمْ فَظَلَّتْ بِهَا نَارُكُمْ تَوْقَدُ
 وَلَوْلَا دَمُوعِي جَرَّتْ لَمْ يَكُنْ حَرِيقُكُمْ أَبَدًا يَخْمَدُ

فصل في ذكر الأديب أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني^٢

من جملة من وفد أيضاً على البلد في ذلك الأوان : وكان الغالب على أدواته علمُ اللسان ، وحفظُ الغريبِ والشعرِ الجاهلي والإسلامي ، إلى المشاركة في أنواعِ التعاليم ، والتصرف في حَمَلِ السِّلاح . والحِذْقِ بِالآلَاتِ الجُنْدِيَةِ : والنفاذِ في معاني الفروسية ؛ فكان الكامل في خلالِ جمعة . طرأ

١ الجذوة : مجهد .

٢ لثابت الجرجاني ترجمة في الجذوة : ١٧٣ (بغية الملتبس رقم : ٦٠٢) والصلة : ١٢٥ والاحاطة ١ : ٤٦٢ (وفيه نقل عن الذخيرة) . وبغية الوعاة : ٢١٠ ومجمع الأدباء ٧ : ١٤٥ ؛ ولد ثابت سنة ٣٥٠ ودرس ببغداد على عبد السلام البصري والربيعي وابن جني ، لقي أوهما ببغداد سنة ٣٧٨ ، ثم هجر إلى الأندلس . وأخذ عنه الاندلسيون شرحه لجمال الزجاجي (فهرست ابن خير : ٣١٥) ودرس عليه بعضهم حماسة أبي تمام (٣٨٧) ؛ وقد كانت صلة ابن حزم به وثيقة إلا أنه يشير إليه في الفصل (١ : ١٧) باسم « أحد الملحدين » ونعله أثر في ابن حزم بمعرفة المنطقية واتقانه للتعاليم ؛ غير أنه حين التحقق بباديس بن حبوس تورط في شؤون السياسة ولحقته تهمة التدبير ضد باديس مع ابن عمه يدير فقتل سنة ٤٣١ وفي الاحاطة تفصيل واف بمحتنه وخبر مقتله نقلا عن كتاب المتين لابن حيان .

على الجانب^١ منذ صدر الفتن للذائع من كرمه ، فأكرم نزلته ، ورفع من شأنه ، وأصبحته ابنة المرشح - كان - لسلطانه . فلم ينزل له بها المكان المكين إلى أن تغير عليه يحيى بتغير الزمان ، وتقلب الليالي والأيام بالإنسان ، ففارقه ولحق في غرناطة بعسكر البرابرة ، فحلت به من أميرهم باديس الفاقرة .

ووجدت بخط الفقيه أبي محمد بن حزم ، قال^٢ : إن أول من لقي من ملوك الأندلس مجاهد العامري المتقدم الذكر ، فأكرم نزلته وأنيس به ، وسأله يوماً عن رفيق له رآه معه ، فقال الجرجاني :

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا وقد يلتقي الشتي فيأتلقان

قال أبو محمد بن حزم : ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح فأخبرني عن بعض شيوخه أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحدثان ، فقال لأحدهما من أين أنت؟ قال من اسبيجاب ، وسأل الآخر فقال : من الأندلس ، فعجب ابن الأعرابي من ذلك وأنشد البيت المتقدم .

ثم أنشدني هذه المقطوعة^٣ :

١ الاحاطة : الحاجب ، والسياق يشير إلى أنه طرأ على علي بن حمود الحسني ، ولم يكن علي حاجباً ، بل خليفة ، ثم اتصل بعده بابنه يحيى .

٢ انظر الجذوة ومجمع الأدباء .

٣ لم يرد في ص منها إلا بيتان هما الأول ، والشرط الأول من الثاني والشرط الثاني من الرابع ، وهذا الاضطراب يستدعي تصحيحها ، كما أن قوله « مقطوعة » يعني أنه أورد ما يزيد على بيتين .

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ يَحْمَنِيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانٍ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّتْرِ دُونَهَا [لَايَةً أَرْضٍ أُمٌّ مِنَ الرِّجْلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا رَفِيقِي فَقَوْمَهُ تَحْمِيمٌ وَأَمَا أُسْرَتِي فِيمَسَانِ
رَفِيقَانِ شَتَّى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا] وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

قال ابنُ حَزَمٍ^١ : وأخبرني أبو الفتوح الجُرْجَانِي ، قال : أخبرني
عليُّ بن حمزة [ان القصيدة التي أوَّلَهَا « هَذَا بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّجْتُ رَسِيصًا »
قالها المتنبي في محمد بن زريق] وكييل زوامل^٢ ابن الزيات صاحب طرسوس^٣
وأَنَّهُ وصله عليها بعشرة دراهم ، فقليل له إنَّ شِعْرَهُ حسن ، قال : ما أدري
أَحْسَنُ هُوَ أَمْ قَبِيحٌ ، ولكنِّي أَزِيدُهُ عَشْرَةَ أُخْرَى ؛ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ عَلَيْهَا
عَشْرِينَ دِرْهَمًا .

فصلٌ في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي

أحد أضياف بن ذي النون

قال ابن بَسَّام : ولم يقعْ إليَّ من شعر هذا الرجل إلاَّ قصيدةٌ من جملة
قصائدٍ لغير واحد ، أنشِدْتُ للمأمونِ يحيى بن ذي النون ، سنة خمسٍ
وخمسين في صنيعٍ احتفلَ فيه لإعْذارِ حفيده حسبَ ما أَصِفُهُ : وقصيدةُ
السوسي في ذلك طويلة ، منها قوله :

١ الجذوة ومعجم الأدباء .

٢ الجذوة : الناظر في زوامل .

٣ ص : طرسوس .

لَمَّا بَنَيْتَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مَا جَاوَزَ الْجُوزَاءِ فِي الْإِجْلَالِ
أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي بِنَاءِ مُكْرَمٍ مَا دَارَ قَطَّ لَأْمِلٍ فِي بَالٍ
لَوْ زَارَهُ كَسْرَى أَنْوَ شِرْوَانَ لَمْ يَبْصُرْ إِلَى الْإِيْوَانِ لِحِظَةِ مَبَالٍ^١
يَا سَاقِيَّ الصَّبَاءِ أَيْنَ كِبَارُهَا قَدْ لَذَّ وَرْدُ الْقَهْوَةِ السَّلْسَالِ
لَعَذَارُ يُحْيِي أَبْهَجَ الدُّنْيَا وَبَيِّنَ عُدَّتَنَا فِي نَحْوَةِ الْمُخْتَالِ
حَشَدَ السَّرُورِ لَنَا طَهُورُ مُطَهَّرٍ مِنْ عَائِرِ الْجُبْنَاءِ وَالْبُخْتَالِ
عَرَضَ مِنَ الْآلَامِ يَجْلِبُ صِحَّةً وَطَقِيفُ نَقْصٍ فِيهِ كُلُّ كَمَالِ
انتهى ما كتبتُه منها .

ونذكر بعقبها ما تعلق بسببها فصلاً لابن حيَّان في وصف ذلك الصنيع الذَّنُوفِي، دلَّ به على [٦٤] براعته، وأعربَ به عن موضعه من صناعته . وسيمرُّ أثناءه ذكرُ شعراء من هذه الطائفة الطارئة وسواها ، لانتظام كلام ابن حيَّان إياها . فمنهم من ذكُرْتُ في هذا الموضع بارِعَ أشعاره ، وجرَّدْتُ فصلاً من كتابي في مُسْتَطَرَفِ أخباره ، ومنهم من فاتَ دَرَكي ، ولم يَعلُقْ بشركي ، فاقتصرْتُ في هذا الفصل على ذكره ، وأثبتُها هنا ما وقعَ إليّ من شِعْره . وكان غيرُ السَّوسِي منهم أحقَّ بالتقديم كحمَّد بن شَرَفٍ وسائر طَبَقَتِهِ ، ممَّن هو أعصفُ^٢ في البيانِ رِجاً ، وأكثرُ عن الإحسانِ تَصْريحاً ، ولكنَّ وصلنا هذا الفصل بخبر هذا الرجل إذ لم يكن له في سواه آية تُتلى ، ولا حَسَنَةٌ تُجَنَّتلى .

١ ص : موال .

٢ ص : أعطف .

قال ابن حبان : كتب إليّ الأديبُ ابنُ جابر ، قال : احتفلَ المأمونُ
 ابنُ ذي النُّونِ في مدّةٍ إعداريّ حفيده يحيى فحشدَ أمراءَ البلاد ، وجُملةُ
 الوزراء والقوادر ، فأقبلوا إليها كالقِطَا القاربِ أرسالا ، وقد رسمَ لخدمتهِ
 في توسيعِ مشاربِ هذا الإعدار ، وإرغادِ موائده . وتكميلِ وظائفه ،
 وإذكاءِ مطابخه ، رُسوماً انتهوا فيها إلى حدّه . وشقّقَ عليها جيوبَ
 أكياسه ، وأمرَ بالاستكثارِ من الطّهارةِ والإتاقِ للقُدور ، والإتراعِ للجفان ،
 والصّلّةِ لأيامِ الطعام ، والمشاكلةِ بينِ مقاديرِ الأخبازِ والآدام ، والإغرابِ
 في صنعةِ ألوانها مع شِيابٍ^١ أباريقها بالطّيوبِ الزكيّة ، والقيرانِ فيها
 بين الأضدادِ المخالفةِ ما بين حارٍّ وبارد ، وحُلِيٍّ وحامضٍ ، والمماثلةِ
 بين رائقِ أشخاصها وبينَ ما تُودَعُ فيه من نفائسِ صحافِها ، والاستكثارِ
 لها من أنواعِ الحلاوةِ المجيرةِ^٢ للميعدِ من داءِ الإلتخام ، وتجاوزِ عسليّتها
 إلى السكر . فجاعوا في ذلك كلّهُ بأمرِ كُبارِ أبيدَتْ لمطابخه أُمَمٌ من الأنعام ،
 جمع فيه بينَ المشاءِ^٣ والطّيّارِ والعَوّام . وانتُسِفَتْ لمخابزه أهراءُ مِن
 الطعام ، وأنفِقَتْ على مجاميره ومعاطيره جُمَلٌ^٤ مِن الأموالِ الجِسام ،
 فاغتدى جماعاً^٥ لداعي أهلِ الإسلامِ العِظام .

وشرفَ المأمونُ بالاشتراكِ مع تطهيرِ حفيده يحيى صبياناً من بني
 أصحابه ، وبدأ بحفيده قبلهم ، فكان أسكنَ مَنْ حُنِفَ معه جاشاً ، وأقلّتهم

١ ص : شباب .

٢ ص : المجيرة .

٣ ص : الشا .

٤ قد تكون صورة اللفظة أقرب إلى « جماعاً » .

زَمَعًا^١ ، وإنَّه مثنى - زعموا - إلى الحديد مشيَّ البطل النجيد ، ومكَّن الخائن من عضوه فأعانه على إحكام صنعه ، وسوَّى خِتانَه . وخفَّف آلامه ، وأوشك إفراقه^٢ ، فخلص من مِحنته هذه الشرعيَّة ، خلوصَ صادر السِّهام المُصمى للرميَّة ، فسُرَّ ابنُ ذي النونِ وشامَ بَرَقَ الأُميَّة : فعند ذلك أذكى نيرانَه ، وأنضجَ أطعمته ونصبَ موائده ، ودعا الجفلى إليها ، ولم يُفَسِّحْ لأحدٍ التخلُّفَ عنها . فاكتملت الأطعمة ، وفُتحت الأبواب ، وسُهِلَ الحِجاب . ورُفِعَت السُّتور ، وجُلِيت المقاصير ، وزُيِّنَت القصور ، وأقيمت المراتب . ووكلَ بكلِّ قسمٍ منها كبير من وجوه الخدمة ضُمَّ إليه فريق من الأعوان والوزَّعة . يتصرَّفون بأمره ، ويَقفون عند حدِّه ، قد أخذوا بخفض الأصوات مع سرعة الحركات وحثَّ الأقدام ، فصار من بديع ذلك الصَّنيع الفخْم أنْ لم يعلُ فيه صوت ، ولا تُشكِّي منه فوت^٣ ، فطال العجَب من استوائه في مثل ذلك المشهد .

قال ابنُ حَيَّان : ولما بكرت أفواجُ عِليَّةِ الناس إلى باب القصر مُستَبقين ، وغَشِيتهُ زُمُرُهُم وزرافاتُهُم مُبتدرين ، أنزلوا عن دوابهم عند باب المنصب الأول ، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم ، فمشوا وقد حقَّهم سراةُ الصُّقلِ الحِصيان ، وخَوَاصُّ الحِشَمِ والغِلَمان ، فأجلسوا في الدار الأولى ذات الخائر الرِيَّان . فلما اكتملوا أدخلوا إلى المجلس الكبير . فلما استقرَّ فيه جمعُهُم خرجت تسميةٌ من الأمير المأمون بإدخالِ القضاة

١ حنف : في هذا الموضع بمعنى ختن ؛ والزعم : القلق والجزع .

٢ ص : اقرافه ؛ والافراق : البرء ؛ وكل طليق أفاق من علته فقد أفرق .

٣ ص : قوت (ولها وجه إذا أغفلنا السجع الدقيق) .

والفُقهاء والعُدول ومن يليهم من كبار الناس : دعاهم لذلك ذو الوزارتين أبو [عامر بن] الفرج^١ : فقاموا والسكينة عليهم . يقدمهم قاضي القضاة أبو زيد بن عيسى القُرطُبي^٢ . فأدخلوا بتكريم على تُؤدّةٍ ورفق ، وجيء بهم إلى الدار الكبرى الثانية ذات الساحة الواسعة الزاهرة ، ثم وصلوا إلى مجلس قد فُرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب . وسُدت فوق حناياه سُتُورٌ من جنسه تكاد تلتصق الأبصارَ بنصاعة ألوانها وإشراق عقيانها . وقد جلس لهم الأمير المأمون في جانب منه ، وحفيده في جانب آخر ، فأكبَّ الناسُ عليه يهنئونه ، ويلثمون أطرافه ، ويتناغون فيما قد روّوا وابتدعوا ، وهوى شملهم بإقبال طرفه ، ويعمّتهم بإجمال رده ، فينشئون منه إلى حقيقده [٦٥] يدعون له . ثم عدل بهم إلى مكان الأطعمة في المجلس الأول - على ذات اليسار من تلك الدار - الواسع القطر الرَّحْبِ الأبواب ، وقد فُرش بالوطاء التستري ، وعُلِّقت على أبوابه وحناياه سُتُورُ الطميم^٣ المثقلة ذات الصُور المُقيّدة للألحاظ ، وقد مُدَّت فيه صنوفُ الطعام . فأمنعت هذه الطائفةُ في الأكل ازدِقاماً وسرطاً ، واختصاماً وقَضماً ، وانتهالاً وعلاً .

١ ص : أبي الفرج ؛ وقد كان أبو عامر بن الفرج وزيراً للمأمون بن ذي النون ثم لابنه القادر (المغرب ٣٠٣:٢) وترجم له ابن بسام في الذخيرة ١٠٣:٣ ؛ وذكر في المطمح : ١٥-١٦ باسم «أبو الفرج» ، وانتقل هذا الخطأ إلى نفح الطيب ٣ : ٥٤٢-٥٤٣ . واستمر الخطأ في الفهرسة كذلك .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو زيد بن الحشا القرطبي الأصل ، اسقضاء المأمون ابن يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد بن صاعد في الخمسين والأربعمائة ، وحمله أهل طليطلة في أحكامه وحسن سيرته ، ثم صرف عنها في سنة ستين وصار إلى طرطوشة واستقضي بها ثم صرف واستقضي بدانية وتوفي فيها سنة ٤٧٣ (الصلة : ٣٢٥) .

٣ الطميم : الثقيل (massif) في معجم دوزي ، ولعل المراد هنا أن يكون نوعاً من القماش الثقيل .

ووصفاء الموائد الخاقون من حولهم يطردون الأذبة عن مجلسهم بطوال المذابّ البديعة الصنعة ، المُقَمَّعة الأطراف بفاخر الحلية . ولما مضى لهم صدرٌ من أكلهم ، نجمَ لهم الأمير المأمون قائماً فوق رؤوسهم . مُتَهَمِّماً بشأنهم ، مُبالِغاً في تكريمهم ، قد حَفَّ به أدواء الوزارة وأهلُ الخدمة وأكابرُ الفتيان وأعظمُ القُواد قائمين بقيامه . ولما قضى وطراً من القيام بمكارمتهم صدرَ راجعاً إلى مرتبته .

ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم . وقد فُرش أيضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب ، وعُلِّقت فيه ستورٌ مثقَلَةٌ ممائلةٌ^١ ، فأخذوا مجالسهم منه ، وناولهم الوُصفاء الطائفون بهم رفيعَ النقاويات^٢ والذرائرَ المُطَيِّبات في الأقداح والأشنانادات^٣ الفِضيات المُحكَّمة الصناعات ، كادت تُغنيهم بطيبها عن الغسل . ثم أدنى إليهم لِشَرِّ ذلك الوضوء في أباريق الفضة المُحكَّمة الصنعة ، يصبّون على أيديهم في طُسوس الفضة المُمائلة لأباريقها في الحسن والحلالة ، فاستوعبوا الوضوء وأدّيت من أيديهم مناديلٌ يتضاؤل لها ما عليهم من سنيّ الكُسوة . ثم نُقلوا إلى مجلس التطيب أفخم تلك المجالس ، وهو المجلس المُطل على النهر العالي البناء ، السامي السناء ، فشرع في تطيبهم في مجامر الفضة البديعة بفلقِ العودِ الهندي ، المشوبة بقطع العنبر الفُستقي ، بعد أن نُدّيت أعراض

١ إعجام هذه اللفظة مضطرب في ص ؛ والسياق يدل على أنواع من الأدوات التي تتخذ لغسل الأيدي كالصابون وغيره . وعند دوزي أن « نقاي » تعني منشفة ولكن يبدو أنها ليست من استعمال الاندلسيين .

٢ ص : والأشنان ، وهو مادة مطيبة لغسل الأيدي بعد الطعام ، ولكن المقصود هنا هو الأوعية التي تحتوي الأشنان وهي الأشنانادات .

فياهم بشآبيب ماء الورد الجهوري ، يُصَبُّ فوق رؤوسهم من أواني الزجاج
المجلود^١ ، وفيآشات^٢ البلّور المحفور ، ثم أدنّى إليهم قوارير المها^٣
المحكّمة الصنعة ، الرائقة الهيئة ، قد أترعت بالغوالي الذكيّة ، النّامة
بسرّها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التّبتّي ، ومحض العنبر
المغربّي ، لاعم بينها رشح البان البرمكي^٤ ، فتناولوا من ذلك حتى لأقطرت
سبأهم ذوبآنا ، وأعادت شيبهم شيآنا . فلما استتمّ هؤلاء الخلّة نعيم
يومهم ، من طعمهم وطيبهم ، أقيموا للدخول على المأمون ، فسلموا
عليه ، ودعّوا له . فأقبل عليهم أحسن قبول ، وردّ أجمل ردّ ، وأمر
بإدخالهم إلى سيّد مجالسه المسمّى المُكرّم ، نتيج همته ، وبديع حكمته ،
السائر خبره ، الطائر ذكره ، المعلوم نظره^٥ ، ليُمتعوا أبصارهم بالنزّهة ،
ولم يكن أكثرهم رآه إلى يومهم ذلك مع علوق^٦ وصفه بخواطرهم ، فلما
رآوه صغّر عندهم ما كانوا يستكبرونه من وصفه ، ورجّعوا أبصارهم
فيه ، ونبه بعضهم بعضاً على دقائق معانيه .

قال ابن حيان ، قال ابن جابر : وكنت ممن أذهلته فتنه ذلك

١ من معاني « المجلود » : المقطوع (فلعله يعني زجاجاً مخروطاً على أشكال) أو زجاجاً ملوناً
لأن فيه جدداً (طرائق) من الألوان .

٢ الفياشات (في الأندلس والمغرب) : جمع فياشة وهي القنينة *bouteille, flacon* ، قاله دوزي .

٣ المها : البلور .

٤ عند دوزي : البخور البرمكي ، ولكنه لم يملل هذه التسمية ، وعند ابن الحشاش (١٧)
بان : شجر معروف بالشرق ويجلب ثمره ودهنه . ولعل وصفه بأنه برمكي مبالغة في
تقدير جودته .

٥ ص : ذكره ؛ والنظر والتظير بمعنى .

٦ ص : علو .

المجلس ، وأغرب ما قيّدَ لَحْظِي من بهي زُخْرَفِهِ الذي كاد يَحْبِس عيني عن التّرقّي عنه إلى ما فوقه لِإزاره الرائع الدائر بأَسَته حيثُ دار ، وهو مُتَّخِذٌ من رفيعِ المَرَمَرِ الأبيضِ المسنون ، الزّائريّةِ صفحاته بالعاجِ في صِدْقِ الملاسةِ ونِصاعةِ التّلوين ، قد خُرِّمَتْ في جُثمانه صُورٌ لبهائمِ وأطيّارِ وأشجارِ ذاتِ ثمار ، وقد تعلّق كثيرٌ من تلك التماثيلِ المصوّرة بما يليها من أفنانِ أشجارِ وأشكالِ الثمر ما بين جانٍ وعابث ، وعَلِقَ بعضها بعضاً بين مَلَاعِبٍ ومُثاقِفٍ ، تَرنو إلى مَنْ تَأَمَّلَهَا بِالْحَظِّ عاطِفٍ ، كأنها مُقْبِلَةٌ عليه ، أو مُشِيرَةٌ إليه : وكلُّ صورةٍ منها مُنفردةٌ عن صاحبتها ، مُتميِّزةٌ [من] شِكْلِهَا ، تَكَادُ تُقَيِّدُ البَصَرَ عن التّعالي إلى ما فوقها . قد فَصَّلَ هذا الإزارَ عَمَّا فوقه كِتَابُ نَقْشِ عَرِيضِ التّقدير ، مُخَرَّمٌ مَحْفُورٌ ، دائِرٌ بالمجلسِ الجليلِ من داخله ، قد خَطَّه المِنقارُ أَيْنَ مِنْ خَطِّ التّزوير ، قائمٌ الحُرُوفِ بَدِيعُ الشّكْلِ ، مُسْتَبِينٌ على البُنعْدِ ، مَرْقُومٌ كُلُّهُ بأشعارِ حِسان ، قد تُخَيَّرَتْ في أُمَادِيحِ مُخْتَرَعِهِ المأمون . وفوقَ هذا الكتابِ الفاصلِ في هذا المجلسِ بُحُورٌ مُنْتَظِمَةٌ من الزّجاجِ الملوّنِ المُلبَّسِ بالذهبِ الإبريز ، وقد أُجريت فيه أَشْكالُ حيوانٍ وأطيّار ، وصورُ أنعامٍ وأشجار ، يُذهِلُ^٢ الألبابَ [٦٦] وَيُقَيِّدُ الأبصارَ . وأرضُ هذه البحارِ مَدْحُوةٌ من أوراقِ الذهبِ الإبريز ، مُصَوَّرةٌ بِأَمْثالِ تلك التّصاوِيرِ من الحيوانِ والأشجارِ بِاتِّقَنِ تَصْوَِيرٍ وَأَبْدَعِ تَقْدِيرِ .

قال : ولهذه الدارُ بُحَيْرَتَانِ ، قد نُصِّتْ على أركانِهما^٣ صُورُ أُسُودٍ

١ ص : ذلك .

٢ ص : يذل .

٣ ص : أركانها .

مَصْوَغَةٌ من الذهب الإبريز أحكم صياغة . تتخيّل اتّاملتها كالحة الوجوه
 فاعرة الشدوق ، ينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء هَوْنًا كَرَشِيش
 القطر أو سُحَالَةِ اللَّجَيْن . وقد وُضِعَ في قعر كل بحيرةٍ منهما حوضٌ
 رُخَامٌ يُسَمَّى المَذْبَح ، مَحْفُورٌ من رَفِيع المَرمر ، كبيرُ الجِرْم ، غريبُ
 الشكل ، بديعُ النّقش ؛ قد أبرزت في جَنَبَاتِهِ صُورُ حيوانٍ وأطيّارٍ وأشجار ،
 وينحصر ماؤهما^١ في شَجَرَتِي فِضَّةٍ عَالِيَتِي الأَصْلين ، غَرِيبَتِي الشكل ،
 مُحْكَمَتِي الصَّنعة ، قد غُرِزَتْ كل شجرةٍ منها وسط كل مَذْبَحٍ بأدقِّ
 صِنَاعَةٍ ، يترقى فيهما الماء من المَذْبَحَيْن فيَتَصَبُّ من أعالي أفنانيهما انصباباً
 رذاذ المطر أو رَشَاشِ التندية . فتحدث لمخارجِهِ نِغَمَاتٌ تُصْبِي النفوس ،
 ويرتفعُ بذِرْوَتِهَا عمودُ ماءٍ ضخم مُنْضَغَط الاندفاع ، ينساب
 من أفواهها ويُبَلِّلُ أَشْخَاصَ أَطْيَارِهَا^٢ وثمارها ، بآلسنة كالمباردِ الصقيّة ،
 يقيّد حُسْنَهَا الأُلْحَاطَ الثاقبة ، ويدع الأذهانَ الحادّةَ ككَيْلَةٍ .

قال ابنُ حَيَّان : إلى هذا المكانِ انتهى تلخيصي ووصفي ، وهو
 جَلَلٌ عند قِيرانِهِ بموصُوفَاتِهِ ، ووَشَلٌ عند إضافَتِهِ إلى مغموضاته^٣ .
 وأبرأ من عَهْدَةِ التّقصيرِ فيه ، وأنهيجه لِمَنْ تَعَاطَى الاقتدارَ على الإبداعِ
 في وصفه :

قال : وتوالى إطعامُ أفواجِ الناسِ في ذلك الإعدار ، مجلساً بعد آخر ،

١ يعني ماء حوضي المذبحين ، وفي ص : منها .

٢ ص : أشخاصها طيارها .

٣ كذا في ص ، ولعل مغموضاته هنا تعني أسرارها فيكون كلامه وشلا بالنسبة إلى أسرار ذلك
 الصرح العظيم .

أياماً متوالية . حتى استدعِيَ له من بقايا أصناف الناس وأدوهم حتى
الجفلى ، وأزعجوا إلى النعيم الذي لا عهد لهم به ، دخلوا على التخليق ،
وحفظوا من ضنك المضيق ، وأوسعت مآكلهم من غليظ ورقيق ،
فالتهموا وازدروما^١ ، ونهلوا وعلتوا ، ووضثوا وطببوا .

مجلس الأنس

قال ابن حيان : وذهب المأمون إلى تميم تكريم زواره من رجال
الأمراء الذين استحضروهم يومئذ لشهود فرحتهم ، بمشاهدة مجلس خلوته ،
وتنعيم أسماعهم بلذات أغانيه ، وقد علم أن فيهم من يرخص في
التبذير ولا يسوغ له نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيسهم ،
فاحتفل لهم في مجلس قد نُضِدَ ، وأحضر فيه جميع آلات الأنس . فلمّا
استوى بالقوم مجلسهم ، وأشرأبوا إلى الأخذ في شأنهم ، قرب إليهم
أطعمة طيوريت^٢ جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص^٣ والأشربة
والطباهج^٤ ، موائد مترعة اتخذوها بسطاً لنبيذهم . ثم انثنوا إلى الشراب
ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت
نوبة المغنين زمرأ ، فهاجوا الأطراب ، واستخفوا الألباب ، ونقلوا
الطبّاع فجاءوا بأمر عجاب ، بدّتهم فيه سابق حلتبتهيم ، المحسد من

١ ازدروما : ابتلعوا ، وفي اللسان الازدرا : الابتلاع (إلا أنه جاء في مادة : زردم) .

٢ ص : طنورية ، واستبعد أن تكون لغة في « تنورية » إلا أن يكون ذلك وهماً من الناسخ .

ثم إن الأطعمة التنورية لا تكون جوامد أو باردة ، ولعلها أن تقرأ « طيفورية » أي
موضوعة في أطباق غير مسطحة .

٣ المصوص : طعام قيل إنه لحم ينقع في الخل ويطبخ .

٤ الطبّاج : أنواع من الطعام أساسها اللحم المقلو (انظر كتاب الطبخ : ١٢٢) .

جماعتهم ، الإسرائيليّ ذِيّ ، الزائدُ إحسانه على إبراهيم الموصليّ ،
 صديقُ إبليس ، الظريفُ في^١ فينتته ، وتخابله بالماخوريّ المكنون^٢ ، الذي
 اغتدى في باطله نسيجَ وحده ، يزدهي العيدانَ جسّته ، ويُخرسُ الأطيّارَ
 سَجْوَه . قاتله اللهُ مِنْ آخذٍ بالقلوب ! فطربوا وطربَ المأمونُ ليلتشدِ
 على وفورِ حلّته . وكان الذي غنّاه فيها ذِيّ صوتاً شجياً ، لحنه من خفيف
 الرَّمَلِ ، مُطلقٌ بالحنِصَرِ ، في مقطوعةٍ نظّمها عبدُ الله بنُ الخليفة
 الملقبُ بالمصري ، وهي :

باكِزُ لبِكْرِ الدنانِ إنْ هِدَامَ العَروسِ في السَّحَرِ
 واشربْ عُقاراً^٣ تخالُ حُمَرتها تَحرقُ أَيْدي السَّقاةِ بالشرِّ
 فإنَّ يَحْيى أَحيا بدولتهِ ما قد محاهُ تَهَصُّفُ القَدَرِ
 مَلِكٌ هو الدهرُ في عَزمتهِ يَطْلُعُ فينا بِطُلُوعِ القَمَرِ

فطمح بَابنِ ذِي النُّونِ الإطراب ، حتى حنَّ حنينَ النَّابِ ، وخلعَ
 لوقتِهِ عليه ثوباً من التَّسْتَرِي الأخضرِ مُطرزاً بالذهب ، ووصلته بمائتي
 دينار ذهباً ، ثم فَضَّ الصَّلَاتِ والخِلَعِ في سائر الطبقات .

هذا آخرُ خطابِ ابنِ جابرٍ إليّ بوصفِ ذلك الإِعْذار ، وجُملته التي
 بسطتها من إدماجه ، وسبكتها من بَقْدِهِ . خلا أنه سامني ذِكْرَ مقطوعاتٍ

١ ص : من .

٢ ص : ومحاباه بالماخور في المكنون ؛ والماخوري لون من النغم ، وتعد الأتغام الماخوريات
 من خفائف الثقيل الثاني .

٣ ص : صارا .

حشا بها كتابه إليّ ، من صنعة صديقه عبد الله بن خليفة المصري^١ ،
تعاور المغنون في تلك الليلة الغناء بها ، وجميعها عندي في نهاية من الضعف [٦٧]
والتخلف والتبرؤ من صنعة الشعر ، ينبغي بها توشيح هذا المشهد
الجليل الذي قيلت فيه^٢ ، ينظمها في عقده ، فلم أسعده على ذلك ترفيعاً
به عن هجنتها ، وتبرئة لنقدي على استجادة سببها ، ومقدمة لوم
غفل أقحم قائلها في زمرة الشعراء ، وجسره على إنشاد جيلة الأمراء .
وطالما عنتني هذا الرجل بذكر ابن خليفة هذا وإثباته إلى النسبة المصرية ،
وعزوه له إلى المعارف الحكيمة ، وأنا أحسبه مصري التربة ، مستطرح
الغربة ، مستطيراً على بُعد النجعة ، مرهف الحد ، محتكك التجربة ،
أرتاح لذكره وأودُّ لثقياه والأخذ عنه . فأبرزه الفحص لي قُرطبي التربة ،
محالي الحومة ، سوقي الحيرفة ؛ ابن جاري لي من تجار الخفافين يُسمى
خليفة ، عجمي نَبَز الأب بـ « المورثه » مفعوء الميته^٣ منذ سنوات قليلة .
لم أعهد ابنه هذا يرسم بأدب ، ولا يسعى لطلب ، إلى أن رمت به النوى
قريباً إلى بلاد العُدوة ؛ لا بتغاء المعيشة ، فأطال بها الشتاء ، ولقي الفُهاء ، وتَقَيَّل
الجُسرائ ، فكَرَّ إلينا على زعمه مصرياً صليبةً ، وأديباً باقراً^٤ ، وشاعراً
باقعةً ، وحكيماً نطيساً ، وظريفاً مُمتعاً . كلُّ ذلك من غير طول رياضة ،
ولا تقدمة معرفة . وما إنْ يُستنكر لقاسم الفضائل بين خلائقه أنْ يجمع
منها لواحد ما فَرَّق في جماعة ، له القدرة البالغة والحكمة القاهرة .

١ سترجم له ابن بسام في ما يلي (الورقة : ١٢٠) .

٢ ص : قوبلت به .

٣ ص : مفعوء المته : والمعنى أن ميتته أدركته فجأة (منذ سنوات قليلة) .

٤ سيذكر ابن بسام في ترجمته أنه رحل إلى مصر ثم عاد إلى الأندلس « وقد نشأ خلقاً جديداً » .

٥ ص : بقرة .

وفي فصل له في ذكر الشعراء

قال ابن حيتان : وصار من مَنَّاكيدِ ذلك الصَّنِيعِ المُلْحِقَةِ به عَيْبَ التَّقْصِيرِ عُدْمُهُ لِحُذَاقِ من الشعراء يُجِيدُونَ القولَ فيه ، وَيُحَسِّنُونَ وصفَهُ ، فَيُوفِقُونَ المُبْدِعَ له حقَّهُ . إذ أَلَوَى ببقاياهمُ الزَّمَنُ العَصِيفُ المُطَاوِلُ للفتنة ، وجاء بأشباه له من شعراء مُتْكَلِّفِينَ مثْلَ الخازباز المَضْرُوبِ مُثْلَةً^١ ، يُهَيِّنُونَ بما لا وَدَقَ له مِن سَمَائِهِمْ^٢ ، وَيُفْرِغُونَ في قَوَالِبِ تَضْيِيقٍ عن إفراغهم ، وَيَجْهَدُونَ في حَشْوِ قَوَافِيهِمْ دونَ إرهافٍ للفظٍ ولا استنباطٍ لمعنى^٣ ، فلا يَسْرُتُونَ نَاقِداً ، ولا يَهْزُونَ مُمْتَرِي^٤ ، ولا يُنْشِطُونَ راوياً . وأَشَقُّ ما على الحائِزِ لهم غِلْظُهم في أَنْفُسِهِمْ ، واستِقْصَارُهم لمن امتدحوه في إخلاله وعوده بهم ، وهي لو عقلوا أقعدُ وأضيقُ وأقصرُ وأعكس . فَيَأْوِيْنَهُمْ ماذا عليهم في الإنصافِ من أَنْفُسِهِمْ والاعترافِ بتقصيرهم ، أليسَ ذلك كانَ أَوَّلَى بهم ؟ فما أَحْسَنَ قولَ « لا أدري » بمن يَكْدرِي فضلاً بمن هو بضدّها تصابِ مَقَاتِلُهُ . فلو قَلَدُوا الزَمَنَ دُؤُولَهُمْ ، وولَّوهُ نَقْصَهُمْ ، واعترفوا لِبِلَواه ، لكانَ أَعْدَرَ لهم . فجلس لهم المأمون مُتَّخِذاً تلكَ المَدْعَاةَ الفخمةَ في مَرْتَبَتِهِ بِبرطيلٍ^٥ المجلسِ الموصوفِ في أَبْتهِ

١ يشير إلى قول المتنبي :

ومن الناس من يجوز عليه شعراء كأنها الخازباز

والخازباز : حكاية صوت الدياب .

٢ ص : ورق . . أسمائهم .

٣ ص : ممترياً ، وقد تقرأ « ممتدحاً » .

٤ المشهور في الاستعمال « برطل = Portal » .

فخمة ورُبّة^١ كاملة مع كبار أهل مملكته من أذواء الوزارات المثنية^٢ والمُفردة ، ومن أصحاب الخطط العليّات ، وأذن لتلك الحُكبة من من شعراء [الحضرة]^٣ من طارىء وقاطن ، وهم نفرٌ غيرُ منوّه بهم ولا بأسمائهم ، ولا تجانس^٤ بروائهم ، فدخلوا إليه على هيتهم يتقدمهم شيخُهم المُقدّم من جماعتهم ذلك اليوم ، محمد بن شرف القيرواني القريبُ عهدُه بالهجرة ، بعدَ خبطه سمرات ملوك الأندلس بمُحجته ، واعتصارهم بقصعته ، فأذن لهم بالأنشاد بحسب تطبيقيهم ، فتقدّمهم ابنُ شرف فأنشد قصيدة أولها : « يريني الهوى أن الهوى ليتنّ سهلاً » ، ما إن هي لاحقة بعيون شعره ، أطل فيها التشبيب فخلص إلى التهتهة ، وقد استفرغ القريحة وطولَ فما أتى بطائل . ثم تقدّم بعده البائس عبدُ الله بن خليفة الأندلسي المتصّر بزعمه ، فباؤسى لسابقٍ صلّى بعده ! فأنشد قصيدة ملفقة ، ذات طنينٍ وقعقة ، كثر أبياتها ، وقلل أقواتها ، أولها : « أرى أثلاث الجزع بالوصل تورق » تركه المأمون أيضاً يتصرف بها ، ما إن هزت منه عطفاً ، ولا أبدت له بسمًا . وقام بعده محمد بن زكي الأشبوني ، فأنشده شعراً أوله : « اليوم أبهج منبرٌ وسرير » ركبَ فيها سنن من قبله . ولحق ابنُ ذي النون سامة من كلف يومه ، فأمر بأخذ بطائق جميع من حضّره من الشعراء ، وأسلمها إلى

١ لها وجه مقبول ، ويمكن أن تقرأ « وزينة » .

٢ الأصوب أن يقال : المثناة .

٣ بياض في الأصل ، وما بين معقّفين زيادة تقديرية .

٤ اللفظة غير مجبّعة في ص .

٥ ص : هت .

وزيره الأثير يومئذ عبد الرحمن بن مثنى^١ كي يتصفحتها بفضل أدبه ،
ويطبق قائلها بحسب معرفته ، فيأمر لهم بما يتجدد . فبدأ على [٦٨] الشعر
يومئذ انكسار ، ولحق^٢ أحفاه انهار ، وأصم به الناعي منسماً يندب
شجوة^٣ بـابن اليماني ، منادياً ينادي : يا إدريساه ، ولا إدريس^٤ يومئذ
للقواني ، وكل شيء له حثف^٥ موافي .

قال ابن خيان : وأكتب إثر هذا الفصل بعض ما اخترته من قصائد
هؤلاء الشعراء على ما خيلت لثلا يخلو جيد التأليف من مخشباتها .

فمن قصيدة ابن شرف في ذكر وطنه وحنينه قوله :

تذكرتها واليم^١ بيثني وبينها وموصولة^٢ فيح ومهجورة غفل^٣
ومن دونها حرب^٤ عوان وفارض^٥ ولود^٦ لها من نفسها أبداً بعل^٧

ومنها في ذكر قصيدته :

يقرامرو القيس بن حجير لفضليها^١ ويظهر عنها العجز علقمة الفحل^٢
فلو وصلت عمري الليالي لوقته^٣ لقات [له] الأشعار ما قالت النمل^٤

١ وردت ترجمة أبي المطرف بن مثنى في القسم الثالث : ٤٠٩ ، يضاف إلى مصادر ترجمته
هناك إعتاب الكتاب : ٢١٥ وفيه أن أبا المطرف كتب أولاً للمنصور أبي الحسن عبد العزيز
ابن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية ثم انفصل عنه إلى طليطلة فاستوزره المأمون
ابن ذي النون وألقى عليه بأموره كلها .

٢ ص : ولحقت .

٣ قد مرت ترجمة إدريس بن اليماني في القسم الثالث : ٣٣٦ .

٤ وقع البيت قبل سابقه في ص ، ويعني أن علقمة لو أدرك زمانه لقات له الأشعار « يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم » .

قال ابن بسّام : وأثبت ابن حيان في كتابه لتلك الطائفة المنشيدة يومئذ عدة قصائد ، ولم يسلك فيها سبيل ناقد . قال : وأما المتكلف المصري فُسْكُلُ^١ الحلبة ، فكان أبطأهم جراءً وأناهم عن الغاية ، لما اجتهد في المتح فجاء بقليل ماء ، فوق ظمأه بخمسين بيتاً سُدّي ، لفقها قصيدة متخاذلة لم يفتق فيها معنى حسناً ، ولا قافية حرّة ، بل ما زاد على أن صرّف النسيب في سبت من الخلالات مُسمّيات ، فضّل فيهن إمام المُحدّثين أبا تمام بزيادة اثنتين^٢ ، ثم قطع^٣ المديح توسعاً مع ما وجدته هناك من أجبر وجِصّ ، فهدف منها فيما لم يُعنه عليه طبع ، ولا أسمعته صنعة ، فكان الذي أبدى كبر نفخه^٤ من خالص سبكه قوله :

وقد كان لي [في] مصر دار كرامة ولكن إلى المأمون كنت أشوق^٥
حللت عليه والمكارم جمّة^٦ وسحب العطايا برقها يتألق

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان .

١ لم يظهر منها في ض إلا « كل » .

٢ يريد أن ابن خليفة تغزل في قصيدته بست نساء ففاق أبا تمام الذي تغزل بأربع في قوله :

لسلى سلامان وعمرة عامر وهند بني هند وسعدى بني سعد

٣ ص : قطع .

٤ ص : كبير نفحة .

٥ البيتان في المغرب ١ : ١٢٩ .

٦ المغرب : كان التشوق .

جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم

قال ابنُ بسام : وتتلو هذا الفصلَ بنْبَدٍ لها بهذا الموضع مَوْقِعٌ ، من أخبارِ طُلَيْطِلَةَ البائِسةِ . وشرَّحَ الحالَ الَّتِي أَبَادَتْ مَصَانِعَهَا ، وَطَيَّرَتْ واقِعَهَا ، وما آلَ إليه أمرُ المملَكَةِ القابِضةِ للأَنامِ ، المَبْنِيَّةِ على هَدَمِ دَعَائِمِ الإِسلامِ ، المجموعة من افتراقِ الجماعةِ ، المغلوبِ عليها أُمَّةُ السَّمْعِ والطَّاعةِ . ونذكرُ طرفاً من حديثِ مَالِ أميرِها المتَرَفِ المُسْرِفِ ، المُلْتَقِبِ - كان - من الألقابِ السِّلْطَانِيَةِ بالقادرِ باللهِ ، جهلاً منه بحقيقَتِهِ ، وتهاوناً باللهِ وخَلِيقَتِهِ . خُطَّةٌ زادَهُ المقدارُ عن مُستقرِّها ، ودعوى دفعِ الليلِ والنَّهارِ في صدرِها . ونأتي أولاً بفصلِ جودِهِ ابنِ حِيَّانٍ في ذكرِ جدِّهِ إِسماعيلَ المُلْتَقِبِ - كان - بالظَّافِرِ ، رئيسِ الخِلافِ ، ورأسِ الانحرافِ ، وجمهورِ الجورِ والإسرافِ .

قال ابنُ حِيَّانٍ : وكانتْ أولِيَّةُ نِباهَةِ بني ذي النون من جدِّهم ذي النونِ ، في أيامِ الأميرِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وقد اعتلَّ له خَصِيٌّ في طريقِ قَفُولِهِ من الثَّغَرِ فترَكهُ عنْدَهُ بِحِصْنِ أَقْلِيَشَ يُمْرِضُهُ ، فلَمَّا أَفاقَ لَحِقَ بِالْحَضْرَةِ معَ الخَصِيِّ ، فأخَذَ له تَوْقِيفاً بِتَقْدِيمِهِ على حِصْنِهِ : ثمَّ تَدَارَلَ تلكَ الخُطَّةُ وَلَدَهُ إلى أَيْتَامِ الحُكْمِ . فلَمَّا اضْطَلَعَ بالدولَةِ ابنُ أَبِي عامرٍ ، تَعَلَّقَ به المَضْرَاسُ بنُ ذي النونِ وإِسماعيلُ ابْنُهُ معه ، فلَمَّا انْقَرَضَتِ الدولةُ العَامِرِيَّةُ لَحِقَ بِالثَّغَرِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ بني عَمَتِهِ ، وَخُطِبَ من سُلَيْمَانَ ولايةَ أَقْلِيَشَ فَوَلَّاهُ إِيَّاهُ ، ثمَّ تَهَيَّأَتْ لَهُ قَلْعَةٌ كَوْنُوكَ ، وكانتْ بيدِ واضِحِ العَامِرِيِّ ، فامْتَأَمَتْ ضَبْطُهَا إِسماعيلُ مُنْتَظِراً بَزْعَمِهِ

مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَحْتَ ذَيْلِهِ مِنْ غُلُولٍ وَاضِحٍ كَثِيرٍ ، حِينَ لَمْ يَتْرَكْ إِلَّا أَطْفَالَ وَأَمْتَهُمْ حُرَّتَهُ ، أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَيْهِ ، مُعْتِنَةً بِأَمَانِهِ ، فَحَصَلَ لِإِسْمَاعِيلَ الْبَلَدُ . وَسَطًا عَلَى مُجَاوِرِيهِ مِنْ قَبْوَادِ الثَّغُورِ ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ . وَنُتِيَ لَهُ الْوِزَارَةُ سُلَيْمَانُ وَسَمَاءُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ . فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ كَلَّهُ ، وَآثَرَ الْفُرْقَةَ ، وَاقْتَطَعَ جَانِبَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ الثَّوَارِ لِلْفَارِقَةِ الْجَمَاعَةَ ، وَفَرَطَهُمْ فِي نَقْضِ الطَّاعَةِ . ثُمَّ اتَّفَقَتْ لَهُ أُمُورٌ اتَّسَعَ بِهَا عَمَلُهُ ، وَكَثُرَتْ جَبَابَتُهُ وَجَمْعُهُ . وَكَانَ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ ، وَالْكَثْفِ بِالْإِمْسَاكِ ، وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ ، بِمَنْزِلَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ عَصْرِهِ . لَمْ يَرْغَبْ فِي صَنِيعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ، فَمَا أَعْمِلَتْ إِلَيْهِ مَطِيَّةٌ . وَلَا حَمَلَتْ أَحَدًا نَحْوَهُ نَاقَةً ، وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَّحَهُ نَازِمٌ وَلَا نَاقِثٌ ، وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْ يَدِهِ دِرْهَمٌ فِي حَقِّ وَلَا بَاطِلٍ ، وَلَا حَظِيَّ أَحَدٌ مِنْهُ بَطَائِلٌ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعِيدَ الْجَدِّ ، تَنَقَّادَ إِلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَتَصَحَّبَهُ سَعَادَتُهُ فَيُنَالُ صِعَابَ الْأُمُورِ بِأَهْوَنِ سَعْيِهِ . وَهُوَ كَانَ فَرَطَ الْمُلُوكِ فِي [إِثَارِ] ٦٩ الْفُرْقَةِ ، فَاقْتَدَى بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَمَتُوا فِي الْخِلَافِ نَهْجَهُ . فَصَارَ جُرْثُومَةُ التَّنَاقُ ، وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَنَّ سُنَّةَ الْعِصْيَانِ وَالشَّقَاقِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْفِتَنِ وَالْمِحْنِ . فَتَبَارَكَ مَنْ أَمَلَى لَهُ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُ عُقُوبَةُ الدُّنْيَا مَثُوبَةً .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ حَفِظُوا عَنْهُ كَلِمَاتٍ فِي سَبِيلِ ذِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ زِيَادَةً إِلَى مَسَاوِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نُوْظِرَ فِي شَأْنِ التَّأْمِيرِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ نَازَعَنِي سُلْطَانِي هَذَا الصَّدِيقُ لِقَاتَلْتُهُ وَلَمَا سَلِمْتُ لَهُ ، فَكَيْفَ أَسْلَمْتُ سُلْطَانًا ، لَمْ يُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، مِمَّنْ لَا يُوجِبُ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ ، عِزَّةَ

مروان خيَـط باطل^١ ، الذين لم يَسْبِقْ لهم صُحبة ، ولا أدخلهم السَّـف
في شُـورى الإمامة ؟

قال ابنُ حَيَّان : ومِن أشهرِ حكاياتِه في ذلك ، ما أُخبرَ عنه أبو
أبو العباسِ السَّـكـريُّ الإسـكـنـدرايُّ - رجلٌ مُمتعٌ الحديثِ طيَّبُ المجالسة -
وحضَرَ مجلسَ ابنِ حمّودٍ بمالقة ، فسأله إسماعيلُ بنُ ذي النُّونِ عَن
مجلسه مَعَه ، فأثنى عليه ، فقال أثنى على أدياء ؟ فعَلَ اللهُ بهم وصَنَعَ ،
فبُهِتَ الإسـكـنـدرايُّ وقالَ : معذرةٌ إليكَ أيُّدكَ اللهُ ، فإني جهِلْتُ
رأيتَكَ في هذا الرَّجُلِ معَ أني ألزمتُ نَفسي ألاَّ أذمَّ ذا سُلطانِ البتَّة ،
وأنتَ غيرُ منازِعٍ في أئمتِكَ المروانيَّة ، وهمُ أهلُ ذلكَ مِنكَ ، أقادِمْ
الملوكَ ، وذوو العَدْلِ والسِّياسة . [ومضى]^٢ الإسـكـنـدرايُّ في لإطرائهم
ظناً أَنه يَسُرُّه ، إذْ كان يقولُ بِدَعْوَتِهِم في ذلكَ الوقتِ . ففَطَعَ
عليه ابنُ ذي النُّونِ بأسوأ مِن قَطْعِهِ عَلى الهاشميين ، وأنحى على ذمِّ
بني أُمَيَّة فلمْ يُبْقِ ، ووصلَ كلامَه بأن قال : توارثوا هذهَ الإمارةَ مَخْرُقةً
وضَعها قريشٌ لاسـتـعمال^٣ الناسِ ، والناسُ لأبٍ وأُمٍّ ، والفخارُ باطلٌ ،
أَحَقُّهُم بِالْمُلْكِ مَنْ اسـتـقلَّ به . واللهِ ما أُولي غيرَ نَفسي ، ولا أقومُ إلاَّ
بسلطاني ، ولو نازعني فلانٌ وفلان - وذكرَ السَّـلَفَ الصَّالِحَ الَّذِينَ كَرَّمْ

١ في المثل : أدق من خيَـط باطل ، قيل هو الهباء وقيل هو الذي يخرج من فم العنكبوت ، وسي
مروان خيَـط باطل لطوله واضطرابه (اللسان : خيَـط ، وجمهرة العسكري ١ : ٤٥٤ تحقيق
أبو الفضل والميداني ١ : ١٨٣)

٢ موضعها بياض في ص .

٣ ص : لاستكمال .

٤ ص : كرمهم .

اللهُ ذِكْرَهُمْ - لَتَضْرِبْتَهُمْ دُونَهُ بِسَيْفِي مَا اسْتَمْسَكَ بِيَدِي . فقام عنه الإسكندراني مبهوراً وأفشاهُ في غير أرضه . وأخباره في مثل هذا كثيرة .

انتهى كلام ابن حيان .

فقلتُ أنا : وليتَ إسماعيلَ هذا بقيَ ووُقي ، على فظاظَةِ جانبِهِ ، واختلافِ مذاهبه ، وطولِ إعراضِهِ عن عَوَاقِبِهِ ، فلقد كانتُ عليه وقتُهُ قَلِيلُ رِقَبَةٍ ، وعِنْدَهُ بعضُ أَهْبَةٍ ، لقُرْبِ عَهْدِهِ بِأَيَّامِ الْجَمَاعَةِ ، واستشعارِهِ عَوْدَةِ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، ولوفورِ مَنْ كانَ قَبْلَهُ يَوْمئِذٍ من مَشِيخَةِ ذَوِي الهَيْئَاتِ ، وزُعماءِ سائرِ الطَّبَقَاتِ . ولقد أَسَاءَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ ، ذَهَاباً في الكِبَرِ ، ومَهَاوِناً بِالْأَمْرِ ، وقعوداً عن النَّصْرِ ، واستِظْهَاراً بِأَحْزَابِ الْكُفْرِ ، سَلَمَهُ بِاطِلٍ وَبِطَالَةٍ ، وحَرْبِهِ غَوَايَةَ وَجْهَالَةٍ ، في المَشْرُكِينَ نُجُومُهُ وَدِيَمُهُ ، وَلَهُمْ مَوَائِقُهُ وَذِمَمُهُ ، وفي الْمُسْلِمِينَ هُمُومُهُ وَهَمَمُهُ ، وعندهم بِوَأَثِقُهُ وَنِقَمُهُ .

بلغني أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ الظَّافَرُ إسماعيلُ ، كانَ حَمَلَةً دَوْلَتِهِ وَرُؤُوسُ جَمَلَتِهِ ، الْحَاجُّ ابْنُ مَحْقُورٍ وَابْنُ لَبْتُونٍ وَابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْفَرَجِ . وكانَ أَكْدَ مَا عَهْدَهُ إِلَى ابْنِهِ يَحْيَى الْمُتَلَقِّبِ بَعْدَهُ بِالْمَأْمُونِ الْاِقْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ ، والانتِهَاءُ إِلَى رَأْيِهِمْ . قالَ بَعْضُهُمْ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ لِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ مِنْ مَهْلِكِ أَبِيهِ ، وَهُوَ [فِي] إِيوَانٍ كَبِيرٍ قَدْ مَلَأَهُ بِنُقَرِ الْفَيْضَةِ حَتَّى لَا فَضْلَ فِيهِ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَأَمَرَنَا بِالذُّنُوءِ ، فَبَعْدَ لَأَيٍّ مَا خَلَصْنَا إِلَيْهِ ، لِكَثْرَةِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا عَجَباً ، وَتَقَيَّدَتْ أَلْحَافُنَا فَمَا تَجِدُ مُتَقَلِّباً ، لِهَذَا الْاِتِّفَاقِ كَيْفَ وَقَعَ ، وَلِهَذَا السَّحْنَتِ مِنْ أَيْنِ

جُمِيع . فأخذَ يُفْتِيلَ رأى أبيه في اختراجه ، ويُعرَض بِجمود^١ كان في بَنَانِهِ ، ونحن نقولُ : لعلّه قد أنيفَ لُصْبَاعِ ثُغُورِهِ ، وتَشَعَّثَ أُمُورِهِ ، وانتشارِ الشَّرِكِ بإزائه وظُهُورِهِ . وكأنّه فَهَمَ ما نُحِيرُ ، وعَلِمَ إلى أين نُشِيرُ ، فأظلمَ ما بيننا وبينه ، وازورَّ ازورارةً أنكرنا بها أثره وعَيْنَهُ ، [وقال :] مِنْ حَقِّ مِثْلِ هَذَا أَنْ يُصْرَفَ فِي مِثْلِ ضُرُوبِ الْحَلِيَةِ الرَّائِقَةِ ، وأنواعِ الآتِيَةِ الْمُؤَاتِقَةِ^٢ . وأي معنى في كونها نُقِرَ ؟ ما أعجبَ هذا وما أنكر ! هذه بالحجارة أشبهُ منها بآلاتِ الإمارة . فقال له ابنُ محفور ، وكان أشدَّهم جرأةً ، وأثقلَهُمْ وطأةً ، لعزّة رُكْنِهِ ، وإدلاله بِفَضْلِ سِنَتِهِ : إنَّ هذه - أَيْدِكَ اللهُ - إذا كانتْ تُقْرَأُ بَقِيَتْ ذَخِيرَةُ زَمَانٍ ، وعدّةٌ لِحَدَثٍ إِنْ كَانَ ، ولا تُحوَّلُ آلَاتُ إِلَّا بَعْدَ نَفَقَةٍ ، ونَحِيفٍ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ ، ثم لا تَزَالُ تُصَبَّ عَيْنٌ مِنْ يَرِدُ مِنْ رَسُولٍ ، وَيَنْتَابُ مِنْ ابْنِ سَبِيلٍ ، وَيَنْمِي خَيْرُهَا إِلَى الطَّاعِيَةِ فَرْدَلَنْدٍ فَتَدْعُو السِّيَاسَةَ إِلَى أَنْ يَخْصَّ مِنْهَا بِقِسْمٍ ، وَيُضْرَبَ لَهُ فِي أَنْفَسِهَا بِسَهْمٍ . فزوى عنهم وجهه ، ولم يَأْمَنُوا نَجْمَتَهُ ، وثقلوا بِعَدُوِّ عَلَيْهِ ، وَيَتَسَوَّاءُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَلَاحِ يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ . وَخَالَفَهُمْ إِلَى مَا أَرَادَ ، فَأَبْلَى فِيهِ وَأَعَادَ ، وَآلَتْ حَالُهُ إِلَى مَا قَالَ الشَّيْخُ : مَا لَقَصَّ وَلَا زَادَ [٧٠] .

١ ص : بِجمود .

٢ ص : الرَّائِقَةِ .

ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد البنيان بقصور طليطلة

قال ابن بسام : ثم أخذ المأمون في بناء مجلسه الكبير المكرم بناءً باءً يائمه ، وخلا سريعاً من اسمه ، لم يُخلّده في عقب ، ولا قضى من لذته به كبير أرب . وكان الذي تولى له رصف بدائعه ، وإحكام مصانعه ، رجلٌ من مَهَرَةِ الفَعَلَةِ ، أكثرُ خلقِ الله صلفاً ، وأشدُّهم تنابُعاً وسرفاً . وكان المأمونُ لعلمِ نظيره ، يحتميلُ من اعتدائه وتغريبه ، وتهاوئه بجميعِ أموره ، ما لا مزيدَ عليه ، ولا انتهاءَ لأحدٍ إليه . واتفق له مع ذلك الصانع أن وعدَهُ بتمامِ مجلسه المشيد قبل إطلالِ العيد ، فرشح ابنُ ذي النون للجلوسِ في صدره ، والاستظهارِ على زينةِ عيده بالفراغِ من أمره . وتقدّمَ إلى من كان بحضرته من الشعراء ، على قِلَتِهِم ببابه ، ونيفارِهِم عن جنبه ، لقلّةِ نائليه ، وتفاهةِ طائليه ، في وصفِ مجلسه ذلك وتقريضِ مبانيه ، والثناءِ على مخترعه وبانيه . ثم إن ذلك الصانع استمرَّ على ديدنه من الخلاف ، وعمِلَ على شاكلته من التهاونِ والإخلاف . واتفقَ أثناءَ ذلك أن ضربتْ خيلُ الطاغيةِ فردلند على بلادِ المظفرِ بنِ الأفطس ؛ وطِشَّتْها وطأةٌ مَجَتْ رسومها ، واستباحَتْ حريمها ، واجتاحَتْ حديثها وقديمها ، وأنستْ ما كان قبلها من جبِّ الذروة ، وانصداعِ المروّة ، وأياستْ من البقاء ، وآذنتْ

بشمولِ البلاءِ . فأخبرتُ عن وزيره أبي المطرف بن مُشَنَّى أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْوُجُومِ وَالْإِطْرَاقِ ، وَعَلَى نِهَآيَةِ الْحَذَرِ وَالْإِشْفَاقِ ، إِذْ وَرَدَتْ
رُسُلُ الْمَأْمُونِ عَنْهُ تَنْتَرِي ، وَهَجَمَتْ عَلَيْهِ زُمْرَةٌ بَعْدَ أُخْرَى . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ اسْتَشَاطَ حَنْقًا ، حَتَّى كَادَ يَتَمَيَّزُ شِقَاقًا . فَظَنَّ أَنَّ
ذَلِكَ الضَّجَرُ ، لَمَّا كَانَ وَرَدَ بِهِ الْخَبْرُ مِنْ ضَرْبِ الْخَيْلِ عَلَى بَلَدِ الْمُظْفَرِ ،
وَإِخْفَارِ الذَّمِّ ، وَزَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَانْهَتَاكِ الْحَرَمِ . فَطَفَّفَ ابْنُ مُشَنَّى بِسُطِّهِ
وَيَتَقَبَّضُهُ ، تَارَةً يُسَلِّسُهُ وَتَارَةً يَحْرُضُهُ ، وَطَوْرًا يَقُولُ لَهُ : فِيكَ الْخُلْفُ
مِمَّا فَاتَ ، وَمَرَّةً يَقُولُ : قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تُنْكِرَ عَلَى الطَّاعِيَةِ هَذَا الْاِفْتِيَاتِ .
فَلَمَّا فَهِمَ مَنْحَى ابْنِ مُشَنَّى مِنْهُ ، أَعْرَضَ^١ عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى
هَذَا الضَّالْعَ^٢ الْفَاعِلِيَّ الصَّانِعَ - يَعْنِي عَرِيفَ بُنْيَانِهِ - صَبَرْتُ لَهُ وَأَغْضَيْتُ ،
وَفَعَلْتُ بِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَمَا زَادَ إِلَّا تَنْغِيصًا لِلذَّقِّي ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِي ،
وَتَصْغِيرًا لَشَانِي ، وَاجْتِرَاءً عَلَى سُلْطَانِي . وَهَبَّتْ رِيحُ الْعَقِيمِ ، تُقْعِدُ
فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَتُقِيمُ ، فَسَقَطَ فِي يَدِ ابْنِ مُشَنَّى وَانْكَسَرَ انْكَسَارَةً تَبَيَّنَتْهَا
ابْنُ ذِي النُّونِ فِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ بَدَأَ مِنْ أَنْ قَالَ لَهُ : هَوَّنْ عَلَيْكَ ، وَالْكَلُّ
طَوَّعُ يَدَيْكَ ، وَنَاهِيكَ ، وَأَنَا أَكْفِيكَ ؛ وَخَرَجَ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ
الصَّانِعِ يَعِيدُهُ وَيَمْنِيهِ ، وَيُدَاوِرُهُ^٣ وَيُدَارِيهِ ، وَالصَّانِعُ مُقْبِلٌ عَلَى شَأْنِهِ ،
مَا أَمْرُهُ بِالْخُلُوسِ ، وَلَا زَادَةٌ عَلَى التَّجْهَمِ^٤ وَالْعَبُوسِ . فَتَبَعْدَ لَا يَ
مَا ضَرَبَ لَهُ مَثَلُ الْعَامَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَا أَفْرَسَ الْجَالِيسُ . ثُمَّ قَالَ :

١ ص : وَأَعْرَضَ .

٢ الضالْع : الجائر ؛ ص : الصانع .

٣ ص : وَيُدَاوِيهِ .

٤ ص : التَّهْجَمُ .

وبالحريّ والله أن يتمّ إلى عيدٍ آخر ، فليتجهّدْ جَتهْدَه ، وليأتِ بكلّ ما عنده . فرجعَ ابنُ مُنْتَى إلى ابنِ ذي النونِ وهوّنَ عليه الشّانَ ، وخفّفَ لديه ما كان . ونخرج لا يدري من أيّ الثلاثة يَعْجَبُ : أمن اغترارِ [ابن] ذي النونِ وجهله ، أم لإفضاءِ الضّرورةِ بنفسه إلى خِدمَةِ مِثْلِهِ ، أم من جرأةِ ذلك الصّانعِ القصيرِ اليدِ ، النّزيرِ العدَدِ ، على ذلّ [ابن] ذي النونِ وذُلّه .

قال ابنُ بسّام : فتبارك من أحاط بالأشياء ، ولم يَخْفَ^١ عايه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ، ومن جَعَلَ اليومَ ذلك القصرَ العجيبَ بنيانه^٢ ، الهادِمَ - كان - للدينِ والدُّنيا شأنه^٣ ، مربِطاً للأفراسِ ، ومُعلِماً للأعلاجِ الأرجاسِ ، من رجالِ الطّناغيةِ أذفونشَ بنِ فردلنشد ، بددَ الله شيعته .

ذكر الخبر عن مآل حصيده المتلقب بالقادر

مع (ما) يتشبث به من خبر نادر

قد ذكرتُ في القسمِ الثاني^٤ من هذا المجموعِ مُلْكَ جَدّه المأمونِ بقرطبةَ ، ويعودُ بنا القولُ إلى ما بدأتُ به من ذِكْرِ حفيده المتخَدِّ له

١ ص : يختلف .

٢ ص : بنيانه .

٣ ص : بنيانه .

٤ انظر القسم الثاني : ٢٦٢

ذلك الصنيعُ المعدودُ على الأيَّامِ ذَنْبُهُ ، الباقي في صفحةِ الإسلامِ ندْبُهُ .
وقد ذكرتُ أيضاً في القسمِ الثالثِ^١ منه مهلكَ حَقِيدِهِ بِلانْسِيَةِ ، وأوضَحْتُ
صُبْحَتَهُ ، واستوفيتُ شَرْحَتَهُ . وأجرَدَها هنا القولَ في أخذِ طُلَيْطَلَةٍ مِنْ
يَدَيْهِ ، ودَوْرانِ الدائرةِ السَّوْمِ بها على المسلمينِ وعليه ، وما تعلَّقَ
بأذْيَالِ ذلكَ مِنْ غَرِيبَةٍ ، وانخرطَ في سِلْكِهِ من أعجوبةِ .

كانَ يَحْيَى حَفِيدُ ابْنِ ذِي النُّونِ رَكِيزَ المَجْلِسِ ، ثَرِيَّ المَغْرِبِ ،
خَلَوُ الخَوَارِ ، لَيْتَنَ التَّصَرُّفِ بَيْنَ الإِيرَادِ والإِصْدَارِ ، مَتَلِيحَ شَبَابِ الخَطِّ [٧١]
هَذِهِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ فَقَطَّ . لَمْ يَتَكُنْ لَهُ وَلِيَسْتَلِفِهِ قَبْلَهُ بَاعٌ فِي الطَّلَبِ ،
وَلَا حَظٌّ فِي الأَدَبِ ، وَكَانَ - زَعَمُوا - آيَةً فِي قُرْبِ غَوْرِهِ . وَسُكُونِ
غَوْرِهِ^٢ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ كَوْرِهِ^٣ ، إِمْتَعَةً إِمْتَرَةً^٤ ، أَجَبِينَ مِنْ قَبِيرَةٍ^٥ : إِنْ
حَزَمَ لَمْ يَغْزِمَ ، وَإِنْ سَدَى لَمْ يُلْحِمِ ، إِلَى مَا كَانَ يَتَغَرَّضُهُ مِنْ غَرَضٍ^٦ ،
وَيَتَلَزَّمُهُ أَكْثَرُ مَدَّتِهِ مِنْ مَرَضٍ ، مِنْ ذَرْبٍ لَازِمٍ - زَعَمُوا - كَانَ لِمَعِدَتِهِ ،
وَأَسْتَحْرَارِ حَاسِمِ لِمَرَّتِهِ^٧ ، وَقَدْ كَانَ جَدُّهُ المَأْمُونُ قَسَمَ الحَضْرَةَ قِيسَمِينَ ،

١ انظر القسم الثالث : ٩٢ - ٩٦ .

٢ ص : قوده .

٣ انظر في هذا المثل : « الحور بعد الكور » فصل المقال : ١٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٣ وهو يعني النقصان بعد الزيادة .

٤ رجل إمعة إمرة : ضعيف لا رأي له .

٥ لم يورده حمزة في الدرر الفاخرة . وأقرب الأمثلة إليه « أجبن من صافر » وهو يشمل القبرة .

٦ يريد : يعرض له من ضجر وقلق .

٧ ص : لمعدته . . . لمدته .

مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد

فلما هلك المأمون بقرطبة ونُعي بطليطلة وماج بعضها في بعضها ، وانطبقت سماؤها على أرضها . اختوشت إلى حفيده . اللابس لبُرودِه ، جُملةٌ ممن كان يتعلّقُ بسببِه ، ويُنسبُ إلى وطءِ عقبه . وطفقوا يُغرونه بأبي بكرِه ، جماعِ أمرِه ، ومَظنّةِ تأييده ونصرِه ، لما كانوا يُدبّرون مِن التقلّبِ عليه . ويتوهّمونَ من ضعفِه على ما في يَدَيه . وخوفوه غوائلَ ختلِه . وزعموا أنَّ سُلطانَه لا يَتمُّ إلا بعدَ الفراغِ مِن قتلِه . وقد كان أثيرُه أبو سعيد بنُ الفَرَجِ يَنتَهاه عن إحتفارِ الذّمام . ويخوفُه سوءَ عواقِبِ الأيتام . فركبَ هواه . وخالف ناصِحَه وعصاه . وجرّدَ قِطعةً من جُنْدِه ، وأمرها باستقبالِ تابوتِ جدّه في طريقهِم مِن قرطبة ، وأمرَهم سرّاً قتلَ ابنِ الحديدِ المستقلِّ بِجِملِه ، الناطِئِ لأشتاتِ فِلكِه . وقال لهم : إذا التقيتموه فكونوا حِولَه ، وعظّموا قولَه ، فإذا أمكنَ تَبيكُكم^١ غِيرَتُه . وبدتْ لكم تُغِرَتُه ، فاقتلوه كيف أمكن ، وعلى ما ظهرَ وبَطَنَ . ونما الحَبِيرُ إلى ابنِ الحديدِ فكفَّرَ بظاغوتهم . ونفَضَ يَدَيَه من تابوتهم . ونكّسَ إلى بعضِ ضياعِه . في لُئمةٍ من شيعته وأتباعه . فاضطربتْ الصُّدُور . وبطلَ ذلك التَّدبيرُ . ثم وافى البلدَ ليلةً وقد استوحش من أنسِه . وأوجسَ خيفةً في نَفْسِه . أصبحَ في المدينة خائفاً يترقب . ونادماً يَتَّبِعُ ويتعقب . يعضُّ يَدَيه .

١ ص : أمكنتم .

وَأَرْتَهُ أَنْ ذَلِكَ مِنْ سَعْيِهَا لَا يَسْتَوِي عَلَى سُنُوقِهِ ، وَلَا يَخْلُو بِسِوَاهِ
طَرِيقِهِ ، إِلَّا [بِاطْلَاقٍ] ١ تِلْكَ الطَّائِفَةُ الْمُغْتَرِبَةُ بِمُطَبَّقِ وَبَنَدَةِ ، الْمُحْتَرِقَةِ
أَفْلَاحُ أَكْبَادِهِمْ ، بَنِيرَانِ دَمِيهِمْ وَأَحْقَادِهِمْ : دَاءٌ دَفِينٌ ، وَشَرٌّ مَتَّضَمُونَ .
وَسَوَّلُوا لَهُ أَنَّهُ إِذَا فَتَكَ أَغْلَاهُمْ ، وَوَصَلَ بِحَبْلِ الْحَيَاةِ حَبَالَهُمْ ، غَسَلَ
جَوَانِحَهُمْ ، وَتَأَلَّفَ نَصَانِحَهُمْ ، وَشَارَكَهُمْ فِي ذَوَاتِ صُدُورِهِمْ ، وَاعْتَدَّ
عَلَيْهِمْ مَنِيَّةَ نُشُورِهِمْ ، وَالْبَعْثَةَ مِنْ قُبُورِهِمْ . فَأَثَارَ مِنْهُمْ مُدَى وَشَفَارَا ،
[أَعْدَّ] ٢ بِهِمْ لِحَرَابِ مُلْكِهِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا . فَأَدْخَلَهُمُ الْبَلَدَ سِرًّا
مِنْ بَعْضِ مَدَاحِلِهِ الْخَفِيَّةِ ، وَقَدْ سَتَرَهُمُ بِاللَّيْلِ ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُمْ بَعْضُ
الْحَرَمِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ ، وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
لِعَاشِرِ خَلَّتْ لِمَحْرَمٍ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسِتِينَ .

وَكَانَ الَّذِي مَالًا ابْنُ ذِي النُّونِ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَهَّلَ لَهُ - زَعَمُوا - تِلْكَ
الْمَنَاهِجَ الْخَبِيثَةَ وَالْمَسَالِكَ ، الْفَقِيهُ ابْنُ الْمُشْتَاطِ مُتَوَلِّي الْقَضَاءِ كَانَ
يَوْمَئِذٍ بِقَوْلِنَاكَ . وَكَانَ أَبُو بَكْرُ بْنُ الْحَدِيدِيِّ [يَأْلُفُهُ] ٣ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ
قَدِيمًا ، فَاسْتَدْرَجَهُ بِالْأَمَانِ ، وَاسْتَفْزَهُ إِلَى مَصْرَعِهِ يَوْمَئِذٍ بِمُزَوَّرَاتِ
الْإِيْمَانِ ، حَتَّى جَرَّعَهُ رَدَاهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى عِيْدَاهُ . وَدَخَلَ ابْنُ الْحَدِيدِيِّ
يَوْمَئِذٍ الْقَصْرَ ، وَالْمَقْدَارُ يُزْعِجُهُ ، وَالْحَائِنُ الْغَدَّارُ ابْنُ الْمُشْتَاطِ ٤ يَسْتَدْرِجُهُ :
فَلَمَّا أَتَى إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ ذِي النُّونِ رَأَى وَجُوهًا قَدْ أَمِنَتْهَا مِمَّا تَخَوَّفَهَا .

١ ص : بسوء .

٢ بياض في ص .

٣ بياض في ص بقدر كلمة .

٤ بياض بقدر كلمة .

٥ ص : السقاط .

وأنكرها من طول ما عرّفها ، فأيقن بالشر لا خلاص : ولات حين مناص . ثم وطن لمحنّته ، واتكأ بفضل مننته ، فجاذبهم أطراف الحِصام ، وطلع عليهم من ثنايا النقص والإبرام . فقام ابن ذي النون من موضعه وابن الحديدى متعلق بأذياله ، مستجير به من أفتاله . فشغبوا عليه وشغلوه ، وأحاطوا به حتى قتّلوه . فقضى الأمر : وانقضى العجز والصدّر . ولما أحست العامة بقتله ، وهمت بسلاحها من أجله ، فارتأوا أولئك المخرجون في وجوههم : أطلال في أسمال . فأخذ كل واحد منهم بطرف من الطريق : وذهب ممن كان هنالك من العامة بفريق ، بين صديق لهم يسر ، وعدو يهين . وتشاغلوا بنهب دور بيتي الحديدى حين عجزوا عن نصرته . وعلموا أن لا سبيل إلى كرتيه . ولم يكن إلا كـ لا حتى أصبحت حبلا رثا ، وهباء منبثا .

وطن ابن ذي النون [أنه] قد راع أحشاء الأيام بفتنكة برأصيته ، وهتك أستار الخطوب عن حيلة عمريّة . ولعمري لقد راع ولكن أمين سريته . ولقد هتك ولكن حجاب قلبه . أخلّى وجهه لشرار أعمار . لم تكن لهم أحلام تتحجرهم . ولا حلوم توقرهم . أذبت شهوات ، وفراش ضلالات ، أغضى الزمان لهم هنيئة فظنوا أنهم قد أعجزوه وانتهزوه ، فوجدتهم مغترين ليس لهم سلاح إلا مقاتلهم . ولا بهم حويل إلا تدابرهم وتحاذلهم . ونفقت على نفسه من أولئك

١ ص : خيلا .

٢ ص : أحشاع .

٣ ص : أدبه .

المُخْرِجِينَ شَرَارَ زِنَادٍ ، وَأَسْرَارَ عِدَاوَاتٍ وَأَحْقَادٍ ، أَحْلَاسَ السَّجُونِ^١
وَالْأَهْوَالِ ، وَبَقَايَا الْقَيْوُدِ وَالْأَغْلَالِ . فَلَمْ يَنْزِدْ بِمَوْتِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ
وَحَيَاتِهِمْ عَلَى أَنْ كَانَ الشَّرُّ سَبَبًا فَأَصْبَحَ أَسْبَابًا . وَالنَّاسُ حِزْبًا فَتَفَرَّقُوا
أَحْزَابًا . وَانْتَبَذَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِتِلْكَ الْوَهْلَةِ بِلَا نَسْنَسَةٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ ،
وَخَلَعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ . إِلَّا هُدْنَةً عَلَى دَخْنٍ ، يَتَطَارَدُ لَهُ بِصَيْدِهَا ،
وَيُنْشَدُهُ عَنْ كَيْدِهَا :

أَحْبَبْتُكَ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَيْيِهَا وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ^٢

وَفَتَرَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونَشُ بْنُ فَرْدَاكَسَنْدُ فَمَتَهُ عَلَى ثُغُورِهِ الْمُشْغُورَةِ ، فَجَعَلَ
وَقْتَهُ يَطْوِيهَا طَيَّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ . وَيَنْهَضُ فِيهَا نَهْضَةُ الشَّيْبِ فِي
شَبَابٍ . وَابْنُ ذِي النُّونِ يُلْقِمُهُ أَفْلَاحَ كَبِدِهِ . وَيَرْجِمُهُ بِسَيْمَدِهِ وَلِبَدِهِ ،
أَذْفُونَشُ لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِصَيْدِ الْعَمَقَاءِ ، وَلَا بِبَيْضِ الْأَنْوَقِ ، بَلْ
كَلِمَتُهُ^٣ إِحْضَارُ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ . وَتَسْوِمُهُ دَرَكُ الشَّمْسِ . وَيَطْلُبُهُ بَرْدُ أَمْسٍ^٤ .
مَتَى أَكَلَ الْإِنْفَاقُ شَبَّاحَ^٥ مَالِهِ . وَأَخَذَ الْإِنْفَاقُ بِكُظْمِ احْتِيَالِهِ ، وَأَحْسَ^٦
يَدُوْهُ الْمُشَاقُّ بِذَلِكَ ، مِنْ حَالِهِ . فَتَلَا لَمِيعَةً . وَذُرَى أُمْلَاكِهِ
بِفَيْعَةٍ ، عُدَدُ الْأَيَّامِ . وَدُرُوبُ الْإِسْلَامِ . فَتَلَا مِنْهَا عَلَيْهِ غَنَمٌ ،
مَا رَامَ أَخْذَهُ مِنْ يَدِيهِ لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَسْرُ

١ ص : خلاص السجون .

٢ أوردته العميدي في الإبانة : ١٢٥ وذكر أنه لصاحب السيف في برستان .

٣ ص : يكله .

٤ ص : أنس .

٥ ص : تيج .

فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل

وانجرت الحالُ بينه وبين أولئك الشيوخ المُخرَجين من المُطَبق بمقدار^١ ما رَقَعُوا خروقاتهم ، وجمعوا فريقهم ؛ فلما استوثق أمرهم ، وثاب إليهم شرُّهم ، دَلَفُوا لحزبه الذُّنُوفِي البَسِيس^٢ ، تحتَ إحدى ليالي جَدِيس ؛ أرغَتْ عليهم سَقْبُ السماء ، وتمخَّضت لهم بالداهية الدَّهْياء ، ورؤوسهم بأيدي الولدانِ لُعباً . وأتى ابنَ ذي النون صريحُهم تلك الليلة فصادفَ منه رأياً مغلوباً ، وقلباً مَنخوباً ، طارَ به الذُّعْرُ فقَرَّ ودونه من عبيده أسدُ الشَّرَى ، والأسوارُ شامخة الذُّرى ، كأنما ناجتَه القتالَ أضغاثُ حلمه ، أو رأى وجوهَ الأقتالِ في وجوه حُرِّمه ، تجفَل الظِّلِم ، لا يحفِلُ بالعارِ المُقيم ، ولا يُصَيِّخُ إلى الصديقِ الحَمِيم . حدَّثت أن زوجه بنتَ المظفَّر بن أبي عامر ، طريد جدّه — كان — من بلنسية ، وابنته منها تبعته يومئذٍ راجِلَتَيْن نَيِّفًا على فرسَخَيْن ، حتى أدركتا بمركوب ، وقد أخذ الجهدُ منهما بأوفر نصيب . واجتمع مشيخة طليطلة بفناء القصر ، مرتبكين بين اللّجاج والذُّعر ، عامَّتُهُم تتطاوَل بزعمها إليه ، وخاصَّتُهُم تنحِيلُ المَثولَ بين يديه ، وهم يظنُّونه بحيثُ يرى ويسمع ، ويتوهَّمون أنه سيفعل ويَصنع . فوجدوه قد أذعن للدنيّة ، وخرج من بعض تلك

١ ص : بمقدام .

٢ من معاني البسيس : المختلط . ولعلها : « البئس » .

المخارج الخفية ، ومشى القهقري ، قبلَ عَبرٍ وما جرى^١ ، فاستأمدت
كلابهم لأكل لحمٍ ليس له ناصر ، وهزج ذُبابُهم أثناء روضٍ ليس [له]
واردٌ ولا صادر . ولقوا يومئذٍ في سورِ الطاغية أذفونش من تلك الجواهر
المكنونة ، والذخائر المصونة .

وتلاحق بابتِ ذي النون بقية سِرْبِهِ المنقر ، وفلَّ عسكره المدبر ،
بحصنٍ من حصونه . وأقام أهلُ طُلَيْطلة بعده أيتاماً ولا كالسائمة المهملّة
نام راعيها ، وأكبشت^٢ مراعيها ، يتهايدون لحماً بين قتيدٍ ومُعجَلٍ ،
ويرتمون بشحمٍ كهُدَّابِ الدمقس المفتل^٣ ، في هياطٍ ومِياطٍ ، ولتَجِبِ
واختلاط ، ليس عليهم أمير ، ولا فيهم إلى الصُّوابِ مُشير . وتشاوروا
في أيِّ مَلوكِ الطوائفِ يُحكّمونه فيهم ، ويُلنقون إليه بأيديهم ، فطار
طائرُهم ، واختلقت بواطنُهم وظواهرُهم ، وأشرأبَ مَنْ كان يَتليهم
منهم لملكةٍ لم يُحكّموا إليها أسبابا ، وغنّيمةٍ لم يُوجفوا عليها خيلا
ولا ركابا^٤ .

وكان عندهم يومئذٍ أبو محمد يوسف بنُ القلاس البَطَلَيْيُوسِيّ أحدُ

١ من قول الشاعر : « وتمذّر القبيى قبلَ غيرِ وما جرى » وهو للشماخ (السان : غير ومجالس
ثعلب ٢٠٧ وفصل المقال : ٣٠٠) والغير هنا فيما يقال هو المثال الذي في حدة العين ،
يريدون قبل أن يطرف الإنسان عينه يعني بأقصى سرعة .
٢ أكبشت : كثر فيها الكباش ، وهو الناضج من ثمر الأراك .
٣ من قول امرئ القيس :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهدابِ الدمقس المفتل

٤ ص : ركباناً .

عَفَارِيَتِ الضَّلَالِ ، وَأَكْلَةِ الْأَمْوَالِ ، مِنْ رَجُلٍ أَجْرًا خَلَقَ اللَّهُ عَلَى دَمٍ وَهُوَ أَجْبَنُ مِنَ صَافِرٍ . وَأَجْسَرِهِمْ عَلَى رُكُوبِ تَبَجٍ ^٢ مُحَرَّمٌ وَهُوَ أَوْعَفُ مِنَ لَحْظِ فَاتِرٍ . نَبَهَتْ ^٣ تِلْكَ الْفِتْنَةُ عَلَى قَدْرِهِ ، وَرَفَعَ عُدْمُ الرِّجَالِ صَوْتَهُ بِذِكْرِهِ ، فَهَبَتْ رِيحُهُ شَمَالًا وَصَبَا ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَجَبًا ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ بِصَاحِبِهِ الْمُتَوَكِّلِ عُمَرَ بْنَ الْمُظَفَّرِ ابْنَ الْأَفْطُسِ ، وَأَعْرَبَ لَهُمْ عَنْ لَيْلٍ مَكْشُورَةٍ ، وَضَيَّقَ مَسَافَةَ نَظَرِهِ ، وَاشْتَغَالِهِ بِالتَّدَاتِ عَنْ أَكْثَرِهِ ، فَقَالُوا: بَرْدٌ كَبِيرٌ . مَا أَشْبَهَ سَعْدًا بِسَعْدٍ ! فَأَتَاهُ سَفِيرُهُمْ . وَخَفَّ إِلَيْهِ عَيْرُهُمْ وَنَقِيرُهُمْ . فَجَاءَهُمْ يَنْظُرُ مِنْ خَفَاءٍ ، وَيَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ . كَوَدَّ نَأْسَامُوهُ خُطَّةَ سَبَاقٍ ، وَحُبْسَيْنَةَ أَقَامُوها عَلَى سَاقٍ . فَدَخَلَ طَلِيظِلَّةٌ عَقِيبَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ . وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ . أَضَلَّ مِنْ يَدٍ فِي رَحِمٍ ، وَأَذَلَّ مِنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ ^٤ .

[و] قَدْ كَانَ ابْنُ ذِي النُّونِ حِينَ انْفَلَتَ مِنْ يَدِ الْمُقْتَنَصِ ، انْفِلَاتَ الْحِمَامَةِ مِنَ الْقَمَقَصِ . تَهَيَّأَ لَهُ دُخُولُ كُونُكَةِ فِي خَيْرِ طَوِيلٍ ، فَثَابَ إِلَيْهِ حِسَةً . وَرَجَعَتْ قَلِيلًا نَفْسُهُ ، وَرَاسَلَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونُشَ ، وَهُوَ بَحِثٌ يَسْتَهْزِئُ الْقِرْسَةَ ^٥ ، وَيَسْمَعُ الْقِصَّةَ . فَذَكَرَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ سَالِفَ

١ انظر الدرة الفاخرة : ١١١ وفصل المقال : ٤٩٩ والميداني : ١ : ١٢٤ والمسكوي : ٢١٧

٢ ص : تيج .

٣ ص : بهت .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٣ من سورة الكهف .

٥ ناظر إلى الآية : ٢٥ من سورة القصص .

٦ هذان مثلاً ، انظر الدرة الفاخرة : ١ : ٢٨٢ ، ٢٠٣ .

٧ كذا ولعلها : « الفرصة » .

عَهْدِهِ ، وشَهِدَ عِنْدَهُ أَنْعُمَ جَدِّهِ . فَبِالْزَّادِ الدُّنَوِيَّةِ - زَعَمُوا - وَرِيتِ
نَارُهُ ، وَمِنْ التَّلَاعِ الْمَأْمُونِيَّةِ ١ تَدَفَّقَ تَيَّارُهُ ، أَيَّامَ كَانَ اسْمُ هَذَا الطَّاغِيَةِ
مُحْمُولًا ٢ . وَصَعْبُهُ ذُلُّوْلًا . بِنَفْلَسِبِ أَخَوِيْنِهِ شَانَجُهُ وَغَرَسِيَّةَ عَلَيْهِ .
وَأَخَذَ هُمَا طَرَفِي سِلْكِيهِ مِنْ يَدَيْهِ ، فَأَوَاهُ الْمَأْمُونُ ابْنُ ذِي النُّونِ وَنَصْرَهُ ،
وَاسْتَقْلَّ بِسُلْطَانِ طَاغُوْتِهِ حَتَّى أَظْهَرَهُ ٣ ، وَعِنْدَ اللَّهِ جَزَاءُ مُوْفُورٍ ، وَلِإِلَيْهِ
مُنْقَابٌ وَمَنْصِيرٌ . فَلَبِثِي دَعْوَاهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ ، وَأَظْهَرَ الْارْتِمَاضَ لَمَّا
عَزَّهْ وَعَرَّاهُ . وَأَقْبَلَ مَعَهُ إِلَى طُلَيْطَلَةِ يَرْدُ مَاءَ بَمَاءَ ٤ ، وَيُسِيرُ حَسَنًا
فِي ارْتِفَآءٍ ٥ ، يُورِدُ وَرْدًا لِيَلِيَهُ صَدْرُهُ ، وَيَحْلُبُ حَلَبًا لَهُ أَكْثَرُهُ ، وَالْمَتَوَكِّلُ
بِهَا طَلِيحُ جَيْفَانٍ ، طَرِيحُ أَكْوَابٍ وَدِنَانٍ . مُكَبِّتًا عَلَى قَمَشٍ مَا نَحْنَهُ ٦
الْمِحْنَةَ ، وَتَجَافَتْ عَنْ انْتِهَائِيهِ الْفِتْنَةَ . مِنْ فَرَشٍ فَخْنَمٍ ، وَسُرَادِقٍ
ضَخْمٍ ، وَأَنِيَّةٍ وَكُتُبٍ ، وَصَعْدٍ مِنْ آلَةِ الْمُلْكِ وَصَبَبٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ
مِنْ خَيْبَتِ زُبُرَتِيهَا ، وَغُثَاءِ غَمَرَتِيهَا ، مَعَ مَا أَذَابُوا لَهُ صَدْرَ مَقْدَمِهِ
مِنْ شَحْنَمِ سَنَامِيهَا ، وَأَفَاضُوا مِنْ بَرْدِهَا وَسَلَامِهَا ، جُمْلَةً عَلَّمَتْهُ الْجُلُوسَ
فِي الصَّدْرِ ، وَأَرْتَه الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَلِّ [٧٤] وَالْخَمْرِ ، وَأَهْلَ طُلَيْطَلَةَ الْمَمْتَحِنُونَ ،
فِي غَمَرَتِهِمْ سَاهُونَ ، وَعَلَى أَعْقَابِهِمْ يَنْكُصُونَ ، يَخْوضُونَ وَيَلْعَبُونَ ،
وَيُخَرَّبُونَ بِيَوْتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ٧ .

١ ص : المأْمُونَةُ .

٢ ص : محْمُولًا ، وَرَبَّمَا قَرَنْتَ « مَجْهُولًا » .

٣ ص : أَظْهَرَ .

٤ مِنْ قَوْلِهِمْ : « أَنْ تَرِدَ الْمَاءُ بَمَاءَ أَوْفَقٍ » وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَى الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ .

٥ انْظُرِ الْمَثْلَ فِي فَصْلِ الْمَقَالِ : ٧٦ وَالْمِيدَانِي ٢ : ٢٥١ .

٦ ص : بَجْتِهِ .

٧ نَظَرَ إِلَى الْآيَةِ : ٢ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ .

خروج المتوكل من طليطلة ، ورجوع ابن ذي النون إليها

فلما تمكن المتوكل من الري والشَّيخ ، تذكر عواقب الطمع ، ورأى أنه إن زاد على ملء بطنه . كان كالسراج المنغمس في دهنه ؛ فكأيدهم بغيراره ، وأجلى مبادراً إلى بطليوس دار قراره ، يُنشد :

إن الله يُرجعني من الغزوة لا أرى وإن قلّ مالي طالباً ما ورائها

ومن غريب تأويل الأحلام ، أن رجلاً رأى المتوكل قبل دخوله طليطلة بأعوام ، كأنه يأكل فيها طعاماً فيه سلق مع رجل يُسمى يوسف ، ففسرها الأديب أبو عمر فتشج المعروف بابن برلوصه^٢ ، وقال : إن المتوكل سيدخلها على يد رجل يُسمى يوسف ، ويمتالان من مالها^٣ وذخائرها ، لكنهما يُسلقان بالأسنة فيها : ويقبض الحديث عنهما ، فخرجت الرؤيا كما فسّر .

ولما دخلها وحصل إليه منها ما حصل فتر وتركهم كالسفينة خانتها الريح ، والجسد بان عنه الروح ، بين ناب الطاغية أذفونش وظففره ،

١ البيت لمالك بن الرب التيمي ، انظر ذيل أمالي القاضي : ١٣٦ .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني : ٨٠٥ وانظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ ، وقد ورد اسمه في هذا الموطن من الذخيرة « برلوصة » بالفساد المجمة ؛ وفي الأصل أيضاً أبو عمر ابن فتح .

٣ ص : صالها .

يَقْدَحُ لَهُمْ نَارَ الْفِتْنَةِ عَنْ حَبْرِهِ . وَيُرِيهِمُ الْمَوْتَ فِي أَهْوَلِ صُورِهِ ،
مُقْسِمًا لَا يَبْرَحُ الْعَرْصَةَ حَتَّى يَنْفِي لَابْنَ ذِي النُّونِ بِضَمَانِهِ ، وَيُكَافِئُهُ
عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِهِ . وَكَانَ عَاقِدَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ أَنَّهُ إِذَا ضَرَحَ قَدَاها ،
وَأَمَاطَ أَذَاهَا ، وَاقْتَضَى دَيْنَهَا . خَلَسَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . هَذَا [مَا] أَضْمَرَ .
فَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ ، فَإِنَّهُ وَعَدَهُ أَداءَ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، لَا تَنْفِي بِهِ مُدَّةُ الْإِقْبَالِ ،
وَلَا إِرْخَاءُ الْحَالِ ، رَاهِنَهُ بِهَا أَبْنَاءَ الْأَمْجَادِ ، وَبَقَايَا مُعَاقِلِهِ الْأَفْرَادِ ، وَأَلْقَى
أَهْلُ طَلِيطِلَةَ بِأَيْدِي الصَّغَارِ ، عَلَى حِينِ أَيْقَنُوا بِالْبَوَارِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْشُوطَةُ الْحِصَارِ : فَجَاءَ ابْنُ ذِي النُّونِ يَتَقَدَّمُهُ أَذْفُونُش ، وَهُوَ يُظْهِرُ
مِنَ التَّزَامِ بِيَرِّهِ ، وَإِعْزَازَ نَصْرِهِ ، مَا بَهَّرَ الْعُقُولَ ، وَكَثَّرَ الْقَالَ وَالْقِيلَ ،
حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَارَ
أَعْجَبَ مَنْ تَوَرَّطَ فِي حَبَائِلِ كَيْدِهِ ، وَجَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازًا لِيَصِيدَهُ^١ .
وَكَمْ رَامَ أَهْلُ طَلِيطِلَةَ قَتْلَ ابْنِ ذِي النُّونِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْوَشَلَاتِ^٢ مِرَارًا ،
وَلَكِنَّهُ بَلَغَ مَدَاهُ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَأَبْقَاهُ ، وَكَانَتْ لَهُ فِيهِ مَشِيئَةٌ أَمْضَاهَا ،
وَقَضِيَّةٌ أَنْظَرَ بِهِ إِنْهَا^٣ ، لِذَلِكَ مَا خَبَأَتْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ ، وَسَلِّمَ مِنْ
الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٤ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النُّحْرِ سَنَةً أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، تَهَيَّأُوا لَهُ

١ من قول المتنبي :

ومن جعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام في من تصيدا

وفي ص : الضرغم بازياً .

٢ ص : الوشلات ، والوشلات : حالات الضعف .

٣ ناظر إلى الآية الكريمة « إلى طعام غير ناظرين إناه » (الأحزاب) .

٤ من قول المتنبي أيضاً :

وان أسلم فما أبقي ولكن سلبت من الحمام إلى الحمام

في عَدَدَهُم وَعَدِيدِهِمْ ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِ بِحَدِّهِمْ وَحَدَّيْدِهِمْ ، فَتَجَاوَلُوا عَامَّةَ
يَوْمِهِمْ فِي شَوَارِعِهَا ، يَتَرَامُونَ بِدَوَامِغِ الْحَتُوفِ وَقَوَارِعِهَا ؛ فَأَجَلَّتْ
الْحَرْبُ عَنْهُمْ قَدْ شَرَقُوا بِغُصَّتِهَا ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرَضَتِهَا ، وَتَسَاقَطُوا
عَلَى أَذْفُونِش يَشْكُونَ ابْنَ ذِي النَّوْنِ إِلَيْهِ وَيَسْتَصْرِخُونَهُ عَلَيْهِ . فَرَمَاهُمْ
بِحَجَرٍ ، وَلَبَّسَ لَهُمْ جِلْدَةَ نَعِيرٍ ، فَتَفَرَّقُوا بِكُلِّ سَبِيلٍ ، وَطَارُوا عَلَى
كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ ، حَتَّى مَاتَ ابْنُ مُغِيثٍ كَبِيرُهُم الَّذِي عَلِمَهُم السَّحَرُ ،
وَطَاغُوتُهُمُ الَّذِي شَرَعَ لَهُمُ الْكَفْرُ ، بِشِمْتُورٍ مِنْ أَرْضِ قَشْتِيلَةَ بَيْنَ
الدَّنَانِ وَالصُّلْبَانِ ، فَسَارَ إِلَى اللَّهِ إِيَابُهُ ، وَعَلَيْهِ حِسَابُهُ . وَرَجَعَ بَنُوهُ
أَخِيرًا فَانْتَزَعُوا بِمَدِينَةِ مَجْرِيطٍ ، وَانْحَشَرَ إِلَيْهِمْ ذُؤْبَانُ الْوَقَانِعِ ، وَأَذْبَتُ
الْمَطَامِيعِ ، فَكَانَتْ بَيْنَ ابْنِ ذِي النَّوْنِ وَبَيْنَهُمْ أَيَّامٌ عَدَّتْهُمْ لَهُ عَدَاً ،
وَسَاقَتْهُمْ إِلَيْهِ وَرَدَا ، حَتَّى بَادَ جُمْهُورُهُمْ ، وَتَلَاَحَقَتْ أَعْجَازُهُمْ وَصُدُورُهُمْ ،
وَبَلَغَ ابْنُ ذِي النَّوْنِ مِنْ هَدْمِ رُبُوعِهِمْ ، وَصَلَبِهِمْ عَلَى جَنْدُوعِهِمْ ،
مَا يُبْرِدُ صَدْرَ الْمُتَوَتِّرِ ، وَيُضْحِكُ سِنَّ الْمَوْتِ الْمُسِيرِ .

بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ، وما انطوى في ذلك
من خبر ، والتف به من قبيح أثر

قال ابن بسّام : وأخذ ابنُ ذِي النَّوْنِ أَهْلَ طُلَيْطَلَةَ لِحِينَ اسْتِقْرَارِهِ
فِيهَا بِفَيْكٍ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ ، وَأَدَاءَ مَا كَانَ ضَمِينَ لَأَذْفُونِش مِنْ الْأَمْوَالِ

الجلال ، فضرب مُدِيرَهُمْ بِمُقْبِلِهِمْ ، وَلَتَى آخِرَهُمْ كَيْبَرُ أَوَّلِهِمْ ، حَتَّى طَمَعَ فَقِيرُهُمْ فِي غَنِيهِمْ ، وَاجْتَرَأَ ضَعِيفُهُمْ عَلَى قَوِيَّتِهِمْ ، وَأَصْبَحَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَرْتَاغُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَيَلْتَفِتُ وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ أَهْلِيهِ . وَانْكَدَرُ أَذْفُونُشُ عَلَى طُلَيْطَلَةَ يَنْتَسِفُ مَرَّافِقَهَا ، وَيَقْعُدُ لِحَالِيَةِ أَهْلِهَا ثَنَائِيَاها وَمَضَابِقَهَا ، بِأَسِيرُ وَيَقْتُلُ ، وَيَحْرَقُ وَيُمَثِّلُ وَسَمَا السَّعَرُ ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ ، وَأُنْكِرَتِ الْمَوَارِدُ وَالْمَصَادِيرُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ .

وَكَانَ مِنْ غَرِيبٍ مَا اتَّفَقَ [٧٥] وَعَجِيبٍ مَا انْتَضَمَ مِنْ ذَلِكَ وَاتَّسَقَ ، أَنَّ الْبَرَّ كَانَ عَلَى زَعْمِهِمْ يَمُكُّثُ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً لَا يُؤْثَرُ فِيهِ طَوْلُ الْقَدَمِ ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَدَمِ ، وَلَمْ يُرْفَعْ مُدَّةُ الْفِتْنَةِ مِنْ الْبِيَادِرِ - عَلَى تَعَذُّرِ بَذَرِهِ ، وَضِيقِ الْحِيلَةِ عَنْ مُحَاوَلَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ - إِلَّا وَقَدْ بَدَأَ الْبَلَى عَلَيْهِ ، وَأَسْرَعَتِ الْآفَةُ إِلَيْهِ ، أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ . وَلَمَّا شَمَلَ الْبَلَاءُ ، وَفَدَحَتِ الْبِأْسَاءُ ، وَاتَى عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ الْقَتْلُ وَالْجَلَاءُ ، وَقَضَى الطَّاعِيَةُ أَذْفُونُشُ - قَصَصَهُ اللَّهُ - قِضَاءَهُ مِنْ اسْتِبَاحَةِ الْحَرِيمِ ، وَاسْتِثْنَالِ الرَّاحِلِ وَالْمُقِيمِ ، وَإِتْلَافِ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ . أَسْرَى تَحْتَ اللَّيْلِ ، فِي قِطْعَةٍ غَيْرِ وَافِرَةٍ مِنْ الْخَيْلِ ، فَتَزَلَ الْمُنْيَةُ الْمَصُورَةُ الَّتِي كَانَ الْمَأْمُونُ يُحْشِدُ إِلَيْهَا كُلَّ حُسْنٍ ، وَيُبَاهِي بِهَا جَنَّةَ عَدْنٍ ، وَيُنْقَلِبُ الْحَوِيرَ فِي جَيْدِ بَنِيَانِهَا ، وَالْإِشَادَةَ بِشَانِهَا ، ظَهَرًا لِبَطْنٍ ، فَاتَّخَذَ عُرُوشَهَا مَرَابِطَ لَأَفْرَاسِهِ ، وَلِأَيَوَانَاتِهَا مَلَاعِبَ لَأَرَاذِلَتِهِ وَأَرْجَاسِهِ . وَهَجَمَ الشِّتَاءُ فَحَمَنَهُ مِنْ مِيرَةٍ تَأْتِيهِ ،

١ ص : الجور .

٢ ص : وإيواناتها .

أومدَدِ يُوَافِيهِ ، فَأَقَامَ نَيْتَافاً عَلَى شَهْرَيْنِ لَا يُسْبِغُ الشَّرَابَ ، وَلَا يَمْلِكُ
 المَجِيءُ وَلَا الذَّهَابُ ، لَيْسَ لَهُ شَوْكَةٌ إِلَّا ظِلُّ لَوَائِهِ ، وَلَا مَدَدٌ إِلَّا
 ضَعْفُ مَنْ كَانَ يَلْزَاهُ . وَلَوْلَا اهْتِبَالُ مَأْوِكَ الطَّوَائِفِ بِإِقَامَةِ مَرَاْفِقِهِ ،
 وَإِصْغَاؤِهِمْ إِلَى هَدَرِ شَقَاشِقِهِ ، لَطَارَ شِعَاعاً ، وَذَهَبَ ضِيَاءً . وَطَفِقَ
 أَهْلُ طَلِيْطَلَةِ يَسْتَصْرِخُونَ مَنْ حَوَّلَهُمْ ، وَيُعْمَلُونَ فِي ذَلِكَ فَعَلَتِهِمْ وَقَوَّاهُمْ ،
 فَيَعْكِفُونَ عَلَى طَلَلٍ بَائِدٍ ، وَيَضْرِبُونَ فِي حَيْدٍ بَارِدٍ . فَلَمَّا نَأَى الشِّتَاءُ
 بِجَانِبِهِ ، وَخَلَّتْ بَيْنَ كُلِّ ذَاهِبٍ وَمَدَاهِبِهِ : مَالٌ بِأَهْلِ طَلِيْطَلَةِ مَسِيْلٍ
 لَا يَقُومُ لَهُ سَهْلٌ وَلَا وَعْرٌ ، وَطَلَعَ عَلَيْهِمْ لَيْلٌ لَا يَلُوحُ لَهُمْ فِيهِ صُبْحٌ
 وَلَا فَجْرٌ . وَاضْطَرَّ مَنْ أَخْطَأَتْهُ الْحَوَادِثُ ، وَتَخَطَّتْهُ تِلْكَ الْخُطُوبُ الْكَوَارِثُ ،
 — مِنْ أَشْدِّهَا ضَيْقُ الْحَصَارِ ، وَكَلْبُ الْبَرَارِ ، وَإِطَاءُ الْمُرَافِقِ وَالْأَنْصَارِ —
 إِلَى مُدَاخَلَةِ الطَّاعِيَةِ أَذْفُونَشَ ، فَشَرَعُوا فِي ذَلِكَ غَيْرَ مُظْهِرِينَ لِلْإِسْتِسْلَامِ ،
 وَلَا مُتَبَرِّتِينَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى ضَنْكِ ذَلِكَ الْمُتَقَامِ . طَمَعُوا فِي أَنْ يُغْرَوْهُ وَلَوْ
 بِإِغْلَاءِ سَوْمٍ ، وَيَخْدَعُوهُ عَلَى أَذْمَاءِ نَفْسِهِمْ وَلَوْ بِبِيَاضِ يَوْمٍ . إِشَارَةُ
 الْغُرَيْقِ إِلَى السَّاحِلِ ، وَاسْتِرَاحَةِ الْمُحْتَضِرِ إِلَى الطَّيِّبِ الْجَاهِلِ ؛ فَأَبَى أَذْفُونَشُ
 إِلَّا عَرَصَةَ الدَّارِ . وَأَمَّ الْأَوْطَارَ ، وَجَلَّجاً بَيْنَ التَّمَادِي وَالِاسْتِمْرَارِ ،
 لَعَلَّمَهُ أَيْنَ يَنْتَهِي طَلْقُهُمْ . وَتَقْدِيرُهُ لَمَّا عَسَى أَنْ يَنْفِي بِهِ رَمَقُهُمْ . فَخَرَجَ
 مِنْ أَعْيَانِهِمْ جُمْلَةً إِلَى مَضْرِبِ أَذْفُونَشَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَقَدْ ضَاقَ
 الْمَجَالُ ، وَتَلَحَّظَتْ الْأَجَالُ ، وَأَقْبَلَتْ الْحَتُوفُ تَحْتَالُ^٢ ، فَقَامَ الْحُجَابُ
 دُونَهُ ، وَقَالُوا : هُوَ نَائِمٌ فَكَيْفَ تَوْقِفُونَهُ ؟ فَعَدَلُوا إِلَى مَضْرِبِ شِسْتَنْدَ :

١ ص : مِنْ أَيْلِهَا .

٢ ص : تَحْتَلُّ .

شره العتيد ، وشيطانه المرید . وهامانه الذي أوقد له على الطين ،
 وعلمه الدفع بالشك في صدر اليقين ، أحد أعلاج ابن عبّاد - كان -
 من رجل متوقد جمره الذكاء ، بعيد المذهب بين الجُرّة والنكراء ،
 سفر بين المعتضد والطاغية فيرذلّند ، فعقد وحلّ ، ونهض بما حمل
 من ذلك واستقلّ . ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق
 اللّوم ، إلى المقرّ المذموم . واستقرت قدمه بجلبقية ، فاضطلع بالدروب
 والثغور . وغلب على سائر السياسة والتدبير . وصار بعد قُصاري
 ملوك الطوائف بالجزيرة نظرة من اهتباله ، وأدنى خطرة من باله .
 فأدخل على أذفونش يومئذ منهم جماعة فوجدوه يمسح الكرى من عينيه ،
 نائير الرأس . خبيث النفس ، وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة
 رأسه . فما نسوا دفر أطماره ، ودّرّن أظفاره . ثم أقبل عليهم بوجه
 كربه ، ولحظ لا يشكون أنّ الشر فيه ، وقال لهم : إلى متى تتخذعون ،
 وبأي شيء تطعمون ؟ قالوا : بنا بغية . [ولنا] في فلان وفلان أمنية ،
 وسمّوا له بعض ملوك الطوائف . فصقّ بيديه . وهافت حتى فتحص
 برجليه . ثم قال : أين رُسُل ابن عبّاد ؟ فجاء بهم يرفلون في ثياب
 الخناعة ، ويتنيسون بالسنّة السمع والطاعة . فقال لهم : منذ كم تحومون
 عليّ . وترومون الوصول إليّ ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وأين ما جيشكم
 به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بجملة ميرة . وأحضرُوا بين يديه كل
 ذخيرة خطيرة . ثم ما زاد على أنّ ركل ذلك برجليه . وأمر بانتهابه
 كله ، ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلّا أحضر يومئذ رُسله ،
 وكانت حاله حال من كان قبله . وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم ،
 وأهل طامطة يسمعون من دُلّ مقامهم ومصيرهم ، فخرج متشيختها
 من عنده وقد سقط في أيديهم . وطمع كل شيء فيهم ، وخلّوا بينه

وبين البلد ، لثلاثة أيامٍ من ذلك المشهد . ودخل طليطلة على حكمه ، وأثبت في عرصتها قدماً ظلمه . حكمهم من الله [٧٦] سبق به القدر ، فلم يكن منه وزر .

وخرج ابنُ ذي النون خائباً مما تمنّاه ، شرقاً ببعقي لما جناهُ ، والأرضُ تَضِجُ من مقامه . وتستأذِنُ في انتقامه ، والسّماءُ تودُّ لو لم تُطْلَعْ نجماً إلاّ كدَرْتَهُ عبيدَ حَتَفاً مُبِيداً ، ولم تُنشِءْ عارضاً إلاّ مَطَرْتَهُ عذاباً فيه شديداً . واستقرَّ بمحلّة أذفونش مخفور الذّمة ، مُذالَ الحرمة ، ليس دونه باب ، ولا دونَ حرّميهِ سِتْرٌ ولا حِجَابٌ . حدّثني مَنْ رآه يومئذٍ بتلك الحال وبیده اصطرلابٌ يرصدُ فيه أي وقتٍ يرحل ، وعلى أيّ شيءٍ يعول ، وأيّ سبيلٍ يتمثّل ، وقد أطافَ به النصارى والمسلمون ، أولئك يضحكونَ من فعله ، وهؤلاء يتعجبونَ من جهّله .

وعتاً آطاغية أذفونش - قصمه الله - حين استقراره بطليطلة واستكبر ، وأخلَّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصرَ ، وأخذَ يتجنّى ويتعتّب . وطفیقَ يتشوّقُ إلى انتزاعِ سُلطانهم والفراغِ من شأنهم ويتسبّب . ورأى أنهم قد وقفوا دونَ مدّاه ، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه .

وولّى شيشند المذكور تدبير طليطلة ، فهوّنَ عليهم الرزية ، وحسّبَ إليهم إعطاءَ الدنيّة ، بما أراهم من سهولةِ مراميه ، وبسطةِ فيهم من عدلِ أحكامه ، حتى استمال قلوبَ أعلامها ، وحسّبَ التنصراً إلى عامةِ طغامها ، وفجأ المسلمين من اختلافِ أهوائهم ، وتنصّرِ سفهائهم ، ما ضاقتْ عنه صدورُ الأيامِ ، واضطربتْ له قواعيدُ الإسلام . وقد كان من رأي شيشند الإبقاءُ على أهلِ طليطلة ، وقال لأذفونش : لست

تجدُ بمنّ تَعْمُرُها ، ولا تَظْفَرُ بِعاملٍ أَطوعَ مِن ابنِ ذي النُّونِ يدبّرُها ،
فأبى أذفونش إلاّ لِحاجاً في سَفْهِهِ ، وانحطاطاً في حَبَلِ شَرِّهِ . فلمّا هَيَّأَ
لَهُ مُلْكُهَا ، وانتَثَرَ في يَدَيْهِ سِلْكُهَا ، قال لَهُ شِشْنَنْدُ : اخْفِضْ جَنَاحَكَ
لأَهْلِهَا . واستَجَلِبْ جَالِيَتَهَا بما تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا . ولا تُلِجْ عَلَى ملوكِ
الجزيرة فَلَسْتَ تَسْتَغْنِي عَنْهُمْ ، ولا تَجِدُ عُمَلاً أَطوعَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّكَ
لِأَبَيْتٍ إِلَّا الإِلْحَاحَ عَلَيْهِمْ ، والتَّسَرُّعَ بِالْمَكْرُوهِ إِلَيْهِمْ ، ففَرَّتْهُمْ عَنْ ذِرَاكَ ،
وأَحْوَجَتْهُمْ إِلَى مَدَاخِلَةِ سِوَاكَ . فَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ أَتَاهُمْ أَذْفُونَشُ
يَوْمَئِذٍ مِنْحَاهُ ، وَخَالَفَهُ إِلَى رَكُوبِ هَوَاهُ ، وَشَرَعَ لَوَقْتِهِ فِي تَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ بِهَا ، خَاتَمَةَ النَّوَابِ ، وَنَكْبَةَ الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ . فَقَالَ لَهُ شِشْنَنْدُ :
إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَوْغَرْتَ الصَّدُورَ ، وَأَبْطَلْتَ التَّنْذِيرَ ، وَسَكَنْتَ مَنْ
نَشِطَ ، وَقَبَضْتَ مِنَ انْبِسَاطِ ، فَشَمَخَ أَذْفُونَشُ - لَعْنَهُ اللَّهُ - بِأَنْفِهِ ،
وَفَنَى مِنْ عِظْفِهِ ، وَأَصْغَى إِلَى طَنَانَةِ جَنُونِهِ وَسَخَفِهِ . وَأَمَرَ بِتَغْيِيرِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ يَوْمَ [. . .] لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .
وَحَدَّثَنِي مِنْ شَهِيدٍ طَوَاعِيَّتِهِ تَبَتُّدْرُهُ ، فِي يَوْمٍ أَعْمَى الْبَصَائِرَ وَالْأَبْصَارَ
مَنْظَرُهُ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ الْمَغَامِي آخِرُ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ ، وَاعْتَمَدَهُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَتَزَوَّدَ مِنْهُ ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ مُرَدَّةُ عَفَارِيَّتِهِ ، وَسَرَّعَانُ طَوَاعِيَّتِهِ ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدُ التَّلَامِذَةِ يَقْرَأُ . فَكَلَّمَا قَالُوا لَهُ عَجَلْ ، أَشَارَ هُوَ إِلَى تِلْمِيذِهِ
بِأَنْ أَكُلْ ، ثُمَّ قَامَ مَا طَاشَ وَلَا تَهَيَّبْ ، فَسَجَدَ بِهِ وَاقْتَرَبَ ، وَبَكَى عَلَيْهِ
مَلِيّاً وَانْتَحَبَ ، وَالتَّصَارَى يَعْظَمُونَ شَانَهُ ، وَيَتَهَايُونَ مَكَانَتَهُ ، لَمْ تَمُتْ
إِلَيْهِ يَدٌ ، وَلَا عَرَضَ لَهُ بِمَكْرُوهٍ أَحَدٌ .

وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ شِيعَةَ أَذْفُونَشٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ وَبَدَّدَهَا - أَشَارُوا عَلَيْهِ
يَوْمَئِذٍ بِلَبْسِ التَّاجِ ، وَزَيَّنُوا لَهُ زِيّاً مِنْ سَلَفٍ بِالْجَزِيرَةِ قَبْلَ فَتْحِ الْمُسْلِمِينَ

١ ص : وسلكت .

إيتاها من أعلاج ، فقال : لا ، حتى أطأ ذروة الملك ، وأخذ قُرْطُبَتَهُمْ
واسِطَةَ السِّلَك . وكان أعدَّ لمسجدِها الجامع — حمى الله ساحته مِن
الخطوبِ الروائع — ناقوساً تأنق في إبداعه ، وتجاوزَ الحدَّ في استنباطه
واختراعِه ، فالحمد لله مُوهِن أبده ، ومُبطِل كيدِه ، وجزى الله أميرَ
المسلمين ، وناصِرَ الدِّين ، أبا يعقوبَ يوسفَ بنَ تاشفين ، أفضلَ جزاء
المحسنين ، بما بلَّ من رماق . ونفَسَ مِن خِناق . ووَصَلَ هذه الجزيرةَ
من حَبْل ، وتجشَّم إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها من حزنٍ وسَهْل ،
حتى [ثلَّ] عروشَ المُشركين . وظهرَ أمرُ اللهِ وهُم كَارِهونَ ،
والحمدُ لله ربِّ العالمين .

فصلٌ في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف^١ وسياقةُ جملةِ وافرةٍ من نظمه ونثره

قال ابن بسّام : كان أبو عبدِ اللهِ بن شرفٍ بالقَيروان . مِن فرسان

١ له ترجمة في الصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٦٦ ومعالم الإيمان ٣ : ٣٩ والخريدة (قسم المغرب)
٢ : ٢٢٤ ومعجم الأدباء ١٩ : ٣٧ والوافي ٣ : ٩٧ والفوات ٣ : ٣٥٩ والنزركشي :
٢٧٨ ومسالك الأبصار ١١ : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٤٧ وصفحات متفرقة في ج ٣ ، ٤
من نفع الطيب ، وعنوان الأريب ١ : ٥٦ وقد جمع الأستاذ الميمني بعض شعره في « التنف من
شعر ابن رشيقي وابن شرف » (القاهرة : ١٣٤٣) ونشرت له رسالة بعنوان اعلام الكلام
(الرسائل النادرة - القاهرة ١٩٢٦) وهي نفسها بعنوان مسائل الانتقاد في رسائل البلغاء
مع مقدمة ابن شرف : ٣٠٢ - ٣٤٣ (القاهرة : ١٩٤٦) وقد نشرها الأستاذ شارل
بلا ومعها ترجمة فرنسية (الجزائر : ١٩٥٣) وذكر ابن دحية (المطرب : ٩٦)
أن شعره في خمس مجلدات ، وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٩١ (الحاشية : ٣)
حيث أشير إلى بعض مصادر ترجمته .

هذا الشأن ، وأحد من نظم فلائد الآداب ، وجمع أشتات الصواب ،
وتلاعب بالمنظوم والموزون ، [تلاعب^١] الرياح بأعطاف الغصون ،
وبينه وبين أبي علي ابن رشيق ماج بحر البراعة ودام ، ورجع نجم هذه
الصناعة واستقام ، وذهبا من المناقضة مذهباً تنازعاها شراً طويلاً ، وخلدها
ذكراً محمولاً ، واحتملاه - إن لم يسمح الله - وزراً ثقيلاً . وكان أبو
علي أوسعهما نفساً ، وأقربهما ملتصقاً ، ولابن شرف أصالة منزعه ،
وجلالة [٧٧] مقطعه ، ومثانة لفظه ، وسعة حفظه ، فتسمع بشعره
ملآن من وعوة وجعجعة ، ولكن ما أبعد ما يرومونه وأبدعه !
وسال سبيل فتنة القيروان : اللاعب بأحرارها ، المعتق على آثارها ،
فتردد على ملوك الطوائف بالأندلس ، بعد مقارعة أهوال ، ومباشرة
خطوب طوال ، وقد نبت شفرته ، وطفيت جمرته . وقد
قلت فيما تقدم إنه انتحى منحى القسطلي^٢ في شكوى الزمن ،
والحديث عن الفتن . كان معه كمن تصدى الرياح^٣ بجناح ، وقابل
الصباح بمصباح . واستقر أخيراً عند المأمون بن ذي النون ، فعليه خلع
آخر لبوسه ، ونثر بقية كيسه .

وكانت لعباد همة في اصطحاب الأحرار ، واستجلاب ذوي الأخطار ،
ينصب لذلك الحائل ، ويعمل فيه الحق والباطل ، حتى إذا عثوا إلى
سرجه ، واغترؤا بزبرجه ، سامتهم رد أبي قبيس^٤ على أبيه ، وأخذهم

١ زيادة من المسالك .

٢ يعني ابن دراج ، انظر القسم الأول : ٥٩ .

٣ المسالك : للرياح .

٤ كذلك هو أيضاً في المسالك ، والأصوب أن يكون بحذف « أبي » .

بالسعاية بين الفَرَقدِ وأخيه ، فمن أعياه منهم ركوبُ الصَّعابِ ، وعَصَّةُ
التَّقَلُّبِ بين المضايقِ والرحابِ ، عَزَّةٌ في الخطابِ ، وأطاعَ به سُلطانُ
الارتيابِ ، ﴿ أَيُحْسِنُكُمْ عَلَى هُونٍ أَمْ يَتَدَسَّهُ فِي التَّرَابِ ﴾ (النحل: ٥٩)
وقد ذكرت في أخبار ابن عبد البرِّ الكاتبِ^١ أنه انسلَّ مِنْ يَدِ عِبَادِ
انْسِلالِ الطَّيْفِ ، ونجا منه وأسأله كَيْفَ : وكان ابنُ شَرْفٍ هذا ممَّن
فَتَّهِمَ مَنَحاهُ ، وصمَّ عن رُقاها ، فلم يَجْتَمِعْ مع عبادِ في صعيدٍ ،
ولا أهْدَى له السلامَ^٢ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ . وستأتي أخبارُهُ معه ومع سواه ،
مُحرَّرةً النقدِ . مُقدَّرةً السُرْدِ .

ولأبي عبد الله عِدَّةُ تَواليفٍ^٣ أفاضها بحارا ، وأطلعها شموساً وأقماراً ،
منها كِتَابُهُ الموسومُ بـ « أعلام الكلام » وكتاب « أبكار الأفكار » وقَلَبَ
له هذه الترجمة بلشبيلية بعضُ الوزراءِ الكُتَّابِ ، فجاءَ في ذلك بالعَجَبِ
العُجَابِ . وقد أثبتُ في هذا الفصلِ مِنْ كلامِ ابنِ شَرْفٍ ما يَشْهَدُ بِذِكاائه ،
ويُغْنِي عن إطرائه .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

بلغني أنَّهُ استنهضَ صاحبه ابنَ رَشِيقٍ^٤ — مع منافرةٍ — كانت بينهما

١ انظر القسم الثالث : ١٢٥ وما بعدها .

٢ المسالك : ولا سلم عليه .

٣ يستفاد من كلام ياقوت (١٩ : ٤٣) أن أبكار الأفكار يحتوي مختارات من شعر ابن
شَرْفٍ مع أن بسام سيورد قول ابن شَرْفٍ (ص : ١٧٩) إنه يحتوي على مائة نوع من
مواظع وأمثال وحكايات قصار وطوال . وأن أعلام الكلام فيه فوائد لطائف وملح منتخبة ،
وأن رسالة الانتقاد مقامة نقدية . وذكرت له المصادر مؤلفات أخرى منها : رسالة ساجور
الكلب ورسالة نبح الطلب ورسالة قطع الأنفاس وغير ذلك (انظر الوافي والفوات) .

٤ ص : ابن شريق .

- في أن يجتمع العدوَّان بالطريق ، ويجوزا معاً إلى الأندلس. فأنشده ابن رُشيق^١ :

مما يغتصني في أرضِ أندلسٍ سَماعٌ مُقتدرٌ فيها ومُعْتَصِدٌ
ألقابُ مملَكَةٍ في غيرِ موضعِها كالهَرَبِ يحكي انتفاخاً صورةَ الأسدِ

فأنشد ابنُ شرف :

إنْ ترمِكَ الغربةُ في معَشَرٍ قد جُبِلَ الطبعُ على بُغْضِهِمْ
فقدارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ وأرضِهِمْ ما دُمْتَ في أرضِهِمْ

وتصَرَّفَ ابنُ شَرَفٍ في هذا المعنى فقال^٢ :

يا خائفاً مِنْ مَعَشَرٍ لا يُصْطَلَى بِنَارِهِمْ
[إنْ تُبْلَ من شرارِهِمْ على يَدَي شِرارِهِمْ]^٣
أو تُزَمَّ من أحجارِهِمْ وأنتَ في أحجارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُمْ ففي هَواهِمْ جارِهِمْ
وأرضِهِمْ في أرضِهِمْ ودارِهِمْ في دارِهِمْ

وكان أوَّلَ ما بعثَ إلى المعتضِدِ بإشيلية خمسُ قصائدَ من شِعْرِهِ مع
رَقعةٍ خاطبَ بها وزيرَه أبا الوليد بن زيدون ، يقول في فصلٍ منها :

١ معجم الأدباء ١٩ : ٣٨ وبيتا ابن شرف في المطرب والحريدة وانظر التتف : ١٠٣ والشريشي
٢ : ٢٥٨ ونسباً في الحريدة ١ : ٢٨٩ لعل بن فصال وفي الوافي (١ : ١٢٥) لأبي نصر

محمد بن محمد الرامشي وانظر الريحان والريهان : ١٤١

٢ منها ثلاثة في الحريدة وخمسة عند الصفدي ، وانظر التتف : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ بياض بالأصل وزدته اعتماداً على المصادر .

الآدابُ - أعزَّكَ اللهُ - لأربابها ، كالمحارمِ لذوي أنسابها ، تبدي
 البِنتُ زينتها لأبيها ، وتُرفِ الأختُ لأخيها ، ولمنْ كان له في المحرمِ
 شبيها ، وكذلك حُكْمُ ذوي الآدابِ فيها ، يرفعون بينهم حُجْبَ التحفظِ
 بيدِ الاسترسالِ ، ويدفعون سترَ التقبُّضِ بأكفِ البِشْرِ والإقبالِ . وقد
 رفعتُ إلى حضرةِ الرفيعةِ خمسَ أبكارٍ عُرُبَ . تخدمهنَّ وليدةٌ ذاتُ
 حُسنٍ وأدبٍ ، خصَّصتُ بالخمسةِ القرائضَ خيرَ المملوكِ ، وبالوليدةِ
 برَّ الحرِّ المملوكِ . وهنَّ وإن زدنَّ على أربعِ الشَّرعِ واحدةٌ ، فليست
 في دينِ الشَّعْرِ بزائدة ؛ ولما جازَ أكثرُ من أربعٍ لخيرِ الأنامِ ، اقتدينا بذلك
 في خيرِ الكرامِ .

ولما كنتُ - أعزَّكَ اللهُ - حَسَّانه المقَدَّم ، رأينا ما رآه صلى الله عليه في
 سيرين^١ . وقد كانت النيةُ ، لو تمتْ الأمانةُ ، حُضورِي بذاتي ، لزفافِ
 بُنيَّاتي ، فمتَّع من المُرَادِ مانِع ، ودفعَ بيدِ الأقدارِ دافِع . ولما صار
 الفِعلُ الماضي مُستقبلاً ، وبقيتُ للحاقِ مؤمِلاً ، وكلتُ بهنَّ ذا مَحَرَمِيهِنَّ ،
 واثمنتُ عليهنَّ ابن [. .]^٢ وهو الشيخ أبو فلان . فللوزيرِ الأجلِّ
 علوُ الرأي في قَبولِ ما عَرَضَه وليَّه المدلُّ على إكرامه ومكارمِ أخلاقه ،
 بما ينمُّ عليه من طيبِ أعراقه ، ويقومُ بعُذري إن وهِمَت ، وبِشكري
 إن فهِمَت . فهو بدري إذا لَبِي عَسْعَسَ ، وشمسي إذا صبحي تنفَّسَ .
 وأنا وإن بعثتُ بالأقمارِ في الأَطمارِ ، وبالشَّهوسِ في خَشَنِ الملبوسِ ،
 فهو برفقهِ ودقيقِ حدِّقهِ يُلَطِّفُ الهجنَ ، ويُحسِّنُ الخشنَ ، ويقدمُ

١ يشير إلى أن الرسول (ص) أعطى الجارية سيرين لسان بن ثابت .

٢ بياض بقدر كلمة .

في الغيبة ، ما يُعين عند اللقاءِ على الهيبة ، بقويّ مُنتبّه ، وعظيم
مُنتنه ، إن شاء الله .

فأجيب ابنُ شرفٍ برقعةٍ من إنشاءِ الوزيرِ الكاتبِ أبي محمد بن
عبدِ البرّ قال فيها : [٧٨]

رُبَّ أُمْنِيَةٍ شَطَطَ ، قد أتاحها قَدَرٌ ، ونَجِيَّةٌ فَرَطَ ، قد أراحها ظَفَرٌ .
وقد تقرب الأُماني ما يظنّه المرءُ^١ نازحاً بعيداً ، كما تُفِيْتُ ما يعتدُّهُ^٢
حاضِراً عتيداً . وكانت أخبارُك - أبقاك الله - تردُّ علينا أُرْجَةَ النسيم ،
عِطْرَةَ الشميم ، شهِيَّةَ المسموعِ ، رفيعةَ المحمولِ والموضوعِ ؛ وأشعارُك
تَزِفُ إلينا عرائسَ الألبابِ . ونفائسَ الآدابِ . فنُفْديكَ على البُعدِ بالأنفُسِ
والأقاربِ . ونُسْتَدْنِيكَ بالأُماني ونَحْسَبُها من الكِواذِبِ ؛ حتّى أسمعَ
الخبرُ باغترابك ، وطلَعَ البشيرُ بارتقابك^٣ ، ووافَتْ ورَّادَ خِطابك ، وقَهَقَه
مُجْلَجِلُ سحابك ، وتصدَّتْ بحارُ الطَّلَبِ لسُفْيَاك ، ونَمَّتْ رِياضُ
الأدبِ بربّاتك ، وهَزَّ الكرمُ عِطْفَه للقيالِ ، ووَصَلَ المجدُّ الأطرافَ طَرْفَه
بِرعيّاك ، وجُلِيتْ عليك^٣ عرائسُ الحالِيَّةِ في مَعَارِضِ الشَّدْوِ والإنشادِ ،
فَسَمِعِدَتْ من أكرَمِ الأكفَاءِ بالقبولِ والودادِ ؛ وحَطَّيْتُ عنده بالترَفِيعِ
والإِعْزازِ . ووُضِعَ ثوبها بالأنفُسِ في يَدَيِ بَزَّازٍ . وقد استعملتُ معك
في اسمِ المَعْتَصِدِ باللهِ مُفَضِّلِكَ - أيدهُ الله - مَذْهَباً من مذاهبِ رِوَاةِ
الحديثِ يُسمَوْنَه بالتَدْلِيسِ ، ويكادُ يُنسَبُ إلى الإشْكالِ والتَّلْبِيسِ ،

١ ص : الأمر .

٢ ص : بارتقابك .

٣ ص : عليه .

للعلم^١ المحيط أن الكرم من أسمائه وصفاته، والمجد من ألقابه وسماته.
 وسترد ، فتستقصيرُ وصفني بما تجيد . فاقصِدْ قصده ، تحلّ بطائل
 الإفادة ، وأمه وحده ، تحظّ بنائل الرفاة . ولا تبسّع في سوق
 الكساد فالنفاق^٢ أمامك ، ولا تسمّ ببضاعتك فالسوق قد أمك . واذكرُ
 ما أنكره ابنُ الزيات على حبيب ، وأنت المكتفي بحالك عن الضمير ،
 وبما خولك الله عن المشير . فذاتك أنفع شفعائك ، وأدواتك أرجح
 سفرائك . وقد خاطبك مُستقداً ، وجدّ مُعترماً ، ووجهه نحوك شيئاً
 يكون من زادك إليه ، ويُعينُ على مؤنة طريقك في قدومك عليه ، وذلك
 ثلاثون مثقالاً من ضرب السكة قبله ، ولم يُردّ بها غير ما أعلمك ،
 حتى توافي إن شاء الله فتستوفي . وعسى أن يكون وصولك لإسفار الفجر
 الذي صدّعته إلينا ، وحلولك نهار الصبح الذي أطلّعتنا علينا . وكان
 من البرّ أن أراجع عن الشعر ، لكن لا أخطو في ميدانك ولو كنتُ جريراً ،
 ولا أرجح في ميزانك ولو احتضنتُ ثبيراً .

قال ابن بسام : والذي ذكر ابنُ عبد البرّ مما أنكر ابنُ الزيات على
 أبي تمام لما مدحه بقصيدته التي أولها^٣ :

• هان علينا أن نقولَ ونفعلًا •

١ ص : لعلم .

٢ ص : فالنفاق .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٨ وعجز البيت ؛ « ولذكر بعض الفضل منك وتفضلا » وانظر

أخبار أبي تمام : ١١٩ وابن بسام يتابع زهر الآداب : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وهي من أحسن شعره ، وقَعَ له على ظهرها ^١ :

رَأَيْتَكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمَحاً وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بِضَائِعُ بَيْعِهِ فَيَوْشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بِضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَعْتَهُ طَابَ وَرَدُّهُ وَيُفْسَدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ شَرَائِعُهُ

فاعتذرَ إليه أبو تمام في قصيدته التي يقول فيها ^٢ :

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنْتَ غَرَّتْهَا ^٣ فَلَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلَبُ
وَلَوْ عَضَلْتَ عَنِ الْأَكْفَاءِ أَيْتَمَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي أَطْهَارِهَا أَرْبُ
كَانَتْ بَنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَنَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفَلِ بِهَا الْعَرَبُ

وقد قيلَ إِنَّ أبا تمام أجابه بقوله :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِراً أَسَامِجُ فِي بَيْعِي لَهُ مِنْ أَبَائِعِهِ
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِراً تَاجِراً بِهِ تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
فَهَرْتُ وَزِيرًا وَالْوِزَارَةُ مُكْرَعٌ يَغْتَصُّ بِهِ بَعْدَ اللَّذَازَةِ كَارِعُهُ
وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسْلِطاً فَعَادَ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطْيِيشُ سِهَامُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَا تُفْلُ مَقَاطِعُهُ

١ أخبار أبي تمام : ١٢٠ وزهر الآداب (حتى نهاية الخبر) .

٢ انظر الديوان ١ : ٢٥٨ .

٣ هذه الرواية ثابتة في الديوان وزهر الآداب ؛ ويروى أيضاً « عذرتها » .

٤ كان لنصيب - وهو شاعر أسود - بنات فكان يشح بهن على الموالي وتكره العرب أن

تزوجهن (شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٥٩ والمضاف والمنسوب : ٢٢٢) .

٥ ص : سوق .

وقيل إن هذه الأبيات منحوالة لحبيب ، وقيل قالها ولم تظهر إلا بعد موته .

رجع

فتوقف ابن شرف عن القدوم بيقدميه ، وكلف ذلك سين قلتميه .
وطرر تأليفه « أبكار الافكار » باسم عباد ، وبعث به إليه على البعاد . وقد
كان وسمه قبل باسم باديس بن حبوس في خطبة طويلة قال فيها : ما
ظننت الابتداع إلا ببلغ ، ولا حسبت الاختراع إلا فترغ ، حتى إذا استأثرت
بنيات صدري ، ولطائف فيكري ، بيت واحد الجنسية ، ومعنى غريب
البنية ، قلت لنفسي : هيهات ! لاشك أنك سبقت إلى هذه الغاية ، وعلمت
قلة الرواية ، وكثرت سباق الرواد ، وفراط الوراد ، فما تركوا للمتأخرين
من الرياض زهرة ، ولا من الحياض قطرة ؛ كما أن جيش الكرم
قد انهزم ، وزائر الشرف قد انصرف ، ومركوب المجد قد ند ، فعشت
أظن هذا الظن ، حتى سافرت إلينا رفاق الأخبار بشهادات زكاها
مرور الأيام ، ودؤوب الدوام ، تشهد بسودد بان عن السودد العصامي ،
وحزم فاق الحزم الهشامي ، وجنود جاوز الجود الكعبي ، وبأس أنسى
البأس المصعبي . ثم سقر لي الدهر عن سقر إلى مغرب [٧٩] الدنيا
ومشرق العلنيا ، والبقعة المباركة البادية ، والدولة المظفرية ،
والمملكة الشاخة الحميرية ، والحضرة الشريفة المنيفة الغرناطية .
فعاينت عالماً في عالم ، قد شركوه في النسبة إلى آدم ، وانفرد من
مناسبتهم ، وشدد عن مجانستهم ، بحميل طرائق . وحميد خلانق ،

١ طرر : (بالهملة) أي جعل اسمه طرة ، وقد يمكن أن تقرأ « وطرر » .

انفردت انفراداً سهيلاً ، وجمعت في المرأى والمسمع ما زاد على زبد الخيل . مغرئ بالأدب المهجور بل المطرود ، سالياً عن المال المعشوق بل المعبود ، مُنفقاً للحمد الدفين^١ المرسوس إلى صنوف من الفضائل ، وأنواع من الجلائل ، لا يحيط بها الوصف ، ولا يجمعها الرصف ، يُغني النقل الكافي والتواتر الإجتماعي عن تآنيتهما على ألسنة الأقلام إلى أفهام الأنام . وقد قدحت زند الفكر فأورى شرراً ، وامتحنت^٢ قلب القلب فأجرى نهراً ، فرقت في هذا المجموع من الكلام المنشور المسجع الأوساط والأطراف ، والمنظوم المكمّل بتيجان القوافي ، ما استنبطته من ذوات صدري ، واستنتجته من بنات فيكري : فيقرأ ابتدعتها وسجعتها ، ومعاني حكايات اخترعتها ، تطرزها الأقلام ، وترقم بها أردية الكلام ، وأنا استغني بقراءة القارئ أصنافها ، عن أن أقدم أوصافها . وهي بنات مؤلفها ، وأسجاع مصنفها ، وليست كالأسجاع المنسوبة لابن أبي الزلازل^٣ ، وهي بنات شتى قبائل ، لم يزد على أن يبتزحكاياتها ، وطمس معالم آياتها ، لييصح له ما شرط في السجع من الأعداد ، فأضاع ما يراد لصون ما لا يراد . وقد تجمّل بغير ثيابه ، وأنفق من غير اكتسابه ، وأنا أنشد قول أبي النجم^٤ :

١ ص : الدقيق .

٢ ص : وامتحنت .

٣ هو الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد الكلبي أبو عبد الله (- ٣٥٤) كان كاتباً شاعراً وله مصنفات منها « أنواع الأسجاع » ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ٣٤٣ وروى فيه عن شيوخه وغيرهم (معجم الأدباء ١٠ : ١١٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦) .

٤ هو أبو النجم العجلي الراجز واسمه الفضل بن قدامة (انظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٥٧ =

• أنا أبو النجم وشِعْرِي شِعْرِي •

وعلى أي حال كان مجموعنا هذا ، فيشرفه شرف من له يجمع ،
وإلى يده العليّة يرفع ، فمستته يمتناه ، ولحظته عيناه . فلو كان
صمصام عمرو ليسواه ، ما انتهى من الذكر منتهاه ؛ ولولا حاجب
ابن زُرارة ما دُكرت قوسه ، ولولا حبيب ما عُرف أوسه ، وإنما عُرف
الطور بالكلسيم ، وشرف المقام بإبراهيم .

ومِن كلامه في صدر كِتابيه المترجم : « أعلام الكلام » فصل
يقول فيه : قد أطلت الوقوف بالعُكوف ، على غير ما تصنيف : في شتى
الأنواع ، فلم أرها إلاّ ولدًا عن والدٍ ، وطارقًا عن تاليدٍ ، فلا تكادُ تُريك
غريبةً ولا شاردةً إلاّ منقولة : « حدثني فلان ، وسمعتُ عن فلان » ،
والمؤلفون قصاص بأقلامهم ، وإن لم يتقصوا بكلامهم ، وقد تكرر
تواليهم على الأبصار والاسماع ، والمكررُ مَمْلُولٌ بالإجماع ، وللتفصيل
صباغة بالغرائب ، وإن لم تكن من الأَطايِب ، لانفرادها عما سَمِمتهُ القلوب ،
وتجافت به الجنوب ؛ إلاّ أن الابتداع والاختراع عليهما [باب ، بينه وبين
الاستطاعة حجاب . وقد كنتُ حاولتُ منه ما لم أسبقُ إليه ، ولم أجعلُ
سوى ناظري مُعيني عليه ، فصنفتُ الكتاب الملقب بـ « أبكار الأفكار » ،
يشتمل على مائة نوعٍ من مَواعظ وأمثال ، وحكايات قِصارٍ وطِوالٍ ، مما
عزوتها إلى من لم يحكها ، وأضفتُ نسجها إلى من لم يحكها ، قد طُرزت

= والخزانة ١ : ٤٨ والشعر والشعراء : ٥٠٢ ومجمع المرزباني : ٣١٠ والسمط : ٣٢٧ ،
وانظر هذا الشطر في الأغاني ٢١ : ٣٧١) .
١ ص : أطلب .

بِلُحْمَحِ الْجَدَّةِ وَالْهَزْلِ ، وَحُسْنَتْ بِمُقَابَلَةِ الضَّدِّ لِلْمِثْلِ ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ
كَلِمَةٌ [رَوَايَةٌ] رَوَيْتُهَا عَنْ قَدِيمٍ وَلَا جَدِيدٍ ، وَلَا حُدُثَتْ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ
وَلَا بَعِيدٍ . وَقَدْ رَفَعْتُ إِلَيْهِ الْبِكْرَ ، ابْنَةَ الْفَيْكُرِ ، فِي هَوْدَجِهَا الْفَرَجِ ،
وَجِلْبَابِهَا الْأَرْجَ ، وَأَنْتَ الْكُفُو الْكَرِيمُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ الْحَرِيمُ ،
الَّذِي لَا يَشُوبُهُ التَّحْرِيمُ ، وَعَلَى كَرَمِكَ الْقَبُولُ ، وَمَا أَهْدَاهُ الْوُدُّ فَمَقْبُولُ .
فَلَمَّا وَضَلَ الْكِتَابُ وَالْحِطَابُ إِلَى الْمُعْتَصِدِ لَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ إِنْفَازِ صَلَاتِهِ
إِلَيْهِ عَلَى الْبُعْدِ ، وَرَاجَعَ ابْنَ شَرْفٍ بِرُقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا ،
قَالَ فِيهَا : وَرَدَ كِتَابُكَ الْأَثِيرُ ، فَاقْتَضَيْتَ مِنَ النَّثْرِ الْبَيْدِيعَ ، وَالنَّظْمِ
الرَّقِيعَ ، مَا يَهْزُ أَعْطَافَ الضَّمَامِثِ ، وَيَسْرِي فِي حَيَاثِي الْخَوَاطِرَ ، وَتَتَلَقَّاهُ
النَّفُوسُ تَلَقِّيَ ارْتِيَاحٍ إِلَى بَدَائِعِهِ ، وَفَتْنَةٍ بِمَبَادِيهِ وَمَقَاطِعِهِ ، وَلَا غَرَوُ ،
فَإِنَّكَ عَلَّمَ الْعِلْمَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَحْوِي قَصَبَ السَّبْقِ فِي مَيَادِينِهِ ، وَيُهْدِي
الْيَانَعَ الْغَضَّ مِنْ رِيَا حِينِهِ . وَقَدْ كَانَ لِي نَزَاعٌ إِلَيْكَ ، وَحِرْصٌ عَلَيْكَ ،
وَتَصَوَّرُ لِلْأَنْسِ بَكَ ، لَوْلَا مَنْ جَلَا لَكَ الْغَيْشُ فِي بَعْضِ النَّصِيحَةِ إِذْ
حَسَدَ ، وَلَمْ يَشْكُ فِيمَا تَرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ فَلَمْ يَأَلُ أَنْ أَفْسَدَ . وَلَا
بَدَأَ لِعُقَارِبِ الْحَسَدَةِ مِنْ دَيِّبٍ « وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصَحِهِ بِدَيِّبٍ »^١ وَلَكِ —
مَعَ تَوَقُّفِكَ ، وَأَنِّي سَلَكَتُ بِكَ مَقَاصِدُ تَصَرُّفِكَ — لَدَيَّ الْمَحَلُّ الْكَرِيمُ ،
فَدَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ .

وَتَأْدَى مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ التَّأْلِيفُ الرَّائِقُ ، وَالتَّصْنِيفُ الْفَائِقُ ،
فَأَجَلْتُ نَظْرِي مِنْهُ فِي سِحْرِ إِلَّا أَنَّهُ حَيَالُ ، وَفَتَقَنْتُ بِهِ نَبَجَ بَحْرِ إِلَّا

١ عجز بيت لأبي الأسود، ديوانه: ٣٣ (ط / ١٩٧٤ تحقيق آل ياسين) والمقد ٥ : ٤٤٤
(وانظر تخريجه في الديوان) وصدرة : فما كل ذي لب (أو : نصح) بمؤتيك نصحه .

أنه زُلال . ورأيتُ كيف تَزْرَحِم في العِلْمِ بالمنكِبِ العَمَمِ ، وتأخذُ^١ من البلاغةِ في المَذْهَبِ الأَمَمِ . فما شِئْتَ مِنْ مَثَلٍ سائرٍ ، وبِئْسَتْ [٨٠] نادرٍ ، وفَقِرَ مَحْذُوءُ^٢ بأمثالِها ، ونُكِنَتْ غَرِيبَةً مُضَافَةً إلى أَشْكَالِها ، ممَّا اتصَلَتْ بِهِ يَدُ الإِحَاطَةِ بِصِحَّةِ البِرَاعَةِ ، وتَزَيَّنَتْ دِيبَاجَةُ الطَّبَعِ بِرَقَمِ الصَّنَاعَةِ ، فهو مُؤَنِّسِي ، وشُغْلُ مَجَالِسِي . وقد وَجَّهَتْ إِلَيْكَ مع الوزيرِ المُتَقَدِّمِ الذِّكْرَ ، ما أَحَبُّ أَنْ تَضَعَ عَلَيْهِ يَدَ السِّتْرِ ، مكانَ لسانِ الشُّكْرِ ، فإني أَعْلَمُ أَنَّهُ عَدَدٌ يَقْصُرُ عَنْ قَدْرِكَ ، وَيَقِلُّ فِي جَنْبِ اللّازِمِ لَكَ ، وذلك مائةٌ مِثْقَالٍ مِنْ ضَرْبِ السِّكَّةِ قِبَلِي . فَتَفَضَّلْ بِقَبُولِها ، والإِعلامِ بِوَصُولِها .

قال ابن بَسَّام : ومع وصولِ هذه الصِّلَةِ إلى ابن شَرَفٍ ، لم يَنْزَلْ على مُلُوكِ الطَّوَائِفِ يَوْمَئِذٍ يَتَطَوَّفُ وَيَتَنَقَّلُ في الدُّوَلِ مِنْ مَنَزَلٍ إلى مَنَزَلٍ ، وَمِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، إِلَّا حَضْرَةَ الْمُعْتَصِدِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُخَاطَبُ بِهِ وَيُنْشِدُهُ :

أَحْبَبَكَ في البِتُولِ وفي أَيْيها وَلَكِنِّي أَحْبَبَكَ مِنْ بَعِيدِ^٣

وتوهم جملةً أَنَّ بَوَادِي إِشْبِيلِيَّةَ تَمْسُاحاً مِنْ تَمَاسِيحِ النِّيلِ ، وجعل هِجِيرَاهُ بَيْتِيَّ أَبِي نَوَاسٍ حَيْثُ يَقُولُ^٤ :

١ ص : تَزْدَحِم . . . ويؤخذ .

٢ ص : مَحْدُودَةٌ .

٣ قد مرَّ تَخْرِيجُهُ في هذا الْقِسْمِ ص : ١٥٦ .

٤ ديوان أبي نَوَاس ٢ : ٩٩ (تحقيق فاجنر) .

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً إِذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ بِالنَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ فَلَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ^١

وقد حدثت أيضاً أنه خاطب المعتضد بهذه الأبيات^٢ :

أَنْ تَصِيدْتَ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ أَوْ سَعَتَهَا الْحَبَّ حَتَّى ضَمَنَهَا الْقَفَصُ^٣
حَسْبِي فُرْصَةٌ أُخْرَى ظَلَفْتَ بِهَا هَيَّاهُ مَا كُلَّ حِينَ تُمْسِكُنِ الْفُرْصَ
وَذَا هِرَّ حَسَنٍ أَيْضاً لِقِصَّتِهَا لَكِنْ لَهَا بَاطِنٌ فِي طَيِّبِهِ قِصَصُ^٤
لَكَ الْمَوَائِدُ لِلْقُصَادِ مُتْرَعَةً تُرْوِي وَتُشْبِعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غُصَصُ^٥
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا انْتَشَبُوا لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعْشَرٍ خَلَصُوا
وَلَمْ يَطِيبْ قَطُّ لِي مَنْ يَلْدُ وَلَا سَلَوَى إِذَا كَانَ فِي عُقْبَاهُمَا مَغْصُ^٦

قال هذا لتواتر الخبر عن المعتضد بازورار رُكْنِهِ ، وخُشُونَةِ
حَزْنِهِ ، فَأَضْرَبَ عَنْ ضَرْبِهِ ، وَلَمْ يَتَّعِزْ لِلشُّبْهِةِ فِي حَبَائِلِ نَشْبِهِ .
خَوْفًا أَنْ يَوْرَطَهُ الْهَوَى فِي هَوَانٍ ، وَيَسْقُطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ^٧ ،
وَيَطِيحَ فِي جَمْلَةٍ مِّنْ طَاحَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخُلَطَاءِ وَالنَّدَمَانِ^٨ .

١ البواقيل : الجرار بلغة القبط ، واحدها باقلة (الديوان) ؛ وفي شفاء الغليل « براقيل »
- بالراء - ونقل عن الصولي أن البراقيل سفن صغار ؛ قال : وقال علم الهدى في الدرر
(أمالي المرتضى ١ : ٥٩٦) إنما هو جمع براقال وهو كوز من الزجاج وما ذكره الصولي
وهم منه ؛ قلت : وفي أمالي المرتضى : بواقيل - بالواو - ومفردها « بوقال » وتعريفه « آلة
على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره » . وعلى هذا فإن وروده بالراء المهمة
في شفاء الغليل تصحيح . وعند دوزي « Cruche » وهي جرة ذات عروة ، واللفظة
مأخوذة من الإغريقية « Baucalis » ؛ وانظر الشريشي ٢ : ٣٨٤ .

٢ ورد منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٢٣٩ .

٣ قد مر هذا المثل كثيراً في الأقسام السابقة ، انظر مثلاً ١ : ٤٩٠ ، ٣ : ١٢٥ .

٤ ص : والندماء .

فصول من نثره في أوصاف شتى

فصل : جَرَى بِكَوْدَ نِهْ إِلَى غَايَةِ تَتْبَاطُأ عَنْهَا السَّوَابِقُ ، وَتَتَطَاطُأ عَنْ سُحُوتِهَا
السَّوَامِقِ ، فَلَمْ يُحِطْ بِوَصْفِهَا ^١ ابْنُ صَفْنَوَانَ ، وَلَا مَسَحَبَ فِيهَا لِسَانَهُ ^٢
سَحْبَانِ . وَأَيْنَ لِسَانُ بَاقِلٍ ، مِثْلَ سَحْبَانٍ وَأَيْلٍ ؟ فَالْفُصْحَاءُ فِي الْعَجَزِ
عَنْهَا مَعْدُورُونَ ، فَكَيْفَ الْمُعْدَرُونَ ؟

فصل : كَمْ حَاوَلَ دَفْنَ الشَّمْسِ فِي الرَّمْسِ ، وَرَدَّ الْأَمْسَ بِالْخَمْسِ ،
وَنَيْلَ النَّجْمِ بِاللَّمْسِ .

فصل : أَوْضَحُ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةَ ، لِيَعْنِي زَرْقَاءَ الْيَمَامَةِ . أَشْهُرُ مِنْ
النَّارِ عَلَى الْمَنَارِ ، وَاللَّيْلُ كَالْقَمَارِ . أَبْيَنُ مِنْ الْكَعْبَةِ لِلطَّائِفِينَ ، وَمِنْ
الْمَسَاجِدِ لِلْعَاكِفِينَ . أَشْهُرُ مِنْ الزَّبْرِقَانِ عِنْدَ جَرَّوَلٍ . وَمِنْ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ
عِنْدَ السَّمَوَالِ . أَظْهَرُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْهَرَمَيْنِ . أَشْهُرُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الطَّائِي ،
وَفِي الْإِيَادِي مِنَ الْإِيَادِي . أَشْهُرُ مِنَ الْآسِ فِي الْأَعْرَاسِ . أَوْضَحُ مِنَ النُّجُومِ
لِبَطْلِيمُوسَ ، وَالطَّبَّ الْجَالِينُوسَ ، وَالْعَاجِ فِي الْآبَنُوسِ .

فصل في ضده : هُوَ أَخْفَى مِنْ نَقْطَةِ الْجِيمِ ، وَمِنْ بَيَاضِ الْمِيمِ . أَخْفَى
مِنْ الْأَسْرَارِ عِنْدَ الْإِحْرَارِ . أَخْفَى مِنَ السَّهْوِ ، وَمِنْ دِلِ الرَّهْأِ - الرَّهْأُ مَدِينَةُ

١ ص : بصفوها .

٢ ص : لسان .

بالشام وكان أهل الإنجيل يخفون هذا المنديل في كنيسة لها ويؤمنون أنه
مينديل عيسى ثم سرق واشترى فعُدِمَتْ بركته . أخفى من نفَسِ
الجَبَّان [إذا التَقَتْ] ^١ حَلَقَتَا البِطْطَان . أخفى من بَيْضَتِي الخائِف ، وقد
أحسَّ بالطائِف . أخفى مِن تفسِيرِ شِعْرِ لَبِيد ، على فَهْمِ البَلِيد : أخفى
من عَطَارِدِ على المَطَارِد . أخفى من السَّوسَةِ في العُود ، وَمِن السِّرِّ في
الرُّعود .

فصل : قَدَحُهُ ^٢ مُجَلَّتِي ، وَسَيْفُهُ مُجَلَّتِي ، ورياضُهُ أَرْجِيَّة ، وحُلُّهُ
مَدْبَجَةٌ ، وطِبَاعُهُ مُهْدَبَةٌ ، وخَلَاتِقُهُ مُؤَدَّبَةٌ ، وعُقْدُهُ مُؤَرَّبَةٌ ، وأَرْضُهُ
مُعْشِبَةٌ ، وألفاظُهُ رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ . لَا يَمْلَأُهُ جَلِيسُهُ ، وَلَا يَجْفُوهُ أَنْيسُهُ .
عَقْلُهُ أَحْنَفِي ، وَعِلْمُهُ سُرِّيحِي ، وَذَكَوُّهُ لِيَاسِي ، وَأَدْبُهُ خَلِيلِي .

فصل : يُقَدِّمُ الحَزْمَ ، وَيُثْنِي بالعَزْم . يُوَاكِبُ الكَوَاكِبَ ، وَيَتَعَقَّبُ
العَوَاقِبَ ، يُشَاوِرُ ذَوِي الأَلْبَابِ ، عَلَى أَنَّ رَأْيَهُ لُتَبَابٌ ، يَشِبُّ وَثُوبٌ
اللَّيْثِ ، وَيَتَدَفَّقُ دَفُوقُ ^٣ الغَيْثِ . وَيُرَاوِحُ بَيْنَ العَجَلِ والرَّيْثِ :
نَوْمُهُ غِرَارٌ واضْطَرَارٌ ، وَحَاجَاتُهُ سِرَارٌ ثُمَّ اقْتِدَارٌ . لَا تُثَبِّطُهُ الظُّلُلُ وَلَا
الظُّلَالُ ، وَلَا تَطْبِيهِه الكِلَالُ وَلَا يَشْنِيهِ الكِلَالُ . عَزَمَاتُهُ شِهَابِيَّةٌ ، وَإِضْبَابَاتُهُ
عُقَابِيَّةٌ . رَأْيُهُ قَبَسُهُ ، وَعَزْمُهُ فَرَسُهُ . بَصِيرَتُهُ بَصَرُهُ . وَصَدْرُهُ وَرْدُهُ
وَصَدْرُهُ .

١ بياض في ص .

٢ ص : قد حمل .

٣ ص : ويتوقف وقوف .

٤ ص : ويراث .

فصل : هَرَمُ الجود ، على العِلَّاتِ والوجود . كَفَهُ غَيْثُ . لا يبالى من حَيْثُ . ماله أَكْثَرُ جودِهِ . على جُنُودِهِ . أَغْنَى جيشه ^١ . لَذَّاتِهِ في الإكثار والإيثار . والأخذ بالثار . يزيحُ الأغلال ، ويبلغُ الآمال . يحدثُ بمكارمه الركب ، ويُنسى بفطرِ مَسَاحِهِ حاتمٌ وكعب .

فصل [٨١] : أسدٌ وحده ، ودَعَجَ جندَه . قَلْبَهُ يخرجه عن القلب ، وضرائبُه تقتاده إلى مكان الطعن والضرب . يحملُ إذا مالوا ، ويثبتُ إذا جالوا . تارةٌ هو للميسرة يمين ، وتارةٌ للميمنة كمين . وتارةٌ للقلب حصنٌ حصين ، تستأسدُ به الذُوبان ، ويتشجعُ بقربه الجبان ، عيونُ عسكرِهِ ، إلى مغفرِهِ ، تُعَلِّي السهام . عَبَسِي الإقدام ، بسطامي المرباع ، عاميري الطباع ، عِصاميُّ السيادة ، مُصْعبي الحِلالة .

فصل : عادلٌ ولا مجادل ، مُنْصَفٌ مُنْتَصَف . سُلْطَانُهُ رَحمة ، وسيرتُهُ نِعمة . يأخذُ الحقَّ ويُعْطِيهِ ، ويرمي الغَرَضَ فلا يَحْطِيهِ . يُنْصَفُ المملوكُ من المملوكِ ، ويأخذُ للرئيس من الصَّعْلوك . مرفوعُ الحجاب ، منزوع رداء الإعجاب . يُنْقِمُ الحقَّ على شقيقه ، ويَحْكُمُ بالعدلِ لعدوِّه على صَدِيقِهِ ، سواءٌ عنده البعيدُ والداني . والقحطانيُّ والعدناني ، سَيِّئَانِ عنده القُرْشِيُّ في الحقِّ والعُكْلِي ، والعنسيُّ والسلوليُّ ؛ لا فرقَ عنده بين مُضَرٍّ في الحقِّ . وحِمْيَرٍ وسائر الخلق . الغُربةُ عنده قرابةٌ قَرِيبَةٌ . ما لم تَصَحِّبْها رِيبَةٌ . لا يغلو في الهاشمية . ولا يعدو على الأموية ، ولا يَلْتَفِتُ

١ كذا وردت هذه العبارة ولعلها : ملك : أكثر جوده ، على جنوده ، أغنى جيشه [وملك عيشه] .

إلى الأهاجي الباهلية . (سلول وعَنَسْ وعُكُل وباهلية الأُمُ قبائل العرب .
وقيل إنَّ سببَ ذلكَ أن الشعراءَ هَجَّتْها ولم يَكُنْ لهم شعراءُ يذبتون
عنها فلبسهم الذمُّ وأكلهم الهجاء .)

فصل : أمير يأمره حليمه فيطيع ، ويحمّله ما لا يُستطاع فيستطيع :
كم أعطي الظفّيرَ فغفّرَ ، وجرَّعَ الصبرَ فصبر . له حليمٌ معاوية ، على
الأعداءِ العاديةِ . له ثيابٌ يَلْمَسُهم ، وتحنّكُ الجذعُ الأزلَمُ^١ . قلبه
قليبٌ واسع ، وغوره بعيدٌ شاسع .

فصل : وزيرٌ يُنمِّمُ أميره ، مستوطناً سريره . متحرّكٌ وهو قارٌّ ،
ويُرى جالساً وهو مارٌّ ، كالنجمِ يرى وهو ساكن . وقد تحرّكت به أماكن .

فصل : كاتب ، فيضله راتب ، وحقّه واجب . أقلامه رِماح ، ورسائله
صفاح . وأنفاظه فيصاح ، وأخلاقه فيساح . إن قمرطسَ أصاب ، وإن سئل
أجاب . وأصابَ عينَ الصواب . لسانه لسانُ المُلْك ، ومكانه واسطة السِّلْك .

فصل : قائدٌ عليه عبءُ التّعويل ، في أوّلِ الرّغيل ، إذا الصبرُ عيل ،
لا يُسبِحُ ما حمى ، ولا يُشوي إذا رمى . عودٌ إذا زحف ، وطودٌ إذا
وقف ، وسيمِلُ إذا حمل ، وكتيبةٌ إذا اعتزل . حُسامه إمام^٢ ، يهدي
في ظلمةِ القتّام ، ويهتدي إلى مسالكِ الحمام . لا تردّعه لامعةُ السيوف ،
ولا تُفزعُه مُصارعةُ الختوف . رِماحُه نجومٌ ظلامِ القتّام ، ونجومُه

١ ص : الالزم .

٢ ص : أمامه .

رُجُومُ شياطين الأنام . لا تُرد حاجات مواضيه . ولا تمطله عند تقاضيه ،
المغافر المتينة ، ولا الدروع الموضونة .

فصل : قاضٍ يشهد له عدله ، أن غيله سريع حله . يقسم نظره
بالقيسطاس : بين جميع الناس . حفيظ رسالة عمر ، وعمل فيها بما نهي
وأمر . لا يتبيع القضايا بالهدايا . به عشا ، عن الرشا . ينال الحصان ،
وهو يقظان . إن عجل فعن استدلال ، وإن عجز فليتمل إشكال .
سريحي الإجابة . عيمراني الإصابة .

فصل : زهادٌ تركوا العراض ، وأصابوا الغراض . اقترحوا الغنا ،
واطرحوا الغنى . رفضوا المزابل ، وطلبوا الطایل ، وأعرضوا عما
يبید ، وأقبلوا على ما ينفید^٢ . لم يزاحموا على الحيف ، ولا استخدموا
بطونهم في تعمير الكنف . تركوا ذلك ليمن تركوا ، وقنعوا بأقل
ما مملكوا ، وجعلوا الزاد إلى الجنة ، الأنة بعد الأنة ، وظمأ الهواجر ،
في شهر ناجير . فكثروا فيكثروا . علموا فتسليموا من العقال ، وتركوا
الأعناق^٣ لحمل الأثقال . رجوا فتنجوا ، وبنوا فعدوا ، ومهدوا
فترقدوا ، وعملوا فتوجملوا .

وذكرت بهذا الفصل حديث أبي هريرة قال : قال لي رسول الله
عليه السلام : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاء بما فيها ؟ قلت : بلى

١ ص : ان عجز . . . وان مجل .

٢ ص : يعيد .

٣ ص : أعناق .

٤ الشريشي ٥ : ١٦ .

يارسول الله . فأخذ بيدي ، وأتى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مزابلة فيها رؤوس وعذرات في خرق وعظام ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرس كحريصكم ، وتأمل آمالكهم ، ثم هي اليوم عظام بلا جلد ، ثم هي صائرة رماداً . وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوا من حيث اكتسبوا ، ثم قذفوها من بطونهم ، فأضحت والناس يتحامونها . وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم ، أصبحت والرياح تصفقها . وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يجمعون عليها أطراف البلاد . فممن كان باكياً على الدنيا فليبتك . قال : فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا .

ووقف سقراط على كساح وقد خرج من الحشر بكساحة فقال : يا أهل أثينا ، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب ، وتقيمون لحفظه الخزان ، وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده ؛ واليوم نفوسكم آفة منه [٨٢] وطباعكم نافرة عنه .

فصول له في الذم ونقض ما تقدم

فصل : فلان غوره أقرب قريب ، وقلبه موزود القلب ؛ فسأله مكنوفة ، ودخلته معروفة ، كتمانته إخبار ، وتديره إدار ، رأيه وراء ، وسأله عراء : حسه هامد ، وفهته جامد . لا يعرف

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ، ولا يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّقْبِيلِ وَالْكَسْبِ . طَلَّلَ بَالٌ ، لا يَخْطُرُ
على بَالٍ . الشَّمْسُ عِنْدَهُ سُهَيٌّ ، وَالْحُمُقُ نُهَيٌّ . لا يَعْلَمُ رَأْسُهُ ، مِمَّنْ
أَيْنَ أَنْفَاسُهُ ؛ وَلَا يَدْرِي دِمَاعُهُ ، أَيْنَ أَصْدَاغُهُ .

فصل : هَمَّةُ جَوَازٍ يَوْمِيَّةٌ ، وَحَلَاوَةٌ نَوْمِيَّةٌ . أَعْلَى هِمَّتِيهِ ، لِأَرْجَالِ
جُمَّتِيهِ ، وَاعْتِدَالُ عِمَّتِيهِ ؛ وَأَسْرُّ سُرُورِهِ ، تَنَاهِي قُدُورِهِ ^١ ، وَتَبَرُّوقُ
خُمُورِهِ . أَعْدَاؤُهُ سِمَانٌ ، فِي أَمَانٍ ؛ وَأَوْلِيَاؤُهُ فِي هُزَالٍ . وَانْتِظَارِ
النِّسْكَالِ . حَسَنُ الظَّنِّ بِالزَّمَانِ ، وَضُرُوبُ الْحَدَثَانِ . رَائِحُ الْقَمَرَاتِجِ ،
سَاكِنُ الْجَوَارِحِ ، مَسْرُورٌ مَغْرُورٌ ، ثَانِي الْعِطْفِ عَنِ النَّاصِحِ ، مُتَعَامٍ
عَنِ الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . مُسْتَعْنٍ بِعَبْدِهِ ، عَنِ جُنْدِهِ . مُتَشَاغِلٌ بِالْأَنْيَابِ
الطَّاحِنَةِ فِي فَمِهِ ، عَنِ الْأَنْيَابِ الْوَالِغَةِ فِي دَمِهِ . يَتَنَامُ عَنِ مُسْهِرَاتِ
الْأَنَامِ ، وَعَنِ جَبِّ الْغَارِبِ وَالسَّتَامِ : فَيَكْثُرُ تَهْأَنَتُهُ سَاهِيَّةٌ ، وَخِدَاطِيرُهُ لَاهِيَّةٌ ،
وَقَوَاعِيدُهُ وَاهِيَّةٌ ، حَتَّى تَبْغَيْتَهُ الدَّاهِيَّةُ .

فصل : يَتَجَوَّدُ الْجَلْمُودُ ، وَلَا يَتَجَوَّدُ ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ الْعُودِ ،
وَهُوَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . كَيْسُهُ مُغْلِقٌ ^٢ ، وَبِنَانُهُ مُطْبِقٌ ، وَدَارُهُ سَمْلِقٌ ،
وَجَيْشُهُ مُمْلِقٌ ، وَمِيزَانُهُ حَبِيسٌ ^٣ لَا يُطْلِقُ . كِفَّتَاهُ ^٤ كَكْفِيَّتِهِ لَا
تُذَيِّبُهُمَا ، النَّارُ ، وَلَا يَعْرِفَانِ الدَّرْهَمَ وَلَا الدِّينَارَ . وَأَكْيَاسُهُ كَالنَّقْدِ ،
قَدْ خَنَقَتْهَا الْعُقْدُ . يَدُهُ حَافِرٌ وَقِيَّاحٌ ، وَقُفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ . تَعَرَّ

١ ص : قُدُورِهِ .

٢ ص : مَمْلِقٌ .

٣ ص : كَفْتِيَّتِهِ .

٤ ص : تَذَيُّبُهَا .

الأيام ، ولا يُشتمُّ له طعام : لو مَلَكَ طوفانُ نوح ، لم يَسْمَحْ منه بشربةٍ
لظمآنٍ مَجْرُوح .

فصل : هو يومَ المُطاعنة ، وَلَدُ الملاعنة . لا حَسَبَ يُقاتِلُ عنه ،
ولا نَسَبَ يَسْتَحِي منه . يراعةٌ تَرَعْدُ ، وتقوم وتَقْعُدُ . إذا الحَرْبُ
دَعَتْ أَبْطالها ، وزَلْزَلَتْ الأَحْشاءُ زِلْزالها ، نَحَبَ ما بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، وغاب
السَّوادُ^١ مِنْ عَيْنَيْهِ : مَهْزَمَةٌ بِخُنُودِهِ ، ومَهْدَةٌ لِعُدَّتَيْهِ وَعَدِيدِهِ : يوسعُ
أَعْذارَ الفِرار ، ولا يَرى على الجُبْناءِ مِنْ عار . بَيْسَناهُ في أوَّلِ الرَّعيلِ
ضاربٍ^٢ ، إذا به وَراءَ السَّاقةِ هاربٍ . يَزْحَفُ عندَ الزَّحْفِ ، إلى
خَلْفٍ ، ويَرُوعُهُ الواحدُ وهو في أَلْفٍ . لو كان سُورَ مَدِينَةٍ لَسارَ ،
ولو رُبِطَ إِلَيْهِ الطُّورُ لطار . إِنَّ هَذَا في الحَرْبِ مِنْ بَنِي العَنْبَرِ ، وأُدْهَشُ
مَنْ مُسْتَطْعِمُ المَاءِ على المِنْبَرِ . إذا ثارَ القَتامُ ، سَقَطَ مِنْ كَفِّهِ الحِسامُ .

وخبِرُ بَنِي العَنْبَرِ ، أشهرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ ، وقُرَيْطُ^٣ مِنْهُمْ ، ولَمَّا
اسْتَنْجَدَهُمْ فلم يُنْجِدُوهُ قال^٣ :

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِيخْشِيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا

وَمُسْتَطْعِمُ المَاءِ عَلَى المِنْبَرِ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ عَامِلُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ

١ ص : السودان .

٢ ص : يضرب .

٣ هو قريظ بن أنيف ، وقصيدته هي الأولى في ديوان الحماسة .

الملك على العراق . دَهَشَ يومَ الجمعةِ في حَرْبِ الخوارج وهو على المنبر ، فقال : أطعموني ماءً^١ ! فقيلَ فيه :

هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

فصل : أضرُّها على الأنام . على قَدِيمِ الأَيَّامِ ، العَصَبِيَّةُ في الجَاهِلِيَّةِ والإسلام . فما لهذا السلطان ، وخِرَابِ الأوطان ؟ والعَصَبِيَّةُ تُفْسِدُ بين الأولياء ، وتكثرُ في الأدعياء . وأبو نُؤاس كان أشَدَّهم فيها قَوْلًا ، وهو قَيْنٌ مَوَلَى ، تَعَصَّبَ لليمنِ على مُضَرَ لكَوْنِ سَعْدِ العَشِيرَةِ مِنَ اليمنِ وَهُمْ مِنْ مَوَالِيهِ ، فَهَجَا قبائلَ مُضَرَ ، وَغَضَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هذا وهو مَوَلَى مُلْصَقٍ ، وَلَيْسَتْ سَعْدُ العَشِيرَةِ له بعَشِيرَةٍ ، بل لها منه الحرية .

سلطانٌ يَشْتَرِي بدينهِ ودمهِ ، رَضِيَ ابنُ عَمَتِهِ . خَاسِرُ التجَرُّ ، مَحْزُومُ الأجرِ ، لا يُساوي بين أهلِ القَبِيلَةِ وهم سَوَاءٌ ، ولا يَتَكافأُ عنده المسلمونَ وهم عند [الله] ^٢ أكفأ . وَجِبِلَةُ التَّفَاوُتِ أَفَاتَتْ جِبِلَةَ الرُّشْدِ ، وَحِمِيَّتُهُ أَحْمَتْ عَلَيْهِ دَارَ الخُلْدِ . تَعَصَّبُ جَاشَتْ لَهُ صُدُورُ الجِيشِ ، وَتَكَدَّرَ بِهِ صَفَاءُ العَيْشِ . وَلِلْمُسَاعَدَةِ فِي العَصَبِيَّةِ طَارَتْ الرُّؤُوسُ وَالسَّوَاعِدُ ، وَتَهَدَّمَتِ الذُّرَى وَالْقَوَاعِدُ ، وَحَالَفَتْ رَبِيعَةُ الأَبَاعِدُ .

فصل : قَدِيئَةٌ سَمَتْ بوزيرٍ ، مَنْ شَغَلَهُ البَسْمُ والزَّيْرُ . يُعْجِبُهُ اللُّهُو ،

١ الأغاني ٢٢ : ٢٠ .

٢ ص : وهم عنده .

وَيَغْلِبُهُ السُّهُو . دِمَارُ مَنْ [أوى] إليه ، وَبَوَارُ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ . إِنْ دَبَّرَ أَذْبَرَ ، وَإِنْ تَرَكَ هَلَكَ . خِيدَنُ لَوَاعِيْب ، وَزِيرُ كَوَاعِيْب . لَيْلُهُ نَاعِيس ، وَنَهَارُهُ بِالِيس . لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مِنْ الْوَزَارَةِ ، إِلَّا ^١ حُسْنُ الشَّارَةِ ، وَرُكُوبُ الْمَهَالِيحِ ^٢ الْمِسَارَةِ ، وَشِدَّةُ الْإِعْجَابِ ، وَالِدُخُولِ عَلَى سُلْطَانِهِ بِلَا حِجَابٍ ، وَالْأَكْلُ بِمَلٍ فِيهِ ، هَذَا جَمِيعُ مَا فِيهِ ، حَتَّى إِذَا طَرَقَتِ السَّرَايَا [٨٣] وَسِيقَتِ السَّبَايَا ، وَنَفَرَ النَّافِرُ ، وَضَجَّ الْبَادِي وَالْحَاضِرُ ، وَنَزَعَ ثِقَاتُ ^٣ الْأَجْنَادِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فُزِعَ إِلَى الْوَزِيرِ ، فِي وَجْهِ التَّنْذِيرِ ، فَكَانَ جَوَابُهُ دُمُوعُهُ ، وَصَوَابُهُ هُلُوعُهُ ، فَحِينَئِذٍ دَارَتِ الدَّائِرَةُ ، وَاضْطَرَمَّتِ النَّائِرَةُ ، وَانْصَرَمَّتِ الدُّوَلُ ، وَتَبَدَّلَتِ الْحُلُلُ .

فصل : كَاتِبٌ مَا عَرَفَ قَطَّ ، كَيْفَ الْبَرِّيَّةِ وَالْقَطَّ ، وَلَا نَسَخَ قَطُّ سَطْرًا ، إِلَّا مَسَخَ مِنْهُ شَطْرًا . أَلْفَاظُهُ مَلْنَحُونَةٌ ، وَمَعَانِيهِ مَلَقُونَةٌ ، وَمَقَاصِدُهُ خَفِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ ، وَحُرُوفُهُ مَطْمُونَةٌ ^٤ . إِنْ تَهَجَّجْنِي هَجَا ، وَإِنْ تَكَلَّمْتُمْ شَجَّ وَشَجَى . أَلِفَاتُهُ سَجُودٌ ، وَلَامَاتُهُ رُقُودٌ ، وَمِيمَاتُهُ عَقْدٌ لَا عُقُودٌ ، وَقَافَاتُهُ وَاوَاتٌ ، وَنُونَاتُهُ رَاءَاتٌ . يَرْفَعُ بِالنَّوَاصِبِ ، وَيُكْثِرُ [مِنْ] النِّقْطِ الْكَوَاذِبِ ، وَيُعْمِي عَيْنَ الْمَعْنَى الْجَلِّيَّ ، وَيُخَاطَبُ الْعَدُوَّ مُخَاطَبَةَ الْوَلِيِّ . وَتُفِيرُ كُتُبُهُ بِمَا فِيهَا مِنْ الْفَسَادِ ، بِأَنَّهُ قُرَّةُ عَيْونِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسْنَادِ .

١ ص : إل .

٢ ص : المهاليج .

٣ ص : ثقباب .

٤ كذا ولعل صوابها : « مضونة » أي مصابة بالضمانة ؛ أو مطبونة أي مدفونة .

فصل : ولَايَتُهُ الْقَضَاءُ ، مِيزَانُ سَوْءِ الْقَضَاءِ . جَائِرٌ حَائِرٌ : إِنْ جَارَ
فَعَيْنٌ تَعَمَّدُ ، وَإِنْ حَارَ فَعَيْنٌ قَلِيلَةٌ تَعْتَمِدُ . لَيْسَ لَهُ مُنْتَشٍ ، وَنَهَارُهُ
مُرْتَشٍ . تَعْجِيبُهُ الْعَيْنُ فِي النَّقَابِ ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي الْعِقَابِ . إِذَا رَأَى
الْأَمْرَ دَ تَعَمَّرَدَ عَلَى خَصَمِهِ ، وَمَالَ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ ، يُزْرِي بِاخْتِبَارِ
سُلْطَانِهِ ، وَيَسْتَخِفُّ بِفُقَهَاءِ زَمَانِهِ . يَجُورُ فِي نَظَرِهِ الْمَقْسُومُ ، وَيَبْصُقُ
فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَيَرْكُلُهُمْ بِرِجْلِهِ ، وَيَلْطِمُهُمْ بِنَعْلِهِ .

فصل : إِخْوَانٌ أَخْوَانُ مِنَ السَّرَابِ لِلْعَيْنِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
لِلْحُسَيْنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ طَالِبِ دَيْنٍ ، عَلَى صِفْرِ الْيَدَيْنِ : لَيْسَ فِيهِمْ
فَنَعٌ وَلَا دَفْعٌ ، إِنْ اسْتَمْتَصَرْتَهُمْ خَذَلُوكَ ، وَإِنْ سَأَلُوا إِسْلَامَكَ بَذَلُوكَ .

فصل : تَبَسَّمَ لِلْعَدُوِّ الْعَابِسِ ، وَلَئِنْ لَيْسَتْ خَلْقُ الْيَابِسِ . عَامِلٌ
ظَالِمُكَ بِالصَّبْرِ ، وَاجْعَلْ صَدْرَكَ لَهُ كَالْقَبْرِ ، لَا يَدْرِي مَا فِيهِ رَحْمَةٌ
أَمْ نِقْمَةٌ ، وَبَلَاءٌ أَمْ نِعْمَةٌ ، حَتَّى تُمْسِكَ الْوَكْبَةَ عَلَيْهِ ، فَتُسَلِّمَهُ
لِحَبِينِهِ وَيَدِينَهُ .

ومن ترسيله

فصل له من رقعة خاطب بها المظفر بن الأفطس : كَتَبْتُ وَشَوَقِي
إِلَى شَرَفِ لُقْيَاهُ ، وَشَبَمِ سُقْيَاهُ ، شَوْقُ الْقَارِظِينَ^٢ إِلَى سَكُونِ

١ ص : خان .

٢ القارظان كلاهما من عنزة - في رأي ابن الكلبي - فالأكبر منهما يذكر بن عنزة والأصغر
رهم بن عامر بن عنزة ، كل منهما خرج يطلب القرظ ولم يجد ، وفيهما يضرب المثل « حتى
يؤوب القارظان » قال أبو ذؤيب الهذلي :

وحق يؤوب القارظان كلاهما ويشتر في الموق كليب لوائل

وسكنى ، والقَيْسَيْنِ إلى لَيْلَى وَلَيْلى ، واعتلاقي بِذِكْرِهِ اعتلاقُ
مالك بعَقِيل^١ ، وَحِفَا نَبْكِ بِالْمَلِكِ الضَّلِيل ، وبلالُ بِشَامَةِ
وطَقِيل^٢ ، واللهُ بِبُلُوغِ الْأَمَلِ خَيْرٌ كَعَقِيل . وحالُ وَلِيَّتِهِ بِالنَّاحِيَةِ
الَّتِي اسْتَقْدَرْتُهَا حَالُ مَنْ ذَهَبَتْ مِنْهُ التَّلَازُذَةُ . والفَتَاءُ ، وَالشَّيْخُ
يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ^٣ . وَقَدْ رَأَيْتُ طُوفَانَ قُرْطَبِيَّةَ يُقِيمُ دَهْرًا ، وَإِنَّمَا أَقَامَ
طُوفَانُ نُوحٍ شَهْرًا . وَأَمَّا صَيْفُهَا فَكَمَا قَالَ :

لَمْ أَسْتَسِمَّ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ . حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِنَاقَهُ لِيُودَاعِهِ .

وله من أخرى :

لِي رَغْبَةٌ إِلَى مَفَاخِرِهِ ، وَتَطَارُحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَآثِرِهِ ، وَإِدْلَالٌ عَلَى
سَمَاحَةِ سَجَايَاهُ ، وَتَحَامُلٌ عَلَى احْتِمَالِ عُلْيَاهُ . وَذَلِكَ أَنَّ شَيْخًا يَفْنَى
قَصْدَ فَنَائِي^٤ ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ بِفَضْلِ دُمُوعِهِ رِدَائِي ، وَمَنَعَهُ الشُّوقُ
بَشْجَاهُ ، مِنْ الْكَلَامِ عَلَى مَا ارْتَجَاهُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَاسِبُ نُسَيْمَاتٍ ،
وَأَبُو بَنِينَ وَبَنِيَّاتٍ ، فَنَسَبَتْهُ فَقَالَ : أَنَا أَبُو جَعْدَةَ نَهْشَلٍ ، وَذَكَرَ

١ مالك وعقيل نديما جذيمة ، وفيهما يقول أبو خراش :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٢ عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كان بلال يحن إلى معاهد مكة فاذا أخذته الحمى تغى :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بفعج وحولي إذعمر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جيلان (معجم البكري مادة : هرشى) .

٣ حجز بيت من الشعر وصدده : إذا جاء الشتاء فزملوني فان الشيخ . . .

٤ ص : قبائي .

مولانا المظفر فوصف خيراً كثيراً هو أكثر منه ، ودعا بخير أجابه الله عنه ، ووصف أن بغاة بغوه ، وحسدة آذوه ، وتنصل من ذنوب قرفوه بها ، ومولاي أعلم بصدقها من كذبها . ولم يظهر حرصاً إلا في الميتة الأهلية والتربة الوطنية . فبكى — علم الله — مع باك ، وشكا مني إلى شاك ، وذو الشكوى يرحم الشكوى ، لعلمه بمرارة البلوى . ولا شك أنه سيلغنه تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكرى ، والعناية ببعض أمري ؛ فلا يظن أن ذلك باستحقاق ، وإن رقتاني من الشرف هذه المراقي ، ومن يسمع يخل^١ ، وما كل ذي سلاح بطل . وقد تلطف له بإذن الله في القول ، وبرئت إليه تعالى من القوة والحول . ووقفته على رأي المظفر الموفق ، وحكمه العدل المحقق . وبودتي لو تكلفت^٢ بآماله ، وجمعت بينه وبين أطفاله ، فهو في قعدد^٣ لبند ، وهامة اليوم أو الغد ؛ إلا أنني — أيده الله — لا أوتر مرادي على مراده ، ولا أشاركه في العلم بأهل بلاده ، إلا أن يتفضل بالأحسن الأجل ، علي وعلى أبي جعدة نهشل ، فيعود — أيده الله — بفضيلة الإيثار ، ويكسبني في الناس أطيب الأخبار والآثار . ولقد هجمت في العناية بما لا أعلم ثقة بما أعلم ، وهو المتطول إن شفع ، والمعذور إن دفع . والجواب على هذه السطور المحتوية على هذه الأمور ، بالأقوال والأفعال ، من كمال الإحسان والإفضال .

١ معناه أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، انظر جمهرة المسكري ٢ : ٢٦٣ (أبو الفهمل)

واللسان (غيل) وفصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ .

٢ ص : تكلفت .

٣ ص : عقدد ؛ والقعدد : القريب النسب من الجد الأكبر ، يريد أنه يكاد يكون من لدات لبد وهو آخر نسور لقمان .

فأجابته المظفر برقة من إنشاء الوزير أبي مروان بن قزمان ، قال فيها :
ورد كتابك المبتدأ خطابه من الشعر بما هو السحر الحلال ، والمُصدّر
من القريض بما شهد لك بالحلال . لو قصّد الطائيان قصده لأجبالا ،
أو حذا الحمّادان حذوه لأدبرا فيه وما أقبالا . لم تدع فيه فتناً من الحكمة
إلاّ أهديته [٨٤] ولا معنى لطيفاً إلاّ أبديته ، ولا نوعاً من الأدب إلاّ جلتبته ؛
ولا غريباً من المثل إلاّ ضربته : فله بلادٌ غذاك هواؤها ، ورؤساءُ
تطابقت عليك أهواؤها . لقد بان فضلهم على أهل الزمان ، كما ظهر
تبريزك في هذا الميدان . ومن انتحل الأبيات ، فبمثل شعرك فليات ،
وهيهات ، ما أبعد الأرض من السموات !

ورأيتك قد شفعت القريض بشفاعه ، وقرنته برغبة أعطتك مقاليد
البلاغة والبراعة . وأسعفتك في الشيخ اليفن ، والأشيب البدن ، نهشل .
فليسرع بالإقبال إلى بلكه ، وليتلحق بأهليه وولده ، وليأت إليهم ذالانا^٢ ،
وليشكرنا سراً وإعلاناً . والله المان بك برده إلى وطنه وأهليه^٣ . يبلغك
ما ترتجيه ، ويعيدُ حالك إلى عهدها ، والجمع بينك وبين الطبقة التي
كنت واسطة عيدها :

ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه^٣ ، وصبّ فيها على
قلبه ، منها مقامة فيها بعض طول ، لكنّه غير مملول ، آخذة بطرف

١ ص : السماء .

٢ الذالان : العدو المقارب أو السرعة .

٣ ص : وأهله .

٤ ص : باله .

مُسْتَطَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِ الْأَدْبَاءِ ، وَذَكَرِ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ، قَالَ ^١ :

جَارَيْتُ أَبَا الرِّيَّانِ فِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّظَامِ ، وَمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ،
فَقَالَ ^٢ : عَدَدُ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرُ مِنَ الْإِحْصَاءِ ، وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شَقَةِ الْإِسْتِقْصَاءِ .
قُلْتُ : لَا أَعْنَيْتُكَ بِأَكْبَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِثْلِ الضَّلِيلِ وَالْقَتِيلِ ، وَلَبِيدِ
وَعَبِيدِ ، وَالنَّوَائِغِ وَالْعُشِيِّ ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ ^٣ وَمَنْ سِوَاهُ مِنَ الْعُمَمِيِّ ^٤ ،
وَابْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدِ ، وَالرَّاعِي عُبَيْدِ ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ،
وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ ، وَجَمِيلِ وَكَثِيرِ ، وَابْنِ جَنْدَلِ وَابْنِ مُقْبِلِ . وَجَرَوَلِ
وَالْأَخْطَلِ ، وَحَسَّانَ فِي أَهَاجِيهِ ^٥ وَمِدَحِهِ ، وَغَيْلَانَ فِي مِيتِهِ وَصَيْدَحِهِ ،
وَالْهَذَلِيَّ أَبِي ذُؤَيْبِ ، وَسُحَيْمِ وَنُصَيْبِ ، وَابْنَ حِلْزَةَ الْوَالِثِيِّ ، وَابْنَ
الرَّقَاجِ الْعَامِلِيِّ ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ ، وَزَهْرَةَ الْمُرِّيِّ ، وَشُعْرَاءَ فِزَارَةَ ، وَمُغْلَقِي
بَنِي زُرَّارَةَ ، وَشُعْرَاءَ تَغْلِبَ وَيَثْرِبَ ، وَأَمْثَالَ هَذَا النَّحْطِ الْأَوْسَطِ ،
كَالرَّمَّاحِ وَالطَّرْمَاحِ ، وَالطُّثَرِيِّ وَالْدُّمَيْنِيِّ ، وَالْكُحْمِيِّ الْأَسَدِيِّ ، وَصَرِيحِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَدِعْبَلِ الْخَزَاعِيِّ ، وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ ، وَحَبِيبِ الطَّائِي ،

١ قد أشرت إلى أنها نشرت بعنوانين مختلفين ، وهي في حقيقتها رسائل الانتقاد (أو
جزء منها) وأسأعارضها بالنص الموجود في رسائل البلغاء ؛ (ورمزها : ل) ويبدو أن
ابن بسام يوجز في النقل .

٢ ل : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم واستكشفتهم من
مذهبه فيهم ، ومذهب طبعته في قديمهم وحديثهم فقال . . . الخ .

٣ ص : يعفور .

٤ ل : والاسود بن يعفر وصخر النقي .

٥ ل : هجائه .

٦ زاد في ل : وحميد الهلالي وبشار العقيلي وابن أبي حفصة الأموي ووالبة الأسدي وابن جبلة
الحملي وأبي نواس الحكمي .

والوليد البُحْريّ ، وابنِ المعتزّ العبّاسيّ ، وأبي نواس وابن الروميّ^١ .

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان : المتقدمة في الإحسان . كأبي فراس
ابن حَمْدان ، والمتنبّي بن عَيْدان^٢ ، وابن جدار^٣ المصريّ ، وابن الأحنف
الحنفيّ ، وكُشاجم الفارسيّ ، والصنوبريّ الحلبيّ ، ونصّر الخبزُرُزيّ ،
وابن عَبدِ ربّه القُرطبيّ . وابن هانيء الأندلسيّ ، وعليّ بن العبّاس الإياديّ
التونسيّ ، والقسطليّ .

قال أبو الريّان : لقد سميت المشاهير . وأُبقيت الكثير . قالت : بل
ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟

قال : الضلّيلُ مؤسّس الأساس . وبُنيانه عاليه الناس . كانوا يقولون
« أسيلةُ الخدّة » حتى قال « أسيلةُ مجرى الدّمع » . وكانوا يقولون : « تامّةُ
القامةِ وطويلةُ القامةِ . وجيّداء . وتامّةُ العنق » . حتى قال « بعيدةُ مهوى
القُرط » . وكانوا يقولون في الفرس السابق « يلحقُ الغزال والظليم »
وشبهه . حتى قال « قيّد الأوابد » . ولم يَكُنْ قبله من فطِنَ هذه الإشارات
والاستعارات غيره فامثلوه بعده . وكانت الأشعار قبلُ سواذج ، فبقيتُ
هذه جُدداً وتلك ذواهج ؛ وكلُّ شعريّ بعدُ ما خُلتها فغيرُ رائقٍ النسيج ،
وان كان مُستقيمَ النهج .

وأما طرفة فلو طالَ عمرُ ، لطالَ شعيره ، وعلا ذكره . ولقد خُصّ

١ زاد في ل : وابن رغبان الحمصي .

٢ ص : عِيدان .

٣ ص : حدار .

بأوفر نصيبٍ من الشعر . على أيسر نصيبٍ من العمر . فملاً أرجاء ذلك
النصيب بصنوفٍ من الحكمة . وأوصافٍ من علوِّ المهمة . والطبعُ معلّمٌ
صادق . وجوادٌ سابق .

وأما الشيخ أبو عتقيل فشعره ينطقُ بلسانِ الجزالة . عن جنانِ
الأصالة . فلا تسمع له إلاّ كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيناً صريحاً ؛ وإن كان
الشيخُ والوقار . والشرفُ والفتخار . لهاديات في شعره . وهي دلائله ،
قبل أن يُعلمَ قائله .

وأما العبيسي فمُسجِدٌ في أشعاره . ولا كملّقتبه . فقد انفرد بها
انفراد سهيل . وغبّر في وجوه الخيل . وجمّع فيها بين الخلاوة والجزالة ،
وزقّة الغزل وغليظة البسالة . وأطال واستطال . وأمن السامة والكلال .

وأما زهير : فأَيُّ زهيرٍ بين لهوات زهير . حيكَم فارس . ومقامات
الفوارس . ومَواعظُ الزُّهاد . ومُعْتبراتُ العُباد . ومِدَحٌ تَكْسِبُ الفخار .
وتبقى بقاء الأعصار . ومُعَاتباتُ مرّةٍ تَحْسُنُ . ومرّةٌ تَحْشُنُ . وثارةٌ
تكونُ هجواً ، وطوراً تكادُ تَعُودُ شكوى .

وأما ابنُ حلزة : فسَهْلٌ الحزون . قام خطيباً بالموزون . والعادةُ
أن يُسَهِّلَ شَرَحُ الشعرِ بالنثر . وهذا سهْلُ السَهْلِ بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرمُوا أمرَهُمْ عِشاءً فلمّا أصبحوا أصبحَتْ لهم ضواءُ
مِنْ منادٍ ومِنْ مُجِيبٍ ومِنْ نصيرٍ هالٍ خيلٍ خلالَ ذاك رغاء

فلما اجتمع [٨٥] كلُّ خطيبٍ نائرٍ ، مِنْ أوّلٍ وآخرٍ ، يصفون سَفَرًا نهضوا

بالأسحار ، وعسكراً تنادى بالشهوض إلى طلب النار ، ما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ولم يُقصروا عنه . وسائر قصيدته في هذا السلك : شكايته وطِلابُ نصفه ، وعِتَابٌ في عِزَّةٍ وأنفة ، وهو مِن شعراء وائل ، وأحدُ أسنة هاتيك القبائل .

وأما ابن كلثوم : فصاحب واحدة ، فلا زائدة ^١ ، أنطَقَه بها عزُّ الظفر ، وهزّه ^٢ فيها جن الأشر ، فَعَقَعَتْ رعوده في أرجائها ، وجمَعَتُ رحاه في أثنائها ، وجعلتها تغلبُ قبيلتها التي تُصلي إليها ، ومِلَّتْها التي تعتمدُ عليها ، فلم يتركوا إعادتها ، ولا خلَعوا عبادتها ، إلاَّ بعد قولِ القائل :
ألهى بني تغلب عن كلِّ مَكْرَمَةٍ قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم

على أنها من القصائد المحققات ، وإحدى الملاحظات .

وأما النابغةُ زياد : فأشعاره الجياد لم تخرج عن نارِ جوانحه حتى تنامي نضجها ، ولا قُطعت من مِئوالِ خواطره حتى تكاثفَ نسجُها ، لم تُهْلِكْ لها مِيعَةُ الشَّباب ، ولا وهي الأسباب ، ولا لؤمُ الاكتساب ، فَشِعْرُهُ وسائطُ سُلُوك ، وتيجانُ ملوك .

وأما النابغة الجعدي : فتنقَّى الكلام ، شاعر الجاهلية والإسلام ، واستحسن شعره أفصحُ الناطقين ، ودعا له أصدقُ الصادقين ، وكان شاعراً

١ ل : بلا زيادة .

٢ ص : وهذه .

في الافتخارِ والثناء ، قصير الباع لشرفه عن تناولِ الهجاء . وكان مغلوباً فيه في الجاهلية ، وطريد ليلى الأختيلية .

وأما العُشي بأجمعهم : فكلّهم شاعرٌ ، ولا كيمون بن قيس ، شاعر المدح والهجاء ، والبأس والرّخاء ، والتصرّف في الفنون ، والسّعي في السّهول والحزون . نفق مدحُه بناتِ المحلّق ، وكان في فقرٍ ابنِ المذلّق ٢ ، وأبكى هجوه علقمة ٣ ، كما تبكي الأمة .

وأما الأسود بن يعفر : فأشعرُ الناس إذا ندبَ دولة زالت ، أو بكى حالة حالت ، أو وصفَ ربعا خلا بعد عمران ، أو داراً درست بعد سكتان ، فإذا سلّك [غيرَ] هذه السّيل ، فهو من حشوّ هذا القبيل ، كعمرو وزيد ، وسعيد وسعيد ٤ .

وأما حسّان ، فقد اجثّ بواكر غسان ، ثم جاء الإسلام ، وانكشف الإظلام ، فجاحش عن الدّين ، وناضل عن خاتم النّبیین ، فشعر وزاد ، وحسن وأجاد ، إلّا أن الفضل في ذلك لربّ العالمين ، وتسديد الروح الأمين .

وأما دريد بن الصّمّة : فصمّة صميم ، وشاعرٌ جُشَم ، وغزل

١ ص : فقراء .

٢ ابن المذلّق من عبد شمس ، يضرب به المثل في الفقر والافلاس (الميداني ٢ : ٢٠ وجمهرة العسكري ٢ : ١٠٧ / أبو الفضل) .

٣ يعني علقمة بن علاثة ، وقد أبكاه قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاه بطونكم وجاراتكم غرث يبتن خمائصا

٤ ص ، وسعيد وسعد .

هَرَم^١ ، وأوَّلُ من تغزَّلَ في رثاء ، وهَزَلَ في حزنٍ وبكاء ، فقال في
مَعْبِدٍ أخيه ، قصيدته المشهورة يرثيه :

• أَرثُ جَدِيدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبِدٍ •

وهي من شاجيات النِّوَائِحِ ، وباقيات المدايح .

وأَمَّا الراعي عُبَيْد : فَتَجَبَّلَ على وصفِ الإبل ، فصار بالراعي
يُعرف ، ونُسِيَ ما له من الشَّرَفِ .

وأَمَّا زَيْدُ الحَبْلِ : فَخَطَّبَ سَجَاعَةً ، وفَارِسُ شَجَاعَةً ، مشغولٌ
بذلك ، عما سواه من المسالك .

وأَمَّا عامِرُ بنُ الطَّفِيلِ : فشاعَرَهُمْ في الفَخَّارِ ، وفي حِمَايَةِ الجارِ ،
وأوصَفَهُمْ لِكَرِيمَةٍ ، وأنْعَثَهُمْ لِحَمِيدٍ شَيْعَةٍ .

وأَمَّا ابنُ مُقْبِلٍ^٢ : فَتَقَدَّمَ شِعْرُهُ ، وَصَلَبَ نَجْرُهُ ، وَمُغَلَّتِي مَدْحُهُ ،
وَمُغَلَّتِي قِيدْحُهُ .

وأَمَّا جَرُولُ : فَخَبِثَ هَجَاؤُهُ ، شَرِيفُ ثَنَاؤُهُ ، صَحِيحُ بِنَاؤُهُ ، رَفَعَ
شِعْرَهُ مِنَ الثَّرَى ، وَحَطَّ مِنَ الثَّرِيَّا ، وَأَعَادَ بِلَطَافَةٍ فِكْرَهُ ، وَمَتَانَةَ
شِعْرِهِ ، قَبِيحَ الألقابِ ، فَخَرَّأَ يَبْقَى على الأحقاب ، وَيُتَوَارَثُ في الأعقاب .

١ ص : وعزل ؛ ل : وعزل عزم .

٢ ص : أبو .

وأما أبو ذؤيب : فشديدُ أسْرِ الشعرِ حَكيمُهُ ، شغله فيه التجريب
حديثُهُ وقديمُهُ ، وله المراثيةُ النقيّةُ السبكُ ، المتينةُ الحبكُ ، بكى فيها
بَنِيهِ^١ السبعة ، ووصفَ الحمارَ فطوّلَ ، وهي التي أولّها :

• أَمِنْ المَنُونِ وَرَبِّيهِ تَتَوَجَّعُ •

وأما الأخطلُ : فسعدٌ من سُعودِ بني مروان ، صَفَتْ لهم مرآة
فِكْرِهِ ، وظفروا بالبديعِ من شِعْرِهِ ، وكان باقيةً من حاجاه ، وصاعقةً
مَنْ حاجاه .

وأما الدارميُّ هَمَامٌ : فجوهرُ كلامِهِ ، وأغراضُ سِيهامِهِ ، إذا
افتخر بمالكِ بنِ حنظلةٍ ، وبدارمٍ في شرفِ المنزلةِ ، وأطولُ ما يكون
مدى إذا تطاولَ اختيالُ^٢ جرير عليه بقليله على كثيره ، وبصغيره على كبيره ،
فلأنه يُصادمُهُ حيثنذرٍ ببحرٍ مادّ ، ويُقاومُهُ بسيفٍ حادّ .

وأما ابنُ الخطّفى : فزهْدٌ في غَزَلٍ ، وحِجْرٌ في جَدَلٍ ، يَسْبَحُ
أولاً في ماءِ عَذْبٍ ، وَيَطِيحُ^٣ آخرًا في صَخْرٍ صُلْبٍ . كلنبُ مُنَابَحَةٍ ،
وكبشُ مُنَابَحَةٍ ، لا تَفُلُ غربَ لسانِهِ مُطاولَةَ الكفاحِ ، ولا تُدْمِي
هامته^٤ مُداوِمَةُ النطاحِ ، جارى السَّوابقَ بمطيةٍ ، وفاخرَ غالباً بعطيةٍ ،

١ ص : بنوه .

٢ ص ل : اختيار .

٣ ل : ويطيح .

٤ ص : هاد .

وبلاغته بلاغته إلى المساواة^١، وحمَلته جرأته على المجازاة^٢. والناسُ فيهما
فَرِيقان ، وبينهما عند قومٍ فَرِقان .

وأما القيسان وطَبَقْتُهُما : فطَبَقَةٌ عَشَقَةٌ تَوْقَةٌ ، استحوذت الصَّبابة
على أفكارِهِم ، واستفرغَتْ دَواعي الحُبِّ معاني أشعارِهِم ، فكَلَسَتْهُم
[٨٦] مشغولٌ بهواه ، لا يتعدَّاه إلى سِواه .

وأما كُثَيِّرٌ : فحَسَنُ النَسِيبِ فصيحُهُ ، لطيفُ^٣ العتابِ مليحُهُ ،
شجيُّ الاغترابِ قريحُهُ ، جامعٌ إلى ذلك رقائق الظرفاء، وجزالة مدح الخلفاء .
وأما الكُمَيْتُ والرمَّاح ، ونصيبُ والطَّرَمَاح ، فشعراءُ مُعاصرة ،
ومُنَاقضات ومُفاخرة ، فنُصِيبُ أمدَحُ القوم ، والطَّرَمَاحُ أَهْجَاهُمْ ؛ والرمَّاحُ
أنسبُهُم نَسِيباً ، والكُمَيْتُ أشَبَّهُهم تشبيهاً .

وأما بشار بن برد : فأوَّلُ المحدثين ؛ وآخرُ^٤ المخضرمين ؛ وممَّن
لحقَ الدولتين ، عاشقُ سَمْع ، وشاعرُ جَمْع ، شعرُهُ يَنفُقُ عند ربَّات
الحِجال ، وعند فحول الرجال ، فهو يَلِينُ حَتَّى يَسْتَعِطِفَ ، ويقوى حَتَّى
يَسْتَنكِفُ ، وقد طالَ عمره ، وكثُرَ شِعْرُهُ ، وطَما بِجَرِّهِ ، وثَقَبَ في
البلاد ذِكْرُهُ .

وأما ابنُ أبي حَفِصَةَ ، فمن شعراءِ الدَّولتين ، وممَّن حظي بالنَّعْمَتين ،

١ ص : المجاز .

٢ ل : نظيف .

٣ ص : وأحد .

٤ ص : ينكسف .

ووصل إلى الغنى بالصَّلَتَيْن ، وكان دَرَبَ المعول ، ذَرِبَ المقول ، والدَّ شُعراء ، ومنجَبَ فصحاء .

وأما أبو نواس ، فأوَّل الناس في حَرَمِ القياس ، وذلك أنه تركَ السَّيرَةَ الأولى ، ونكَّبَ عن الطَّرِيقَةِ المثلى ، وجعل الجِدَّ هزلاً ، والصَّعْبَ سهلاً ، فهلَّهَلْ المسرَّد ، وبلَّبلَ المنضَّد ، وخلَّخلَ المنجَّد ، وترك الدَّعائم ، وبنى على الطامي والعائم^١ ، وصادفَ الأفهامَ قد نكَلَتْ ، وأسبابَ العرَبِيَّةِ قد تخلَّخلَتْ وانخلت ، والفصاحات الصحيحة قد سُثِثت ومُثِلَّت ، فمال الناسُ إلى ما عرفوه ، وعَلِيقَت نفوسهم بما أَلِفُوهُ ، فتَهَادَوْا شِعْرَهُ ، وأغلَوْا سِعْرَهُ ، وشَغِفُوا بِأَسْخَفِهِ ، وكَلِفُوا بِأَضْعَفِهِ . وكان ساعده أقوى ، وسيراجُهُ أضوى ، لكنه عرضَ الأنْفَقَ ، وأهدى الأَوْفَقَ ، وخالَفَ فَتَشْهَرَ وعَرِفَ ، وأغْرَبَ فذُكِّرَ واستطرف . والعوام تختارُ هذه الأَعْلَاقَ ، وأسواقُهُم أوسَعَ الأسواقِ ، فشعِرُ أبي نواس ، نافقٌ عند هذه الأجناس ، كاسدٌ عند أنْفَدِ الناس . وقد فطن إلى استضعافه ، وخاف من استخفافه ، فاستدركَ بفصيح طرده ، طرفاً [من] حدِّ اللسان وجده^٢ ، وهو مجدود^٣ في كثرةِ المتَّظَاهِر ، على من غَضَّ منه بالحقِّ الظاهر ، ليس إلاَّ لخفةِ روح المجون ، وسُهولةِ الكلامِ الضَّعِيفِ الملحون ، على جمهورِ العوام ، لا على خصائصِ الأنام .

وأما صَرِيع : فكلامُهُ مُرْصَعٌ ، ونِظامُهُ مُصَنَّعٌ ؛ وجُمْلَةُ شِعْرِهِ

١ ص : والقائم .

٢ ل : طرفاً حد اللسان وحدوده .

٣ ص ل : محدود .

صحيحةُ الأصول ، مُصنَّعةُ الفُصول ، قليلةُ الفضول .

وأما العباسُ بن الأحنف فمعتزل بهواه ، وبمعزلٍ عما سواه : رَفَعَ نفسه عن المدحِ والهيجاءِ ، ووضَعَهَا بين يَدَي هَوَاهِ مِنَ النِّسَاءِ : قد رَفَّقَ الشَّغْفُ كَلَامَهُ ، وثَقَّفَتْ قُوَّةُ الطَّبَعِ نِظَامَهُ ، فَكَلَهُ رِقَّةُ الْعِشَاقِ ، وَحَوَّلَ الْحُذَّاقُ .

وأما دِعْبِلُ : فمُدْبِرٌ مُقْبِلٌ ، اليَوْمَ مَدْحٌ ، وَغَدًا قَدْحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُنْسِيءُ فِي الْخَلِيقَتَيْنِ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ . وَكَانَ شَاعِرَ عُلَمَاءَ ، وَعَالِمَ شُعَرَاءَ .

وأما علي بن الجهم : فَرَشِيقُ الْفَهْمِ ، رَاشِقُ السُّهْمِ ، اسْتَوَصَلَ شِعْرَهُ الشُّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ الْخُلَفَاءَ ، وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرُّصَافِيَّةُ ٢ ، وَفِي الْعَتَابِ الدَّالِيَّةُ ٣ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ سَوَاهُمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

وأما الطَّنَائِي حَبِيبٌ : فمُتْكَلِّفٌ إِلَّا أَنَّهُ يُصِيبُ ، وَمُتْعِيبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ . وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ وَالتَّجَنُّيسُ ، جَيِّدٌ ذَلِكَ أَوْ بَيْسٌ ، جَزَلَ الْمُعَانِي ، مَرَّضُوصُ الْمُبَانِي ٥ . مَدْنَحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزْلُهُ

١ ل : وجودة .

٢ يعني قصيدته « عيون المها بين الرصافة والجسر » .

٣ الدالية :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبيبي وأي مهنت لا يفهم

٤ ل : وحيدا .

٥ ص : الهاني ؛ ل : المعاني .

وهجاؤه ، طَرَفًا نَقِيز ، وَخُطَّتْ^١ سَمَاءٌ وَحَضِيضٌ . وفي شِعْرِهِ
عِلِمٌ جَمٌّ مِّنَ النَّسَبِ ، وَجُمْلَةٌ وَافِرَةٌ^٢ مِّنْ أَيْتَامِ الْعَرَبِ . وَطَارَتْ
لَهُ أَمْثَالُ ، وَحُفِظَتْ لَهُ أَقْوَالُ ، وَدَبَّوَانُهُ مَقْرُوءٌ ، وَشِعْرُهُ مَمْتَلُوءٌ .

قال ابن بَسَّام : أَمَّا صِفَتُهُ هَذِهِ لِأَبِي تَمَّامٍ ، فَصِفَةٌ لَمْ يَثْنِ عِطْفَهَا
حَمِيَّةً ، وَلَا تَعَلَّقَتْ بِذَيْلِهَا عَصَبِيَّةً ، حَتَّى لَوْ سَمِعَهَا حَبِيبٌ
لَا تَخَذَهَا قِبْلَةً ، وَاعْتَمَدَهَا مِلَّةً . فَمَا آلَمَ^٣ مِّنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ ،
وَلَا سَبٍّ مِّنْ صَدَقٍ وَإِنْ أَقْدَعَ .

رجع :

وَأَمَّا الْبُحْتَرِيُّ : فَلَقَطَظَهُ^١ مَاءٌ ثَجَاجٌ ، وَدُرٌّ رَجَرَجٌ ، وَمَعْنَاهُ
سِرَاجٌ وَهَاجٌ ، عَلَى أَهْلِي مِیْهَاجٍ . يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إِلَى مَا يَعْجِشُ بِهِ
صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَادٌ ، وَلِيْنٌ قِيَادٌ . إِنْ شَرِيبَتُهُ أُرَوَاكٌ ، وَإِنْ قَدَحَتُهُ
أُورَاكٌ . طَبَعَ لَا تَكَلَّفَ يَغْثِيهِ^٢ ، وَلَا الْعِنَادُ يَثْنِيهِ ، لَا يُعْمَلُ كَثِيرُهُ ،
وَلَا يُسْتَتَكَّفُ غَزِيرُهُ ، لَمْ يَهْتَفْ أَيْتَامُ الْحُلُمِ ، وَلَمْ يَصِفْ زَمَنُ الْهَرَمِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَمِلِكُ النِّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ الْأَنْامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ
الْمُثَلِّيَّةُ ، وَالِاسْتِعَارَاتُ الشَّكْلِيَّةُ ، وَالْإِشَارَاتُ السَّحَرِيَّةُ ، وَالْعِبَارَاتُ
الْجَهْرِيَّةُ ، وَالتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ الْفُنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ

١ ص : وَخُطَّتْ ؛ ل : وَخُطِبَ .

٢ ص : أَلَام ؛ ل : لَام .

٣ ص : يَغْثِيهِ .

الملوكيّة ، والمهمات العلويّة ، والغزلُ الرائق ، والغيتابُ الشائق ، ووصفُ
الحسنِ الفائق :

وخيرُ الشعرِ أكرمهُ رجالاً^١ وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ^٢

وأما ابنُ الرُّومي : فَشَجَرَةٌ [٨٧] الاختراع ، وثمرَةٌ الابتداع .
وله في الهجاء ، ما ليس له في الإطراء ، فتَحَ فيه أبوابا ، ووصل فيه أسبابا ،
وخَلَعَ منه أثوابا ، وطَوَّقَ فيه رِقابا ، تَبَقَّى^٢ أعماراً وأحقابا ، يطول
عليها حسابُه ، ويُمنَحَقُ بها ثوابُه . ولقد كان واسعَ العَطَنِ ، لطيفَ
الْفِطَنِ ، إلاَّ أنَّ الغالبَ عليه ضَعْفُ المَرِيرَةِ وقوَّةُ المِرَّةِ .

وأما كُشاجِم : فحكيمٌ شاعِر ، وكاتبٌ ماهر ، له في التشبيهات
غرائب ، وفي التأليفات عجائب ، يُجيدُ الوصفَ ويُحقِّقه ، ويسنِّك
المعنى فبرقته ويُرَوِّقه .

وأما الصنوبري : فَفَصِيحُ الكلامِ غريبُه ، مَلِيحُ التشبيهِ عَجِيْبُه ،
مُسْتَعْمِلٌ لَشَوَاذِ القَوافي ، يَخْسِلُ كُدْرَتَهَا بِمِياهِ فَهْمِهِ الصَّوافي ،
فَيَجِلُّ وَيَدِقُّ ، وَيَعْدُبُ وَيَرَقُّ . وهو وحيدٌ جِنْسِهِ في صِفَةِ
الأزهار ، وأنواعِ الأنوار . وكان في بعض أشعارِهِ يَتَخَالَعُ ، وفي بعضها
يَتَشَاجَعُ : وقد مدَحَ وهجا ، وسَرَّ وشجَا ، وأعجَبَ شِعْرُهُ وأطربَ ،

١ البيت للفرزدق في هجاء نصيب ، انظر زهر الآداب : ٣٣٦ .

٢ ل : يبقين .

وَشَرْقَ وَغَرْبَ . وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ أَمِيرَ الزَّابِ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ^١ ،
مُتَّفَقَ سِلْعِ الْأَدَبِ ، فَوْصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ^٢ .

وَأَمَّا الْخُبْرُزُّزِيُّ : فَخَلِّعُ الشَّعْرِ مَاجِنُهُ ، رَاقِقُ اللَّفْظِ بَائِنُهُ ،
كَثِيرَةُ مَحَاسِنُهُ ، صَحِيحَةُ أَصُولُهُ وَمَعَادِنُهُ ، رَاقِقَةُ الْبَيْزَةِ ، [مَائِلَةٌ]^٣
إِلَى الْعِزَّةِ . تَسْلِيهِ عَنِ الْحَبِّ الْخِيَانَةِ ، وَيَرْبِقُهُ الْوَفَاءُ وَالصِّيَانَةُ . وَلَهُ
عَلَى خُشُونَةِ خَلْقِهِ ، وَصُعُوبَةِ خُلُقِهِ ، اخْتِرَاعَاتٌ لَطِيفَةٌ ، وَابْتِدَاعَاتٌ
طَرِيفَةٌ ، فِي أَلْفَاظٍ كَثِيفَةٍ ، وَفُصُولٍ قَلِيلَةٍ الْفُصُولِ نَظِيفَةٍ . حَتَّى إِنْ
بَعْضَ كِبَرَاءِ الشَّعْرَاءِ^٤ اهْتَدَمَ أَشْيَاءُ مِنْ مَبَانِيهِ ، وَاهْتَضَمَ تَطَرُّفًا مِنْ
مَعَانِيهِ ، وَهُوَ مِنْ مُعَاَصِرِهِ ، فَقَلَّ مَنْ فَيَّطِنَ لِمِرَامِيهِ .

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ : فَفَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ ، إِنْ شُئْتَ ضَرْبًا
وَطَعْنَا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكَ زَمَانًا ، وَمُلِكُ أَوَانًا ، أَشْعَرُ النَّاسِ
فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَأَشْعَرُهُمْ فِي ذُلِّ الْمَلَكَةِ^٥ . وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُعَارِضُ ،
وَالْأَسْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُسَاهِضُ .

١ انظر ديوان الصنوبري : ٢٨ وجمفر بن علي هو ممدوح ابن هانيء أيضاً ، إذ كان موالياً
للعباسيين ثم تحول إلى موالاة أمويي الأندلس (انظر أخباره في المقتبس لابن حيان تحقيق الدكتور
عبدالرحمن الحجي ، ط . بيروت) .

٢ زاد في ل : بعثها إليه مع ثقات التجار .

٣ زيادة من ل .

٤ ص : ويريقه ؛ ل : ويروقه .

٥ يعني المتنبي ، وهذه تهمة ساقها نقاد المشاركة مثل ابن وكيع وغيره .

٦ ص : الملك .

وأما المتنبيّ : فقد شُغِلَتْ به الألسُن ، وسَهَرَتْ في أشعاره
 الأعْيُن ، وكَثُرَ النَّاسِخُ لِشِعْرِهِ ، وَالْآخِذُ لِدِكْرِهِ ، وَالْغَائِصُ فِي
 بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَتَشُ فِي قَعْرِهِ ، عَنْ جُمَانِهِ وَدُرِّهِ : وَقَدْ طَالَ فِيهِ
 الْخُلْفُ ، وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شِيعَةٌ تَغْلُو فِي مَدْحِهِ ، وَعَلَيْهِ
 خَوَارِجُ تَتَعَايَا فِي جَرَحِهِ : وَالَّذِي أَقُولُ إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ،
 وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عِدْدًا ، وَأَقْوَى مَدَدًا ، وَغَرَابِئُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ ،
 وَعِلْمُهُ فَيَسِيحُ ، وَمِيزُهُ صَحِيحُ ، يَرُومُ فَيَتَقَدَّرُ ، وَيُدْرِي مَا يُورِدُ
 وَيُصْدِرُ^١ .

وأما ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْهَا دِيَارُهُ ، فَقَدْ
 صَاقَبْتَنَا أَشْعَارُهُ ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبُوتِهِ الْأَنْيَقَةِ ، وَمُكْفَرَاتِ^٢
 تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ، وَمَدَائِحِهِ الْمُرَوَّانِيَّةِ ، وَمَطَاعِينِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَهُوَ فِي
 كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِيسٌ : وَاطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى
 عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَةٍ فَهْمٍ مُضِيءٍ نَاصِعٍ . وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَقَطَمُ
 عَيْقُدَهُ ، وَتَرَكَهُ لِمَنْ تَجَمَّلَ بَعْدَهُ .

وأما ابنُ هَانِيءٍ مُحَمَّدُ الْأَنْدَلُسِيُّ وَلِادَةُ ، الْقِيَرَوَانِيُّ وَفَادَةُ وَإِفَادَةُ ،
 فَرَعْدِيُّ الْكَلَامِ ، سَرْدِيُّ النِّظَامِ^٣ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَائِلِ
 مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ مَنَاجِنِيقٍ ، يُؤَوَّرُ فِي النَّيِّيقِ . وَلَهُ غَزَلٌ قَفْزِيٌّ لَا عُنْذَرِيٌّ ،

١ زاد هنا في ل ما ينبغي أن أبا الريان انتهى من تقييم شعراء المشرق .

٢ ص : وتكفريات ، ل : وتكفيرات .

٣ زاد في ل : متين المباني ، غير مكين المثاني ، تحفو بعطنها عن الاوهام ، حتى تكون كنقطة
 النظام .

لا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيِّفِ ، وَلَا يَشْفَعُ بِغَيْرِ السَّيْفِ . وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلِكُ الزَّابِ .
وَعَظَّمْ شَأْنَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَابِ . وَكَانَ سَيْفُ دَوْلَتِهِ ، فِي إِعْلَاءِ مَنَزَلَتِهِ ،
مِنْ رَجُلٍ يَسْتَعِينُ عَلَى صِلَاحِ دُنْيَاهُ بِفَسَادِ أَخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ عَقْلِهِ ، وَوَقْتِهِ
دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ تَضِيقْ عَلَيْهِ مَعَانِي الشَّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينُ
عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ .

وَأَمَّا الْقَسْطَلَتِيُّ : فَشَاعَرٌ مَاهِرٌ عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ ، تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ ، بِأَنَّهُ
الْمُؤَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُتَقَدِّمُ فِي الشَّعْرِ . حَازِقٌ بِوَضْعِ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ ،
لَا سِيْمَا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَاهُ مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمَحَنَةِ : وَبِالْجُمْلَةِ
فَهُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَبْعَدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلِيُّ التَّنَوُّسِيِّ : فَشِعْرُهُ الْمُرْدُ^١ الْعَذْبُ ، وَلَفْظُهُ اللَّوْلُو الرُّطْبُ ،
وَهُوَ بِحَثَرِي الْغَرْبِ ، يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيُرَوِّقُ الْأَنَامَ ، وَيُسَبِّبُ ، فَيُعَشِّقُ
وَيُحَبِّبُ ، وَيَمْدَحُ ، فَيَمْنَحُ^٢ أَكْثَرَ مِمَّا يُمْنَحُ .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى احْتِقَارِ الْمَعَاصِيرِ ، وَاسْتِصْغَارِ
الْمُجَاوِرِ ، فَحَاشَ لِلَّهِ مِنَ الْإِتِّصَافِ ، بِقَلَّةِ الْإِنْصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، وَالْعُلُوِّ
وَالْحَبِيبِ .

قُلْتُ يَا أَبَا الرِّيَّانِ ، وَقَبْتَ مُرُورَ الْحَدَثَانِ ، فَلَقَدْ سَبَّكَتَ فِهْمَا ،
وَحُشِبْتَ عِلْمَا .

١ ص : المورود .

٢ ص : فتمنح .

مقامة له أخرى

جدتني الجرجاني قال : كان فتيً بجرجان من أبناء الأقيال ، قد جمع إلى النهاية في المال الغاية في الجمال . وكان مألماً للأدباء^١ ، ومأوياً للغرباء ، ورزقاً للفقراء ، فلا يخلو منزله من أهل الإعدام . فلني لَعْنَدَه في بعض الليالي إذ استؤذِنَ عليه لضرير فقير فأمر بإكرامه وإطعامه . فلما فترغ من شانه ، استدعاه إلى إيوانه ، فدخل علينا رجل شيخٌ وافرُ السبَالِ [٨٨] ، قد عمته البياضُ بالكمال ، مطموسُ العينين ، مسترخي الحاجبين ، قد صلعت هامته ، ورَكَعت قامته ، وقصُرَتْ مَسَافَةُ خُطَاهُ ، وثَقُلَ جِسْمُهُ عَلَى عَصَاهُ ، فسلم بصوت ضئيل ، ودعا بلسانٍ ثَقِيلٍ . وأقبلَ يذْكَرُ شَبَابَهُ ، ويتذكَرُ أَحِبَابَهُ ، وينوحُ على سالفِ زمانه ، ويندُبُ ثِقَاتِ إِخْوَانِهِ . فرقَ له الفتي فآذناه ، حتى أَجْلَسَهُ عَلَى يَمَانِهِ ، وصَبَّرَهُ وَسَلَّاهُ . ثم سمرنا إلى وقت النوم ، فرَقَدَ سائرُ القوم ، ونام الفتي في مكانه ، مُرَاعَاةً لِحَقِّ ضَيْفَانِهِ .

وكنْتُ أدنى مِن الفتي مرقدًا ، كما كنْتُ أدنى منه مقعدًا ، ولي عين أخف العيونِ هَجْعَةً ، وأقربها إلى الانتباهِ رَجْعَةً . فأيقظتني نَبْرَةٌ لم أكنُ عَهْدْتُ مِنَ الفتي مِثْلَهَا ، ولا أجراها مع ضَيْفٍ قَبْلَهَا . فمَجِيبْتُ مِنْ خَرَقِ الْعَادَةِ ، وَأَصْغَيْتُ أَلْتَمِسُ [استزادة] . فسمعتُ الأعمى

يقول : يا سيدي أنا صرورة ، وثمَّ صرورة ، وقد طالت العُزْبَة ، واضطرتني العُزْبَة . فقال الفتي له : فما وجدتَ لضرورتك سيواي ، ولا لِعُزْبَتِكَ جاشاي ؟ قال له : فإنَّ أبيتَ إلّا أن تَمْنَع ، فدُلّني على ما أصنع . قال له الفتي : أرى لك أن تَتَسَرَّى . قال : ومن للصعلوك بالمملوك ؟ قال : فتتزوج . قال : والمُحْجُوجُ كيف يتزوج ؟ قال له الفتي : فإنَّك لو خَضَخَضْتَ ، لكان أشبهَ مما إليه تَعَرَّضْتَ . قال الأعمى : والله يا مولاي لا يَسَعُهُ خُفِّي ، فكيف كفني ؟ فصاح الفتي : السلاح السلاح : « ألا أيتها النِّوَامُ وبِحَكْمِ هُبُوا » قال الجُرْجاني فقلتُ : « فللشيخ زُبٍّ ليس يُشَبِّهه زُبٌّ » . فقال الفتي : أسمعتَ العَجَبَ العُجَابَ ؟ قلتُ : نعم ، وحَفِظْتُ العِتَابَ : وجعلتُ أقول : ما سألك الشَّيْخُ في عسير ، ولا حَمَلَك على خَطِير . فهلاً قَضَيْتَهُ فَأَرْضَيْتَهُ ؟ قال : فحسبَ الأعمى كلامي ردّاً ، وظنَّه جيِّداً ، فقال : فديتُك أيتها الناصير ، حين خذَلَنِي الأواصير ، واحتَقَدَنِي المُعاصير ، ثم تنهَّدَ وقال : آه واهرَماه ! بَقِينَا حَتَّى شَقِينَا ، آه . طاحَ أَهْلُ البَدَلِ والسَّحاح ، وبَقِيَ أَهْلُ البُخْلِ والجَحِمِاح . انظُرْ أَيَّ أَجْناسٍ ، بعدَ أَيِّ ناسٍ ، لكنَّ الفَقِيرَ حَقِيرَ ، قَلَّ المَالُ ، وذهبَ الرِّجالُ . سَمِعِينَا فَطَمَعِينَا ، يا فتي . أخبرنا عنكَ خَبِيراً ، ما رأينا له أثراً ، وربَّ مَنسُوبٍ إلى حالٍ ، مَرَجُوعُهَا إلى مُحالٍ : أينَ الكَرَمُ الذي ذُكِرَ . والخُلُقُ الذي شُكِرَ ؟ هَبْ ما سَأَلْنَاكَ يَشْشَقُ ، أينَ الحَقُّ الذي يَمَحُوقُ ؟ كَذَبَ رَائِدُنَا . وقلبتُ قَدِيرَ دُنَا . فقال له الفتي : « بَصَحْتَ ! اتَّقِ اللَّهَ خَالِقَكَ ، فقد آنَ أَنْ يَبْرَكَ خَلْقُكَ .

١ كذا في نسخة ولعلها « واحتقروني » .

فقال : يا مولاي ، لو تركتني الشهوة لتركك ، لكن حررتني
فتحررت . إني وإن سبقتي جمهور الأتراب إلى التراب ، فلي قلب الهبي ،
وجسم ذهبي ، لا يغيرهما إدمان الزمان ، ولا يؤودهما حديث الحدثان .
ولو عادت إلي ساعة من أيامي ، أو حصلت في يدي إبرة من حسامي ،
لسبقت كلومي فيكم كلامي . وسأجهد بهذه العصا ، فأجاهد من
عصا . ثم اهتز كأنه نسر مقنصوص ، أو حمار مرهوص ، فقمنا
وتركنا جانبته ، وجعل يضرب بعصاه ما قاربته . فتركناه وشأنه ، وأدمننا
عيانه ، نصعد فيه ونصوب ، ونعجب ونعجب . فلم تنزل شقيقته
تهدر ، وعصاه تتكسر ، حتى كلت يدها ، وانحلت قواه . ولاح
وجه الصباح . وجئنا إليه بالمصباح ، فإذا هو كالجدار المهذوم . والخدر
المهشوم ، قد فارق النفس النمرودية . ومات الميتة الجاهلية . فدقته
الفتى في أطماره ، وسألنا كتمان أخباره ، وأفن لعمرى أي أفن ، أن
يطمع لخبر هذا في دقن ، بل هو منشور ، إلى يوم النشور .

ما أخرجته من شعر ابن شرف في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

[قال] ٢ :

قد كنت في وعد العذار فأنجزا وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا

١ ص : قلبي .

٢ هي في الشريشي ٢ : ٢٦٥ (٥ : ٢٤٠) وانظر التفت : ١٠٢ .

وَأَمَّا لِنَصْرِ الْحُسْنِ إِلَّا أَنَّهُ
عَطَفْتُ تَعَلَّمْ مِنْكَ عِطْفُكَ عَطْفَهُ
لَمْ يَتَكْفَ وَجْهَكَ حُسْنُهُ وَبِهَاوِهِ
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا
وَلَتَى إِلَى فِتْنَةِ الْهَوَى مُتَحَيِّرًا
وَجَدَ الْفَوَادُ بِهِ السَّبِيلَ إِلَى الْعِزِّ
حَتَّى اكْتَسَى ثَوْبَ الْجَمَالِ مُطَرِّزًا
وَبِثَالِثٍ مِنْ فِعْلٍ حُسْنِكَ عَزَّازًا

وقال :

تَصْعَدُ نَفْسٍ لَا صُعُودُ تَنْفَسُ
فَلَا الْقُرْبُ يُحْيِيْنِي وَلَا الْبَعْدُ قَاتِلِي
وَأَصْبَحْتُ ذَا ضَرٍّ وَلُفْيَاكَ مُبْرَىءٌ
وَتَرْدِيدُ رُوحٍ فِي حُشَاةٍ مَكْرُوبٍ
وَلَا الْهَجْرُ يُسْلِفُنِي وَلَا الصَّبْرُ يُلَوِّي بِي
لِفَضْرَتِي وَلَكِنْ أَيْنَ عَيْسَى مِنْ آيُوبِ؟

وقال :

بَيْنَ أَجْفَانِكَ سِحْرُ
جَرَدْتُ عَيْنَاكَ سَيْفِي
فَعَلَى خَدِّكَ مِنْ نَهْ
وَمِنَ الْكُثْبَانِ شَطْرُ
وَسَوَاءٌ قَلْتُ دُرٌّ
وَبِمَاذَا أَصِفُ الْخَصْ
بِكَ شُغْلِي وَاشْتَغَالِي
وَعَلَى غُصْنِكَ بَدْرُ
نَ لَذَا أَمْرُكَ أَمْرُ
رِ دَمِ الْعِشْقِ أَثَرُ
لَكَ وَالْأَغْصَانُ شَطْرُ
مَا أَرَى أَوْ قَلْتُ نَغْرُ
رَ وَمَا إِنَّ لَكَ خَصْرُ [٨٩]
وَمَضَى زَيْدٌ وَعَمَرُو

وقال :

وَشَمْسٍ تَرَاخَتْ أَنْ تَغِيبَ لِقَبْلَتِي كَمَا أَمْسَكَتْ فِيمَا مَضَى شَمْسُ يُوشَعٍ
فِيَا قَاطِعاً وَصَلِي وَيَا وَاصِلاً غَدِي بِأَمْسِي وَيَوْمِي فِي الْعَذَابِ الْمُمْتَعِ
صَرَفَتْ رَجَائِي عَنْ لَعْلٍ وَعَنْ عَسَى وَأَبْعَدْتَنِي بِالْيَأْسِ مِنْ كُلِّ مَطْمَعٍ
أَعْنَتِي بِالطَّمَاعِ الْوَصَالِ عَلَى النَّوَى إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشَجَعِ
لَدَيْكَ فُزَادٌ مَا لَهُ مِنْ مُطَالِبٍ أَطْلُبُ فِي بَعْضِي وَقَدْ بَانَ أَجْمَعِي ؟
وَدِيعَةٌ مَيِّتٍ أَنْتَ فِيهَا مُحْكَمٌ وَإِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْهَا وَإِنْ شِئْتَ ضَبِّعِ
أَرَى مُهَاجَاتٍ فِي يَدَيْكَ فَمَا تَرَى بَعَنُ شِئْتَ أَوْ قَعُ أَوْ بِمَا شِئْتَ وَقَعِ

قوله : « إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشَجَعِ » مَثَلٌ من أمثالهم ، وإليه
شار أبو نؤاس بقوله ^١ :

فَكَأَنِّي وَمَا أَزِيئُ مِنْهَا قَعَدَتِي يُزِيئُ التَّحْنِكِيمَا

وقال ^٢ :

وَاذْكُرْ لِيَا لَيْكَ الَّتِي ذِيهَيْتُ لَهَا وَوَعَيْشاً كَانَ كَالْتَهْوِيمِ
يُسْعِدُكَ وَابِلٌ أَذْمَعٌ فِي رَوْحِي سَرِبَتْ مِيَاهَ الدَّمْعِ شُرْبَ الْهَيْمِ
أَيَّامُ شَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ ضَجَّجَتْ فِيهَا وَبَدَرُ الْمَغْرِبَيْنِ نَدِيمِي
وَنَجْمٌ كَأَسَاتِي طَوَالُ الْعُ وَالسَّعْدُ يَسْتَعْفِي عَنِ التَّقْوِيمِ

١ ديوان أبي نؤاس : ٣٢٥ .

٢ البيت الرابع منها في التنف : ولم يذكر مصدره ، وقد ورد في القسم الأول : ٤٧٧ .

مَحْمُودٌ عَيْشٍ جَادٍ لِي دَهْرِي بِهِ ثُمَّ اسْتَرَدَّ فَكَانَ فِيهِ خَصِيمِي
وَلَتِي وَخَلَّتِي جَمْرَةً مَشْبُوبَةً نَذُّمِي عَلَى الْأَحْشَاءِ نَارَ سَمُومِ
فَإِذَا رَأَيْتَ لَهَيْبَتَهَا وَسَلَامَتِي فَاذْكُرْ بِذَلِكَ نَارَ إِبْرَاهِيمِ

يَنْظُرُ مَعْنَى الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ ^١ :

تَمَرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَبُودُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجُمُ

وَلَأَبِي [الْحَسَنَ] أَحْمَدَ الْبَصْرِيَّ ^٢ مِنْ أُنَاشِيدِ الثَّعَالِبِيِّ :

كُنْتُ إِذَا مَا سِرْتُ فِي حَاجَةٍ أَطَالِسُ ^٣ التَّقْوِيمَ وَالزَّيْجَا
فَصَارَ لِي ^٤ الزَّيْجُ كَتَصْحِيفِهِ وَعَادَ لِي ^٥ التَّقْوِيمُ تَعْوِيجَا

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الدَّانِي ^٦ :

وَبِمُهِجَتِي نَجْمٌ لَهُ فِي مُهْجَتِي مَسْرُومٌ وَلِي فِي نُورِهِ تَعْدِيلُ
حَوَّلْتُ عَهْدَ مُنَاخِهِ بِمُنَاخِهِ فَقَضَى بِتَحْوِيلِي لَهُ التَّحْوِيلُ

١ ديوان المتنبي : ٢٩٢ ، واستشهد به ابن بسام أيضاً في القسم الأول : ٤٧٦ .

٢ هو أحمد بن أيوب البصري ، أبو الحسن المعروف بالناهي ، انظر اليتيمة ٤ : ٣٨٣

— ٣٨٤ وقد ورد البيتان في ترجمته .

٣ اليتيمة : استعمل .

٤ اليتيمة : فأصبح

٥ اليتيمة : وأصبح .

٦ شعر ابن اللبانة : ٨٣ والذخيرة ٣ : ٩٦٠ .

وقوله : « محمودُ عيش جادَ لي دهري به » من مُتداولاتِ المعاني ،
منها قولُ محمد بن هاني ١ :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفِيساً فَاسْتَرَدَّ رُبَّمَا جَادَ لَثِيمٌ فَحَسَدُ

وأخذه بعضُ أهلِ عصري فقال :

يَهَبُ الْقَلِيلَ وَقَدْ يَرَى اسْتِرْجَاعَهُ هَيْبَةُ اللَّثِيمِ أَقْلٌ مِنْهُ وَأَنْزَرُ

ومن قصائده المطولة في المدح وما يتشبت به
من سائر الأوصاف

قال في المنصور حفيد ابن أبي عامر :

مَرَّ بِي غُصْنٌ عَلَيْهِ قَمَرٌ	مُتَجَلِّ نوره لَا يَسْجَلِي
هَزَّ عِطْفِيهِ فَقُلْنَا إِنَّهُ	ذو الْفَقَارِ اهْتَزَّ فِي كَفِّ عَلِي
وَرَأَيْتُ النَّاسَ صَرَعَى حَوْلَهُ	فَكَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجَمَلِ
تِلْكَ أَخْبَارُ زَمَانٍ قَدْ مَضَى	وَأُمُورٌ فِي السَّنِينَ الْأَوَّلِ
زَمَنُ الْمَنْصُورِ قَوَّى مَنَّتِي	وَسَرَى هَمَمِي وَأَحْيَا جَدْلِي
وَسُرُورُ النَّفْسِ مِنْ بَعْدِ الصَّبَا	نَاشِرٌ عَصْرَ الصَّبَا وَالْغَزَلِ
فَاسْتَطِيبَ الْعَيْشُ فِي بِلَدَتِهِ	فَكَأَنَّ النَّاسَ فِي قُطْرُبَلِ
وَكَانَ الشَّمْسُ مِنْ بَهْجَتِهَا	أَبْدَأَ فِيهَا بِبَرْجِ الْحَمَلِ

١ ديوان ابن هاني : ٣٦٧ .

وله من أخرى في عباد :

فما جشأت نفسي عشيّة مشرف
ولا ليغرابي دمنة الدار ظلتُ ذا
مقامُ زمانٍ مات عروّة حَسرة^١
فلو نال حظاً منه غيلانُ لالتفت^٢

ولا احتلبت عينيّ حزوى وفيفاء^١
سؤالٍ وما عند الغرابين أنباء^٢
عليه وظلتُ تسفح الدمع عَفراء^٣
له صيدحٌ فيه وميّ ودهناء

ومنها في ذكر طِفْلَيْنِ له :

أجشمتهم ليل القِفار وظلمة^١
ولي منهما سهمان هذا ابنُ أربع^٢
أضمتها والليلُ داجٍ كأنما^٣
فطوراً يُغشيهم على ذِكْر الكرى^٤
وطوراً يمجّون الدجى ومِطالَه^٥
فتضجرُ منهم أنفسٌ ربّما بكتُ

بحارٍ وكم ربعوا وللسيد إرخاء^١
وهذا ابنُ سِتٍ كلّما كان لإغفاء^٢
هُما نقطتا ياءٍ وجسمي هو الياء^٣
فتصبح أضواءٌ عليهم ولألاء^٤
وما كان للغاياتِ مطلٌ وإرجاء^٥
بكاً هو للصمّ الجلاميدِ لإيكاء

ومنها :

فإن أفحمتنا هبةٌ عُمريّة^١
بذلت أنبساطاً لنا علكويّة^٢

لديك لها في الشعرِ كسرٌ وإقواء^١
لها بعدَ موماتٍ المهاميه أقباء^٢

١ يشير إلى قول ذي الرمة (غيلان) :

لقد جشأت نفسي عشيّة مشرف

٢ فيه إشارة إلى قول قيس لبيّ ، وسيوضّحه ابن بسام فيما يلي .

٣ ص : العشر .

صَبَّاحُ التِّي ذَكَرَهَا نَاقَةُ غَيْلَانَ ، وَالِدَةُ هِنَاءُ وَطَنَهُ ، وَمِيَّ صَاحِبَتُهُ ، وَكَانَ
ذُو الرِّمَّةِ يَلْهَجُ بِذِكْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي شَعْرِهِ . وَقَوْلُهُ [٩٠] « وَلَا لُغْرَابِي دِمْنَةُ الدَّارِ »
... الْبَيْتِ ، أَشَارَ إِلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ الْعُدْرِيِّ فِي عَفْرَاءَ بِنْتِ مَالِكِ
الْعُدْرِيِّ ، وَتُنَشِّدُ الْأَبْيَاتُ لِحُسْنِهَا ، وَلَكُونِ الْمَعْنَى فِرْعَاءُ مِنْ غُنْصِنِهَا :
أَلَا يَا غُرَابِي دِمْنَةُ الدَّارِ خَبَّرَا أَبَاهُجِرٍ مِنْ عَفْرَاءَ تَنْتَحِبَانِ ؟
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا بِلَحْمِي إِلَى وَكْرِيكَمَا فَكُلَا نِي
وَلَا يَعْلمَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتِي وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَذَرَانِ
جَعَلْتُ لِعُرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعُرَافِ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفِيفَانِي
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَنَا بِمَا ضَمَنْتَ مِنْكَ الضَّلْوَوعُ يُدَانِ

وَضَرَبَ الْمَثْلَ بِهَيْبَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِهَا ، وَبِانْبِسَاطِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي ابْنِ طَاهِرٍ أَمِيرٍ مَرْسِيَّةً وَقَتْبَهُ :

وَعَاجُوا عَلَى عُسْفَانَ وَاللَّيْلُ أَلَيْلُ وَمَرَوْا^١ بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالصَّبْحُ مُسْفَرُ
وَحَازَتْهُمْ حَزْوَى ضُحَى وَتَرَوْحُوا بِمَنْعَجٍ وَاسْتَعْلَوْا أَبَانًا فَنُورُوا
وَلَمَّا تَوَاقَفْنَا بِذِي سَلَامٍ بَدَا سَلَامٌ لِسَلَامِي ظِلٌّ يَخْفَى وَيُظْهِرُ
شَعَرْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ حَيْرَانُ غَافِلُ وَمَا شَاعَرُ أَمْرًا كَمَنْ لَيْسَ يَشْعُرُ

١ ديوان عروة : ١٦ ، ١٤ .

٢ يعني أبا عبد الرحمن بن طاهر ، وقد وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٤ - ٩٢ .

٣ ص : وهزوا .

رأت ظبية الوعاء عيني فهيتجت
سأبكي طولاً كنت فيها مطلّة
تنصّرم ذاك العيش إلا إدكاره
فتي طاهري طاهر الثوب ذكره
لها ذكرهم والشئ بالشئ يذكر
عليها وكل الليل تحتك مقمر
ولاً كنوباً في المنام تزور
من المسك أذكى أو من الماء أظهر

وله من أخرى في المعتضد ١ :

لولا هم لحجبت أول حجة
ولزرت حمص الغرب أغرب زائر
وزحمت واديتها بمثل عبايه
وأريتسه بجرأ يفساخر قعره
حرم الكرام وطال فيه طوافي
بغرائب كالحلّة الأفواف
من سلسيل في القلوب سلاف
بالأى فيه بلا أصداف

ومنها في مدحه :

يا حاسديه على علا خطت له
يخلي الديار من الجسوم ويحتني
فكأنما الأجسام بعد رؤوسها
سبى القضا بالنون ٢ بعد الكاف
ثمر الرؤوس وطرفة الأطراف
أبيات شعر ما هن قواف

قال ابن بسام : أظن ابن شرف ، فيما وصف ، شبه الأجسام دون
رؤوسها بأبيات شعره في هذه القصيدة ، فليست لها مبادئ ولا قوافي ،

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ ، كما أن الأخير منها ورد في القسم الأول : ٣٨٣ .

٢ ص : القضاء النون .

وما أمّري أنّ الغربة فلتَ غربَ طَبِيعِهِ ، وَغَسَلَتْ عن جوانِحِهِ ،
وأطفأت نَارَ قرائِحِهِ .

ومن أشبه مدائِحِهِ قولُهُ في عليّ بن أبي الرّجال^١ بعضِ أمراءِ القيروان
من قصيدة^٢ :

جاورُ علياً ولا تحفلِ بمحادثةِ	إذا أدّرتَ فلا تسألُ عن الأسَلِ
إسمُ حكاكاهُ المسمّى في الفِعالِ فقد	حازَ العليّينِ من قولٍ ومن عَمَلِ
فالماجدُ السيّدُ الحرُّ الكريمُ له	كالنّعتِ والعطفِ والتوكيدِ والبدلِ
زانَ العلّا وسواهُ شاهاً وكذا	للمسّمِسِ حالانِ في الميزانِ والحَمَلِ
وربّما عابه ما يفتخرونَ به	يُشنا من الخصرِ ما يهُوى من الكفَلِ
سَلَّ عنه وانطِقَ به وانظرِ إليه تجيّدُ	ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمَقَلِ

واه من أخرى^٣ :

ما لي كذا كلّ ما طابَتْهُ عَسِيرٌ	وقد أخذتُ بحبِّ المطلبِ العَسِيرِ ؟
مالي أجاذِبُ ذي الدُّنيا مُولِيّةٌ	فكلُّ ثوبٍ عليها قدّ من دُبُرِ

١ ص : الرّحال ؛ وعليّ بن أبي الرّجال عالم شاعر كان راعي الأدب والأدباء في القيروان أيام
المعز بن باديس ، وباسم طرز ابن رشيق كتاب العمدة ، وهو مؤلف كتاب البارع في أحكام
النجوم وفي ترجمة ابنه محمود قال ابن الأبار (اعتاب الكتاب : ٢١٤) انه كان هو وأبوه
وأهل بيته برامكة افريقية . (وانظر الفصل الخامس من كتابي : ملاح يونانية في الأدب
العربي : ٧٥ - ٧٩) .

٢ وردت أبيات منها في ياقوت والصفدي والفوات والمسالك واعتاب الكتاب . وانظر التتف
١٠٨ - ١١٠ والشريشي ٤ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣ منها بيتان في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتتف : ١٠١ - ١٠٢ .

ومنها :

يُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ التَّنْوِيلِ مُعْتَدِرًا وَرَبِّ مُعْطِي قَلِيلٍ غَيْرِ مُعْتَدِرٍ
أَتَى الزَّمَانَ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لِبَنِي الدُّ نِيَا كِبْشَرَى بِمَوْلُودٍ عَلَى الْكِبَرِ
لِإِنِّي وَجَدَكَ صَيَّرْتُ الْوَرَى نَهْرًا وَقُلْتُ مَا قَالَه طَالُوتُ فِي النَّهْرِ
فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْهُمْ غَرْفَةٌ بِيَدِي حَلَّتْ وَحَرَّمَ بَاقِيَ النَّهْرِ فِي الرُّبْرِ

ومعنى البيت الرابع من هذه كقول أبي تمام، ونَقَصَ فيه عن التمام^١:

بُشْرَى الْغَنَى أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعْتُ بَشْرَاؤُهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

وذكرت بقوله : « فكلُّ ثوبٍ عليها قدَّ من دُبُرٍ » قول القائل :

قَمِيصُ يُوسُفَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ كَانَتْ بَرَاءَتُهُ فِيهَا مِنَ الْكَذِبِ
وَفِي قَمِيصِكَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالرَّيْبِ

وفي الحسن بن وهب يقول القائل :

إِذَا لَقِيتَ بَنِي وَهْبٍ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْأَنْثَى مِنَ الذَّكَرِ
مُؤَدَّبُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ مِنْ صِغَرٍ مَدْرَبُونَ عَلَى النُّكْرَاءِ فِي الْكِبَرِ
يَحْتَكُونَ وَلَمْ تُقْطَعْ سَرَائِرُهُمْ بَيْنَ الْحَوَاضِنِ وَالْدَايَاتِ بِالْكَسْرِ
قَمِيصُ أَثْنَاهُمْ يُنْشَقُّ مِنْ قُبُلٍ وَقَمِيصُ ذَكَرَانِهِمْ تَنْقَدُّ مِنْ دُبُرٍ [٩١]

١ انظر الآية : ٢٤٩ من سورة البقرة .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٤ .

سائر مقطوعات له في أوصاف شتى

قال ١ :

لعل اللهَ يَفْتِكُ المعنى الـ
وإن أرجو التخلصَ من عظيمٍ
لقد أنفدتُ من جِلْدِي دروعاً
وصبراً لو تجسمَ لي مِجَنّاً
وأفقدُ ما طَلَبْتُ فلمْ أَجِدْهُ
فأصبحَ وهو للعنقاءِ ثانٍ
صَحِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا أناساً
ولم أَصْحَبْهُمْ ودّاً ولكن
أسيرَ فيغْتَدِي وهوَ الطَّلِيقُ
فقد ينجو من اللَّجَجِ الغريق
زَرَيْنَ على الذي نَسَجَتْ سَلُوقُ
كفاني ما رَمَتْهُ المنجنيق
رفيقٌ في صَحَابَتِهِ رَفِيقُ
وثاوي حيثُ فَرَّخَتِ الأنوق
إذا غَدَرُوا فغَدَرُهُمْ وثيق
كما جَمَعَ العدوينِ الطريق

لعلته ذهب في هذا إلى قول أبي الطيب ٢ :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا على الحرِّ أن يرى
عدوّاً له ما مِنْ صِدَاقَتِيهِ بدُّ

وقال :

بعيشِكَ نادِ أيامي وقُلْ هلْ
لديكَ إلى مَرَدٍّ من سَبِيلِ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ - ٢٤٠

٢ ديوان المتنبي : ١٨٤ .

أراك كما يرى المحتاجُ مالاً وقد مَلَكَتْ عليه يدُ البخيلِ
أراحِلَةً وما أبقيتَ مني سوى لحظٍ يترجِمُ عن قتيلِ
وقد عاقبتِ بالعِبراتِ عيني بلا ذنبٍ وما ذنبُ الرِّسولِ
وجدتُ الناسَ كلَّهمُ طُلُولاً فلمْ أَطيلِ الوقوفَ على الطُّلولِ
وتَسَمَّعُ منهمُ ما لا تراهُ كسامعٍ ضربةِ السِّيفِ الصَّقيلِ
فَمَنْ بِسواكَ باعَكَ فاعْزَ عنه كما استغنى علي عن عَقيلِ

عقيلٌ أخو عليّ بن أبي طالب كان وُلِدَ معه توأماً ، ولذلك قال :
زوحِمتُ حتى في الرَّحِمِ . ولَمَّا كان يومُ صَفَتَيْنِ هرب إلى معاوية وفارق
أخاه علياً .

وقوله : « أراك كما يرى المحتاجُ مالاً » . . . البيت . أراه توارد فيه
مع لِدَتِه وابن بلدَتِه أبي عليّ بنِ رَشِيْق حيثُ يقول ^١ :

والصَّيْحُ قد مَطَّلَ اللَّيْلُ العيونَ به كأنه حاجةٌ في كفٍّ ^٢ ضنَّينِ

وقال ابنُ شرف ^٣ :

وما بلوغُ الأمانِ في مَواعِدِها إلا كاشعَبَ يَرْجو وَعندَ عُرُقوبِ
وقد يخالِفُ مَكْتُوبُ القِضاءِ يَمْدِي فكيف [لي] بقِضاءٍ غَيْرِ مَكْتُوبِ؟

١ ديوان ابن رَشِيْق : ٢٢١ (عن الذخيرة) .

٢ ص : يد ؛ وصوبته بما يغني عن ارتكاب الضرورة .

٣ البيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٣ ، والشريشي ٣ : ٣١٦ .

٤ ص : يقضا .

وقال ١ :

سَلَّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ كَرِضَى الْفِرْزْدَقِ عَنْ بَنِي يَسْرُبُوعِ
لِلَّهِ حَالٌ قَدْ تَمَنَّقَلَ عَهْدُهَا بِخِلَافِ نَقْلِ الدَّهْرِ حَالِ صَرِيرِيعِ
دَارَتْ دَرَارِيُّ الْخُطُوبِ قَوَاصِدًا حَتَّى نَظَرْنَا إِلَى مِينِ تَرَبِيعِ
كَانَ صَرِيرُ الْعَوَانِي خَامِلًا فَوَلَاهُ بَنُو سَهْلٍ جُتْرَجَانِ فَشَرَفَ .

وقال :

أَهْلَ الصَّفَاءِ نَأَيْمٌ بَعْدَ قُرْبَيْكُمُ فَمَا انْتَفَعْتُ بِعَيْشٍ بَعْدَكُمْ صَافٍ
وَقَدْ قَصِدْتُ نَدَى مَنْ لَا يُوَافِقُنِي فَكَانَ سَهْمِي عَنْهُ الطَّائِشَ الْهَافِي
أَرَدْتُ عَمْرًا وَشَاءَ اللَّهُ خَارِجَةً أَمَا كَفَى الدَّهْرَ مِنْ خُلْفِي وَإِخْلَافِي ؟

وقال ٢ :

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْدَلُونَ بَعْصِرْنَا وَصَارَ لَهُمْ قَدْرٌ وَخَبِيلٌ سَوَاقٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلَى الزَّمَانِ وَلَمْ تَنْزَلْ تُفَرِّزُنِي فِي أُخْرَى الْبُيُوتِ الْبِيَادِقِ

وقال ٣ :

قَالُوا تَصَاهَلْتَ الْحَمِي رُ فَقُلْتُ إِذْ عُدِمَ السَّوَابِقُ
خَلَلْتُ الْبُيُوتَ مِنَ الرِّخَا خِ فَفَرَزْتُ فِيهَا الْبِيَادِقُ

-
- ١ الأبيات في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتنف : ١٠٤ .
٢ ورد البيتان في كتاب المقترح في جوامع الملح - باب الأشعار - (مخطوطة جامعة برنستون)
وكتاب الآداب : ١٠٤ .
٣ البيتان في ياقوت والصفدي والفوات والتنف : ١٠٦ والغيث ٢ : ١٢ .

وقال :

شَكَوْتُ حُزْنِي وَبَشِيَّ إِلَى الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ
فَكَانَ عُقْبَايَ عُقْبَى عَقْبَى نَبِيَّهِ يَتَعَقُوبُ

وقال ^١ :

لَكَ مَنَزَلٌ ^٢ كَمَلْتُ سِتَارَتَهُ لَنَا لَيْلَتَهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثُ
غَنَى الذَّبَابُ وَظِلٌّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبَرْغُوثُ

وهذا كقول السَّمِيسِرِ ^٣ :

ضَاقَتْ بِلَنَسِيَةِ بِي وَذَادَ عَنِي غَمُوضِي
رَقَصُ الْبَرَاغِيثِ فِيهَا عَلَى غَنَاءِ الْبَعُوضِ

ما أخرجه من مراثيه لأهل القيروان بلده

قال من قصيدة وصف فيها إذلال أهل سوسة جالية القيروان ،
وهي طويلة قطفت عيونها :

أَهْ لِلْقَيْرَوَانِ أَنَّةَ شَجَسُوا عَنْ فُؤَادِ بِجَاحِمِ الْحُزْنِ يَصَلِي
حِينَ عَادَتْ بِهِ الدِّيَارُ قُبُوراً بَلَّ أَقُولُ الدِّيَارُ مِنْهُمْ أَخْلَى

١ البيتان في ياقوت والمطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع البداهة : ٣٩٤ (ونسباً فيه لابن
رشيق) والتنف : ٩٤ .

٢ البدائع والمطرب : لك مجلس .

٣ وردا غير منسوين في القسم الأول : ٨٨٨ وهذا الحصري في بدائع البداهة : ٣٩٣ .

نَمْ لَا شَمْعَةٌ سِوَى أَنْجَمٍ تَخُ طَوْ عَلَى أَفْقِهَا نَوَاعِيسَ كَسَلَى .
 بَعْدَ زُهْرِ الشَّمَاعِ تُوْقَدُ وَقْدًا وَمِثَانِ الذُّبَالِ تُفْتَلُ فَتَلَا
 وَالْجُوهِ الْحِسانِ أَشْرَقَ مِنْهُنَّ م وَيَقْضُلْنَهُنَّ مَعْنَى وَشَكَلَا
 لَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ سَهْلُ لُكْ وَعَرَأَقْدَ صَبِيرُوا الْوَعْرَ سَهْلَا

ومنها :

بَعْدَ يَوْمٍ كَأَنَّمَا حُشِرَ الْحَمْدُ قُ حُفَاةٌ بِهِ عَوَارِي رَجُلِي
 وَلَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَاكَ تَحْكِي زَحْمَةَ الْحَشْرِ وَالصَّحَائِفُ تُتْلَى
 وَعَجِيجٌ وَضِجَةٌ كَضَجِيجِ الْخَلْقِ يَبْكُونَ وَالسَّرَائِرُ تُبْنَى
 مِنْ أَبَامِي وَرَاهِنٍ^١ يَتَامَى مَلُثُوا حَسْرَةً وَشَجَوُوا وَثُكَلَا [٩٢]
 وَثُكَالِي أَرَامَلًا حَامِلَاتِ طِفْلَةٍ تَحْمِلُ الرِّضَاعَ وَطِفْلًا
 وَحَصَانٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا كَفَسَتْهَا الْأَطْمَارُ نَجْلَاءَ كَهْلًا
 فَاتَ كَرْسِيَتَهَا الْجِلَاءُ فَأَضْحَتْ فِي ثِيَابٍ^٢ الْجَلَاءِ لِلنَّاسِ تُجَلَى^٣
 جَارَ فِيهِمْ زَمَانُهُمْ وَأُولُو الْأُمَدِ رِفْقَةً رَوَايَرُ جُونٍ فِي الْأَرْضِ عَدَلَا
 تَرَكَوْا الرِّبْعَ وَالْأَثَاثَ^٤ وَمَا يَبَّةَ قَتْلُ لَا حَامِلٍ^٥ مِنَ النَّاسِ ثِقَلَا
 لَتَبْسُوا الْبَالِيَاتِ مِنْ خَشِينِ الصُّو فِ لِيَغْدُو النَّبِيَهُ^٥ فِي النَّاسِ غُفْلًا^٥

١ ص : وراهم ، ولعلها « وراهم ويتامى » .

٢ ص : ثياب . ٣ الذخيرة ١ : ٩١ .

٤ ص : والاثاث .

٥ ص : لتعدوا البنية ... عقلا .

نادبات ، عَفْرَاءُ تُسْعِدُ سَعْدِي
 ليس منهنَّ مَنْ يُودِّعُ جَاراً
 كلَّهنَّ اعتلى الفراقُ عليه
 فإذا القَفَرُ ضمَّهنَّ فوق الدَّهْ
 مِن ثَعَابِينَ حَامِلِينَ نِيوياً^١
 وشياطينَ راحينَ يُلَاقُو
 فترى للظهور^٢ تُعْتَلُ عَتَلًا^٣
 فإذا مَطْمَعٌ أَصَابُوهُ فِي أَحَدٍ
 فإذا نَجَّتِ^٤ المَقَادِيرُ مِنْهُمْ
 لَيَقِيَّ الهَوْنَ فِي الْمَذَلَّةِ أَنْتَى
 ليس يلقى إلا أُمْرَأَ مُسْتَطِيلًا^٥
 فترى أَشْرَفَ الْبَرِيَّةِ نَفْسًا
 فهِمُّ كُلِّهَا نَبَتْ بِهِمْ أَرْ
 مَزَقُوا فِي الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا
 لا يَلَاقِي النَسِيبُ مِنْهُمْ نَسِيبًا
 ليت شعري هل عَوْدَةُ^٦ لِي فِي الْغَيْةِ

وسُعادٌ تُجِيبُ بِالنَّوْحِ جُمْلًا
 لا ولا حُرْمَةً تُشِيعُ أَهْلًا
 فاقتحمنَ الجلاءَ حَفْلًا فَحَفْلًا
 رُلهُنَّ غَيْرَ ذَلِكَ النَّتَبِلِ نَبْلًا
 عُصْلًا : ذَابِلًا وَنَبْلًا وَنَصْلًا
 نَ بجونِ الفلا مساكينَ عَزْلًا
 وتُشَقُّ البطونُ تُغْسَلُ غَسْلًا
 شاءَ قَدَوْمٍ عَمَتُوا بِذَلِكَ كُتْلًا
 راحيلًا بالخلاصِ يَتَحَمَّلُ رَحْلًا
 كان مِن سائرِ البلادِ وَحِلًا
 طالبًا عِنْدَهُ حَقُودًا وَذَحْلًا
 ناكِسًا رَأْسَهُ يُلَاطِفُ نَدْلًا
 ضُ مطايا الفِراقِ خَيْلًا وَرَجْلًا
 يَسْكُبُونَ الدُّمُوعَ هَظْلًا وَوَبْلًا
 يَتَمَعَزَّى بِهِ وَلَا الْخِلُّ خِلًا
 بَ إلى ما أَطالَ شَجْوِي أَمْ لَا ؟

١ ص : فرق .

٢ ص : ليونًا .

٣ ض : الظهور .

٤ ص : أحشا قد .

٥ ص : خبث .

قوله « حين عادت به الديار قبوراً » يشبه من وجه قول أبي تمام ^١ :

وما القفر بالبيد القواء بل التي نبتت بي وفيها ساكنوها هي القفر

وأخذه بعض أهل عصري وزاد فقال :

ثاو بحمنص كأنما هي قبره لو لم يقاس بها صروف زمانه

وقوله « ثم لا شمعنة سوى أنجم » ينتظر إلى قول محمد بن هانيء الأندلسي ^٢ :

وبات لنا ساق يقوم على الدجى بشمعة صُبْح لا تُقَطّ ولا تُظفأ

ويُروى « بشمعة ليل » ، وإنما أخذه من قول أبي الحسن سليمان ابن حسان النصيبى ^٣ :

وإن يلك ليلنا فيه نهراً فشمعة بدّره ليست تُقَطّ

وربما توارد معه لأنه كان معاصره ، إلا أن ابن هانيء أقدم موتاً ،

حكى أبو علي في رسالة « قراضة الذهب » أنه مات سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

-
- ١ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧٠ .
- ٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ .
- ٣ سليمان بن حسان النصيبى : أحد شعراء اليتيمة (١ : ٢٥) وهذا البيت لم يرد هناك .
- ٤ لم أجد هذا في قراضة الذهب ، فلعل ابن بسام وهم أول ما بين أيدينا من قراضة الذهب ناقص ؛ على أن كل المصادر التي ترجمت لابن هانيء جعلت وفاته سنة ٣٦٢ .

وقال ابنُ شَرَفٍ من قصيدةٍ وَصَفَ ما كان من صِيَانَةِ الحَرِيمِ في
أوطانها ، ثم ما صارتُ إليه من الانكشافِ في الحِيلِ والترحالِ ، ورُكوبِ
ظهورِ الخُطوبِ والأهوالِ ، يقول فيها ١ :

بعدَ خطوبٍ خَطَبَتْ مُنْهَجِي	وكانَ وَشِكُ البَيْنِ إِمهارَها
ذا كَبِيدٍ أَفلاذُها حَوَلَتِها	قَسَمَتِ الغُرْبَةُ أَعشارَها
أُطافِلُ ما سَمِعَتْ بالفلا	قَطُّ فَعابَتَتْ الفلا دارَها
ولا رَأَتْ أَبصارَها شاطِئاً	ثم جَلَّتْ باللجِ أَبصارَها
وكانتِ الأستارُ آفاقَها	فَعادَتِ الآفاقُ أَسْتارَها
ولم تكنْ تَعْلُو سَرِيرَ عَمَلِها	إِلّا إِذا وافَقَ مِقْدارَها
ثمَّ عَلَّتْ كُلَّ عَثُورِ الخُطَا	يَرمي بها الأرضَ وأَحْجارَها
ولم تكنْ تَلَحْظُها مُقْلَةٌ	لو كَحَلَّتْ بالشمسِ أَشْفارَها
فأَصْبَحَتْ لا تَمْتَنِي لِحِظَةٍ	إِلّا بِأَنْ تَجْمَعَ أَطْمارَها

قوله « وكانت الأستارُ آفاقها » من الكلامِ الفَصيحِ ، والقلبِ المَتَلَحِّحِ .
ويُشَبِّه مَنَحاه ، وإن لم يَكُنْ في معناه ، قَوْلُ الأوَّلِ ٢ :

١ هي في التثنية : ٩٩ نقلاً عن معالم الإيمان .
٢ البيت لعبد الله بن الزبير الأسدي في الحماسة (شرح الرزني : ٩٤١) وزهر الآداب :
٤٠٥ ونسب في أمالي القاضي ٣ : ١١٥ للكميت بن معروف ، وانظر اللسان (سمد) والعمري
٢ : ٤١٧ كما نسب في أنساب الأشراف (٤ / ١ : ١٣٤) لأمين بن خريم (وفي ص :
60 من المصدر الأخير تخريجات كثيرة أخرى يتضح منها أنه ينسب في بعض المصادر
لفضالة بن شريك) .

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سَوْدًا

وكقول الآخر :

نديمي جاريةٌ ساقيةٌ ونزهي ساقيةٌ جاريةٌ

وله من أخرى ^١ :

كأني وأفراخي إذا الليلُ جَنَنَّا حمامُ أضلَلْنِ الْوُكُورَ فَضَمَّتْهَا
إذا أفرعتهم ^٢ نبوةٌ زاحموا لها ويصفرُ جِسمي عن جميع احتضانهم
كانتهم لم يسكنوا ظِلَّ نِعْمَةٍ إلى أن غلوا فتيء الفيافي فتارةً
وطوراً على مَوْجِ الْبِحَارِ كأننا ونحن نفوسٌ تِسْعَةٌ ليس بيننا
وبات الكرى يجف جفوناً ويَطْرُقُ تَجَانُّسُهَا حَتَّى تَرَأَى الْمَفْرَقُ
ضُلُوعِي حَتَّى وَدَّهْمُ لَوْ تَفْتَقُ فَيُثْبِتُ ذَا فِيهِ وَذَا عَنْهُ يَزْهَقُ
لَهَا بِهَنْجَةٍ مِثْلُ الْعَيُونِ وَرَوْنَقِ تُبَاعُ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَعْتَقُ
قَدْ بَدَأَ قَدْ وَثِقْنَا أَنَّا لَيْسَ نَغْرُقُ [٩٣] وَبَيْنَ الرَّدَى إِلَّا عُوَيْدٌ مُلْتَفَقُ

نظم هذا من قول الفيلسوف ^٣ وقد ركب سَفِينَةً فقال للملاح :
كَمْ غِلِظُ لُوحِ سَفِينَتِكَ ؟ قال : إصبعان . قال فلنما بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ
إصبعان .

١ الأبيات في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

٢ المسالك : قرعتهم .

٣ ينسب هذا القول إلى أناخرسيس في صوان الحكمة : ٢٤٧ (ط . طهران) .

وقوله « إذا أفزعتهم نبوة » . م . البيت ، بناءً على قول امرئ القيس ،
إلا أنَّ الوجدَ لَدَعَهُ لَدَعَةً أنطقته بالحال ، وقولته السحر الحلال ،
فعلته كيف يفتت الأكباد ، ويفت في الأعضاء . وهو قوله ١ :

إذا أخذتها هيزة الرّوعِ أمسكتْ بمنكيبِ مِقْدَامٍ على الهولِ أروعا

وقال من أخرى ٢ :

يا قيروانُ ودِدْتُ أنيَ طائرٌ	فأراكِ رؤيةَ باحثٍ مُتأملٍ
أهاً وأيّةُ آهةٍ تَشْفِي جوى	قلبٍ بنيرانِ الصّباةِ مُضطلي
أبدتْ مِفاتيحُ الخطوبِ عجائباً	كانت كوامينَ تحت غيبٍ مُقفلٍ
زعموا ابن آوى فيك يعوي والصدى	بذراكِ يصرخُ كالحزينِ المشكلِ
يا بيدَ روضة ٣ والشوارعُ حولها	معمورةٌ أبداً تغص وتملي
يا أربعي في القطبِ منها كيف لي	بمعادٍ يومٍ فيك لي ومن أين لي ؟
يا لو شهدتِ - إذا رأيتكِ في الكرى	كيف ارتجاع صباي بعد تكهّل
لا كثرةُ الإحسانِ تنسي حسرةً	هيهات تذهبُ علّةُ بتعلّل
وإذا تجددَ لي أخٌ ومُنادمٌ	جددتُ ذكر إخاءٍ خلّ أوّل
« لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدهم	يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ »

١ ديوان امرئ القيس : ٢٤٢ .

٢ منها خمسة أبيات في التنف : ١١٠ عن معالم الإيمان .

٣ روضة بالأندلس ، والشاعر يندب معاهده بالقيروان ، فلمل فيه تصحيفاً .

وهذا البيتُ لجرير ، وإنما تضمنته . وبعده قولُ جرير ^١ :

لو كنتُ أحذرُ وشكَّ بينِ عاجِلٍ
لَقَنَنْتُ أو لَسَأَلْتُ ما لم يُسألِ

وقوله « واذا تجددَ لي أخٌ ومُنَادِمٌ » من قول أبي تمام :

نَقَلَ فُؤادَكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهُوَى ما الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال أبو الحسنِ الرضي ^٢ :

ما سَاعَدَتْني اللَّيالي بَعْدَ بَيِّنَتِكُمْ
إِلَّا ذَكَرْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمٍ

وقال ابنُ شَرَفٍ من قصيدة ^٣ :

كأَنَّ الدِّيارَ الْخَالِياتِ عِرائِسُ	كواسدٌ قد أَزْرَتْ بَهْنَ الضَّرائِرُ
وَتُنْكِرُ بُقْيَاهَا الْأَسِيرَةَ حُسْرًا	عواطِلَ لا تَفْشِي لَهْنَ السَّرائِرِ
إِذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ تَمَكَّنَتْ	بِها وَحْشَةٌ مِنْها الْقُلُوبُ نَوافِرُ
ولا سُرُجٌ إِلَّا النُّجُومُ وَرَبَّما	تَغَطَّتْ فَسَدَتْ جَانِبَيْها الدَّيَاجِرُ
يَمُرُّ عَلَيْها الْمَوْرُ يَسْحَبُ لُحْفَهُ	ولا كَانَسٌ إِلَّا الرِّياحُ الْغَدائِرُ
وَيَمْتَدُّ عَمُرُ الصَّوْتِ فِيها وَرَبَّما	تَجُودُ مَرارًا بِالْكَلامِ الْمَقابِرُ
فلَوْ نَطَقَتْ ما كانَ أَكْثَرُ نَطَقِها	سوى قَوْلِها أَيْنَ الْخَلِيطُ الْمَعاشِرُ ؟
أَلَا قَمَرٌ إِلَّا الْمُنْعَعُ فِي الدُّجَى	فأَيْنَ اللُّواتِي لِيلُهُنَّ الْمَعاجِرُ ؟

١ ديوان جرير : ٩٤٠ .

٢ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ .

٣ منها ثلاثة أبيات في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وأحد عشر بيتاً في التفت : ٩٨ عن معالم الإيمان .

ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مغالطٌ ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورٌ ؟
تُرى سيئاتُ القيروانِ تعاطمتُ ألمْ تكُ قدماً في البلادِ الكبائرُ ؟
ضجَرَ أبو عبد الله - عفا الله عنه ؛ وفيها يقول :

ترحلَ عنها قاطنوها فلا ترى سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائرُ
تكشفتِ الأستارُ عنهمُ وربما^١ أقيمتُ ستورٌ دونهم وستائرُ
إذا جاذبتُ أستارها تبتغي بها لأقدامِها سترأ تَبَدَّتْ غدائرُ
تبيتُ على فُرْشِ الحصى وغِطاؤها دوارسُ أسمالٍ زَوَارٍ^٢ حقائرُ
فيا ليتَ شعرَ القيروانِ موطني أعائدةٌ فيها الليالي القصائرُ ؟
ويا روحتي بالقيروانِ وبكرتي أراجِعةٌ روحاتها^٣ والبواكرُ ؟
كأن لم تكنْ أيامنا فيك طَلَقَةً^٤ وأوجهُ أيامِ السُرورِ سوافرُ
كأن لم يكنْ كلٌّ ولا كان بعضُهُ سيمضي به عَصْرٌ ويمضي المعاصِرُ^٥

قوله « كأنَّ الديار الخاليات » ينظرُ من وجهٍ إلى قولِ أبي تمام * :
وكذاك لم تُفْرِطْ كآبةٌ عاطلٍ حتَّى يُجاورَها الزَّمانُ بحالي
وقال ابن شرفٍ من أخرى :

١ يا قوت : من أهلها وكم .

٢ التفت : عليها

٣ التفت : روحاتها .

٤ التفت : وتمضي المعاصر .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ١٣٢

سقى القصرَ فالميدانَ أخلاقاً مزنة
على أنه مرمى^١ نبتت عنه أسهمي
أناديه والبحرُ المحيطُ مجاوي
وقرطبة ضمت إليها جوانحي
نزلنا [بها] لا نبتغي السوقَ عندها
وأحيا ابنُ يحيى ميثاقَ خواطري
أبا حسن أحسنتَ بدءاً وعودةً
فلم يرَ بؤسٌ إذ وليتَ أمورَها
وكم لقيت حربَ الأزارقِ منهمُ
وراحت على الروحاءِ منها أفاويقُ
فلا حَزَّ لي في الأفقِ منه ولا فوق
ودوني خليجٌ منه أفيحُ مخروق
كما ضمَّ من عفراءِ عروّةٍ تعنيق
فما كان بدءاً أن أقيمتَ لنا سوق
وفسحَ آمالي وكان بها ضيق
وللفصنِ إثمارٌ إذا كان توريق
ولا كسدتَ سوقٌ إذ التفتتِ السوقُ
وكم زرقتَ في جانبيها المزاريقُ

قال ابن بسّام : وكثيراً ما يذكرُ ابنُ شرفٍ في شعره أحياءَ الأعرابِ
التي أخرجتهم من القيروان كبنِي هلالٍ [٩٤] وقرة وزُغَبَة وهم الذين تولّوا
حربَ بلدِهِ في التاريخ المتقدم الذكر ؛ فمن ذلك قصيدةٌ أولها^٢ :

جُسومٌ على حُكْمِ العيونِ صحاحُ وفي طيِّ أحناءِ الضُلوعِ جراحُ

يقول فيها :

إذا كان للأحبابِ رسلٌ فرُسلنا بروقٌ إلى أحبّابنا ورياح
ومن دونِ تلكِ الرُّسلِ أخضرُ زَاخِرٌ أجاجٌ ومهجورٌ الفجاجِ فَيَاح

١ ص : مرعى .

٢ ص : إلا

٣ منها بيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وثلاثة في التنف عن معالم الإيمان .

وللسهمِ دون القبروانِ تسهّمٌ وما شوكتُهُ إلاّ ظبا ورماح
وقرةٌ قد قرّتْ هناكَ عيونُها وزُغْبَةٌ ريشَتْ زُغْبُها ورياح
كأن لم يكنْ لي أَمْسٍ في عرصاتها من العيشِ جدٌ طيّبٌ ومُزاح
يخيّلها زورُ الكرى لي في الدُّجى فأرغبُ في ألا يلدوحَ صباحُ
كُسيْتُ قنّاعَ الشيبِ قَبيلَ أوانه وجسمي عليه للشبابِ وشاح
ويا ربَّ وجهٍ فيه للعينِ مِترَةٌ أمانعُ عيني منه وهو مُباحُ
وأهجره وهو اقتراحي من الوري وقد تهجّرُ الأمواهُ وهي قمرّاحُ
وهذا مصراعُ بيتِ المعري ١ :

« والعذبُ يهجرُ للإفراطِ في الخصرِ »

وقوله : « يخيّلها زورُ الكرى » ألمّ فيه ابنُ شرف بقولِ العباس ابن
الأحنف ٢ :

حتى أقول إذا استيقظتُ من أسفٍ يا ليتني كنتُ دهري راقداً أبداً
وله من أخرى يمدحُ الأمينَ ابنَ السّقاء :

فيا أخويّ من أسدٍ وسعدٍ أحيّ حيّ زُغْبَةَ أم دفينِ
فلا اشتملتُ مساكنها بشملٍ ولا هداً القرارَ به سُكونِ

١ شروح السقط : ١٢٠ وصدّره : لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ؛ وقد كرر ابن بسام
الاستشهاد به في مواطن .

٢ لم يرد في ديوان العباس .

ولا سَرَّتِ الرِّيحُ على رِياحٍ لو اَقيحَ مَزَنَةٌ أنْتى تكون
فقدَ دارَتْ عَينا من رِحاها طَحونُ كُلما لَاقَتْ زَبون
فلا وِطَنٌ لَنا إلّا المِطايَا وإلّا المَاءُ طَوراً والسَّفين
لعلَّكَ أيها البَرقُ اليماني إذا كَشَفْتَ عَن خَبرٍ تَبين
أَني وكنّاها عُقبانُ قوم كعَهدِي أمْ خَلَلْتَ مَناها الوُكون
وبين قِبابِ صَبَرةٍ والمِصلى نُهَى ومَها وآسادُ وعَين
وأجبالُ تَحوُرُ بها المِذاكي وأقمارُ تَيسُ بها الغُصون
وقرطُبةٌ أَعيدَت قِرواناً لَنا لَما دَهَتَ تلكَ الفُتون
وكيف يَضِيعُ مِثلي في مَكانٍ يَكونُ بِهِ أبو الحَسنِ الأَمين
أَيامُنُ أن تَكونَ النونُ راءً وقد وَجِبَتْ لَهُ راءُ ونون

انتهى ما أخرجه من أخبار ابن شَرَف ، وتلوا ذلك بطرف من أخبار
ابن السقاء مدبر الدولة الجمهوريّة بقرطبة ، ونُشِرُ إلى مَقتله ، ونلَمُ
بذكرِ أوّلِهِ ، وكيف ارتقى من الحُضيضِ ، إلى ذِروَةِ الجاهِ العريضِ ،
حتى زاحَمَ نَجومَ الأفلَاكِ ، ومَلَأَ صُورَ الأملاكِ ، وسارتْ عَنهُ في السِّياسَةِ
أخبارُ ، مَحَتْ أضواءَ الأسحارِ ، وعَطَرتْ أنفاسَ الأزهارِ .

جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي ، مدبر الملك الجمهوري

قال ابنُ حَيّانَ : كان أبو الحسنِ إبراهيمُ بنُ محمد بن يحيى المعروف
بابنِ السَّقاء قد كابدَ من شَطَطِ المَعيشَةِ في فِئامِ سَنَةٍ ما لا شَيءَ فُوقَهُ ، إذْ

كان يعالجُ السَّقَطَ بِسُوقَةِ ابْنِ أَبِي سُنَيَانَ فِي قَرْطَبَةِ بِيضَاعَةِ نَزْرَةِ . وَأَعْلَى مَا انْتَقَلَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِكْدَاءِ تِلْكَ الْحَرْفَةِ الْإِسْتِخْرَاجُ فِي جِهَةِ الْأَحْبَاسِ ، وَرِاثَةُ^١ عَنْ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ السَّقَاءِ . وَبِأَسْبَابِهَا خَدَمَ الْقَضَاةَ وَتَمَرَّنَ مَعَ الْفُقَهَاءِ ، وَهُوَ يَقْتَاتُ مَعِيشَتَهُ مِياوِمَةً^٢ ، وَيَأْوِي لَيْلَهُ إِلَى بَيْتٍ فِي دَوِيرَةِ وَالِدِهِ مُحَمَّدٍ بِجُوفِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، يَحَاضِرُ فِيهِ جَمَاعَةٌ لِإِخْوَةٍ لَا يَجِدُ بَيْنَهُمْ إِلَى مَدَّةٍ سَاقِيَةٍ سَبِيلًا . وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَمَلَ الْأَمَانَةَ عَلَى كَاهِلِهِ ، فَوَضَعَهَا أَسْفَلَ رِجْلِهِ ، وَتَذَكَّرَ عَضَّ الْكَلَابِ لِعَصَاهُ ، فَتَحَوَّلَ جُرْدًا لِلسَّرْقِ وَالْخِيَانَةِ ، وَابْنَتِي الْقُصُورِ الْمُنِيعةِ ، وَاقْتَنَى الضِّياعَ الْمُغْلِيَةَ ، إِلَى أَمْلَاكِ لَا تُحْصَى كَثْرَةُ .

قال ابن بسام : وقد رأيتُ ابنَ حَيَّانَ مَدَحَ ابْنِ السَّقَاءِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ . فَقَالَ فِيهِ فِي فَصْلِ :

وَصَارَ مِنْ الْمُنَاجِحِ لِلدَّوْلَةِ الْجَهْوَريَّةِ أَنْ اسْتَعَانَ فِيهَا الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ أَبُو الْوَلِيدِ جَهْورٌ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَمِينِ أَبِي الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، مُتَوَلِي النَّظَرِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى قَدِيمِ الْأَيَّامِ . خَادِمِهِ الْكَافِي الْمُنْقَطِعَ إِلَيْهِ ، وَتَصْبِيحَهُ الْمُتَهَالِكِ^٣ فِي طَاعَتِهِ . فَتَفَرَّسَ فِيهِ فِرَاسَةً مِثْلِيَّةً ، فَقَلَبَهُ الْقِيَامَ بِأَعْيَاءِ دَوْلَتِهِ ، فَأَصَابَ نَقَافًا يَخْذِمُ^٤ ، وَنَفَذَ فِيمَا يُرِيدُ عَنْهُ كَالسَّنَانِ اللَّهْنَمِ ، بِخُودَةٍ اسْتِقْلَالِيَةٍ ، وَرَجَاحَةٍ وَزْنِيَّةٍ .

ثم ذَكَرَهُ بَعْدَ مَقْتُلِهِ فَقَالَ : وَهَذِهِ عَصْفَةٌ مِنْ عَصَفَاتِ الدَّهْرِ الْخُزُونِ ، الَّذِي هُوَ لِمَنْ أَصْفَى إِلَيْهِ أَنْصَحُ الْوَاعِظِينَ [٩٥] . قَصَفَتْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ

١ ص : وارثه . ٢ ص : وتصبغه التهالك .

٣ ص : يحدث .

الظالم - كان - لنفسه، الغاشم المصطنع، سرحة نؤارة أطلال الباطل مرعها
 من غير اس أودع خضراء دمنة : فتموه على أهل وقته بليانة كانت
 فيه سوقية ، وخلابة جبيلية ، عضدًا جدد صاعد رقاءه من الخضيض
 إلى الستها ، وحرسنه إلى مدة اجتدبته عند توفيتها أعراقه اللثيمة ،
 فتولت ذمياً لسوء أفعاليه ، فلا سماؤه بكت عليه ولا أرضه . وقد كنت
 كتبت من وصف ظاهري محاسنه أو ان اعتلاقيه بقهرمة أميرنا محمد بن
 جهنور ، وعددت من حسان خصاله ما لم يتبعد عن الصدق عنه ،
 لأخذنا بظاهري ما تموه في العيون وقت بنائه لنفسه ، وتنفيقيه لكساده ،
 من طأة الخلق ، وحسن الاحتمال ، ولين الحجاب ، وخيفة المواطاة ،
 وجودة الوساطة ، معرضين فيه عن ذكر ما لم يمكن لنا النفث عنه مما في
 باطنه من نذالة الحميم ، ونطف الصحبة ، وتهمة الخلوة . وإذا به
 متخلق ليسمو إلى مراد أناله الميقدار إياه ، فتنة من الله . فلم يلبث
 أن أدركه عرق السوء ، واجتذبه إلى نصير طباعه ، فاستحال وتغير ،
 وعتا واستكبر ، وخان وغدر ، فاستخف المظالم ، واستهان الكبار ،
 واطرح الفروض ، واحتقر الخقوق ، واغترى بذوي الهيئات ، وحملت
 المروءات ، فأذال صونهم ، وأغرى غاشيته من سيفلة الناس وأوغادهم
 بهم ، فأضرع بخدودهم ، وخطأ أقدارهم ، وأشعر الأعززة الذلثة ،
 وألصق أنوفها بالرغام ، وأصمته عن الكلام . فارتفع الأمر بالمعروف
 جملته ، ووسع أهل السلامة الدخول تحت التقيّة . فصيرنا ممن
 أخذ بذلك في ذكره ، فيما كتبنا له من ظاهري أخباره مدة ستر الله
 عليه ، إلى أن ارتفعت بزوال سلطانيه ، وأمان عدوانيّه ، ففارقنا

الحَزْمُ^١ في ذكره ، وَلَزِمْنَا الْعُذْرَ عَنْهُ بِالنَّقْصِ لما أَسْلَفْنَاهُ مِنْ تَقْرِيطِهِ .

قال ابن حيتان : ولَمَّا^٢ رآه ولدُ ابنِ جَهْوَرٍ أَخَذَهُ بِخُطَطِ الْمُلْكِ أَجْمَعِيهَا ، وَمَرَاتِبِ الرِّئَاسَةِ بِكَلِيَّتَيْهَا ، وَتَرْكَهُمْ أَعْطَالاً ، وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَى مَالِ الْخِرَاجِ وَاحْتَوَى عَلَيْهِ ، يَأْخُذُهُ كَيْفَ شَاءَ ، وَيُنْفِقُهُ فِيمَا يُرِيدُ ، وَاصْطَنَعَ الرِّجَالَ ، وَاتَّخَذَ الْأَصْحَابَ وَالْغِلْمَانَ ، فَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَسَمَتْ إِلَيْهِ الْأَمَالُ ، فَتَوَقَّلَ ذِرْوَةَ الْإِمَارَةِ حَالاً^٣ ، حَتَّى ثَنَى الْجُنْدَ وَالرَّعِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَصَدَّاهُمْ عَنْ لِقَاءِ أَمِيرِهِمْ ابْنِ جَهْوَرٍ . وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ عِبَادِهِ فِي خَدَوْنِ أَمَانَتِهِ ، وَلَا تَسْتَرَّ عَنِ الْإِعْلَانِ بِغُلُولٍ وَدَيْعَتِهِ ، وَقَدْ تَوَلَّى أَمْرَ السَّلْطَانِ وَهُوَ فَقِيرٌ فَلَمْ يَسْتَرَّ فِي الْاِكْتِسَابِ ، بَلْ جَاهَرَ فِي التَّحَامُلِ عَلَى الْجِيرَةِ وَالْإِكْرَاهِ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مِمَّنْ يُصَاقِبُهُ مِنْ ذَوِي خُطَّةٍ أَوْ سَهْمَةٍ : لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أُمُورٌ لَا تُحْصَى كَثْرَةً . ثُمَّ خَلَطَ لِأَوَّلِ تَرْقِيَتِهِ فِي الرِّئَاسَةِ بِأَنْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدَ سَوَاءٍ ، مَالٌ بِهِ طَبَعُهُ الرَّذْلُ إِلَى الاسْتِظْهَارِ بِهِمْ عَلَى أَقَادِمِ الْجُنْدِ بِقَسْرُطَةٍ مِمَّنْ مَرَّنَ عَلَى الاسْتِقَامَةِ ، فَتَخَيَّرَ هُوَ مِنْ أَرَاذِلِ الطَّبَقَاتِ وَمُنْصَاصِ شِرَارِ النَّاسِ ، وَانْتَقَاهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الدَّعَرَةِ وَالْدَائِرَةِ وَالْأَسَاوِدِ وَالرَّقَاصَةِ ، نَخَلَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ مَرْفُوضَةً مَا بَعَثَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ ذِثَاباً عَادِيَةً ، وَأَعَدَّاهُمْ لِيَوْمِ الْكُرْبَةِ فَلَمْ يُغْنَوْا عَنْهُ شَيْئاً لَمَّا حَاقَ بِهِ قِضَاؤُهُ . وَكَانَ قَدْ أَقْفَرَ دَارَ الْخِدْمَةِ بِقَسْرُطَةٍ وَنَقَلَهَا إِلَى دَارِهِ ، فَجَعَلَتْ الْمَوَاقِبُ تَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ

١ كذا في ص .

٢ لم يأت جواب « لما » .

يوفقهُ اللهُ لاختيارِ حاجِبٍ لَسَبِّبَ يعلو^١ جَمَاعَةَ حَجَّابِيهِ ، فيحمِلُ له وجوهَ الناسِ ويرتَّبُ قعودَهُمَ بَدَهِليزِهِ فيُطعمُهُمَ بِخُرُوجِهِ أو يعتذرُ إليهم عنه بما يؤيسُّهم منه ، فيذهبون لَسَبِّيلِهِم مُعَافِينَ من سوء غِلْمَانِيهِ ؛ وما كانوا يلقونَه إلَّا [في] فَصِيلٍ فيه أقدام^٢ الرجال لسوء أدبِ حَجَّابِيَتِهِ في حمَلِهِم على الناسِ بعُنفِ الرَّدِّ . ولربَّما دَقُّوا الأنوفَ ونَتَفَعُوا الشَّوَارِبَ غيرَ مُمَيِّزِينَ لَطَبِيقَةِ الناسِ ؛ فَحَقِّدُوا عليه ، إلى أَشْتَاتٍ^٣ من المساوئِ نَظَّمَهَا ، وأنواعٍ من المخازي جَمَعَهَا . وألقي له على قُلُوبِ الناسِ رَهْبَةً مع أَضْغَانٍ^٤ شَبَّوْا بها أَصْبَغَةً مَسَاوِيهِ^٥ ، والأقدارُ تَدْفَعُ عنه ، إلى أن حَاقَتْ به فَكْبَا لَفِيهِ . ولم يَزَلْ يَرْجِعُ^٦ في مراتعِ الباطلِ ، وَيَلْتَبَسُ على الناسِ أَمْرَهُم ، وَصَدَّهُم عن أَمِيرِهِم ، وَأَخَذَ اللهُ بِسَمْعِهِم وَبَصَرِهِم ، وَتَمَثَّلَ لَهُمُ الْخَسَدُ الْمُلقَى على كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ ، فَحَارَتْ أَلْبَابُهُمْ فِيهِ ، وَتَاهَتْ مِنْهُ ، مِينَ وَزِيرٍ فِي قُعُودِ أَمِيرٍ ، وَقَاضٍ فِي مِسْلَاخِ جُنْدِي ، وَفَقِيهِ عَلَى دِينٍ يُحْيِي بالقول وَيَقْتُلُ بالفعل . فَسُبْحَانَ مَنْ سَوَّاهُ مِنَ الْأُمِّ^٧ طِينَةً فَأَمَهْلَهُ مُدَّةً . مِينَ رَجُلٍ عَهِيرِ الْخَلْوَةِ لَزُهْدِهِ فِي النِّسَاءِ وَكَلَفَهُ بِالْغُلَمَانِ . وَاتَّخَذَ دَاراً آخِرَ مُدَّتِيهِ لِلْخَلْوَةِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا

١ ص : يغلوا

٢ ص : أقدام .

٣ ص : الا اشتاتاً .

٤ ص : اضطفان .

٥ قد يفهم المعنى مجازاً ، بأن مساويه كانت مخضوبة فشبهتها أضغانهم أي أظهرتها بقوة التضاد .

٦ يرجع : يتردد ، وقد تقرأ : « يرتع » .

٧ ص : ألم .

يَخْدِمُهُ فِيهَا [٩٦] وَلَا يَحُفُّ بِهِ غَيْرُ خَاصَّةٍ غِلْمَانِهِ ، وَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ بِالْدُخُولِ إِلَيْهِ فِيهَا . فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَاسْمُهَا « دَارُ اللَّذَّةِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَجِيشُهَا فِي أَكْثَرِ النَّهَارِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَقْضِي بِهَا رَاحَتَهُ . فَلِذَا جَاءَ اللَّيْلُ عَادَ إِلَى دَارِ سُكْنَاهُ الَّتِي فِيهَا أَهْلُهُ . وَمِنْ تَمَامِ الْعَجَبِ فِي شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكْشِفْهُ وَلَا نَبَشَ صَدَاهُ إِلَّا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنْ بَطَانَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَرَادِلِ الطَّبَقَاتِ ، وَذَلِكَ مَعَهُودٌ فِي أَمْثَالِهِمْ : فَالْصَّنِيعَةُ لَا تَزْكُو إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ :

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : فَلَمَّا قَطَعَ أَمْوَالَ النَّاسِ جُمْلَةً عَنْ بَنِي جَهْوَرٍ ، وَأَخْلَى أَبْوَابَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَلَمْ يَدْعُ لَابِنِ جَهْوَرٍ مِنْ سُلْطَانِهِ غَيْرَ التَّوْقِيعِ وَحْدَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَحُجَّابِهِ أَنْ يُدْعَى بِالسُّلْطَانِ ، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ أَمِيرِهِ ابْنِ جَهْوَرٍ سَأَلَ سَائِلٌ : أَيْنَ يَكُونُ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ حُجَّابُهُ : فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَيَجِثُونَ بِمَعْكَوسٍ مِنْ الْقَوْلِ يَمَجِّتُهُ السَّمْعُ ، دَانَ لَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ عَنُودًا ، وَخَاطَبُوهُ بِالْتَّمَعِ وَبِإِلِّ دَعَاءٍ وَمُكَاتَبَةٍ ، إِلَّا قَلِيلًا تَمَسَّكُوا بِالْمَرْوَةِ فَاسْتَسْبَوْا لَدَيْهِ مَقْتًا^١ : فَظَلَّ يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ اسْتِكْبَارًا ، وَيُسَبِّطُنْ تَدْبِيرًا ، وَيُسَيِّءُ تَفْكِيرًا^٢ . أَخْبَرْتُ أَنَّهُ قَالَ [لَهُ] يَوْمًا بَعْضُ بَطَانَتِهِ عِنْدَمَا رَأَاهُ يَتَرْتَكِبُ مِنَ الْفَوَاحِشِ : خَفَقْتُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَيْنَا ؟ وَاللَّهِ مَا بَهَا كَلْبٌ يَنْبَغُ فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ : وَمَا عَلِمَ الْحَاطِنُ^٣ الشَّقِيَّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْبَلُ أَسَدٍ جَهْوَرِيٍّ قَدْ لَبَّدَ لِبَطْشٍ

١ ص : مَعْنَى .

٢ ص : تَفْطِيرًا .

٣ ص : الْحَاطِنُ .

به وهو عبدُ الملكِ الأصغرِ مِن إخوانِهِ ، لم يَسْتَشِيرِ فِي الْفَتْكِ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ١ .
فلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لَسَعِ بَقِيْنَ لِرَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ أَعَدَّ
لَهُ رَجَالَةً فِي فَصِيلِ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ هُوَ يَنْتَظِرُهُ ، وَأَرْسَلَ عَنْهُ رَسُولًا كَانَ
أَبُوهُ يُوَجِّهُهُ عَنْهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ ابْنِ جَهْوَرٍ وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ
النَّاشِئِينَ مَعَهُ نَزَرُ يَسِيرٍ ، وَأَرَادَ النَّزُولَ عَلَى حَجَرٍ لَاصِقٍ بِالْبَابِ ، وَإِذَا
بِعَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ قَامَ عَلَيْهِ بِخَنْجَرٍ أَعَدَّهُ لَهُ فَضَرَبَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ الرِّجَالَةُ الْمُعَدُّونَ
لَهُ وَابْتَدَرُوهُ كَالصُّقُورَةِ بِالسُّيُوفِ وَحَزَوْا رَأْسَهُ . وَرَكِبَ مِنْ حِينِهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ عَلَى رُحْمَةٍ وَطِيفَ بِهِ الْبَلَدُ كُلَّهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِهِ
« دَارِ اللَّذَّةِ » وَرَمَى رَأْسَهُ لِلْعَامَّةِ ، فَعَاثَتْ فِيهِ ، وَكَسَرُوا أَنْيَابَهُ وَنَتَفَوْا
لِحَيْثِهِ ، فَأَصْبَحَ شَأْنُهُ عَجَبًا . وَاحْتَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى تِلْكَ الدَّارِ وَحَازَهَا
بِمَا فِيهَا ، وَعَلَى أَصَاغِيرِ غُلَامِيهِ : وَاجْتَازَ عَلَى السَّجَنِ وَأَطْلَقَ مَنْ فِيهِ .
وَسَمِعَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَهْوَرٍ خَبَرَ الْوَاقِعَةِ فَخَرَجَ دَهِيشًا ، وَرَأَاهُ مُجَدِّلًا
فَارْتَاعَ وَتَلَهَّفَ ، وَانْتَهَرَ ابْنَهُ وَهُوَ يُنْهَوِلُ تَطْوِيفَ الرَّأْسِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى
أَبِيهِ . وَأَمَرَ ابْنُ جَهْوَرٍ بِسِتْرِ جَسَدِهِ فِي دِهْلِيزِ الْإِصْطِيلِ . وَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِ
أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ ، وَرَكِبَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي السَّلَاحِ
وَجَاشُوا جَيْشًا عَظِيمًا ، وَأَبْدَوْا بِقَتْلِ ابْنِ السَّقَّاءِ سُرُورًا عَظِيمًا ،
وَأَعْلَنُوا بِالشَّمَاتِ بِهِ وَإِقْدَاحِ الْقَوْلِ فِيهِ .

وَقَعْدَ ابْنِ جَهْوَرٍ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُصْحَفِ ، وَبَادَرَ
الْمُحْجِيءَ إِلَيْهِ لِأَوَّلِ الْهَيْشَةِ الْوَزِيرُ الزَّمِينُ ، بِبَقِيَّةِ وَزَرَاءِ الْفِتْنَةِ ، أَبُو إِسْحَاقَ

١ من قول الشاعر :

فلم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرع إلا قائم السيف صاحباً

ابن حمام عدو ابن السقاء كأنما أنشيط من عقال . وقتل ذلك اليوم
 من حاشيته نحو مئتين وعشرين رجلاً . واعتصم أخوه بمنار المسجد
 الجامع فنجا . وانطلقت أيدي الناس على [أتباعه] ^١ فنهيست دورهم .
 ثم أمر ابن جهور بستوق رأسه وضّم إلى جسده ، ووري في أخدود
 خلد له بباب مسجد ابن السقاء في أطماره ، وهيل عليه التراب هيناً .
 وسلبت كسوة المسجد وثرياته ، وعطلت فيه الصلاة ، فصار
 ثوباً ^٢ للثاوي .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري ^٣ واجتلاب جملة من نظمه ونثره

وأبو الحسن هذا ممتن لحقيقته أيضاً بعمري ، وأنشدني شيعره
 غير واحد من أهل عصري . وكان بحر براءة ، ورأس صناعة ، وزعيم

١ بياض في ص .

٢ ص : ثاوي ؛ والثوي : البيت .

٣ للحصري ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ (بغية الملتبس رقم ١٢٢٩) والصلة : ٤١٠ والسلفي
 ٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومعجم الأدباء ١٤ : ٣٩ والوفيات ٣ : ٣٣١
 وغاية النهاية ١ : ٥٥٠ ونكت الهميان : ٢١٣ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢١ والشذرات ٣ :
 ٣٨٥ وقد ترجم له في المسالك ثلاث مرات ١١ : ٣٧٥ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ (والآخر منها
 خطأ باسم علي بن عبد العزيز) ولم يأت في ترجماته بشيء ، وله شعر في نفع الطيب والمطرب
 والحلة ٢ : ٥٢ وذكر خبره في الحلة ٢ : ٦٧ مع المعتمد وهو ينقل عن الذخيرة - وقد =

جماعة . طراً على جزيرة الأندلس مُنتَصَفَ المائَةِ الحامِسةِ من الهجرة^١ بعدَ خرابِ وطنه بالقَيرَوان ، والأدبُ يومئذٍ بأفئقنا نافقُ السَّوقِ ، مَعمورُ الطريقِ : فَتَهَادَتُهُ مُلُوكُ طَوَائِفِهَا تَهَادِيَ الرِياضِ النَسيَمِ ، وتنافسوا فيه تنافُسَ الدِّيَارِ فِي الأَنسِ المُقيمِ ، على أَنَّهُ كانَ فيمَا بَلَغَنِي ضَيِّقُ [٩٧] العَظَنِ ، مشهورَ التَّلسَنِ : يَتَلَفَّتُ إلى الهِجاءِ تَلَفَّتَ الظَّمآنُ إلى الماءِ . ولكنهُ طُويَ على غَرَّةٍ^٢ ، واحتمِلَ^٣ بينَ زمانتهِ وَبُعْدِ قُطْرِهِ . ولَمَّا خُلِيعَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ بأفئقنا - حسبما شَرَحْتُ فيمَا تَقَدَّمَ من هَذا المَجموعِ وأُوضِحْتُ - وأخوتُ تلكَ النجومِ . وطُمِيسَتْ من الشَّعْرِ الرُّسُومِ . اشتملتُ عليه مَدينةُ طَنَجَةِ ، وقد ضاقَ ذَرَعُهُ . وتَراجَعَ طَبَعُهُ . وله على ذلكَ سَجَنُ ، يَمِجُّ أَكثَرَهُ السَّمْعِ . لم يَسْمَحْ نَقْدِي أنْ أَكْتَبَهُ . ولا رأيتُني أنْ أروِيَهُ^٤ . وما أراه يَسْلُكُ^٥ إلاَّ سَبيلَ المَعَرِّي فيمَا انتحاه . وكان هو وإيتاه كما وصفَ العباسُ بنُ الأحنف^٦ :

-
- = تَقَدَّمَ - وتكرر هذا الخبر في المعجب : ٢٠٥ ، وكانت وفاة الحميري سنة ٤٨٨ (ورقم خطأ في غاية النهاية إذ كتب ٤٦٨) ومن الغريب أن ابن صكر حين ترجم له (أدباء مالقة : ١٥٧) عدّه من أهل سبته . وقد قام الأستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى بدراسة عنه مرفقة بما وجد من رسائله وأشعاره وديوانه المعثرات واقتراح القاريح (نولس : ١٩٦٣) ١ ذكر الحميري أن الحميري دخل الأندلس بعد ٤٥٠ هـ . ٢ ص : عره ، والتصويب عن ابن خلكان ؛ وطويت فلاناً على غره أي لبسته على ذهل . ٣ ص : واحتفل ؛ والتصويب عن ابن خلكان . ٤ ص : ولا . . . أن أدريه . ٥ ص : أن يسلك . ٦ ديوان العباس : ٢٢١ ورقم الآداب : ١٠٣٣ .

هي الشمس مَسْكَنُهَا في السماء فعزُّ الفؤادِ عزاءٌ جميلا
فلنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ ولنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
أو كما قال ابنُ الرومي^١ :

دَعُوا الْأَسَدَ [تَرْبِضُ] فِي غَابِهَا وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أُنْيَابِهَا
وهيهاتَ في قُدْرَةِ الْعَمَى ، أَنْ يَتَجَمَعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَلَا
بِتَقَارُبِ الصِّفَاتِ ، تَقْتَرِنُ مَنَازِلُ الْمُوصُوفَاتِ :
أَكُلْ أَبِي ذُوَيْبٍ مِمَّنْ هَذَا بَنُلٍ وَكُلْ أَبِي دَوَادٍ مِمَّنْ إِيَادٍ ؟

جملة ما أخرجته من نثر الحصري المكفوف^٢

فصل له من رقعة : السلامُ عليك أيتها القلبُ الثاني ، والبعيدُ الدَّاني ،
الرَّاقِي في سماءِ المعالي ، الواقِي مِمَّنْ دامَ الليالي . أوَّلُ مَنْ عَدَدْتُ ،
وأَفْضَلُ مَنْ أَعَدَدْتُ . وَمَنْ لَا زَالَ النِّسِيمُ في البُكَرِ والعَشِيَّاتِ ،
يَهْدِي إِلَيْهِ طَيِّبَ التَّحِيَّاتِ . وَمَنْ جُعِلَتْ وَقَاهُ ، وَلَا عَدِمَتْ لِقَاهُ ،
فَإِذَا كَانَ الْكَرِيمُ سَالِمًا . كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمًا .

١ ديوان ابن الرومي ١ : ٣٥٢ (عن الذخيرة) .

٢ أدرج الأستاذان المرزوقي والجيلاني هذه انرسائل عن الذخيرة في كتابهما : ٩٣ - ٩٩ ولم
يعتمدا أصلا آخر . ولذلك اكتفني بهذه الإشارة إليها .

وله من أخرى : وصل كتابك أبهى من الحلي والحلل ، وأشهى
من القبول والقبول . وشي " مرقوم ، ودُرّ منظوم ، وأنفاس " عراقية^١ ،
ومياه " دجلية لا زعاقية :

فلو أني استطعتُ من ارتياحٍ لَطَرْتُ ببعضِ أجنحةِ الرياحِ
وكنْتُ أطيّرُ لولا قصُّ ريشي وكيف يطير مقصوصُ الجناحِ

كتابٌ كأخلا قيكَ لولا سوادهُ ، الهدبُ حروفُهُ والحدقُ ميدادهُ .
فاستقبلتُ منه قبيلةَ الحسنِ ، وقبيلتهُ تقبيلَ الركنِ ، وقلتُ لصحبي : اقرأوه
عليّ . فلما نظروه عجبوا من خطّه ، وتعجبتُ أنا من لفظه وضبطه .
فتنزهوا بالنواظر ، ونزّهوني بالسمعِ والنواظر ، فكنتُ الأظفر ، وكان حظي
الأوفر ، إذ بصرتُ بما لم يبصروا به ، من فنونِ العلمِ وضروبه .

قوله : « فتنزهوا بالنواظر ، وتنزهتُ بالسمعِ والنواظر » معنى
مُتداولٌ منقول ، وكأنّه محلولٌ من قول الرّضي حيثُ يقول^٢ :

فاتني أن أرى الديارَ بعيني فلعلي أرى الديارَ بسمعي

وله فصلٌ من أخرى : والعلمُ منهاج ، وسراجٌ وهتاج : ما صديّ مَنْ
سَقاهُ صوبَ صفائه ، ولا عريّ مَنْ كساهُ ثوبَ عرائه . ولا حاف عن الحقِّ
لسانٌ من يرويه ، ولا خاف من الخلقِ جنانٌ من يحويه . هو الجوهرُ

١ ظن الأستاذان المذكوران قبل أن هذه الرسالة (لذكر الانفاس العراقية) موجهة إلى صديق
عراقي ، وهو ظن مستبعد ، لضعف الدلالة .

٢ ديوان الرضي ١ : ٦٥٨ .

استخرجته^١ أفكار الليالي من بحورها ، فالتقطته أبكار المعالي لنحورها ،
وجميع العلوم كمال ، والأدب منها جمال ، هو لسان النبي العربي ، صلى الله
عليه : فقيه يَلْحَن ، حِمارٌ يَطْحَن ، وكاتبٌ غيرُ أديب ، أشبه الحيوان
بذئب ، وشاعرٌ غير معرب ، أشبه من بانٍ بمخرب ، ربَّ وزيرٍ يعجب
الناس وهو صامت ، فإذا نطق فكلُّ حاسدٍ به شامت .

وله من رقعة طويلة خاطبَ بها أبا الحسين بن الطراوة^٢ ، وجرت
بينهما هينات^٣ . قال في أولها^٤ :

يموتُ من في البلادِ طرّاً من طيّبٍ كان أو خبيثِ
فمُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَحٌ منه كذا جاء في الحديثِ

ما حيّاتي بين الحيات ، وثباتي في الجميع أو الثبات ، وقد حانت وفاةُ
الوفاء ، وخانت صفاتُ الصفاء ، وأرداني الزمانُ بأردانيه ، وأعياني بتقلبِ

١ ص : استمزجته .

٢ هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي درس على أبي الحجاج الأعلم وأبي مروان بن
سراج وتجهّز في بلاد الأندلس معلماً ، وله كتاب « المقدمات على سيبويه » وكانت وفاته سنة
٥٢٨ (التكملة رقم : ١٩٧٩ والذيل والتكملة ٤ : ٧٩ - ٨١ وتحفة القادم : ١١ والمغرب
٢ : ١٠٨ وبغية المنتسب رقم : ٧٧٩ وبغية الوعاة : ٢٦٣ ونفح الطيب ، وله أخبار وشعر في
معجم السلفي : ١٧ ، ٤٦ ، ٦٣ وأدباء مالقة : ١٨٨ وعيون التواريخ : ١٢ : ٢٨٤ .
٣ هنالك صورة من هذه الخصومة بين ابن الطراوة والحصري في كتاب السلفي : ٦٣ وروى
السلفي عن أحد المالقيين قوله : « كانت بينهما منافرة ومناقرة ويهجو كل منهما الآخر » .
وقال ابن عبد الملك : « وكانت بينه وبين الأستاذ أبي الحسن الحصري مخاطبات نال كل
واحد منهما فيها من صاحبه » .

٤ البيتان في التكملة : ٤١٩ والنفح ٢ : ١٥٤ .

أعيانه ؟ الجاهلُ هو الحاذي ، والعالمُ مَبْخُوسُ الأحاذي ، والغاوي مقبول الدّعاوي . وما أبعد الخيرَ من العير ، والكيسَ من التيس ، والفضلَ من الفسل ! إذا كانَ الجاهُ للجاهلِ ، والباسُ على الباسل ، والمنافقُ هو النافق ، وصوّحتَ المراعي ، وقبّلَ المساعيدُ والمراعي ، فيما دهرُ ما أسهاك ، وباموتُ ما أسهاك ، المنيةُ هي الأمنيةُ ، فالبرُ باثر ، والحرُ حائر . بينَ أخونٍ ١ إخوان ، وأجورٍ جيران ، إن وصلّهم صرموه ، أو سألهم حرموه . وإن أجاب بالصواب : قالوا أخطأ في الجواب [٩٨] .

وممّا أضحكني ملء فيّ ، وأطاشني وليس الطيشُ فيّ ، هذا المتنحوي المتنحوي : سقطَ إلى دانية ، وطمَع في الأجادل ، وإن كان أضعفَ من العنادل ، فعاد ذمرا ، وإن كان زمرا ، وبعثَ رسوله لي يقول : كيف تكتف نقري ٢ ؟ فقلتُ : إن كان الجنون داء فالكي يُبري . ونظمتُ قصيدةً سميتها سهم الشهم ، وضمتها مسائل لا تخفى على أولي الفهم : فما بلغته حتى دمغته ، وألقاها كأنّها حيّةٌ لدغته .

وفي فصلٍ منها : وأما زعمه أني لم أدر اسم سيبويه فمن مضحكات الدهر ، أما كفاه خطأه في الآيات والأبيات حتى تعرّضَ لعرضي غروراً : ﴿ إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانهُ عليه قومٌ آخرون ﴾ (الفرقان : ٤) ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً . أنا الذي سبقت الشعراء ، وفَضَحْتُ في المحافل الوزراء . فلو لاذ بسور حلّمي لحميتُهُ ، ولو غاذَ بنورِ علمي لهديتُهُ : أيتها المموّه بجهله ، والمدّعي العلم وليس من أهله ، سَكَرْتَ فصَحوكَ لا يجديك ٣ .

٢ لم أهد لمعنى هذه العبارة .

١ ص : أخوين .

٣ ص : يحومك .

اعترف بذنبك قبل صرْعكَ على جَنْبِكَ ، فيدْحَضُ^١ حجاجُكَ ، وتطمس
محاجتك ، إلامَ تلجأ فتاوي ، إذا نفذت فيك الفتاوي ؟ ! وكأنني بمنْ ضَمَّكَ
قد ضامك ، وبمن لَمَّكَ قد لامك ، وبمن حَلَّكَ ، قد خلَّكَ ! الخفايا واضحة ،
والمخارقُ فاضحة . تشبّه بالحصي^٢ ، أما يُندرى الفحلُ مِنْ الحصي ؟ !
مِثْلُ العالم والجاهل ، مثلُ الناهق والصاهل :

وليس يصحُّ في الأفهامِ شيءٌ إذا احتجَّ النهارُ إلى دليلٍ^٣

وزعم هذا الأهوَجُ الأعوج أنه لم يعرف رسمي . ولا سَمَعَ باسمي ،
كأنما ولد بالأمس ، أو بُعثَ من الرّمسِ ، أو عَمِيَ عن الشمس ، لو
علِمَ قدرَ نفسه لم يجهل العَلَمَ ، ولو أراد السلامة لألقى السّلم .

وفي فصل منها : يا مَهْمُوس ، أنا الطاء وأنت الهواء ، فلست من طباق ،
كم بين همسِكَ وإطباقي ! لو زرتَ نقران^٤ ونَجْرانَ ، لألفيتَ ذكرِي
قد علا . وشِعْري قد غلا . ما اغتابني في غَيْبٍ ، إلّا ذو عَيْبٍ وخيم ، مع
لؤمٍ معلوم^٥ . ولولا بدؤكَ بالنّجّه ، لما كبّبتكَ على الوجه . وكنتَ فيما
نظن نوراً فكشفتكَ ، ومستوراً فكشفتكَ : وما استوعبتُ خطأك ولا امتقصيته ،

١ ص : فتدحض .

٢ ص : بالخاصي ؛ والحصي : الحصيف الشديد العقل .

٣ بيت للمتنبي ، انظر شرح العكبري ٣ : ٩٢ .

٤ ص : نقدان ؛ ونقران في ديار بني تميم ؛ وإذا كانت نعوان فهي في ديار غطفان ، وإذا
كانت قران فهي في اليمامة (وأرجح الأخيرة لأنها أشهر) .

٥ ما اغتابني . . . معلوم : هذه العبارة وردت في إحكام صنعة الكلام : ٢٥٠ وكتبت هناك :

« ما اغتابني في عيب إلا ذو عيب وخيم مقيم مع لؤم معلوم » .

ولو رمتُ عدده ما أحصيته ، وهل شعركَ إلاَّ كَنَحْوِكَ ؟ ! وما أبردُ الهواءَ
من نَحْوِكَ ، أَلَسْتَ المنشد في الحاجب أبي حَكَمَ^١ :

أبا حَكَمَ فُتَّ الملوكَ جلالَةً فكلَّهم فاسَ المخافَةِ عالكُ

لو زدتَ الباءَ في فاسك ، لكان أشبه بأنفاسك ؟

وله من أخرى إلى الأديب غانم^٢ بمالقَةِ : أبي صرفُ القضاء ، وشبيه
لسانِك في المضاء ، ونظير^٣ صدركَ ويديك ، في سعةِ المعروفِ والعلومِ
لديك ، أن أكونَ من زوَّارك ، فأقبسَ من أنوارك ، وأقطفَ من أنوارك ،
يا لبابَ أولي الألباب ، يا سلسبيلَ أبناء السبيل :

فأرقَّتني وأنا والشوقُ إلَـفان فأسأل رسولكَ عني كيف أَلـفاني
قبَلْتُ كُتُبَكَ من فَرَطِ الهوى قُبَلًا أَقلَّتْهُنَّ إِذا عَدَدَتْ أَلـفانِ

ولما شُقَّتني بغُرُركَ الأثيرِ ، ورُقَّتني بدُرُركَ النثيرة ، ذممتُ عبدَ
الحميد ، ومحمدَ بنَ العميد ، وأنشدت :

لقد فاتَ في نثرِهِ غانِمٌ بديعَ الزمانِ وقابوسُهُ
وروى الظَّـمَاءُ بماءِ النعيمِ فلا عيشَ إلاَّ وقى بوسَهُ

١ ورد البيت في القسم الأول : ٨٤٢ .

٢ هو غانم بن وليد المخزومي ، ترجم له ابن بسام في القسم الأول : ٨٥٣ وأورد له رسالة

إلى المصري أيضاً ص : ٨٥٦ .

٣ ص : ويضير .

وكنْتُ - أبقاك الله مَنهلاً عَذْباً لأودَّ أُنثى ، ومُنْصِلاً عَضْباً على
أعدائِكَ - صَنَعْتُ قَصِيداً يُحْيِي الطَّرْبَ إِذْ كَانَ [ميتاً] ، فيه تسعة^١
وتسعون بيتاً ، وكنْتُ كَتَبْتُهُ ، فلم أجِدْهُ إِذْ طَلَبْتُهُ ، وفكَّرتُ الآن فيه ،
فلم أحفظ غيرَ قَوَافيه ، وهذين البيتين :

تحيّتي وسلامي على الأديبِ البليغِ
المُرْتدي بالمعالي والحليمِ قبلَ البُلُوغِ

وأنا ربُّ القريضِ الجيّد ، لأنّي أقولُ في الأديبِ السيّد^١ :

مِنْ طِينِ طُوبَى خُلِقْتَ فَتَدَا فَأَنْتَ فِي ذَا الْوَرَى غَرِيبُ
بُدَلَّتِ النُّونُ فِيكَ بَاءً فَالْنَّاسُ طِينٌ وَأَنْتَ طِيبُ

وله من أخرى إلى أبي الفضل بن حسّداي^٢ شاكياً بصهره ابن عيَّاش^٣
اليهودي : سيّدي الذي حُتِمَتْ عليه المِنْع ، فَخُتِمَتْ به المِدْح .
حَفِظَ اللهُ عَلاكَ حِفْظَ سَمَائِهِ ، وَأَعَاذَكَ مِنَ الْعَيْنِ بِأَسْمَائِهِ . بِحُسْنِ
أَوْصَافِكَ ، أَحْكُمُ بِإِنصَافِكَ [٩٩] أَتَرْضَى لِصِهْرِكَ الْمُشْرِفِ ، بِأَخْلَاقِ
الْبَخِيلِ الْمُشْرِفِ ؟ قَصَدْتَ بِالرَّهْمَانِ لِلْسَلَفِ ، فَعَدْتُ بِالذَّهَانِ وَالصَّلَفِ ،
وَسَأَلْتُ فِي الزَّمَانِ ، فَأَعْطَيْتُ عَطَاءَ الزَّمَانِ ، وَأَنَا شَاعِرُ الزَّمَانِ ، فَأَحْظُ ،
فَمَا رَفَعُ^٥ أَوْ حَطُّ ، وَلَا بَدَأُ أَنْ أَنْشُدَهُ لَأَرْشُدَهُ :

١ ورد البيتان في إحكام صنعة الكلام : ٢٤٦ .

٢ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٧ .

٣ ص : عباس .

٤ ص : ختمت .

٥ ص : فارغ .

أَيْتَهَا الْمُشْرِفُ حَاشَا	لَأُولَى الرَّأْيِ الْخَطَاءُ
لَا تَقْلُ مَا بِيَدِي مَا	لََّ وَلَا عِنْدِي عَطَاءُ
بَيْتُ أُمُوكَ بَحْرٌ	مَا عَلَى الْبَحْرِ غِطَاءُ
أَحْمَدُ غَيْرُ عَلِيٍّ	حِينَ يَشْتَدُّ الْوَصَاءُ
هَلْ هُمَا فِي الْهَمْسِ وَالْإِطْ	بَاقٍ إِلَّا مَا وَطَاءُ
وَكَذَلِكَ الْخَيْلُ مِنْ	هَنْ سَرَّاعٍ وَبَطَاءُ

وصديقك إن لم ياتِ ، فابسطْ عُدْرَه بهذه الأبيات :

عِرْفَانُ عِرْفَكَ شَاقِي	فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لِسَاقِي
مَا بَالُ صِهْرِكَ صَدَّقَنِي	وَأَلَى سَنَّاكَ أَتَاقَنِي
وَأَنَا الرَّحِيقُ سُقَيْتَهُ	فَاسْأَلُهُ كَيْفَ أَرَاقِي
وَلَقَدْ حَلَوْتُ وَلَيْتَنِي	أَمَرْتُ لَمَّا ذَاقِي
قَدْ كُنْتُ رَحْبَ الصَّدْرِ حَتَّى	يَ غَاطَسَنِي فَأُذَاقِي
هُوَ عَقَنَنِي وَبَرَّرَنَنِي	هُوَ عَنْ لِقَائِكَ عَاقِي
إِنِّي أَخْفُ عَلَى [الْوَزِي]	رَ [وَلَوْ ثَقُلْتُ لَطَاقِي
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا	فَضْلِ الَّذِي قَدْ رَاقِي
أَحَبَّبَنِي وَأَحْبَبَنِي	فَاشْتَقْتُهُ وَاشْتَاقِي
مَنْ سَأَلَ عَنْكَ أَجَبْتُهُ	مَا فَتَقْتُهُ بَلْ فَاقِي

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى
للنسيب وما يتشبت به

أَغْيَدُ رِيَّانُ بِمَاءِ النَّعِيمِ أَلْبَسَنِي السَّقَمَ بَلَحَظٍ سَقِيمِ
قَدْ خَطَّ بِالْمِسْكِ عَلَى خَدِّهِ مَا الْحُسْنُ إِلَّا لِأَدِيمِي أَدِيمِ
يَا عَاذِلًا يَحْسَبُنِي مِثْلَهُ لَا تَحْسَبِ السَّالِمَ مِثْلَ السَّلِيمِ

وقال :

وَهَبْتُ قُؤَايَ لِلْحَدَقِ الضَّعَافِ وَإِنْ كَانَتْ بِسَفْكِ دَمِي تُكَافِي
فَكَانَ الضُّعْفُ قُوَّتَهَا عَلَيْنَا وَهَلْ ذَا الطَّبَعُ إِلَّا فِي السَّلَافِ ؟
شُهِلْنَا عَنْ مُسَاعَدَةِ النَّوَاحِي بِشَاغِلَةِ الْحَجِيجِ عَنْ الطَّوَافِ
خَضِبْتُ الشَّيْبَ أَخَذَعَهَا فَقَالَتْ تَشَبَّهَتْ الْحَمَامَةُ بِالْغُذَافِ
فَقُلْتُ صَدَقْتَ لِمَ أَنْكَرْتَ مِنِّي وَأَنْتِ عَنَفِيَّةٌ نَبَتِ الْعَفَافِ ؟
فَقَالَتْ بَيْنَمَا فِي الشَّيْبِ خُلْفٌ وَيُفْتِنَا بِمَسْأَلَةِ الْخِلَافِ
وَلَمَّا أَيْسَعَتْ رُمَانَتَاهَا وَنَادَى الْوَصْلُ حَتَّى عَلَى الْقِطَافِ
تَأَذَّتْ فِيهِمَا بِفَمِي فَقَالَتْ شَمَائِلُ عَاشِقٍ وَفَعَالُ جَافِ

١ ص : سبت ؛ وقد تقرأ « نسب » .

قوله : « تَشَبَّهَتْ الحَمَامَةُ بِالْغَدَافِ » كقول القائل ١ :

يا أيتها الرجلُ المُسَوَّدُ شَعْرَهُ ٢ كيما يُعَدَّ بِهِ من الشَّبَّانِ
أَقْصِرْ فلو سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ بَيَضاءَ ما عُدَّتْ من الْغِرْبَانِ

وما أُمَاحَ قول أبي بكر الخالدي ٣ :

ما كان يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شَبَابُهُ فَعَلَامَ يَنْجَهِدُ نَفْسَهُ بِخِضَابِهِ ٤ !

وقال الحصري :

مَنْ لي بِظُجْيِ جَنَاهُ مَعْسُولُ دمي بدمعي عَلَيْهِ مَغْسُولُ
أَقْرَأُ في خَدِّهِ كِتَابَ هَوَايَ أَنْ دَمَ الْعَاشِقِينَ مَطْلُولُ
حُسَامُ عَيْنِكَ من فَتُورِهِمَا كَأَنَّهُ مُعَمَّدٌ وَمَسْلُولُ
اغْمَدْ وَسَلِّ لِي وَزْرًا أَنَا على الْحَالَتَيْنِ مَقْتُولُ

وقال :

رُدِّي حُشَاشَةَ عَاشِقٍ مَهْجُورٍ بَيْنَ الْمَلْدُومِ عَلَيْكَ وَالْمَعْدُورِ
لِلْوَلْوِ الْمُنْظُومِ في فَمِكَ انْبَرَتْ عَبْرَاتُهُ كَالْوَلْوِ الْمَشْهُورِ

١ نساب ابن الرومي في أمالي القاضي ٢ : ٢٨٢ والشرطي ٢ : ٣٤ وقال ابن رشيق في القراصة :
٤٦ - ٤٧ البيت الأول لابن الرومي والثاني لعبد الملك بن صالح ، ارتجل ابن الرومي بيته
واستجازه .

٢ القراصة : يا من يسود بالخضاب مشيبه .

٣ لم يرد البيت في ديوان الخالدين الذي جمعه سامي الدهان .

٤ ص : وزراً .

ذَكَرَ الْفِرَاقَ فَمَاتَ إِلَّا شَوْقَهُ وَأَوَّلُوا الْهَوَى مَوْتَنِي بِغَيْرِ قُبُورِ
 وَدَعَتْ مَنْ أَهْوَى بَلِ اسْتَوْدَعْتُهَا قَلْبِي وَسِرّاً مَدَامَعِي وَزَفِيرِي
 فَبَكَيْتُ بِسَرَجِسْتَيْنِ خَفْتُ عَلَيْهِمَا نَفْسِي فَلَمْ أَلَمْ بِغَيْرِ ضَمِيرِي
 قَالَتْ : أُنْزِلْهُ وَالْأَحِبَّةُ هَاهُنَا قُلْتُ : الْقَضَاءُ كَمَا عَلِمْتَ ضَرُورِي
 قَالَتْ : مَتَى الرَّجْعِي فَقُلْتُ : إِذَا انْتَهَى مَقْدُورُ رَبِّي ، مُقَدِّرِ الْمَقْدُورِ
 وَعَسَى مُفْرَقُنَا سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا إِنَّ الْعَسِيرَ عَلَيْهِ غَيْرُ عَسِيرِ
 وَلَئِنْ أَبَى مَنْ تَعْلَمِينَ فَرُبَّمَا حَدَثَتْ أُمُورٌ لَا تَقَاضِ أُمُورِ
 لَا تَنْجِزَعِي مِنْ نَكْبَةِ الدُّنْيَا وَإِنْ سَاءَتْ فَرُبَّ مَسَاءَةٍ لِسُرُورِ

وله في غلام كان يُسمّى هارون^٢ :

يَا غَزَالاً فَتَنَ النَّاسَ سَ بَعِينِيهِ فُتُّونَا
 أَنْتَ هَارُوتُ وَلَكِنْ صَحَفُوا تَامَكَ نُونَا

وقال ممّا ذَهَبَ بِهِ مَذْهَبَ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي صَاحِبِ الطَّرِيقَةِ الْأَنْبِيَّةِ
 فِي تَجْنِيسِ الْقَوَافِي :

أَصْبَحْتُ مَفْتُوناً بِكُمْ مُدْنِئاً وَإِنَّمَا بُرْنِي لَمِي فَاتِنِي
 يَا أَمْلَحَ النَّاسِ وَحَقَّ الْهَوَى لَوْ كَانَ لِي الْحُكْمُ لَمَّا فَاتَنِي

١ ص : مقدور من يقدر للمقدور .

٢ البيهقي في المسالك ١١ : ٤٥٥ والمطرب : ٧٥ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومختارات ابن الصيرفي

وقال : [١٠٠]

رَابَهُ عِلَّتِي ضَيَّ فَأَتَانِي عَائِدًا فِي يَدَيْهِ ١ [لِي] يَاسْمِينُ
فَتَقَاءَلْتُ أَنَّهُ قَدْ تَهَدَّى لَهْزَالِي فَقَالَ لِي يَا سَمِينُ

وقال ٢ :

رُبَّ ظَنَبِي هَوَيْتُهُ يَسْتَحْيِي لِلْهَوَازِنَةِ
قَلْتُ مَا أَثْقَلَ الْهَوَى قَالَ مَا لِلْهَوَى زِينَةُ

وقال :

إِنْ كُنْتُ الْهَوَى فَقَدْ صَارَ سِرِّي عِلَانِيَةً
لِسَقَامٍ أَذَابَنِي وَشُحُوبٍ عِلَانِيَةً

وقال :

فَكُنْتُ فِي خَلْقِ الْوَرَى فَاسْتَوَى عِنْدِي عَبِيدٌ وَسُلَاطِينُ
أَصْلُ الْفَرِيقَيْنِ - وَمِنْ أَجْلِ ذَا قَلْبِي عَنْ الْهَمِّ سَلَا - طِينُ
وَكَانَ سَأَلَ بَعْضَ الْمُلُوكِ أَنْ يَكْسُوهُ وَمَطَّلَهُ ثُمَّ أَعْطَاهُ قَمِيحًا مُنْسُوسًا ،
فَقَالَ فِيهِ :

يُرِيدُ سِيَاسَةً مَنْ لَا يَسْمَى وَطَبَعَ فِيهِ يَابَتَى أَنْ يَسُوسَا
سَأَلْتُ كُسَى فَمَنَّنَانِي بِقَمِيحٍ وَأَعْطَانِي مَكَانَ الْقَمِيحِ سُوسَا

١ البيت مضطرب في ص : رابه عل ضى فاقى . . . يده ياسمين .

٢ هذه القطعة والتالية في الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

وقال أول جوازه إلى الأندلس^١ :

في كل أرضٍ مَوطنٌ يُعرَفُ فيهِ جاهُنَا
ولَئِنما أَلْجَأَنا نَسا إلى هُنا إِلَهَنا

وقال :

يا مَنْ تَكلَلَطَ طَرفُها بالسَّحَرِ لا بالإميدِ
نَفسِي كما عَذَّبَها وقَتَلَتِها بالإثمِ دِي

وأنشد يوماً بيتَ المعرّي :

يا قُوتَ يا قُوتَ رُوحِي رُوحِي براحِ براحِ

وفيه ستُّ كلماتٍ مُتجانساتٍ على قِصرِ عَرُوضِهِ . وكُلِّفَ تَديلُهُ

فقال :

أَوفاكِ أَوفاكِ رِقي رَقي بِطاحِ بِطاحِ

فقيل له لو ذيلتته بيتٌ فيه ياء النداء ، كما في بيت أبي العلاء ، فقال :

يا زورُ يا زورُ فيها فيها نُواحِي نُواحِي

وقد قلتُ فيما تقدّم من تأخيص التعريف بنجر الحُصَري إنّه اتّبع
المعرّي في سُلُوكِ هذه المسالك ، فضلٌ عنها هنالك . على أنّه لا يتفق
لأحدٍ لضيقِ هذا الباب ، أكثر من الوزن والإعراب .

١ وردا في الريحان والريحان ١ : ١٤١ / أ للمحمد وكذلك في النفع ٤ : ٢١٢ (مع اختلاف

في الرواية) وانظر الشريشي ٥ : ٢٨٠ .

وله في المديح

قال :

ظَمِثْتُ وَمُنْهَلْتُ الْمَدَامِعَ مِنْهَلِي
 عَلَى سِلْسَلٍ مِنْ ذِي غُرُوبٍ وَإِنْ غَدْتُ
 فَيَا نَعْمُ وَاغَاكِ النَّعِيمُ فَأَنْعِمِي
 حَلَلْتُ لِرَبَاتِ الْخُلُودِ بِمَا جَنَّتِي
 وَمَا صَامَ مِنْ خَصْرِ لَهْنٍ مُخَفَّفٍ
 وَمَا وَرَدَتْ مِنْ أَدْمُعِي بِمُورَدٍ
 وَمَا شَاقَنِي مِنْ شَقِّ جَيْبٍ وَمَدْمَعٍ
 لِأَنْتُنَّ أَشْفَى لِلْسَّلِيمِ مِنَ الرُّقَى
 وَإِنْ بَكَ دَهْرِي ضَمْتَنِي ثُمَّ ضَامَنِي
 هُمَامٌ إِذَا [مَا] هُمْ بِالْأَمْرِ فَاثْمَطِي

وَمَا خَلَخَلْتُ مِنْ أَضْلَعِي بِمُخْلَخَلٍ
 أَسِيلٍ عَلَى خَدِّ أَسِيلٍ بِمَاسَلٍ
 وَأَطْيَبُ لِلظَّمَانِ مِنْ كُلِّ سَلْسَلٍ
 فَإِنَّ عَلَيَّ خَيْرُ مَوْلَى وَمَوْئِلٍ
 عَزِيمَتُهُ نَامَتْ بِرَضْوَى وَيَتَذَبَّلُ

وقال من أخرى :

عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَإِنْ عَفَتِ الدَّارُ
 وَحَقُّ بُكَاءِ الْعَيْنِ وَالْقَلْبُ مُسْعَدُ

سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتَوَّبُ فَيَزْدَارُ
 لِمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ

١ ص : معالي القوافي .

٢ ص : الحدود .

أَعَادَى عَلَى فَضْلِي وَأَسْتَصْحَبُ الْعَدَا
مَدِيحِي هَجَاءٌ وَابْتِسَامِي تَجَمُّعُهُمْ
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فَاضِلًا يَنْقُصُونَهُ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ بِذِلَّةٍ
شَقَى اللَّهُ دَاءَ الْقَيَرَوَانِينَ بَعْدَنَا
وَكَيْفَ غَنَاءُ الطَّيْرِ فِي غَيْرِ أَيْكِيهَا
وَلَأَنْتِي لِأَوَّلَى بِالْبُكَاءِ لِأَنْتِهَا
أَلَا يَا بُرُوقًا لُحْنٌ مِنْ نَحْوِ صَبْرَةٍ
عَسَى فَيْكِ مِنْ مَاءِ الْحَنِيَّاتِ شَرْبَةٌ

وَلِي حَسَنَاتٌ عِنْدَهُمْ هِيَ^١ أَوْزَارُ
وَشَكْوَايَ كُفْرٌ وَاعْتِرَافِي إِنْكَارُ
بَلَى قَلَمًا يَخْلُو مِنَ الْقَرَضِ دِينَارُ
فَلَيْتَ حَشَابَانَا الْوَطِئَةَ أَكْوَارُ
فَقَدْ مَرَضَتْ لِلْقَيَرَوَانِينَ أَبْصَارُ
وَقَدْ بَعُدَتْ مِنْهَا فِرَاخٌ وَأَوْكَارُ ؟
تَطِيرُ إِذَا اشْتَاقَتْ وَمَا أَنَا طَيَّارُ
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا دُمُوعِي أَمْطَارُ
وَلَوْ مِثْلَ مَا يُوعِي مِنَ الْمَاءِ مِسْقَارُ

وَمِنْهَا يَعْتَذِرُ مِمَّا كَانَ قُتِرَ بِهِ :

أَصِيبَ قَصِيدٍ فِيهِ كُفْرٌ فَنِيْطَ بِي
وَمِنْ كُلِّ كَيْفٍ قَدْ رُمِيتُ بِصَخْرَةٍ

وَكَمْ شَاعِرٍ قِيلَتْ عَلَى فِيهِ أَشْعَارُ
وَفِي رَاحَتِي لَوْ أَمَكْنَ الرَّأْيُ أَحْجَارُ

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَعْتَمِدِ :

أَعْنِ الْإِغْرِیْضِ أَمِ الْبَرْدِ
ضَحْكُ الْمُتَعَجِّبِ مِنْ جِلْدِي

يَقُولُ فِيهَا :

١ ص : وهي .

٢ ص : الحبيبات .

يا هاروتي الطرف تترى قطعنت الأسد بلا أسسل
رשא يصطاد الأسد وكم واهأ لجديد منك وهى
رُضت الأيتام جواميحها وبلوت الناس فلست أرى
القوم بحسار مسجورا لم يعدم واردها دُرر الـ
أبني عباد ما حسنت نقد الكرماء الدهر معي
وقضى لكم بالفضل على دانت بغداد لقرطبة
سمعونوا برشاد فتى لخصم قرأوا شعر التخمي فلم
يا فترع المنذر والتعما طفيشت أنوار أمية في
نافست بقصرهم إرمأ سرز وافتح باقي أندلس
نفتت [الحاظك] في العقد عبأ وقتلت بلا قتود
رامته الأسد فلم تصد وشباب بان فلم يعد
وكففت اللد عن اللد كني عباد من أحد
ت^١ محفوفات بالزبد آداب ولا دُرر الصفد [١٠١]
إلا بكم الدنيا فقصد فتخيركم في المنتقد
من في أدنى أو في البعد وخلائفها للمعتد
فتقوا هارون عن الرشيد يرض المعتز عن الولد^٢
ن بلغت النجم فطل وزد قصر الخلفاء فقلت قيد
فكان أمية لم تشيد ما في صبب أو في صعد

١ ص : مسجورات الجود .

٢ اللجني هو المعتد نفسه ، والشاعر هنا يشير إلى أنه أشعر من ابن المعتز العباسي .

عبد الرحمن^١ ولي خمسين وأنت تزيد على العدد
لو أن الأرض بلا جبل وعليها حلمك لم تميد
بشار أمك ممتدحاً فأنس بغرائبه الشرذ
يكنبو عبود في خببي فالعير وراء المنجريد^٢
ولعل بلادك لي وطن فأحط الرجل عن الأجد
وأقبل منك سنا قمر لو قابله الأعمى لهدي

وله من أخرى : وهي من أعلى حُجَجِه ، وأجلى سرجِه ، أنشدها
أحمد بن سليمان بن هود الملقب - كان - من الألقاب السلطانية
بالمقتدر حين غلب علي بن مُجاهدٍ على دانية^٣ :

كذا تفتنض^٤ أبكار البلاد ولا متهر سوى البيض الحداد
هديت العسكر الحرار ليلاً فأهديت الظبابة إلى الهوادي
ملأت به الفضاء فضاء ليل نحت فيه الظبا شكل السواد

١ عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس ولي خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠) .
٢ عبود : قد يكون اسم فرس (وفي خيل العرب عبيد) والأرجح أنه اسم رجل ، والاندلسيون
- كما يقول أبو حيان الجبائي في النصار - يسمون عبد الله عبوداً كما يسمون محمداً « حموداً »
(بغية الوعاة ١ : ١٤٧ تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) ، والجب ، نوع من السير ،
كما أنه اسم البحر الذي استعمله المصري في هذه القصيدة ، فهو يقول إن عبوداً لا يستطيع
أن يجاريه في هذا البحر ، بل يقصر عنه كما يقصر العير (الحمار) عن الفرس العتيق (منجرد
قيد الاوابد) .

٣ منها أربعة أبيات في أدباه مألقة : ١٥٨ .

٤ ص : يقتص ، والتصويب عن ابن عسكر .

وما أقبلت إلاً بعد ما قد
وكان مرامٌ دانيةٍ عزيزاً
فأثرت العوالي في المعالي
كان سيوفك الأقدار تجري
ومثلك من جنى ثمر الأمان
تشاغلت الملوك بمن دهاها
بنك الله للإسلام حصناً
وتنهض الثقيل عليك خيف
وكيف ينافسونك في المعالي
فتحت معاقلاً لو أبصروها
وفي سرقسطة لك دار ملك
ورأيتك في الإدارة لو رآه
لقد أربت سيوفك يوم سنلت

سَقَبَتِ الشَّغْرَمَنُ ثَغْرَ الْأَعَادِي
فَهَانَ عَلَى الْمُسَوِّمَةِ الْجِيَادُ
وَأَثَرَتِ الصَّلَادِمُ فِي الصَّلَادِ
بِمَا شَاءَ الْإِلَهُ عَلَى الْعِبَادِ
وَأَتَى حَقُّهُ يَوْمَ الْحَصَادِ
وَشُغِّلْتُكَ فِي جِهَاتِكَ بِالْجِهَادِ
وَعَلِمْتُكَ التَّجَلُّدَ لِلْجِيلَادِ
وَتَنَظَّرُ وَالْخَفِيُّ إِلَيْكَ بَادِ
وَأَنْتَ سَبَقْتَهُمْ سَبَقَ الْجَوَادِ؟
لَقَالُوا أَنْتَ لِقَمَانُ [بْنُ] عَادِ
زَرَيْتَ بِهَا عَلَى ذَاتِ الْعِمَادِ
مُعَاوِيَةَ لَأَغْنِي عَنْ زِيَادِ
عَلَى قُسَّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِ

١ ابن مسكر : شفيت .

٢ ص : رابت .

ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها يومئذ المقتدر

قال ابنُ بسّام : قد قدّمتُ في أوّل القسم الثالث من هذا المجموع ذكرَ مُجاهدِ العامريّ المُستنزي - كان وقته - على دانية ، وشرّح الأسباب التي أنشأت سحابه ، ورضتْ^١ على دانية وهذاته وهضابته .

وغلبت الروم في بعض أيام سلطانه على جزيرة سر دانية . التي كانت من فتوحه قبل^٢ ، ففلتْ شباته ، ونهنتْ شداته . وأسرت ابنه علياً هذا^٣ ، فنشأ علياً مُتجهماً ، وأعجماً طميطماً^٤ ، إلى أن افتكته أحدُ آلِ حمّاد أمراء بني مَناد ، فأسدَى البيضاء فيه ، وخلع على عِطْفِيهِ بُردِيهِ^٥ . فلمّا خفقَ علمه ، وتمكّن في مقام أبيه قدّمه ، ألقى السلم ، وأغمدَ السهفَ وشامَ القلسم : هَمَّتْهُ كانت في خراجِ يَجْبِيهِ ، لا في مَعْقِلِ يَجْتَبِيهِ ، وهمته المتَجَرُّ يُنْمِيهِ ، لا المَفْعَرُ يَحْمِيهِ : أصبُّ خَلْقَ اللَّهِ بلبوس ومطعم ، وأصباه إلى دينار ودرهم . حتى ولاّه البرُّ حِلَّه عَقْدِهِ ،

١ كذا في ص ، ولعل صوابه « ورصت » أو « ربضت » بمعنى أَلَقْتُ .

٢ انظر الخبر عن وقوع علي أسيراً في يد الألمانين ، وكيف بذل فيه والده عشرة آلاف فلم يقبل آسره الفدية في أعمال الاعلام : ٢١٩ (ثم تيسر فكاهه سنة ٤٢٣)

٣ عند عودة علي من الأسر عرض عليه والده الاسلام فقبله ، ثم أصبح عليه معوله في الأمور (أعمال الاعلام : ٢٢١) .

٤ ص : بردائه .

٥ ص : حِل .

ورماه البحر بأفلاذ كبيده ، ورزق عدة بنات أحسن من الشموس ،
وأفتن من الطواويس ، فتبارى ملوك الطوائف بأفقينا في نكاحهن ،
وتنافسوا في غدوهن إليهم ورواحهن . واغتم هو ذلك منهم وأذكاهن
عليهم عيوناً ، وبناهن بينه وبينهم دروباً وحُصوناً ، مُعْتَقِداً أنَّ الصَّهْرَ
رَحِيمٌ لا تُجْفَى ، وطريقٌ إلى رَعي الذَّمِّ لا تَخْفَى . فَقُلَّ مَلِكٌ
منهم إلّا وقد عَلِقَ له به حبل ، واتصل بينه وبينه نسل . فسمّا إليه
منهم ابنُ هُودِ المذكور سنة سبعٍ وستين يُريه أنَّ الناسَ مَأْكُولٌ وآكِلٌ ،
وأنَّ القياسَ أَكْثَرُهُ باطل . من رجلٍ لا يَسْتَظِلُّ إلّا أعلامه . ولا يَرْضَى
[١٠٢] إلّا أحكامه ، ولا يَسْتَشِيرُ إلّا حُسامه . فَجَرَّ إليه الهَضَابَ
كتاب ، وملاً عليه الشعبَ مُردّاً أحاجب ، وجرداً نجائب .

أخبرني غير واحد أنه لم يبقَ ملكٌ من ملوك أفقينا سمع بمخرج ابن
هُودِ يومئذٍ إلّا توقّعه وتوقّاه ، وظنَّ أنّه لا يريد سواه . وإنّما كان
يُريدُه ، زعموا ، على قِلاعٍ كانت تتصلُّ ببلده ، ليضمّتها إلى أميرِ
طَرطوشة ، وقتّه ، من ولده . فلم يرُعْ ابنُ مُجاهدٍ إلّا مجرى الجيادِ
بحيثُ يرى ويسمع ، ولا نَبْتهُ إلّا مَجَرُّ الصَّعادِ ، بحيثُ لا يُعْطَى
ولا يَمْنَعُ . فاستطيرَ فرقا ، وقام وقَعَدَ تلدّاداً^٢ ونزقا . وحين علم
المُراد ، وفهمَ الجليّةَ أو كاد ، أعطى فضلَ القِيادِ ، وكتب إلى عمّاله
بإخلاء تلك البلاد .

فلمّا أخذ ابنُ هُودٍ في إِيابه ، وخلا ابنُ مُجاهدٍ بطوائفه وأحزابه ،

١ ص : وأكيل .

٢ ص : تلدّأ .

عَنفَوْهُ بِمَا فَعَلَ ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْغَدْرَ بِهِ وَقَدْ رَحَلَ . وَأُتِيَ ابْنُ هُودٍ ، وَقَدْ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، بِكَتُوبٍ طَيَّرَهَا ابْنُ مُجَاهِدٍ إِلَى عَمَّالِ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ ، بِأَمْرِهِمْ بِالْتَّحَصُّنِ وَالْإِحْتِيَالِ ، وَيَحْضُضُهُمْ عَلَى الْجِدِّ فِي الْقِتَالِ : فَكَّرَ الْمُقْتَدِرُ ، وَلَمْ يَرُغْ أَهْلَ دَانِيَّةَ إِلَّا تَصْهَالُ الْخَيْلِ ، وَقَدْ انْصَبَّتْ عَلَيْهَا انْصَابُ السَّيْلِ بِاللَّيْلِ . وَاضْطَرَبَ^١ أَبْنَيْتُهُ بِحَيْثُ يُسْمَعُ الْحِيَّوَارُ ، وَيُحْمَدُ الْحِيَّوَارُ ، فَاسْتَوَى الْجَزَعُ : وَضَاقَ الْمَتَسِّعُ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ لَحِينَهُ ابْنَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ سَمَّاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَرَشَّحَهُ لِحَرْ أَذْيَالِهَا^٢ ، وَعَلَّمَهُ مُمَابِلَةَ ظِلَالِهَا : فَجَاءَ إِلَى ابْنِ هُودٍ مُدِلًّا بِقَدِيمِ صِهْرِهِ ، عَائِرًا فِي إِدْبَارِ أَمْرِهِ وَانْقِطَاعِ ذِكْرِهِ ، مِنْ رَجُلٍ فَلِيلِ الطَّبِيعِ ، ثَقِيلِ السَّمْعِ ، ضَيْقِ الذَّرْعِ ، قَدْ غَذِيَ بِالْتَّرَفِ وَاللِّتَنِ ، وَنَشَأَ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ^٣ . فَطَفِقَ ابْنُ هُودٍ يَبْقَرُغُ لَهُ عَصَا الْوَعِيدِ ، وَيَرْمِي بِهِ مُضَلَّاتِ الْبِيدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّ عَمٍّ ، تَبْلُغُ رِضَاكَ ! وَمَتَى اخْتَلَفْنَا عَلَيْكَ أَوْ خَالَفْنَاكَ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُودٍ فِيمَا قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَرِيْمُ^٤ الْعَرَصَةَ حَتَّى يَسْهَلَ مَرَامُهَا ، وَيُخْلَسَى فِي بَيْدِي زِمَامُهَا - يَعْنِي تِلْكَ الْمَعَاقِلَ - فَقَالَ لَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْجَبَانَ الْجَاهِلِ ، وَظَنَّهُ يَرِيدُ دَانِيَّةَ : أَيُّ عَمٍّ ! وَأَيْنَ تَنْقَلُبُنَا ، وَإِلَى مَنْ تَكِلُنَا ؟ وَلَمْ يَنْقَطِعْ ابْنُ هُودٍ لَمَّا قَصَّدَ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ وَزِيرُهُ ابْنُ أَحْمَدَ ، فَغَمَزَ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ : غَيْرَةٌ فَاهْتَسَبِلَهَا ، وَعَثَرَةٌ فَلَا تُقِيلُهَا ، قَدْ أَلْقَى

١ اضطرب هنا بمعنى ضرب .

٢ أذيالها يعني أذيال الدولة ، أي كان قد جعله ولي عهده .

٣ من الآية : أَرَأَيْتَ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (الزخرف : ١٨) .

٤ ص : أديم .

٥ يعني أبا المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى .

الرجل بيده ، وختلتي بيتك وبين بلدي . فعمل ابن هود على ذلك ، وأخذ في إحكام ما هنالك ، فما متع النهار إلا وأشرقت إياتها ، واهتزت في يمين يديه قناتها . ورجع بابن مجاهد غنيمة باردة ، وأمنية على الأيام شاردة^١ . تعالى من لا يتروعه الزمان ، ولا يغير سلطانته الحدّثان .

مقطوعات للحصري في أوصاف شتى

قال^٢ :

كم من خليل كان عندي شهدة^٣ حتى بلوت المرء من أخلاقه
كالملح يحسب سكرأ في لونه أو حجمه ويحول عند مذاقه

وقال :

نصبت الفخ ثم قعدت عنه بعيداً كي أرى فيه فلاحاً
إذا قردي مقيم عند رأسي يقول لمقيلات الطير حاحاً
واجتاز على قوم فسمعهم يقدحون فيه وفي ابن خلدون^٤ فقصده

١ قام ابن هود بنقل ابن مجاهد ومن معه إلى سرقسطة وأقطعه اقطاعاً يمونه (أعمال الاعلام : ٢٢٢) .

٢ مختارات ابن الصيرفي : ١٣١ والخريدة : ١٨٧ وكتاب الآداب : ٩١ .

٣ يعني محمد بن خلصة الشذوني النحوي وكنيته أبو عبد الله ، وقد وردت ترجمته في الذخيرة

٣ : ٣٢٢ وذكرت هنالك مصادر ترجمته ، ويضاف إليها أيضاً : المحمدون : ٣٩٩

وانباه الرواة ٣ : ١٢٥ والوافي ٣ : ٤٢ .

وأنشده^١ :

يا أديباً ملكتني في يدَيهِ المَكْرُماتُ
ليتَ قَتوماً دأبهم فيَّ (م) وفيك المَكْرُ ماتوا

وقال^٢ :

خَضِبَتْ يَدَيْهَا لَوْنَ فَاحِمِهَا فَمَا نَقَّصَ الْبَيَاضُ مَلَاةً بَلْ زَادَا
مَا بِالْ شَيْبِي تُنْكِرِينَ^٣ خَضَابِهِ وَأَرَاكِ صَابِغَةَ الْبَيَاضِ سَوَادَا
قَالَتْ نَجِيعُكَ فِي يَدَيَّ وَإِنَّمَا بَدَّلْتُهُ أَسْفَاً عَلَيْكَ حِدَادَا

ومن أحسن ما قيل في التطاريف السّود قول ابن المعتز :

وكفَ كَانَ الشَّمْسَ مَدَّتْ بَنَانَهَا إِلَى اللَّيْلِ تَجْلُوهُ فَقَبَّلَهَا اللَّيْلُ

وله أيضاً في التطاريف الحُمْرُ :

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ رِطَابٍ كَأَنَّهَا أَنَايِبُ دُرٍّ قُمِعَتْ بِعَفِيقِ

١ الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

٢ الأبيات في المطرب : ٧٩ .

٣ ص : تنكرون .

٤ ص : قال .

٥ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٨ .

ما أخرجته من مراثيه مع ما يتشبت بها

قال يرثي أباه وقد ودّع قبره وقت جوازه إلى الأندلس :

أبي نَيْرُ الأَيْتَامِ بَعْدَكَ أَظْلَمَا وَبُنْيَانُ مَجْدِي يَوْمَ مَيِّتٍ نَهْدَمَا
وَجِسْمِي الَّذِي أَبْلَاهُ فَقْدُكَ إِنْ أَكُنْ رَحَلْتُ بِهِ فَالْقَلْبُ عِنْدَكَ خَيِّمًا
وَقَى اللَّهُ عَيْنِي^١ مَنْ تَعَمَّدَ وَقْفَةً^٢ بِقَبْرِكَ فَاسْتَسْقَى لَهُ وَتَرَحَّمَا
وَقَالَ سَلَامٌ ، وَالثَّوَابُ جَزَاءُ مَنْ أَلَمَ عَلَى قَبْرِ الْغَرِيبِ فَسَلَّمَا

وأخذ من ترابه فقال : [١٠٣]

رَحَلْتُ وَهَا هُنَا مَثْوَى الْحَبِيبِ فَمَنْ يَبْكِيكَ يَا قَبْرَ الْغَرِيبِ ؟
سَاحْمِلُ مِنْ تُرَابِكَ فِي رِحَالِي لَكِي أَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ طَيْبِ

وقال من مَرثِيَةٍ لَهُ فِي الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نَعُدُّ حُصُونًا كُلَّ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ^١ وَتَعْدُو الْمَنَازِلَ فِي عَرِينِ الْغَضَبِ
وَلِاحِدَى بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْسِفُ أَحَدَهُ^٢ وَتَهْدِمُ^٣ بِالتَّدْمِيرِ بُنْيَانَ تَدْمُرُ
نَبَا نَابٍ^٤ عَادٍ وَهُوَ كَاللَّيْثِ عَادِيًا وَمَاتَ مَتْنِي كَسْرَى الْمُلُوكِ وَقِيَصِرُ

١ ص : سقى الله عيناً .

٢ ص : ومغفر .

٣ ص : باب .

وما درأت^١ عن تبع تبع له
أصم^٢ وأصمى ثغرة الثغر حاد^٣
هو البحر في ذا الخطب أعطاك دُرّه^٤
أجدك بزّ^٥ الدهر شهب بزّاته
أعزّ من اقتاد الحميس إلى الوغى
تلّم حياء يا زمان من العلا
مضيت فما للأرض بعدك لم تَمِدْ
بعث بها مشقوقة الحبيب ثاكلاً^٦

وله من أخرى :

فاجأتنا والمنون^٧ مُنتظِرَه
أصم^٨ سمي حديث حادثة
مُتَوَجّ من جذام مات له
ثلاثة لا خلاف أنهمس^٩
ما نفّع المشتري ولا زُحلاً^{١٠}

صُروف الرّدى الجارى على كل قسور
تُحدّثنا عنه الثقات فنمّري
فقلّ للسان انظّم وللدمع فانشُر
وعزّ معزّ الدولة ابن المظفر
وأكرم من يدعى له فوق منبر
مضيت بمعروف وجئت بمُنكر
وما لسماء المجد لم تنفطر^{١١}
وإن فتقت ريع الغزاء بعبر^{١٢}

مين جامع الطيبات مُحْتَضِرَه^{١٣}
فلّ السيوف الذكور من ذكره
ثلاثة فليعيش له عشره
خير من الفرقدين والزهره
ضوء بل الله مُنْفِذ قدره

١ ص : دارت .

٢ ص : رده .

٣ ص : بر .

٤ فيه اعتماد على قول ابن هانيه : « فتقت لكم ريع الجلاء بعبر » .

٥ ص : حاتنا .

٦ ص : مخصرة .

٧ ص : زحل .

ومنها ، وهو من طريق الاستطراد للاستجداء ، وطلب الحياء ،
وكان الحُصْرِيّ مَشْحُودَ المُدَيَّة ، في أبواب الكُدَيَّة :

بَيَّضَ كُلَّ وَلَا بَيَّاضَ مَعِيَ إِلَّا بَيَّاضُ الْمَشِيبِ وَالْبَشَرِ
فَغَبِثْتُ عَنْ مَجْلِسِ الْعِزَاءِ عَلَى رَغْمِي^١ وَإِنْ كَانَ مِقْوَلِي حَقَصَرَه
يَا أَهْلَ هُودٍ إِذَا الْوَرَى حُسِبُوا^٢ مِنْ صَدَفِ الْبَحْرِ كُنْتُمْ دُرَرَه
يَا كُرَّمَاءَ الزَّمَانِ لَسْتُ أَرَى حُجُولَهُ غَيْرَكُمْ وَلَا غُرَرَه

ومن قبيح استجداء الحُصْرِيّ مَا فَعَلَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، تصدَّى
له في طريقه بالعدوة على حاله مِنْ^٣ اعتقاله ، ولم يلقه باكياً على
خَلْعِهِ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَا تَأْدَبَ مَعَهُ فِي وَصْفِ مَا انْتَرَى مِنْ سِلْكِهِ ، بل
بِأَشْعَارٍ قَدِيمَةٍ لَهُ ، صَدَرُهَا فِي الرَّبَابِ وَفَرَّتْنِي ، وَعَجَزُهَا فِي طَلَبِ
اللَّهِ . وعلى تلك الحال ، وما يُتَنَاجَى بِالِ الْمُعْتَمِدِ مِنَ الْبَلْبَالِ ، قَاسَمَهُ^٤
فِيمَا كَانَ بِيَدِهِ مِمَّا كَانَ بِهِ زُودٌ ، حَسِبَا وَصَفْتُ لَهُ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ
هَذَا الْمَجْمُوعِ^٥ .

وله من أخرى في الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نُفِرْتُ فِي الْعُمُرِ الذَّاهِبِ وَنَفَرْتُ بِالْأَمَلِ الْكَاذِبِ

١ ص : زمي .

٢ ص : حبوا .

٣ ص : عل .

٤ انظر القسم الثاني : ٦٦ .

٥ ص : القمر .

يقول فيها :

تنزّه عن تبعات الملوك فخفف على الملتك الكاتب
فقدنا الربيع أبا جعفر فلا درّ خلف على حالب
لبست البياض ولولا الخلف لسودت ثوبي كالرّاهب

ومنها :

نقدت القريض على ربّه وفصل الخطاب على الخاطب
بديعك أزرى بعد الحميد وبابن العميد وبالصاحب
ففضلك من لي بإحصائه وفي بعضه علة الحاسب

وله في مَوْتِ الْمُعْتَصِدِ وولاية المعتمد^١ :

مات عبّادٌ ولكن بقي الفرع الكريم
فكان الميت حي غير أن الضاد ميم

ومات للحُصْرِيّ ابنٌ بلغ من جزّعه عليه النّهاية ، وتجاوز في ذلك
الغاية ، وصنع فيه مرثي على حُرُوفِ الْمُعْجَمِ^٢ ، منها^٣ :

١ انظر ياقوت ١٤ : ٤٠ والخريدة ٢ : ١٨٧ والنفع ٤ : ٢٤٦ ومختارات ابن الصيرفي :

١٣١ والغيث ٢ : ٢١٩ والوافي في نظم القوافي ، الورقة : ٤٣٦ .

٢ هذه هي القصائد التي تضمنها ديوانه اقتراح القريح واجترح الجريح وقد نشره الأستاذان
المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحصري : ٢٤٣ - ٤٩٠ وسأشير إليه فيما يلي باسم
« اقتراح » .

٣ اقتراح : ٢٧٥ .

عرضت له تَفَاحَةٌ نَفَاحَةٌ
ولو استطاع القول قال مُشَافِهَاً
فُزْ مَطْمِنٌ الْقَلْبِ لَا مُسْتَوْفِزاً
عبد الغني لك المَسْرَةُ غائباً
لَمَّا غَدَوَا^١ بك جَائِزِينَ كَأَنَّمَا
بعضُ الإمامِ فَرَدَّ بالإِمامِ
تُفَاحُ جَنَّاتِ الخُلُودِ شِفَائِي
طَلَقْتَ دَارَ مَشَقَّةٍ وَشِقَاءِ
وليَ المَسَاءِ مُصْبِحِي وَمَسَائِي
يَحْشُونَ فِي ظُلْمٍ لِيَدْفَنَ ضِيَاءِ

وقال فيه ^٢ :

لست أنسى مَقَامَهُ وَمَقَامِي
أَنفُهُ يَنْثُرُ الْعَقِيقَ وَعَيْنِي
وَكِلَانَا مِثْلُ الْقَضِيبِ قَضِيباً^٣
تَنْثُرُ الدَّمْعَ بِالْعَقِيقِ مَشُوباً

وقال فيه ^٤ :

ذوى رِيحَانِي الأَرَجِ
ذَبِيحٌ طُلَّ مِنْهُ دَمٌ
رَأَيْتُ دِمَاءَهُ وَدِمَا
تَرَفَّتْ يَا سَقَامُ بِهِ
صَدَعَتْ بِمَا أَمِيرَتْ وَمَا
فَأَيْنَ غَرَارُ مِقْوَلِهِ
وضاقَ بِخِلَتِي^٥ الفَرْجُ
وَلَمْ يُقَطَّعْ لَهُ وَدَجٌ
عَيْنِي كَيْفَ تَمْتَزِجُ
أَبْعَدَ الْمُسْتَوَى عِيُوجُ ؟
عَلَيْكَ مَعَ الْقَضَا حَرَجُ
وَأَيْنَ حِجَاهُ وَالْحُجَجُ ؟ [١٠٤]

١ ص : غدونا ؛ اقتراح : أنوا .

٢ اقتراح : ٢٧٨ .

٣ اقتراح : ٢٩٦ .

٤ اقتراح : محلي .

شأى ابن الأربعين وما اذ
عُروقُ الناسِ كلَّهمُ
بنو الدنيا كأنَّهمُ
وَهْلٌ هِيَ غَيْرُ دَارٍ أَذَى
تأملُ كيف تَأْكُلُهُمْ
شَهَتْ عَشْرًا به الحِجَجُ
إلى عِرْقِ الثرى تَشِيجُ^١
لِقِيلَةٍ هَمَّتْهُمْ هَمَجُ
إذا دخلوا بها خَرَجُوا
وَهُمْ وَلَدٌ^٢ لها نَتِجُ

وقال له^٣ :

على تَغْمِيرِ نُوحٍ مَاتَ نُوحُ
وكيف الصَّبْرُ أمْ كيف التَّعَزِّي
فناثحة^٤ لأمرٍ ما تَنُوحُ
ومِنْ عِرْنِينِهِ^٥ وَلَدِي ذَبِيحُ

وقال فيه^٦ :

أنا فردٌ بلا خَلِيٍّ
أنا كالأورقِ اشْتَكَى
أنا كالزَّرْعِ والعِيدَا
لِي ولا ابنٍ ولا أَخٍ
بُعْدَ وَكْرِ^٧ وَأَفْرُخٍ
كالبُرَادِ المسْتَخِ^٨

١ من قول امرئ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي
وقيل في تفسير عرق الثرى إنه إبراهيم .

٢ ص : ولدها

٣ اقتراح : ٣٠١ .

٤ ص : غريته .

٥ اقتراح : ٣٠٦ .

٦ اقتراح : فقد لَف .

٧ ص : المَرْخ ؛ اقتراح : المَصْوَخ ؛ والمسْتَخ : الذي يفرز ذنبه في الأرض .

قُرَّةُ الْعَيْنِ ١ دُونَهُ
صَاحِبَ الصُّورِ أَنِفًا
عَلَّتِي ٢ مِنْهُ أُنْتَفِي
كُلُّ عُمْرٍ مُوقَتٌ
بِرَزْخٍ أَيُّ بَرَزْخٍ
حَضَرَ المَوْتَ ٣ فَاَنْفُخِ
بِالنَّسِيمِ الْمَضْمُخِ
فِي كِتَابٍ مُؤَرَّخِ

وقال ٤ :

تَنَافَرْتُ مِنْ مَدَامِي ذُرَّرَ
إِنْ دِيَارًا حَلَلْتُهَا لَفَلَا
أَثَرِي بِهَا ، وَافْتَقَرْتُ ، مَنْ لَقَطَا
وَلِنْ مِيرْبًا بَكِي مَعِي لَقَطَا

وقال فيه ٥ :

بِئْسَ نَفْسِي نَجْمٌ أَظْلَمَ الْآفَاقُ إِذْ هَوَى
أَحْيَيْنَ شَأَى مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ سَابِقِ
وَهَزَقْنَا الْقَصْدَ ٦ لِلطَّعْنِ فِي الْعِدَا
رَمْتَهُ فَأَصْحَمَتْهُ السَّهَامُ وَلَئِنَّ
وَكَادَ يُعْزِيَنِي بِهِ الْقَمَرَانِ
وَعَنَتِي شَامٌ بِاسْمِهِ وَيَحْمَانِ
وَرَأَشَ جَنَاحَ الْعِزِّ لِلطَّيْرَانِ
لَفِي زَرْدٍ مِنْ دَعْوَتِي وَكِئَانِ

وفيه يقول ٧ :

-
- ١ ص : عين .
٢ اقتراح : الوقت (وهو أصوب) .
٣ ص : علي .
٤ اقتراح : ٣٤٤ .
٥ اقتراح : ٣٧٥ .
٦ اقتراح : وجر . . . النصر .
٧ يبدو أنهما لم يردا في اقتراح القريح .

عبدُ الغنى بُنيَتِي كَلَاهُ بِالْحِفْظِ رَبُّهُ
يقولُ قلبي كُلُّهُ واشربهُ ممّا أَحْيَاهُ

وله من قصيدة يَسْدُبُ وطنه بالقيروان ، ويتذكرُ من كان هنالك
مِن الإخوان :

مَوْتُ الكرامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِهِمْ
يَا أَهْلَ وَدْيَ لَا وَاللَّهِ مَا انْتَكَشَتْ
لَيْثِينَ بَعْدَ نُسْمٍ وَحَالَ الْبَحْرِ دُونَكُمْ
مَا نَحِمْتُ إِلَّا لَكِي أَلْقَى خِيَالَكُمْ
إِذَا اعْتَلَلْنَا تَهَلَّلْنَا بِذِكْرِكُمْ
مَاذَا عَلَى الرِّيحِ لَوْ أَهْدَتْ تَحِيَّتَهَا
أَصْبَحْتُ فِي غُرْبَتِي لَوْ لَا مَكَانِي
كَأَنْتِي لَمْ أَذُقْ بِالْقَيْرَوَانِ جَنِّي
وَلَمْ تَشْفِنِي الْخَدُّودُ الْحُمْرُ فِي يَفَقِي
أَبْعَدَ أَيَّامِنَا الْبَيْضَ الَّتِي سَلَفَتْ
أَمْرٌ بِالْبَحْرِ مُرْتَاحاً إِلَى بَلَدٍ
وَأَسْأَلُ السَّفْنَ عَنْ أَخْبَارِهِ طَمَعاً
هَلْ مِنْ رِسَالَةٍ حَبَّ أَسْتَعِينُ بِهَا
أَلَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانِ حَيّاً
فَإِنَّهَا لِدَةِ الْجَنَنَاتِ تَرْبَتُهَا
إِلَّا تَكُنْ فِي رَبَّاهَا رَوْضَةٌ أَثْنَفُ

فَإِنْ [هَمْ] اغْتَرَبُوا مَا تَوَا وَمَا تَوَا
عِنْدِي عُهْدٌ وَلَا ضَاقَتْ مَوَدَّاتُ
لَبَّيْنِ أَرْوَاحِنَا فِي النُّومِ زَوْرَاتُ
وَأَيْنَ مِنْ نَازِحِ الْأَوْطَانِ نَوْمَاتُ؟
لَوْ أَحْسَنْتُ بَرْءَ عِيَلَاتِ تَعِلَاتِ
إِلَيْكُمْ مِثْلَ مَا تُهْدِي التَّحِيَّاتُ؟
بَكَتَنِي الْأَرْضُ فِيهَا وَالسَّمَوَاتُ
وَلَمْ أَقُلْ هَا لِأَحْبَابِي وَلَا هَاتُوا
وَلَا الْعَيُونَ الْمِرَاصُ الْبَابِلِيَّاتُ
تَرْوِقُنِي غَدَوَاتُ أَوْ عَشِيَّاتُ؟
تَمُوتُ نَفْسِي وَفِيهَا مِنْهُ حَاجَاتُ
وَأُنْثِي وَبِقَلْبِي مِنْهُ لَوْعَاتُ
عَلَى سَقَامِي فَقَدْ تَشْفِي الرِّسَالَاتُ؟
كَأَنَّهُ عَبَّرَاقِي الْمُسْتَهْلَاتُ
مِسْكِيَّةٌ وَحَصَاها جَوْهَرِيَّاتُ
فَإِنَّمَا أَوْجَهُ الْأَحْبَابِ رَوْضَاتُ

أَوْ لَا يَكُنْ نَهْرٌ عَذْبٌ يَسِيلُ بِهَا
أَرْضٌ أَرِيضَةٌ أَقْطَارُ مَبَارَكَةٍ
لَا يَشْمَتَنَّ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِنَّ رُزِقْتُ
وَلَمْ يَزَلْ قَابِضُ الدُّنْيَا وَبَاسِطُهَا
هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيْرَوَانُ لَنَا
مَا إِنْ مَجَا اللَّيْلُ إِلَّا زَادَنِي شَجَنًا
وَلَا تَنْفَسْتُ أَنْفَاسَ^٢ الرِّيَاضِ ضُحَى
هَذَا وَلَمْ تَشْجُ قَلْبِي لِلرَّبَابِ رُبَى
وَكَمْ دُعِيْتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَّدَ لِي
وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَنَّتْ بِلَابِلِهِ
أَنِّي لِأَظْمَأُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
وَمَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِأَسْطَى يَدِهِ

ومنها في المدح :

بَلِغْ أَحْبَبْنَا الْبَاكِينَ مِنْ جِهَتِي
مَنْ الضَّرَاعِيمِ إِلَّا أَنْ غَابَهُمْ
فَمَنْ يَكُنْ فِيهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مُخْتَلَفٌ

فَإِنْ أَنْهَارَهَا أَيْدٍ كَرِيمَاتُ
لِلَّهِ فِيهَا بُرَاهِينٌ وَأَيَّاتُ
إِنَّ الْكُسُوفَ لَهُ فِي الشَّمْسِ أَوْقَاتُ
فِيمَا يَشَاءُ لَهُ مَحْنُوٌّ وَإِثْبَاتُ
وَصَبْرَةٌ وَالْمُعْلَى فَالْحَنِاتُ؟
فَاتَّبَعْتُ زَقْرَانِي فِيهِ أَنْتَ
إِلَّا بَدَدْتُ حَسْرَاتِي الْمُسْتَكْنَاتُ
وَلَا تَقْضَتْنِي^٤ مِنْ لُبْنَى لُبَانَاتُ
وَجَدَّاءُ وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ سَلَوَاتُ
أَشْكُو الْبَلَابِلَ لَوْ تُغْنِي الشَّنَكِياتُ
حَوْلِي وَأُضْحِي وَدُونَ الشَّمْسِ دَوَّاحَاتُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمَكِّنَ الْمَأْسُورَ لِفَلَاتُ

أَنِّي حَمَمْتَنِي أَسُودُ حِمِيرِيَّاتُ
بَيْضُ حِدَادٍ وَحُمُرُ سَمَهَرِيَّاتُ
فَذَا الَّذِي اتَّفَقَتْ فِيهِ الْبَرِيَّاتُ

١ ص : ابدا .

٢ ص : أَنْ تَرَى أَرْضَ .

٣ ص : أَنْفَا فِي .

٤ ص : تَقْضَتْنِي .

ومن شعره مما خاطب به الفقيه القاهي أبا المطرف الشعبي^١ بمالقة
من جملة قصيدة :

سَرَيْتُ وَخَلَّيْتُ السَّرِيَّ مُصَاحِبِي ^٢	فهذا الهوى يُصِبي وهذا الهوى يُنْضِي ^٣
فثَوَّبَكَ مِنِّي سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرَى	وطرفك عني بامهارة النقاغضي [١٠٥]
تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا	فضاقتُ عليَّ الأرض في الطول والعرض
لَقَدْ شَعَبَ الشَّعْبِي قَلْبًا صَدَعَتْهُ	كما تصدَّعُ المظلومة الخيل بالركض
نَهْوُضٌ لِأَمْرِ أَمَرْتَهُ خَوَارِجٌ ^٤	نَهْوُضٌ بِأَعْبَاءِ الْعُلَا أَيْمًا نَهْوُضُ
جَلَا عَدْلُهُ لِظُلَامِ كُلِّ ظُلَامَةٍ	وحاطَ قَنَاةَ الدِّينِ حِفْظًا مِنَ الْخَفْضِ

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي (٤٠٢ - ٤٩٧ هـ) كان فقيه مالقة في عصره ، وعليه كانت الفتيا تدور ، وكان حافظاً من الحفاظ المشاهير ، يحفظ المدونة وغيرها ، أخذ عن شيوخ جلة كآبي أيوب (أبي العباس) أحمد بن أبي الربيع اللبيري وعن أبي محمد قاسم بن محمد المأموني السبتي وغيرهما ؛ وقال فيه الفقيه أبو العباس أصبغ بن أبي العباس : « عصره أهل العلم الرفيعة ، وهضبته العبقة البديعة : بذ فيه الجموع والأفراد ، وأرى نظره على النفاذ والنفاذ ، وبورك له فيما منح من الاستيلاء والاستحواذ . . . » (وقد جرى التعريف به في القسم الأول : ٨٤٨ الحاشية : ٢ اعتماداً على أدبائه مالقة والصلة ، ولكنني زدت التعريف به هنا بياناً) .

٢ ص : لصاحبي .

٣ كذا ورد هذا البيت في ص ؛ ومعناه فيما أرى : أنني سریت واتخذت الجمل السري (المختار) مصاحباً لي ، فهو أي يصِبي ، أما هوى الجمل فانه ينضي ، أي يسبب له التحول .

٤ المظلومة : الأرض .

٥ كذا ؛ ولعله « نقوض لامر » أي أنه ينقض ما اجتمعت عليه الخوارج من رأي وكيد ؛ والامر - بكسر الهمزة - الأمر العظيم الشنيع .

كففت أكف الظلم عن كل مسلم
تنم برية جنة الخلد ربة^١
كانت منها مالك وهي طيبة
وإن أنشدت في دار حكمك مدحي
لثمت حصي مغناك لمتا وطئت
غدا عيسنا باليد شدو وحداتنا
عرضن مال منه أو دم أو عرض
لن قطف الأزهار من روضك الغض
فما جمع أهل العلم عنك بمنفض
لقد جليت بكرأ على خير منفض
وقلت اللآلي كيف تظلم بالرض
بذ كرك فاستغنت عن الماء والحمض

وقدم من الشرق فأنزله في داره وأكرمه ، فقال فيه من جملة قصيدة :

أمولى شرفت به أم صديق
تملكتي ومنى ملكه^٢
سقاني وأخلاقه جنة
حلت وأحلت^٣ كريق الحبيب
وزاد على الزاد ما قاتني
يواصلني حين يجفو الشقيق
فحسب معاليه أنا رقيق
فمنها الرياض ومنها الرحيق
فطاب الصبوح بها والغبوق
زماناً وإن طال ذاك الطريق

وخرج تميم^٤ عن مالقة ممزولاً فقال :

١ رية هو الاسم القديم لمالقة .

٢ ص : ملك .

٣ ص : وحلت .

٤ هو تميم بن بلقين صاحب مالقة ، الملقب بالمستنصر وكان أحد الذين استنفرهم يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني لحصار حصن لييط ، ثم ان المرابطين نحوه وأخاه عبد الله بن بلقين وأرسلوهما إلى المدوة وأسكنا بأغصات (انظر الحلل الموشية : ٥٨ ومذكرات الأمير عبد الله) .

أَهْوَاكُمُ جَدَّةً مَارِحَهُ وَالْحِمَى لَمْ يَدْنُ نَارِحَهُ؟
 مَارَسَتْ مِنِّي الْعِيدَا رَجُلَا أَسْمَعَ الصَّمَاءَ صَائِحَهُ
 إِنَّ زَجَرْتُ الطَّيْرَ فِي سَفَرِي عَنْ يَمِينِي مَرَّةً سَانِحَهُ
 عَجِبْتُ أَسْمَاءَ مِنْ جَلَدِي يَوْمَ أَصَمَّى الْقَلْبَ جَارِحَهُ

ومِنْهَا :

لَا يَتَضَقُّ مَنْ صَدْرُهُ حَرِجٌ^٢ شَيْخُنَا الشَّعْبِيُّ شَارِحَهُ
 إِنَّمَا أَخْلَاقُهُ زَهْرٌ عَطَّرَ الْآفَاقَ فَائِحَهُ
 إِنَّمَا أَقْلَامُهُ أَسَلٌ هَابَهَا فِي الْجَوِّ رَامِحَهُ
 قُبِيلَ الشَّعْبِيُّ حِينَ دَعَا فَكَبَا بِاللَّيْلِ سَابِحَهُ
 بِتَمِيمٍ حِينَ حَانَ بِهِ السَّحَابُ وَانْقَادَتْ جَوَامِحُهُ
 ضَعُفَتْ مِنْهُ الْقُوَى فَغَدَتْ مِنْ قَوَارِيرٍ قَوَارِحُهُ
 وَانْجَلَتْ عَنْ حُسْنٍ مَالِقَةٍ بِفَقِيهِهَا^٣ قَبَائِحُهُ
 وَصَفَا الْبَحْرَانِ مِنْ كَدَرٍ فَارْتَوَى بِالمَاءِ مَائِحُهُ
 ذِكْرُهُ غَنَى الزَّمَانُ بِهِ وَأَنَا فِيهِ أَطَارِحُهُ

١ ص : أن جر .

٢ ص : في صدره حرجاً .

٣ الفقيهان هما الشعبي وابن حنون .

وله من أخرى [يمدحه و] يمدحُ القاضيَ أبا مروانَ بنَ حَسَنونَ^١ :

سَهْلُ الأَبَاطِحِ مِنْ عَلَاكَ يَفَاعُ والنَّجْمُ أَنْتَ وَكَفَلَكَ المَرِبَاعُ
بَلْ أَنْتَ شَمْسٌ لَا تَزَالُ وَلَمْ [يَنْزِلْ] فِي سَائِرِ الآفَاقِ [مِنْكَ] شُعَاعُ
مَنْ يَخْتَلِفُ كُلُّ الْوَرَى فِي حُبِّهِ فَأَبُو المَطَرِ حُبُّهُ إِجْمَاعُ
شَهِدَتْ عُقُولُ الْعَالَمِينَ بِفَضْلِهِ فَسَوَاءُ الأَعْدَاءِ والأَشْيَاعِ
مِصْبَاحُ مَالِقَةٍ أَرَادَ خُمُودَهُ قَوْمٌ لِيَرْتَفِعُوا وَهُمْ أَوْضَاعُ
فَالْعَامُ لَمْ يَكْمُلْ لِعَزَلَتِهِ بِهَا حَتَّى عَلَتْ يَدُهُ وَطَالَ البَاعُ^٢
انْظُرْ إِلَيْهِ [الْيَوْمَ] كَيْفَ أَصَابَهُ صَرَفُ الزَّمانِ وَلَيْسَ عَنْهُ دِفَاعُ
لَوْلَا إِسَاءَتُهُ إِلَيْكَ وَظُلْمُهُ لَغَدَا وَأَنْتَ لَهُ يَدٌ وَذِرَاعُ
بَيْنَ ابْنِ حَسَنونَ وَشُعْبِي الهِنْدِيُّ مِنْ ثَنَدِي خَالِصَةِ الإِخَاءِ رَضَاعُ

١ بنو حسون من الأسر المشهورة بمالقة ، وكان منهم أبو علي الحسن بن حسون قاضي مالقة في مدة العالي بن يحيى بن حمود (المغرب ١ : ٤٣٠) وأبو الحكم ابن حسون الذي تولى أمر مالقة فترة من الزمن (النباهي : ١٠٤) وذكر ابن الأبار أبا عامر بن حسون (التحفة : ٩٦) وأنه كان والياً على مالقة ؛ أما أبو مروان هذا فهو عبيد الله بن عيسى (أو ابن حسين بن عيسى) الكلبي المالقي ، ولي قضاء مالقة وكان أبوه (الشهير بحسون) قد وليها لبني حمود (انظر ما تقدم قبل قليل فلعله هو الذي ذكره ابن سعيد باسم الحسن ، وذكره ابن الأبار باسم الحسين) ، وتوفي يوم الاثنين لأربع خلون لربيع الآخر من سنة ٥٠٥ وقد كان ابنه محمد من الفقهاء المشاورين في بلده (أدباء مالقة : ١٥٢ - ١٥٣ والتكملة : ٩٢١ - ٩٢٢) .

٢ يبدو أن تميم بن بلقين كان قد عزل أبا المطرف الشعبي ، فلما عزل تميم عاد أبو المطرف إلى منصبه ، وهذا ما يفسره البيت التالي الذي يصور الشامة بتميم ؛ وانظر القصيدة السابقة ففيها تصريح بسوء العلاقة بين تميم من ناحية والشعبي وابن حسون من ناحية أخرى .

يأما^١ أجَلَتُهُمَا وَأَشْبَهَهُ ذَا بَذَا
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِحَسَنُهَا الَّذِي
خَلَقَنَا لِنَصْرِ الدِّينِ وَالْكَرَمِ الَّذِي
كَمَهْنَدِينَ مُجَرِّدِينَ بَرِيَّةٍ

وَلَهُ فِيهِمَا مِثْلُ أُخْرَى أَوْلَاهَا :

بَرِيَّةَ [رَبَّنَا] رَوْضَةٍ وَرِيَاضٍ
مَعَالِيَهُمَا فَوْقَ النُّجُومِ مُنِيفَةً^٢
سَمِعْتُ حَيَاتِي وَالْمَقَامَ بَطْنُجَةٍ
سَيُورِقُ عُودِي إِنْ سَكَنْتُ بَرِيَّةً
لَدَى قَمَرَيْنِهَا إِنْ فِي غُرَّتَيْهِمَا
أُرِيَّةُ مَرَعَايَ الْمَرِيعُ وَأَيْتُمِي

وَقَالَ :

يَا عَجَبًا لِلسَّيُوفِ اسْتَوَى
وَقَدْ رَأَيْتُ الْعَدْلَ فِي بَلَدَةٍ
أَحْكَامُهُ بِالْحَقِّ مَرْضِيَّةٌ^٣
لَوْ شِوِوَرَتْ فِيهِ بَنُو هَاشِمٍ
كَمْ حُجَّةٌ أَوْضَحَ ، كَمْ حَاجَةٌ

حَسُنَتْ وَجُوهٌ مِنْهُمَا وَطِبَاعُ
تَلْتَذُّهُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
تَخْضَرُ مِنْهُ بَسِيطَةٌ وَتِلَاعُ
تَنْبُو الطُّبَا وَكِلَاهُمَا قَطَّاعُ

بِهَا عَلِمَا عَلِيمٍ وَأَعْدَلُ قَاضٍ
وَرَأَيْتُهُمَا فِي الْمَشْرِفَةِ مَاضٍ
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ غَيْرُ عِرَاضٍ
وَيَسُودُ مِنْ فُؤَادِي^٢ كُلُّ بَيَاضٍ
هِدَايَةَ عُمَيَّانٍ وَبُرْءَ مِرَاضٍ
وَأَنْتِ ابْنَةُ^٣ فِي عِصْمَةِ ابْنِ عِيَاضٍ

كَلِيلُهَا الْيَوْمَ وَمَاضِيهَا
فَقِيهُهَا الشَّعْبِيُّ قَاضِيهَا
وَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ رَاضِيهَا
لَقَدْ مَتَّنْتُ عَنْ تَرَاضِيهَا
قَضَى لَنَا قَبْلَ تَفَاضِيهَا

١ ص : فَمَا .

٢ ص : فُؤَادِي .

٣ ص : ابْنِهِ فِي هَفَّةٍ .

ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني
واشتهرت معرفته بألفتنا بالحلواني^١
وسياقة جملة من شعره

وله كلامٌ في النسيبِ رائق ، ومتأخيراً سابق ، ومدبحة أيضاً عليه
طلاوة ، وبالجملة ففي ألفاظِ الحلواني حلاوة . ومن خطّه نقلتُ ، جملة
ما ها هنا له أخرجتُ .

النسيب وما يناسبه

قال^٢ :

ولمّا تنادوا للرحيل وقربتُ كرام^٣ المطايا والركابُ تَسِيرُ

١ هناك اثنان يعرفان بابن فضال وكلاهما يكنى بأبي الحسن : علي بن فضال القيرواني المجاشعي النحوي وقد شرق ، ومدح نظام الملك وزير الدولة السلجوقية (وله ترجمة في الحريرة ١ : ٢٨٧ والمتنظم ٩ : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٤ : ٩٠ وانباء الرواة ٢ : ٢٩٩ وانظر مزيداً من مصادر ترجمته في الحريرة ٣ : ٦٩٤ وكانت وفاته سنة ٤٧٩) ؛ والثاني هو عبد الكريم ابن فضال القيرواني الحلواني - وله ذكر في المطرب : ٧٥،٥٩ ورايات المبرزين : ١٠٧ (غ) ومسالك الأبصار : ٤٥٦ والحريرة ٢ : ١٨٨ وهذا هو الذي غرب فدخل صقلية والأندلس ، وقد مر ذكره في القسم الأول ١ : ٥٠٦ وأنشد له بيتين في لبس البياض وهو شعار الحداد عند الاندلسيين .

٢ انظرها في المسالك والحريرة والمطرب ومختارات ابن الصيرفي : ١٣١ .

٣ في أكثر المصادر : عتاق .

جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ مَبَادِرًا فَقَالُوا مُحِبٌُّ لِلْعِنَاقِ يُشِيرُ
فَقُلْتُ وَمَنْ لِي بِالْعِنَاقِ وَإِنَّمَا تَدَارَكْتُ قَلْبِي حِينَ كَادَ يَطِيرُ
وقال الحلواني^١ :

قالوا التحى فامّحت بالشعر بهجته فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
من كان منتظراً للصبر عنه به فلأنتي لغرامي كنت أنتظير
خطت يد الحُسن منه فوق وجنته هذي محاسن يا أهل الهوى آخر

ومعنى هذا البيت يتطرق قول ابن شرف^٢ :
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا وَثَالِثٌ مِنْ حُسْنٍ فَعَلَيْكَ عَزَّازَا
وقال الحلواني^٣ :

لي حبيبٌ إذا شكوتُ إليه في الهوى سامني عذاباً شديداً
لستُ أدعو عليه بالشَّعرِ [غَيْظاً] خيفة أن يكون حُسْنًا جديداً
غيرَ أني أدعو بقلبٍ قريحٍ أن أراه مثلي مُحِبّاً عميداً
كأنه عكس قول البُحْري^٤ :

أعِذْكَ أَنْ تُحْمَنِي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ وَإِنْ أَكْسَبَتْنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْحَوَى وَإِنْ نَفَعَتْنَا فَيْكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ

١ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٢ انظر التنف : ١٠٣ وما تقدم من : ٢١٥ .

٣ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٤ ديوان البحري : ١٠٥ .

وقال^١ :

رُبَّ خَيْطٍ فُتِنْتُ بِهِ فِتْنَةً أَفْنَتْ قُوَى جَلَدِي
لَاعِبٌ بِالْخَيْطِ يَفْتِلُهُ أَتْرَاهُ ظَنَّهُ جَسَدِي
لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ فَأَرَى بَيْنَ ذَلِكَ الْوَرْدِ وَالْبَرْدِ
فَعَلَلْتُ بِالثُّوبِ لِبَرَّتَهُ فِعْلَلَسَهُمُ الشَّقَاقُ فِي خَلَدِي
وَجَرَى الْمِقْرَاضُ فِي يَدِهِ جَرَى عَيْنِيهِ عَلَى كَبَدِي

وذكرتُ بذكره الخياط قول أبي محمد عبد الله بن القابلة السبتي^٢
في غلامٍ وسيمٍ يرفو في السوق ثوباً :

يَا رَافِئاً قَطَعَ كُلَّ ثُوبٍ وَيَا رَشاً حُبَّهُ اعْتِقَادِي
عَسَى بِكَفِّ الْوِصَالِ تَرْفُو مَا قَطَعَ [الهِجْرُ] مِنْ فَوَادِي

وهذا من اللفظ الطيار الخفيف الروح . ومن الكلام الفج الثقیل ،
قول عبد الجليل :

بِسُوقِ الْخِيَاطَةِ مُسْتَمِرَّدٌ تَوَدُّ لِمَنْ نَاكَهَ الْنَفْ خَمِيرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْفَتَى صَانِعٌ لَطَوَقٍ عِجَانٍ عَلَى عُنُقِ أَيْرِ

وما أحلى لفظ الحُلُوَانِي هذا في غلامٍ وسيمٍ أراد النهوض إلى
الحجج^٣ :

-
- ١ الشريشي ١ : ٣١٧ .
٢ سترجم له ابن بسام في هذا القسم ، وله ذكر في رايات المبرزين : ٩٩ - ١٠٠ وببناه في
الشريشي ١ : ٣١٧ .
٣ وردت في المسالك ١١ : ٤٥٦ والمسلک السهل : ٤٩٦ والشريشي ٤ : ١٨ .

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِغَرٍ عَجِلْتَ فاستأنِهْ إلى الكِبَرِ
 إنْ كُنْتَ تَبْغِي مَثُوبَةً فَعَسَى تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ
 وإنْ رَمَيْتَ الجِمَارَ فارْمِ به كلَّ فؤادٍ عليك لم يَطِرِ
 فقال دَعْنِي وزَمَزَمًا فَعَسَى اغْسِلْ من مُقْلتي دَمَ البَشَرِ

وعلى ذكرِ قولِهِ «تَحْمِلُ لِي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ»، قال الحُسَيْنُ لِعَلَّامٍ
 رآه بالمَكْتَبِ . فأشار لتقبيلِ يده ، فقَبَّلَهُ ١ :

ظَفِيرَتُ بِقُبْلَتِهِ مِنْهُ على عَيْنَيَّ مُعْلِمِهِ
 أَشَرْتُ بِهَا إِلَى يَدِهِ فوصلتْهَا إلى فَمِّهِ

وقال الحلَّوَانِي :

تَعَرَّضْتُ مَنْ شَقَّتَنِي هَجْرُهُ بِيَدِهِ سَلَامٍ عَلَيْهِ شَفَاها
 وَقُلْتُ عَسَاهُ يَرُدُّ السَّلَامَ فَتَبْلُغُ نَفْسِي مِنْهُ مَنَاهَا
 فجاد عليَّ بتقبيلةٍ وقد كان أعرضَ عني وتاها
 فكنتُ كموسى أتي للضياءِ ليقبِسَ ناراً فَنَاجِيَ الإِلهَا

وقال :

يا صاحِ خُذْها نصيحةً لِسِكَّةٍ بالودِّ إنْ كُنْتَ فَاتِكَ الفَتَكَةَ
 اسفِكَ دَمَ المُرْدِ إنْ وَجَدْتَهُمْ فليس يَلْقَى العذابَ مَنْ سَفَكَه
 واتركْ هواهم إذا هُمُ تَرَكَوا قد يتركُ الحُبُّ حُبَّ مَنْ تَرَكَه٢

١ انظر البيتين وأبيات الحلَّوَانِي بعهما في الشريشي ٥ : ٢٥٣ .

وَقُلْ لِمَنْ خَانَ فِي مَحَبَّتِهِ لِي هِمَّةٌ عَنْ هَوَاكَ مُنْمَسِكَةٌ
 كَانَ بَفَرَطِ الْغَرَامِ يَمْلِكُنِي فَأَصْبَحَ الدَّهْرُ عَازِلًا مَلِكَةً
 وَكَانَ سِتْرٌ عَلَيْهِ مِنْ مُلْحٍ لَوْلَا نَبَاتٌ بَخْدَةٍ هَتِكَةٍ^١
 وَاللَّهِ لَا صَادِقِي لَهُ شَرَكٌ فَمَذُ بِدَا الشَّعْرُ قَطَعَ الشَّرَكَ
 أَفْلَتْ مِنْ بَعْدِ نَتْفِهِ ذَنْبِي وَلَسْتُ طَيْرًا يَعُودُ لِلشَّرَكَ

وَذِكْرُهُ نَتْفَ ذَنْبِهِ مِنَ اللَّفْظِ الرَّثِ ، وَالْمُسْتَهْجَنِ الْغَثِ :

وكان أبو محمد المَهْدَوِيُّ المعروفُ بِابْنِ الطَّلَاءِ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ [١٠٧]
 الطَّارِقِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ^٢ كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِالِاسْتِعَارَةِ الَّتِي تُضْحِكُ كَقَوْلِهِ :

لِحَيِّ جَرَايَانِي مَسْتُوفَةٌ وَمَرَّ دَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تُنْتَفِ
 وَقَدْ أَلَمْتُ بِلُصِّعٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، فِي أَخْبَارِ ابْنِ شِمَاخٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ .
 وَقَالَ الْحُلَوَانِيُّ :

قَدْ حَلَّ فِي سُوقِكَ الْكَسَادُ مُنْذُ لَاحَ فِي خَدَّكَ السَّوَادُ
 كَأَنَّمَا الشَّعْرُ فِيهِ زَرْعٌ وَالنَّتْفُ مِنْهُ لَهُ حَصَادُ

وَقَالَ :

صَدَّ فَمَا يُصْغِي لَشَاكِ إِلَيْهِ وَرَاحَ وَالْأَلْبَابُ فِي رَاحَتَيْهِ

١ ص : فكه .

٢ متجيء ترجمته في هذا القسم : ٣٦٠ .

٣ انظر القسم الأول : ٨٤٢ . ٤ نسيه لغيره في الشريشي ١ : ٤١٤ .

مُفَوَّقُ^١ السَّهْمِ إِذَا مَا رَمَى
يَوَدُّ سَيْفُ الْهِنْدِ لَوْ أَنَّهُ
ذُو وَفْرَةٍ زَادَ بِهَا هَيِّبَةً
عِنْدِي لَهُ مِنْ خُدْعَى رُقِيَّةٍ
لَا يَدْعِي السَّقَمَ بِالْحَاطِظِ
انْظُرْ لِحَالِيهِ فَقَدْ أَقْسَمَا
انْظُرْ لِحَالِيهِ^٢ فَقَدْ أَقْسَمَا
رِيحَانَةٌ تَمْنَعُ مِنْ شَحْمَتِهَا
تَاهَ بَوَجْهِ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ
رَقِيبُهُ مِنْ فَرَطٍ ظَنُّ بِهِ

رمى ولا قوس - سوى حاجبيه
تعلّم الفتكة من ناظرينه
وقد يهاب الليث في لبديته
لو أنها مرتت على مسنمعيه
فمهجتي أسقم من مقتلتيه
أن ليس يسجو أحد من يديه
بسيف عينيته على وجنتيه
وغيرها تنفض في مذرعيته^٣
يقطر ماء الحسنى من صفحتيه
لشخصه ألزم من حافظيه^٤

وقال :

يَا حَامِلَ السَّكِينِ فِي وَسْطِهِ
هَلْ يَحْمِلُ السَّكِينَ مَنْ لَحْظُهُ
لَيْسَ بِهَذَا تُعْرِفُ الْعَيْنُ
فِي مُهَجِّ الْعِشَاقِ سَكِينٌ ؟ !

وقال :

رَضَابُ تُغْرِكُ يَضْنِي وَيَشْنِي
وَسِحْرُ عَيْنِيكَ يَغْوِينِي وَيُغْرِينِي

١ ص : مفرق .

٢ ص : لحاليه ؛ وهذا الشطر يبدو تكراراً لما سبقه عن طريق السهو .

٣ ص : وغيره . . . مذرعيه .

٤ ص : الذم من خافضيه .

وفي تشنيك معنى لا يقوم به ما في الغُصونِ من الإرهافِ واللينِ

وهذا كقول أبي الفرجِ الوأواءِ^١ :

مين أينَ للبدرِ حُسْنُ صُورَتِهِ وَقَدَّهُ للقَضيبِ مِينِ أينَ ؟

وما أحسنَ قولَ بعضِ أهلِ عصرِنا :

ما قَدَرُ نَعَمَانَ إِذَا ما مَشَى وما عسى تَبْلُغُهُ عَالِجُ ؟

وفي هذه القصيدةِ يَقولُ الحلواني :

إذا وصفتُكَ باللحظِ الفَتُورِ فمَنْ	قَدَّ القُلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ ؟
وإنْ نَعَتُكَ بالغُصْنِ الرطِيبِ فَمَا	فِي الغُصْنِ مَا فِيكَ مِينَ كُلِّ الأَفَانِينِ
جِسْمٌ مِنَ المَاءِ لَكِنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ	أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ مِينَ الطَّيْنِ
وما سَمِعْنَا بِغُصْنٍ مُثْمِرٍ قَمَرًا	تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْنَاتُ الرِّيَاحِينِ
الوردُ والآسُ والنَّسْرِينُ مجتمعا	فِيهِ وَفِيهِ بَنِيَّاتُ الزَّرَّاجِينِ
لم يَرْضَ عَنِّي فَوَادِي مِينَ ضَنَانَتِهِ	حَتَّى مَسَحَتْ بِهِ فِي كَفِّ ضَنْيِينِ
فِي حُبِّ مَنْ لَوْرَآفِي مِيتٌ مِينَ عَطَشٍ	وَالنَّيْلُ فِي يَدِهِ مَا كَانَ يَسْقِينِي
طَمِعْتُ فِيهِ وَغَرَّتْنِي لَوَاحِظُهُ	إِنَّ المَطَامِعَ أَسْبَابُ الشَّيَاطِينِ
قُلْ لَا بِنَ عَشْرِ وَخُمْسِيَّهَا مِنْ آيِنِ جَرَتْ	سِيَّهَامُ عُيَيْنَيْكَ فِي قَلْبِ ابْنِ سَبْعِينِ ؟
مَا حُجِّجْتِي عِنْدَ مَنْ فِي الحُبِّ يَبْعُدُ لُنِّي	وَأَيُّي ^٢ فِي نُبُوءَاتِ المَجَانِينِ

١ ديوان الوأواء : ٢٢٢ .

٢ ص : وآيات .

إِنْ كُنْتَ فِي الْحَبِّ سُلْطَانًا عَلَى كَبْدِي فَخَفَ عِقُوبَةُ سُلْطَانِ السَّلَاطِينِ
أَوْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَسْكِينِ مَرَحْمَةٌ فَإِنَّ عَبْدَكَ مِسْكِينُ الْمَسَاكِينِ

وأراه عارضَ بهذه قصيدة ابنِ رَشِيقٍ ، فَضَّلَ عن الطَّرِيقِ . هذا وقد
قلتُ إنَّ له في النَّسِيبِ ، أَوْفَرَ نَصِيبٍ . فأما إذا وصفَ أو مدَحَ ، فقلما
رأيتُه في ذلك نَجِيحَ ولا أَفْلَحَ .

ما أخرجته من قصائده المطولة في المديح وما يتثبت به من الأوصاف

قال يمدحُ الشيخَ صاحبَ الخُمسِ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم^١
الكناني الشامي بصقلية من قصيدة يقولُ فيها :

شَدُّوا الحُدُوجَ وَزَرُّوْهَا عَلَى قَمَرٍ	فِي الْحُسْنِ تَنْجَابٌ عَنْ أَنْوَارِهِ الظُّلُمُ
دُرَّانٍ مِينَ فَمِهِ شَفَا مُحَدَّثُهُ	لِلنُّشْرِ وَالنَّظْمِ مَسْمُوعٌ وَمُلْتَقَمٌ
فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ أَنْهِيَ ظُلَامَتَهُ	وغيرُ مُتَتَصِفٍ مَنْ خَصَمَهُ الْحَكَمُ
قَدْ قُلْتُ لَوْ قَبِيلَ الوَعْظِ المَيِّينَ لَهُ	خَفَ الْمُهَيِّمِينَ فِينَا لِأَنَّا نَسَمُ
فَقَالَ مَنْ ضَرَجْتُ خَدَّيْ نَظَرْتُهُ	فَإِنَّ سَيْفَ جُفُونِي مِنْهُ يَسْتَقِمُ

ومنها :

١ أرجح أن يكون اسمه « إبراهيم بن محمد » ويسميه إبراهيم في غير موضع في قصائده ،
ويشير إليه أحيانا بأبن محمد .

للهِ مَنزِلَةٌ بِالْقِيَرَوَانِ * محَا
شَقَقْتُ جَيْبَ شَبَابِي بَعْدَ فُرْقَتِيهَا
إِنْ فُرِّقَ الدَّهْرُ عَنْهَا شَمَلْنَا فَلْنَا

وله فيه أخرى ١ :

لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ حَرْفُتُمَنْ *
كَيْفَ يَا قِيَرَوَانُ حَالُكَ لَمْنَا
كُنْتَ أُمَّ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا
نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَلَكِنْ غُنِينَا
دِمَنْ كَانَتْ الْبُرُوجُ وَكُنْنَا

ومنها :

وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ إِنْ عَبَيْتَ الدَّهْرَ

وقال من أخرى ٢ :

نَطَقْتُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ عِبْرَاتُهُ
بَابِي وَأُمِّي بِدَرْ تِيمٍ تَحْتَهُ
يَحْمَشِي فِيَعْمُشُرُ فِي ذُيُولِ شَبَابِهِ

ومنها :

أَيَامَهَا الْبَيْنُ لَا الْيَامُ وَالْقِيدَمُ
حُزْنًا عَلَيْهَا وَلَا شَيْبُ وَلَا هَرَمُ
بِصَاحِبِ الْخَمْسِ إِبْرَاهِيمَ مَعْتَصِمُ

رَبِّمَا عَلَّلَ الْفُؤَادَ السَّقِيمَا
نَرَّ الْبَيْنُ سِلْكُكَ الْمَنْظُومَا
فَمَحَا الدَّهْرُ وَشَيْبَكَ الْمَرْقُومَا
بَعْدَ أَنْ لَمْ نُنْطِقْ بِهَا أَنْ نُنْقِيَمَا
أَقْمُرًا فِي قِيَابِيهَا وَنَجُومَا

رُ ذِمَامًا مِنْ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَا

وَبَدَّتْ بِنَارِ فُؤَادِهِ زَقَرَاتُهُ
غُصْنٌ كَثُرْنَ لَشِقْوَتِي ثَمَرَاتُهُ
مَشَى النَّزِيفِ وَخَمَرَةُ رَشَفَاتُهُ

٢ الشريشي ١ : ١٢٨ .

١ الشريشي ٣ : ٤٤٢ .

ولربَّ باكيةٍ رأتُ في لِحمتي بعضَ المَشيبِ تألّقتُ ضَحِكَاته
[قالتُ]: أغصنُك قد علّاهُ كما أرى زَهْرُ الرِّياضِ وما بدتُ ورقاتهُ
فأجبتُها : قارعتُ في جَنبِ الهوى صَرَفَ الزَّمانِ وهذه نكباتهُ

ومن المديح :

شَيْخُ القَبيلةِ في الجزيرةِ والذي سَبَقَتْ ظنونَ الحاسدينَ أُناتُه
ما تَفْعَلُ الأيَّامُ غيرَ مُرادِه فكأنَّما حركاتُها أدواتُه
هذا الثناء عليكَ يَعبَقُ طيبُه يا ابنَ الكرامِ وحاسدوكَ رواتُه

قولُه في الشَّيبِ « صَرَفَ الزَّمانِ وهذه نكباته » كقولِ ابنِ المعتزِّ ٢ :

قالتُ كَبِرتَ وشِبتَ قلتُ لها هذا غُبَارُ وقائعِ الدَّهْرِ

وقال أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ ٣ :

قالتُ غُبَارُ قد عسلا لكَ فقلتُ بل غيرُ الغُبَارِ
هذا الذي نَقَلَ المُلوكَ إلى القُبورِ مِن الدِّيَارِ

وقال ابنُ لَنَكتِكَ ٤ ، في مثلِ هذا المَسَلَكِ :

١ ص : بعد ؛ الشريشي : وخز .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٢١٠ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٣ والمختار : ٣٣٦ والذخيرة ١ : ٩١٠ .

٤ هو محمد بن محمد بن جعفر البصري أبو الحسن ، أكثره شعره في شكوى الزمان وهجاء شعراء عصره كالمتنبي وغيره (اليتيمة ٢ : ٣٤٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦) . وبَيْتُه هذا في الشريشي ١ : ١٢٩ منسوب لابن الجحد .

وَتَعَجَّبَيْتَ لِلشَّيْبِ : لَا تَتَعَجَّبِي هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الْآيَاتِ

وقوله « حاسدوك رؤائه » كقول البحري ^١ :

لَيْسَا بِرَنَّتِكَ ^٢ رَكْنِي شِعْرٍ سَائِرٍ يَرَوِيهِ فِيكَ لِحُسْنِهِ الْأَعْدَاءُ

وأخذه من قول حبيب ^٣ :

فَلَمَّا أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاحِبٌ عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ

وقال الحلواني من أخرى :

وإذا أردت ترى فضيلة صاحبٍ فانظر بعين البحث من ندمائه
فالمرء مطوي على عيالاته طي الكتاب وصحبه عنوانه
وكذا دليل الجود في ابن محمد بادٍ بصفح جبينه برهانه
وترى الليالي فاعلات أمره حتى كأن صروفها أعوانه

ومعنى البيت الأول من هذه كقول الآخر :

• واعتبر الصاحب بالصاحب •

وقول الآخر ^٤ :

١ ديوان البحري : ٢٢ .

٢ الديوان : ليواصلتك .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧٧ .

٤ من قصيدة تنسب لمدي بن زيد العبادي ، انظر ديوانه : ١٠٦ (وتخرجه ص : ٢٢٣)

عن المرء لا تسأل^١ وسل^٢ عن قترينه فكل^٣ قترين بالمقارن مقتدر

ومعنى البيت الأخير لفظ أبي الطيب^٤ :

وأراك دهرك ما تحاول^٥ في العدا [حتى] كأن صروفه أنصار^٦

وقال :

هل بعد [سن^٧] الأربعين تصابي
هل يستفعتك^٨ بعد شببك في الهوى
هيهات ما فخر المهند في الوغى
بجلي غمد فوقه وقراب

وهذا كقول المعري^٩ :

وإن كان في لبس الفتى شرف له
فما السيف إلا غمد^{١٠}ه والحمائل^{١١}

وقال^{١٢} :

أنت الذي قسم الزمان لنفسه
أعطى لمرتبة^{١٣} العلام^{١٤} نهاره
قامت على أسر^{١٥} الفخار^{١٦} عمادها
سهلت^{١٧} مداحيلها لطالب حاجة^{١٨}

قسمن بين رياسة^{١٩} ومتاب^{٢٠}
منها وجنح الليل للمحراب^{٢١}
وتزينت^{٢٢} بتأدب^{٢٣} الحجاب^{٢٤}
فكانت^{٢٥}ا بنيت^{٢٦} بلا أبواب^{٢٧}

١ ديوان المتنبي : ٢٦٨ .

٢ ص : ينفعك .

٣ شروح السقط : ٥٢٦ .

٤ منها بيتان في الشريشي ٣ : ٢٥٦ .

ووجدتُ بخطه ، وقد ^١مدحَ هذا الشيخَ الكِنَافِي رجلٌ من الأندلس
بشعرٍ اتهمه ^٢فيه وجرى في مجلسه بصقلية :

يا شاعِرَ العَصْرِ قد كَلَفْتَنِي شَطَطًا	فاصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنَّا ، أوتَانٌ خطا
حَمَلْتَنِي ذَنْبَ غَيْرِي ظَالِمًا وَأَنَا	قد كُنْتُ أَقْسِطُ فِي إِنْصَافٍ مَن قَسَطَا
وما حَسَدْتُكَ فِي شِعْرِ أُنَيْتَ بِهِ	وَمَن يَحَاوُلُ لِمَسًّا لِلْسَّهَى سَقَطَا
يا فَارِسَ الشَّعْرِ إِن كَلَّتْ فَوَارِسُهُ	يَوْمًا وَسَابِقُهَا ^٣ إِنْ أَعْلَمْتَ مَرَطَا
إِنْ أَبْنَدَرَا جِيكُم لَوْ قَامَ مِن جَدَثٍ	وَصِيحْتُ يَوْمًا بِهِ مِنْ خَلْفِهِ ضَرَطَا
وليس يحسُدُ طَبْعِي أَبْجَنِيَسَكُمُ ^٤	فكَيْفَ أَنْتَ ، لقد جَشَمْتَنِي شَطَطَا
فخُذْهُ قَفَا نَبِكَ ، وانسُبْهَا لِنَفْسِكَ مَا	فِي الْخَلْقِ مِنْ كَاشِفٍ بِالْبَحْثِ عَنْكَ غَطَا
ولا تَظُنَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مَكْرُمَةٌ	فَالْحُرُّ إِنْ رَامَ أَنْ يعلو به هِطَا

قلتُ أنا - صاحبَ الكِتَابِ : - نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِلَّا مَا
رَفَقْتَ بِأَسِيرَيْكَ ! فَاتَّهَمَا شَيْخَا الْعَشِيرَةِ ، وَلِيسَانَا الْجَزِيرَةِ ؛ فَلِنْ كَانَ
ولا بدًّا فالرَّمَادِيُّ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَقْلَّ طَبِيشًا ، وَأَوْدَعَ عَيْشًا ؛ وَأَمَّا ابْنُ
دِرَاجٍ فَمَنْخُوبُ الْقَلْبِ ، مُشْتَرَكُ اللَّبِّ ، يَكْفِيكَ مِنْهُ هَوَلُ الْإِتْهَامِ
وَالْإِنْجَادِ ، وَبَيْعُ الشَّعْرِ فِي سَوَاقِ الْكِسَادِ :

وقال من أخرى * : [١٠٩]

١ ص : حل

٢ يعني أتهم ابن فضال .

٣ ص : ومنابعها .

٤ أب جنيس : أبو جنيس وهي كنية الرمادي بمعجمة الاندلس (جنيش = الرماد) .

• منها بيتان في المسالك .

طَرَقْتَهُمْ بَيِّضَ الْهَيْندِ لَيْلًا فَعَادَ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ نَهَارًا
أُطِرَتْ فَوَادِهَا فِي الْجَوِّ ذُعْرًا لِبَرْقٍ فِي يَدَيْكَ قَدْ اسْتَطَارَا
بَنَيْتَ الْأَرْضَ فَوْقَهُمْ سَمَاءً وَقَدْ أَجْرَيْتَ مِنْ عَلَقٍ بَحَارَا
فَلَيْسَ تَرَكَ الْخَاطُ الدَّرَارِي وَأَنْتَ حَشَوْتَ أَعْيُنَهَا غَبَارَا

ومعنى هذا البيت والذي قبله كقول التهامي^١ :

فَدَحَوْا فَوْقَ الْأَرْضِ أَرْضًا مِنْ دَمٍ ثُمَّ ابْتَنَوْا [دُونَ] السَّمَاءِ سَمَاءًا

وقال من أخرى في الوزير أبي بكر بن عبد العزيز^٢ ببليسية :

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّكَّ أَنِّي حَالِمٌ وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى كَيْفَ يَحْلُمُ

ومن المدح :

وَقَمْتُ بَهَا بَيْنَ السَّمَاطِينَ مُنْشِدًا كَمَا يَتَغَنَّى الشَّارِبُ الْمَتْرَنُمُ
بِمَدْحِ أَمْرِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ عَفَاتِهِ يُخَيِّرُ فِيمَا عِنْدَهُ وَيُحْكِمُ
كَأَنَّ الَّذِي سَوَّاهُ قَالَ لِكَفِّهِ عَلَيْكَ لِهَذَا الْخَلْقِ رِزْقٌ مُقْسَمُ
لَقَدْ عَلِمَ الْمَأْمُونُ^٣ أَنَّكَ صَارِمٌ بِيُحْنَاهُ لَا يَنْبُو وَلَا يَتَلَمُّ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ الْمُلُوكَ كَثِيرَةٌ وَرَأَيْكَ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْزَمُ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٍ وَلَا كُلُّ مَصْقُولٍ صَفِيحَةٍ مَخْدَمُ

١ لم يرد البيت في ديوانه ، والقافية في (ص) : غبارا .

٢ مرت ترجمته في القسم الثالث : ٤٠ .

٣ ص : المأموم .

٤ ص : فقل .

وله من أخرى يَسْتَعِظِفُهُ لِأَمْرِ وَقَعَ ، وَلِلْكَلامِ عَلَيْهِ رَفِيع :

أَتَسْمَعُ فِي مَقَالَ الْوُشَاةِ وَإِنْ جِئْتُ بِالْعُذْرِ لَا تَسْمَعُ ؟
تَقْشَعُ غَيْمٌ بِكَفْتِي مِنْكَ وَصَوِّحَ فِي سَاحَتِي مُنْمَرَعُ
فَلَوْلَا اعْتِلَاقِي بِجَبَلِ الرَّجَاءِ لِمَا حَمَلْتُ قَلْبِي الْأَضْلَعُ
فَإِنْ كَانَ قَد مَاتَ حَظِّي لَدَيْكَ وَحَاشَاكَ بَلْ أَنْتَ لِي أَرْفَعُ
فَدَعْنِي أَيْتَضِرُّ بِشَيْبِي عَلَيْكَ فَلْيُبْسِرْ الْمَشِيبَ لَهُ أَفْجَعُ

وقد كرّر الحلواني هذا المعنى في شعير قد تقدّم إنشاده .

وقال من أخرى ١ :

نَجْمٌ تَوَلَدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ وَأَيْنَ مِنْ أَبْوَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ؟
شَمْسُ الْعَفَافِ وَبَدْرُ الْمَجْدِ بَيْنَهُمَا تَوَلَدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

وهذا كقول ابن عمّار يهنيء المعتمد وقد وُلِدَ له مولودان :

اهنأ بِنَجْلَيْكَ مِنْ أَثْنِي وَمِنْ ذَكَرٍ لَا تَعْدَمُ الضَّوْءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وهو من قول ابن الرومي ٢ :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَكَا كَوَكْبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا

وقد تقدّم إنشاده .

١ الشريشي ٤ : ٣١٤ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٢٣٢ وزهر الآداب : ٢٩٤ وهذه القصيدة في مدح أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدي .

ومن قصيدة الحلواني :

لا أقتضيك مَواعيداً بدأت بها كما تنفّس من أكماميها الزَّهرُ
ولا ألوِّمُكَ في تأخيرِ عاجليها من بعدِ عِلْمي بما يجري به القدر
أما ترى الله وهو الله مَوْعِدُهُ مُؤخَّرُ بنعيمِ الخُلْدِ مُنتظَرُ ؟

وقال :

وما كنتُ أدري قبل لؤلؤ ثغريه بأنَّ اللَّآلِي من نَبَاتِ المباسمِ

ومنها :

مَسَادِيَةٌ أنسابُهُ حِمِيرِيَّةٌ مُتَوَجِّةٌ بالمجدِ قبل العمامِ
فما انبسطتْ إلَّا بلُحُودٍ أَكفَتْهُمْ ولا انقبضتْ إلَّا لَضَبِطِ القوائمِ
يجرّونَ أطرافَ الرِّمَاحِ إلى الوغى كما جرّتْ العِقبانُ سُودَ الأرقامِ

ومعنى البيت منها كقول الآخر :

وما خلقتُ كَفَاكَ إلَّا لأربَعِ عَقَائِلَ لم تُخلَقْ لهنَّ يَدانِ
لِتَقْلِبَ^١ هِنْدِي وإعطاءِ نائلِ وتَقْبِيلِ أفواهٍ وَقَبْضِ عنانِ

وقال الحلواني^٢ :

يا نفسُ ويحكِ في التغرُّبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسِي أذَى وهوانِ
وإذا نزلتَ بدارِ قومٍ دارِهِمِ فلهمْ عليكَ تعزُّزُ الأوطانِ

٢ الشريشي ٢ : ٢٥٨ .

١ ص : لتقبيل .

فالشَّمْسُ أَشْرَفُ مَا تَكُونُ بِكِبْشِهَا وسقوطُها في كَيْفَةِ المِيزَانِ

وصدرُ هذا البيت الأخير كقول الآخر^١ :

إذا غدا مَلِكٌ باللهوِ مُشْتَغِلًا فاحْكُمْ على مُلكِهِ بالوَيْلِ والحَرْبِ
أما ترى الشَّمْسَ في المِيزَانِ هابِطَةً لما غدا وهو بُرْجُ اللّهُوِ والطَّرَبِ؟

وزارَ بعضَ إخوانِهِ فحجَبَهُ فخطَبَهُ بِرُقْعَةٍ يَقولُ في فصلٍ مِنْهَا :

تصدَّيْتُ لِقَاءَ سَيِّدِي تَصَدِّيَ المَحَبِّ الكَتِيبِ ، لِقَاءَ رَسولِ الحَبِيبِ ،
وطفُفْتُ بِبَابِهِ الكَرِيمِ ، طَوافَ الحَجِيجِ بِالْبَيْتِ العَظِيمِ ، فَحالَ عُثُورِ
الجَدِّ ، عَنِ مُطالَعَةِ القَمَرِ السَّعْدِ ، وَمَنَعَ سِوَةَ البَحْتِ ، عَنِ لِقَاءِ الكَرَمِ
البَحْتِ ، فَحدَسْتُ أَنَّ سَيِّدِي-وَقْتَهُ-ظَفِيرَتُ يَدَاهِ بَيْنَ يَهوَاهِ ، فغَابَ مَغِيبَ
القَمَرِ ، تَحْتَ غَمَامِ الظَّفَرِ ، وَتَعاطيا بِكَأْسِ الوِصالِ ، مُدَامَتِي السَّرورِ
والجُريالِ ، وَضَيِّقَ بَضِيقِ العِناقِ ، مَجْرَى الوِشاحِ والأَطواقِ : هَناهُ اللهُ
بِلَوْغِ أَمَانِيهِ ، وَهَناهُ فِيهِ بِمَا يُرْضِيهِ . فحِياتُنَا بِسُرورِهِ مُرتَبِطَةٌ ، وَنَفوسُنَا
بِمَا يَشْتَهِيهِ مُغْتَبِطَةٌ .

١ هو أبو الفتح البستي ، والبيتان في اليتيمة ٤ : ٣١٥ وزهر الآداب : ٣٩٧ .

٢ اليتيمة والزهر : برج نجم اللّهُو .

فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي^١

وكان لساناً بهذا الأفق عن العرب أعرب ، وكوكباً من المشرق غرب ، ولم يقع لي عند إكمال هذا الديوان ، وإخراجه من الخبر [١١٠] إلى العيان ، من شعره ، إلا ما لا يكاد يُعرب عن قدره . ومن أشهر خبر بلغني عنه^٢ أنه حضر يوماً مجلساً المعتمد وقد أدخل إليه جملةً وافرةً من دنائير الفضة ، فأمر له بخريطتين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الجوهر ، فقال له أبو العرب على البديهة معرّضاً : ما يحمل هذه الدنائير — أيدك الله — إلا جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال أبو العرب على البديهة :

١ مصعب بن محمد بن أبي الفرات بن زرارة القرشي العبدي ، أبو العرب : ولد بصقلية سنة ٤٢٣ وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة ٤٦٤ قاصداً المعتمد ، فدخل إشبيلية في شهر ربيع الأول من السنة التالية (٤٦٥) وكان إلى شهرته بالشعر عالماً بالأدب ، روى عنه بعض الأندلسيين كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة ، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي . ويذكر ابن الأبار أنه توفي سنة ٥٠٦ إلا أن ابن الصيرفي يقول : وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه سمي بالأندلس ؛ وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة كانا متجاورين ، وكان هو رجلاً طويلاً بينما كان ابن اللبانة دحداً (التكملة : ٤١١) (انظر ترجمته في التكملة : ٧٠٣ والخريدة ٢ : ٢١٩ والسلفي : ٦٨ ، ١٣٨ والمسالك : ٤٥٦ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ وعيون التواريخ ١٢ : ١٦) (نقلاً عن الذخيرة) ورايات المبرزين : ١١١ والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النفع وبدائع البدائع والمنازل والديار : ١٢٨/١ ، وعنوان الأريب ١ : ١٢٣ وقد أشرت إلى بعض مصادر ترجمته في القسم الأول : ٩٠ .

٢ وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البدائع : ٣٧٣ والنفع ٣ : ٥٦٩ : ٢٦٠ ، ٢٦١ وعيون التواريخ .

أَجْدَيْتَنِي أَجْمَلًا جَوْنًا^١ شَفَعَتْ بِهِ حَمَلًا مِنْ الْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَوْ حَمَلًا
 سَمَاحٌ^٢ جُودِكَ فِي أُعْطَانٍ مَكْرَمَةٍ لَا قَيْدَ يَعْرِفُ مِنْ مَنَعَ وَلَا عُقْلًا
 فَأَعْجَبَ لَشَانِي فَشَانِي كُلَّهُ عَجَبٌ رَفَهْتَنِي فَحَمَلْتُ الْحَمْلَ وَالْحَمَلًا
 فطارت يومئذ بهذا الخبر الركائب ، وتهادته المشارق والمغارب ،
 وذكرته شعراء الوقت ، ورأيت في ذلك عدة قصائد لغير واحد ، ولم
 أحفظ منها إلا قول بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد ، من جملة قصيدة
 استُبرِدَتْ بِحَمَلَتِهَا ، قال فيها :

يَا مَنْ بِجُودِ يَدَيْهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ وَمَنْ مَوَاهِبِ الْأَمْصَارِ وَالْدُّوَلُ
 بِحَدِّ جُودِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَبَدًا يَا خَاتَمَ الْجُودِ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدُمُ
 عِنْدَ ابْنِ حِمَادٍ فِي ذَالِ الْمَكَانِ عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ وَالْأَخْبَارُ تَسْتَقِلُّ
 جَرَى حَدِيثُ الصَّقْلِيِّ الثَّابِتِ عَلَى شَعْرِ فِصَارٍ إِلَيْهِ الْحَمْلُ وَالْحَمَلُ

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها :

لَوْلَا السَّرَى فِي ذِمَامِ الصَّارِمِ الذِّكْرُ لَمْ أَطْرُقِ الْحَيَّ فِي أَمْرِ عَلَى خَطَرٍ
 مَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ مَوْرُودًا عَلَى ظِلِّ أَشْهَى إِلَى الصَّبِّ مِنْ وَصْلٍ عَلَى حَذَرٍ
 قَالَتْ تَجَشَّمَتْ فِي سُبُلِ الْهَوَى غَرَرًا قُلْتُ الْمَتَيْمُ مُقْدَامٌ عَلَى الْغَرَرِ

١ النفع : أعطيتني ، أهديتني ؛ عيون : أهديتني .

٢ ص : أحورا .

٣ النفع والعيون : نتاج ؛ البدائع : يناع .

٤ النفع : تصرف .

٥ ص : غرر .

لا كالحَيَّوبِ حَمَاهُ الخُوفَ بُغِيَّتُهُ
نُوقَ رَقَبَةً أَعْدَاءُ عِيُونُهُمْ
قُلْتُ الْيَمَانِي حَلِيفِي مَا يُفَارِقُنِي
رَضِيَّتُهُ دُونَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ أَخَا
لَا حَ السَّنَا فَاذْبَرْتُ مِنْ سَاعِدِي فَرَقَا
صَدَا كَوَحْشِيَّةٍ هُمْ الْإِنْسُ بِهَا
تَكْفُ بِالْفَرْعِ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهَا
حُتُّوا الْمُطَيَّ [. . .] إِنَّ لَهَا
حَتَّى تُسَيِّخَ بَرَبَ الْمَجْدِ مِنْ يَمَنٍ

تَهَيَّبَ الْوَرْدَ حَتَّى عَادَ بِالصَّدْرِ
أَذَكَّى مِنَ الزُّرْقِ فِي الْخَطِيئَةِ السَّمْرِ
[إِنِّي] بَغِيرَ الْيَمَانِي غَيْرُ مُنْتَصِرٍ
مَا غَيَّرَتْهُ صُرُوفُ جَمَّةٍ الْغَيْرِ
نَجْرُ ذِيلاً يَعْضِي شَاهِدَ الْأَثَرِ
إِلَّا التِّفَانَا بِجِيدِ الْخَائِفِ الْحَسْرِ
كَي لَا تَمُدَّ بِيَاضَ الصَّبْحِ بِالْقَمَرِ
عَقَبَى الْإِقَالَةَ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ ضَمَرِ
فِي قُبَّةِ الْمَلِكِ رَبِّ الشَّعْرِ مِنْ مَضَرِ

ومنها في ذكر جواز المعتمد البحر :

مَا كَانَ عِنْدَكَ هَوْلُ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ
جُوداً بِنَفْسِكَ إِلَّا جَرِيَّةَ النَّهْرِ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى ١ :

أَحَادِيثَنَا هَذَا الرَّبِيعُ فَخِيمٍ وَأَمْنِيَّةُ الْمُرْتَادِ وَالْمُتَوَسِّمِ ٢
وَحَطُّ بَنَّا عَنْ نَاجِيَّاتٍ كَانَتْهَا قَسِي رَمَتْ بَنَّا الْبِلَادَ بِأَسْهَمِ

وقد قدمت من هذا المعنى جملة في ما مرَّ من الكتاب ٣، ومنه قول الطنبي ٤

١ يقول ابن الصيرفي إن هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها أبو العرب المعتمد ؛ ومنها في

الخريدة خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ : ١٩ .

٢ الخريدة : والمتيمم .

٣ الذخيرة ١ : ٨٩ - ٩٠ . ٤ ص : الطنبي .

شاعر الحكم ، مما أنشده ابن عبد الرؤوف^١ :

قد نَصَبْنَا مِنَ الْوَجِيفِ وَأَنْضَيْتُ نَا قِيَاصاً سَيَاطِهِنَ الْكَلَامُ
فَكَأَنَّ الرِّكَابَ وَالرَّكْبَ لِلضَّمَةِ ر قَسِيٍّ مِنْ فَوْقِهِنَّ سَهْمٌ سَامُ

وفي هذه القصيدة يقول :

وقد يبلغُ التأويبُ أقصاهُ والسرى
وما طَلَبْتُ إِلَّا فِئَاءَ مُحَمَّدٍ
جعلتُ إليه همتي وعزيمتي
فقالَ ليَ الفالُ الصَّدوقُ مُبَشِّراً
وأقبلتُ بَابَ الْإِذْنِ فَاسْتَأْذِنَ النَّدَى
فَرَفَعَ^٢ عَنْ ذَاكَ الْبَهَاءِ حِجَابُهُ
فَقَبَّلْتُ يَمْنَى رَاحَتِيهِ كَأَنِّي
نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالْمَهَابَةُ دُونَهُ
بلى ورأيتُ الشمسَ والبدرَ والعلا
فَأَغْضَيْتُ عَنْهُ الْعَيْنَ أَوَّلَ نَظَرَةٍ
كَأَن عَيَانِي كَانَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
فلا تَشْتَكِي عَيْناً وَلَا تَنْتَظِلْمِي^٣
وهل دونه للركبِ من متلـومٍ
فناولناه بَعْدَ حَوَلٍ مَجْرَمٍ
قدمتَ على التوفيقِ أَيْمَنَ مَقْدَمٍ
على ملكٍ واني الجلالِ معظَمٍ
وقيلَ اسْتَلِمَ أُنْدَى بَنَانٍ وَسَلِمَ
أَقْبَلُ رُكْنَ الْبَيْتِ سِيرَةَ مُحْرَمٍ
فقسمتُ لحظي بين بدرٍ وضيغمٍ
مجسمةً في جوهرٍ متجسمٍ
ومن يرَ عينَ الشمسِ لا يتوسم
فلم ألقه إِلَّا بعينِ التوهم

١ هو محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي - مولا هم - أبو عبد الله ، كان عالماً باللغة والأخبار والتواريخ وألف كتاباً في شعراء الأندلس وتوفي سنة ٣٤٣ .

٢ ص : يشتكي عيناً . . . يتظلم .

٣ ص : ترفع .

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى^١ :

وقد أزار ، ولزوار حكمهم
وأفضلُ البرِّ برٌّ يقتضي طرباً
والدَّجْنُ يبعثُ همّي من مكانه
والسُّحْبُ للأرضِ بالسُّقيا مواصلةً
سَحٌّ وهطْلٌ وجودٌ صوبُ درهما
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهةً
والنفسُ . ما انفردت بالجدِّ ، متعبة
بَرَمْتُ باثنين ضاقَ الصدرُ بينهما
وكلُّ ربيعٍ وإن حلَّ الجميعُ به
وقد حللتُ كناساً لا أروعُ به
كاللثِّ عاد كسيراً لا افتراس به

عندي من البرِّ والإيناسِ والأدبِ
وأعوزتني أمُّ اللّهُو والطربِ
والشمسُ ما أخلفتها الريح لم تغب
حتى ارتوت فاستكفّت أبيض السحبِ
فسحَّ أنت بها واهطلَّ وجدٌ وصُبُّ
كما تعاطتْ أكفُّ الشربِ بالنتخبِ
حتى تراوحَ بين الجدِّ واللعبِ
فقدُ المدامةِ واستيحاشُ مغتربِ
قفزُ إذا لم تكن فيه ابنة العنبِ
حورَ الظباء وإن أعرضن من كُثْبِ
يطوي على زفراتٍ نفسَ مكتئبِ

وقال في الزهد^٢ :

أرى الدنيا الدنيّة لا توائي
ولا يتغررك منها حُسنٌ بُرْدِ
فأؤله رجاءً من سرابٍ

فعالج في التصرّف والطلابِ
له علّمان^٣ من ذهبِ الزهابِ
وأخره رداءً من ترابِ

١ منها سبعة أبيات في عيون التواريخ : ١٨ .

٢ منها بيتان في طراز المجالس : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٩٨ وهي في العيون : ١٩ .

٣ ص : بردان ، والتصويب عن الشريشي .

ولما نفذت الأقدار ، بالقبض على ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار ،
بشقورة ، على الصورة المذكورة ، حسب ما شرحته في أخباره ^١ ، قال أبو
العرب للمعتمد من جملة قصيد ^٢ :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ كَفَلَكَ إِنْ يَسِيرُ ^٣ بِهَا هَارِبٌ ^٤ تَجْمَعُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
فَأَيْنَ ^٥ يَفِرُّ الْمَرْءُ عَنْكَ بِجَرْمِهِ إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ الْمَرَاكِحَ

وهذا المعنى قد تداولته جماعة من الجاهليين والمخضرمين ، والمحدثين
والمولدين ، وأرى أن أولَ مَنْ أَثَارَهُ ، ورفعَ مناره ، النابغة حيث يقول ^٦ :

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرُكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْكَ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ
خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعِ

وأخذه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله العلوي ، وقد بعث
إليه الرشيد من اغتاله بالمغرب ^٧ :

أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُنْقَلَبٌ كَيْدَ الْخِلَافَةِ أَوْ يَقِيكَ حَذَارُ
إِنَّ السَّيُوفَ إِذَا انْتَضَاهَا عَزَمَهُ طَالَتْ وَتَقَصَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ

-
- ١ انظر القسم الثاني : ٤١٥ وما بعدها .
 - ٢ البيتان في الخريدة ٢ : ٢٢١ والريحان والريمان ١ : ١٥٦ ب والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .
 - ٣ الخريدة : كأن فجاج الأرض يملك .
 - ٤ الخريدة : خائف .
 - ٥ الخريدة : فأنى .
 - ٦ ديوان النابغة : ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٣١ والمؤلف يتابعه ، والشريشي ٣ : ١٧ والعيون : ١٦ .
 - ٧ زهر الآداب ، نفسه والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

هيهاتَ إلاَّ أن تكونَ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار
وقال البحرى^١ :

سُلبوا وأُشْرِقَتِ الدماءُ عليهمُ محمّرةٌ فكأنهم لم يسلبوا
ولو أنهم ركبوا الكواكبَ لم يكن ليَجِيرَهُم من حدٍّ^٢ بأسكَ مهرب
وقال عبيد الله بن طاهر^٣ :

ولاني وإن حدثتُ نفسي بأنني أفوتكَ إن الرأي مني لعازبُ
لأنكَ لي مثلُ المكانِ المحيطِ بي من الأرضِ أنى استنهضتني المذاهبُ
وقال سعيد بن حميد^٤ :

يا باخلين علينا في حكومتهم والخورُ أقبحُ ما يؤتى ويرتكبُ
لسنا إلى غيركم منكم نفرٌ إذا جُرّتم ولكن إليكم منكم الهرب
وقال المتنبي^٥ :

فإنك كالدنيا إليَّ حبيبةٌ فما منك لي إلاَّ إليك ذهابُ
والذي هو أشبه وأقرب ، بقول أبي العرب ، ومنه أراه نقل ، وعليه

١ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعيون : ١٧ وديوان البحرى : ٧٦ .

٢ الديوان : لمجدهم من أخذ .

٣ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعمدة : ٢ : ١٧٩ والعيون : ١٧ .

٤ عيون التواريخ : ١٧ .

٥ العمدة : ٢ : ١٧٩ وديوان المتنبي : ٤٨٢ والعيون : ١٧ .

عول ، قول الأول ١ :

كانّ بلادَ الله وهي عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كفةٌ حابلٍ
تؤدي إليه أنّ كلّ ثنيةٍ تيمّمها ترمي إليه بقاتل

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كل معنى جبلٌ ممدود ، يحلّ لنا الشرط
المعقود ، من إيثار الاختصار ، وقد مرّ منه في تضاعيف هذا التأليف جملة وافرة .

في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله

محمد بن الصباغ الصقلي ٢

أحد أدباءٍ وقتِه المشاهير ، وكلامُه يُعرب له عن أدبٍ كثير ، وحفظٍ غزير ،

فصل له من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزّيه
في هرة نفقت له ، وجلس للعزاء عنها تاجناً ، قال فيه :

[الحياة] لبني الدنيا مراحل ، والمنايا لجميعهم مناهل ، والأعمارُ كالأسفار ،
منها القريبُ الوصول ، العاجلُ الحلول ، ومنها البعيد الشقة ، الشديد المشقة ،

١ وردا في الأغاني ١٣ : ١٦٣ منسويين لعبد الله بن حجاج وهما في الكامل ٣ : ١٣١ والحيوان
٥ : ٢٤٠ - ٢٤١ وحماسة البحّري : ٢٦٠ ومجموعة المعاني : ١٣٨ وينسبان أحياناً
لقتال الكلابي (انظر ديوانه : ٩٩) وعيون التواريخ : ١٧ .

٢ لعله هو محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي الذي وردت ترجمته في المحدثون : ٦٨
نقلا عن الدرة الخطيرة لابن القطّاع .

أنفاسٌ معدودة ، وآجالٌ معدودة ، وليس بناجٍ من محتومها أحد ، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَدٌ ، وانتهى إليَّ - سهل ^١ الله الصبر الجميل سبيلك ، وأطفأ ببردِ السَّلْوانِ غليلك - نبأٌ جَلَلٌ ، وخطبٌ مُعْضِلٌ ، وهو مصابك بشقيقة نفسك ، وموضعِ راحتك وأنسِكَ ، وربِّية حِجْرِكَ وحجرتك ، وآلة حَبِطَتِكَ ^٢ على حنطتك ، وكائلة ذخائرك وقُنْيَتِكَ ، واستحواذ فجيعتها على لُبِّكَ ، وما عاجلتها به من ذَرُورٍ وحنوط ، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب ، وإبقائك إياها طويلاً في المحراب ، وألبتكَ عليها لتدعون ^٣ إلى [١١٢] جنازتها مائماً يَشْقُقْنَ عليها جيوبَ المدارع ، ويُفَضِّنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع ، ويُعُولِنَ عليها بالصراخ والنياح . ويُذَرِنَ لمصرعها شعورهنَّ مع الرياح .

وفي فصل : ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ المَلَحَ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها ، والمدَحَ التي ^٣ تورد في أعراقها وأنسابها ، والغرائب التي تذكرُ عن قوتها وأيديها ، وحيلها وكيدها ، ومكرها بالفارِ وصيدها ، ولعمري ما أفرطتَ في نعتها بل فرطتَ ، وما صرَّحتَ بجميع محاسنها بل لوَّحت ، فلقد كانت لبؤةً إلاَّ أنها تدعى هِرَّةً ، ونمرةً إلاَّ أنها أكثرُ منها شِرَّةً ، ذات نابٍ مطلول ، وساعدٍ مفتول ، وخصرٍ مجدول ، ريانة الكاهل ، ظمآنة الأسافل ، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح ، وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح ، وتعتدُّ من مخالبتها بأمضى من السلاح ، وتسطو من

١ لعل الصواب : جعل .

٢ س : حمطتك .

٣ ص : الذي .

٤ ص : ونسبها .

جرأتها بمثلِ القديرِ المتاح ، لينةُ الوبرِ كالسَّمُور . سوداءُ الشعرِ كالديجور .
 مأمونة الجيب ، بظهرِ الغيب ، عظيمةُ النفس ، لطيفةُ الحس ، أمانةٌ على
 اللحم الموضوع . ولو شفتها فرطُ الجوع . وما خانت قطُّ أمانة . ولا رضيت
 يوماً خيانة ، فهي عُوْذة الدار ، من الفار ، وعهدُ الأمان ، من الجرذان .

قال ابن بسام : وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها
 ثم باعها ، وندم فحاول استرجاعها ، فزعم المبتاع أنها حامل – وللقعيني في
 ذلك أشعارٌ كثيرة – فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها : كشف الله عن
 قلبك أيها الأديب الحسيب زينَ الشهوة . ومحا من لبك شَيْنَ الهفوة . فعلى
 رأيك يعتمد من اختلف آراؤه . ومهديك يهتدي من أضلَّ القصد . وبه
 يقتدي من عُدِمَ الرشد . ونقل إليَّ بعض من يعرفُ أحوالك ، ويشارفُ
 فعالك . خبراً يصمُّ السمع ، ويضيقُ الذَّرْع . وذلك أنك نبذت من
 يدك كُرتك المتكفشة : فتلقاها من أحمدت صولجانه . وأخرجت عن
 ملكك ضفدعتك المريعة . فتناولها من استحسنت غدرانها ^١ . وبلغك من
 إقبالها عليه ، وانصرافها بكليتها إليه ، ما أضرمَ قلبك شوقاً لا تحبوا ناره ،
 وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره . فأنشرت للناس من نفسك قيسَ
 الأخيلية ^٢ . وأحييت لهم منك مجنون العامرية ، وعضضت على بيعتها
 أناملك ، وأنضيت في طلبها زواملك . وأطلت في وصفِ شوقك لها وأوجزت .
 وقصّدت في ذكر الأسف عليها ورجزت ^٣ ، وجمعت لها من المحاسن ما

١ ص : غدرانها .

٢ حقه أن يقول : توبة الأخيلية .

٣ ص : وقصرت . . . وذخرت .

افترق ، وفتحت من البدائع فيها ما انغلق ، وجعلتها نبض^١ حياتك ، وموضع
شكّاتك ، وسُعنة^٢ أوطارك ، وجونة عطارك :

ففيها عنبرُ الهندِ وفيها مسكُ دارينِ
وفيها قصبُ نَعْمانِ وفيها كُثْبُ يبرينِ
وفيها قامتِ الحربُ كما كانتِ بصفينِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجِّمة : والألسنةُ عنك مُتَرَجِّمة ، والأقوالُ
فيك كثيرة . والأيدي إليك مشيرة ؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبْصِرْ بصيرتُكَ
هذا العوار وشهابها ثاقب ، ولم تعفْ نفسك السامية هذه الأقدار وإباؤها
واجب . شدّ ما ملكتك سورة الغرارة وأنت كهلٌ أمين ، وهفّت
بلبتِكَ هفّواتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين ؛ أفي الحقّ أن أستفرغَ قلبك
فلا يخلو ، وأنشدك فلا تسلو :

ندمتَ ندامةَ الكُسمي لما تبَطَّنْها يباضعها سواكا
رأتُ ما سدّ كعبها وأودى بيغْلَمَتْها فلَجَجَتْ في جفاكا
فلا تذهبْ بلبتِكَ طائشاتُ من الصَّبّواتِ واسترجعْ نهاكا

ما لك وللتماذي في غُلّوائك ، والزيادة في بُرْحائك : نهنيه قلبك ،
وراجعْ لبتك ، واذكر خَلْقَها وخُلُقَها ، وتأملْ وجهها وعُنُقَها ،
وانظر خَدَّها وقَدَّها ، وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها ؛ والله ما رأيتُ

١ ص : بفيض .

٢ ص : وحصنة ؛ والسعنة : القرية ينبذ فيها ، وربما وضعت فيها المرأة غزلها وقطنها .

شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان ، ولا مَقَلْتُ مُقَلَّتْهَا إلا ذكرتُ السرطان .
وَأَيَّةُ ضَفْدَعَةٍ ماءٍ تَعَشَّقَتْ ، وقرنبي بها تعلقَتْ ، لقد وري زَنْدُ مَنْ
خرجت من يديه ، وتَعَسَّ جَدُّ من صارت إليه .

وفي فصل منها : فهنيئاً أبا حفص راحةٌ بصرك من شخصها المقيت ،
وفراغٌ قلبك من الكبدِ بِخَلْقِهَا الميت ، لو غَسَلْتُهَا بكلِّ ماءٍ في البحر ،
وطيبتها بكلِّ عنبرٍ في الشحر ، وضمَّختها بملابٍ كلِّ عطار ، وفَتَّتْ عليها
من المسك ألفَ قنطار ، ما ازدادت مع الطيب [١١٣] إلا دَفَراً ، ومع الغسل إلا
وَضَراً ؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميّ في من لا يشبهها الا في
سوادِ الجلد ، ولا يَشْرُكُهَا إلا في النسبةِ إلى الجَدِّ ، يقول ^١ :

أَكْسَبَهَا الْحَبَّ أَنَّهُ صَبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ

وقال الآخر :

مُشَبَّهَاتُ الشَّبَابِ وَالْمَسْكِ تَفْدِيهِنَّ نَفْسِي مِنَ الرَّدَى وَالْكَرُوبِ
كَيْفَ يَهْوَى الْفَتَى الْأَدِيبُ وَصَالَ الْبَيْضِ وَالْبَيْضُ مُشَبَّهَاتُ الْمَشِيبِ

هيهات ! هنا يقال : ظُنَّ ^٢ تَخِيبٌ ، واقلبْ تُصِيبُ ، ما كلُّ بِيضَاءٍ
شَحْمَةٌ ، ولا كلُّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةٌ . فأمسك عنها فقد سَلَتْ عَنْكَ ، وابرأ منها
فقد بَرَرْتُ مِنْكَ ، واستصغرت آلتك ^٣ ، واعتاضت منك بزعمها أكبر

١ زهر الآداب : ٢٣٠ وقد استشهد به ابن بسام من قبل في القسم الأول : ١٥٠ .

٢ ص : ظنون .

٣ ص : واستصغر إليك .

أيرا وأكثر خيرا ، ووصفت عنه من نشاطِ العُدَّة ، وإفراطِ العِيدة ،
ما شُرِّحت به صدرا ، وأوسعت عليه شِكْرًا .

وفي فصل منها : وأما قولك : ما الذي أعجبها من دمامته ، ورقِصرِ
قامته ، وعِظَمِ هامته ، ووسخِ عمامته ، حتى شغفها حُبًّا ، وأصبحَ فؤادها
به صبيًّا ، فنعم :

أعجبها من خلقه قُحْدٌ عُجَارُمٌ ضَخْمُ الْقَذَالِ^١ نَهْدٌ
مَامِلُمُ الْأَقْطَارِ عَبَلٌ جِلْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ^٢ أَوْ أَشَدُّ

ولو كنت ممن يُرِيسُ بالنهار ، وَيُسْبِغُ بالليل ، كما حكى عنه ،
لما واجهتك بما لا تريد ، وباعت صُحْبَتَكَ في من يزيد^٢ ، فانقضَّ غَزْلُ
حبك لها أنكاثًا . وطلتْ علاقةَ قلبك بها ثلاثًا .

فراجعهُ القعيني برقعةٍ طويلةٍ انتصر فيها لنفسه هنالك ، وأقام حججاً
على صواب ذلك .

فأجابه الصقلي برقعة أخرى يقول في فصل منها : زعمت أنك شديدُ
الغرام ، بشقيقةِ الظلام . وأني أخطأتُ في عَتَبِكَ على حبِّها ، وظلمتُ
في نهيك عن قربها ، وجعلتُ أشعارَكَ في النسبِ بها حجةً لتمييزك . وإنكارَ
التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك ، وطفقتُ تنشُدُ رافعاً عقيرتك ، مستصغراً
كبيرتك :

١ ص : العدال

٢ ص : تريد .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَوْلَى مُلْكَتِهِ يَدِي وَدَّعْتُ إِلَّا شَجُونِي إِذْ أَوْدَعَهُ
 جِسْمٌ مِنَ الْمَسْكِ أَقْصَتَهُ النَّوَى فَمَضَى وَفِي ١ ذَوَابَّتِهِ عِنْدِي تَضْوَعُهُ
 وَبَدَرَ تَمَّ تَقَاضَاهُ الْأَفُولُ فَيَا وَيَلِي طَوِيلًا وَعِنْدِي كَانَ مَطْلَعُهُ
 عَمَدِمَتُهُ ذَهَبًا لَوْنًا وَفَائِدَةً وَاذَلَّ ٢ مِنَ لَيْسَتِ الْآدَابُ تَرْفَعُهُ
 يَا قِطْعَةً مِنْ فَوَادِي جَذَاهَا قَدَرٌ حَتَّمًا تَجْفُوهُ عِدْوَانًا وَتَقْطَعُهُ
 أَهْوَى الْأَصِيلَ إِلَيْهَا مِنْ مَلَابَسَةٍ ثَوْبًا بَهِيًّا وَلَكِنْ لَيْسَ تَخْلَعُهُ

فَجَعَلْتُهَا مَسْكًا فَتِيْقًا ، وَذَهَبًا عَتِيْقًا ، وَقِطْعَةً ٣ مِنْ فَوَادِكْ ، وَمَصْنُوعَةً
 لَوْدَادِكْ ، وَسَبِيًّا لَانْقِيَادِكْ ، وَأَلْبَسْتُهَا مِنَ الْأَصِيلِ ثَوْبًا لَا يُخْلَعُ ، وَدِرْعًا
 لَا يُسْتَرَعُ ، وَزَعَمْتُ أَنَّكَ اخْتَرَعْتَ فِي هَذَا النَّسِيبِ مَعْنَى ٤ لَمْ يُسْمَعْ ، فَانْتَصَرْتَ
 لِمَذْهَبِكْ ، وَحَلَيْتَ عَاطِلَ مَرْكَبِكْ . وَمَا أَدْرِي مَا أَقْبَلُ مِنْ شِعْرِ يَنْكَ .
 وَلَا مَا آخِذُ مِنْ قَوْلِيكَ ، أَهَذَا الْأَوَّلُ الَّذِي زَعَمْتُ أَنَّكَ قَلْتَهُ فِي عُنْفَوَانِ
 الصَّبَابَةِ ، وَإِفْرَاطِ الْكَآبَةِ ، أَمْ حِينَ ٥ جَلَى اللَّهُ [عَنْ] بِصِيرَتِكَ غَيَايَتَهَا ،
 وَكَشَفَ ٦ عَنْهَا عِمَائَتَهَا — حِينَ قُلْتَ :

يَا سَوْءَ مَا اخْتَرْتُهَا فِي الْحَبِّ ضَفْدَعَةً جَحَوْظَ عَيْنٍ وَقَدْ أَمْفَرَطَ الْقَصْرِ
 إِذَا أَرَدْتُ نِكَاحًا وَهِيَ جَمْرَةٌ ٧ عَطْرًا أَرَتْ خَلْقَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَدَرِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ جَلَى فِي الْغَرَامِ بِهَا بِصِيرَتِي فَرَأَى أَقْدَارَهَا بِصِرِي

فَمَتَى عَادَتِ الضَّفْدَعَةُ غَزَالًا ، وَصَارَ هَذَا النِّقْصُ كَمَالًا ؟ ! وَشَدَّ مَا عَمِيَّتْ

١ ص : وَتَبَقَى فِي .

٢ ص : جَبَل .

٣ ص : مَجْهَدَةٌ .

٤ ص : وَكَشَفَتْ .

بصيرتُكَ بعد جلائها ، وتساحت^١ سيادتكَ بعد إبانها ، وطمئت إلى سؤر
 هذا الجازر ، وهو من لبنِ حازر . أتراها بعد أن اختبرت عَرْدَه ، وبَلَّتْ
 زَوْجَه وفردَه ، وذاقَتْ صابَه وشهدَه ، ورأتُ كلَّ ما يسرها عنده ،
 تصبرُ على دِقَّةِ مِسْبارِكَ ، وترضى مِلَّةَ خُشْكارِكَ ، وهيهات ما سَوَّلَتْ
 لك الأحلام . والله لو عادتِ إلى ملكك ، ما ملتُ من فَرَكِكَ . ولا رجعت
 عن تركك . ولو جعلتَ السندسَ لها بُسْطًا ، والثريّا في أذنيها قرطًا ، وصيرتَ
 بني حام كلّهم لها خَوَلًا ، وحشرتَ عليها كلَّ شيء قُبُلًا ، ما كانت
 لتُقْبِلَ عليك ، ولا لتصرف وجهه محبتها إليك .

وفي فصل : وأما ما ذكرت من خُلَيْدَة^٢ التي ادعيتَ عشقَها عليّ ،
 ونسبتَ حبّتها إليّ ، فقد أذكّرني الطعنَ وكنت ناسيا ، قد كنتُ رأيتها
 في المعرض ، وعندي من الارتياحِ إلى الملاح ، ما عند الغصونِ لهيف الرياح ،
 ومن الشَّغْفِ^٣ في أمثالها إلى اللقيا ، ما بالرياضِ إلى السقيا [١١٤] فرأيتُ لثامها قد
 حُطَّ عن بدرِ كمال ، وإزارها قد غصَّ بردفِ ريتان ، وسرّحت طرفي
 منها في روضةِ حُسْنِ أريضة ، وحديقةِ جمالِ أنيقة ، وأعطيتُ مولاهما
 فيها السَّوْلَ ، وبلَغَتْهُ في ثمنها المأمول ، وسألها بعضُ التجار ، عن الدار
 وعن النّجار ، فترجمتُ عن منصبها ، وأعربتُ عن نسبها ، بغرائبِ ألفاظ ،
 عزيز سماعٍ مثليها بسوقِ عكاظ ، مسخت القاف كافا^٤ ، وردّت الأوصاف
 « أوسافا » ، فقَبَّحتُ بذلك الكلام حُسْنَهَا ، ورجمتُ الأسماعَ بِلَغَةِ كَأْنِهَا :

١ ص : وتشاحت .

٢ ص : جليدة .

٣ ص : السفن .

٤ ص : الكاف قافا .

• بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ •

فَعَادَ مُبَرَّمٌ حَبِي لَهَا سَحِيلًا ، وَلَمْ تَسْوِ عِنْدِي لَذَلِكَ فَتِيلًا . وَمَا عَجِبْتُ
كَعَجْبِي مِنْ وَصْفِهَا بِقِصَرِ الْخَطَا ، وَتَشْبِيهِهَا بِإِبْهَامِ الْقَطَا ، فَإِنْ كَانَ
نَقْدُكَ فِي الشَّعْرِ وَمِرَامِيهِ ، وَاقْتِضَابُكَ لَغَرِيبِ مَعَانِيهِ ، بِهِذِهِ الْقَرِيحَةُ الصَّافِيَةُ ،
وَالْبَصِيرَةُ النَّافِذَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ ، فَقَدْ فُتَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ سَبَقًا ، وَبَرَزْتَ
عَلَى الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ صَدَقًا . كَيْفَ جَازَ عَلَيْكَ هَذَا الْغَلَطُ وَأَنْتَ صِيرْفِي
الْكَلَامِ ، مَعْنَوِيَّ النِّظَامِ ، وَغَيْرُكَ بِذَلِكَ التَّشْبِيهِ كَانَ أَلِيْقَ ، وَهُوَ بِهِ أَعْلَقَ ،
تِلْكَ بِيضَاءُ قَصِيرَةٍ بَزَعَمَكَ ، وَهَذِهِ سُودَاءُ دَحْدَاحَةٍ بَزَعَمَكَ :

قَرِيبَةُ الْأَقْطَارِ مَلْمُومَةٌ مَغْمُوسَةٌ فِي خُضْرَةِ جَوْنٍ
لَا تَخْطِئُ الْبَقَّةُ أَوْصَافَهَا فِي النَّشْنِ وَالْقَامَةِ وَاللَّوْنِ

وَأَمَّا مَا عَيْبَتَهُ مِنْ زُرْقَتِهَا — وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ الشَّهْلَاءُ فِي
نَعْتِكَ — فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَقْوَالِ الْقَائِلِ :

وَأَزْرَقِ الْعَيْنِ فَاتِرِ الْغَنَجِ زُرْقَةُ عَيْنِهِ آفَةُ الْمَهْجِ
قَالُوا بِهِ زُرْقَةُ فَقُلْتُ لَهُمْ نَمَّ بِهَا حُسْنُ وَجْهِهِ الْبَهْجِ
مَا زُرْقَةُ الْعَيْنِ مِثْلُ كَحْلَتِهَا كَمْ بَيْنَ يَاقُوتَةٍ إِلَى سَبَجِ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَهَذَا هُنَا وَقَفْتُ وَأَمْسَكْتُ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَانِ
أَحْرَقَنِي بِنَارِ الْعِتَابِ ، وَأَخْرَجَنِي بِهَا عَنْ طَبَقَةِ الْكِتَابِ ، وَرَكِبَ فِي مَلَامَتِي
رَاسَهُ ، وَمَدَّ بِهَا إِلَيَّ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْنَبَ فِي اللَّوْمِ وَأَسْهَبَ ، وَصَعَّدَ فِيَّ

العَتَبِ وَصَوَّبَ ، يقول في فصل منها^١ : « وَقَفْتُ عَلَى مَا أَدَّكَ إِلَيْهِ كَثْرَةُ
الْفَضُولِ ، مِنْ إِبْرَادِكَ تِلْكَ الْفُضُولِ ، الَّتِي مَسَخَتْ جَوَاهِرَهَا خَزَفًا^٢ ،
وَلَا لَهَا صَدَفًا ، وَرَأَيْتُ تِلْكَ النَّصِيحَةَ ، الَّتِي صَارَتْ فَضِيحَةً ، وَالْمَحَاسِنَ
الَّتِي عَادَتْ قَبِيحَةً ، وَالْأَلْفَاظَ الْعَذَابَ ، الَّتِي آصَتْ سَيَاطِرَ عَذَابٍ ، وَتَأْدَبَ
مِنْ عَاطِيَتِ ، وَجَوَابَ مِنْ كَاتِبَتِ ، فَتَأَوَّهْتُ وَتَفَجَّعْتُ ، وَحَوَّقَلْتُ^٣
وَاسْتَرْجَعْتُ ، وَقُلْتُ : أَمَا انْتَبَهَ مِنْ سِنَةِ غَفْلَتِهِ ، وَذَكَرَ بَيْتِي حَكْمَتِهِ ،
إِذْ يَقُولُ :

إِذَا مَا هَدَيْتَ امْرَأً مَخْطِئًا أَضِلَّ السَّبِيلَ إِلَى قَصْدِهِ
وَلَمْ تَلْقَهُ سَامِعًا قَابِلًا فَحَسَّنْ لَهُ الْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ

ولقد سررتُ بما أصابك ، وابتهجتُ بما نابك ، فعساك يوماً تعرفُ
أخلاقَ الناسِ ، وتزنُ أحلامَهُمْ بالقِسْطِ طَاسِ ، وتنتقدُ أحوالَهُمْ وأفعالَهُمْ ،
وتختبرُ ضرائبَهُمْ وأشكالَهُمْ ، فتميزُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وتتجأنفُ^٣ مِنْ
بعدُ عن الدَّعَابَةِ فِي خُطَابٍ ، أَوْ إِجَابَةٍ بِكِتَابٍ .

هذه شكيمَةٌ كَبَّحْتَنِي بِهَا هَذَا الصَّدِيقُ بعدُ أَنْ جَمَعْتُ وَرَمَعْتُ ،
وخطامٌ خطمني به بعدُ أَنْ أَرَقَلْتُ وَأَوْجَعْتُ ، ولولاهُ لَعَرَضْتُ أَكْثَرَ مِنْ
هَذَا الْمَتَاعِ ، وَكَلِمْتُ بِأَكْبَرَ مِنْ هَذَا الصَّبَاحِ .

١ ما يلي هو نص ما كتبه إليه صديقه حين لاه .

٢ طس : خرفا .

٣ ص : وتجانف .

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس . راغباً في أن يكلم له
الأمير صمصام الدولة^١ في أن يحرر له أرضاً كان اشتراها :

إذا الحاجاتُ عيَّ بها رجالٌ وكان قضاؤها صعبَ المرامِ
وقلتُ حيلةَ الشفعاء فيها فحاولُ نُجْحُها بيني الشَّامي
دراريَّ العلا حَفَّتْ ببدرٍ منيرٍ في سماءِ المجدِ سامِ

ويعلم - أدام الله تمكينه - مذهبي في التخفيف ، وَحَمَلُ مؤنة التكليف .
إلاَّ في ما تلجئ الضرورة إليه ، ويحملُ الاضطهادُ عليه ، وكنتُ من
ترفيهِ النفس عن الامتحان ، والقناعة بما تسمحُ به نفسُ الزمان ، عن حالة
يعلم - حرس الله مجده - تقلَّبي في أثنائها . ومقيلي في أفيائها ، حتى عَرَضَ
لي من سوء القضاء ، ما أجار بالنارِ منَ الرمضاء ، فسوَّل لي الحرصُ الذي
ما شئتُ له قطُّ بارقاً ، والطمعُ الذي ما ركبْتُ له قطُّ عاتقاً ، النظرُ في
إحداثِ بستانٍ في خرائبٍ أُخْرِبْتُ مالي ، وشغلتي عن كثيرٍ من أشغالي ،
وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن ، وكسبتُ في الإقامة والظعن ،
بين جدارٍ فيها أهدمه ، وغارٍ أهدمه ، وأرضٍ أرفعُ مرَّةً وهادها ، وأخفضُ
تارةً نجادها ، حتى استوت ساحاتها [١١٥] وتوطئت ، وغابت مغاراتُها وتغطَّتْ ،
وانكشطتْ أَسْنِمَتُها وانحطَّتْ ، وفي بناء حائطٍ أهدقُ بأقطاره ، وآمنُ
به على ثماره ، وفي حفرٍ بئرٍ ينقعُ ماؤها صدها ، ويبلُّ إذا حَمِيَّ الهجيرُ

١ هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة ، تولى بعد أخيه الأكمل تأييد الدولة سنة ٤٢٧ هـ ولم
تطل أيامه ، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه ، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية
بمنطقته .

٢ كذا ، ويمكن أن تقرأ « الاضطرار » .

ثراه ، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شهيدَ به عليّ لتوجهَ عليه فيما يلزمه من الفرض . ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض ، أن يُثبتني على رأي الفقهاء ، في ديوان السفهاء ، إذ لا يُقدَّرُ على سقني دوحاته ، ولا يتوصَّلُ إلى احياء مواته ، إلّا بدولابٍ وجابية ، يأخذان الماءَ أخذةً رابية ، وعند الوصولِ إلى هذه الفصول ، والانتهاهِ إلى هذا المحصول ، قرعتُ سنَّ النادم ، وانتبهتُ انتباهَ الحالم ، وكنتُ كتاجرِ البتور ، في ابتياع السنور . ومسرَّحِ الدجاج . في مخزنِ الزجاج : أحدثَ هذا في ماله من البوار . ما لا يحدثه عابثُ الفار ، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد ، ما لا يحدثه وافدُ الكساد .

وفي فصل منها : ولا بدَّ لغريق البحر أن يدرج فيخرج^١ ، وللتائه في القفر أن يفضلَ فيهلك ، أو يُدَلَّ فيسلك ، وقد علم قلّة حاجاتِ وليته إليه ، وإيثارة التخفيفِ عليه ؛ ومتى أعلمَ الأميرُ أنَّ هذه الخرائبَ التي عانى وليتهُ غيراسها ، لا يُرتجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد ، ولا ينتفعُ الديوانُ منها بدرهمٍ واحد ، وساكنوها منذ أعوام ما أدّى واحدٌ منهم خراجاً ، ولا صنعَ لبيته باباً ولا رتاجاً ، فهم بين قومٍ يأكلون الشجر قبل الثمر ، ويترعون الأبَّ قبل الحبِّ ، وما آمن مع ما أحذقت به من الأسوار ، وخرجت في [التفقه] عن المقدار ، أن يوجفوا إليه بالحوالق ، وينقضوا فيها كالشوائق ، كما يفعلون في بستانِ فلان ، الذي أنفق فيه عمره وماله . وصرفَ إليه همته واهتباله ، فهو في الشتاء من علوجِ الزُّبر والحفر ، وأصحابِ الغرْسِ والبَدَر ، فإذا بلغتْ ثمرته ، ووجبتْ غلاته ، حام

١ لعله : فيغرق أو يخرج .

عليه بنو حام ، ولم يمتنع منهم بحارس ولا حام ، ﴿ وَأَحْيَيْطَ بِشَمَرِهِ
فَتَأْصَبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف : ٤٢) . وناهيك [بِدُرَّةٍ] ظَفِيرَتْ يَدَيَّ بِأَخْتِهَا ،
وَمَخْشَلَبَةٌ غَنِيَّتْ عَنْ ثِقَبِهَا وَنَحْتِهَا ، ومتى لم يلحظني مولاي بعين
رعايته ، ويمدَّ إليَّ [يداً] عنايته ، في ما رغبْتُ وسألت ، انقلبتُ بأملٍ
عاطلٍ ، وعملٍ باطلٍ .

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقليّ^١

أحدُ مَنْ وفد أيضاً على المعتمد ، وهو من جُمْلَةِ مَنْ لقيته وشافهته ،
وأسمعني شعره ، وهو شاعرٌ ماهرٌ يقرطسُ أغراضَ المعاني البديعة ، ويعبّر
عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ، ويتصرّفُ في التشبيه ويغوصُ في بحر الكلام
على درّ المعنى الغريب .

١ انظر الحريدة ٢ : ١٩٤ ورايات المبرزين : ١١٢ والمطرب : ٥٤ ومسالك الأبصار :
٢٨٨ والسلفي : ٨٦ وابن خلكان ٣ : ١٢١ وعيون التواريخ ١٢ : ٢٥٥ والمكتبة
الصقلية ونفع الطيب ، وقد كتبت عنه دراسات منها دراسة للأستاذين السقا والمنشاوي
(القاهرة ١٩٢٩) ودراسة بالإيطالية للأستاذ جبرائيل ، وقد كتبت عنه فصلاً في كتابي
«العرب في صقلية» : ٢٣٥-٢٦٢ ودراسة جعلتها مقدمة على ديوانه الذي قمت بنشره سنة
١٩٦٠ ويبدو من المقارنة أن الذخيرة انفردت بقصائد لا نجدُها في أصول ديوانه ، ومعنى
ذلك - في الأرجح - أن هذه القصائد تمثل رواية - أو مجموعة - كانت له بالأندلس ، وبخاصة
وان ابن بسام لقيه وسمع شعره ، ولكن ابن حمديس عاش حتى سنة ٥٢٧ وكثر شعره ،
فالذخيرة تمثل حقاً المرحلة التي سبقت مغادرته للأندلس وبعض قصائد مما قاله في بني زيري
من بعد . وسأعارض شعره الوارد هنا بديوانه وحده لأنني قمت بتخريج شعره من المصادر
المتيسرة حين تحقيق الديوان نفسه .

فمن ذلك قصيدة أولها^١ :

لم نؤت ليلتنا الغراء من قِصرٍ لولا وصال ذواتِ الدلِّ والخَفَرِ

يقول فيها :

إنِّي امرؤٌ لا أرى خَلَعَ العذارِ على فما فتنتُ بردفٍ غيرِ مُرتدِفٍ
وربَّ صفراءَ لم تتركِ بِسَوْرَتِها تزدادُ ضعفاً [قواها] كلما خَلَقَتْ^٤
لا يعرفُ الشُّربُ عيباً في مناقبِها يصافحُ الراحَ من كاساتها شُعْلُ^٥
إذا النديمُ حَسَاها خَلَّتْ جريتها من لا يقومُ عليه في الهوى عُنْدُري
ولا حَنَنْتُ لِحَصْرِ^٢ غيرِ مختصر لِحِصُولَةِ^٣ الهمِّ من عَيْنٍ ولا أثرِ^٣
بها الليالي حدودَ الضَّعْفِ والكبر إلّا دِعاويَ بين المسك والزهر^٦
ترمي مَخَافَةَ لمسِ الماءِ بالشُّرر نجماً تصوبُ حتى غابَ^٦ في قمر

ومنها :

١ ديوانه : ٢٠٤ .

٢ الديوان : ولا جنت بخصر .

٣ روايته في الديوان :

وشربة من دم العنقود لو عدت لم تلف عيشاً له صفو بلا كدر
أو لعله بيت آخر وقع موقعه أو بعده .

٤ الديوان : بلفت .

٥ روايته في الديوان :

لا يسمع الأنف من نجوى تارجها إلّا دعاوي بين الطيب والزهر

٦ الديوان : غار .

بالله يا سَمَرَاتِ الحَيِّ هل هَجَعَتْ^١ في ظلِّ أغصانك الغزلانُ عن سحري^١
 وهل يراجعُ وكرأُ فيك مغتربُ^٢ عزَّت جناحيه أشراكُ من القدر
 يفديك^٣ قلبي ولو أسطيعُ من وكنه^٤ طارتُ إليكِ بجسمي لمحةُ البصر

ومن المدح^٥ :

الباسطُ الكفَّ بالحدوى التي وكفَّت^١ بالرزقِ ما بين منهلٍ ومنهمر
 والموسعُ الأرضِ إذ جارتُ أكابرها عدلاً يؤلِّفُ بين الشامِ والنتمر
 كم آيةٍ لك في الإفضالِ معجزةٍ لها بوادِرُ لا تُبقي على البدر

قوله : « نجماً تصوبُ حتى غاب في قمر » معنىً قد طوي ونُشر ،
 ومنه قول الحسين بن الضحَّاك^٢ :

كأنما نصبُ كأسه قَمَرٌ يكرعُ في بعضِ أنجمِ الفلكِ

وأخذه أبو نواس فقال^٣ :

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلته يقبلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا [١١٦]

وقد أخذ بعضُ أهل عصرنا هذا المعنى ، وهو الأديب أبو محمد بن
 صارة الشنتريني فقال :

١ الديوان : سهرى ، وفي ص : سحر .

٢ الديوان : فزيك

٣ هذه الأبيات الثلاثة لم ترد في رواية الديوان واثبتتها هنالك في الحاشية : ٢٠٨ .

٤ ديوانه : ٨٨ .

٥ ديوان أبي نواس : ٢٤٤ .

وافى بها صهباء من أوصافه دقُّ الثنايا دونَ نيلِ مَرَامِها
فرأت نديماً منهما شمس الضحى في الليل قابضةً على بهرامِها

وقال فيه أيضاً :

ورثاً خدّهُ حديقةُ وردٍ حُمِيَّتْ من عذارهِ بِحُبَابِ
خلتُهُ حينَ عبَّ في الكاسِ بدرأ عبَّ من ذوبِ كوكبِ في عبابِ

وقال الصقلي من أخرى ^١ :

باكرُ إلى اللذاتِ واركبُ لها سوابقَ اللهُوِ ذواتَ المراحِ
من قبل أن ترشَفَ شمسُ الضحى ريقَ الغوادي من ثغورِ الأفاحِ

وله من قصيدة ^٢ :

قد طيَّبَ الأفاقَ طيبُ ثَنائِهِ حتى كأنَّ الشمسَ تُذَكِّي المنذلا

وكررَ هذا المعنى فقال ^٣ :

وكأنَّما شمسُ الظهيرةِ نارُهُ وكأنَّما شجَرُ البسيطةِ عودُهُ

وله يستنجز المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره عاماً كاملاً ^٤ :

١ ديوان ابن حديس : ٨٩ .

٢ ديوانه : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٣ ديوانه : ٥٤٤ (عن الذخيرة) .

٤ ديوانه : ١١٠ .

أيا مولى الصنع الجميل إذا انتشى
وفي كل أرض من نداء حديقة^١
أفرد بالحرمان من كل عاطل
أتني على بُعد النوى منك دعوة^٢
فجاءك من أهل البديع مصرف^٣
وكان عليه الخلق ليلاً يجوبه
رفعت بأظماني إلى ما تحده^٤
ويا مُسدي النيل الجزيل إذا صخا
تضوع مسكاً ثورها وتفتحا
تطوق من نعماك ثم توشحها
أثارت بنات السير حولاً ولقحها^٥
مهار القوافي^٦ في امتداحك قرّحاً
إليك فلمّا لاح وجهك أصبحا
علاك فوقع ممسكاً أو مسرّحاً

ثم تصرفت الليالي والأيام ، اللعبة بالأنام ، واقتضت بالمعتمد الحال ،
إلى الاعتقال ، بسجن أغمات ، وسمع الصقلي هذا شعر المعتمد الذي قد
تقدم إنشاده حيث يقول فيه :

قضى الله في حمص الحمام وبعثت هناك عنا للنشور قبور
تراه عسيراً أم يسيراً نناله إلا كل ما شاء الإله يسير

فأجابه الصقلي أبو محمد بأبيات منها قوله :

أتأس من يوم يناقض أمسه وشهب الدراري في البروج تدور
ولما رحلتم بالندى في أكفكم وقلقل رضوى منكم وثير

-
- ١ الديوان : قطعت لها بالزم نجداً وصحصحا .
 - ٢ الديوان : ويتال من أهل القريض . . . يهادي القوافي .
 - ٣ الديوان : وأصحابي . . . تجده .
 - ٤ القسم الثاني : ٧٥ وديوان ابن حمديس : ٢٦٧ .
 - ٥ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ - ٢٦٩ والذخيرة ٢ : ٧٦ .

رفعتُ لساني بالقيامةِ قد دنتُ فهذهي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا^١ :

لكلِّ محبِّ نظرةٍ تَبَغَّتْ الهَوَى ولي نظرةٌ نحو القتولِ هي القتلُ
أترتدُّ^٢ بالتكريهِ رسل نواظري ومن شيسمِ الإنصافِ أن تكرمَ الرسل

ومنها :

ركبتُ نوى جوابةِ الأرضِ لم يعشُ لراكبها عيس^٣ نخبٌ ولا رحل
أسائلُ عن دارِ السّماحِ وأهليه ولولا ذرى ابن القاسمِ الواهبِ الغنى
تُخَفِّضُ أقدارُ اللّثامِ بلؤمِهِمْ فتى لم يفارق كفهْ عقدُ مينةٍ
له نعيمٌ تَخَضَّرُ منها مواقعُ ورحبُ جنابٍ حين ينزلُ للقرى
ووجهُ جَمِيلٍ الوجه تحسب حُرَّةً ووجهُ مروعةٍ أموالهُ بِعِطائِهِ
وأي أمانٍ أو قرارٍ لخائفٍ على رأسه من كفتِ قاتله نصل

١ الديوان : ٥٥٧ (عن الذخيرة) ومنها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ص : تريد (دون اعجام للياء) .

٣ المسالك : عنس .

٤ لعل صوابه : حينما يبذل القرى أو : حين يستنزل القرى .

ومنها :

لقد بهّرتْ شُهْبَ الدَّراري منيرةً مآثرُ منكم لا يكاثرها الرملُ
ورثتم تراثَ المجدِ من كلِّ سِنْدٍ على منكبيه من حقوقِ العلا ثِقْلُ
فمن قمرٍ يُبْقِي على الأفقِ بعده هلالاً ومن ليثٍ خليفته شِبْلُ
وأصبحَ منكم في سلا الجورِ أخرساً وقام خطيباً بالذي^١ فيكم العدلُ
ملكْتُ القوافي إذ توخيتُ مدحكُم ويا رَبَّ أذوادٍ تملكها فحلُ

وله من أخرى في تميم أمير المهديّة ويتفجّع على دخول الروم صقلية ،
أولّها^٢ :

تدرّعتُ صبري جُنّةً للنوائب فإن لم تُسَلِّمْ يا زمانُ فحاربِ

يقول فيها :

بلادٌ جرى فوق البلادَةِ ماؤها فأصبحَ منه ناهلاً كلُّ شاربِ
فطِمتُ بها عن كلِّ كأسٍ ولذّةٍ وأنفقتُ جُلَّ العمرِ في غيرِ واجبِ
يبيتُ رئاسُ السيفِ في ثَنِي ساعدي معاوضةً من جيدِ غيداءِ كاعبِ
وما ضاجعَ الهنديّ غيرُ مثلهمِ مضاربُهُ يومَ الوغى في انضرائبِ
إذا كان لي في السيفِ أنسُ ألفتُهُ فلا وحشةٌ عندي لفقدِ الحبابِ
وكنْتُ وقدّتي في الصبا مثلُ قدّه عهدتُ إليه أنْ منه مكاسبي

١ كذا هو في ص ولعله : « بالهدى » أو ما أشبهه .

٢ ديوان ابن حمديس : ٢٨ .

فلن كان لي في المشرفي مآرب^١
 بهيشك أيّ الفجعتين استربتها^٢
 تغذّي باخلاقي قديماً^٣ ولم تكن^٤
 ويا ربّ نبت تعترية مرارة^٥
 جهلت فجربت الذي أنا عالم^٦
 فكم في عصا موسى له من مآرب
 خيانة دهرى أم خيانة صاحبي [١١٧]
 ضرائبه إلاّ خلاف ضرائبي
 وقد كان يسقى عذب ماء السحاب
 وقد تجهل الأشياء قبل التجارب

ومنها :

وكم عزمات كالسيوف صواق
 فلي في سماء الشرق مطلع كوكب
 ألفت اغترابي عنه حتى تكاثرت
 متى تسمع الجوزاء في الجوّ منطقي
 ليالي بالمهديتين كأنها الآ
 إذا شئت أن أرمي الهلال بلحظة
 تجردّها أيدي الأمانى الكواذب
 جلا من ضلوعي بين زهر الكواكب
 له عقد الأيتام في كف حاسب
 تصخ من مقالي في ارتجال الغرائب
 لى من دنياك فوق ترائب
 لمحت تحيماً في سماء المناقب

ومنها :

ولو أن أرضي حرّة لاتبععتها
 بعزم يقد السير ضربة لازب

١ الديوان : اتخسني أنسى وما زلت ذاكرأ .

٢ الديوان : صغيراً .

٣ الديوان : علمت بتجريبي أموراً جهلتها .

٤ ص : جلا من ضلوعي بين زهد الكواكب .

٥ وجه من معنى . وأحسبه « بعد » كمد في الديوان .

ولكن^١ أرضي لا عدمتُ فكاكها^١
لئن ظفرتُ تلك الكلابُ بأكلها
أحينَ تنفاني أهلها طوعَ فتنة^٢
وأضحتْ بها أهواؤهم وكأنما^٣
تخبُّ بهم قُبَّ يطيلُ صهيلُها
مؤلفة الآذانِ نحتَ [إلاهم]

من الأسرِ في أيدي العلوجِ الغواصب
فبعد سكونٍ للعروقِ الضوارب
يضرَمُ فيها نارهُ كلُّ حاطب
مذاهبهم فيها اختلافُ المذاهب
بأرضِ أعاديهم نباحِ النوادب^٤
كما حرّفتْ بالبري أقلامُ كاتب

وله من أخرى أولها :

شفاؤك في نوى تُنضي الركابا
فلا تنقُ من الدنيا بحفظِ
فشرُّ ليوث [هذي الأرض] ليثُ^١
سأسري تحتَ نجمٍ من سناني
وينجدني على الحدّثانِ عَضْبُ^٢

ونُجْحُك عن سرّي تطوي اليابا
إذا لم تحوهِ يدك اغتصابا
يُشاركُ في فريسته الذئبا
إذا نجمٌ من الأنصارِ غابا^٣
يفتلُّ قرعهُ النوبَ الصعابا

١ الديوان : كيف لي بفكاكها .

٢ ص : وكأنها .

٣ ما حذفه ابن بسام قبل هذا البيت يشوه السياق ، ففي ما قبله كان ابن حمديس ينمى على قومه
شوبهم في فتنة قسمتهم وأوهنت قوتهم ، وفي هذا البيت وما يليه يشيد بما كان لهم من بطولات
قبل تلك الفتنة .

٤ ديوانه : ١٤ ومطلعا مختلف ، وهو :

ألا كم تسمع الزمن العتابا تخاطبه ولا يدرى الخطايا
والأبيات الثلاثة الأولى هنا ليست في رواية الديوان .

٥ الديوان : عن الأبصار .

٦ قراءة غير دقيقة لما في ص ، وأقرب الصور المشبهة « الحدفا » .

يمانيّ إذا^١ استمطرتُ صوباً
كأنَّ شعاعَ عينِ الشمسِ فيه
به من عارضِ المُهجاتِ صاباً
وإن كان الفرندُ به ضباباً
ومنها :

وكنّا في مواطننا كراماً
ونطلعُ في مطالعنا نُجوماً
تُعيدُ لكلّ شيطانٍ شهاباً
إذا رُميَ الوليدُ بهنَّ شاباً
ولم تسَلِّمْ لنا إلّا نفوسُ^٢
وأحسابُ تَكْرَمُنّا اكتساباً^٣
ولكن لا يُبلّغُها التراباً
ولم تخلُ الكواكبُ من سقوطِ

ومن أخرى^٤ :

بلى جرّاً أذبالَ الصِّبا فتصابتِ
قصرتهُ زماني بالشّمولِ مُسنّةُ^٥
وأوجفَ خَيْلاً في الهوى وركاباً
وبالروضِ كَهلاً والفتاة كعاباً
يقول فيها :

وأقصر أيتامِ الفتى يومُ الدِّقةِ^٦
صفا ما صفا بالعيش منه فطاباً^٦

١ الديوان : يمان كلما .

٢ الديوان : صروف .

٣ الديوان : نكرمها اكتساباً .

٤ الديوان : ٥٤ ، ٥٣٩ (والثانية نقلاً عن الذخيرة وهي تكاد تكون رواية مستقلة) .

٥ الديوان : قطعت (٥٤) .

٦ من هنا حتى آخر القصيدة ما تستقل به رواية الذخيرة .

ليالي لا ترمي الرمي وإن تُصيب
وعصبة لهو غادروا الهَمَّ جانباً
يديرونها راحاً كأنَّ بكاسيها
تنافرُ لمسَ الماءِ وهو يروضُها
فأحبُّ بذاك العيشَ عيشاً ذكرتهُ
وليلٍ تخوضُ النيراتُ ظلامه
سريتُ بمحبوكِ من القُبِّ كلما
من الجنِّ فاسمِ الله إماً وضَعتهُ
ترى ضحكَ الإصباحِ فوقَ جبينه
تخالُ الثريا رأسه وهو مُلجَمٌ
يحرفُ بالتأليل^٣ أذنأ كأنما
سما الدرُّ في أرساغِه عن زبرجدٍ
هو الطرفُ فاركبُ منه في ظهرِ طائرٍ
إلى قمرٍ تمسري إليه كأنما
كأنني سرٌّ في حشا الليلِ داخلٍ
فبتُ مَرُوى من مُجاجةٍ باردٍ
كانَ قِطافَ اللثم من ثغرِ روضِه

بسهمكَ خوداً فالشبابُ أصابا
فلم يأتقوا إلاَّ السرورَ جنابا
إذا لَبِستُ درعَ الحَبابِ حُبابا
تَفَرَّكُ كالبكْرِ الفَرَّوقِ لِعابا
وبالعصرِ عصرًا والصحابِ صحابا
كأوجهِ غَرَقَى يغترفنَ عابا
دعا شأوهُ وحي العِنانِ أجابا
مكانَ قَطيعِ طارَ عنكَ وغابا
وقِيضُ^١ من ليلِ المحاقِ إهابا
إذا الجري^٢ لم يلبس طلاه سخابا
برى قلماً منها يخطُ كتابا
يغادر بالوطء الصخورَ ترابا
تَنَلُّ كلَّ ما أعيَا عليك طلابا
عليه سماءُ الله تغلقُ بابا
على حَبَّةِ القَلْبِ المصُونِ حِجابا
غزا ذكره قلبَ الغيورِ فذابا
تكسبَ من طلِّ الغمامِ رضا

١ هكذا في ص ؛ وله وجه ، والأحسن ما أثبتته في الديوان « وقمص » .

٢ ص : الجو .

٣ ص : بالتأويل .

ومنها :

ولم أرَ كالدنيا خَوْناً لصاحبٍ ولا كصابي بالشبابِ مصابا
فقدتُ الصِّبا فابيضَ مسودُّ لمتي كأنَّ الصِّبا للشيبِ كان خِضابا

ومن أخرى ^١ :

أَمْطَتَكَ هَمَّتَكَ العزيمةَ فاركبِ لا تلقينَ عصاكَ دونَ المطلبِ
ما بالُ ذي النظرِ الصحيحِ تقلبتِ في عينيه الدنيا ولم يتقلبِ
فاطوِ العجاجَ بكلِّ يعملةٍ لها عَومُ السفينةِ في سرابِ السببِ
شرقَ لتجلو عن ضيائكِ ظلمة ^٢ فالشمسُ يمرضُ نورها بالمغربِ
والماءُ يأجنُ في القرارةِ راكداً فإذا علتكَ قذاته فتسرَّبِ
طالَ التغرُّبُ في بلادٍ خُصِّصَتْ بوخامةِ المرعى وطرقِ المشربِ [١١٨]
فطويتُ أحشائي على الألم الذي لم يشفهِه إلاَّ وجودُ المذهبِ
إنَّ الخطوبَ طرقتني في جَنَّةٍ أخرجتني منها خروجَ المذنبِ

ومنها :

من سالمَ الضعفاءِ راموا حربته فالبسَ لكلِّ الناسِ شَكَّةَ محربِ
كلُّ لأشراكِ التحيلِ ناصبِ فاخليبِ بني دنياكَ إن لم تغليبِ
من كلِّ مركومِ الجهالةِ مبهمِ فكأنما هو قطعة من غيبِ
لا يكذبُ الإنسانَ رائدُ عقله ^٣ فامرُرْ نَحْجَ وكنْ عذوباً تُشربِ

١ الديوان : ٣٧ ، (عن الذخيرة) ومثله في المسالك ثمانية أبيات .

٢ من سائر النسخ : « ظلمة »

٣ فريب : « إن الرائد لا يشرب قطرة »

ولربَّ محقرٍ تركتُ جوابه
لا تحسبني في الرجال بغائة
أصبحتُ مثلَ السيفِ أبلى غمده
إنَّ يعلهُ صداً فكم من صفحة
والليث يأنفُ عن جواب الثعلب
إني لأقعصُ كلَّ لقوةٍ مرقب
طولُ اعتقالٍ^١ نجاهه بالمنكب
مصقولةٌ للماء تحت الطحلب

ومنها :

كم من قوافٍ كالشوارد صُرْتُها
ودقائقٍ بالفكرٍ قد نظمتُها
وصلتُ يدي بالطبعِ فهو عقيدتها
نفستُ البديعُ بسحره في مقولي
لو أننا طيرٌ لقليلٍ لخبرنا
وإذا اعتقدتُ العدلَ ثم وزنني
إني لأغمدُ من لساني مُنصلاً^٢
عن مثلٍ جَرَّ جَرَّةَ الفَنِّيقِ المصعَبِ
ولو آهَنَ لآلئُ لم تثقَبِ
فقليلُ إيجازي كثيرُ المسهبِ
فنطقْتُ بالجدادي والمتذهبِ^٣
غرد وقيلَ لشرنا لا تنعَبِ
رجحتُ حصاتي في القريضِ بكبكب
لو شئتُ صممتُ وهو دامي المضرب

ومن أخرى ٣ :

تظنُّ مزاراً^٤ البدرِ عنها يعزُّني
وبين رحيلي والإيابِ لحاجها
إذا غاب لم يبعدْ على عينٍ مُبصِّرِ
من الدهرِ ما يُبلي رتيمةً خنصرِ

١ المسالك : اعتلاق .

٢ ص : فنقطت بالجاري وبالمتشلهب .

٣ الديوان : ٥٥٠ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك أربعة أبيات .

٤ في ص صورة : من ان (دون إعجام) .

ولا بد من حملي على النفس خطئة
وتطرحني بالعزم من غير فترة
وما هي إلا النفس تفتي حياتها
أغرك تلويح بجسمي وأني
وما هي إلا لفحة^٢ من هواجر
وأنكرت المام المشيب بلمعتي
وما كان ذا حذر غراب شيبتي
وأبقت صروف الدهر مني بقية
وما ضعفتني للحوادث نكبة

ومنها :

وحمرأ لم تسمح بها نفس بائع
أقامت مع الأحقاب حتى كأنها
فلم يبق منها غير جزء كأنه
إذا قهقه الإبريق للكاس خلته
وطاف بها غمر الوشاح كأنما
قصرت بكل كل يوم لهوته

تعلق وردي في اغترابي بمصدري
سفائن بيد في سفائن البحر
مصرفة في كل سعي مقدر
لكالسيف تعلو منه غين^١ جوهر
تخلصت منها كالنضار المسجر^٣
وأي صباح في دجى غير مسفر
فلم طار [عن] شخصي لشخص منفر
مذكرة مثل الحسام المذكر
ولا لان في أيدي الحوادث عنصري

لسوم ولم تنظف بها يد مشتري
خبيثة كسرى أو دفينه قيصر
توهم معنى دق عن ذهن مفكر
يرجع صوتاً من عقاب مصر صر
يقلب في أجفانه طرف جؤذر
ومهما يطب يوم من العيش يقصر

١ ص : عين .

٢ ص : نفحة .

٣ ص : المشعر .

٤ المسالك : لأبقت .

ومن أخرى في المعتمد^١ :

أَتُنْكَرُ ضِعْفاً أَمْرَضَ الْحَدَقَ النَّجْلا
وقد أَكْثَرْتَ فِينَا لَوَاحِظَهَا قَتْلًا^٢
يقول فيها :

أَقَائِدَهَا قَبَّ الْأَيَّاطِلِ لَمْ تَدْعُ
حَمِيَّتَ حِمَى الْإِسْلَامِ إِذْ ذَدَّتْ دُونَهُ
لَنْ قُلْتَ فِيهِ صَحَّ تَأْلِيفُ سُودِدٍ
له عِنْدَ أَعْدَاءِ إِغَارَتِهِ ذَحَلًا
هَزَبَرَأْ وَرَشَّحَتْ الرِّشِيدَ لَهُ شِبْلًا
فَبَارِعُ نَقْلِ مِنْ شِمَائِلِكَ اسْتَعْمَلِي

ومنها في صفة القصر :

وَيَا حَبْنًا دَارُ يَدُ اللَّهِ مَسَحَتْ
مَقْدَسَةً لَوْ أَنَّ مُوسَى كَلِمَتَهُ
إِذَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا خَلَّتْ أَمَّا
وَقَدْ نَقَلْتُ صِنَاعُهَا مِنْ صِفَاتِهِ
فَمَنْ صَدْرُهُ رَحْبًا وَمِنْ نُورِهِ سَنًا
نَسِيتُ بِهِ إِيْوَانَ كَسْرَى لِأَنَّهُ
كَأَنَّ سَالِمَانَ بْنِ دَاوُدَ لَمْ تُسَيِّحْ
كَأَنَّ عِيُونَ السَّحَرِ نَافِلَةٌ لَهُ
عليها بَتَجْدِيدِ الْبَقَاءِ فَمَا تَبَلَى
مَشَى قَدَمًا فِي أَرْضِهَا خَلَعَ النُّعْلَا
تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لِدَاخِلِهَا أَهْلًا
[إِلَيْهَا] أَفَانِيًّا فَأَحْسَنْتِ النُّقْلَا
وَمِنْ صَبِيئِهِ فِرْعَا^٣ وَمِنْ حِلْمِهِ أَصْلَا
أَرَانِي مِثْلًا مَا رَأَيْتُ لَهُ مِثْلًا^٤
أَوَامِرُهُ لِلْجَنِّ فِي شَيْدِهِ مَهْلَا
عَلَيْهِنَّ فَضْلًا مِنْ بَدَائِعِهِ فَضْلًا^٥

١ الديوان : ٣٧٥ .

٢ ورد بدل هذا المطلع في الديوان :

أَغْمَرَ الْهَوَى كَمْ ذَا تَقَطَّعَنِي عَذْلًا قَتَلْتُ الْهَوَى عِلْمًا أَتَقَتَّلَنِي جَهْلًا

٣ ص : بدعاً .

٤ الديوان : أَرَانِي لَهُ مَوْلَى مِنَ الْفَضْلِ لَا مِثْلًا .

٥ الديوان : عَلَى كُلِّ بَانٍ غَايَةٌ مِنْهُ أَوْ فَضْلًا .

فكانَ مكانَ القولِ يبعثُ^١ وصفهُ
تري الشمسَ فيه [ليقة] تستمدُّها
تجوزُ^٢ له الأمواهُ بركةَ جدولٍ
إذا اتخذتها الشمسُ مرآةً وجهها
وقد توجَّ البهو البهيُّ بقبةٍ
تجمعتِ الأضدادُ فيها مصانعاً
وأغربُ ما أبصرتُ بعدَ مليكها
ولما عَشينا من توقدِ نورها
فيا دارُ أغضى الدهرُ عنكِ وأكثرِ

رقيقاً وأذنُ الدهرِ تسمعه جذلي
أكفِ أقامتْ من تصاويرها شكلاً
تخالُ الصبا منه مشطبةً نصلاً
أجالتْ عليها من مداوسها^٣ صقلاً
فقلْ في عروسٍ في [جلايبها] تجلي
ولم أرَ خلقاً قبلها جمَعَ الشملُ
بها مُترعٌ يُعديُّ الشجاعةَ والبذلاً
تخذنا سناه في نواظرها^٤ كحلاً
أسودكِ نسلًا فيكِ يَخْتَلُ^٥ النسلُ

١ الديوان : فجاه . . . نبعث .

٢ الديوان : تجوز .

٣ ص : مدارسها .

٤ ص : منزع تعدي .

٥ ص : نواظرها .

٦ ص : تختل .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال^١ : [١١٩]

نفوسنا بالرجاءِ مُحتَسِكَةٌ والموتُ للخلقِ ناصبٌ شرَكَةٌ
تُبْرِمُ أجسامَنَا وتنقضنا طبائعٌ في المزاجِ مشتركةٌ
لولا انتشاقُ الهواءِ متُّ كما تموتُ مع فتقدِ مائها السمكةُ
ننشأُ بالبعثِ بعد ميئتنا أما يُعيدُ الزجاجَ من سبكهُ
ما أغفلَ الفيلسوفُ عن طرقِ ليستُ لأهلِ العقولِ مُسلِكةُ
من سلمَ الأمرَ للإلهِ نجا ومن عدا القصدَ واقعَ الهلكةُ

وقال^٢ :

جاءَ به ملائِكٌ من صافيةٍ معمورةٍ منها أقاليمُ الفرخِ^٣
حلَّ وكاءَ شدِّه عن مذبجٍ^٤ طلَّ دمَ العنقودِ منه وسفح
حتى إذا ما صبَّ منه ريتنا سدَّ على التبرِ الذي كان فتح^٥

١ الديوان : ٣٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٨٥ .

٣ جاء في موضعه بيت آخر في الديوان .

٤ الديوان : مذبج .

٥ الديوان ، ريقاً ، سد على ذوب العقيق ما فتح .

تري نجيع البرق^١ منه راشحاً
مدامة^٢ للروح أخت^٣ برّة^٤
قد علمت مزاجها فصرفها
يوم^٥ كأنّ القطر فيه لؤلؤ
تقدح^٦ نار^٧ من زناد برقه
لجرت فيه الصبا علية^٨
كأنما الكافور نثر^٩ ثلجنا
حتى أتى الليل^{١٠} بصحو لم يكن^{١١}
كأنما خلف منه قشعم^{١٢}
وقد محاصبغ^{١٣} الدياجي قحمر^{١٤}
كأنه من ودج الليل رشح^{١٥}
أخذة^{١٦} ثاراتها من الترح^{١٧}
يجبر^{١٨} ما هاض وبأسو ما جرح^{١٩}
ينظم للروض عقوداً أو وشح^{٢٠}
ويطفئ^{٢١} الماء^{٢٢} سريعاً ما قدح^{٢٣}
رق^{٢٤} الهواء فيه للنفس وصح^{٢٥}
أوندف البرس لها^{٢٦} قوس^{٢٧} فزح^{٢٨}
يغتبق^{٢٩} الغيث به كما اصطبح^{٣٠}
يسندى علينا ريشه إذا جنح^{٣١}
ديناره^{٣٢} في كفة^{٣٣} الغرب رجح^{٣٤}

١ الديوان : الزق .

٢ الديوان : ينأى بها سرورنا عن الترح .

٣ الديوان :

قد علمت مزاجه فشرها يجرحه نمت بأسو ما جرح

٤ هذا البيت مع اثنين آخرين وردت في الوافي في نظم القوافي ، الورقة : ٩ ؛ (مخطوطة ليدن) .

٥ الديوان : يقدح ناراً . . . الماء .

٦ الديوان : لنا .

٧ الديوان :

حتى علا الجو دجى لم يغتبق فيه الحيا من الثرى كما اصطبح

٨ الديوان :

غراب ليل فوقنا محلق يقبض هنا ظله إذا جنح

٩ ص : كف .

حتى إذا ردَّ حذاءُ عَدُوِّهِمْ . من كان في وادي الرِّقَادِ قد سرح
 نَبَّهَ ذا هذا وكلُّ طرفُهُ . يلمَحُ طرفَ السكرِ من حيثُ لمَح
 يسألُ في تقويمِ جيدٍ مائلٍ . لو [لم] يسامح في الحميَّةِ لسمح
 وجاءهُ السَّاقِي بِكوبٍ مفعمٍ . لو شاء أن يسبِّح فيه لسبح
 يا عاذلي^١ في الرَّاحِ كم سيئةٍ . تجاوز الرحمن عنها وصفح
 أغشُ خلقِ الله عند ذِي هوى . من عَرَّضَ الرشدَ عليه ونصح
 حتى إذا فكَّرَ عن بصيرةٍ . ذمَّ [من] الأفعالِ ما كان مدح

وقال^٢ :

ومشمولةٍ راحٍ كأنَّ حبابها . إذا ما بدا في الكاسِ درٌّ مجوفُ
 لها من شقيقِ الروضِ لون كأنما . إذا [ما] بدا في الكاسِ منه مطرفُ
 شربتُ^٣ على برق كأنَّ ظلامه . إذا احمرَّ فيه أسودٌ باتَ يرعفُ

وهذا من قول المعري^٤ :

إذا ما احتاجَ أحمرَّ مستطيلاً . حسبتَ الليلَ زنجياً جريحاً

وقال أبو محمد أيضاً^٥ :

١ الديوان : يا لائمي .

٢ الديوان : ٥٥٤ (عن الذخيرة والمسالك) .

٣ ص : سريت .

٤ شروح السقط : ٢٤٠ .

٥ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة ، ومنها بيتان في المسالك) .

ما زلتُ أَشْرَبُ كاسَهُ من كَفِّهِ
 حتَّى انْجَلَى الإصْبَاحُ عن إِظْلَامِهِ
 والشَّهْبُ في غَرْبِ السَّمَاءِ سَوَاقِطٌ
 ورضابُهُ نَقْلٌ على ما أَشْرَبُ
 كالسَّيْرِ [يُرفَعُ] عن مَلِكٍ يحْجُبُ
 كِبْنَاتِ ماءٍ في غَدِيرٍ تَرَسُّبُ

وقال في صفة نهر^١ :

ومطرِدِ الأجزاءِ تحسِبُ^٢ مَتْنَهُ
 جَرِيحٍ بِأَطْرافِ الحصى كلِّما جرى
 كأنَّ حُبَاباً رِيحَ نَحْتِ حَبَابِهِ
 شربنا على حافاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ
 كأنَّ الدَّجَى خطَّ^٥ المَجْرَةَ بيننا
 كلَّفتُ بشرِّي للصُّبوحِ^٦ مَبْكَراً
 صبأً أعلنتُ سرَّ القلْدَى في^٣ ضميرِهِ
 عليها شكا أوجَاعَهُ بخَيرِهِ
 فسارَعَ يَلْقِي نَفْسَهُ في غَدِيرِهِ
 وأقتل سَكْراً^٤ منه عينا مَديرِهِ
 وقد كُنَلَّتْ حافاتُها ببدوره
 وكم بركاتٍ للفقى في بَكوره

وله في شِمْعَةٍ^٧ :

قنَّاةٌ من الشَّمْعِ مَرْكُوزَةٌ
 تَحْرَقُ بالنَّارِ أَحْشاءُها
 لها حَرَبَةٌ طُبِعَتْ من لَهَبٍ
 فتدمعُ مقلَّتُها بالذهبِ

١ الديوان : ١٨٦ .

٢ الديوان : يصقل .

٣ الديوان : صبأ أعلنت للعين ما في .

٤ ص : وأقبل سَكْراً .

٥ ص : حط .

٦ الديوان : بكاسات الصُّبوح .

٧ الديوان : ٢٤ وسرور النفس : ٤٣٣ .

تمشّى لنا نورها في الدجى كما يمشى الرضى في الغضب
فأعجب^١ لآكلة جسمها بروح يشاركها في العطب
وله فيها^٢ :

مصفرة^٣ الجسم وهي ناحلة تستعذب العيش مع تعذبها
تطعن صدر الدجى بعالية صنوبري لسان كوكبها
إن تلفت روح هذه اقتبست من هذه فضلة تعيش بها
كحياة باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيبها
وقال^٤ :

صدت وبدر التّم مكسوف به فحسبت أن كسوفه من صدها
فكانه مرآة قين أحميت فمشى احمرار النار في مسودها
وقال^٥ :

سكن القلب هوى ذي صلف زاده فيه سكوناً حركه^٦
فهو كالمركز يبقى ثابتاً كلنا دار عليه فلكه
وقال^٧ :

-
- ١ الديوان : عجب .
 - ٢ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة والمساك) .
 - ٣ الديوان : ١٤٣ (والبيت الأول من الذخيرة والمساك) ومنها بيتان في الشريشي ١ : ٣١١
منسوبان لابن الصباغ الصقلي .
 - ٤ الديوان : ٥٥٦ (عن الذخيرة) .
 - ٥ الديوان : ٥٥٥ (عن الذخيرة) .

يومٌ كأنَّ نسيمةً نفحاتُ كافورٍ ومسكٍ
وكانَ قطرَ سمانهٍ درّ هوى من نظمٍ سلكِ
متغيرٌ غيماً وصحاً وآ مثلاً حدثت عنكِ
كالطفلٍ يُمنعُ ثم يُمنعُ نَعُ ثم يضحك ثم يبكي [١٢٠]

وقال ١ :

وحمامٍ سوءٍ وخيم الهواءِ قليلِ المياهِ كثيرِ الزحامِ
فما للقيامِ به من قعودٍ ولا للقعودِ به من قيامِ
حنيناتهُ عطّفاتُ القسيِّ وقطراتهُ صائباتُ السهامِ
ذكرتُ به النارَ حتى لقد تخيلتُ إيقادها في عظامي
فياربَّ عَفوكَ عن مذنبٍ يخافُ لقاءكَ بعد الحمامِ

وقال ٢ :

قَبَسٌ بكفٍ مديرها أم كوكبٌ ينشقُّ منه عن الصباح الغيهبُ
وأريجٌ مسكٍ فاحٍ عن نفحاتها فذوائبُ الظلماءِ منه تطيّبُ
قالوا الصبوحُ فقلتُ قرّب كاسه إني لمهديها [بها] أتقرب
لا تسقني اللبنَ الحليبَ فإنَّ لي في كلِّ داليةٍ ضروعاً تُحلّبُ
وذخيرةً للعيشِ مرّةً لعمرها عددٌ يشقُّ على يدي من يحسبُ
دبابةً في الرأسِ يصعدُ سكرها فتجدُّ منا بالعقولِ وتلعبُ

١ الديوان : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٥٤٢ (عن الذخيرة) .

دارت بعقلي سَورةٌ من كاسها حتى كان الأرض تحي لولبُ
 باكرتها والليلُ فيه حُشاشةٌ يستلها بالرفق منه المغرب
 والجوُّ أقبَلَ في تراكبِ مُزْنِه قُزَحٌ بعطفةِ قوسه يتنكبُ
 صابت فأضحكتِ النديمَ بأكوسِ عهدي به من نقطهنَّ يقطب
 والبشرُ في شُربِ المدامةِ فارتقب منها سرورَ النفسِ ساعة تعذب^١

فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري^٢

شيخُ الفتيان ، وآبدةُ الزمان ، وخاتمةُ أصحابِ السلطان ، وكان رحل
 إلى مصرَ واسمُهُ خامل ، وسماؤه عاطل ، فلم ينشب أن طراً على الأندلسِ
 وقد نشأ خلقاً جديداً ، وأجرى إلى النباهة طلقاً بعيداً . فتهادتهُ الدول ،
 وانتهت إليه التفصيلاتُ والجمال . وكلما طراً على ملك فكأنه معه ولده ،
 وإياه قَصَدَ ، فجرى مع كلِّ أحد ، وتموَّلَ في كلِّ بلد ، وتلوَّنَ في

١ كذا في ص ، وأحسب صوابه : « تقرب » .

٢ هو عبد الله بن خليفة القرطبي ، المعروف بالمصري ، قال ابن سعيد : لطول اقامته بمصر ،
 وأنكر ابن حيان أن يكون ابن خليفة (وكان ابن جار له) قد تعدى في رحلته العدو ،
 وأحى عليه بالذم عند الحديث عن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في الاعذار الذنوبي (ص :
 ١٣٧ ، ١٣٩) وقد دافع عنه الحجاري في المسهب ، وذهم ابن اللبابة في كتابه « سقيط الدرر »
 لأنه لم يكن وفياً للمعتد بعد خلعه (انظر ترجمته في المغرب ١ : ١٢٨ وفيها اعتماد كثير على
 الذخيرة ؛ وراجع أيضاً الخريدة ٢ : ١٩٣ والمسالك ١١ : ٤٦ ؛ وأجرى ذكره في القلائد :
 ٦ والمطمح : ١٥ وله أشعار في النفع) .

العلوم^١ تلون الزمان ، وتلاعب بالملوك بأفقنا تلاعب الرياح بالأغصان ، حتى ظفر به المأمون بن ذي النون ، فشد عليه يد الضنين . فوجد كنفاً سهلاً ، وسلطاناً غفلاً ، فسرّ وساء ، وارتسم في أيّ الدواوين شاء ، وكان بالطب أكلف ، وعليه أوقف ، فتعلق بسببه ، حتى اشتهر به ، ولم يكن من النفوذ فيه حسباً استذاع عنه الخبر ، خلا أنه كان — زعموا — بصيراً بطب النظر ، وكان مع ما يحمله من هذا الفن حسن البيان مليح المجلس ، حاضر الجواب كثير النادر ، راوية^٢ للشعر والمثل السائر ، نسابة للمفاخر ، عارفاً بالثائب والمنائب . وقفت له على شعر مجموع ، عاطل أكثره من حلي البديع . وكان بالجملة روضة أدب ممتعاً للمجلس ، وهيهات أن يأتي الدهر بمثله . وقد وصفه ابن حيان ، في فصل قد أثبتته في أول هذا القسم من الديوان^٣ .

فلما انصرفت الدولة الذنونية ، تخير أبو محمد إلى اشبيلية ، فأنس المعتمد بمكانه ، وجعل له حظاً من سلطانه ، ولم يزل في من يتردد عليه ويعشاه ، حتى أشجاه من الخلع — حسباً وصفناه — ما أشجاه . وبقي أبو محمد على حاله ، مشتملاً بفضل جدّه وإقباله ، غير مستريب بدهره ، ولا منكر لشيء من أمره . ممتعاً بآلاته ، مقبلاً على لذاته^٤ ، إلى أن توفي سنة ست وتسعين منتصف رجب الفرد .

وعلى ذكره ، فقد أجريت طرفاً من نظمه ونثره ، منبهاً على مكانه ، ومُشهِداً على ما وصفت من شأنه .

١ المغرب : العالم .

٢ ص : رواية .

٣ انظر ما تقدم : ١٣٧ ، ١٣٩ .

٤ ص : لذاته .

فصل له من رقعة خاطب بها المعتمد بن عباد ، وقد خرج عنه إلى مالقة ،
قبل القبض عليه ، واستفتحها بهذين البيتين ^١ :

رحلتُ وفي القلبِ جمرُ الغضا وهجري لكم دون شكٍّ صوابُ
كما تهجرُ النفسُ حرَّ الطعامِ إذا [ما] تساقطَ فيه الذباب

وهذا المعنى مشهور ، قد اندرج منه في تضاعيف هذا التصنيف كثير ،
مثل قول بعضهم :

وتَجَتَّنِبُ اللبوثُ ورودَ حوضٍ إذا كان الكلابُ يَلْكَغْنَ فيه
كما سقطَ الذبابُ على طعامٍ فتركه ونفسك تشتهيه ^٢

كتبتُ وقلبي متقلبٌ على جمر الغضا ، أحرَّ من الرمضا ، وصلتُ
فقطعتُ ، وساحتُ فقوبحتُ ، وارتفع عليّ الباطلُ فما سومتُ ، حميت
بقرطبة أهلِكَ وبنيك ، وحفدتك وذويك : أصبتهم في منزل عالي الحيطان ،
وثيق الأركان ، في شهر كانون ، دون كنّ ولا كانون ، ولا ما يدفع عنهم
ريب المنون ، أكفُ الرزايا تصافحهم
من القرّ شعار ، ولا يخميهم منه [٢١]
بجهاً وافتقدت بالطرف
في والسّوادِ في الأحداقِ
في الأعناقِ ، ومن عندك

١ انظر المغرب ١ : ١٣١ والشريشي ٣ : ٣٠

٢ مقتبس من قول الأول :

إذا وقع الذباب على طعام يدي ونفسي تشتهيه

يعلم هذا ولا ينكره ، ويشكره ولا يكفره ، وما كانت لك عليّ نعمة فأرعاها ،
ولا سطوة فأخشاها ، وإنما فعلت ذلك بالجوهرية التي ركبها الله في نفسي ،
والطبع الذي جبل عليه حسّي :

ولكنّ أشخاصَ المعالي خفيّةٌ على كلِّ عينٍ ليس تُبصرُ باللبّ
فهل سبق لأحدٍ مثلُ هذا الوفاء ، أو كان له شكلُ هذا الولاء ، فإن قيل
إن السموأل أتى بمثله وشكله ، فليس الخبر كما ظن ، ولا الأمر كما احتسب .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال :

أقام لي بلسان الخُلُفِ أعذارا	ريمٌ إذا رمتُ أن أحظى بموعدهِ
أصار قلبي لخيّل المهجرِ مضمارا	وإن تلطّفتُ لاستنزالِ سَوَرَتِهِ
خَطَّتْ يدُ الشوقِ في الأحشاءِ أسطارا	إذا تذكّرتُ أياماً لنا سَلَفَتْ
ودمعهُ فوق روضِ الوردِ قد حارا	قال الوشاةُ ودمعُ العينِ منحدرٌ
أما ترى الدرّ بالمرجانِ قد جارا	يا مُجريَ الدمعِ من عينيهِ في ذهبِ
من العجيبِ فؤادٌ يحرقُ النارا	النارُ يحرقها قلبي بزفرتِهِ

وقال :

إلى سوادِ القلبِ والخطيرِ	يا ناظراً قد سلّ من ناظري
زادك [زاد] الكلفِ الساهرِ	طيفك لما نامَ عن زويتي

ظَلَمْتَ أَضْحَى لِي بِلَا مَرِيَّةٍ مَوْثِرًا فِي خَدِّكَ النَّاصِرَ
مَا أَرْفَقَ اللَّهُ بِأَهْلِ الْهَوَى إِذْ صَيَّرَ الْجَوْرَ عَلَى الْجَائِرِ

وقد تقدم مثل هذا المعنى لعبد الجليل حيث يقول ^١ :

دَعَوْتُ دَعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ فَعَلَّقَ مِنْ عِيْدَارِيْنِهِ الذَّنُوبَا

وقال ^٢ :

الْحَبُّ دَاءٌ دَوَاؤُهُ الْقُبْلُ وَالرُّسْلُ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْمَقْلُ
يَا حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَةً سَلَفَتْ حَيَّتْ بِبَدْرِ سَمَاوِهِ الْكَلَلُ
بَتْنَا وَرَاحُ الْعَفَافِ ^٣ تُلْحَفُنَا بُرْدَ وِفَاءٍ وَالشَّمْلُ مُشْتَمِلُ
إِثْنَانٍ مِنْ شِدَّةِ التَّعَانُقِ قَدْ صَارَا كَفَرْدٍ بِالرُّوحِ يَتَّصِلُ
لَوْ أَنَّ جَوْدَ السَّمَاءِ أَمْطَرْنَا لَمْ يُصِْبِ الْأَرْضَ نَحْتَنَا بَلَلُ
حَتَّى إِذَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ بَدَّتْ وَجَفْنُهُ بِالْعَبِيرِ مَكْتَحِلُ
فَارَقْنِي وَهُوَ خَائِفٌ وَجِيلٌ نَشْوَانُ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا ثَمَلُ
عَيْنَايَ مِنْهُ قَرِيرَةٌ أَبَدًا وَالنَّارُ بَيْنَ الضَّلُوعِ تَشْتَعِلُ

وقال :

قَالُوا الصَّدِيقُ شَقِيقُ النَّفْسِ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَنْقَامِ قَدْ طَارَا

١ انظر القسم الأول : ١٤٥ باختلاف في الرواية .

٢ المغرب ١ : ١٢٩ - ١٣٠ .

٣ ص : ونار الحجاب ؛ وأثبت ما في المغرب .

اسمٌ لعمري بلا جسمٍ ولا نَفَسٍ إلاً كلاماً بزورِ القولِ قد سارا
فما ترى غيرَ من يسقيك من يده أرباً وفي قلبه قد أضمر النارا
فنادمِ الكُتُبَ ما عُمِرَتْ إنَّ لها عندي وعيشِك أسراراً وأخبارا

ومن قصيد له في ابن حماد بلقين أوله :

الرأيُ يسبقُ وَقَعَ الصارمِ الذِّكْرُ والعزمُ يفصلُ بينَ الخُبْرِ والخَبْرِ
والناسُ قد جمعوا في أصلِ خلقتهم لكنهم فترقوا في اللَّبِّ والنظرِ
كانتورِ أولُّهُ نارٌ وبينهما من التفاضلِ ما يَخْفَى على البشرِ
كما تهدي ابنُ حمادٍ وقد طَلَعَتْ طلائعُ السَّعْدِ تحدوها يدُ القدرِ
والناسُ قد رجتموا الأقوالَ من حَذَرٍ وقال بعضهمُ هذا من الغررِ
حتى إذا أظلمَ الخطبُ المهمُّ لهم جَلَوَتْهُ بصباحِ البيضِ والسمَرِ
ليس الجسومُ لها صبرٌ ولا جِلْدٌ وإنما الصبرُ بالأرواحِ والفكرِ
لا تَلْتَقِ دهرَكَ إلا راكباً خطراً فإنما تُبْلَغُ العلياءُ بالخطرِ

بيته الثاني ، من متداولات المعاني ، ومنها قول الأول ٢ :

الناسُ أخفافٌ وشَتى في الشَّيَمِ وكلَّهمُ يجمعهم بيتُ الأَدَمِ

وأخذه التهامي فقال ٣ :

١ ص : البلاد .

٢ المعاني الكبير : ١٢٥٣ واللسان (أدم) وفصل المقال : ١٩٧ والصدقة والصديق : ٢٨

٣ ديوان التهامي : ٥٧ .

الناس متفقون في « إيرادهم وتفاضل الأقسام في الإصدار

وقوله : « ليس الجسوم لها صبر » . . . البيت ، هو شبيه بقول الآخر :

فالعبدُ أصبرُ جسماً والحرُّ أصبرُ قلباً

وقال من أخرى [يمدحه] ويذمُّ بني رباح :

أبا المنصور ما للدهر عَيْنٌ	سوالك فوارها فهو الصلاحُ
ولا تتعرَّضنَّ ^١ إلى رباحٍ	فأعدى ما على العينِ الرياحُ
إذا حَلَقَتْ رِياحٌ فاتهما	ورأسُ الحنثِ ما حَلَقَتْ رِياحُ
قَبِيلَةٌ لها في اللؤمِ بأسٌ	وعند المكرَماتِ لها جِماحُ
سبالُ اللؤمِ لا كانت سبالٌ	وجوهُ الذلِّ والحدُّ الوقاحُ
أناسٌ في مفارقهم قرونٌ	ولكن بالفِقاخ هو النطاحُ
ولا تتزوجنَّ لهم بنتٌ	فللسودانِ عندهمُ مراحُ
بأرجلهنَّ يستغفرنَّ دأباً	فأرجلهنَّ في الدعواتِ راحُ

وذكرتُ^٢ بمعنى هذا البيت الأخير منها خبراً أورده بعضُ الرواةِ

عن شاعرٍ أنشدَ زُبَيْدَةَ بنتَ جعفرٍ شعراً قال فيه : [١٢٢]

١ ص : تعرض .

٢ ابن خلكان ٢ : ٣١٥ والمحفوات النادرة : ٣٧ وغرر الخصاص : ١٤٣ (ط / ١٣١٨)

والبيتان وحدهما في عيار الشعر : ٩٢ .

أزبيدةُ ابنةَ جعفر طوبى لزاثيركِ المصابِ
تعطينَ من رجلِكِ ما تُعْطِي الأَكْفُ من الرّغابِ

فجعل عبيدُها يقرعون رأسه فقالت : دعوه فإنّه أراد خيراً فأخطأ ،
وهو أحبُّ إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالُك أُنْدَى من
يمين فلان فظن [أن هذا مثل ذلك] ^١ .

وله من أخرى يستأذن في الجواز إلى الأندلس :

فيا أثلاثَ الجزعِ من مَرَبَعِ الحمى فؤادي على تلك الرسومِ ينوحُ
فعلَّ أبي ^٢ المنصورِ يُدْني بِسَعْدِهِ ركبائي منها إنه لسنزوحُ

ومنها :

فسرّ إنما العلياءُ شخصٌ مصوّرٌ وأنت له دونَ البريةِ روح
أتيتَ بآيٍ ^٣ أعجزتُ كلَّ عالمٍ كأنك من بعد المسيحِ مسيح
ولو جيتُ للانصافِ ما جيتُ مادحاً لأنّك من نجرِ السماحِ صريح
ومن أصبحتُ [فيه] المكارمُ جوهرأ بلا عَرَضٍ فالمدحُ فيه قبيح
ولكن رأيتُ الشعرَ يثبتُ ذكرُهُ فلا غرّو أن يُهدى إليك مديح

١ بياض في ص ، وأثبت ما عند ابن خلكان .

٢ المعروف : « أبا » ولكني أبقيته على حاله ، إذ لعل الشاعر هنا يحاكي قول كعب بن سعد

الغنوي (وهو شاهد نحوي) « لعل أبي المغوار منك قريب » .

٣ ص : بآية .

وله من أخرى في باديس بن حبوس^١ :

رَسَخَتْ أَصُولُ عِلَاقِكُمْ تَحْتَ الثَّرَى وَلَكُمْ عَلَى خَطِّ الْمَجْرَةِ دَارُ
تَبْدُو شَمُوسُ الدَّجْنِ مِنْ أَطْوَاقِكُمْ وَتَفِيضُ مِنْ ثِنْيِ^٢ الْبَنَانِ بِحَارُ
إِنَّ الْمَكَارِمَ صُورَةٌ مَعْلُومَةٌ أَنْتُمْ لَهَا الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
ذَلَّتْ لَكُمْ قِيمَتُ الْخِلَاقِ مِثْلَمَا ذَلَّتْ لَشَعْرِي فَيْكُمُ الْأَشْعَارُ
فَمَتَى مَدَحْتُ وَلَا مَدَحْتُ سِوَاكُمْ فَمَدَحِكُمْ [فِي] مَدْحِهِ إِضْمَارُ

وهذا من قول أبي نواس^٣ :

وإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحِهِ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

وأخذه المتنبي فقال^٤ :

وظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمْ مُرَادِي

والمصريُّ أيضاً القائل ، من قصيدة كأخواتها طويلةٍ دون طائل ، أولها :

دَعِي لَتَوْمِي فَمَا أَنَا بِالْمَلِيمِ وَلَا مِنْ هَجَرٍ سَلِمِي بِالسَّلِيمِ

يقول فيها :

١ المغرب ١ : ١٣٠ .

٢ المغرب : بين .

٣ زهر الآداب : ٩٢٣ والصناعتين : ٢٠٨ والوساطة : ٣١٨ وديوان أبي نواس : ٦٦ .

٤ ديوان المتنبي : ٨٠ .

وإن شئتَ اختَبَرِ النَّاسَ جَهْرًا ولم تَكُ بالتَّجَارِبِ بِالْعَلِيمِ
فَجَرَّبَ مَنْ تَشَأْ مِنْهُمْ عِيَانًا وقد أَصْبَحْتَ فِي بُرْدِي عَدِيمِ
فإن لم [تُلَفِّ] ذلكَ مُسْتَحِيلًا وترعى منه في مرعىٍ وَخِيمِ
فقلْ إني دَعِيٌّ فِي نَزَارٍ وإني ضِدٌّ لِقَمَانِ الْحَكِيمِ
رَأَيْنَا مَعْشَرًا لَبَسُوا ثِيَابًا مَجْدَدَةً عَلَى عِرْضِ رَمِيمِ
لَهُمْ دُورٌ مُشِينَةٌ [وَأَفْعَالٌ مُحِيلَاتُ الرُّسُومِ

ومن المدح :

وما يَحْتَاجُ يَوْمَ الْحَرْبِ جَيْشًا فَانَّ عِيَادَهُ كَالزَّرْعِ الْحَطِيمِ
وإن أَبْقَى لَهُمْ فِرْعَوْنُ سَحْرًا ففِي يَدِهِ عَصَا مُوسَى الْكَلِيمِ

وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله ، ونذكر خبراً يتعلّق بذيله ^١ :
كان أبو نواس قويّ البديهة ، ويرتجلُ كلَّ ما يقولُ ولا يُرَوِّيه ، فقال له
الخصيبُ يوماً وهو يمازحهُ بالمسجدِ الجامعِ : أنت في الشعرِ غيرُ مدافعٍ
ولا منازعٍ . ولكنك لا تخطبُ ، فقام من فورِهِ يقولُ مرتجلاً :

منحتكم يا أهلَ [مصرَ] نصيحتي ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيبٍ
رماكم أميرُ المؤمنينَ بحِيتةٍ أَكُولُ لِحْيَاتِ الْقُلُوبِ ^٢ شَرُوبِ
فإن يكُ باقي سحرِ فرعونَ فيكمُ فَانَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

١ انظر الخبر والشعر في بدائع البداهة : ٣٣٣ وديوان أبي نواس : ١٠٣ .

٢ بدائع : لحيات البلاد .

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيبٌ مِصْقَعٌ ، فاعتذر إليه وأقسم أنه ما قال ذلك إلاّ مازحاً .

وقول المصري : « معشراً لبسوا ثياباً » . . . البيت مع الذي بعده ، ألمّ فيه بقول منصور الفقيه :

لبس الثياب وتشديد القصور وفي تلك الثياب علتها أنفُسُ خَرِبَةٍ
لأَضْرِبَنَّ رجائي ألفَ مَقْرَعَةٍ فيكم وأصلبُ آمالي على خَشْبَةٍ

وقال المصري في ابن مجاهد من قصيدة ، يرثي مهراً أخذ له ، وحكي أن الذئب أكله :

وقد أقيمتُ لدهري وهو يظلمُنِي حتى وصلتُ عليّاً سيدَ العربِ
ولأن يكنّ ليس منهم في أرومتِهِ فإنه منهمُ في المجدِ والحسبِ
يا مَنْ إليه شكوْنَاهُ فقال لنا شكوى القتلِ [إلى] الخَطِيئةِ السلبِ

ومنها :

يا ويحَ قلبي من دهرٍ تعمَدَنِي بالنائبِ فلاذتُ بي يدُ النوبِ
حتى بمهرٍ مضيمٍ الكشحِ ذي هيفٍ كأنَّ أجزاءهُ جأبٌ على نَسَبِ
حلوا الصَّهيلِ له في صَوْتِهِ فِتْنٌ كأنه حين يَشْدُو بالثَقيلِ ربي
لولا تشكُّلُهُ في حينِ خَلْقِهِ بالخيَلِ أضحى مع العِقبانِ في نصبِ
يا يوسفَ الخيلِ يا مَقْتولَ إِخْوَتِهِ قلبي لفقدك بينَ الحربِ والحَرْبِ
إن كانَ يَعْقوبُ لم يَقْنَعْ بكَلْبِهِمْ [في لَأَقْنَعُ منهم بالدمِ الكذبِ] [١٢٣]

ومنها ^١ :

وما التناسب إن لم تكن أنفُسُ القربى ذوي نسب

وهذا من قول القائل :

..... إذا لم يرافقها انتسابُ قلوبِ

وقال من أخرى ^٢ :

..... نفحة الخلد جائلُ
لئن كنتَ من درّ القلائدِ عاطِلاً
فإنَّ الطِّباءَ المشبهيكِ عواطلُ
وكلُّ رسولٍ قد بعثَ مماطلُ
شَمولاً لها من وجنتيه شمائلُ
سقاني وخذُ الفجرِ يلطمهُ الضُّحى
بهاراً فأجدي ما علينا الرسائلُ
وأنتَ بمفروضِ الزكاةِ تماطلُ
عليك زكاة من جمال وغرة

ومنها :

فصاح وشاحٌ هز إليك ولكن لم تجبهُ الخلاخل
رعى الله دهرأ قد نعمنا بطيبهِ لياليهِ من شمس الكؤوسِ أصائلُ
لدى روضة غناء غنت قيانها وجاوبت الألحان منها البلابلُ
ونرجسها [در] على التبر جامد وقهوتها تبر على الدر سائلُ

١ طلست أجزاء من الورقة هنا فلم أتمكن من قراءة ما وضعت نقطاً في موضعه .

٢ منها بيتان في النسخ ٣ : ١١٨ .

وإن سأل الأقوام عن عرض منزلي فإني ما بين السماكين نازل
وأنتي قد قلدت سيف مآثر له من عليّ المكرمات حمائل
إلى أبيات غير هذه من قصيدة طويلة اهتمت فيها أبو محمد قصيديّ أبي
الطيب والمعريّ^١ اللتين في وزنها ورويها ؛ وقوله : « عايك زكاة من جمال ... »
البيت ، من قول المعري أيضاً^٢ :

لغيري زكاة من جمالٍ فإن تكن^٣ زكاة جمال^٤ فاذكري ابن سبيل
وعلى [ذكر] هذه الزكاة فما أملح ملح البستي في تلك الفقهيات
حيث يقول :

أقول لشادين في الحسن فرد	يصيد بلحظه لحظ الكمي
ملك الحسن أجمع من نظام	فأد زكاة منظر كالبهي
وذلك أن تجود لمستهام	برشف من مقبل كالشهي
فقال أبو حنيفة لي إمام	ويؤنسي لا زكاة على الصبي

وقال الحصري الكفيف في مثله :

وظبي غريز هز أعطافه اللين وسمته ريحان المحب الرياحين

١ قصيدة أبي الطيب مطلعها : « دروع لملك الروم هذه الرسائل » (الديوان : ٣٦٤) وقصيدة

المعري : « ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل » (شروح السقط : ٥١٩) .

٢ شروح السقط : ١٠٤١ .

٣ ص : جميل .

٤ ص : عزيز .

أقولُ له والحبُّ يُفْنِي برخصةٍ عليك زكاةٌ [ما] ونحن مَساكينُ
فقال ولم يعلمْ زكاةٌ أَرَدْتُهَا وكيفَ أَوْدَيْتُهَا ولم يحنِ الحينُ
فقلتُ زكاةُ الحسنِ أعني فقال لا أوديكُ^١ فالعشاقُ [ليس] لهم دينُ

جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة

في صفة قصر طليطلة^٢ :

قَصْرٌ يُقَصِّرُ عن مَدَاهُ الفرقدُ عَذُبَتْ مَصَادِرُهُ وطابَ الموردُ
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمِ فعليه ألويةُ السعادةِ تُعَقَدُ
وكانتِ المأمونُ في أرجائهِ بدرِ تمامِ قابلتهُ أسعدُ
وكانتِ الأقداحُ في راحاتهِ درُّ جمادٍ ذابَ فيه العسجدُ

وله في صفة البركة والقبّة عليها^٣ :

شمسيةُ الأنسابِ بدريّةُ يحارُّ في تشبيهِها الخاطرُ
كانتِ المأمونُ بدرُ الدُّجى وهي عليه الفلكُ الدائرُ

وله في صفة عود :

١ ص : أعطيك .

٢ نفع الطيب : ١ ٥٢٩ .

٣ نفع الطيب : ١ ٥٢٩ .

يا حبذا العودُ فكم من فتيٍّ باحَ له اليمُّ بأسرارِيتهِ
هَنَّتْ عليه الطيرُ رطباً وقد غَنَّتْ به لما قسا جاريه
فهو على أخلاقِها قد جَرَى وهي على أخلاقِهِ جاريه

وبيته. الثالث كقول ابن قاضي ميلة^١ :

جاءَتْ بعُودٍ يُناغيها ويُسعيدُها فانظرُ بدائعَ ما خُصِّصَتْ به^٢ الشجرُ
غَنَّتْ على عودِهِ الأطيَّارُ مُفصِّحة^٣ غَضّاً فلمّا ذوى غنّى به البشرُ
فلا يزالُ عليه أو به طَرَبُ^٤ يَهيجُهُ الأعجمانُ^٥: الطير والوتر

وقال المصري من جملة أبياتِ خاطبَ بها صاحب المدينة يشفعُ للفقير
البرّ الطليطي :

يا ماجداً أصبحَ من رفعةٍ منزلهُ تحتَ نجومِ الفلَكِ
هذا الفقيه البرُّ ما ذَنَبُهُ لقد غدا قُبُرةً في الشَرِكِ
أبوخذ المسكينُ مع فتيةٍ قد عقدوا الأمرَ لحلَّ التَكَكِ
وقارعوا بالبَيْضِ بَيْضَ الخصى وطاعنوا الأشرارَ [في] المعتركِ

١ ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ . والمسالك : ٣٠٤ والثريشي ٣ : ٢٠٥ .

٢ ابن خلكان : ما يأتي به .

٣ ابن خلكان : ساجدة .

٤ ابن خلكان : عليه الدهر مصطب .

٥ ص : الأصنام .

وهذا مثل ما أنشدني لنفسه أبو بكر الخولاني المنجم ، مما خاطب به بعض الحكماء يشفع للقلمندر^١ ، وقد أخذ في مثل ذلك سكرانا :

إن درء الحدود بالشبهات لحديث رواه [كل] الثقات
ما أراه إلا تناول تفنا حافنمت عليه في الطرقات [١٢٤]
نفحات التفاح والراح والأنثرج للمرء جيداً مشتهات
فبتلك الشمائل المخجلات السروض غب الغمام الماطلات
وبعلم إليه مذ كنت تعزى وبصبر تعزى له^٢ وأناة
اعف عنه وأعفه من ثمانين تدمي أعطافه المائسات
وأقل ذنبه وعشرته فهو بمرآه من ذوي الهيئات
وقال :

وشادن طالبتنه قبله فأظهر الإعراض والصدأ
وأرسل الدر على عسجد من سبج فانتظما عقدا
فقلت إذ أبصرته باكياً نرجسة العين سقت وردا
وهذا كقول [الآخر] :

١ هو أبو الأصمغ عبد العزيز البطلوسي ، وكان طبيباً مستهتراً بالخمر وكان يقول : أنا أولى الناس بالآل يترك الخمر لأنني طبيب أحبها عن علم بمقدار منفعتها (انظر المغرب ١ : ٣٦٩ والنفع ٣ : ٤٥٢ وكتب لقبه فيه « القلندر » ، وورد عند العماد في الخريدة ٢ : ٢٥٨ من لقبه « القمندر » ولكنه كناه أبا بكر) .
٢ ص : إليه .

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَ قَطْرُ نَدَى^١ تَسْقُطُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ فِي صَبَاهُ فِي طَرِيقِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَافِلًا^٢ مِنَ الْحِجَازِ^٣ :

أَلَا يَا هِنْدُ قَدْ قَضَيْتُ حُجَّتِي	فَهَاتِ ^٤ شَرَابَكَ الْعَطِيرَ الْعَجِيبَا
فَقَدْ ذَهَبَتْ ذُنُوبِي فِي اللَّيَالِي ^٥	فَقُومِي الْآنَ نَقْتَرِفِ الذُّنُوبَا
خَلَطْنَا مَاءَ زَمْزَمَ فِي حَشَانَا	بِمَاءِ الْكَرْمِ ^٦ فَامْتَزَجَا قَرِيبَا
وَطَافَ بِهَا غَزَالٌ كَسْرُويَ	طَيِّبُ النَّفْسِ يَدْعُوهُ طَيِّيبَا
أَطَاعَتَهُ الْجِسْمُ فَسَاعَدَتْهُ	كَذَلِكَ يَكُونُ مَنْ مَلَكَ الْقُلُوبَا
بَدَا غُصْنًا وَأَطْلَعَ بَدْرَ تِسْمَ	وَأَضْمَرَ فِي مَازِرِهِ الْكُثَيِّبَا
نَرَاهُ فِي تَوَاصُلِهِ بَعِيدًا	وَنَلْقَى وَعْدَهُ أَبَدًا قَرِيبَا

وَقَالَ^٥ :

أَيَّ هَلَالٍ أَطْلَعَ فِينَا	مَطْلَعُهُ الطُّوقُ وَالْحَيُوبُ
كَحَيْلٍ طَرَفٍ ثَقِيلٍ رَدْفٍ	مَبْسَمُهُ اللَّوْلُؤُ الرُّطِيبُ
يَقُودُنَا كَيْفَ شَاءَ طَوْعًا	لَأَنَّ أَعْوَانَهُ الْقُلُوبُ

١ المغرب ١ : ١٣٠ ومنها ثلاثة أبيات في الشريشي ٥ : ٣٠٥ .

٢ صوابه : فهاتي .

٣ المغرب : في طوافي .

٤ الشريشي : المرن .

٥ المغرب ١ : ١٣٠ .

وله في بعض إخوانه وقد جذر غلام كان يهواه :

يا ذا الذي جذر خلّ له أتحت عيش العزّ معنى الهوان
لم ينبث الشعرُ على خدّه بل دبّ في أعضائه عقربان
رفقاً على نفسك لا تُفْنِها فجوهرُ الأنفُسِ شيءٌ يمان
وسقته من مُزّةٍ عتقت لتقتضي الحبّ بلا ترجمان

وله في غلام وسيم رمدت عيناه :

قال خاتمي وجفوني لا تغطني مقلتيها
سُفِّمُ عينيّ أراه^١ بعث السقم إليها
أم ترى توريد خدّي نفّسَ الوردَ عليها
قلتُ لا أدري ولكن أنا من قتل يديها

وقال :

رَمِدَتْ عيني فجاءوا دور رأبي بطبيب
وطبيب العين أعمى في مداواة القلوب
رمدني من فقْدِ خيلتي فأكحلوني بالحبيب

وما أحسن ما قال بعض أهل عصري . وقد تقدم إنشاده :

إذا رمدت بحمرته عيون^٢ شفاها منه إثمٌ عارضيه

١ ص : أراني .

في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي^١

أحدُ أضيافِ المعتمد ، وقد أُجريتُ ذكره في ما مرَّ من هذا المجموع^٢ ،
ووصفت أن شعره عاطلٌ من حلي البديع ، وأفرط في باب الاستعارة
وأبعد ، وخرجَ فيها إلى حينِ الإضحاكِ بما برد ، كقوله متغزلاً :

• بِقُرْاطٍ حُسْنِكَ لَا يَرْنِي عَلَى عِلِّي •

وكقوله في الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون :

شبيبةٌ وابنُ زيدونها أتى في قِراءٍ على شينها

وسمعه ينشد المتوكل شعراً قال فيه :

• أَفَاقَتْ بِكَ الْأَقْطَارُ مِنْ بَرَصِ الْبُلُوى •

ومن أشبه شعره في المعتمد قوله من قصيدة أولها :

فتحت سعودك كلَّ بابٍ مغلقٍ فتَهَنَّ ذلك وابقِ يَصْلُحْ ما بقي

يقول فيها ومدح ابن عمار حين دخوله بمرسية وخروج بني طاهر منها
حسبما وصفتها :

١ ذكره ابن سمي في رايات المبرزين : ١١٠ (غ) باسم « عبد الله » وأورد له بيتين في
حرشوفة نقلًا عن كتاب « زمان الربيع » للخشني ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٧ .
٢ انظر القسم الأول : ٨٤٢ .

إِنَّ ابْنَ عَمَّارٍ حَكِيَّ عَمْرٍو الْقَنَا
 لَمَّا وَصَلَتِ الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى بِهِ
 بِمَصْرَفِ الْجَيْشِ اللَّهَامِ بِحِكْمَةٍ
 يَسْرِي بَنِيَّةَ خَالِصٍ : مَنْ خَلَفَهَا
 وَيَصِيدُ عُنْقَاءَ الْأَمَانِيِّ الَّتِي
 فَبَجُودِهِ وَيَبَاسِهِ وَيَجِيْشِهِ

ومنها :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعَادَةُ أَطْبَقَتْ
 هَبْطَ الْمَطُوقُ جَبْرِئِيلُ مَنْظَمًا
 مَا غَيْرَكَ الْمَلِكُ الْمَطُوقُ وَحْدَهُ
 مَا دَوْلَةُ إِلَّا وَنَادَتْ بِعَلْهَا
 فَلْيَعْتَرِفْ بِالْجُودِ كُلُّ مَشْعُودٍ ١
 الْأَرْضُ كَالشَّطْرَنْجِ فَادْعُ مَلُوكَهَا
 يَا يَوْسُفِي الْحُسَيْنِ وَالصَّدَقِ اسْتَمِعْ
 نَادَتُكَ هَيْتَ لَكَ الْبِلَادُ بِأَسْرِهَا
 وَلَوْ اسْتَطَاعَتْ مَصْرُ إِذْ لَمْ تَدْنُهَا

جَفَنًا عَلَيْكَ فَبْتَ بِجَفْنٍ مُطْبَقٍ
 لَكَ دَرٌّ كُلِّ كِرَامَةٍ فَتَطَوَّقِ
 أَبْدَأْ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَافْتَقِ وَارْتَقِ
 وَافَاكَ مَقْتَضُ الْبِلَادِ فَطَلَّقِ [١٢٥]
 وَيَقْرَأُ بِالْأَنْصَافِ كُلِّ مَمْخُوقِ
 مَا الرِّخُّ فِي حَرَكَاتِهِ كَالْبَيْدِ
 أَحْلَى مَحَاوِرَةٍ ٢ وَإِنْ لَمْ تُنْطَقِ
 فَتَتَّحِ ، أَسِيرُكَ مَنْ يَنَادِي غَلَقِ
 جَعَلَتْ تَقُولُ عَشَقْتُ مَنْ لَمْ يَعِشْ

١ ص : مشعوث .

٢ ص : مراوحة .

وجميلٌ صنْعِكَ في البلادِ وأهلها مِغْنِيطُسٌ فَبَسَّجَدَبِ قُوَّتِهِ ثِقِ
لكفالكِ أُنْدَلَسُ فَنفَسُ كُلِّ مَنْ تُرْضِيكَ طَاعَتُهُ وَإِلَّا خَنْقِ
مِنْ حَمَصٍ تَفْتَحُ حَمَصَ غَيْرِ مُدَافِعِ عنها وتفتحُ جِلْدَقًا مِنْ جَلَقِ

وأخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليَّ أبو محمد المهدوي
بهذه الأبيات يستهدي مشروباً^١ :

قل للوزير فتي خولانَ خَوْلَنِي علمي بفضلِكَ مَيِّزاً فهو ميزاني
رصدتُ في فَلَكَ الأشواقِ بدرَ هَوَى له رقيبٌ ثَقِيلٌ مثلُ كَيَوَانِ
فابحثْ إليَّ بِرَاحٍ مثلَ رِيقَتِهِ فمثَلُهَا كانَ يُسْقَى عِنْدَ رِضْوَانِ

ويا بعد ما بين هذا وبين [قول] بعض أهل عصرنا ، وهو أبو حاتم
الحجاري يستهدي أيضاً مشروباً من الحكيم أبي الأصيح البلنسي^٢ بقرطبة :

يا من سقاني الكؤوسَ سائِغةً وكأُسُ أخلاقِهِ غدا أسوِغُ
ساعِدَتِي للمبيتِ ذو هَيَافٍ وذو لسانٍ مستعذِبٍ أَلْثَغِ
أُبلِغْتُ في وصفهِ [على] سَنَنِ لكنْ رأيتُ السِّكُوتَ بي أبلغِ
وقلتُ والسرُّ لا أبوحُ به من حقِّ هذا الحديثِ أن يَمْضِغِ
ما [إن] ترى ساعةَ الخلوِّ به وقد بداني الشيطانُ أن يَنْزِغِ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

٢ لعله : البطليوسي ، أي القلمندر الذي مر التعريف به آنفاً ص : ٣٥٧ .

والليلُ قد أُسْبِغَتْ ذَوَائِبُهُ على هلالِ فروعِهِ أُسْبِغَ
قهقهتهُ أثناءَ ذاكِ من ضحكٍ قهقهةَ الحمامِ يا أبا الأصْبَغِ
فَرِشْ جناحي¹ وما قرأتَ فقل² قوالبُ السّحر هكذا تفرغُ

وقال أبو حاتم في مثله :

يا سيدي والنهارُ تبصُّرُهُ منسجمَ الدَّمْعِ مُطْلَقَ الأفقِ
وعنديَ البدرُ قد خلوتُ به وفوقَ خديه حمرةُ الشفقِ
جاذبته الحبلُ فاستقاد وكم سريّةً جَرَى الحموحِ في الطلقِ
والخمرُ نعم العتاد سائغة³ شاربيها مسكِة العبقِ
وقد هز زناكَ كي تُوجِّهها في الشعرِ هزَّ القضيبي في الورقِ

وقال الأديب أبو محمد بن صارة الشنبري² :

أعندك³ أنَّ البدرَ باتَ ضجيجي فقضيتُ أوطاري بغيرِ شفيحِ
جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينه فكانت لنا أمّاً وكان رضيحي

١ ص : جوانحي .

٢ النسخ ٣ : ٥٨ ؛ وانقسم الثاني من الذخيرة : ٨٣٧ .

٣ ص : أعيدك .

فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر

ابن الحسن المرادي القروي

وإثبات قطعة من أشعاره ، وطريف أخباره

وكان أبو بكر هذا فقيهاً فطناً ، وشاعراً لساناً ، ممن جمع براعة الفقهاء ، وبراعة الشعراء النبهاء ، وتصرفَ تصرفَ المطبوعين ، وتكلمَ بالكسنة المجيدين ، أشعارُ كصفحاتِ البدر ، ودواوينُ كأنباجِ البحور ؛ وتقلبَ أبو بكر بين السهول والحزون ، تقلبَ الميل بين أطباقِ الجفون ، وقلت دولةٌ من دول ملوك الطوائف بالأندلس إلا وقد ابتغى إليها وسيلة ، وأعمل في المهجوم عليها حالاً وحيلة ، فتنزوي عن مكانه انزواء الخائف من الرصد ، وتغصُّ باحسانه غصصَ العين بالرمد ، ثم كرت إلى أمراء المرابطين بالمغرب فانخرط في أسلاكهم ، وعرض بنفسه على أملاكهم^١ ، ووقع آخراً منهم إلى محمد بن يحيى بن عمر ، فاقتعد صهوة منبره ، وولي قضاء معسكره ، وأخذَ ينجدُ ويتغور . وطفقَ يدبّر ويدبر ، وإنما أراد أن يسلك في حَمَلِ دول المرابطين ، مسلكَ عبدِ الله بن ياسين ، ولم يدرك أنها أقدارٌ محتومة ، وحظوظٌ مقسومة . فلم يحصل إلاَّ على بُعد السفر ، وانقطاع العين والأثر ، وتوفي رحمه الله بدكول من بلاد الصحراء ، حيث لا يروق وجهُ النهار ، ولا يُحمدُ صوبُ القطار .

١ من : ممالكهم .

وقد أخرجتُ مما وجدتُ من شعره ونثره ، ما يستخفُّ رواسي الجبال ،
ويستوفي ضروب [السحر] الحلال .

فصل له من رقعة كتبها عن بعض الأمراء جواباً عن كتاب ورد من
بعض العمال الجهال يهول فيه : وقفنا على كتابك الذي طال فقصر ،
وكبر جرمه فصغر ، صدرته بنون التعظيم . وسطرته بمجذك الحديث
والقديم ، وخاطبتنا فيه بالألفاظ الحجاجية . التي تخاطب^١ بها غوغاء الرعيّة ،
ارجع - أصلحك الله - عن هذا الأدب . وتأدّب في خطابك لذوي الرتب ،
فقد أطعنا فيك [١٢٦] سلطان الحكم : لانتسابك إلى اسم العلم .

واجتاز على مدينة مرسية في مدة رياسة الكاتب الماهر ، أبي عبد الرحمن
ابن طاهر ، فأنزله هنالك بدار اتفق أن يدخلَ فيها قبل أن تُفرش له ، وابنُ
طاهر قصد ذلك ، ليرى ما يأتي من بديته هنالك . فكتب إلى ابن طاهر رقعة
قال فيها : بيد أني نزلتُ هذا المنزل الحديد بالرحل القديم ، نزول السفر ،
بالبلد القفر ، فهو معمور ، إلا أنه بور . وما هو إلا أنه مُحيل^٢ قليل
السكون والغموض ، كثير البراغيث والبعوض . لفقد الستور ، ويرضي
البراغيث فقد السرير : الطول والعرض ، والسماء والأرض . فقد كثر
رطه ، وقلّت نمارقه وبسطه ؛ قراعتي^٣ في أكنافه : ﴿ منها خلَقناكم
وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجُكم تارةً أخرى ﴾ (طه : ٥٥) .

١ ص : خاطب .

٢ ص : مخيل .

٣ ص : فراني .

وبلغه عن بعض الشعراء بمرسية أنه هجاه . فبعث إليه رجلاً كان يتصرف له يعرف بابن المقدم فصفعه ، فاستعلى عليه ابن طاهر ، فكتب إليه المرادي بأبيات منها قوله :

تعرضني كلبٌ بهجوي مخذل^١ كفي السكارى أوهرام المبرسم
فأنفذت من وقتي إليه سحائباً من الصفع يحدو وفدها ابن المقدم
فحامت عليه كالجراد تساقطت من الجوى في أنوار روض معمم
وغنى دوي النعل في صحن رأسه « ألا عثم صباحاً أيها الربع واسلم »

وكان بالمرية مؤدبٌ يسمى وليد بن عبد الوارث وينيز بالبكري كان يقول بقدم الحروف . فألف المرادي في ذلك رسالة راداً عليه وقصيدة قال فيها :

لا درّ درّ سخافنة شتعاء جاء بها الوليد
كفرّ تكادُ له الجبا ل على ثقاتها تميد^٢
قلّ للرئيس الأحوص ي ورأيه أبدأ سديد
حقّ المؤدّب فادّعى من بينهم ما لا يجيد
مكتنموه من الكلا م وجهله أبدأ يزيد
وتركتموه مسرّحاً أين السلاسل والقيود ؟
أغلا الحديد بأرضكم أم ليس يمكنه الحديد

١ ص : محول .

٢ ص : مقالتها (دون إعجام التاء) تبديد .

وكانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم ، فسافر المرادي عن أغمات ، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات :

قلْ لعبد العزيز يكثرُ من بعدِ يَ ما شاءَ منه قِيلاً وقالاً
وتشجعُ ما غبتُ عنكَ فإننا قد ضربنا لك الأمثالا
« وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والتزالا ،

وسايرَ المراديُّ يحيى بن بانو^١ بسجلماسة . فاتفقَ أن سقطَ كاتبٌ له كان يكنى بأبي الأصبع عن دابته ، وقام بأثرٍ جرحٍ في وجهه ، ثم اتفقَ أن سقطَ إثرَ ذلك أيضاً المراديُّ وقامَ دونَ أثرٍ عليه ، فقال أبو الأصبع : وهذا الفقيه أيضاً قد سقطَ ؛ فقال المرادي من جملة أبيات :

فشتانَ بين وقوعي أنا وبين وقوعِ أبي الأصبعِ
فذاك سقوطُ يشجُّ الوجوه وهذا سقوطٌ كما ينبغي

١ يحيى أحياناً « فانو » (انظر البيان المغرب ٤ : ١٠٣) .

الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك^١

من جملة هذه الطائفة الطارئة المذكورة^٢ ، على الجزيرة ، ومع بديهية كانت له قوية ، توفي على الرويّة ، استهزم^٣ عدة قصائد ، لغير واحد ، من أهل الشام والعراق ، وغيرها من تلك الآفاق ، وكان مع ذلك حلّو الحوار ، مليح التندير ، يُلهي ويضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر . وفيه يقول النحلي^٤ :

لو بيعَ يوماً فكيكٌ وبينَ فكتيه دُرّةٌ
ضربتُ من يشتريه بخريّة ألفَ مرّةٍ

وكان الفكيك قصيراً دميماً، ورأيتُه يوماً قد لبس طاقاً أحمر على بياض ، وفي رأسه طرطوراً أخضر. وقد عمّمْ عليه عمّةٌ لازوردية، وهو ينشد بين يدي المعتمد شعراً قال فيه :

وأنتَ سليمانُ في مُلكِهِ وبينَ يديكَ أنا الهدهُدُ

فأضحك من حضر :

١ انظر نفع الطيب ٣ : ١١٩ (وفيه نقل عن الذخيرة) ونقل المقرئ حكاية المضحك البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر وسماه « الفكيك » ، وهو خطأ لأن الفكيك لا يمكن أن يكون قد أدرك عهد المنصور (انظر ما تقدم في هذا القسم ص : ٢٨)

٢ ص : المذكورين .

٣ استهز في .

٤ ترجمته في القسم الثاني : ٨٠٩

وسمعته أيضاً ينشد في جملة قصيدة في المعتمد^١ :

أبا القاسم الملكُ المعظمُ قدَرُهُ سواك من الأملاكِ ليس يعظُمُ
لقد أصبحتُ حمصاً بعدك^٢ جنةً وقد أبعدت عن ساكنيها جهنمُ
ولي بحماك الربع عامٌ وأشهرُ أزخرفُ أعلامَ الثناءِ وأرقمُ
وأنفقتُ ما أعطيتني ثقةً بما أو ملُّ فالدينارُ عندي درهمُ
وقلبي إلى بغداد يصبو وإنني لنشرِ صباها دائماً أتنسمُ

وكنْتُ يوماً بدارِ أبي بكر الخولاني المنجم باشبيلية مع لمة من الأدباء ،
فأفضى بنا الحديثُ إلى ما للشعراء من مُلح التضمين [١٢٧] في المديح والهجاء ،
فأنشد بعضهم ما حضره من تضمينات الحمدوي^٣ في الطيلسان وشاة سعيد ،
وأنشد آخر قولَ القائل في الحسن بن وهب . وتضمن بيت مهلهل^٤ :

وسائلي عن الحسن بن وهب وعمّا فيه من كرمٍ وخيرٍ
فقاتٌ هو المهدّب غير أني أراه كثير إرخاءِ الستور
وأكثرُ ما يغنيهِ فتاهُ حسينٌ حين يخلو بالسرور
« فلولاً الريحُ أسمع من بحجرٍ صليل البَيْضِ تُقرعُ بالذكور »

١ النفع ٣ : ١١٩ .

٢ بعدك : لم يبق منها في ص إلا « لك » .

٣ ص : الحمدوي ، والحمدوي (ويرد في المصادر « الحمدوني ») هو اسماعيل بن ابراهيم بن

حمدويه وكان كثير النظم في طيلسان بن حرب وشاة سعيد (انظر طبقات ابن المعتز : ٣٧١

والأغاني ١٢ : ٦١ والوأي ٩ : والقوات ١ : ١٧٣ وابن خلكان ٧ : ٩٥) .

٤ زهر الآداب : ٢٣٤ والقيث ٢ : ١٢٣ .

وأنشد بعضهم قول الآخر ، وضمّن بيت النابغة فقال ^١ :

يا سائلي عن خالدٍ عهدي به رطبُ العِجَانِ وكُفّةُ كابلِ الحِلمِ
« كالأقحوانِ غداةَ غيبٍ سَمائِهِ جفّت أعالِيه وأسفلُهُ نَد »

فدخل الفكيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف : فقال :
أحسنُ من جميع ما أنشدتم أبياتٌ زعم أنه قالها في البديع يهجوهُ وهي :

رأيتُ البديعَ على أربعٍ وقد عاينته عيون البشرِ
يقولُ وقد شرّعتْ خلفه كَمأةُ الفحولِ رماحَ الكَـمَرِ
« فلا وأبيك ابنة العامريِّ لا يدعي القومُ أنني أفر »

فكان الجماعة لم تحبه لكثرة حمقه ، وفجاجة خلقه ، ثم حركت الفكيك
أريحية العُجب لسكوت أهل المجلس عنه هنالك ، فكأنّته غاظني ذلك ،
وقلت : لم تأت أنت بشيء ، ومن حضّر لم يصمت عنك ، وإنما أردت أن
تحذو حذو كاتب بكر حيث يقول وضمّن بعض أبيات لامرئ القيس ،
فقصّرت عنه وهو قوله ^٢ :

حديثُ أبي الفضل شيءٌ نُنكّرُ إذا ما تذكّرته أفتشعيرُ
مررتُ به وعليه الغلامُ ومن خلفه ذنبٌ مستطر

١ الفيت : (نفسه) والإيجاز والإعجاز : ٨٧ وقد نسب فيه لأبي الحسن اللحام الحراني ، كما نسب
في رفع الحجب ١ : ٩٧ لابن الرومي ، وانظر الذخيرة ١ : ٣٠٨ .

٢ ما جاء مضمناً في الأبيات فهو من قصيدة لامرئ القيس في ديوانه : ١٥٣ وما بعدها .

« فلا وأبيك ابنة العامري » ما هاب مني ولم يزدجر
فقال وقد قامَ عنه الغلام وماذا عليك بأن تنتظر
فقال أرى رجلاً واقفاً فقال هُبْلَتْ أَلَا تنتصر
« فلو أن قيساً وأشياعها وكندة حولي جميعاً صبر »
لما رمت أو تنقضي حاجتي « ولا يدعي القومُ أني أفر »
فوليتُ عنه على خجلةٍ « فثوباً نسبُ وثوباً أجر »
وراكبه فوقه مثلما « أكبَّ على ساعديه النمر »

فلما انتهيتُ إلى آخر هذا الوصف : سكت ولم ينطق بحرف .

ومن شعر الفكيك - على زعمه - قوله من قصيد أوله ^١ :

معاهدم حَلَّتْ رُبَاكِ عُهُودُ وَحَلَّتْ عَقُودَ الْمَزْنِ فِيكَ رَعُودُ
وأبكتُ عيُونَ السَّحْبِ فِيكَ رَوَائِحُ تَضَا حَلَّكَ أَغْوَارُهَا وَنَجُودُ
وحاكتُ لكِ الْأَنْوَاءُ كُلَّ مُلَاءَةٍ عَلَيْكَ بِهَا مِنْ رَقَمِيهِينَ بَرُودُ
بها نَثَرْتُ كَفَّ الصَّبَا لَوْلُو النَّدَى فَمِنْهَا بِأَجْيَادِ الْغُصُونِ عَقُودُ
وحَيَا نَسِيمُ الْوَدِّ آرَامَ رَمَلَةٍ وَحَيَا حَوَاهِ عَالِجٍ وَزُرُودُ
فَكَمْ مِنْ عَمِيدٍ فِيهِ قَلْبٌ قَلْبُهُ عَلَى جَمْرِ نَارِ الشَّوْقِ وَهُوَ عَمِيدُ

ومنها :

١ منها أبيات في النفع ٣ : ١١٩ - ١٢٠ .

وقفنا بركبِ الوجدِ نبكي معالماً
وقيتد إنسانَ العيونِ جمالُها
بكي بعدهم حولاً وأوسعَ عذره
وذرّى^١ على ربعِ العقيقِ دموعه
شهدتُ وما تغني شهادةُ عاشقٍ
ومنها :

إذا قابلوه قبلوا تُربَ أرضيه
وقد حازهم نقصٌ وأصبح قدره
سهرت وأحداقُ النجومِ رقودُ
وقد هزّ منك الله للملكِ صارماً
وربعك مخضراً به ينبتُ الغنى
وله من أخرى^٢ :

لأيةِ حالٍ حالٍ عن سُنّةِ العدلِ
ولا خطرتُ ذكرى سُلُوٍ بخاطري
ولم أضغِ يوماً في هواه إلى العذلِ
ولا طمعتُ نفسي لما عنه لي يسلي

١ ص : وأوشح .

٢ ص : وروى ، وأثبت ما في النسخ .

٣ ص : قال .

٤ منها أبيات في النسخ ٣ : ١٢٠ .

إذا كان لا يرضيك إلا منيتي
وليل كأن الأنجم الزهر نرجس^١
على زهرات كحل القطر مرهها
كأن عليل^٢ الطل فوق عيونها
وكم عطر الروض^٣ النسيم كآته
يجرد من غمد الندى صارم الحيا
وكم ميسم من جود يمناه عاجل
تملكت رقتي بالعوارف منعماً
وأنسيتني أرض العراق ودجلة^٤
فيا قاتلي من قتلتني أنت في حل
به في رياض فتحتها يد^٥ الطل
سقتها ثديي المزن^٦ عللاً على نهل
دموع التصابي حرن في الأعين النجل
نسيم^٧ نشيد الملك في الحزن والسهل
فتضرب^٨ يمناه به عنق^٩ البخل
لراجي نوال منه في جهة المطل
وأغنيتني بالجوهر عن كل ذي فضل
وربعي حتى ما أحن^{١٠} إلى أهلي [١٢٨]

وكان يرهق في دينه ، فأفضت به الحال ، في اشيلية إلى الاعتقال ،
فمن شعره في المعتمد وهو مسجون :

أيا ابن عبادة الملك الذي يد^١
أضحى مديحك في درع العلا عطرأ^٢
وكننت^٣ أحسد^٤ إما^٥ كنت أنشد^٦
فمن رأى شاعراً في السجن مطر^٧ حأ^٨
ناديت^٩ حلمك والأقدار^{١٠} حائمة^{١١}
من فيضها الرزق^{١٢} بين الخلق مقسوم^{١٣}
به تنفّس مشور^{١٤} ومنظوم^{١٥}
فالיום ها أنا بين الناس مرحوم^{١٦}
في ظلمة وهو بالبهتان^{١٧} مظلوم^{١٨}
كصاحب الخوت^{١٩} نادى وهو مكظوم^{٢٠}

١ ص : عليا : النفع : بقاء .

٢ ص : ما .

فاحلل - بيمينك^١ ربق - الأسرعن عنقي فأنْتَ بالفضل والإفضال - موسوم

ومن أخرى في ذلك :

يا محيياً بنباه مَيّتَ آمالي	ومصلحاً في فسادِ الدهرِ أحوالي
إني لأعجبُ من سجنٍ به أَمِنتُ	نفسي من الخوفِ في عريّسِ رثبال
ولم أر فيه مثلَ السيفِ أغمّده	من انتضاه لأشعاري ^٢ وأقوالي
أمسي وحوالي رجال في الكبول [وهم]	مقترّنونَ بأصفادٍ وأغلال
كم قاتلٍ لي وأثوابي مدنّسة	وقد غدوتُ مذالاً مثلَ أذبال
أصرتَ ترفلُ في الأسمالِ قلتُ لهم	أسمالي اليوم بين الناسِ أسمى لي

الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني من مدينة فاس^٣

أحد من وفد أيضاً على هذا البلد أيام ملوك الأندلس ، وله شعرٌ بديع ،
وتصرفٌ مطبوع . وكان حاضر الجواب ، ذكياً الشهاب ، قال له ابن
زيدون أبو الوليد يوماً ، وهو بين يدي المعتضد وكأنّه استجهله ، أو أرادَ
أن يفحّمه ويخجله : أفاسي أنت يا أبا زكريا ؟ يوهم أنه يسأله عن بلده ،

١ ص : بيمينك .

٢ ص : لأشعار .

٣ ترجمته في جذوة الاقتباس ٢ : ٥٣٦ نقلاً عن الذخيرة ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٨ .

وخبأ له^١ فيها شيئاً فهمه يحى بصفاء خلده . وأجابه سريعاً بفضل توقده ، فقال : منسوبٌ - أعزك الله - فأعجب به عبّاد ؛ ولجّ ابنُ زيدون فقال : نعم الفتى أبو زكرياء ، وفهم ابن الزيتوني تصحيفه ، فصدمه بمثله ، ورماه بشكله ، فقال له - وقبل يده - : عبدك أعزك الله ، فخرجل أبو الوليد وتشوّر ، واستخف الطرب جميع من حضر^٢ .

ومن شعره في المعتضد يستنجزه :

سفينة الوعدِ في بحرِ الوفا وقَفَّتْ^٣ فامنن بريحٍ من الإنجاز تجريها
وله من قصيدة أولها :

فُتّتَ الهلالُ بهذا الجمال فدَاسِهـ وجرحت باللحظ الغزالَ فآسِهـ
يقول فيها :

لم أفنِ دمعاً في سواه ولا جرى قلمٌ بغير ثناه في قرطاسه
فلقيتُ من كلّني به ما لم يكن لاقى سُحيمٌ من بني حَسّاسِهـ
ما البحريُّ وإن أرقَّ نسيه وأجادَ وصفَ الرّوضِ في بطياسِهـ^٤
وأني بتشبيهاً حُسنِ نسيه ونواديرِ بصفاتِ عَيْنِ طِماسِهـ

١ ص : وخاله .

٢ حاول ابن القاضي المكتاسي حل هذا الحوار عن طريق التصحيف ، حلاً جزئياً ، ولم يوفق في بعضه فليراجع (عبدك : عندك ، نعم : نعم ، الفتى : الفسا... الخ) .

٣ بطياس : قريبة من حلب (انظر ديوان البحري : ٢١٤ ، ١١٣٥) .

بأرق من شعري وأحسن موقعاً منه الينافي في حلى أنفاسه
طماس كان ابن أخي ابراهيم بن العباس^١ ، وكان البحري يتولع
بوصف عوره .

[فصل في ذكر] الأديب أبي بكر بن العطار ، الياسي الدار^٢

ويابسة من الجزائر الشرقية ، وهي من الأندلس في سمت دانية ، وهو
من جملة من لقيته وأنشدني شعره ، ولم أحفظ منه عند تحريري هذه النسخة
إلا أبياتاً من قصيدة في المعتمد أولها :

بحدّ عزمك نصّلت القنا السلباً قدماً وأجّجت في ماءِ الظبا لها

يقول فيها في صفة البحر وجواز المعتمد له في وجهته إلى أمير المسلمين
وأنشدها يوم أنشده عبد الجليل قصيدته البرمكية المتقدمة الذكر :

كيف اضطربت به قدست^٣ من جبل لو دكت الأرض من حوايه ما اضطربا

١ اسمه أحمد بن عبد الله بن العباس وهو عم أبي بكر الصولي (انظر ديوان البحري: ١١٢٧ والهاشية)

٢ انظر المسالك ١١ : ٤٥٨ والمغرب ٢ : ٤٧٠ أبو بكر العطار (بجذف كلمة ابن) والنفع

٤ : ١٠ وفي عنوان المرقصات : ٣٠ من اسمه عبد الله بن محمد العطار ولا أظنه هو لأن

المترجم به اسمه في النفع « محمد » ولعبد الله العطار أيضاً ترجمة في المسالك ١١ : ٤٣٢

وهو من شعراء الأنموذج ، فهو على هذا ليس من يابسة .

٣ ص : قد سدت ، والتصويب عن المسالك .

وضاق حتى لو استنهضت طَرفَكَ أن
 وكان كالسيفِ أَلَقَتْ فوق صفحته
 وكان من بعض ما أهدت مكارمهُ
 من كل أشوس سَامِي الطَرفِ منجردٍ
 إلى نجائبٍ خصوصٍ في حقائبها
 يهوي بمتخذِ الماذي من دَرَقٍ
 إذا استطالَ رماحَ الخطِّ قِوَنَسُهُ
 فدُسُ [فديت] بخيلِ الله أنديةً
 واجلُ الظلامِ بوقنادِ الفرندِ كانُ
 يروقُ مضطرباً ماءُ الصقالِ به
 ولا تردَّ حديدَ الهندِ ذا وضحٍ
 تفرُّ منه الليالي الغرُّ عن لعسٍ
 ولا تحلَّ يداً من كعبِ ذابلةٍ

ومنها :

فالأرضُ تَقْلَقُ من جيشٍ قفلت به
 جيشٌ إذا ما [قتام] النقعِ جَلَلَتُهُ

يَحْتَابُ طامِحَهُ في وثبةٍ وثبا
 مدارجُ [الريح] من تكسيره شُطبا
 سوابقُ لو تباري بارقاً لكبا
 قيدِ الأوابدِ سَبَّاقٍ لما انتدبا
 ماشت من شرفٍ يستنفد الحقبا
 إذا استخفَّ الكماةُ البَيضُ واليلبا
 سما فأدرك من أطرافها العذبا
 للشركِ تصطامِ الأوثانِ والصُّلبا
 في صفحته [جمعت] الما واللهما [١٢٩]
 كأنه جدولٌ هبَّتْ عليه صبا
 حتى يرى بنجيمِ الكفرِ مختصبا
 تحالُ إفرندة من فوقه شنباً
 إلأً لتملأها نهذاً وقد كعباً

والجوُّ يعرُّ فيه من قنأ وظبا
 كانت سيفُفك نارا والعدا حطبا

١ ص : ألفت .

٢ ص : تكسره .

من كل ملتئم والبيض سافرة^١
جمت مياه وجوه القوم فاتخذوا
وليس ينفك^٢ من سحب تظلاته^٣

ومنها في صفة الزورق :

يبدو على الموج أحياناً وتضميره^٤
أمطاك^٥ عزمك منه متن ساجدة

وله من أخرى :

أقسمت بالزرق والهنديّة الذئبق^١
لأنت بدر سماء المأمك تحرسه^٢
وأنت يا فتوح عن فتح خصيصة به
جاء البشير به تذكر ذلّاه^٣
فراق أعيننا [ما] في صحيفته^٤
والجيش قد جعلت أبطاله مرحاً^٥
هزت نواصيته لما قفلت بها

والشمس قد كُست من قسطل حجبا
من الحياء على أبقارها نقبا
إن لم تكن رهجا كانت دخان كبا

كالأينم يعتسف^١ الأهضام والكثبا
خلت الحباب على لباتها لها

والأعوجيّة والمهريّة اللحق^١
شهب الأسنّة عن إصغاء مسترق^٢
وعمّ كلاً عموم العارض الغدق^٣
كأنما المسك مذرور على الطرق^٤
كأنه شعير في عارض يفتق^٥
تختال عن خيلاء السبق العتق^٦
قب البطون لما فيها من اللحق^٧

١ المسالك : تنفك . . تظللها .

٢ ص : تستعف .

٣ النفح : أمطيت .

٤ منها بيتان في المغرب والمسالك .

هي البحورُ ولكن في كواثِبِها^١ عند الكريمةِ منجاةٌ من العرق
إذا تَسَعَّرَتِ الهيجاءُ أحمَدَها ما في معاطفها من نَدْوَةِ العرق
وله من أخرى^٢ :

يا حبذا شُهْبُ الذواهِبِ ما اعتلى
والبيضُ سافرةُ الوجوهِ كأنما
تشدو بهامِ المشركين فيعتري
والبحشُ مضطربُ البنودِ كأنه
ثابرتَ في طَلَبِ العدوِّ مغاوراً
فصدرتَ والإسلامُ فوق جبينه
والكفرُ منحطيمُ الفقارِ يَعْنُقُهُ
فتسنموا قُلُوكَ الجبالِ وعنده
هيهاتِ يُعْجِزُهُ العدوُّ لو آتَهُ
وإذا أقامَ على الرضى في بلدةٍ
من نورِ وَجْهِكَ فوقَها لألاء
لحدودهنَّ من اللقاءِ حياء
أذنَ الهدى لغنائها إصغاء
تحتَ العواصفِ لُجَّةٌ خضراء
حتى اشتكى التأويبُ والاسراء
وَصَحَّ تضاعُفُ عن سناه ذكاء
خَضَعُ وفي أجفانهِ إغضاء
أنَّ البسائطَ والجبالَ سواء
فوقَ اليَقَاعِ فريدةٌ عصماء
رُبَّ النباتِ بها وماجٍ^٣ الماء

١ الكواثِب : جمع كائبة وهي من الفرس قدام السرج .

٢ أورد العمري منها ثلاثة أبيات .

٣ ص : وضاح .

فصل في ذكر [ابن القابلة السبي] ^١

وأنشدت لعبد الله بن القابلة السبي ^٢ :

الشيْبُ في مفرقٍ حلا وعقدَ عهدِ الملاحِ حلا
وكان كالآبنوسِ رأسي فاحتله عاجبهُ فحلتي
وحرمتُ وصلي الغواني وقُتِلَ العميدِ حلا

وكان ابنُ القابلة ^٣ هذا يوماً مع ابنِ عبادةَ بالمرية : فنظر إلى غلامٍ
وسيمٍ شديدٍ البياضِ يسبحُ بالبحر ، وقد تعلّق بأحدِ المراكب ، وبقي
نصفُ جسده بالماء ، فقال له ابن عبادة :

انظرُ إلى البدرِ الذي لاحَ لك

فقال ابن القابلة :

^١ سقط عنوان الفصل من ص ، وهذا قد يفسر كيف أن العمري في المسالك لم ينتبه إلى أن ابن بسام قد انتقل إلى ترجمة جديدة ، ولهذا أدخل العمري بيتي شعر لابن القابلة في ترجمة ابن العطار الياسبي ؛ وحين أراد أن يترجم لابن القابلة عقد له ترجمة مستقلة (١١ : ٢٢٩) واعتمد في هذه الترجمة على عنوان المرقصات : ٣٠ وهي قصيدة على ثلاثة أبيات له وردت أيضاً في الدررة المضيئة : ٤٨٧ واسم ابن القابلة عبد الله ، ولا بد من أن نفرق بينه وبين ابن قابلة آخر ليس سبتياً وهو محمد بن يحيى الشلطي (المغرب : ١ : ٢٢٩)

^٢ الشريشي ١ : ٦١ .

^٣ انظر القصة في بدائع البدائع : ٨١ والنسخ ٣ : ٦١٠ ، ٤ : ١٣

فِي وَسْطِ النَّجَّةِ يَجْلُو الْخَلَكُ

قد جعل الماء مكانَ السما واتخذ الفلكَ مكانَ الفلكِ

وأنشدت له ^١ :

ووجهٍ محبٍّ ^٢ رقاً حسناً أديمه يرى الصنبُ فيه وجهه حين ينظرُ

تعرضَ [لي] عند اللقاءِ بهِ رشاً تكادُ الحميتا من عيانهُ تعصرُ ^٣

ولم يتعرضْ كي أراهُ وإنما أرادَ يريني أن وجهي أصفر

وأنشدت له يصف القتلى ^٤ :

تركتهمُ نهبَ الفلاةِ وحشيتها شعورهمُ شعثٌ وأوجنهُمُ غبرُ

تظلُّ سباعُ الطيرِ عاكفةً بهم على جُثثٍ قد سَلَّ أنفُسها الذعرُ

وقد عوّضتهم من قبورٍ حواصلًا فيا من رأى ميتاً يطيرُ به قبر

وهذا كقول التهامي ^٥ :

١ انظر المرقصات والدرة المضية والمسالك والغيث ٢ : ٢٥٩ . ورفع الحجب ١ : ١٨٣

والشريشي ٤ : ٧٨ .

٢ ص : وجه محبي ؛ في أكثر المصادر : ووجه غزال ؛ الغيث : ووجه مليح .

٣ في المصادر : تقطر .

٤ منها بيتان دخلا في ترجمة ابن العطار اليابسي في المسالك ١١ : ٤٥٩ .

٥ ص : لم على جثة .

٦ لم يردا في ديوانه .

حمتهم قبور من ذئاب وأنسر تروح بأشلاء الدفين وتفتدي
فمن حامل فوق البسيطة ملحداً وآخر يهوي في السماء بملحد

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما انتخبته من أشعار هذه الفرقة
الوافدة من المشرق ، على بلاد هذا الأفق . ونتلوه إن شاء الله بأخبار من
وعدنا أن نأتي بذكره من أعيان أهل الآداب . وأعلام الشعراء والكتاب ،
ممن كان [١٣٠] بالمشرق ومعاصراً لطبقة هذا الكتاب ، وقد قدمت السبب في
اجتلاب أخبارهم ، وانتخاب أشعارهم . . .

ملحق القسم الثاني (قراءات النسختين ك ل) ١

١١ : ٨	هي كانت قاعدة (ك)
١١ : ١٥ - ١٦	لأولي العقول وذوي العلوم (ك)
١٣ : ٣	ولا مشيراً إليه (ك ل)
١٨ : ١٨	إلا وبه شيء راتب (ك)
٢٠ : ٦	فهتكت أستارها وخربت ديارها (ك)
٢٠ : ٩ - ١٠	هذه الغزاة : : وتجاوز البلاء برعيته (ك)
٢١ : ٨	واستخرجوا بذلك ما ادخروه (ك)
٢١ : ١٣	فلا يقاتل الأعداء (ك)
٣٢ : ٨	فمن ذلك قوله وذكر فتح رندة (ك)
٣٩ : ٥	بأي شيء صنع (ك)
٤٠ : ١	لم تُجره الوفادة (ك)

١ انظر القسم الثاني ص: ٨٥٥ في وصف هاتين النسختين ، ولم أذكر في هذا الملحق ما تخل به كل نسخة منهما ، ولا ما تشترك فيه مع النسخ الأخرى ، [فعل وجه الجملة تلتقي (ك) بالنسختين (ط د) كما تتفق (ل) مع النسختين (م س)] ولم أدرج في هذا الملحق أيضاً القراءات التي لا وجه لصحتها فذلك عبء لا مجال له هنا ، وإنما أثبت قراءات محتملة أو بعض زيادات تنفرد بها النسختان ، وهذه الزيادات - فيما عدا بضعة مواطن - لا تصيف كثيراً إلى المعنى ، ولكن إثباتها أمر تفرضه أمانة التحقيق . لهذا أرجو القارئ ألا يعتبر هذا الملحق في معظمه تصويهاً لأخطاء ، وإنما هو وفاء بمطالبات العمل ، والتزام بالدقة العلمية .

- لا يجد إلا رائثا (ك) ٤٢ : ١
- زاد في (ك) بعد السطر السابع : ٤٨ :
- فالنفس جازعة والعين داعية
والصوت منخفض والطرف منكسر
وبعد السطر العاشر :
- قوم نصيحتهم غش وجههم
بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر
يميز البغض في الألفاظ إن نطقوا
ويعرف الحق في الألفاظ إن نظروا
(وانظر ديوان المعتمد : ٣٨)
- وحذراً من حضور الوفاة (ك) ٥٦ : ٩
- قبل القبر ومرغ جبينه (ك) ٥٨ : ٤
- رواهما الرواة على روي اللام (ك) ٥٩ : ١٢
- وعند ذلك أيضاً قال (ك) ٦٨ : ١
- ما أعجب الحادث (ك) ٦٨ : ٨
- زاد في (ك) بعد السطر : ٨٠ : ١٢
- يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل وادبهم ليسكنه
خف القطين وجهف الزرع بالواد
وأنت يا فارس الخيل التي جعلت
تختال في عدد منهم وأعداد

لما دنا الوقت لم تخلف له عسدة	
وكل شيء لميقات وميعاد	
والنوح يتبعها (ك)	٨١ : ٣
عبد الله بن أبي سعيد (ك)	٨١ : ١٥
وصحت منابته في الكرم (ك)	٨٦ : ٨
ومن كلام المحدثين مما أجروه فجرى (ك)	٩٢ : ٨
من تأويل الدواوين (ل)	٩٦ : ٥
تقول في كل معنى (ك ل)	١٠٧ : ٩
غربت ألبابنا (ك ل)	١٠٩ : ٣
وقال أبو عامر (سقطت لفظة الوزير في ك ل)	١١١ : ٣
وذوي الرياسة والفهم (ك)	١١٣ : ٣
وقد أخرجت من نظمه ونثره ما يشهد بنبله وفهمه (ل)	١٢٥ : ٨
وقد اقتضبت من الرسالتين بعض فصول (ك)	١٢٧ : ٥ - ٦
فإن لكل واحد منها (ل)	١٢٨ : ٢
وقوام أمرها به (ل)	١٣٠ : ١٢
ولما أن قرأته (ك ل)	١٣٠ : ١٥
فليس يرغب في الحرام (ل)	١٣٨ : ١٨
بالله من شيطانك استعذ (ل)	١٤٢ : ٣
كما تجاوب أطيّار بأشجار (ك ل)	١٥٠ : ١٠
عاطني أكّوس المدام (ل)	١٥١ : ٣
وأختار ذيبا (ل)	١٥١ : ٦
سهل للناس هذا السبيل (ل)	١٥١ : ١٢

وما يتشبت بهذه الأسباب (ك ل)	١١ : ١٥٢
يخرج بي عن المقصود (ك)	٩ : ١٥٥
خذ جري للنعيم فيه (ك)	١١ : ١٦٥
إلى البدر صاحبي (ك)	١١ : ١٧١
فتعطيني العطاء المضاعفا (ك)	٩ : ١٧٧
يخر وجلباب الدجى يتمزق (ل)	١٥ : ١٧٨
كل مرأى ومسمع (ك)	١٧ : ١٨٣
بمرأى عينك نفس أريب (ك ل)	١٧ : ١٩٣
أو كانت للمجد روضة (ل)	٤ : ١٩٤
وإماماً في سائر التعاليم مخفوداً (ك ل ؛ قلت :	٩ : ٢٠٠
والمحفود : المعظم الذي يخدمه إخوانه)	
ويصف الشعر (ل ؛ قلت : اقرأ : الشقر وهو	٥ : ٢٠١
شقاتق النعمان أيضاً)	
وقد يحرم الرامي المصيب فريضة (ك ل)	١٥ : ٢٠٧
أبي الأصبح بن سيد (ك ل)	١٤ : ٢٠٩
صنعة ثوبها (ك)	٥ : ٢١٤
والكريم إلى سكنه (ل)	١٣ : ٢٢٠
وهي أن أكبر بناته (ك)	٩ : ٢٢٧
تسدّ به بعض خلقتها (ك ل)	١٠ : ٢٢٧
ما وجدت من شعر (ل)	١٥ : ٢٢٩
وتخلى للمعتضد عن أوبة (ل)	١٣ - ١٢ : ٢٣٤
جلالاً وخلالاً (ل)	١٨ : ٢٣٤

وقد علم ما كنا عليه قبل (ل)	٧ : ٢٤٢
قد تحصنوا بالخلق (ل)	٤ : ٢٤٣
ويستبيح الذمار (ك ل)	١٥ : ٢٥٣
تحتفل وتحتشد (ك ل)	٣ : ٢٥٩
الغوي المجيء والمذهب (ك ل)	٦-٥ : ٢٧٥
وتقاصر من غلوه (ك ل)	٣ : ٢٧٧
ورد كتابك منبثاً (ل)	٩ : ٢٨٣
من يرتسم بهذا الشأن (ل)	٥ : ٢٨٦
ولا طفت ولا سعيت (ك)	١٤ : ٢٨٧
يا رسول الله حرمة عيادي بك (ل)	١٦ : ٢٨٧
أسباب الحياة والحيا (ك ل)	٤ : ٢٩١
عليك ظليل (ل)	٥ : ٢٩٢
ولا نجم (ل)	٥ : ٢٩٨
ووصل من مقطوع أنسابها (ل)	٨ : ٢٩٨
يوم تقطع الأنساب والأسباب (ل)	١١-١٠ : ٢٩٨
ولا انسحبت عليه للزمن (ل)	٢ : ٣٠٥
ومطالع علمك (ل)	١٢ : ٣٠٥
ما خصصته به (ل)	١١ : ٣١٠
الدمث الخليفة (ل)	١٣ : ٣١٠
وكريم الاعتداد (ل)	١٣ : ٣١١
الحسيب الأريب أخيك (ل)	١٨-١٧ : ٣١٥
وللآمال في تراخي مدته (ل)	١ : ٣١٦

والله يعوضك منه الغزاء (ك)	٣١٦ : ١٠
لا شيء أعرف من عقل (ل)	٣٢٨ : ١٥
وقد خطبت وخطبت (ل)	٣٢٩ : ٨
ومددت إلى اجتلاء السرور عيني (ل)	٣٣٠ : ٩
وأرب قصي عن فأبرمه (ل)	٣٣٧ : ١٤ - ١٥
وحوم به جناح (ل)	٣٣٩ : ٧
لا يسمن ولا يغني (ل)	٣٤٠ : ١٢ - ١٣
لن تجدوا في غيري مرشفا (ل)	٣٤٢ : ١١
ونجباء الأولاد (ل)	٣٤٤ : ١١
قاس من الأيك أو رطيب (ل)	٣٥٢ : ١
ولا أخفض من الجهارة (ك ل)	٣٥٢ : ١٢ - ١٣
وتستدر جلموداً (ل)	٣٥٣ : ٦
ولا شره المكتسب (ل)	٣٥٦ : ٩
وفي فصل منها (ك)	٣٥٩ : ١
أنا من فرط بري (ك ل)	٣٦١ : ٨
ولو شكت له نبؤ المتزل (ل)	٣٦٦ : ١٤
ويحوز المعنى الآتم (ك)	٣٦٧ : ٤
رغبة بنفسه عن نحلة (ل)	٣٦٩ : ١٣
نسخ الغدر اقتضاء وفائه (ك)	٣٨٢ : ٢
ما وجدته من شعره (ك)	٣٨٨ : ١
عند وقع المصائب (ك)	٤٠٤ : ١
تدعى بشميس مصفرة (ل)	٤١٤ : ٧

- ٤١٤ : زاد في (ك) بعد سطر : ١١ أبياتاً في هجاء ابن
عمار للمعتمد ، ولا ريب في أنها دخيلة على
الأصل ، لأنها من فاحش الهجاء الذي يتحاشاه
ابن بسام ، وهو قد قال : « وبعده ما أضربت عنه »
- ٤١٥ : ٢ بنظر اشبيلية (ل)
- ٤٢٥ : ٤ ونأى لأبصار العداة (ك)
- ٤٢٦ : ٤ قل لبرق الغمام ظهر البريد (ك)
- ٤٣٠ : ١ على ابن عمار الخائن (ك)
- ٤٣٢ : ٦ من كان تقدم فيه إليه (ك ل)
- ٤٤٠ : ١٢ ولا أمتري في أنها (ك) ... ومن أبلغ حججهم (ك ل)
- ٤٤١ : ٤ - ٥ يتعابرون به أشد منه (ل)
- ٤٤٧ : ٣ بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه : . البيت (ك ل)
- ٤٤٨ : ٩ ابن ذريح (ك)
- ٤٤٩ : ٢ - ٣ دفن بمقبرة الروم (ل)
- ٤٥٠ : ١٣ يداعب ابن جهور (ل)
- ٤٥٠ : ١٥ الشهود لما تدعي (ل)
- ٤٥١ : ١ فجئنا ابن جهور (ل)
- ٤٥٤ : ٣ أم حمت الخطوب الموردا (ل)
- ٤٦٢ : ١ ولم أسمع بهذا البيت (ل)
- ٤٧٢ : ١٠ فجلس المعتمد يوماً على تلك البحيرة (ل)
- ٤٧٧ : ٥ - ٦ وسأخذ فيما بعد بطرف (ل)
- ٤٨١ : ١٢ في حساها الغبي والألمعي (ك ل)

أبو الحسين بن الجعد (ك)	٣ : ٤٨٧
خافق وجل (ك)	١٢ : ٤٩١
من أهل بلدنا وعصرنا (ل)	٧ : ٤٩٤
يؤتى الأمن من حيث يبتغى (ل)	١٤ : ٤٩٤
من نعت الأصحاب (ك ل)	٣ : ٤٩٦
بوجوه اللوم مخضوب (ل)	٧ : ٤٩٦
أشكو لديك الندى (ل)	٦ : ٤٩٩
في سلطانها النكد (ل)	١٣ : ٥٠١
وقال أبو محمد الايادي (ل)	١ : ٥٠٧
بطشة تنسي الأعادي (ل)	٥ : ٥١٠
زاد في (ل) بعد البيت الثالث :	: ٥١١
وأعطني الزمان فصرت أردى بما أحيا سقاماً واعتللاً	
ومن عجائبه قول جنوب (ل)	١٠ : ٥١٣
تأوي له وتثوب (ل)	١٢ : ٥١٦
زمان ممهتي الصفحتين ضروب (ل)	٢ : ٥١٧
ترقرق عنها الملك (ل)	٧ : ٥١٩
في صفحة شمعة (ل)	٤ - ٣ : ٥٢٠
بالقصر المبارك (ل)	١٢ : ٥٢٠
ولم نظلم (ل)	٧ : ٥٣٤
صديقنا الفاضل أبي الحسن (ل)	١٣ : ٥٣٧
شغفت بها (ل)	١ : ٥٣٩

والا زياد يحوك الخطب (ل) ؛ قلت : وهذه	٣ : ٥٣٩
قراءة جيدة)	
فتبقى سمحة القياد (ل)	٤ : ٥٤٢
لكن أخبرك عن حال (ل)	١٣ : ٥٤٢
المستعين بن هود أعزه الله (ل)	٦ : ٥٤٥
خذك أزمهر (ل)	٧ : ٥٤٩
فصعد وتولى (ل)	٧ : ٥٥١
ويزيد على الأيام (ل)	٧ : ٥٥٢
عند الملك الطاهر (ل)	١١ : ٥٥٢
من يمرّ به النسيم (ل)	٢ - ١ : ٥٥٣
أمتلها فأمّ لها ، وقدّم رجاءها (ل)	٥ : ٥٥٣
أو يدور بنا عليك مدارا (ل)	١٤ : ٥٥٥
وتأتى فعلاً وأشرق حسناً (ل)	١٦ : ٥٥٥
حين خططت هذه الحروف (ل)	٣ : ٥٥٩
وختمتها بهذه الأبيات (ل)	٧ : ٥٥٩
له من قصيد أوله (ل)	٢ : ٥٦٤
ونازعتهم حتى فلات (ل)	٩ : ٥٦٥
يتيح الجنى (ل)	١٤ : ٥٦٩
كل فعل يقصر (ل)	١١ : ٥٧٦
بفصول الانعام والاجلال (ك)	١ : ٥٧٧
بهذه العين أبصرت (ل)	٦ : ٥٧٧
لما يجعل المعدّر في حيز الاعتذار (ل)	١١ - ١٠ : ٥٧٧

ومن النثر أبرعه (ك)	١ : ٥٨٠
المنبت الذي إليه متحاه (ك)	٦ - ٥ : ٥٨١
فأحاله هذا بلحناً (ل)	٨ : ٥٨٣
قد عظم الله شأنه (ل)	٦ : ٥٨٥
اعطاء سائل (ك)	١ : ٥٨٧
ابق للعليا تشيد (ل)	٧ : ٥٩٣
مذحيل منك بأذني (ك ؛ قلت : اقرأ : مذحلّ)	١٥ : ٥٩٧
كم قلت فيه (ل)	٢ : ٦٠١
ولقد أباح لك الهوى (ل)	١ : ٦٠٤
فصكت ضلوعي ... صكة (ل)	٤ : ٦٠٥
ما في الليل من درن (ك)	١٧ : ٦١٩
إما من الجبن أو من شدة الفشل (ك)	٣ : ٦٢١
ويصرع أقراناً (ك)	١٤ : ٦٢١
بعض أهل عصري (ل)	١٤ : ٦٢٤
للين لباس (ل)	٨ : ٦٢٦
يشق علينا ترك مدحك (ك)	١٣ : ٦٢٧
برح الهوى (ل)	١٣ : ٦٣٣
وهيم بأسمائهم السلطان هنيهة (ك ل)	٥ : ٦٣٧
أنظره وهو في السما ينظر (ل)	٧ : ٦٣٨
والأعيان الأدباء ... في الدولة المؤرخة ...	١٠ - ٨ : ٦٣٩
المحيط الرومي والأندلس (ل)	
خمسين مجلداً (ك ل)	١٠ - ٩ : ٦٤٠

في جملة ما سرد (ل)	٧ : ٦٤١
بذلك الألوان (ك ل)	٨ : ٦٤١
ابن شرف القروي (ل)	١٦ : ٦٤١
كتب بهذا القصيد (ل)	١٣ : ٦٤٣
لأنه أنبأ أنه يسهره (ل)	٨ : ٦٤٤
إلا مع وفور النوم (ل)	١٠ : ٦٤٤
فשמرت عن ساق (ك)	١١ : ٦٤٦
على قديم الزمان (ل)	٧ : ٦٤٨
لا على المتصل عنك الآن (ك ل)	١٣ : ٦٤٩
لدهي في جبلته (ك)	٨-٧ : ٦٥٠
وثغره مشغوراً (ل)	١٠ : ٦٥٠
وفرد العصر (ل)	٦ : ٦٥٢
وأخذ بأعنان السماء (ك ل)	٤ : ٦٥٣
وهي من الجزيرة (ل)	٥ : ٦٥٥
رحمه الله يومئذ مشغول (ل)	٤ : ٦٥٦
حسبما تخلص الخبر عنها (ل)	١٠ : ٦٥٦
والأجل يتقحمه (ك)	١٢ : ٦٦١
أسطولاً ضخماً (ل)	٢ : ٦٦٢
ليلة الجمعة [...] من صفر المؤرخ (ل)	١١ : ٦٦٣
في نفر من أصحابه (ك)	١٢ : ٦٦٣
من رؤوس جماعته (ل)	١٦ : ٦٦٣
يبري طبة السيف (ك)	٣ : ٦٦٩

وهو اليوم ببلدة يابرة (ل)	٩ : ٦٦٩
والأفواهَ ريتاً (ل)	٨ : ٦٧٠
رحمي النسب والأدب (ل)	٧ : ٦٧١
وأبى لفظها ومعناها (ل)	٦-٥ : ٦٧٢
إن كان للكلام إمارة (ل)	٢-١ : ٦٧٣
ما يربي على الديمة (ل)	١٤ : ٦٧٣
اقرأ : وأغوص رباها على الأفراح	٩-٨ : ٦٧٦
لقد حيا نفوسنا بها (ل)	١٠ : ٦٧٦
وأبقى من أرواحها (بعد « أرواحها » لفظة في ل	١٤ : ٦٧٦
لم أستطع قراءتها)	
في وجوه مائها (بعدها لفظة غير واضحة في ل)	١٥ : ٦٧٦
فأعدي ، واشتكى من الفقر فأشكي ، والممحل :	٥ : ٦٧٧
أنس من السقيا ببعثة الحيا فقال : يا رباها فرحاً	
بسقياه (ل)	
ما حاسنتُ البقيعَ المزهرَ بحدرة (ل)	٩ : ٦٧٧
مشكورة أياديه (ل)	١١ : ٦٧٧
المصلي بالسابق ، وتطلق الضحى الشارق (ل)	٢ : ٦٧٨
وتجهز كتائبك إلى عديد قليل ، وبديد قليل (ل)	١٧ : ٦٧٨
وما حسبتها إلا تيمة (ل ؛ وكذلك سن : ١٦)	٤ : ٦٧٩
ونظمي في ضنك معانيها (ل)	٧ : ٦٧٩
فصل من ترسيل (ل)	٤ : ٦٨٠
إذ الصباية أزكى عتاد (ل)	٢ : ٦٨١

عن كل طبع (ل)	٧ : ٦٨١
من اجتنائه بأبرّ قسم (ل)	١٢ : ٦٨٢
تفرد بالخلافة (ل)	١٧ : ٦٨٢
تلك الشمائل الواعدة الصادقة (ل)	١٩ : ٦٨٢
[ورحمت] في الأدنا (اقرأ : الأدباء) (ل)	٨ : ٦٨٥
برز العوالي (ل ؛ قلت : والرز : الصوت)	٥ : ٦٨٦
وان يسلم فقد تركت به (ل)	٣ : ٦٨٧
حباً عليها جآجيا (ك ل ؛ جمع جؤجؤ)	١ : ٦٨٨
على استنجاز طبعي (ل)	٦ : ٦٩٠
راعوا قديم ولائي . . . وما أطرت (ل)	١٣ : ٦٩٥
مثل التاء في الترخيم (ك)	١٢ : ٦٩٦
فلم تبقَ فيها (ل)	١٠ : ٧٠٥
بما خلف الدروع (ك)	١٢ : ٧١٠
بقرية لب على وادي أنه (ل)	٣ : ٧١٢
إلا أن قول أبي محمد أولى بالتقدم منه قول بشر (ل)	١٤ : ٧١٣
والبيض والسمر مثل . . . (ك)	٣ : ٧٢١
وانتدبت لجعفر وابنه (ل)	٣ : ٧٢٣
سحقاً ليومكم سحقاً (ل)	٩ : ٧٢٣
ويح السماح ويح الناس (ل)	١٣ : ٧٢٣
وردها يدعو إلى صدر (ل)	٥ : ٧٢٤
سلام منتصب للأجر (ل)	٦ : ٧٢٤
شتى وذو عبر (ل)	٧ : ٧٢٤

التطيلي في قصيدة يرثي بها السيناقي وقتل غيلة فقال (ل)	٧٢٤ : ٨
فأعقب عنها آخر الدهر (ل)	٧٢٥ : ٢
وانثالت في يدك (ل)	٧٢٩ : ١٣
وان لم يكن فشبع وريّ (ل)	٧٢٩ : ١٤
الذي شرف قدره على الأقدار (ل)	٧٣٠ : ٨
إن عنتي سواي وعرها (ل)	٧٣١ : ٣
ولترى أين أقع وتأمر بما أصنع (ل)	٧٣١ : ١٩
ببسط نفسي (ل)	٧٣١ : ٢٠
يا قلب ذب كمداً (المورد)	٧٣٥ : ٨
تأملتني أم المجد (ل والمورد)	٧٣٦ : ٨
سيعديها فيعطفها (المورد)	٧٣٦ : ١٦
خير من الهجر في جهد (المورد)	٧٣٦ : ٢١
ان كنت 'لست' بذني نقص (اقرأ : بغض كما في المورد) (ل)	٧٣٧ : ٧
إلا فت في عضدي (المورد)	٧٣٧ : ٨
من خبل ومن كمد (ل)	٧٣٧ : ١٣
نفثت بالسحر في عقد (ل)	٧٣٧ : ١٥
منه الأسى في السهل والجلد (ل والمورد)	٧٣٨ : ١٤

١ مجلة المورد ٦ : ٢/١٩٧٧ ص : ٣٠١ - ٣٠٤ استدراقات د . محمد مجيد السعيد على ديوان التطيلي .

ووجه الدهر أسحم مظلم (المورد)	١٩ : ٧٣٨
كأنهن العندم (المورد)	٢ : ٧٣٩
تبيينوا ألا أطيق فترحموا (ل والمورد)	٥ : ٧٣٩
وتظلمون بجهدكم (ل والمورد)	٧ : ٧٣٩
اقرأ : فأبتُ بدمعي . . . وأبتُ بما في مقلتيها	٥ : ٧٤٣
بدت رقة الشكوى على عصفاته (ل)	٩ : ٧٤٣
بالبرس يشب بين القوس (ل)	٧ : ٧٤٧
ليس شعري بمنقص (ل)	٨ : ٧٤٩
مكذوبي النهى والتجارب (ل)	٣ : ٧٥٠
وعدي له الأيام الا نواهب (؟) (ل)	١٩ : ٧٥٠
خاطب بها الوزير الفقيه أبا الحسين (ل)	٦ : ٧٥٤
بعض الريش إلى جناحي (ك)	١٤ : ٧٥٥
وأقرئك من أثناء تلك الدولة (ل)	١٧ : ٧٥٥
ولا أفر إلا لنعمائك (ل)	٧ : ٧٥٦
والله تعالى يبقيك لي ويمليك (ل)	١٠ : ٧٥٦
ومؤديه ناصح مملوكك (ل)	١٢ : ٧٥٦
من علامات الكرام أنه شبيه (ل)	١١ : ٧٥٧
قال الله تعالى فيه (ل)	٣ : ٧٥٩
وجدته أمراً من الزيادة (ل)	٥ : ٧٥٩
من النسر الأشغى (ل)	١١ : ٧٥٩
له بين وردك وياسمينك (ل)	٧ : ٧٦٠
وتنسى على منابر أدواحك (ل)	٨ - ٧ : ٧٦٠

أولى الأمة بذلك نوح (ل)	٥ : ٧٦٢
وهو الوسع المحمود (ل)	٧ : ٧٦٥
بأبيات قال فيها (ل)	١٠ : ٧٦٥
موشومة ، إذا ما تأملتها كالسفن (ل)	٩ : ٧٧١
ولم يترك من بعضها (ل)	١ : ٧٧٣
ثم انبسط أبو بكر (ل)	١٠ : ٧٧٣
وتعاور أطوارها وتناوبها (ل)	٩ : ٧٧٦
إلى هذا النسب الكريم (ل)	٥ : ٧٧٧
فابدعوه بالتحية (ل)	٩ : ٧٧٨
والغريب مثل المنكوب (ل)	١٠ : ٧٧٨
وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع (ل)	١٥ : ٧٧٨
على أني إنما أتكبر (ل)	١ : ٧٧٩
ويشرع في وداد (ل) ويكشف . . . عن أصل هذا التهاجر (ل)	٣ - ٢ : ٧٧٩
فذكرك بصفاتك (ل)	٦ : ٧٧٩
رواية (ل) في ترتيب الأبيات هي الصحيحة وهي كما يلي :	: ٧٧٩
أبا أيوب والأيام لا تبقى على حال [وان المرء منها بين ادبار واقبال] لئن رحت رخيَّ البال ذا جاه وذا مال ومركوب وغاشية وأقام وأذبال جميع الشمل ملقى الرحل بين الأهل والآل	

وأصبحتُ مقللاً رهنَ إقبال وإذلال	
فإنك حد (الأبيات)	
كسبيل ما وردني الآن به كتابك (ل)	٧٨٣ : ٨
خان بعض الثقات (ل)	٧٨٣ : ١٤
منع الجواز إليها (ل)	٧٩٠ : ١٢
رفعت راياته (ل)	٧٩٢ : ١٥
فلم يتزّن (ل)	٧٩٤ : ٩
بعد السطر السادس ورد في (ل) : وقال آخر :	٧٩٥ :
والثريا في الجو كالعنقود	
رهينة بانصداع الشمل (ل)	٧٩٦ : ٧
ممن نظم الدر المفصل وطبق المفصل (ل)	٧٩٧ : ٢
على الله الثناء (ل)	٨٠٠ : ٩
وللبروق مجامر (ل)	٨٠٠ : ١٥
لم يبقَ للظلم في أيامكم (ل)	٨٠٥ : ٢
تأمنٌ ومكفّ (ل)	٨٠٥ : ٤
وأنهم في قولهم كاذبون (ل)	٨٠٧ : ٥
قل لي أبا مروان (ل)	٨٠٧ : ٨
إليه واستبسّل عساه يلين (ل)	٨٠٧ : ١٢
دراهم ملوك أفقنا (ل)	٨٠٩ : ٤
ماورد (ل : بماء ورد) كان بين يديه (ل)	٨١٠ : ٨
من وثاقه وأذن الله بانطلاقه وله في ذلك قصيدة (ل)	٨١٥ : ٨
يقول فيها (ل)	٨١٦ : ١٢

بعد البيت الرابع (س : ٤) في ل ورد البيت :	٨٢٤ :
أدامت حمامات على فقد إلفها	
وينكر أقوام عليّ دوامي	
ليت الزمان من العثار يقال (ل)	٨٢٧ : ٨
على جيد ما جد (ل)	٨٣٠ : ٩
ومما راعني لم أصدق (ل)	٨٣٢ : ٨
مما انتحاه (ل)	٨٣٤ : ٧
أوحش حلولا من الليل (ل)	٨٣٥ : ٢
وفي مثل ذلك يقول (ل)	٨٣٦ : ٨
أعندك أن البدر بات (ل)	٨٣٧ : ٢
لم أدر (ك) ما جيد الهوى (ل)	٨٣٩ : ١٣
ووسطى في نظام المكرمات (ك)	٨٤٢ : ١٢
حتى حسبنا أديم الماء (ل)	٨٤٣ : ١٢
في غير ما موضع (ل)	٨٤٦ : ٦
يسير بالعدل والأحكام (ل)	٨٤٧ : ١٠
وله من أخرى (ل)	٨٤٩ : ٢
من سروهم شبه الأحجال	٨٤٩ : ٣
في (ل) بعد السطر السابع :	٨٥٠ :
أنا يا ابن حمدين وتلك مقالة	
برئت شهادتها من التجريح	

فهرس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

أدريس بن اليماني ١٤٠	- ١ -
أذفونش بن برمند ٨٤	آدم ١٧٧
أذفونش بن فرذلند ١٥٦ ، ١٤٩	ابن أبي دواد ٣١
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،	ابن أبي الزلازل (الحسين بن
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،	عبد الرحيم) ١٧٨
١٦٨	ابن أبي سمرة الدارمي ١٠٠
ابن أذين (صاحب الخيل) ١١٧	ابراهيم (النبي) ١٧٩ ، ٢١٧
الاسكندر ٣٦١	ابراهيم الموصلي ١٣٦
أسماء (في شعر) ٢٨١	ابراهيم بن العباس الصولي ٣٧٦
أسماء بنت غالب ٦٥	ابراهيم بن محمد ، انظر : ابن السقاء
اسماعيل بن ذي النون : انظر :	أحمد البصري (الناهي) ٢١٧
الظافر ابن ذي النون ناصر الدولة	أحمد بن أبي طاهر ٢٩٣
الأسود بن يعقوب ١٩٧ ، ٢٠١	أحمد بن زياد ٥٧
أشجع السلمي ٣٠٦	أحمد بن فارس المنجم ٧٩
أشعب الطمع ٢٢٥	أحمد بن المعتصم ٣٧
الأصمغين الناصر ٥٧ ، ٥٨	الأحنف بن قيس ٣٧
أبو الأصمغين البلنسي الحكيم ٣٦٢ ،	الأخطل ١٩٧ ، ٢٠٣
٣٦٣	أدريس بن عبد الله العلوي ٣٠٦
أبو الأصمغين الكاتب ٣٦٧	

ابن الأعرابي ١٢٥	ابن بسام ٧ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣ ،
امرؤ القيس بن حجر الكندي ٢٠	٤٤ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٢٦ ، ١٤١ ،
٣٣ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ،	١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ،
١٩٨ ، ٢٣٣	١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢٢١ ،
أوس (والد أبي تمام) ١٧٩	٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢١٠
إياس القاضي ٣٧	البستي ، أبو الفتح ٢٥٧ ، ٣٥٤
أيوب (النبي) ٢١٥	بشار بن برد ٩٧ ، ٢٠٤
- ب -	بطليموس ١٨٣
باديس بن جبوس ١٢٥ ، ١٧٧ ،	بقراط ٣٦٠
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٥٠	أبو بكر الخولاني المنجم ٣٥٧ ،
باقل ١٨٣	٣٦٢ ، ٣٦٩
البيغاء ، أبو الفرج ٢٥	أبو بكر المرادي القروي ، أبو الحسن
البحثري (الوليد بن عبادة) ١٩٨ ،	(٣٦٤ - ٣٦٧)
٢٠٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ،	البكري ، أبو زيد ٥٥
٣٧٥ ، ٣٧٦	بلال بن رباح ١٩٤
ابن بدر ١٧	بلقين بن حماد ٨٩ ، ٣٤٧ ،
بديع الزمان الهمذاني ١٩٦ ،	٣٤٩
٢٥٢ ، ٢٧٠	بنفسج العامرية ٤٨
البر الطليطي الفقيه ٣٥٦	بهار العامرية ٤٧
أبو البركات العلوي ٢٥	- ت -
ابن برلوصة ، أبو عمر ١٦١	تبع ٢٧١

- أبو تمام (حبيب بن أوس) ١٣ .
 ١٤ . ٣٧ ، ١٤١ ، ١٧٥ .
 ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٩ . ١٩٧ .
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ٢٢٣ . ٢٣٠ .
 ٢٣٤ . ٢٣٥ . ٢٩٤ .
 تميم بن أبي بن مقبل ١٩٧ : ٢٠٢ .
 تميم بن بلقين ٢٨٠ ، ٢٨١ .
 تميم بن جميل السدوسي ٣٨ .
 تميم بن المعز ٨٩ ، ٣٢٦ .
 ٣٢٧ .
 التهامي أبو الحسن ٢٩٧ ، ٣٤٧ .
 ٣٨١ .
 ابن التياي ١٩ .
- ث -
- ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح
 (١٢٤ - ١٢٦)
 الثعالبي ، أبو منصور ٨ ، ١٣ ،
 ٢٥ ، ٩٩ ، ٢١٧ .
- ج -
- ابن جابر ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ .
- جالينوس ١٨٣ .
 ابن جدار المصري ١٩٨ .
 الجرجاني (راوية مقامة) ٢١٢ .
 ٢١٣ .
 جروول (الخطيئة) ١٨٣ .
 ١٩٧ : ٢٠٢ .
 جرير بن الخطفي ٩٨ ، ١٩٧ .
 ٢٠٣ : ٢٣٤ .
 أبو جعدة نهشل ١٩٤ ، ١٩٥ .
 ١٩٦ .
 جعفر الصقلي ٦٧ .
 جعفر بن عثمان المصحفي ، انظر :
 المصحفي
 جعفر بن علي ٢٠٩ .
 جمل (في شعر) ٢٢٩ ، ٢٦٠ .
 جميل بشينة ١٩٧ .
 أبو جنيس ، انظر : الرمادي يوسف
 ابن هارون
 ابن جهور . أبو الوليد ٢٣٩ .
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ .
 ٢٤٥ .
 ابن جهور : عبد الملك ٢٤٤ .
 جوذر القتي ٥٨ .

- ح -

حاتم الطائي ١٨٣ ، ١٥٨ ، ٣٦١

أبو حاتم الحجاري ٣٦٢ ، ٣٦٣

حاجب بن زرارة ١٧٩

الحاكم الفاطمي ٩١ ، ٩٤

حبيب الصقلي ٣٤

حبيب بن أوس : انظر : أبو تمام

ابن الحديدي ، أبو بكر : ١٥١ ، ١٥٢

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

ابن حزم ، أبو محمد ١٢٥ ، ١٢٦

حسان بن ثابت ١١٦ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١

ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٥٣ ، ٢٥٤

الحسن بن هائيء : انظر : أبو نواس

الحسن بن وهب ٢٢٣ ، ٣٦٩

ابن حسون ، أبو مروان ٢٨٢

الحسين الفتي ٣٦٩

الحسين بن الضحاك ٣٢٢

الحسين بن علي ١٩٣

الحصري الكفيف (علي بن عبد

الغني ، أبو الحسن) (٢٤٥ -

٢٨٣) ٣٥٤

الحطيئة ، انظر : جرول

الحكم (الأول الأموي) ٣٠٤

أبو الحكم الحاجب ٢٥٢

الحكم المستنصر ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢

٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٤٢

الحكيم المصري (عبد الله بن خليفة ،

أبو محمد) ٢٩٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧

١٣٩ ، ١٤١ ، ٣٤٢ -

(٣٦٠

ابن حلزة : الحارث ١٩٧ ، ١٩٩

الخلواني ، أبو الحسن (عبد الكريم

ابن فضال) (٢٨٤ - ٣٠٠)

الحمادان ١٩٦

ابن حماد ٣٠٢

ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٤٥

الحمدي (اسماعيل بن ابراهيم)

٣٦٩

ابن حمديس (أبو محمد عبد الجبار)

(٣٠٢ - ٣٤٢)

ابن حمود ١٤٤	ابن خلصة الشلوئي ٢٦٨
الحميدي ، أبو عبد الله ١٢٢ ،	خلف بن حسين (والد ابن حيان)
١٢٣	٧٦ ، ٧٥ ، ٦٧ ، ٥٢
أبو حنيفة ٣٥٤	خليفة (امرأة) ٣١٥
ابن حيان المؤرخ ٩ ، ٢٠ ، ٥٠ ،	خليفة المورته (والد الحكيم المصري)
٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ،	١٣٧
٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،	خيران العامري ١١
٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٧ ،	- د -
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،	ابن الدب : أبو جعفر (أحمد بن
١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،	سعيد) ١٠ ، ١١
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣٨ ،	ابن دراج القسطلي ١٧٠ ، ١٩٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٤٣	٢١١ ، ٢٩٦
- خ -	ابن دريد أبو بكر ٣٢
خارجة السهمي ٢٢٦	دريد بن الصمة ١٩٧ ، ٢٠١
خالد (في شعر) ٣٧	دعبل الخزاعي ١٩٧ ، ٢٠٥
خالد القسري ١٩٠	أبو دلف العجلي ٣١
خالد بن هشام ٦٧ ، ٦٨	الدميني (ابن الدمينه) ١٩٧
الخالدي . أبو بكر ٢٥٦	أبو دواد الإيادي ١٤٧
الخيزر أرزي (نصر بن أحمد)	- ذ -
١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٩	ذو الرمة ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
الحصيب ٣٥١	

ابن ذكوان القاضي ، أبو العباس	ابن الرومي ٣٧ : ١٩٨ ، ٢٠٨ ،
٤٢ ، ٥٠ ، ٧٥	٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١
ذو النون (جد بني ذي النون) ١٤٢	أبو الريان (بطل مقامة) ١٩٧ ،
أبو ذؤيب الهذلي ١٩٧ ، ٢٠٣	١٩٨ - ٢١١
٢٤٧	- ز -
ذو الإسرائيلي ١٣٦	زاوي بن زيري ٨١ ، ٨٢
- ر -	الزبرقان بن بدر ١٨٣
الراعي (عميد بن حصين) ١٩٧ ،	زبيدة بنت جعفر ٣٤٨ ، ٣٤٩
٢٠٢	الزبيدي ، أبو بكر ١٤ ، ١٥
رائق (أخو صبيح) ٧١	ابن زرارة ٢٢
الرباب (في شعر) ٢٧٢ ، ٢٧٨	زرقاء اليمامة ١٨٣
الرشيد (هارون) ٢٦٢ ، ٣٠٦	زهير بن أبي سلمى ١٩٧ ، ١٩٩
ابن رشيق ، أبو علي ٢٤ ، ٨٩ ،	ابن الزيات (صاحب طرسوس)
١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٥ ،	١٢٦
٢٣٠ ، ٢٩١	ابن الزيات الوزير (محمد بن عبد
الرضي (الشريف) ٢٣٤ ،	الملك) ٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦
٢٤٨	زياد بن أبي سفيان ٢٦٤
ابن الرقاق العاملي ١٩٧	زيادة الله بن مضر الطنبلي ١٩
الرمادي يوسف بن هارون أبو جنيس	زيد الخيل ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٢
١٢٠ ، ٢٩٦	ابن زيدون ، أبو بكر ٣٦٠
الرماح بن ميادة ١٩٨ ، ٢٠٤	ابن زيدون ، أبو الوليد ١٧٢ ،
	٣٧٤ ، ٣٧٥

سليمان (النبي) ٢٤٢ ، ٣٣٤ ،

٣٦٨

سليمان بن حسان النصيبي ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك ٣٦

سليمان بن محمد الصقلي (١١٩ -

١٢٤)

السموأل ١٨٣ ، ٣٤٥

السميسر ٢٢٧

سيبويه ١٤ ، ٢٥٠

سيرين (جارية) ١٧٣

سيف الدولة ٢٣ ، ٢٤

- ش -

ابن الشامي صاحب الخمس ٢٩١ ،

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣١٨

شانجة بن غرسيه ٤٥ ، ٧٣ ،

٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦

شانجة بن فردلند ١٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٢٣ ،

٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

(١٦٩ - ٢٤٥) ٢٨٥

شروان شاه ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٤

زيري (والد زاوي) ٨٢

- س -

سحبان وائل ١٨٣

سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٩٧

٣٧٥

سعاد (في شعر) ٢٢٩

سعدى (في شعر) ٢٢٩

سعدان المؤدب ٤٣

سعيد (صاحب الشاة) ٣٦٩

سعيد بن حميد ٣٠٧

أبو سعيد السيرافي ١٤

ابن السقاء (ابراهيم بن محمد أبو

الحسن) ٢٣٧ (٢٣٨ -

٢٤٥)

سقراط ١٨٨

سلامة بن جندل ١٩٧

السلامي ، أبو الحسن ١٠٦ .

١٢١

سلمى (في شعر) ٢٢٠ ، ٣٥٠

سليمان (المستعين) ١٠ ، ٥٥ .

١٤٢ ، ١٤٣

صريع الغواني ١٩٧ ، ٢٠٥ ،

٢٢٦

ابن صفوان ١٨٣

صمصام الدولة (صاحب صقلية)

٣١٨

الصنوبري ١٩٨ ، ٢٠٨

صيدح (ناقة ذي الرمة) ١٩٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠

- ض -

ابن ضابط ، أبو الوليد ٤٤

- ط -

الطائيان (أبو تمام والبحري) ١٩٦

طارق بن زياد ٥٦

طالوت ٢٢٣

ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن ٢٢٠

٣٦٦ ، ٣٦٥

الطبري ٣٠٣

الطبري (يزيد بن الطثرية) ١٩٧

ابن الطراوة ، أبو الحسين (سليمان)

٢٤٩ (ابن محمد)

ششند ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨

شعيب ٨٣

ابن شماخ ٢٨٨

ابن شهيد ، أبو عامر ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢

ابن شهيد ، أبو مروان ٢٦ ،

٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

- ص -

الصابي ، أبو اسحاق ٢٥

الصاحب بن عباد ٢٧٣

ابن صارة الشنتريني ٣٢٢ ، ٣٦٣

صاعد بن الحسن البغدادي (٨ -

٥٦)

ابن الصباغ الصقلي (أبو عبد الله

محمد) (٣٠٨ - ٣٢٠)

صبح أم هشام ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ،

٧٢ ، ٧١

صدقة بن يوسف الفلاحي ٨٨ ،

٩١

الصديق (أبو بكر) ١٤

ابن صروم ١٣٥

أبو العباس السكري الاسكندراني

١٤٤

عباسة (في شعر) ١٧

ابن عبد البر الكاتب ١٦١ ،

١٧٤ ، ١٧٥

عبد الجبار بن حمديس ، انظر :

ابن حمديس

عبد الجليل بن وهبون ، انظر :

ابن وهبون

عبد الحميد الكاتب ٢٥٢ ، ٢٧٣

ابن عبدربه ١٩٨ ، ٢١٠

عبد الرحمن الناصر ، انظر : الناصر

عبد الرحمن بن قاسم الشعبي ،

انظر : أبو المطرف الشعبي

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ،

انظر : ابن عيسى القرطبي أبو

أبو زيد

عبد الرحمن (شنجول) بن المنصور

٤٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦

ابن عبد الرؤوف ، أبو عبد الله ٣٠٤

عبد العزيز التونسي ، أبو محمد

٣٦٧

طرفة الفتي ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

طرفة بن العبد ٣٨ ، ١٩٧ ،

١٩٨

الطرماح ١٩٧ ، ٢٠٤

ابن الطلاء المهدي ٢٨٨

(٣٦٠ - ٣٦٣)

طماس ٣٧٥

أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي

- ظ -

الظافر بن ذي النون ناصر الدولة

اسماعيل ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٥

- ع -

العاصمي النحوي (محمد بن عاصم)

١٤ ، ٣٣

عامر بن الطفيل ١٩٧ ، ٢٠٢

ابن عبادة ٣٨٠

العباس بن الأحنف ١٢٠ ، ١٢٢

١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦

عبد العزيز بن محمد السوسي	عبد ٢٦٣
(١٢٦ - ١٢٧)	عبيد بن الأبرص ١٩٧
عبد العزيز بن الناصر ٥٨ ، ٥٧	عبيد الله بن بدر ٧٥
ابن عبد العزيز ، أبو بكر ٢٩٧	عبيد الله بن طاهر ٣٠٧
ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ١٥٦	العتابي (كلثوم بن عمرو) ٩٧
عبد الغني (ابن الحصري)	عثمان بن جعفر المصحفي ٦٥ ،
٢٧٤ ، ٢٧٧	٦٧
عبد الكريم بن فضال الحلواني ،	أبو العرب الصقلي (مصعب بن
انظر : الحلواني	محمد) (٣٠١ - ٣٠٨)
عبد الله بن مسلمة الوزير ١١ ، ١٠	ابن العربي ، أبو بكر ١٢٢
عبد الله بن ياسين ٣٦٤	عرقوب ٢٢٥
عبد الملك الجزيري ، أبو مروان	عروة بن حزام ٢٢٠ ، ٢١٩
٣٥ ، ٣٦ (٤٦ - ٥٢)	ابن العريف ، أبو القاسم ١٤ ،
٦٩ ، ٧٤	١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠
عبد الملك المعافري (جد المنصور)	عزيز ٨٣
٥٦	العُشي (من الشعراء) ١٩٧ ،
عبد الملك بن مسلمة ٥٢	٢٠١
عبد الملك المظفر بن المنصور ٥٠ ،	ابن العطار اليابسي ، أبو بكر
٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤	(٣٧٦ - ٣٧٩)
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ (٧٨ - ٨٦)	عطية (والد جرير) ٢٠٣
ابن عبدون ٤٤	عفراء ٢٢٩
عبد يغوث بن وقاص الحارثي ٣٨	عفراء بنت مالك العذري ٢١٩ ،
	٢٢٠

عقيل (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤	عمارة الصقلي ٣٤
عقيل بن أبي طالب ٢٢٥	عمر بن الخطاب ٢٢٠
علقمة الفحل ١٤٠	أبو عمر الزاهد ٣٢
علقمة بن علاثة ٢٠١	عمران (في شعر) ١١٩
علي (غلام) ١٠٣	عمرو القنا ٣٥١
علي بن أبي الرجال ٢٢٢ ، ٢٦٠	عمرو بن العاص ٢٢٦
علي بن أبي طالب ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥	عمرو بن معديكرب ٣٧ ، ١٧٩
علي بن الجهم ٣٩ ، ١٩٧ ، ٢٩٦	عمرو بن كلثوم ١١٩ ، ٢٠٠
علي بن حمزة ١٢٦	ابن العميد ٢٥٢ ، ٢٧٣
علي بن العباس الايادي ١٩٨ ، ٢١١	عنبرة العبيسي ٥٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩
علي بن عبد الغني الحصري ، انظر : الحصري الكفيف	ابن عياش الوزير ٢٧
علي بن القاسم بن عشرة ٣٢٥	ابن عياش اليهودي ٢٥٣
علي بن مجاهد العامري ٨٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	ابن عياض ٢٨٣
٢٦٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤	عيسى (بن مريم) ١٨٤ ، ٢٤٩ ، ٢١٥
علي بن وداعة ، أبو الحسن ٥٣ ، ٥٤	عيسى بن سعيد بن القطاع ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
ابن عمار ، أبو بكر ٤٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١	ابن عيسى القرطبي ، أبو زيد ١٣٠
	- غ -
	غالب (مولى الناصر) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

الفكيك البغدادي ، أبو الحسن
(٣٦٨ - ٣٧٤)

- ق -

ابن القابلة السبتي (أبو محمد)
٢٨٦ (٣٨٠ - ٣٨٢)
قابوس بن وشمكير ٢٥٢

القادر يحيى بن ذي النون ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨

القارظان ١٩٣

أم القاسم (في شعر) ٩٨

ابن قاضي ميعة ٣٥٦

القالي ، أبو علي البغدادي ٩ ، ١٥

القائم الخليفة العباسي ٨٨ ، ٨٩

القراطيسي الكوفي ١٢١

قريط بن أنيف العنبري ١٩٠

ابن قزمان ، أبو مروان ١٩٦

قس بن ساعدة الايادي ٢٦٤

القسطلي ، انظر : ابن دراج

غالب بن صعصعة ٢٠٣

غانم بن وليد المخزومي ٢٥٢

غرسية بن شانجة ٣٥ ، ٤٥

غرسية بن فردلند ١٦٠

أبو الغزور (؟) الأعرابي ١٢

الغريض المغني ٢٧

غيلان ، انظر : ذو الرمة

- ف -

فان (فتي المنصور) ٣٤

فائق الفتي ٥٨

الفتح بن المعتمد ٣٢٧٨

أبو فراس الحمداني ١٩٨ ، ٢٠٩

فرثي ٢٧٢

ابن الفرج ، أبو سعيد ١٤٥ ،

١٥١ ، ١٥٢

ابن الفرج ، أبو عامر ١٣٠

فردلند ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦

الفرزدق ٣٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ .

٢٢٦

فرعون ٣٥١

ابن القطاع ، انظر : عيسى بن سعيد

القعيني ، أبو حفص ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٣

القلمندر ٣٥٧

قيس الأخيلية (٩) ٣١٠

القيسان ١٩٤ ، ٢٠٤

قيصر ٢٧٠ ، ٣٣٣

- ك -

كاتب بكر ٣٧٠

كافور الأخشيدي ٥٠

كثير عزة ١٩٧ ، ٢٧٤

ابن كثير ١١٨

كسرى ٢٧٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

كسرى أنو شروان ١٢٧

كشاجم ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٨

كعب بن مامة الإيادي ٤٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥

الكك البغدادي ٢٨

الكميت الأسدي ١٩٧ ، ٢٠٤

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

- ل -

ابن اللبانة ، أبو بكر الداني ٢١٧

لبنى (في شعر) ٢٧٨

لبنى (صاحبة ابن ذريح) ١٩٤

ابن لبون ١٤٥

لبيد بن ربيعة ١٨٤ ، ١٩٧ ،

١٩٩ ، ٣٧٢

لقمان الحكيم ٣٥١

لقمان بن عاد ٢٦٤

ابن لنكك البصري ٢٩٣

ليلى الأخيلية ٢٠١

ليلى العامرية ١٩٤

- م -

مالك (أحدنديمي جذيمة) ١٩٤

مالك بن أنس ٢٨٠

المأمون العباسي ٢٤

المأمون بن ذي النون ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٩ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

صاحب الخمس	١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
محمد بن أبي عامر ، انظر : المنصور	١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
الكبير	١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ،
محمد بن اسماعيل ٦٦	١٧٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ،
محمد بن أفلح ٦٣	المتنبي ، أبو الطيب ١٤ ، ٢٠ ،
محمد بن زريق ١٢٦	٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ١٢٦ ،
محمد بن زكي الأشبوني ١٣٩	١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
محمد بن طغج ٥٠	٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،
محمد بن عبد الرحمن (الأمير	المتوكل بن الأفتس ١٥٧ ،
الأموي) ١٤٢	١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٠ ،
محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر :	ابن المثني ، أبو الحسين ١٢٣
ابن الزيات الوزير	ابن مثني ، أبو المطرف ١٤٠ ،
محمد بن عبد الواحد البغدادي ،	١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ ،
أبو الفضل (٨٧ - ١١٩)	مجاهد العامري (أبو الجيش) ١١ ،
محمد بن سلمة ٦٦ ، ٦٧	١٣ ، ١٢٥ ، ٢٦٥ ،
محمد بن وضاح ٥٧	مجنون بني عامر ٣١
محمد بن يحيى بن عامر المرابطي	ابن محفور ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٣٦٤	المحلقي ٢٠١
ابن المذلق ٢٠١	محمد (الرسول) ١٧٣ ،
مرة بن محكان السعدي ٣٨	١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٩ ،
مروان بن أبي حفصة ٢٠٤	محمد السقاء (والد الأمين) ٢٣٩
١٤٤	محمد بن ابراهيم الصقلي صاحب
مروان بن الحكم	الخمس ، انظر : ابن الشامي
أبو مزبد ١٢	

أم معبد ٢٠٢	المسيح ، انظر : عيسى بن مريم
المعتز العباسي ٢٦٢	ابن المشاط ١٥٤
ابن المعتز ٣٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ،	المصنف (جعفر بن عثمان) ٥٨
٢٦٩ ، ٢٩٣	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
المعتصم العباسي ٣٩ ، ٣١	٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .
المعتضد عباد ١٧٠ ، ١٧١ ،	٧٠
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،	مصعب بن الزبير ٣٨
١٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ،	مصعب بن محمد ، انظر : أبو
٣٧٥	العرب الصقلي
المعتمد بن عباد ١٠٦ ، ١٦٦ ،	المضراس بن ذي النون ١٤٢
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،	أبو المطرف الشعبي (عبد الرحمن
٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،	ابن قاسم) ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ،	٢٨٢ ، ٢٨٣
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ،	المظفر ، انظر : باديس بن حبوس
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ،	المظفر بن أبي عامر ١٥٧
٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،	المظفر بن المنصور ، انظر : عبد
المعري ، أحمد بن سليمان ٨٨ ،	الملك المظفر
٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،	المظفر بن الأفطس ١٤٧ ، ١٩٣
٢٥٩ ، ٢٩٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ،	معاوية بن أبي سفيان ١٨٦ ، ٢٢٥ .
المعز بن باديس ٨١ ، ٨٨ ،	٢٦٤
٨٩ ، ٩٥	معبد المغني ٢٧
معز الدولة المرداسي ٨٨ ،	معبد بن الصمة (أخو دريد) ٢٠٢
١١٠ ، ١١١	

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،	معز الدولة (بن علي بن مجاهد)
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،	٢٦٧
٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ،	معز الدولة ابن المظفر ، انظر :
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، (٥٦ -	المقتدر بن هود
٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ (٧٨	المغامبي ١٦٨
منتدس بن غندشلب ٨٤	ابن مغيث ١٦٣
المهدي بن عبد الجبار ٧٨	المغيرة بن الناصر ، ٥٧ ، ٥٨ ،
مهلهل بن ربيعة ٣٦٩	٦٥
موسى (الكليم) ١٧٩ ، ٢٨٧ ،	مفرج العامري ٥١ . ٥٢
٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١	المقتدر بن هود ٢٦٣ ، ٢٦٥ .
موسى بن نصير ٥٦	٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
مؤمل ١٥٣	٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
مؤمن بن سعيد ٤٣	ابن المقدم ٣٦٦
مية (صاحبة ذي الرمة) ١٩٧ ،	الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس
٢١٩ ، ٢٢٠	منشا بن ابراهيم ٩٣
ميسور الصقلي ٣٤	المنذر اللخمي ٢٦٢
ميحون بن قيس الأعشى ٢٠١	منصور الفقيه ٣٥٢
- ن -	المنصور الصغير (حفيد ابن أبي عامر) ٢١٨
النايفة الجعدي ٢٠٠	المنصور الكبير (محمد بن أبي عامر)
النايفة الذبياني ٢٠٠ ، ٣٠٦ ،	٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
٣٧٠	١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٣٠ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ١٩٨

هدبة بن الحشرم ٣٨

أبو هريرة ١٨٨ ، ١٨٧

هشام (ابن أخي المصنف) ٦٦

هشام بن الحكم ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤

٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥

٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٩٠

هند ٣٥٨

- و -

الوأواء الدمشقي ٢٩٠

الواساني ٩١

واضح الفتي العامري ٨٤ ، ١٤٢

وليد بن عبد الوارث البكري ٣٦٦

ابن وهب ٣٥

ابن وهبون ، عبد الجليل ١٠٦ ،

٢٨٦ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦

- ي -

يحيى (حفيد المأمون بن ذي النون)

انظر : القادر بالله

٥٧ الناصر الأموي ، عبد الرحمن

٦٨ ، ٢٦٣

نجم الوصيف ٣٤

أبو النجم العجلي ١٧٨

النحلي ، أبو الوليد ٣٦٨

نرجس العامرية ٤٨

نسيم (غلام البحري) ٣٧٥

نصيب ١٩٧ ، ٢٠٤

نعم (في شعر) ٢٦٠

النعمان بن المنذر ٢٦٢

النوايف (من الشعراء) ١٩٧

أبو نواس (الحسن بن هانيء)

٢٢ ، ٢٣ ، ١٨١ ، ١٩١ ،

١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٨٧ ،

٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

نوح ٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٧٥

- ه -

هاروت ٢٥٧

هارون (غلام) ٢٥٧

هابان ١٦٦

ابن هانيء الأندلسي ، ٩٩

يوسف	١٦١	يحيى بن بانو	٣٦٧
يوسف (النبي)	٢٢٣ ، ٣٥٢	يحيى بن حمود	١٢٥
يوسف بن تاشفين	١٦٩	يحيى بن خالد البرمكي	١٢
يوسف بن علي	٩١ ، ٩٨٢	يحيى بن الزيتوني ، أبو زكريا	(٣٧٤ - ٣٧٦)
يوسف بن القلاس البطلانيوسي	١٥٨	ابن يحيى ، أبو الحسن	٢٣٦
يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :		يزيد بن الصعق	٥٥ ، ٥٦
الرمادي		يعقوب (النبي)	٣٥٢
يوشع	٢١٦	يعقوب الكندي الفيلسوف	٣٧

٢ - فهرس الأماكن

الأندلس	٤ ، ١٠ ، ٨ ، ٧
	٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤
	٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢
	٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٣٩
	١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
	٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦
	٢٩٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢
	٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، (وانظر
	أيضاً : الجزيرة)
ايوان كسرى	٣٣٤
- ب -	
البحر المحيط	٢٣٦
برشلونة	٨٤
بطليوس	١٦١
بطيئاس	٣٧٥
بغداد (مدينة السلام)	٨٧ ، ٨٨
	٩٥ ، ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٦٩
- ١ -	
آنة (نهر)	٦٢
أبو قبيس	١٧٠
الأبلق الفرد	١٨٣
أثينيا	١٨٨
أرملاط	٢٧
اسبيجاب	١٢٥
الاسكندرية	٨٨
اشبيلية	٢٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
	١٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩
	٣٧٣ ، (وانظر أيضاً : حمص
	المغرب)
أغمات	٣٢٤ ، ٣٧٦
افريقية	٨١ ، ٨٨ ، ١٢٣
	٢٠٩
اقليش	١٤٢
المرية	٣٦٦ ، ٣٨٠

بلنسية ٨٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٧ .

- ت -

تدمر ٢٧٠

تهامة ١٨٠

- ث -

ثبير ٣٢٤

الثغر الجوفي ٦٢

- ج -

جرجان ٢١٢ ، ٢٢٦

الجزائر الشرقية ٥٢

الجزيرة (الأندلس) ٨ : ١٦٦ .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٦٨

الجزيرة (صقلية) ٢٩٣

(وانظر أيضاً : صقلية)

جلق (الأندلس) ٣٦٢

جلق (الشام) ٣٦٢

جليقية ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٥ .

١٦٦

الحمل (يوم) ٢١٨

جيرون ٩١

- ح -

الحامة (حصن) ٦٢

الحجاز ٣٥٨

حجر ٢٢٠ ، ٣٦٩

حزوى ٢١٩ : ٢٢٠

حلب ٨٨ ، ١١٠ ، ١١١

حمص الغرب (اشبيلية) ١٢٠

٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ،

٣٦٩ : (وانظر أيضاً : اشبيلية)

حمص الشام ٣٦٢

الحنيات ٢٦١ ، ٢٧٨

حومل ٢٦٠

- خ -

خفان ١١٦

- د -

دار الخدمة ٢٤١

دار اللذة ٢٤٣ ، ٤٤٤

دارين ٣١١

دانية ٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٦

دجلة	١٠٦ ، ٣٧٣	زرود	٣٧١
دكول	٣٦٤	زمزم	٣٥٨
دمشق	٩١	الزهراء	٦٨ ، ٦٦
الدهناء	٢٢٠ ، ٢١٩	- س -	
دير عما	٢٧	سبنة	٧٨
- ذ -		السيبية	١١١
ذات البين	٢٢٠	سجلماسة	٣٦٧
فوسلم	١١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤	سرقسطة	٥٢ ، ٢٦٤
- ر -		سلا	٣٢٥
الرصافة	٦٦	سوسة	٨٩ ، ١٢٣ ، ٢٢٧
رضوى	١٩ ، ٢٦٠ ، ٣٢٤	سويقة بن أبي سفيان	٢٣٩
الرها	١٨٣	- ش -	
روطة (?)	٢٣٣	الشاذياخ	٤٠
رية (كورة)	٦٠ ، ٢٨٠ ،	الشام	٧ ، ٢٥ ، ١٨٤ ، ٣٦٨
٢٨٣ . (وانظر أيضاً : مالقة)		شامة	١٩٤
- ز -		الشحر	١٣٢
الزاب	٢٠٩ ، ٢١١	الشرق . انظر : المشرق	
الزاهرة	١٥ ، ٢١ ، ٤٧	شرق الأندلس	٢٨٠
٥١ ، ٥٢		شقوقرة	٣٠٦
		شلطيش	٥٥
		شيمتور	١٦٣

العدوة ١٣٧	- ص -	
العدوة القصوى ٦٠	صبرة ٢٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٨	
العذيب ١١٧	صفين ٢٢٥ ، ٣١١	
العراق ٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ١٩١ ،	صقلية ٥٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،	
٣٦٨ ، ٣٧٣	٣٢٦ (وانظر أيضاً : الجزيرة)	
عسفان ٢٢٠	- ط -	
العقيق ٣٧٢	طرابلس الغرب ٨٩	
عكاظ ٣١٥	طرسوس ١٢٦	
- غ -	طيزناباذ ٢٧	
الغرب ١٠١ (وانظر أيضاً: المغرب)	طفيل ١٩٤	
غرناطة ١٢٥	طليطلة ٧٣ ، ٨٩ ، ١٤٢ ،	
غليسية ٨٤	١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،	
- ف -	١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،	
فارس ١٩٩	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،	
فاس ٣٧٤	١٦٧ ، ٣٥٥	
الفرات ٣٨	طنجة ٢٤٦ ، ٢٨٣	
فيفاء ١١٩	الطور ١٧٩	
- ق -	طيبة ٢٨٠ (وانظر أيضاً المدينة،	
قرطبة ٩ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ،	يثرب)	
٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ،	- ع -	
	عالج ٢٩٠ ، ٣٧١	

، ١٤٢ كونكه (قونكه) ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٦٦

١٥٩ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٤٩ ، ٨٦ ، ٨٥

، ٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ١٩٤ ، ١٦٩

، ٣٦٢ ، ٢٦٢ ، ٤١٢ ، ٢٣٩

القسطنطينية ٨٦

قشتيلة ١٦٣ ، ٨٤ ، ٧٣ ، ٤٥

قطربل ٢١٨ ، ٢٧

قلعة رباح ٦٢

قلمريه ٨٤

قونكه : انظر : كونكه

القيروان ١١٦ ، ١١٥ ، ٨٩

، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ١٧٠ ، ١٦٩

، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ١٣٣

، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٦١ ، ٢٤٦

٢٩٢

— ك —

كاظمة ١٠٩

كبكب ٣٣٢

الكعبة ١٨٢

كلواذى ٢٧

الكوفة ١٩٣

— ل —

ليونه ٨٥

— م —

مالقة ٢٧٩ ، ٢٥٢ ، ١٤٤

٣٤٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠

(وانظر أيضاً : رية)

متالع ١٩

مجرىط ١٩٦٣

المدينة ٨٨ (وانظر أيضاً : طيبة)

يثرىب

مدينة سالم ٧٤ ، ٦٣ ، ٤٥

٨٦ ، ٨٤ ، ٧٥

مدينة السلام : انظر : بغداد

المربد ١٢٤ ، ١٢٣

مرسية ٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٢٢٠

٣٦٦

مسجد قرطبة الجامع ١٦٩

٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٩

مشرف ٢١٩

— ه —

الهرمان ١٨٣
الهند ٣٦ : ٢٨٩ : ٢٩٧ : ٣١١
مصر ١٧ : ٥٠ : ٨٨ : ٨٩
٩١ : ١٤١ : ٣٤٢ : ٣٥١

— و —

وادي اشبيلية ١٨١
وبذة ١٥١ : ١٥٤
معرة النعمان ٨٨
المغرب ١٢ : ٥٦ : ٨١ : ٨٨
٣٠٦ : ٣٦٤

— ي —

يابرة (يا بورة) ٣٢
يابسة ٣٧٦
يبرين ٣١١
يثرب ١٩٧ (وانظر أيضاً :
المدينة ، طيبة)
٢٦٠
١٨٦
٢٢٠
١٢
٢٢٠
١٦٤
٣٢٧ : ٣٢٦
١٤٧
٢٢٠
المنية المصورة (؟) ١٦٤
المهدية ٣٢٧ : ٣٢٦
١٤٧

— ن —

نجد ١٠٢
نجران ٣٨ : ٢٥١
نعمان ٢٩٠ : ٣١١
نقران ٢٥١
النيل ١٨١ : ١٨٢ : ٢٩٠

٣ - فهرس للطوائف والقبائل والأمم

- ت -	- ا -
تغلب ١٩٧ ، ٢٠٠	آل أبي عامر ٧٥
تيم ٣٨ ، ٩٠ ، ١٢٦	الأساود ، انظر : السودان
تميم ٣٨	بنو أسد ٣٨ ، ٢٣٧
- ث -	الأعراب ٣٢ ، ٣٩
بنو ثعل ٩٤	الافرنجة ٨٤ ، ٨٥
- ج -	بنو أمية (الأموية) ٩ ، ٥٧ ،
الجاهليون (الشعراء) ٣٠٦	٧٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٦٢
جلدیس ١٥٧	أوس بن تغلب ٣٩
جذام ٢٧١	إياد ٢٤٧
جشم ٢٠١	- ب -
الجلالقة ٧٩	باهلة ١٨٦
بنو جهور ٤٣ ، ٢٤٣	البرابر (البرابرة) ٥٥ ، ٧٩ ،
- ح -	١٢٥
بنو حمام ٣١٥ ، ٣٢٠	البرابرة العدويون ٨١
بنو الحديدی ١٥٥	البغداديون ١٧

الروم ٢٥ ، ٨٦ ، ٢٦٥ ،

٣٢٦

بنو رياح ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٤٨

- ز -

بنو زرارة ١٩٧

زغبة ٢٣٦ ، ٢٣٧

- س -

سعد ٢٣٧

سعد العشيرة ١٩١

سلول ١٨٦

سليم ٥٣ ، ٥٤

بنو سهل ٢٢٦

السودان ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٢٣٧

السودان الرقاصة ٧٤

- ش -

بنو الشامي ٣١٨

- ص -

الصقلب (الصقالبة) ١١ ،

٣٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٢٩

بنو الحسحاس ٣٧٥

بنو حماد ٢٦٥

حمير ١٨٥

- خ -

الخفافون ١٣٧

خولان ٣٦٢

- د -

الدائرة ٢٤١

الدولة الجهورية ٢٣٨ ، ٢٣٩

الدولة العامرية ٧٠ ، ٧٨ ، ١٤٢

الدولة المظفرية ١٧٧

الديلم ٦١

- ذ -

بنو ذي النون ١٤٢

- ر -

ربيعة ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩١

ربيعة الفرس ٨

الرقاصة ٢١٤

صنهاجة	٨٢	عنس	١٨٦
- ط -		- غ -	
بنو طاهر (الأندلسيون)	٣٦٠	غسان	٢٠١
الطرائقيون	٤١	بنو غومس	٧٣ ، ٨٥
ملوك الطوائف	١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٤٦ ، ٣٦٤ ، ٢٦٦	- ف -	
- ع -		فزارة	١٩٧ ، ٥٣
عاد	٢٧٠	- ق -	
بنو عامر (القبيلة)	١١١ ، ٣١	بنو قرة	٢٣٧ ، ٢٣٦
بنو عباد	٢٦٢	قريش	١٩١ ، ١٤٤
بنو (ولد) العباس	٢١ ، ٥٧ ، ٦١	القوالون	١١٠ ، ١٢٢
العباسية	٢١٠	قيس	٣٧١
بنو عبس	٣٦	- ك -	
آل عثمان (المصحفيون)	٦٦	كندة	٣٧١
العجم	٦٩ ، ٧٩	- ل -	
العدنانية	٥٣	نحم	٢٦٢
العرب	٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٥٢	- م -	
عكل	١٨٦	مالك بن حنظلة	٢٠٣
بنو العنبر	١٩٠		

- ه -	المحدثون (من الشعراء) ١٤١ ،
	٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٢٠٤
١٤٤ الهاشميون (بنو هاشم)	المخضرمون ٣٠٦ ، ٢٠٤
٢٨٣	المرابطون ٣٦٤
هذيل ٢٤٧	المربديون ١٢٤
١١٦ الهرايز (الموايز ؟)	بنو مروان (المروانية) ٥٧ ،
بنو هلال ٢٣٦	٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠
الهنود ٨٧	المسلمون ٨٦ ، ٨٥ ، ٧١ ،
الهوازنة ٢٥٧	١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
بنو هود ٢٧٢	١٩١
- و -	المصريون ١٢١
	مضر ٣٠٣ ، ١٩١ ، ١٨٥
٢٠٩ ، ١٨٣ وائل	بنو مناد ٢٦٥
بنو وهب ٢٢٣	المولدون (من الشعراء) ٣٠٦
- ي -	- ن -
بنو يربوع ٢٢٦	نزار ٣٥١
٣٠٣ ، ١٩١ يمن	النصارى (جموع النصرانية)
	١٦٨ ، ١٦٧ ، ٨٤ ، ٦٦ ، ٦٢

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- ١ - أبكار الأفكار لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- ٢ - الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة لحبيب الصقلي ٣٤
- ٣ - أعلام الكلام لابن شرف القيرواني ١٧١ ، ١٧٩
- ٤ - ألف غلام للثعالبي ٩٩
- ٥ - الانجيل ١٨٤
- ٦ - الدالية (قصيدة) لابن الجهم ٢٦٠
- ٧ - رسالة للمرادي في الرد على البقري ٣٦٦
- ٨ - الرصافية (قصيدة) لابن الجهم ٢٠٦
- ٩ - سهم الشهم (قصيدة) للحصري ٢٥٠
- ١٠ - الفصوص لصاعد البغدادي ٩ ، ١٥ ، ١٦
- ١١ - قراضة الذهب لابن رشيق ٢٣٠
- ١٢ - كتاب سيبويه ١٤
- ١٣ - المعلقات ٢٠٠
- ١٤ - مكفرات ابن عبد ربه ٢١٠
- ١٥ - النكت للصغاني (كتاب وهمي) ١٥
- ١٦ - النوادر لأبي علي القالي ١٥
- ١٧ - اليتيمة للثعالبي ٨ ، ٨٩

٥ - فهرس القوافي

- أ -

٢٩٧	التهامي	الكامل	سماء
٢١٩	ابن شرف	الطويل	وفياء
١١٦	حسان	الوافر	لحاء
٢٩٤	البحثري	الكامل	الأعداء
٣٧٩	ابن العطار اليايسي	الكامل	لألاء
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الخطاء
١٩٩	ابن حلزة	الخفيف	ضوضاء
٢٧٤	الحصري الكفيف	الكامل	بالإيماء

- ب -

٣٣٩	ابن حمديس	المتقارب	لهب
٣٢٩	ابن حمديس	الطويل	وركابا
٣٢٢	أبو نواس		كوكبا
١١٢	أبو الفضل البغدادي	البسيط	شربا
٣٧٦	ابن العطار اليايسي	«	لهبا
٣٥٢	منصور الفقيه	«	خربة
٣٤٦	ابن وهبون	الوافر	الذنوب

٣٥٨	الحكيم المصري	الوافر	العجيبا
٣٢٨	ابن حمديس	الوافر	اليابا
٢٥٦	ابن هانيء الأنداسي	الكامل	تصابي
٢٩٨	ابن الرومي	السريع	أنجبا
٢٧٤	الحصري الكفيف	الخفيف	قضايا
٣٤٨	—	المجث	قلبا
٩٠	المعري	الطويل	وأدرب
٩٠	المعري	»	وتشرب
١٠١	أبو الفضل البغدادي	»	غرب
٣٠٧	عبيد الله بن طاهر	»	لعازب
٣٠٧	المتنبي	»	ذهاب
١٧٦	أبو تمام	البسيط	سلب
٣٠٧	سعيد بن حميد	»	ويرتكب
١١٨	أبو الفضل البغدادي	»	مصلوب
٢٥٣	الحصري الكفيف	مخلع البسيط	غريب
٣٥٨	الحكيم المصري	مخلع البسيط	والحيوب
١٣	أبو تمام	الكامل	المركب
٦٩	المصحفي	»	يتقلب
٣٠٧	البحري	»	يسلبوا
٣٣٩	ابن حمديس	»	أشرب
٣٤١	ابن حمديس	»	الغيب
٢٧٧	الحصري الكفيف	المجث	ربّه

١٢	صاعد	المتقارب	والكوكبُ
٣٤٤	الحكيم المصري	المتقارب	صوابُ
٣٢٦	ابن حمديس	الطويل	فحاربِ
١٨٠	أبو الأسود الدؤلي	»	بلييب
٣٥١	أبو نواس	»	بنصيب
٣٥٣	—	»	قلوب
١٠٨	كشاجم	»	حرب
٢٨٥	البحثري	»	الصبّ
٣٤٥	—	»	باللب
٢١٥	ابن شرف	»	مكروب
٢٢٥	ابن شرف	البسيط	عرقوبِ
٢٢٣	—	»	الكذب
٣٠٠	البيسي	»	والحرب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والأدبِ
٣٥٢	الحكيم المصري	»	العرب
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الوافر	الثياب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والطلاب
٢٧٠	الحصري الكفيف	»	الغريب
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	حجاب
١٠٧	—	»	تغرب
٣٣١	ابن حمديس	»	المطلب
٢٥٦	أبو بكر الخالدي	»	بخصايه

٣٤٩	—	مجزوء الكامل	المثاب
٣٥٩	الحكيم المصري	الرمـل	بطبيب
١١٩	أبو الفضل البغدادي	السريع	هي
٢٩٤	—	»	بالصاحب
٨٦	صاعد	المنسرح	بالكتب
٣٤٠	ابن حمديس	»	تعذبها
٢٠	—	الخفيف	عتابي
٣٢٣	ابن صارة	الخفيف	بجباب
٣١٢	—	الخفيف	والكروب
٢٢٧	ابن شرف	المجتث	المجيب
٩٨	—	المتقارب	مصاب
٢٧٢	الحصري الكفيف	»	الكاذب
٢٤٧	ابن الرومي	»	انياها

— ت —

٣٩	تميم بن جميل	الطويل	أُتلفتُ
٢٧٧	الحصري الكفيف	البسيط	ماتوا
٢٩٢	الخلواني	الكامل	زفراته
٧٠	المصحفي	الكامل المرفل	متّ
٢٦٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	المكرّماتُ
٣٨٩	مرة بن محكان	الطويل	اشمعلتِ
٢٥٧	أبو بكر الخولاني	الخفيف	الثقات

- ث -

حديثُ	الكامل	ابن شرف أو ابن رشيقي	٢٢٧
خبِيثُ	مخلع البسيط	الحصري الكفيف	٢٤٩

- ج -

مضرجا	الكامل	أبو الفضل البغدادي	٩٥
والزيج	السريع	الناهي	٢١٧
الفرجُ	مجزوء الوافر	الحصري الكفيف	٢٧٤
عالجُ	السريع	-	٢٩٠
الديباج	الكامل	أبو الفضل البغدادي	١٠٢
المهجر	المنسرح	-	٣٢٦

- ح -

الفرحُ	الرجز	ابن حمديس	٣٣٦
المراحُ	السريع	ابن حمديس	٣٢٣
صحا	الطويل	ابن حمديس	٣٢٤
فلاحا	الوافر	الحصري الكفيف	٢٦٨
جريحا	الوافر	المعري	٣٣٨
جراح	الطويل	ابن شرف	٢٣٦
ينوح	الطويل	الحكيم المصري	٣٤٩
نازحه	المديد	الحصري الكفيف	٢٨١
الصلاح	الوافر	الحكيم المصري	٣٤٨

٢٧٥	الحصري الكفيف	الوافر	تنوح
٣٧	ابن الرومي	البسيط	تلويح
٥٤	صاعد	الوافر	الرماح
٩٨	جرير	الوافر	مراحي
٢٤٨	—	الوافر	الرياح
٢٥٩	المعري	المجتث	براح
٢٥٩	الحصري الكفيف	المجتث	بطاح

- خ -

٢٧٥	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	أخـ
-----	---------------	--------------	-----

- د -

٢١٨	ابن هانيء الأندلسي	الرمل	فحسد
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	الطويل	نجد
٢٣٧	العباس بن الأحنف	البسيط	أبدا
٢٣٢	ابن الزبير أو غيره	الوافر	سودا
٢٦٩	الحصري الكفيف	الكامل	زادا
٣٥٧	الحكيم المصري	السريع	والصد
٢٨٥	الحلواني	الخفيف	شديدا
٣٧١	الفكيك	الطويل	رعود
٢٢٤	المتنبى	الطويل	بد
٢٨٨	الحلواني	مخلع البسيط	السواد

٢٠٨	الفرزدق	الوافر	العبيد
١٠٦	السلامي	الوافر	تقاد
٣٥٥	الحكيم المصري	الكامل	المورد
٣٢٣	ابن حمديس	الكامل	عوده
٣٦٦	أبو بكر المرادي	مجزوء الكامل	الوليد
٣١٣	ابن الصباغ الصقلي	الرجز	قمد
٣٦٧	الفكيك	المتقارب	الهدهد
١٢٤	الخبز أرزي	المتقارب	تجحدوا
٣٨٢	التهامي	الطويل	وتغندي
٢٩٥	عدي بن زيد	«	مقتد
٢٩٤	أبو تمام	«	حامد
٣٦	الفرزدق	«	شاهد
١٣	—	«	القد
١٤	المتنبي	«	القد
١٠٠	ابن أبي سمرة	«	صدها
٢٨٦	الحلواني	المديد	جلدي
١٧٢	ابن رشيقي	البسيط	ومعتضد
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	«	الحادي
٢٨٦	ابن القابلة السبي	مخلع البسيط	اعتقادي
١٢٣	—	مخلع البسيط	فؤادي
٣٥٠	المتنبي	الوافر	مرادي
٢٤٧	—	«	إياد

٢٣٦	الحصري الكفيف	الوافر	الحداد
١٨١ ، ١٥٦	صاحب العلوي	«	بعيد
٣٧٠	أبو الحسن اللحام	الكامل	كابلحمد
٢٢٣	أبو تمام	«	المولود
٣٥	صاعد البغدادي	«	صاعد
١٠٠	الصنوبري	«	قده
٣٤٠	ابن حمديس	«	صدما
٢٥٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرجز	بالأحمد
١٠٠	أبو الفضل البغدادي	السريع	عبده
٣٤٨	—	المنسرح	ورد
٣١٧	—	المتقارب	قصده
٢٦١	الحصري الكفيف	المتدارك	جلدي

— ذ —

٢٦	ابن شهيد أبو مروان	المنسرح	أفذاذا
----	--------------------	---------	--------

— ر —

٣٧٠	كاتب بكر	المتقارب	اقشعر
٣٧٠	الفكيك	«	البشر
٣٤٥	الحكيم المصري	البسيط	أعدارا
٣٤٦	الحكيم المصري	«	طارا
٢٩٧	الحلواني	الوافر	نهارا

١٢٠	الرمادي	الكامل	فأدراها
١٠١	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الرمل	خمارا
٢٣١	ابن شرف	السريع	امهارها
٢٧١	الحصري الكفيف	المنسرح	محتضره
٣٦٨	النحلي	المجتث	دره
٢٢	صاعد	الطويل	وقتير
٢٨٤	الحلواني	«	تسير
٣٢٤	المعتمد	«	قبور
٣٢٤	ابن حمديس	«	تدور
٢٦٠	الحصري الكفيف	«	فيز دار
٣١	المجنون	«	عمرو
٢٣٠	أبو تمام	«	القفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	«	غبر
٢٢٠	ابن شرف	«	مسفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	«	ينظر
٢٣٤	ابن شرف	«	الضرائر
٩٧	العتابي	البسيط	تقصير
٢٨٥	الحلواني	«	القمر
٢٩٨	الحلواني	«	والقمر
٣٥٦	ابن قاضي ميله	«	الشجر
١٠٦	ابن وهبون	«	فينهصر
٩٧	بشار	الوافر	قصار

٣٥٠	الحكيم المصري	الكامل	دار
٢٩٥	المتنبي	«	أنصار
٣٠٦	أشجع السلمي	«	حذار
٤٨	ابو مروان الجزيري	«	وتحار
٩٨	منصور الفقيه أو غيره	«	كبير
٢١٨	—	«	وأنزر
٢١٥	ابن شرف	مجزوء الرمل	بدر
٣٥٥	الحكيم المصري	السريع	الخطار
١٣	—	الخفيف	الأسفار
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	والبدر
٢٧٠	الحصري الكفيف	«	الغضنفر
٣٣٢	ابن حمديس	«	مبصر
١١٣	أبو الفضل البغدادي	«	الحوافر
١١٨	» » »	«	كثير
٣٣٩	ابن حمديس	«	ضميره
٣٠٢	أبو العرب الصقلي	البيسط	خطر
٢٥	صاعد	«	معبار
١١٨	أبو الفضل البغدادي	«	الازاهير
١٢٠	الأعمى التطيلي	«	قدر
٢٢٢	ابن شرف	«	العسر
٢٢٣	—	«	الذكر
٣١٤	التقميني	«	القصر

٢٩٨	ابن عمار	البسيط	والقمر
٢٣٧	المعري	»	الخصر
٣٤٧	الحكيم المصري	»	والخبز
٣٢١	ابن حمديس	»	والخضر
٤٣	مؤمن بن سعيد	»	سقر
٣٥٩	—	الوافر	وخير
٣٣	—	»	بجنبشار
١٩١	—	»	السري
٣٤٨	التهامي	الكامل	الاصدار
٢٥٦	الخصري	»	والمعدور
٢٩٣	ابن المعتز	الكامل المرفل	الدهر
٢٩٣	ابن أبي طاهر	مجزوء الكامل	الغبار
١٧٩	أبو النجم العجلي	الرجز	شعري
٢٥	البيضاء أبو الفرج	»	منقارها
١٧٢	ابن شرف	مجزوء الرجز	بنارهم
٣٤٥	الحكيم المصري	السريع	والخاطر
٢٥	أبو البركات العلوي	»	بمنقار
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	»	العطر
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الكبر
١٣٦	الحكيم المصري	»	السحر
٢٩	المنصور بن أبي عامر	الخفيف	أبكار
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	»	الجاري

٢٨٦	ابن وهبون	المتقارب	خير
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	»	اضطرار

- ز -

٢١٤	ابن شرف	الكامل	فأوجزا
٢٨٥	ابن شرف	»	عززا

- س -

٢٥٨	الحصري الكفيف	الوافر	يسوسا
١٧	—	المتقارب	حراسها
١٧	صاعد	»	نفاسها
٢٥٢	الحصري الكفيف	»	وقابوسه
٢١	صاعد	مجزوء الرمل	وجليس
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الطويل	اللمس
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	الكامل	الكنس
٤٨	أبو مروان الحزيري	»	الرجس
٣٧	أبو تمام	»	اياس
٣٧٥	ابن الزيتوني	»	ماسه
١١٨	أبو الفضل البغدادي	السريع	أجناس
١٠٠	» » »	»	نفسه

- ص -

١٦	صاعد	السريع	الفصوص
١٦	-	»	يغوص
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الكامل	منغص
١٨٢	ابن شرف	البسيط	القفص

- ض -

٢٨٣	الحصري الكفيف	الطويل	قاض
٢٧٩	الحصري الكفيف	الطويل	ينضي
١٧٢	ابن شرف	السريع	بغضهم
٢٢٧	السميسر أو غيره	المجتث	غموضي

- ط -

٩٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	محطها
٢٧٦	الحصري الكفيف	المنسرح	لقطا
٢٣٠	سليمان بن حسان	الوافر	تقط

- ع -

٢٣٣	امرؤ القيس	الطويل	أروعا
٨٩	الصاحب أبو القاسم	المتقارب	ساعه
٣٠٦	الناطقة الذبياني	الطويل	واسع
١٧٦	أبو تمام	»	أبايعه

١٧٦	ابن الزيات	الطويل	بائعه
٣١٤	القعيني	البيسط	أودّعه
٢٨٢	الحصري الكفيف	الكامل	المربع
٢٩٨	الحلواني	المتقارب	تسمعُ
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	منعي
٢١٦	ابن شرف	»	يوشع
٣٦٣	ابن صارة	»	شفيع
٤٩	—	الوافر	بالصرع
٢٢٦	ابن شرف	الكامل	يربوع
٤٩	أبو مروان الجزيري	»	نياعه
١٩٤	—	»	الوداعه
٢٩٥	أبو الفضل البغدادي	السريع	الطالع
١٤٨	الشريف الرضي	الخفيف	بسمعي

- غ -

٣٦	أبو حاتم الحجاري	المنسرح	اسوغُ
٢٥٣	الحصري الكفيف	المجنث	البليغ
٣٦٧	أبو بكر المرادي	المتقارب	الأصبيغ

- ف -

٢٣٠	ابن هانيء	الطويل	تُطْفَأ
٤٢	ابن شهيد أبو عامر	المنسرح	صدفا

١٨	صاعد	الطويل	خائفٌ
٣٣٨	ابن حمديس	الطويل	مجوف
١٠٨	—	الطويل	الختف
٢٢٦	ابن شرف	البسيط	صافٍ
٢٥٥	الحصري الكفيف	الوافر	تكافي
٢٢١	ابن شرف	الكامل	طوافي
٢٨٨	ابن الطلاء	السريع	تنتفٍ
٤٤	ابن عبدون	المجئت	عزف

— ق —

٢٢٦	ابن شرف	مجزوء الكامل	السوابق
٥٦	قيس بن زهير	المتقارب	الصعق
١١٠	—	البسيط	وميثاقا
٣٦	أبو مروان الجزيري	المتقارب	المقدقه
٢٢٦	ابن شرف	الطويل	سوابق
٢٣٢	»	»	ويطرق
٢٣٦	»	»	أفاويق
٢٢٤	»	الوافر	الطليق
٢١	صاعد	البسيط	وأوراق
٤٦	أبو مروان الجزيري	الكامل	الأوثق
٢٨٠	الحصري الكفيف	المتقارب	الشقيق
٢٣	المتنبى	الطويل	ومشرق

٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	بعقيق
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	البسيط	كالفلق
١٠٩	أبو الفضل البغدادي	»	السرق
٣٧٨	ابن العطار اليايسي	»	الالحق
٢١	صاعد	الوافر	العقيق
٣٦٠	ابن الطلاء	الكامل	بقني
٢٦٨	الحصري الكفيف	»	أخلاقه
١٢٢	العباس بن الأحنف	السريع	يخلق
٩٦	أبو الفضل البغدادي	المنسرح	الفلق
٣١٢	ابن الرومي	»	والحدق
٣٦٣	أبو حاتم الحجاري	»	الأفق
٢٢	ابن زرارة	الخفيف	صديقي
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	بالإشراق

— ك —

٣٥٦	الحكيم المصري	السريع	الفلك
٣٨١	ابن القابلة السبتي	»	الحلك
٣١١	ابن الصباغ الصقلي	الوافر	سواكا
٢٨	ابن شهيد أبو مروان	الرمل	مستهلكا
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الفتكة
٣٣٦	ابن حمديس	»	شركة
٢٥٢	ابن الطراوة	الطويل	عالك

٣٤٠	ابن حمديس	الرميل	حركه
٣٤١	ابن حمديس	مجزوء الكامل	ومسك
١٢١	السلامي	المنسرح	ملك
٣٢٢	الحسين بن الضمحاك	»	الفلك

- ل -

٣٣٤	ابن حمديس	الطويل	قتلا
٣٠٦	أبو العرب الصقلي	الطويل	الأناملا
٣٠٢	»	البيسط	حملا
٣٨٠	ابن القابلة السبتي	مخلع البيسط	حلا
١٠٣	أبو الفضل البغدادي أو غيره	الكامل	وبلا بلا
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	الكامل	أعزلا
٣٢٠	ابن حمديس	الكامل	المتدلا
١١٣	أبو الفضل البغدادي	الكامل	قليلا
٢٢٧	ابن شرف	الخفيف	يصلى
٣٦٧	أبو بكر المرادي	الخفيف	وقالا
٢٤٧	العباس بن الأحنف	المتقارب	جميلا
٢٥٩	المعري	الطويل	والحمائل
٣٥٣	الحكيم المصري	الطويل	حبائل
٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	الليل
١٤٠	ابن شرف	الطويل	غفل
٣٢٥	ابن حمديس	الطويل	القتل

١١٠	أبو الفضل البغدادي	الطويل	سؤال
٣٠٢	—	البسيط	والدول
٤٠	ابن شهيد أبو عامر	مخلع البسيط	نبيل
١١	صاعد	الكامل	زليل
٢١٧	ابن اللبانة	»	تعديل
١٠٨	أبو الفضل البغدادي	الرجز	مثالته
٢٥٦	الحصري الكفيف	المنسرح	مفسول
٣٤٦	الحكيم المصري	»	المقل
٩٩	أبو الفضل البغدادي	المجنت	الجمال
٢٦٠	الحصري الكفيف	الطويل	حومل
٣٠٨	عبد الله بن حجاج	»	حابل
٣٣	امرؤ القيس	»	مرجل
٩٠	الحكيم المصري	»	وبل
٣٧٢	الفكيك	»	العذل
٣٥٤	المعري	»	سبيل
٣٧٤	الفكيك	البسيط	أحوالي
١٨٢	أبو نواس	»	بالنبيل
٢٢٢	ابن شرف	»	الأسل
٣٦٠	ابن الطلاء	»	عللي
٢٠	المتنبي	الوافر	قبلي
٢٥١	المتنبي	»	دليل
٢٢٤	ابن شرف	»	سبيل

١٢٧	عبد العزيز السوسي	الكامل	الأجلال
٢٣٥	أبو تمام	الكامل	بحالي
٣٥	صاعد	"	مذلل
٢٣٣	ابن شرف	"	متأمل
٢٣٤	جرير	"	يسأل
٢٣٤	أبو تمام	"	الأوّل
١٢٠	ابن الرومي	مجزوء الكامل	بمناله
٢١٨	ابن شرف	الرمّل	ينجلي
٢١٨	ابن شهيد أبو عامر	الرجز	خليلي
١٤	أبو تمام	"	وهزله
٩١	الواساني	المنسرح	الحمل
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	الأقل

- م -

٣٤٧	-	الرجز	الشيم
٢٥٥	الحصري الكفيف	السريع	سقيم
١١٧	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	سلم
٧٠	المصحفي	الطويل	تندما
٢٧٠	الحصري الكفيف	الطويل	تهدّما
١٠٣	ابن رشيق	مخلع البسيط	حساما
٢١٦	أبو نوابس	الخفيف	التحكيم
٢٩٢	الخلواني	"	السقيما

٢١٧	المتنبى	الطويل	ينجم
٢٩٧	الحلوانى	"	يحمل
٣٦٩	الفكيك	"	يعظم
٦٩	المصحفي	البسيط	والندم
٦٩	أبو مروان الجزيري	"	الكرم
٢٩١	الحلوانى	"	الظلم
٣٧٣	الفكيك	"	مقسوم
٢٧٣	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الكريم
٣٠٤	الطنبى	الخفيف	الكلام
٣٧	الفرزدق	الطويل	المغارم
٢٩٩	الحلوانى	"	المباسم
٣٠٣	أبو العرب الصقلي	"	والتوسم
٣٦٦	أبو بكر المرادي	"	المبرسم
٩٧	أبو الفضل البغدادي	"	الدهم
٢٣٤	الشريف الرضي	البسيط	سلم
٢٠٠	—	"	كلثوم
١٢٠	سليمان الصقلي	الوافر	الحمام
٣١٨	ابن الصباغ الصقلي	"	المرام
٣٥٠	الحكيم المصري	"	بالسليم
٢٧٨	أبو نواس	مجزوء الوافر	معلمه
٢٩٤	ابن لنكك	الكامل	الأيام
١٦	—	"	غمام

٢١٦	ابن شرف	الكامل	كالتهويم
٩٨	ابن الرقاع	»	القاسم
٣٢٣	ابن صارة	»	مرامها
٣٤١	ابن حمديس	المتقارب	الزحام

- ن -

٣٥٩	الحكيم المصري	السريع	الهوان
١٩٠	قريط بن أنيف	البسيط	هانا
٢٥٧	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	فتونا
٢٥٩	الحصري الكفيف أو المعتمد	مجزوء الرجز	جاهنا
٤٧	أبو مروان الجزيري	السريع	منه
٢٢	صاعد	المنسرح	أنا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	للهاوزنه
٣٥٤	الحصري الكفيف	الطويل	الرياحين
١٢١	العباس بن الأحنف	البسيط	الحسن
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الوافر	خزون
٢٣٧	ابن شرف	»	دفين
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	سلطان
٢٩٤	الحلواني	»	ندمانه
٢٥٨	الحصري الكفيف	السريع	وسلاطين
٢٨٩	الحلواني	»	العين
٩٧	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	الفتون

٢٥٨	الحصري الكفيف	الخفيف	ياسمين
١٢	أبو الغزور الاعرابي	الطويل	وتنصرفان
١٢٥	—	»	فيأتلغان
١٢٦	—	»	هجان
٢٢٠	عروة بن حزام	»	تنطحان
٢٧٦	الحصري الكفيف	»	القمران
٢٩٩	—	»	يدان
٣٥٠	أبو نواس	»	نعني
٢٥٢	الحصري الكفيف	البسيط	ألفاني
٢٢٥	ابن رشيق	»	ضنين
٢٨٩	الحلواني	»	ويغريني
٣٦٢	ابن الطلاء	»	ميزاني
١٠٣	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الوافر	مرتهن
١٠٣	علي (غلام أبي الفضل)	»	يخن
٢٥٦	ابن الرومي	الكامل	الشبان
٢٩٩	الحلواني	»	وهوان
٢٣٠	—	»	زمانه
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الكامل	لساقي
٣١١	ابن الصباغ	الهمز	دارين
٢٥٧	الحصري الكفيف	السريع	فاتي
٣١٦	—	»	جون
٢٩٠	الوأواء	المنسرح	أين

١٠٦	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	استبطاني
١٠٨	»	»	وان
٣٦٠	ابن الطلاء	المتقارب	شينها

- ه -

١٢٢	القراطيسي	السريع	الولاه
٢٨٨	الحلواني	»	راحتيه
١١٩	سليمان الصقلي	الطويل	كريها
٣٧٥	ابن الزيتوني	البسيط	تجريها
٣٥٩	الحكيم المصري	مجزوء الرمل	مقلتيها
٢٨٣	الحصري الكفيف	السريع	وماضيها
٢٨٧	الحلواني	المتقارب	شفاها
٣٤٤	-	الوافر	فيه
٣٥٩	-	»	عارضيه
١٢١	ابن يونس	الكامل	عليه
٣٨	ابن المعتز	»	وبديه
٢٢	صاعد	مجزوء الكامل	فيه

- ي -

٣٨	عبد يغوث	الطويل	لسانيا
١١٤	أبو الفضل البغدادي	»	وباديا

١٦١	مالك بن الريب	الطويل	وراثيا
٢٣٢	—	السريع	جاره
٣٥٦	الحكيم المصري	»	بأسراريه
٢٩	ابن شهيد أبو مروان	الخفيف	الرزايا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	علانيه
٤٣	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٣٥٤	البستي	الوافر	الكمي



فهرس المحتويات

•	مقدمة المحقق
	ذكر الكتاب الوزراء والأعيان الأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس والطارئين عليها من أول المائة الخامسة من الهجرة
٧	حتى ٥٠٢
٨	فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي
١٠	فصول من نثره في أوصاف شتى
١٤	جملة أخبار نوادر جرت له مع المنصور بن أبي عامر
٢٠	[استطراد بذكر حادثة جرت لابن بسام]
٢١	[رجع إلى أخبار صاعد]
٢٣	[استطراد بذكر من حاولوا معارضة المتنبي]
٢٥	[عود إلى ذكر صاعد]
٢٧	[أخبار ابن شهيد أبي مروان]
٣٠	[عود إلى صاعد]
٣٤	[فائق ونبيه الصقالبة]
٣٤	[رجع إلى أخبار صاعد]
٣٦	[الفرق بين البديهة والارتجال نقلاً عن العمدة]
٤٠	[بديهة الأندلسيين]
٤٥	إيجاز الخبر عن أسر غرسية

٤٦ مقتل أبي مروان الجزيري [وبعض أخباره]

٥٣ رجع ما انقطع [من خبر صاعد]

٥٦ تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه

٦٢ بالجهاد دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

٦٣ مظاهرة غالب لمحمد بن أبي عامر على المصحفي

٧٠ جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية

٧٣ وفاة المنصور بن أبي عامر

٧٨ قيام عبد الملك ابنه بالدولة

٨٧ فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي

٩١ [هجاء الواساني لعلي بن يوسف ومنشأ بن إبراهيم]

جماعة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى - النسيب

٩٥ وما يناسبه

٩٨ [استطراد بذكر أشعار في الشيب]

٩٩ [عود إلى شعر أبي الفضل]

١٠٥ ما أخرجه من شعره في سائر الأوصاف

١١٠ من قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به

١١٥ من مقطوعاته في الإخوانيات وغيرها

فصل في ذكر طائفة من الشعراء المقلين الطارئین علی الأندلس من

١١٩ المشرق

١١٩ منهم : سليمان بن محمد الصقلي

- فصل في ذكر الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد
الجرجاني ١٢٤
- فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي ١٢٦
- [فصل لابن حيان في الصنيع الذنوبي] ١٢٧
- مجلس الأنس في ذلك الصنيع ١٣٥
- فصل في ذكر الشعراء في الاعذار الذنوبي ١٣٨
- جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم ١٤٢
- ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد
البنيان ١٤٧
- ذكر الخبر عن مال حفيد المأمون الملقب بالقادر ١٤٩
- مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد ١٥٢
- فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل ١٥٧
- خروج المتوكل من طليطلة ورجع ابن ذي النون إليها ١٦١
- بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ١٦٣
- فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف ١٦٩
- جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره ١٧١
- [استطراد بذكر ابن الزيات وأبي تمام] ١٧٥
- رجع [إلى نثر ابن شرف] ١٧٧
- فصول من نثره في أوصاف شتى ١٨٣
- ومن ترسيله ١٩٣
- مقامة ابن شرف في الشعراء ١٩٦

٣٢٠	في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي
٣٣٦	من شعره في أوصاف شتى
٣٤٢	فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري
٣٤٥	من شعره في أوصاف شتى
٣٥٥	جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة
٣٦٠	في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي
٣٦٤	فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر ابن الحسن المرادي
٣٦٨	الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك
٣٧٤	الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني
٣٧٦	الأديب أبو بكر بن العطار اليايسي
٣٨٠	في ذكر ابن القابلة السبي
٣٨٣	ملحق القسم الثاني (قراءات نسختي ك ل)
٤٠١	فهارس الكتاب
٤٠٣	فهرس الاعلام
٤٢١	فهرس الأماكن
٤٢٧	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٤٣١	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٤٣٢	فهرس القوافي
٤٥٧	فهرس المحتويات

بعمونه تعالى
انجز طبع هذا الكتاب

بدار الثقافة

ص. ب. ٥٤٣ - بيروت

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الثاني

تخنيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

فأول من أبدأ به منهم من رسخت أصوله في تربة التقديس والتسييح . والنفتُ فروعه بأجنحة الملائكة والروح . مَنْ عَيْدَ الرحمن في زمانه ، وَخُلِعَتِ الأوثانُ بين صارمه وسنانه ، صلى الله عليه أتمَّ صلاةٍ وأزكاها ، وأمرها من رضوان الله وأدناها ، وعلى أهل بيته أولى الناسِ بِنُصْحِ جيوننا ، وأحقَّهم بطاعة فلوبنا ، وأرجأهم لحطَّ خطايانا وذنوبنا .

فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى

ذي المجدين علم الهدى^١

واثبات جملة من شعره الذي شرف بقائله وطائله ،
وعرف بجلالة ناظمه ، وأصالة مباديه وخواتمه .

كان هذا الشريف المرتضى إمامَ أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فَرَعَ علماؤها ، وعنه أَخَذَ عظماءُها ؛ صاحبُ مدارسها ، وجماعُ شاربها وأنسها ، ممن سارت أخباره ، وعُرِفَتْ به أشعاره ، ومُحِدَتْ في ذاتِ الله مآثره وآثاره ؛ الى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، بما يشهدُ أنَّه فرعُ تلك الأصول ، ومن أهلِ

(١) مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٣٦ . وقد تفرد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو ومعاني الشعر واللغة وله عدد كبير من الكتب ، وديوانه يقع في ثلاثة مجلدات ؛ انظر ترجمته في انباء الرواة ٢ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٣ : ٣١٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) ودمية القصر ١ : ٢٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٢ وتنمة اليتيمة ١ : ٥٣ والمنظوم وابن الانير والذهبي (وفيات ٤٣٦) وتلخيص مجمع الآداب ٤ : ١/٦٠٠ ومروءة الجنان ٣ : ٥٥ ولسان الميزان ٤ : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٣٣٥ والشذرات ٣ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٩ وروضات الجنات : ٣٨٧ والدرجات الرفيعة : ٤٥٨ والذريعة ٢ : ٤٠١ وابن كثير ١٢ : ٥٣ وللدكتور عبد الرزاق محيي الدين دراسة عنه بعنوان « أدب المرتضى » (بغداد ١٩٥٧) ؛ ويعتمد ابن بسام هنا في الأكثر على كتاب « طيف الخيال » (القاهرة : ١٩٦٢)

ذلك البيت الجليل ؛ وقد أخرجت من شعره ما لا يمكن لحاقه ، ولا يُنكر تبريزه وسباقه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

في وصف الطيف

[قال]^١ :

ما زال يخدعني بأسبابِ المنى^٢ حتى حسبتُ بأنه حقاً معي
أحبُّ إليَّ وقد تغشَّى ناظري وسنُّ الكرى بالطيفِ يطرقُ مضجعي^٣
ولقد عجتُ على المسافةِ بيننا كيف اهتدى من غير هادٍ موضعي
أفضى إلى شعثٍ لقوا هاماتهم لما سقوا خمرَ الكرى بالأذرعِ
هجعوا قليلاً ثم دَعَدَعُ^٤ نَوْمَهُمْ غبَّ السرى داعي الصبحِ المسمعِ
وقال :^٥

وزورٍ تخطَّى جنوبَ الملا فنادتُ أهلاً بذا الزائرِ
أتاني هدواً وعينُ الرقيبِ مطروفةً بالكرى الغامرِ
وأحبُّ به^٦ يُسْعِفُ الهاجعينِ وتُحْرِمُهُ مقلَّةُ الساهرِ
وعهدي بتمويه عينِ المحبِّ ينمُّ على قلبه الطائرِ
فلما التقينا برغمِ الرقادِ موَّه قلبي على ناظري

١ طيف الخيال : ١٢٠ والديوان ٢ : ٢٢٢ (طيف الخيال = ل ، والديوان = ن)

٢ ل ن : الكرى

٣ هذا البيت مقدم في : ل ن .

٤ في الاصل : زعزع

٥ ل = ١٢١ : ن ٢ : ٦٢ والنريشي ٢ : ٢٣٠ - ٢٣١

٦ ل ن : وأعجب به

قال الشريف المرتضى ^١ : قلت هذه الأبيات في سنة أربع ^٢ وثمانين وثلاثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفحت ديوان شعراخي لاستخراج ما يتعلق بوصف الطيف في هذا الوقت وهو سنة اثنتين ^٣ وعشرين واربعمائة وجدت هذه البائية بخطه على ظهر الجزء الثاني من شعره ^٤ :

إن طيفَ الخيالِ زارَ طُرُوقاً والمطايا بين القنَّانِ وشُعْبِ
زارني واصلاً على غيرِ وعدٍ وانثنى هاجراً على غيرِ ذنب
كان قلبي إليه رائدٌ عيني فعلى العينِ مِنَّةٌ للقلب
كان عندي أن الغرورَ لطرفي فاذا ذلك الغرورُ لقلبي
فلستُ أعرفُ كيفَ جرَّتِ الحالُ في خبرها ، وهل قصدَ رحمه الله إلى نظمها حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى ، أو أنبى سماعه مني ، وقذفَ به خاطره وجرى على هاجسه ، وكثيراً ما يلحقُ الشعراءُ ذلك فيتواردون في بعضِ المعاني المسبوقِ إليها ، وقد كانوا سمعوها فأثسوها ، فالخواطرُ مشتركة ، والمعاني معترضةٌ لكلِّ خاطر ، وكيف جرى الأمرُ فيها فان العنصرَ واحد ، وأتينا سبقَ إلى معنى فالآخرُ بالتَّجَرُّ والسَّنخِ إليه سابقٌ وبه عالق .

وقال المرتضى ^٥ :

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْرِي وَنَحْنُ جَمِيعاً هَاجِعُونَ عَلَى الْغَمْرِ
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أُمَّ رَكَابِنَا وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ الرَّحَالِ وَمَا نَدْرِي

١ ل : ٩٤ - ٩٥

٢ ل : في سنة نيف

٣ ل : نيف .

٤ ديوان الرضي : ١ ، ١٧٢ والشريشي : ٢ : ٢٣١

٥ ل : ١٢٢ - ١٢٤ : ن ٢ : ٦٧

وكيف اهتدى والقاع بيني وبينه
وأفضى إلى شعث الحقائق عرسوا
وقوم لقوا أعضاد كل طليحة
سروا وساك الرمح فوق رؤوسهم
وبات ضجيعاً لي ونحن من الكرى
أضم عليه ساعدي إلى الحشا
ولماعة القطرين^١ مناعة القطر
على منزلٍ وعرٍ ودوية قفر
بهم ملاهّن النعاس من السكر
فما هوموا إلا على وقعة النسر
كبأنا تروينا العتيق من الخمر
وأفرشهُ ما بين سحري إلى نحري

قال المرتضى : قلت : « مناعة القطر » ، وهي على الحقيقة ممنوعة ، لأقابل
بين لماعة ومناعة ، والمعنى مع ذلك صحيح / [١٣١] وإنما قلت : سأك الرمح^٢
لضيق الشعر . ومعنى : « لقوا أعضاد كل طليحة » أي توسدوا أذرع المطي كلالاً
وتصعلكاً .

قال ابن بسّام^٣ : ومثله قولُ ذي الرمة^٤ :
رمى الإدلاج أيسرَ مرفقَها بأشعثٍ مثل أشلاء اللجام
يعني نفسه [و] أنه عرسَ على إحدى ذراعي ناقته ، وخصَّ اليسرى لتكون وجوههم
وجوه الإبل في ناحيةٍ واحدةٍ فيكتلوا بأبصارها^٥ [لأنها أبصر وأسهر] ولو توسدوا
أيا من المطي كانت وجوههم إلى أعجازها ؛ وفي الاكتلاء لعين المطية يقول الآخر^٦ :
أنخست قلوصي واكتليت بعينها وأمرت نفسي أي أمري أفعل
وقال ذو الرمة أيضاً^٧ :

١ في الأصل : القرطين ؛ ولماعة القطرين : السحابة .

٢ يعني كان حقه أن يقول : السأك الرامح

٣ النص منقول عن شرح الأمالي : ٢٠٠

٤ ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٩٨

٥ في الأصل : فيكتلون بأبصارهم ، وما بين معقنين زيادة من السط .

٦ السط : ٢٠٠

٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ (مكارتني)

جَنَحْنَ عَلَى أَرْدَافِهِنَّ وَهَوَّمُوا سُحَيْرًا عَلَى أَعْصَادِهِنَّ الْمِيَاسِرِ
وقال أيضاً^١ :

رجيعة أسفارٍ كأنَّ زمامَهَا [شجاع] لدى يُسْرِى الذراعينِ مُطْرِقُ
كأنَّ الزمامَ إنما يكونُ في الشقِّ الذي يضطجعُ عليه ، وقد بينَ ذلك أبو حية بقوله :
[...]^٢ أَيْمَنَ الكَشْحِينَ مِنْهُ إِلَى يُسْرِى يَدَيَّ حَرَجٍ أُمُونِ
وإنما يتوسَّدُ القومُ أَيْمَانَهُمْ لِمَكَانِ السِّلاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ ، وأنَّ مُعَرَّسَهُمْ ليس بمكانٍ
طمأنينةٍ ولا وضعٍ السِّلاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ .

وقوله : « فَمَا هَوَّمُوا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ » ، بين مسامطة السهاك لقمة الرأسِ
من وقعه زمانٌ طويل . ومثله مما أنشده أبو علي البغدادي^٣ ، إلا أنَّه في ذكر
الشعري والنسر ، قولُ أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ :

أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَمَتْ نَوْمَةً وَقَدْ غَابَتِ الشَّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

وقد أنكر أبو عبيد البكري عليه هذه الرواية وقال^٤ : الصحيح في المعنى :
« وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ » ، لأنَّ الشعري العبورَ إذا كانت في أفقِ المغرب كان النَّسْرُ
الواقعُ طالعاً من أفقِ المشرقِ على نحو سبع درجات ، وكان النَّسْرُ الطائرُ لم يطلع ؛
وإذا كانت الشعري الغميضاء في أفقِ المغرب ، كان النَّسْرُ الواقعُ حينئذٍ غيرَ مكبَّدٍ ،
فكيف أن يكونَ جانحاً ، وكان النَّسْرُ الطائرُ حينئذٍ في أفقِ المشرقِ طالعاً على
نحو سبع درجات أيضاً ؛ فرواية أبي علي لا تصحُّ ألبتَّةَ ، فكأنَّ النَّسْرَ الواقعَ نظيرُ
الشعري العبور ؛ قال الشاعر :

وَإِنِّي وَعَبَدَ اللَّهَ بَعْدَ اجْتِمَاعِنَا لَكَالْنَسْرِ وَالشَّعْرَى بِشَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

١ ديوان ذي الرمة : ٣٩٤ (مكارنتي)

٢ الكلمة قد كسّطت ولم يبق منها إلا الحرف الأول وهو التاء ؛ ولم يرد البيت في شعر أبي حية المجموع .

٣ أمالي القاضي ١ : ٧٧

٤ انظر التنبيه : ٣٨ والسمط (شرح الأمالي) : ٢٦٢

يلوحُ اذا غابتُ من الشرقِ شخصُهُ وان تُلحِ الشعري له يتغيَّب
وقال أبو نواس^١ :

وخمارٍ نبَّهْتُها بعدَ هجعةٍ وقد لاحَ الجوزاءُ وانغمص^٢ النسرُ
فقلتُ : مَنْ الطَّرَاقُ قلنا عصابةً خِفافُ الأداوى تُستَقَى لهم الخمر

قال ابن بسام : وأبو عبيد البكري هذا كان آخر علماء أفقنا بالأوان ، وأولهم بالبراعة والاحسان ، حتى كأنَّ العربَ استخلفته على لسانها ، والأيامَ ولَّتهُ زمامَ حدثانها ، وقد ذكرتُ [له] في القسم الثاني من هذا التصنيف^٣ ، عدَّة من التواليف في شتى الفنون ، تشهدُ أنَّه تلقَّى رايةَ المعارفِ باليمين .

وقال المرتضى من قصيدة أخرى^٤ :

ألا يا ابنةَ الحيينِ مالي ومالكِ وماذا الذي يتنابُني من خيالكِ
هجرتِ وأنتِ الهمُّ إذ نحنُ جيرةُ وزرتِ وشَحَطُ دارُنَا من دياركِ
فما نلتقي إلا على نشوةِ الكرى بكلِّ خُداريٍّ من الليلِ حالكِ
يفرِّقُ في ما بيننا وَضَحُ الضحى وتجمعنا زُهرُ النجومِ الشوايكِ
وما كان هذا البذلُّ منكِ سجيَّةً ولا البذلُّ^٥ يوماً خلَّةً من خلالكِ
فكيف التقينا والمسافةُ بيننا وكيف خَطَرُنَا من بعيدٍ ببالكِ
ولما امتطيتِ الليلَ كنتِ حقيقةً بغيرِ الهدى لولا ضياءُ جمالكِ

١ متابع للسمط ، وانظر ديوان أبي نواس : ٢٧٣

٢ السمط : وانغمس ؛ الديوان : وانحدر

٣ موضع ترجمة أبي عبيد في القسم الثاني من الذخيرة : ٢٣٣ ولم يرد فيها ذكر لتصانيف أبي عبيد لأن النسخ المعتمدة قد أدخلت بإيرادها ، وهذه الاحالة هنا تثبت أن ابن بسام كان قد أدرج له ترجمة مستوفاة ، ولعله فعل ذلك في مرحلة متأخرة من إعدادة للكتاب ؛ ويجدر القول أن للبكري عدة مؤلفات هامة ذكرت بعضها في حواشي ترجمته في القسم الثاني .

٤ ل : ١٢٤ ، ن : ٢ : ٣٧٠ وحامسة ابن الشجري : ١٨١

٥ ل : الوصل

وهذه أبيات غريبة الطَّرَح ، بدوية السُّنَخ .

وقال من أخرى ^١ :

يا طيفُ زُرْنَا إنْ نَشَطْتَ لَنَا فالركبُ بالأبواءِ قد نَزَلَا
عُدَّ النَّهَارَ مَطِيَّةً لَغَبْتُ وخِذِ الظَّلَامَ مع السُّرَى جَمَلَا
وَدَعِ التَّعَلَّلَ فَالْحَيِيبُ إِذَا ملَّ الوَصَالَ تَطْلُبُ العِلَلَا
عَجَلُ سُرَاكَ إِلَى مُضَاجَعِنَا وإذا خَطَرْتُ ^٢ فَلَا تَغِبْ عَجَلَا
مَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ مَنْ نَحَازِرُهُ قَطَعَ الخِيَالُ الحَبْلَ أَمْ وَصَلَا

وقال ^٣ :

يا طيفُ أَلَا زُرْنَا بِسَوَادٍ لما تَضَرَّعْنَا حِيَالَ الوَادِي
مَا كَانَ ضَرْكَ وَالْوَشَاةُ بِعَزَلٍ عَنَا جَمِيعاً لَوْ طَرَّقَتْ وَسَادِي
وَالرَّيُّ فِيكَ وَقَدْ صَدِيتُ فَقُلْ لَنَا مَنَّا عَلَيْنَا كَيْفَ يَنْقَعُ صَادٍ
وَمَنْ أَجَلٍ أَنْكَ تَسْعَفِينَ عَلَى الْكُرَى أَهْوَى الرِّقَادَ وَلَاتَ حِينَ رِقَادٍ
يَا زُورَةً مِنْ بَاخِلٍ بِلِقَائِهِ ^٤ عَجَلْتُ عَطِيَّتُهُ عَلَى المِيعَادِ
تَرَكَ البَيَاضَ لِأَمْنٍ وَأَتَى بِهِ فَرَّقَ الوَشَايَةَ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ

وقال ^٥ / [١٣٢]

أَلَا [يَا] أَيُّهَا الحَادِي قَفِ العَيْسَ عَلَى الوَادِي
وَأَيْنَ الطِّيفُ مِنْ ظَمِيَا أَمْ أُمْسَى وَهُوَ مَعْتَادِي

١ ل : ١٢٦ ؛ ن ٣ : ٤٦

٢ ل ن : حضرت

٣ ل : ١٢٧ ، ن ١ : ١٦٠ والشهاب : ٦٦

٤ ل : برقاده

٥ ل : ١٣١ ، ن ١ : ٢٦٥

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين أعضاد^١
تلاقينا بأرواحٍ وفارقنا بأجساد
قال المرتضى : الأرواحُ لا يصحُّ لها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، لكنَّ الشعراءَ
لما رأوا الأجساد في طيف الخيالِ لم تلتقِ ولا تدانت ، نسبوا التلاقيَ إلى الأرواح
تعوِيلاً على مَنْ جَعَلَ النفسَ لها قيامٌ بنفسها ، وأنها غيرُ الجسد ، وأنَّ التصرفَ لها ،
فجرينا على هذا الطريق ، وإنَّ كانَ باطلاً بالتحقيق .

وقال ٢ :

زارني والرقادُ مني ومنهم داخلٌ في العيونِ من كلِّ بابِ
زُورَةٌ زُورتَ عليَّ ولو كا نت يقيناً لما شَفَتُ بعضَ ما بي
وقال ٣ :

قل لطيف الخيالِ ليلة هُوَ—نا بنجدٍ هلاً طرقتَ هزيعا
والمطايا من الكلالِ على رَمَلٍ زُرُودٍ قد افترشنَ الضلوعا
ما على من يحلُّ بالقُورِ لوبا تَ لنا طيفُهُ بنجدٍ ضجيعا
خادعونا بالزُورِ منكم عن الحـققِ فما زال ذو الهوى مخدوعا
واطلبوا إن وجدتمُ كائناً للسرِّ منكم فقد وجدنا المذيعا
وقال ٤ :

وليلةً بتنا بالأبـرقِ جاءني على نشوةِ الأحلامِ وهنأَ رسولها
خيالٌ يُريني أنها فوقَ مضجعي وقد شطَّ عني بالقُورِ مَـقيلها

١ ل ن :

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين رقاد
وأعناق المطايا من كلالٍ بين أعضاد

٢ ل : ١٣٤ والتنهاب : ٧١ ولم يردا في الديوان .

٣ ل : ١٣٦ ن : ٢ : ٢٠٤

٤ ل : ١٣٨ ن : ٣ : ٣٦ - ٣٧

فيا ليلةً ما كانَ أنعمَ بثَّها تنازحَ غاويها ونامَ عذوها
وما ضرَّني منها وقد بتُّ راضياً يباطلها أنْ بانَ صباحاً بَطُوها
فلما تجلَّى الليلُ بالصَّبحِ وامتَّ دياجيرُ مرخاةٍ عليها سدوها
أفقتُ فلم يحصلْ عليَّ من الذي خُدِعتُ به إلَّا ظنونُ أُجِلهَا
قال المرتضى ^١ : وهذه الأبياتُ ما تراه ، مما لا تقدِرُ على جَحْدِهِ من

الفصحاحة والطلاوة والبدويَّة التي يُوجدُ طعمُها في فصيحِ الكلام ؛ وإنما جعلتُ
الطيفَ رسولها لأنه مذكَّرُ بها ومترجمٌ عنها ، فجرى مجرى الرسول . وكان عندي
أنني سابقٌ إلى وَصْفِ الطيفِ بالرسولِ حتى وجدتُ أشجعَ السلميِّ يقول :

حيَّ طيفاً أناكَ بعد المنامِ يتخطَّى إليك هولَ الظلامِ
شحطَ الحيُّ من سعادٍ ومنا رُسُلٌ بيننا من الأحلامِ
وقال البحرى ^٢ :

إذا أرسلتُ طيفاً يذكّرني الهوى رددتُ إليها بالنجاحِ رسولها
وقال المرتضى ^٣ :

وزورٍ زارني والليلُ داجٍ [وقد ملأَ الكرى منَّا العيونَا]
يريني أنه ثانيٌ وسادي مضاجعةً وزُورٌ ما يرينا
نعمتُ بباطلٍ ويودُّ قلبي وداداً لو يكونُ لنا يقينا
وقال ^٣ :

حللتُ بنا والليلُ مُرخٍ سدُولُهُ فألاً وضوءُ الصبحِ في العينِ مُسْرِقُ

١ ل : ١٣٩ - ١٤٠

٢ ديوان البحرى : ١٧٩٧

٣ ل : ١٥٣ ؛ ن : ٣ ؛ ٣٠٥ والنريشي : ٢ : ٢٣٠

٤ ل : ١٦٢ ؛ ن : ٢ : ٣٠٦

فأَجِيبْ به من طارقٍ بعد هدأةٍ
ولما تفرَّقنا ولم يكُ بيننا
تطائرٌ وصلٌ غرَّنا فكأنَّه
وقال ١ :

أَلَمْ خيالٌ من أُمَيْمَةَ طارقُ
أَلَمْ بنا لم نَذِرْ كيف لمامه
فلله ما أُولَى الكرى من دُجْنَةٍ
نعمنا به حتى كأنَّ لقاءنا
فما زارني في الليلِ إِلَّا وَصْبُحُنَا
وكيف ارتضيتَ الليلَ والليلُ ملبسُ
تُخَيِّلُ لي قُرْباً وأنتَ بنجوةٍ
وقال ٢ :

ضنَّ عني بالنَّزْرِ إذ أنا يقظا نٌ وأعطى كثيرُهُ في منامي
والتقينَا كما اشتهينا ولا عَيْبٌ سِوَى أَنَّ ذاكَ في الأحلامِ
وإذا كانتِ المِلاقاةُ ليلاً فالليالي خَيْرُ من الأيامِ
وقال ٣ :

وسَّدني كَفُهُ وعانقني
وباتَ عندي إلى الصِّباحِ وما
ونحنُ في سَكْرَةٍ من الوَسَنِ
شاعَ التِّقاءُ لنا ولم يبين

١ ل : ١٧٠ : ٢ : ٣٠٧
٢ ن : ٣ : ٢٧٠ : ل : ١٧٤ - ١٧٥ وابن خلكان ٣ : ٣١٤
٣ ن : ٣ : ٣٤٢ : ل : ١٧٥

خادعني ثم عدَّ خَدَعَتُهُ بقلتي مِنَّةً من المن
فان تكن زورةً مُهَوِّمةً فقد أَمِنَا به من الظَّننِ
وإن يكن باطلاً فكم باطلٍ عاشَ به مَيّتٌ من الحزن
[وقال] ١ :

يا خليلي من ذؤابة قيسٍ للتصايي رياضة الأخلاق [١٣٣]
غثيانِي بذكرهم تطرباني واسقياني دمعي بكأسِ دَهَاقِ
وخذا النوم من جفوني فاني قد خلعتُ الكرى على العشاقِ

فصل في ذكر الوزير أبي القاسم

الحسين بن علي المغربي

واجتلاب سابق أشعاره ، ورائق أخباره ٢

كان أبو القاسم نجماً مطالعهُ الدُّولُ ، وبحراً عُبابه القولُ والعمل ، وروضةً تقوتُ القلوبَ نفحاتها ، وتقيدُ الأبصارَ صفاتها وموصوفاتها ، أمّا العلماءُ فعيالٌ عليه ، وأمّا العظماءُ فلُعَبٌ في يديه ، وأمّا الأقاليمُ فبعضُ شيعِهِ وأنصارِهِ ، وأمّا الأقاليمُ فبينَ إيرادِهِ وإصدارِهِ ، وأمّا مكانُهُ من العلم الحديث والقديم ، وسَبْقُهُ إلى غايتي المنثور والمنظوم ، وإقدامُهُ على المهالكِ ، وتلاعبُهُ بالأُملاكِ والممالكِ ، فأشهر من الصباح ، وأسيرٌ من الرِّياح .

١ ن ٢ : ٣٤٢ وابن خلكان ٣ : ٣١٤

٢ وردت ترجمة الوزير المغربي (٣٧٠ - ٤١٨) في تنمة الينيمة ١ : ٢٤ ودمية القصر ١ : ٩٤ والمنظم ٨ : ٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٩ ومعجم الأدباء ١٠ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٣٦٢ وابن خلكان ٢ : ١٧٢ - ١٧٧ وبغية الطلب ٥ : ١٤ - ٣٠ واعتاب الكتاب ٢٠٦ : ٥٥ والاشارة الى من نال الوزارة : ٤٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وراجع في أخباره أيضا ذيل ابن الفلاني : ٦١ - ٦٤ وصفحات متفرقة من اعطاء الحنفا (ج ٢) والدرة المضية ٦ : ٣٠٩ - ٣١٢ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ : وقد ذكره ابن القارح في رسالته وحكى شيئا من أخباره معه (انظر رسالة الغفران : ٥١ - ٥٨) وقد علّق ابن العديم على ذلك بقوله : وكان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور (ابن القارح) ما يوجب ألا يقبل قوله فيه .. (بغية الطلب ٥ : ١٩)

ومن أوابد أخباره ، وخالد آثاره ، كتابه المترجم بـ « المنخل » في اختصاره « إصلاح المنطق » لابن السكيت ^١ ، فانه غاية لا يتعاطاها إلا من بهر عتقه ، واشتهر سبقه ، وطريقة لا يتوخاها إلا من رسخت في العلم قدمه ، وترامت به إلى معالي الأمور هممه ؛ ومما يعجب من أمره ، ويرفع الصوت بجلالة قدره ^٢ : « أنه استظهر القرآن وعدة من الكتب المجردة في اللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر ونصرف في النثر ، وبلغ من الخط إلى ما يقصر ^٣ عنه نظراؤه ، ومن علم الحساب وجميع الأدوات ^٤ إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة ، واختصر ذلك الكتاب فتناهى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة الى الاختصار ، وجمع كل نوع [إلى] ما يليق به » .

ولما أوقع الحاكم بأبيه وأهل بيته ونذر دمه ، خرج من مصر معتقداً لعلو همته ، ناشداً لضائع ذمته ، فأتى مكة فحمل أبا الفتوح ^٥ على القيام بها ، وقرب له ما كان يستبعد من طلبها ، وجسره على أخذ ما كان بها من محاريب الفضة والذهب ،

١ بعث ابن المغربي بالمختصر إلى أبي العلاء المعري فكتب إليه الرسالة الاغريقية يثني على اختصاره وينبه على فضله ، وما قاله ، « ووفت على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بسبات ألباب ، يغني عن سائر الكتاب ، فعجبت كل العجب من تقيد الاجمال ، بطلاء الاحمال ، ... شرفاً له تصنيفاً تنفى الريب ، وكفى من ابن قريب ، ودل على جوامع اللغة بالاماء ، كما دل المضمهر على ما طال من الأساء... » (رسائل أبي العلاء : ١٨ وصبح الاعشى : ١٤ : ١٨٢) ولأبي العلاء رسالة أخرى إلى ابن المغربي تعرف بالمنبع (انظر الرسائل ص : ٣)

٢ ما بين اقواس صغيرة يكاد ان يكون نصاً ما كتبه والد الوزير المغربي في ابنه ، على ظهر مختصر اصلاح المنطق ، ونقله ابن العديم في بغية الطلب ٥ : ١٧ وما بين معقفين زيادة منه ، وما جرى إصلاحه فانما تم اعتياداً عليه ، وكذلك هو عند ابن خلكان .

٣ في الأصل : نقص

٤ ابن العديم : ومن حساب المولد والجبر والمقابلة وجميع الأدوات ..

٥ هو الحسن بن جعفر العلوي ، وقد جوز له الوزير المغربي أخذ مال الكعبة وضربه دراهم ، وتلقب بالراشد بالله ، وإلى بعض هذا يشير ابن القارح بقوله : « وبغضي له - شهد الله - حياً وميتاً أوجه أخذه محاريب الكعبة ، الذهب والفضة وضربها دنائير ودراهم وسهاها الكعبة .. » (رسالة الغفران : ٥٨ ، وانظر بغية الطلب ٥ : ٢٤)

فضر بهادنانير ، وفرّقها على من تبعه من ثوبان العرب ، ثم سار يدعو إليه ، ويسفر بينه وبين من عسى أن يأتي عليه ، حتى دخل الرملة وصعد منبرها ، فتلا من غير استفتاحٍ لتحميد ولا صلاةٍ على النبي عليه السلام قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ وأوماً بيده إلى مصر ، يعني الحاكم ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْذِينَ . ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ﴾ (القصص : ٤) ثم عاد إلى أبي الفتوح المذكور ، وهزه لذلك ، فألفى سيفه كهأما ، وسحابه جهأما ، فخرج إلى العراق ، ودخل الكوفة متقرباً لسلطانها ، ثم خافه وزير قرواش^١ فتقرب إليه بالمال ، وأشار عليه بالترحال ، فصار إلى ميأفارقين ، وأميرها يومئذ نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ، فتقلد وزارته بعد طول مقام ، وبعد مرام ، وخلع المرقعة والصوف ، ولبس المسك والشفوف ، فهتك ستر الحياء ، وخلع ربة الرياء ، فصار كما قال في نفسه ، وقد ابتاع غلاماً تركياً كان يهواه ، قبل أن يبيعه منه مولاه^٢ :

تبدل من مُرَقَّةٍ ونُسكٍ بأنواع المسك والشفوف
وعن له غزالٍ ليس يحوي هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكاً كذاك الدهر مختلف الصروف
ثم رُسل بعدُ بوزارة الموصل^٣ ، فسار إليها ، وتقلد لحنه وزارة المستولي عليها ، فملك زمامها ، وصرف أيامها ، ودوّخ معاملها وأعلامها ، وأتى على ما كان بها من رَمَق ، وجرى من العسف بأعظم أهلها من أبعد طلق ؛ ثم راسلته وزارة بغداد وأميرها يومئذ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة بن عضد

١ هو المعروف بابن أبي الوزير الكافي ، وكان وزيراً لدولة قرواش بن المقلد ، ويقول ابن العديم ان هذا الوزير قدم إلى ابن المغربي مالا كثيراً كي يرحل عن الموصل فسار عنها إلى ديار بكر (بغية الطلب : ٥ : ٢٦)

٢ الأبيات في بغية الطلب : ٥ : ٢٦ واعتاب الكتاب : ٢٠٦ والنريشي : ٥ : ٣٠٥ وتاريخ المسيحي : ٢٣٤ ب

٣ كان ذلك بعد وفاة ابن أبي الوزير الكافي .

الدولة بن ركن الدولة أبي عليّ، فتبجح ذروتها، واقتعد لَوْفِيهِ صَهَوْنَهَا، فانتظمت له الأيام، وَحَمَدَ على يديه النقض والإبرام، وبلغ الحال التي تَصَغُرُ عنها النعم، وتقصر دونها الهمم. ثم إن أبا عليّ أوقع بمن كان يتهمه من الأتراك، وكان قد نهاه الوزير، وأشار عليه بما يقتضي التدبير، فأبى إلا ركوباً لرأسه، وإدلالاً بنفسه، فاضطرب العسكر اضطراباً اضطرهما جميعاً الى الهرب، وأفضى بهما إلى استجارة أمير العرب.

حدثَ تحريرُ غلامه قال: عهدي بالوزير وهو خارج، وقد لبس ثياباً رثّة، وعلى وجهه منديلٌ قد لفّه فيه لثلاً يمتازُ [١٣٤] من جملة العامة، وقد أقبل عليّ واستقبلني في الدهليز ينشدني لنفسه في الحال^١:

تَمَرَسْتُ مَنِي الْعَلَا بامرئٍ^٢ قد علقَ المجدُ بأمراسِهِ
يستنجد النجدةَ من رأيهِ ويستقلُّ الكثرَ من باسهِ^٣
أروُحُ لا يرجعُ عن تيههِ والسيفُ مسلولٌ على رأسهِ

وقد قيل إن إخراجهُ المَلِكَ معه إنما كانت حاجةً في نفسه قضائها، وخطةً من مكروه الزّمة إياها، إبقاءً على جلالَةِ المقدار، وأنفَعاً من الانفراذِ بعبِ الفرار، ثم إن أبا عليّ ثاب سلطانهُ، وراسله شيعهُ بالحضرة وأعوانهُ، فعاد إليها، وأقام أبو القاسم بالموصل وقد كثر أتباعه، وملأ البلادَ [عيانه] وسماعه، فأقام بها يسيراً، واستشعرَ من صاحبه تقصيراً، فاستأذنه في الرجوع إلى ميفارقين، فحلّها، وتلقاه نصرُ الدولة بالاصطناع، وأقطعهُ صامتَ الأموالِ وفاشي الضياع، ثم رُوِىَ ثانياً

١ الأبيات في دمية القصر ١ : ٩٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٣٣ وإعتاب الكتاب : ٢٠٧

٢ دمية : قارعت الأيام مني امرئاً

٣ روايته في دمية القصر :

يستنزّل الرزق بأقدامه ويستدر العرّ من باسهِ

٤ دمية : لا ينحط

من بغدادَ للوزارة ، واستأذن نصرَ الدولة ، فخلى بينه وبين مراده ، ولم يجد بُدّاً من إسعاده ، ووفاءً بانجاز ميعاده ، فلما برزت قبابُهُ ، وكادت تستقلّ ركابه ، خُوفَ نصرُ الدولة عاقبةَ مكره ، وأشيرَ عليه بالرأي في أمره ، فسقاهُ شربةً كانت آخرَ زاده ، ووفاءً بانجاز ميعاده ، وتقدّم حين أحسَّ [بالموت] بحمله إلى الكوفة ليُدفنَ في حجرة أعدّها هنالك بازاء قبرِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسيرَ بتابوته مسيرةَ شهر ، بين أيدي الحتوف ، وتحت أظلال السيوف ، أكرامةً ختم بها مجده ، وأحدوثاً أبقاها في الناس خالدةً بعده .

وقد أجريتُ من نشره الرائقة فصوله ، ونظمه المتقنة فروعهُ وأصولهُ ، ما يعطرُ الزهرَ شذاه ، ويروقُ النجومَ الزهرَ مرآه .

فصل من رسائله

لما دخل البطيحةَ وبها أبو القاسم هبةُ الله بن عيسى ^١ [وزيراً] مهذبَ الدولة ، وكان من أفاضل أهلِ وقته ، فدخل إلى ابنِ المغربيّ رجلٌ يُعرفُ بسليمانَ ابنِ الربيع ، وسلمَ إليه قصيدةً قد بُنيتْ على السؤالِ عن ألفاظٍ من اللغة على جهةِ الامتحانِ لمعرفته ، فلما وقف عليها امتعضَ في الحال ، وأحفظه ما لقيَ من التعديّ والسؤال ، ونسبَ ذلك إلى فعل أبي القاسم وزيرِ مهذبِ الدولة البطيحيّ ، فكتب عقيبَ الوقوف ^٢ على ذلك لوقته جواباً أثبتُ بعضَ فصوله ، لطوله ، بعدَ هذه الأبياتِ المذكورة :

يا أفضَلَ الأدباءِ قو لا تعارضُ الشكوكُ
لا العلمُ ناءٍ من حجا ك إذا نطقَت ولا فِرُوكُ

١ ذكر ابن الأثير (٩ : ٢٥٢) أنه توفي سنة ٤٠٦ وقال فيه : « كان من الكتاب المفلين ، ومكاناته مشهورة ، وكان ممدحاً ، ومن مدحه ابن الحاجج » .

٢ ص : عقب الدولة .

عرضتُ مسائلُ أنت للفتوى بمشكلكها دروك
 ما الحي والحيت أم ما جلبح نضو بروك
 أم ما ترى في برقع رشاء مجهدا حيك
 أم ما الصرئق والزير وما الملمعة النهوك
 ولك الدراية والبصرة في مداحيها السهوك
 وابن لنا ما خطط أبدا بأمرغة معيك
 أو ما اعتنانة فوهدي فيه الملامة لا تحيك
 أم ، ما ترفل [هبرج] يرتب مرسته هلوك
 ولرب ألفاظ أتتك وفي مطاويها حلوك
 فافرق بنسرك طيها وانظر بدوقك ما تلوك
 هذا وقد لذمت فوادي خرمل هرط ضحوك
 دعكئة نظرة في خيس غانظها شكوك
 تغدو وخرفعها المذئبل في طوائفه سدوك
 وأراك ما لك مشبه في ما علمت ولا شريك
 حقاً لقد حزت العلو م حياة العلم الضريك

فأجابه ابن المغربي برقة قال فيها : وقفت على ما ذكرت أن بعض أهل
 الأدب كلفك المسألة عن شعر وجدته ، لا أحب أن أقول في صناعته شيئاً ، مشتملاً
 على ألفاظ من حوشي اللغة لا يتسأغل بمنثلها أهل التحصيل ، ولا يتوفر على تأملها
 إلا كل ذي تأمل عليل ، لخروجها عما ينفع في الأديان ، ويعترض في القرآن ،
 ولباينتها ما يجري في المذاكرة ، وتستخدم فيه المحاورة ، وزاد في عجبي منها صدرها
 عن البطيحة وفيها الأستاذ الفاضل هبة الله بحر الأدب الذي عذبت موارده

١ ص : من الأستاذ ، ولعلها « مثل الأستاذ »

ومصادره ، وريُّ العقول الظماء ، وطبُّ الجهلِ المستغمر الداء ^١ ، والبابُ الذي يفتحُ عن الدهر تجربةً وعلماً ، والمرأةُ التي تُتَصَفَّحُ بها أوجهُ الأيام / [١٣٥] إحاطةً وفهماً .

وفي فصل : فان كان الغرضُ في هذه الأبياتِ الخرابِ ، المقفرة من الصواب ، طلبَ الفائدةِ ، فقد كان يجبُ أن يُنَاحَ عليه بِمُقَفَّلِها ، وَيُقَصَّدَ إليه بِمُغْضِلِها ، فعندهُ مفتاحُ كلِّ مسألةٍ مُقَفَّلَةٍ ، ومصباحُ كلِّ داجيةٍ مُشْكَلَةٍ ؛ بل لستُ أشكُ أن هذا السائلَ لو جاوره صامتاً عن استخباره ، وعكفَ على ذلك الجَنَابِ كأنما لجأ في طيِّ إضماره ، لأعداه رقةً نسيمِ أرضه ، وهذبَ ^٢ خاطره التقاطُ لفظه ، حتى يغنيه الجوارُ عن الحوار ، والاقترابُ عن رَجْعِ الجواب ؛ وان كان قصدَ الامتحانِ للمسؤول ، وتعرضَ لهذا الموقفِ الزُّحُول ، فذلك أعجبُ : كيف لم يتأدَّب بِآدابه الصالحة ، ويَعْتَشِي إلى هدايته الواضحة .

وفي فصل : وكيف لم يعلمُ هذا العَرِيضُ المكلفُ - بما أُعْطِيَ من سعادة مكائرتِهِ ، وسبق ^٣ إليه من بركة صحبته - أن هذا التعريض كما قال المخزومي لعبد الملك بن مروان وقد ^٤ لقيه في طريق الحجاز : بُسْتُ تحيةُ الغريبِ من القاطنين ، ولُوِّمْتُ هديةُ الوافِدِ من المقيمين ، وقد كان حقُّ الغريبِ بينكم أن يكثرَ قليلُهُ ، وَيُسَدَّ ذريعه ، وَيُعَارَ من معالي الصفاتِ ما يُؤْنِسُ غُرْبَتَهُ ، ويصدقُ مَخِيلَتَهُ . وعلى أنه لو كان قد احتبى للجدال ، وركبَ للنزال ، لما كان في عزوبِ ^٥ كلماتٍ من حوشي اللغةِ عن ذكره ، ما يدلُّ على قِصَرِ باعه ، وقِلَّةِ اطلاعه ، ويا عجباً للفراغِ

١ ص . المستغمر الداء

٢ ص : وهذب

٣ ص : وسبق

٤ ص : يسد

٥ ص : عزوب

كيف يسوغ لهذا المغتر أن يجاري بخلو ذرعه تقسم أفكاره ، وكيف أنساه اجتماع شمله بعد دياره ، وكيف أذهله حضور أحبه عن مغيب أفلاذ كبدي ، وكيف طرفت نواظره سكرة الحظ عن تصور ما يجن خلدي ، وكيف لم يدر ما لي من الحاظ مقسمة ، وظنون مرجمة ، وقد تكلفت الإجابة لما تضمنته الأبيات انقياداً لمرادك ، ومقتصر الرأي على إسعادك ، أجر أقالمي جرأ وهن نواكل ، وأنبه قرائحي وهن في غمرات الهموم ذواهل :

قال السائل : « إن المسؤول دروك لتلك الفتوى ، ومستحق بها للرتبة العليا » ودروك لا يجوز هنا لأن فعولاً لا يكون من أفعال ، ولو جاز ذلك لجاز « حسون » من « أحسن » و « جمول » من « أجمل » . وما نحب استيفاء القول في هذا الزلل ، ولا نستفتح كلامنا بالمناقشة في السهو والخطأ ، ولعل القائل أوهم حملاً على قراءة حفص ﴿ في الدرك الأسفل من النار ﴾ (النساء : ١٤٥) فظن أن الدرك بوزن فعل ، وأن فعلاً مصدر فعل يفعل ، ولم يجعله من الدرك ، لأن الفتح عندهم لا يخفف ، لا يقولون في جمل « جمل » ، وذهب عنه أن يكون اسماً مبنياً مثله وإن لم يكن مخففاً منه كما قالوا : « دركة ودركة في حلقة الوتر التي تقع في فُرْضة القوس ، فخففوا وحركوا ، وعلى أنها لو كانا مصدرين لجاز أن يبنيا على الشذوذ ولا يحمل عليهما ما يُبنى من الفعل ، لأن الشذوذ ليس بأصل يقاس عليه . ولعله اغتر بقولهم : « دراك » - بالشد - وهو شاذ لأنهم قد [بنوا] أفعال من فعل ، وهو قليل ، قالوا فطرته فأفطر ، وبشرته فأبشر ، فجاز على هذا دركته فأدرك ، قال سيبويه : وهذا النحو قليل في كلامهم . ولعله ذهب إلى قولهم : « دراك » مثل « نزال » فظن أنه يقال منه « درك » كما يقال من « مناع » و « نزال » : منع ونزل . وذهب عنه [أنه] قد جاء الرباعي في هذا الباب ، قالوا : قرقار وعرعار ، في

١ ص : فرض .

٢ ص : يفعل .

معنى قرقر وعرعر. فأما الفرق بين الرباعي والثلاثي ، فسيبويه يرى إجازة « فَعَالٍ » في موضع فعل الأمر الثلاثي كله ، ويمتنع في الرباعي إلا مسموعاً ، وقال غيره من النحويين : بل هما ممنوعان إلا مسموعين ، واعتمد سيبويه في الفرق على كثرة الثلاثي ، وقلة ما جاء في الرباعي . أولعله أصغى إلى قول الآخر^١ :

إن يكشف الله قناع الشك فهو أحق منزل بِدَرْكِ
فذهب إلى أن « دَرْكًا » مصدر ، ولم يعتقد أنه كما قرأ حَفْصُ بالاسكان . أولعله علق سمعه [قول] العتبي :

إذا قلت أوفى أدركته دروكة فيا موزع الخيرات بالعذر أقصر
وما أعرف له حجة أقوى منه . أولعله أراد بقوله : دروك من الدرك مثل : لغوب ، وهي لغة تكلمت بها العرب .

ثم بدأ السائل فسأل عن « الحي » ، ولم أفي على صحة سؤاله لأنني وجدت الأبيات مكتوبة بخط عليل ، وإن كان سأل عن « الحي » - بكسر الحاء - فقد أشد أهل العلم قول العجاج^٢ :

وقد نرى إذ الحياة حي واذ زمان الناس دَغْفِلُ
فقال الحي من الحياة ، والحي / [١٣٦] جمع حي . وأما كونه على معنى الحياة فوزنه على فعل باختلاف .

١ ورد في اللسان (درك) :

بظفر من حاجتي ودرك فذا أحق منزل بترك

وفي الناج :

إن يكشف الله قناع الشك بظفر من حاجتي ودرك

فذا أحق منزل [بترك]

٢ ديوان العجاج : ٤٨٦ ، واللسان والتاج (دغفل) : والدغفل من العيش : المخصب الواسع .

قال ابن بسام : ومدَّ أبو القاسم في هذا الجواب أطنابَ الإطناب ثم قال :
« والحَيَوتُ » الحية وَزُنُهُ فَعَلَوْتُ ، والتاء فيه زائدة ، وكثيراً ما تُزَادُ خامسةً مثل
عفريت ، وإنما هو عفريّ .

و « الجَلْبَجُ » العجوزُ الكبيرةُ ، وأنشدوا : « إِنِّي لِأَقْلِي الجَلْبَجَ العجوزا »
و « بَرِّقِعُ » : السماءُ الدنيا ، قال أمية بن أبي الصلت ^١ :

وَكأنَّ بَرِّقِعَ والملائكُ حولهَا سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ قوائمُ أربعٍ ^٢
و « الصَّرْنَقُ » : الشديدُ الخالصُ ولا يكونُ فَعَنْلَلٌ إلا وصفاً لا اسماً ، قال
جران العود ^٣ :

ومنهنَّ غلٌ مُقْمِلٌ لا يفكُّهُ من القومِ إلا الشَّحْشَحَانُ الصَّرْنَقُ
و « الزَّرِيرُ » الذكيُّ والمتحدِّرُ ، وكان شيخنا أبو أسامة ^٥ يخالفُ جميعَ
اللغويين فيه ويقول : هو الزَّرِيرُ ، ومنه اشتق اسم « زُرَّارَةٌ » ، وقولُ أبي أسامة
أصح .

و « الملمعة » الفلاةُ التي يَلْمَعُ فيها الآل ، وفي مَثَلٍ : « أَكْذَبُ من
يَلْمَعُ ^٦ » وهو السراب ، ومنه الأَلْمَعِيُّ ، كأنه يلمعُ العواقبُ بدقة فطنته ، وأما

١ ديوان أمية : ٣٥٨ واللسان (سدر) ونجىء فافية البيت أحياناً « أجرد » و « أجرب » وقال ابن بري : صوابه
« أجرد » والفصيحة دالية ، والجرد : الملاسة .

٢ السدر : البحر ، ولم يسمع به إلا في شعر أمية ، توأكلته : تركته ، والقوائم هنا : الرياح .

٣ ديوان جران العود : ٨

٤ في اللسان والتاج أن الزرير هو الذكي الخفيف .

٥ هو جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (- ٣٩٩) كان مكثراً من حفظ اللغة ، أخذ عن الأزهري وغيره ،
وقتلته الحاكم العبيدي (انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٢ ومعجم الادباء ٧ : ٢٠٩ وبقية الوعاة ٢ : ٤٨٨)

٦ انظر المثل في الدرة الفاخرة : ٣٦٢ (وفيها تخريجه) .

اللوزعيّ فهو الذي يتلدّع من شدة ذكائه . ويقال ألعت الوحشيّة وغيرها اذا بان
لِضَرَعِهَا سِقَالٌ وبريقُ بالبن ، قال الأعشى ^١ :

مُلْمِعٌ لَاعَةٌ الفؤادِ إلى جحشٍ فَلَاهُ عنها فبُسَ الفالي ^٢

ويقال إن « لاعة » فعلة ومذكرها لاعٌ ، وفي الحديث : هاعُ لاعٌ ، وقيل بل لاعة
بوزن فاعلة ، كان الأصل « لاعية » من اللعو ، وهو أشدُّ الحرص ، وبين الخليل
وأهل النحوفيه خلاف يشقّ إحصاؤه .

و « النَّهوك » و « النَّهيك » و « النّهاكة » معروفة .

و « البصيرة » الترسُّ ، قال الأسعر الجعفي ^٣ وليس بالأسعر ^٢ المازني :

راحوا بصائرُهُمْ على أكتافِهِمْ وبصيرتي يعدو بها عَتْدُ وأي ^٤

والبصيرة : الدم ؛ [والبصيرة : الدية] ومعنى البيت على هذا أنهم أخذوا
الديات ولم آخذ ، فركبتُ يعدو بي فرسي لطلبِ الثأر ، ويكونُ هذا مشبهاً لقولهم :
.....^٥ ورحتُ أجرُ ثوبَي أرجوانٍ

١ بيت الأعشى في اللسان والتاج (لوع) وديوانه : ٨

٢ قال الأصمعي : الملمع التي قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها بالبن ؛ وقال أبو عبيدة : ملمع : تنوج
مقرب ، لاعة الفؤاد اراد لائحة الفؤاد أي مستخفة من الحزن ، ورجل هاع لاع وهانع لانع مشتاق إلى الشيء .
والغالي : الطارد .

٣ في ص : الأعسر ؛ والأسعر الجعفي - ضبطه الآمدي بالسین المهملة - هو مرثد بن أبي حمران ، وأورد له بيتين من
قصيدته التي منها هذا البيت التالي وهي قصيدة اصمعية (الأصمعيات : ١٥٦) وانظر اللسان (عتد . وأي)
والمعاني الكبير : ١٠١٣ والوحشيات رقم : ٥٧

٤ العتد : الفرس الحاضر المعد للركوب ؛ الوأذ : السريع المتدّد الخلق ؛ وقال ابن قتيبة في شرح البيت ، البصيرة ،
الدفعة من الدم أي دماؤهم قد خرجت فصارت على اكتافهم وبصيرتي في جوفي يعدو بها فرسي ، يريد أنهم جرحوا ،
ويقال بل أراد أن الذي طلبوه من الذحول على اكتافهم لم يدركوه بعد ، فهو نقل عليهم ، وبصيرتي أي دخل قد
أدركت به .

٥ لم أستطع قراءة هذا الشطر ، وصورته في ص : عدا دل داء هن حجة .

كلانا اختار فانظر كيف تَبَقَّى أحاديثُ الرجالِ على الزمانِ
والبصيرة في هذا الموضع : الحق .

و « المداحي » مُفاعِلُ من الدَّخُو وهو البَسْطُ ، والدَّخُو أيضاً النكاح .
و « السَّهْوَك » من السَّهْك وهو السَّحْقُ ، ويقال : ريح سَيْهوكُ وسَيْهوجُ ، اذا
كانت شديدةَ المرورِ والهبوب .

و « الخمطط »^١ هو الْكُحْكُحُ ، وهو الشيخُ الكبير .

و « المَرْغُ » الرِيقُ ، يقال أحرق ما يجافي مَرْغَهُ ، أي ما يمسك ريقه ، والمرغ :
التراب ، في غير هذا .

و « مَعِيكَ » فعيلٌ بمعنى مفعول من المَعَكِ ، وهو كالكنى .

وسأل عن الفَوَهْدِ ، والفَوَهْدُ والتَّوَهْدُ : الغلامُ الممتلئُ شباباً ، وأنشدوا^٢ :

تَحِبُّ مِنَّا مُطْرَهَفًا فَوَهْدًا عِجْزَةً شَيْخِينَ غَلَامًا أَمْرًا
يَنشُدُ بِالثَّاءِ وَالْفَاءِ .

و « القِلْفِيُّعُ »^٣ الطينُ الذي يتقلَّعُ عن الكمأة ، وفيها خلاف .

و « الهَبْرَجُ » من صفة بقر الوحش .

و « يرتبُ » يفتعل ، من رَبَّ الأَمْرَ ، أصلحه .

و « المِرْسَن » موضع الرسن .

١ لم أجد هذه اللفظة وأقرب الصور لها « لطلط » وهي بمعنى الكحكح .

٢ اللسان (طرهف . فهد) والمطرهف : الحس الناعم . والفوهد والتوهد والقلهد : الغلام السمين الذي قد راهى الحلد .

٣ لم ترد في الأبيات ، ففعل فيها سخطا .

و « اهلوك » الفاجرة لأنها تنهالك في مشيتها أي تتأيل وتهادي .
و « لَذِمَ » بالمكان والذم ، مثل لزم وألزم .
و « الخِرْمِلُ » المرأة الفاجرة ، وقيل الحمقاء ، قال مزرد^١ :

* إلى خِرْمِلٍ شَرُّ النساءِ الخرامِلُ *

و « الهِرْطُ » النعجة المسنة و [اللحم المهزول] في غير هذا ، والهرْدُ : الشقُّ
و « دَعَكْتَهُ » أصله السَّمَنُ والفتوة ، وهو ما لا يُسأل عنه ، لأن كلَّ ما زيدت
فيه النون في هذا الموضع يدلُّ لفظه على اشتقاقه كما تدل سمعته ونظرته على السمع
والنظر ، ودعكته من الجلادة ، كأنه من الدعاك^٢

و « الخِيسُ » الغابة ، وفي غير هذا الموضع اللحية .

و « الغانِظُ » فاعلٌ من الغنظ وهو الكربُ ؛ قال عمر بن عبد العزيز : في
الموت غنظ ليس كالغنظ وكظ ليس كالكظ ، وهما الكربُ .
و « الخِرْفَعُ »^٣ القليل من كل شيء .
و « المذيل » المكمل .

و « الطوائفُ » الأيدي والأرجل .
و « السَّدوك » لا أُوْمِنُ به لأنه يقال / [١٣٧] سدك سَدَكاً وسَدُكاً ، فان جاء
فيه سدوكاً فهو شاذ قليل ، وهو اللزوم .

قال ابن المغربي : هذا ما حَضَرنا من القولِ ، ولولا أَننا لا نودُّ أن نُنْهَى عن

١ روايته في ديوان مزرد : ٤٨

إلى صبيّةٍ مثل المغالي وخرمِلٍ رواء ومن شر النساء الخرامِل

٢ ص : الدعاء .

٣ الخرفع : القطن وقيل ثمر العشر .

خُلِقَ ونَأْتِي مثله ^١ لسألنا مستفيدين ، نثرأ لما فيه من شفاء البيان ، لا نظماً لما فيه من التعاطي والطغيان ، فسألناه عن اللغة ان كان عُنيَ بها : عن العُلاَفيقِ بالعين ، فهو بالغين معروف ^٢ ، وعن المِصمَّة بكسر الميم ، فهو بفتحها مشهور ، وعن هندي لا تضافُ الى الأحامس ^٣ فان ذلك معروف ، وسُكُرى بضم السين فهو بفتحها معروف . وعن الدّون بالواو فهو بالياء معروف ، وعن الفَرَنِ بالفاء فهو بالعين مذكور ، وكم في الكلام أفعلة أسماء فهو في الصفات معروف ، وما النديم في الناسِ فانه في الجهاد معروف ، وما الشاهدُ على جوازِ أفلج بالجيم فانه بالحاء معروف .

هذا ان كانت اللغة عنده مهمةً ، فان قال إنّ النحو هو المهمُّ عنده قلنا : فما جمعُ على أَفْعَلَةٍ أغفلهُ سيبويه فلم يُلحِقْهُ بكتابه أحدٌ من النحويين ، وهل ذلك الجمعُ ان كنت عارفاً به مطرُداً أو محمولٌ على مكانه في اللفظ ؟ وعلى أيّ شيء خفض ﴿ وقيله يا رب ﴾ في قراءة حفص ، لا على ما أورده أبو علي الفارسي ، فانه لم يسلكُ مذهبه في التدقيق عليه ؟ ولم منع سيبويه من العطفِ على [عا] ملين ، وهو في سورة الجاثية بنصب ﴿ آيات ﴾ ، ورفعهُ لا يتَّجِهْ إلا عطفاً على عاملين ، فان كان أخطأ الأخفشُ فمن أين زلٌّ ؟ وان كان أصاب فكيف تجوزُ له مخالفةُ الكتاب ؟ وهل قولُ سيبويه في النسبة إلى أُمَيَّةَ أمويّ - بفتح الهمزة - صوابٌ أو سهوٌ استمرَّ عليه وعلى جميع النحويين بعده ؟ ولم قيل معدي كرب ، ولم تحمل الياء في لغةٍ من أضاف ولا من جعلها اسماً واحداً إلا على ما أورده النحويون ، فلهم فيه أقاويل غير متجهة . وهل مذهبهم في أنّ سُدَى وهُدَى مصدران صحيحٌ أم لا ؟ وهل

١ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

٢ ذكر ابن دريد في الجمهرة (٣ : ٣٩٦) الغلاق وقال انه اسم موضع ، ولم يذكر الغلاق .

٣ يقال لقي هند الأحامس اذا مات أو وقع في الداهية ، وإضافتها إلى غير الأحامس مثل هند الهنود ، وهند بني سعد وما إلى ذلك ، ولكنني أعتقد ان ابن المغربي يشير الى ما هو أدق من ذلك .

بيض في قولهم : حمزة بن بيض اسم أم جمع ، وما معناه في اللغة ووزنه في النحو مسموعاً لا مقيساً على ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة ؟ ولم اختاروا « أن » مع عسى وكرهوه مع كاد ؟

فان قال : لست أشتاغلُ بعلوم المؤدبين ، وإنما آخذُ بمذهب المحافظ ، إذ يقول : علمُ النسب والخبر علمُ الملوك ، قلنا له : فمن أبو خُلدة^١ فان أبا جِلدة^٢ معروف ، ومن العاصُ وما اشتقاقه^٣ فان العاصَ معروف ، ومن حبشية^٤ - مفتوح الأول مخفف - فانه بالتشديد وضم أوله معروف^٥ ؟ ومن عمرو بن معدي كرب غير صاحب : « أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَاعِي السَّمِيعُ »^٥ فان هذا معروف ؟ وما اسم امرئ القيس على الصِّحة لا على هذا الظاهر وعلى أن في اشتقاقه كلاماً طويلاً فان هذا معروف ؟ ومن الزُّبَيْرُ غير الأسدي واليهودي فكلاهما معروفان ؟ ومن الزُّبَيْرِ بفتح الزاي فانه بضمها معروف^٦ ؟ ومن القائل :

وقابلة لجلجتها فَرَدَدْتُهَا لَدَى الْفَرَسِ لَوْنَهْنَهْتَهَا قَطَرْتُ دَمَا
أَرْجُلُ أَوْ امْرَأَةً ؟ وهل صفية الباهلية قلب ام مولاة ؟ وهل المستشهد بشعره في « غريب المصنف » أبو كعب بالباء أو التاء ، وفي أي زمان كان ، وأيهما كان اسمه

١ الحاء غير معجمة في ص : وخلدة هي بنت طلق الياهي ، حدثت عن أبيها ، وخلدة بنت العرياض بن كلاب ، روت عن عمها (الاكبال ٣ : ١٨٢)

٢ أبو جلدة بكسر الجيم مسهر بن النعمان ، وشاعر يشكري وآخر عجلي (الاكبال ٣ : ١٨٢)

٣ العاص بن نعلبة بن سليم الدوسي ، وقال الوزير المغربي هو بلا تشديد (تبصير المنتبه : ٨٩٠) وهو من عضا بعضو الجرح أي كان بصيراً بالجراح .

٤ هنالك حبشية بن كعب بن ثور من مزينة (تبصير : ٤٨٦) وحبشية بن سلول ، وهذا الثاني يقرأ أيضاً بفتح الحاء وتخفيف الباء (تبصير : ٤٠١)

٥ صدر بيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي ، وعجزه : « يورقني واصحابي هجوع » (ديوانه : ١٣٦) ؛ وهناك رجل آخر بهذا الاسم وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي الاكبر جاهلي قديم (المؤلف : ٢٣٣)

٦ الأسدي هو الزبير بن العوام ، واليهودي هو الزبير بن باطا من بني قريظة أسلم ابنه عبد الرحمن (الاكبال ٤ : ١٦٦) وهناك الزبير بن عبد الله الكلبي وقد عاش آخر خلافة عمر (الاستيعاب : ٥١٠) ؛ وأما الزبير - بفتح الزاي - فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر (الاكبال ٤ : ١٦٥ - ١٦٦) .

ومن أي شيء اشتقاقه ؟ ومن النطف الذي يُضْرَبُ به المثل فيقال : كنز النطف^١ ؟
ومن العكمص ، لا أسأل عن تفسيره فانه في اللغة معروف^٢ ؟ وكذلك ذو طلال^٣ ،
وما خَوْعَى فأنَّ جَوْعَى معروف ، وهل أخطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب^٤ ؟
وما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بني هاشم فانه معروف^٥ ؛ وهل
يخالف فيه أم لا ؟ وحبيب والد ابن حبيب العالم رجل أو امرأة ، وهل هو لغية أم
لرشرة^٦ ؟ ومن أجد بالجم فهو بالحاء كثير^٧ ؟ ومن زَبَد بالباء فهو بالنون
معروف^٨ ؟ ومن روى عنه عليه السلام : « لا يمنع الجار جاره أن يجعل خشبه في
حائطه »^٩ وقال « خشبة واحدة » وقالوا كلهم : حَشَبَهُ مضافاً ؟ ومن يكثر ذكر
الحضرمي في شعره من العرب^{١٠} ؟ والنبيذ المشروب : هل كان معروف الاسم أم لا

١ هو النطف بن خبيري أحد بني سليط بن الحارث (انظر قصة احتيازه الكنز في ثمار القلوب : ١٣٩ وشرح العيون :

٥٥ - ٥٤)

٢ العكمص : الحاد من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ وبه كني أبو العكمص التميمي (الناج : عكمص)

٣ ص : ذو أطلال ؛ ولم يبين ما يريده هنا ، وذو طلال : ماء قريب من الريدة وقبل هو واد لفظان (معجم البكري :

٨٩٢)

٤ جوعي المعروف هو مؤنث جائع وقال ابن دريد في الجمهرة (٢ : ١٠٥) إن جوعي موضع وأثبتها البكري عنه ، وذكر
أنها خوعي بالحاء المعجمة في شعر امرئ القيس (معجم البكري : ٤٠٤)

٥ محمد مولى بني هاشم هو محمد بن حبيب نفسه وهو يذكر أن في الازد عدنان بن عبد الله بن الازد وقال غيره انه
عدنان (الاكمال ٦ : ١٥٣ - ١٥٥)

٦ حبيب اسم أمه ويقال إن اباه غير معروف .

٧ أجد بن عجيان شهد فتح مصر (تبصير ١ : ٣)

٨ زيد بن سنان بفتح الزاي ، وزند بن الجون ابو دلامة وزند في نسب عدنان (الاكمال ٤ : ١٦٨ - ١٦٩)

٩ ورد الحديث في البخاري (مظالم : ٢٠ وأشرية : ٢٤) وسلم (مساقاة : ١٣٦) وسنن أبي داود (أفضية :

٣١) وابن ماجه (أحكام : ١٥) والموطأ (أفضية : ٣٢) ومسند أحمد ١ : ٣١٣ ، ٣ : ٤٨٠ : قلت : خشبة

(بالافراد) هي رواية أبي ذر ورواه غيره (خشبه « بالهاء - بصيغة الجمع ؛ وقال عبد الغني بن سعيد : كل الناس

يقولونه بالجمع إلا الطحاوي (وانظر مزيداً من التفصيلات في ارشاد الساري ٤ : ٢٦٦)

١٠ الحضرمي : النعل المصنوعة بحضرموت ، وأراها ترد كثيراً في شعر كثير « الى مرهفات الحضرمي المعقرب » (ديوانه :

٢٦٥) ، و « بأقدامهم في الحضرمي الملسن » (ديوانه : ٢٥٢) الخ ...

عند العرب^١ ؟ ومن روى عن ظرِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنها قالت في شارفها : « وكانت لا تغذي أحداً » وما معناه^٢ ؟ ومن تفرَّد من أهل العلم بنصر ذي الرمة وتغليط الأصمعي في قوله : إيه عن/[١٣٨] أمَّ سالم، لا على ما قاله النحويون من التعريف والتذكير ، فان ذلك معروف^٣ ؟ ومن قال عن المتنبئة إنها سَجَّاحٌ مثل قَطَامٍ ومن قال سَجَّاحٌ مثل غمام غيرُ مبني^٤ ؟ ولم سميَّ خليل الشاعر : خليل عيين^٥ ؟ ومن عُمِّي التي تنسب إليها الصَّكَّة فيقال « صكَّه صكَّةً عُمِّي » ، وهل ذكر في شعر ومن ذكره^٦ ؟ ومن هو الذي تنسب إليه العرب الصلال ومن ذكره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن كرب المنسوب إليه معدي كرب^٧ ؟

١ التسمية معروفة ولكن الدلالة مختلفة . إذ كانت اللفظة تدل على كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد . ولكنه كان شيئاً غير الخمر ولهذا نجد القلمس يقول في الخمر :

أروى بها نفسي فحبا بشر بها ولا أشتهي شرب التبيذ من الممر

٢ ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية وكانت قدمت المدينة تطلب ولداً نرضعه ومعها شارف-وهي ناقة مسنة : فلما فدرها أن تكون مرضعة للرسول درَّ تديها ودرت الشارف « وقام صاحبي إلى ساري تلك فاذا بها حافل فحلب ما سرب وشربت حتى رويتنا » وذلك بعد أن قالت : « ما يجد في تدي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه » (أسد الغابة ٥ : ٤٢٧)

٣ قال ذو الرمة « وقفنا فلنا إيه عن أم سالم » - بكسر الهاء - قال الأصمعي : أخطأ ذو الرمة إنما كلام العرب إيه (بالتونين) وقال يعقوب بن السكيت أراد إيه (بالتونين) فأجراه في الوصل مجراه في الوقف وكذلك قال ثعلب ، كما قال الزجاج انه ترك التونين للضرورة ولكن أبا علي الفارسي انتصر لذي الرمة وقال : اما هذا فالأصمعي مخطيء فـ .. ديوان ذي الرمة : ٧٧٩ واللسان والتاج (إيه)

٤ يقول الازهري وابن دريد والموهري وغيرهم من اللغويين انها « سَجَّاحٌ » مثل قَطَامٍ : ولم أغتر على من أجاز أن تكون مثل « غمام » .

٥ قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضاً بالبحرين تعرف بعينين (الشعر والشعراء : ٣٧٣)

٦ الصكة : شدة الهاجرة ، يقال : لبيته صكة عمي وصكة أعمى وهو أشد الهاجرة حرّاً ، وقال بعضهم : عمي اسم رجل من العماليق أغار على قوم في وقت الظهيرة فاجتاحهم ، ويقال هو تصغير أعمى مرخاً . وأنشد ابن الأعرابي :

صكَّ بها عين الظهيرة غائراً عَمِي ولم يعلن إلا ظلالها

٧ معد يكرب اسم يعني يرد في النقوش ، وهو سبأي محض ، ولا تنطبق عليه التفسيرات التي يوردها لغويو عرب الشمال .

وهل أصاب المبرد في نسبة الأبيات الجيمية :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني أخذت بُرْدِي واستمرتُ أدراجي
أم أخطأ ؟

فان قال إنه صاحبُ سِيرٍ وآثارٍ وأحكام ، قلنا : أرشدك الله ، وما معنى قوله عليه السلام : « من سعادة المرء خفة عارضيه » وهو عليه السلام لم يكن خفيفَ العارضين ، لا على ما فسرهُ المبردُ فانه لم يأتِ فيه بشيء^٢ ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « تسحروا فإنَّ في السحور بركة »^٣ ونحن نرى [أنه] ربما أهاض وأتخم ، وأضرَّ وأبشم ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « اتقوا النار ولو بشقِّ تمر »^٤ ولو سرق سارق [كيلجة] تمر فتصدق بنصفها كان مستحقاً للنار عند أكثر المسلمين ؟ وما معنى قوله عليه السلام : « لا يزال الأنصار يقلّون ويكثر الناس »^٥ ؛ ولو شئنا لعددنا أشخاصهم أكثر مما كان في البادية والحاضرة ؟ ومعنى قوله « ان امرأ القيس حاملٌ لواءِ الشعراءِ الى النار »^٦ وهل يشب الخبير أم لا ؟ ولم قال : « ان من الشعر

١. نسب المبرد هذه الأبيات للراعي (الكامل ١ : ٢٨١) وفي ظنه انها للراعي النيمري ، وبين الآمدي الأمر في المؤلف : ١٧٧ إذ قال انها للراعي الكلبي واسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأخوص .

٢. اورد المبرد هذا الحديث في الكامل (٢ : ١٢٩) وقال : ليس هذا يناقض لما جاء في إعفاء اللحى وإحفاء الشاربين .

٣. ورد الحديث في النسائي (صيام : ١٨) وابن ماجه (صيام : ٢٢) والدارمي (صيام : ٩) ومواضع متعددة من مسند أحمد ، منها ٢ : ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، ٣ : ٣٢ ، ٩٩ (انظر معجم الفاظ الحديث)

٤. ورد في البخاري (أدب : ٣٤ ، زكاة : ١٠ ، رقاق : ٥١ ، توحيد : ٣٦) ومسلم (زكاة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠) والترمذي (قيامة : ١ ، زهد : ٣٧) والنسائي (زكاة : ٦٣ ، ٦٤) وابن ماجه (مقدمة : ١٣ ، زكاة : ٢٨) والدارمي (زكاة : ٢٤) ومسند أحمد ١ : ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦ : ١٣٨ ، ٧٩ .

٥. الحديث في البخاري (الجمعة : ٢٩) ومناقب : ٢٥ ومناقب الانصار : ١١)

٦. ترده الكتب الأدبية ، انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٦٧ وليس في الأحاديث المتعلقة بامرئ القيس ما هو قويّ مقبول منها .

لحكمة»^١، ثم قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم »^٢ وهل تخرج الحكمة من جوامع الكلم ؟

فان قال : إنما أفنيت عمري في القرآن وعلومه ، وفي التأويل وفنونه قلنا : اذن يكون التوفيقُ دليلك ، والرشادُ سبيلك : صفُ لنا كيف وقعَ التحديُّ بهذا المعجز لِيتم بوقوعه الإعجاز ، وأخبرنا عن صفةِ التحديِّ : هل كانت العربُ تعرفه أم لا ، أم كان شيئاً لم تجرِ عاداتُها به فكان إقصارها عنه ، بل لأنه التماس ما لم تجرِ المعاملة بينهم بمثله ، ثم يُسألُ عن التحديِّ هل لقي بمعارضة بان تقصيرها عنه أولم تكن بمعارضة ، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم ولم يعارضوه . ثم يسأل عن قوله تعالى ﴿ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) وفيه من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ما لا يكون أشدَّ اختلافاً منه^٣ ؛ ويسأل عن قوله تعالى ﴿ وغرايب سود ﴾ (فاطر : ٢٧) وما معنى الزيادة في الكلام ، والغرايبُ السودُ هي الغرايب ، فان قال تأكيداً فقد زلَّ ، لأن رجحانَ بلاغةِ القرآن إنما هو إبلاغ المعنى الجليّ المستوعبِ إلى النفس باللفظ الوجيز ، وإنما يكون الاسهابُ البليغُ في كلامِ البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبةَ العاليةَ من البلاغة ؛ على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب ، لأنَّ العربَ تقول : أسودُّ غريب ، وأسودُّ حالكٌ وحلكوكٌ، فتقدم السواد الأشهر ثم

١ ورد في البخاري (ادب : ٩٠) والترمذي (ادب : ٦٩) وابن ماجه (ادب : ٤١) والدارمي (استئذان : ٦٨) ومواضع كثيرة من مسند أحمد منها ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ... الخ .

٢ حديث أعطيت جوامع الكلم في مسلم (مساجد : ٥ - ٨ وإثرية : ٧٢) والبخاري (تعبير : ١١) والترمذي (سير : ٥) ومسند أحمد ٢ : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ... الخ وحديث « بعثت بجوامع الكلم » في البخاري (جهاد : ١٢٢ وتعبير : ٢٢ واعتصام : ١) والنسائي (جهاد : ١ وتطبيق : ١٠٠)

٣ يرى الزمخشري ان عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض والتفاوت في مستوى النظم والبلاغة والمعاني ، وصدق الخبر .. (الكشف ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧) .

تؤكدده ، وهذه الآيةُ تخالفُ ذلك ، فإذا بطل التأكيد في المعنى^١ ؛ وما معنى ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٢٦) وهل يكون سقفاً من تحتهم فيقع لبسٌ يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق وتحت^٢ ؟ ونحوُ منه قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٥٠) وهل لهم ربٌّ من تحتهم ؟ وما معنى فوق ها هنا ، وهل تدلُّ على اختصاص مكان^٣ ؟ وما معنى قوله ﴿كَلِمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل : ٧٧) وما هذا الأقرب^٢ ؟ وما معنى قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة : ٧٤) وهل شيء أشدُّ قسوةً من الحجارة^٣ ؟ وما معنى قوله ﴿إِلَهِينِ اثْنَيْنِ﴾ (النحل : ٥١) وهل بعد قوله (إلهين) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثبات المعنى^٢ ؟ وما معنى قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة : ٢٨٢) هَلَّا كان أوجز وأشبه بالمذهب الأشرف في العربية ؟ وما معنى قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل : ٤٧) ومن أين تُناسبُ الرَّأْفَةُ والرحمةُ هذا الأخذَ الشديد على التخوف الذي يقتضي العفو والغفران^٢ ؟

١ قال الزمخشري : فان قلت : الغريب تأكيد للأسود ، يقال اسود غريب وأسود حلكوك .. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقي وما أشبه ذلك قلت : وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده نفسياً لما أضمر كقول النابغة « والمؤمن العائذات الطير » وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاضمار والاطهار جميعاً (الكشف ٣ : ٣٠٧)

٢ الوجه في « فوق » هنا في قوله « وهو الفاهر فوق عباده » أي أنهم يخافون ربهم غالباً قاهراً لهم (انظر الكشف ٢ : ٤١٣) ؛ وقوله « كلمح البصر أو هو أقرب » أي كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئاً (نفسه : ٤٢٦) ؛ وقوله « إلهين اثنين » الوجه فيه : ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريد التأكيد على ان المقصود هو العدد شفع بما يؤكد فليل إلهين اثنين او رجل واحد .. الخ (نفسه : ٤١٣) وبأخذهم على تخوف أي وهم متوقعون وقيل هو أن يأخذهم على أن ينتصفهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم وبذلك تكون الرأفة والرحمة حيث يحلم عنهم ولا يعاجلهم مع استحقاقهم (نفسه : ٤١٦) .

٣ ان قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه إفعال التفضيل وفعل التعجب قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ، ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة (الكشف ١ : ٢٩٠) ولم يورد الزمخشري توجيهها لتكرير كلمة « إحداها » في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، وذهب أبو حيان الى أنه أبهم الفاعل في أن تضل بقوله « إحداها » ولهذا أبهم الفاعل في=

وعلى أن هذا السائل لو علم لسأل عن الصناعة التي أنا بها مُرتَسِمٌ ، وبشرطها مُلتَزِمٌ ، لا في الترسُّلِ / [١٣٩] فاني ما صَحِبْتُ به ملكاً ؛ ولكن في صناعة الخراج ، فكان يجبُ أن يقولَ : ما البابُ المسمَّى المجموع من الجماعة^١ وأين موضعه منها ، وأي شيء قد يكون فيه ولا يحسن ذكره في غيره ؟ وأن يقول : ما الفائدة في إيراد المستخرج في الجماعة ومن كم وجه يتطرق الامتثال عليها بالغاية منها ؟ وأن يقول : ما الحكم في متعجلِ الضمان قبل دخول يدِ الضامن ، وأي شيء يجبُ أن يوضع منه إذا أراد الكاتبُ الاحتسابَ به للضامن من النفقات ، وخاصة من جاري العامل ، وفيه أقوالٌ تحتاجُ إلى بحثٍ ونظر ؟ وأن يقول : إنَّ عاملاً ضمنَ أن يرفعَ عمله بارتفاع مالٍ إلا أنه لم يضمنَ استخراجَ جميعه ، وضمنَ استخراجَ ما يريدُ على ما استخرج منه خمسَ سنين إلى سنته بالقسط ، كيف يصحُّ اعتبارُ ذلك ، ففيه كمينٌ يُحتاجُ الى تفصيله وتأمله ؟ وأن يقول : لِمَ يُقدَّمُ المبيعُ على المستخرج ، والمبيعُ إنما هو من المستخرج ، وكيف يصحُّ ذلك ؟ وأن يقول : أي غلطٍ يلزمُ الكتابُ وأي غلطٍ لا يلزمه ؟ وأن يقول : متى يجبُ الاستظهارُ للسلطانِ في صناعة الخراج ومتى لا يجوزُ الاستظهارُ له ؟ وأن يقول : متى يكون النقصُ في مال السلطانِ أسدً في صناعة الكتابة من الزيادة ، ولست أعني نقصَ الارتفاع مع العدل ، وعادلَ زيادةٍ مع الجور ، فذلك ما لا يُسألُ عنه ، وأن يقول : ما بابُ من الارتفاع إذا كثر دُلٌّ على قلةِ الارتفاع ، وإذا قلَّ دُلٌّ على جِهام الارتفاع ووفوره ؟ وأن يقول : متى تكونُ مشاهدة الغلطِ أحسنَ في صناعة الكتابة من عديمه ؟ وأن يقول : كم نسبةُ جاري العمل من مبلغ الارتفاع وأول من قرَّره ورثبه ؟ وأن يقول : ما رتبتان من رُتب الكتابة إذا اجتمعتا لكاتبٍ بطلت أكثرُ حججه في احتساباته ؟ وأن يقول : هل يطردُّ في أحكام

= « فنذكر » فكرر إحداها ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال والاذكار فلم يرد بإحداها معبنة (البحر المحيط^٢

(٣٤٩ : ٢)

١ الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق ما بين الرافع والمرفوع اليه ، فان انفرد به احدها سمي بحاسبة (مفاتيح العلوم : ٣٨) .

الكتابة حملها على مناصبة أحكام الفقه أم لا ، وهل يذهب [الى ذلك] أحد من متقدمي الكتاب ، وما الحجّة فيه ، وبالله التوفيق .

قال ابن بسام : وهذا المجموع إنما هو لسان منظوم ومنثور ، لا ميدان ببيان وتفسير ، أورد الأخبار والأشعار لا أفك معاًها ، في شيء من لفظها ولا معناها ، ولو ذهبت فيه إلى إيضاح مبهم ، وإعراب مستعجم ، لكانت هذه الفصول أولى ما فتحت مُقفله ، وأكد ما أوضحت مُشكلة ، على أنني قد ألمت فيه ببعض تنبيه ، بين ذكر أجريه ، ووجه عذري أريه .

فصول من سائر ترسيله

فصل له من رقعة : وقفت على كتابك ولم أزل أثلّمه ، كأنني قد ظفرت باليد التي بعثته ، وأضمه كأنني أضمت الجوانح التي نفثته ، وكأنني كلما أدبته إلى الكبد المعذبة ببعدي ، وأمررتني على العين المطروفة بفقدك ، سحبت على النار ذيل السحاب ، وسقيت عطش الحب كأس الرضاب ، وأعرت أخا سبعين ظلّ الشناب ، فأرخت يوم قدومه لأجعله موسماً للسرور ، وعيداً باقياً على الدهور ، أرتقب السعد عنده كل عام ، وانتظر الفرّج منه من كل غرام ؛ واتّفق ورودُ في أشرف فصول الدهر حسباً ، وأكرم مفاخر الأيام نسباً ، حين ابتداء الربيع يزخرف بروده ، والروض ينظم عقوده ، وكنت أعرف هذا الفصل باعتدال منهاجه ، وصحة مزاجه ، وأنه لو كان الزمن شخصاً لكان له مُقبلاً ، ولو أن الأيام غوانٍ لكان لها حلياً وحللاً ، لأنّ الشمس تخلص فيه من ظلمات حوت السماء ، خلاص يونس من ظلمات حوت الماء ، فاذا وردت الحمل وأعت أحب أوطانها إليها ، وأعز مساكنها عليها .

وفي فصل منها : فيا حسن تلك الصحيفة ومدادها ينتهب بالأفواه ، ويزيد بالتقبيل لعساً في الشفاه ، ويا عجباً كيف حفظ مع بُعد العهد نشر عرقك ، وكيف

علقَ مع تراخي الأيام طيبَ كفك ، وكيف جاءَ كَأَنَّكَ كَتَبْتَهُ من أُمِّ ، وأُنْقَذْتَهُ وبيننا خطوةُ قَدَمٍ ، وكيف لم يغيره ما قطعَ من مهاولِ قفار ، وليلِ ونهار ، وعدوِّ كاشح ، ورقيبِ لامح ، فأنعمَ به من ريحانةِ أَلْفَاظٍ دامتْ لدوتتها ، وباكورةِ وصالِ سلمتْ غَضُوضَتِها ^١ ، ومسحةِ يدٍ بَقِيَ أثرُها أَرَجَا ، وروضةِ كلمٍ دام على الصيف بهجتها ^٢ .

وفي فصل منها : فامَّا سُؤْلَكَ عَنِّي فَمَا يُشْبِهُ سِيرَتَكَ الحَسَنَى ، ولا يليقُ بطريقتكِ المثلى ، كيف تسألني والإجابةُ معك ؟ وكيف تستخبرُني ومحلُّ الخبرِ والاستخبارِ عندك ؟ / [١٤٠] ومتى سمعتَ بجوابِ جَسَدٍ رهينة ؟ وأين رأيتَ طِمَاحَ عينٍ لوحظها مقيدةٌ كليله ؟ ألم أفارقَكَ وقلبي عندك أعشار ، وأضلعي منه قفار ؟ وفي فصل : وردتُ الموصلَ التي خالف اسمُها معناها ، وكانت مَقْطَعاً بيننا لولا خُدْعُ الأُماني ، وَفَصْلاً لولا المرجوُّ من عفو اللبالي ، فوجدتُ هواءَها يعطُلُ سوقَ بقرَاطٍ اعتدالاً وطيبة ، وماءَها يُسلي عن مجَاجِ النَّحْلِ استمراءً وعذوبة ، وصقعها قد تَبَغَّدَ رقةً ولطفاً ، وجوهاً قد تزندقِ تنعماً وظرفاً ، تكادُ تُثْقِلُهُ عقودُ الغانيات ، وَيُخْجِلُهُ تتابعُ اللحظات ، كلُّ شَمَالِهِ نسيم ، وكلُّ جَنُوبِهِ حياءُ عميم ، ورأيتُ أرضَها أطيَّبَ الأرضِ خيلاً ، وأزَيَّنَها أديماً ^٣ ، تُنْسَجُ بالسُّنْدُسِ الأخضر ، وتفتُرُ عن الأقحوان الأحمر ، والفيتُ بنيناً هو الذي حمده اللهُ في تنزيله ^٤ ، وأحبهُ لنا أن نكونَ مثلهُ جهاداً في سبيله ، مَرْصُوصاً بِوَقَاحِ الجلمد ، ملاءماً بينه بالشَّيدِ الممرَّد ، قد حُصِّنَ ظاهره على باطنه عن تداخل الإبر ، ومساكنِ الذرِّ ، يزلُّ عنه ظَفَرُ الطائرِ ، وتتدحرجُ عليه أحداقُ ^٥ الناظر ، وتَغْنَى به العروسُ عن الماويِّ المنيرِ ^٦ ، وتستبينُ

١ ص : غضاضتها ، وهو عند بعض اللغويين جائز ، وأنكره علي بن حمزة ، والالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع

٢ كذا وردت العبارة في ص ، ولعلها « دام على الصيف زهرها بهجاً » أو ما أشبه .

٣ ص : ديماً .

٤ يعني أنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً (انظر الآية ٤ من سورة الصف) .

٥ ص : اكدها . ٦ الماوي : حجر البلور أو المرأة .

به الجفونُ منابتَ الشكيرِ من أهدابها والغميرِ ، متلافةً أقطارها على رجالِ كأنهم
أنسلاء عادٍ وثاقة أجسام ، وصلابة أحلام ، وبُعد مَرام ، لطفوا عن بدوية الشام
وغلظته ، وجمدوا عن ذوبِ العراقِ وخلايته ، قد عُقدتُ ألسنتُهُم بالصدقِ فما ينتثرُ
الباطلُ من عذباتها ، وصحتُ غرائسُهُم في المودةِ فما يُحتنى الغدرُ من ثمراتها ، إن سلماً
فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليسَ الأخلاق ، ولا تمويهَ النفاق ،
وشعراؤهم^١ ملء اليمين ، وكتائبهم أثرُ بعد عينٍ ، أدبهم [حسن]^٢ على قلة
الميلوكيِّ فيه ، وعلمهم مُتقنٌ لمن تأملَ أدقَّ مسربٍ^٣ في فتنِ معانيه ، قد محص
تهذيبُ المحنِ شرارَهُم وأوهنَ خيارَهُم ، بلدُهُم أطلالُ ، وأحوالُهُم آل ، قويمُهُم يننّ
ضعفاً ، وضعيفُهُم يماطلُ حتفاً ، بقيتْ عليهم أسماؤُ النعمِ وذهب الدهرُ باجسامها ،
وانجلت عنهم ظللُ المحنِ وهم يتأوهون من غيرِ آلامها ، إلا أن فيهم بقيةً نقيّة ،
وفيهام موضعُ تداركٍ إن رزقوا سيرةً مرضيّة ، فلولا ما أرجوه من مداواة أسقامهم ،
وإعادة صالحِ أيامهم ، لفضاني الانتاء بمعايشتهم قبل معاناتهم ، وبملاحظتهم قبل
مقاساتهم ، لكنّي أعلمُ أن من يحيي العظامَ وهي رميم ، ويبعثُ^٤ الروضَ وهو
هشيم ، وينشئ [...] بعد ما كانت قفارا ، ويجعلُ من الشجرِ الأخضرِ
نارا ، قادرٌ على أن يجعلَ ثوابَ نيتي فيهم معونتي على ما أنويه لهم ، وجزاءَ تأملي بهم
بلوغ الغرضِ في تداركِ رَمَقِهِم .

وفي فصل : لو أطقْتُ تفصيلَ المجل ، وإيضاحَ المُشكِـلِ ، لجرتُ لك به
يدي طلقَ الجموح ، ولأغنتكَ أسماؤه عن الوترِ الصدوح ، إلا أن القلبَ عليل ،
والخاطرَ كليل ، والزمانَ ببلوغِ الأملِ بخيل .

١ ص : وسفراؤهم .

٢ ليس في موضعها بياض في ص

٣ ص : متقن من مسرباً .

٤ و ص : ويبلى (دون اعتجاء)

وفي فصل من أخرى إلى ذي السعادتين ^١ : للرياسة كُلف لا يستقلُّ بها إلا المهذبُ الكاملُ ، ولا يخطو تحت أثقالها إلا الأوحُدُ الفاضلُ ، ولا يبلغُ ذوائبَ أعاليها ، إلا مَنْ شَرِبَ الأجاجَ من ماءٍ واديها ، ولا يلذُّ بملكها إلا من أغلى المهرَ من كريم مساعيه ، ولا يفضُّ ختامها إلا من جعل منازلَ الخطوب سلكاً لعقودِ أيامِهِ ولياليه ، ولذلك قيلَ ما أنشدتهُ استبصاراً ، وأنا إلى إيراده أئينُ إصراراً :

لا تحسبِ المجدَ قرأً أنتَ أكلهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصِّبراً ^٢

وإنَّ سياسةَ الأفوامِ فاعلمْ لها صعداءُ مطَّعُها طويلُ ^٣

ويظلموا فنرى الألوانَ مسفرةً لا خوفَ ذلٍّ ولكن فضلُ أحلامِ
ويحتاجُ الرئيسُ إلى أعوانٍ يُظهرُ بهم كمينَ مكارمِهِ ، ويُبْضي فيهم وبهم ماضي عزائمه ، فلولاً الطالبُ لعاشِ الكريمِ مطوياً على حَسَرَاتِ أوطارِهِ ، ولولاً الخاطيءُ لما وجدَ الحليمُ لذةَ حلمه ووقاره ، وكلِّما كان التابعُ أبعدَ مذهباً في معناه ، كان المتبوعُ أشدَّ جذلاً بظهورِ مناقبِهِ وعلاه .

وفي فصل : وقد كانت مني كبائرُ تكتنَّفُها معاذيرُ لا أُشِينُ وَجَهَ العفوِ بإيرادها ، ولا أنتقصُ جملةَ الصَّفَحِ والغفرانِ بتعدادها ، في أنْ لم أفتتحْ مناسكي بالسَّعْيِ إلى حَضْرَتِهِ ، ولم أبدأ من مطالبِ شرَّعي بالتوفُّرِ على / [١٤١] خِدْمَتِهِ ، وقد عَلِمَ الله

١ ذو السعادتين هو الحسن بن منصور أبو غالب وكان وزيراً للسلطان البويهي بهاء الدولة ثم وزر بعده لسلطان الدولة (٤٠٩) ثم نالته لمسرف الدولة (سنة ٤١٢ : وتوفي في هذه السنة نفسها) .

٢ من أبيات تنسب لرجل من بني اسد (شرح المصنوع : ٤٧٣)

٣ ورد البيت غير منسوب في اللسان والتاج (سعد) : وإكمة ذات صعداء : يشتد صعودها على الراقي .

أن ذلك ليس من اعتلال بصيرة بشرف الانتهاء إليه ، ولا انخفاض همّة عن سعادة
المثول بين يديه ، ولا إمعان في البدويّة - وإن كنت من أهلها - حتى أذهل عن
مطلع النّير الأعظم من الأفق الذي سكنت ظله ، ومفيض الفرات الأعذب من
البلد الذي استوطنت محله ، ولا أن ذكره لم يكن في تلك الأوطان زينة الأعياد ،
وحلية البلاد ، وأنس الحاضر والبادي ، وبلغة المسافر والحادي ، ولا أني لم أكن
ذكي الخاطر بتلاوة مآثر آلائه ، ومستشفياً بنسيم الريح من أرضه وسماه ، ومُعجباً
بما جمع الله فيه لعفاة أهل الأدب ، بل السّراق أهل الرّتب ، ومعنى قول القائل :

يأتيك عن فهم الثناء عطاؤه عفواً وتلك عطية المستبصر
كرم تكشف عن حلى آدابه كالبحر يكشف غمره عن جوهر

وفي فصل من أخرى : ولما أزعجتني الأقدار إلى هذا المقرّ الجليل على
اضطرار باد ، بنبو ذلك المهاد ، وردت مطروف الناظر ، كليل الخاطر ، فقصدت مع
ذلك خدمته - في وروده الأول - باللقاء أو استطلاع الإذن بالمكاتبة ، فأعجلها
مسيره الميمون ، فأحلت بذلك على الجدّ الظنون ، والزمن الخوون ، ثم كتبت
مستبدها في هذه الرقعة بأمر يشف عنها الكتمان بصادق ظنه ، وينم بها السرّ
والاختفاء إلى نحيي ذهنه ، فلم أبشر بقدومه حتى أنذرت بصدّره ، وقد كان من
الحق أن أسير في أثره ، وأنفذ في تصيد العزّ بملاحظة غرته ، واستلام حضرة ،
ولكنني أهديت من ضعف عذري وقوّة ذنبي زينة إلى حلمه ومسامحته ، ورجوت أن
يضيف إلى الإغضاء عن زلتي تراثاً لي بما حرّمته طول هذه المدة من خدمته ، فان
حقّق محبلة الظن في الإغضاء فيفضله ، وإن أعرض عن كلّ من تغرّب عليه
الشمس لجرمي فيعدله ، وإن يك ظني صادقي^١ فسينخدع لي انخداع ذوي
الإنعام ، ويتغابن في صمتي عن^٢ إيجابه تغابن الكرام ، بأريحيته اللدنة الأعطاف ،

١ : ص : صادقي .

٢ : ص : قيمتي من .

ورياسية الموطاة الأكناف .

ومن جواب ذي السعادين له : للسود محل يدعو إلى نفسه ، ويسفر عن شمس ، ويأبى أن يتقلقل به مهاده ، أو يتململ بقراره وساده ، أو يكون إلا لمن وطاً له [كنفاً] ، وألان بحمله معطفاً ، واستقل بأعباء تكاليفه ، وأغمض بدائع أفكاره في تضاعيفه ، ونص^١ المذكيات في مضماره ، واستبرد المصطفى من أواره ، وغدا لفاريدو عشرأ ، وشرح للعناء^٢ فيه صدرا ، وكان كما قيل : إن رأى حسنة قال ، أو رأى سيئة أقال ؛ فقد أحسن القائل :

إمّا يربني مفصل^٣ فقطعته فيوشك أن يدوى لذلك سائره
وإنما نصصت على الموقع الأنبي من حضرته ، ودلت عليه بناره وسمته ، ليأذا بقوة الدواعي منه في تمثل ما أجراه الاتفاق على ضد المراد ، وثناه القدر الغالب فيه عن غرض الاعتقاد ، وسنن الارتياذ .

وفي فصل منه : حتى بدا مطلع الأمل من حيث شيمته ، وصدق اليقين بتلك الأوصاف اللائقة ، والفضائل الشائقة الرائقة ، ما تصوّرتة وتحققته ، وذّر البدر^٤ الكامل بالكتاب العرب عن جميع أدوات الفضل ومعانيه ، وبوارع الأدب^٥ النبيل ومعاليه ، فأكرم به من واصل بالمعنى في موضع العتب ، ووافد بالحسنى على الأساءة بالذنب ، وأعجب بما حواه من رائع البلاغة وبارع العبارة ، ومستكرم المائة ، ومستغنى الاطالة . ولقد أخبر من أنباء السلامة في النفس المحروسة ما ضاعف المسرة ، وضاعف الغبطة والخبرة ، وأشار فيما عداها إلى ما أسال العبرة ، وأشعر الحسرة ، والله تعالى في مثل ذلك أطفاف توضح عن حُسن عواقب

١ ص : رخصل

٢ ص : للهاء

٣ ص : ما يربني مفصل .

٤ ص : ذر البدر .

٥ ص : بوارع الأدب .

التفويض ، وتقومُ باكرام الانابة والتعويض . وقد استرهن عندي بمبتدا التطوُّل
بالمكاتبة يداً ، اقتضى اعتدادي بها وشكري لها بما يبرهن عن توافقنا في الصفاء ،
وتساكلنا في الإخاء ، وسيدي يطيعُ في ذلك بواعثَ كرمه ، ونوازعَ شيمه .

فأجابه ابن المغربي برقةٍ قال فيها : ألقى إلى كتابٍ كريمٍ يكتفي شرفُ
الهمةِ بخيال عنوانه ، ولا يُبلِّغُ بشقِّ النفس شكرُ ظاهره فضلاً عما في طيّ جنانه ،
ففضضتُ عن الرُّوضِ العازب ، والتقطتُ منه فرائدَ الكواعب ، ووجدتُ فيه نسيمَ
الشباب ، وتعلّلتُ به في عطفِ الأيام / [١٤٢] السالفةِ العذاب ، ووجدته قد
احتوى من عقائلِ الفصاحةِ وكرائمِ البلاغةِ على ما يُعدي المعجمَ العبيّ فينطقُ
متخيّراً ، ويُشدهُ الناطقُ البليغُ فيبلسُ متحيراً ، وظننتُ أنّ العشاقَ لو أُعيروا من
الفاظه مزاجاً للمراشف ، وهبوا من أنفاسه عِطراً للسوالف ، لصالوا بحُجَجٍ تجلُّ
عن تسميةِ المعاذير ، وتصبغ الخطأ بلمعِ الصواب المنير ، ولو أنهم جعلوه رميَّ سُهمَةٍ
الفراق لكُفَّتْ عواذيه ، وأخذةٌ لأعين الرقباءِ لَطَفَتْ [من] مآقيها ، ولو أن الحماَمَ
أصغتُ إليه لعاد نوحها شدواً ، ولو أن الليالي تندثرُ به لصار دُجَاهَا غَدواً ، وعجبتُ
مما حملَ على مُنتي الضعيفة من مِننٍ كنتُ قبلها نضو العزيمة فكيف [أنهض] بها ،
ومن مبارٍ يكادُ يمنني فادحُ أثقالها أن أسترَ مرفقَها ، فلو أن ذلك الكتابَ الجليلَ
صدرَ إليّ من عدوي لاهتزرتُ ببدايع ما فيه ، ولو أنه تاه عن إنعامٍ عليّ لغالطتني
عذوبة لفظه عن مرارة معانيه ، فكيف وقد جاءني عن الأيام عُتْبَى ، وجعل قلبي
لخواطر الجدَلِ نهياً ، ولستُ أُلْمُ بشكره عن هذه العاطفةِ الكريمةِ فأوهمُ أنها مما تتناوله
أفكاري الكليّة ، ولا أعرّضُ لحمدِها فأحبطُ أجري في الاعتراف بالتقصير عن
مواهبها الجزيلة ، ولكن أوقّيهما ، ما وجَبَ من إظهارِ العجزِ فيها .

وفي فصل منها :

* وَأَيْنَ الثَّرِيَا مِنْ يَدِ الْمَتَاوَلِ *

لو أُعِنْتُ بِمَا تَلَاقَى عَلَيْهِ [...] مِنْ خَوَاطِرَ مَلْتَهَبَةِ الْمَطَالَعِ ، وَالسَّنَةِ مَعْرُوفَةِ الْمَقَاطَعِ ،
لَمَا اَزْدَادَ هَذَا الدِّينُ عَلَيَّ إِلَّا تَوَثُّقًا ، وَلَا اسْتَجَدَّ هَذَا الْحَقُّ إِلَّا تَعَلُّقًا ،
* دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ *

أَنَا الْآنَ مِنَ التَّشَوُّقِ إِلَى خِدْمَتِهِ لَوْ وَجَدْتُ إِلَيْهَا سَبِيلًا ، وَأَعْمَلْتُ نَحْوَهَا
رَحِيلًا ، وَقَدْ كُنْتُ ارْتَحْتُ لِلْفَقْرَةِ الَّتِي تَضْمَنُهَا كِتَابُهُ الْعَالِي مِنْ ذِكْرِ التَّفْوِيضِ
وَالْتَعْوِيضِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَوْ صَدَرَتْ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لَمَا زَادَتْ^٢ عَلَى مَا غَشَّاهَا
فِي عَيْنِي مِنَ الْبَهَاءِ وَجَلَالَةِ الصَّدَقِ ، وَلَقَدْ انْتَفَعْتُ بِهَا وَرَجَوْتُ يُمِّنَ نَقِيبَتِهَا
[وَحُسْنِ] عَاقِبَتِهَا . وَجَمَلَةٌ مَا أَقْتَرِحُهُ أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي مَا يَتَصَوَّرُ فِي بَعْضِ الْأَقْرَبِينَ
مِنْ خَادِمٍ يُضْطَنَعُ فَيُجْرَى مِنَ الْحَنُوِّ عَلَيْهِ مُجْرَى خَوَاصِّ الْأَهْلِ وَأَدَانِي الْأَصْحَابِ ،
فَلَهُ الرَّأْيُ الْعَالِي فِي إِنْزَالِي حَيْثُ أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنَ الْاِخْتِصَاصِ بِجَهَّتِهِ ، فَأَمَّا الْمَكَاتِبَةُ
فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي اقْتِنَاعِي مِنْهَا بِمَثَلِ طَيْفِ الْخِيَالِ ، أَوْ رِضَائِي أَنْ يَخْطُرَ ذِكْرِي
بِالْبَالِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَطَارَ لِلشَّرِيفِ أَبِي طَاهِرٍ بَازٍ كَانَ يَتَصِيدُ بِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : بَلْغَنِي خَيْرُ الْغَادِرِ
الْمَفَارِقِ ، وَالْبَاشِقِ الْآبِقِ^٣ ، فَشَارَكْتُهُ فِي الْاِسْتِيْحَاشِ [مِنْ فِرَاقِهِ] لَمَّا كَانَ يُبْدِعُ
مِنْ مَصَايِدِهِ ، وَيَقْرُبُ عَنْ مَطَارِدِهِ ، وَرَأَيْتُهُ قَدْ شَابَ فِضَائِلُهُ بِهَذَا الْغَدْرِ الَّذِي يُسْلِي
عَنْ تَذَكَارِهِ ، وَالْإِبَاقِ الَّذِي يُنْسِي مَحَاسِنَ آثَارِهِ ، وَالنَّكَثِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ عَوَاقِبَ
عَهْدِهِ ، وَبَعْضَ إِلَيْنَا ، بَلْ إِلَى سَيِّدِنَا ، اسْتِخْدَامِ أَمْثَالِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، لِأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ
بِكِرَاهَةِ الْغَدْرِ مَنْ كَانَ الْوَفَاءَ رَضِيعَ لِبَانِهِ ، وَالْحِفَاطُ مَنِبْتَ أَصُولِهِ وَمِنْشَأُ أَعْصَانِهِ ،

١ صدر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « خير الكهول وسيد الحضر » (شرح ديوانه : ٨٨)

٢ ص : رددت .

٣ ص : الاريق .

وكأنني بفقدته وهو عند الدَّراج من أنعم الأعراس ، ومن الوحشة منه وهي بين سراب الطيور من ألدِّ الإيناس ، لأنها أريحت بعده من حتفها العاجل ، وسَمَّها القاتل ، وأجلها القاصر ، ووجَلها الحاضر ، وعُقَلَة قوادِمِها وخوافِها ، ودهشة نواظرها ومآقيها ، والكوكب المنقض على مسارحها ، والسهم القاصِد إلى مذايحها ، والآفة التي كانت حُرِمتُ بها حُسْنُ الرياضِ المونقة ، وثكلتُ بِرَدِّ الغدرانِ المغدقة ، وتَنَغَّصتُ مشاهدةَ هذا الجوّ الرقيقِ الشَّائل ، اللازورديِّ الغلائل ، حتى صارت لا تلتدُّ بوكرِ تَبْنِيهِ ، ولا بِفَرخِ تُغْذِيهِ ، علماً بأنَّ لها منه مُفَرَّقُ العدد ، وفاجعُ الوالدِ بالولد ؛ ولو علمتُ هذه الأطيَّارُ الشَّامِتةُ بِنفاذه ، السالكةُ سبيلَ الأشرِّ بافتقاده ، بما يُعِدُّ سِيدنا لها من ذي ظُفَرٍ مظفر ، ومُنسَرٍ للطيرِ مُيسَّر ، وخَلَفٍ صالح ، وجارحٍ جارح ، أشدَّ لها منه اصطلاماً ، وأسدَّ إلى مقاتِلِها سهاماً ، لعلمتُ أنَّ كثرَها استجماعٌ^٢ له ، وأن وفورها توفير عليه .

وفي فصل منها : وما ألومُ هذا المارقَ على مَلَلِه وانحياشِه ، لأنه كان قد تعودَ أن يصيدَ بمقدار قُوَّتِه ومعاشيهِ ، فصار سِيدنا يستخدمه بهمةَ تَطَلُّبِ الغاية البعيدة ، وتستسهل/ [١٤٣] المشقة الشديدة ، التي هزَّها جِدَّ ، وجَوَّرها قَصْدُ ، ولعبُها ارتياض ، يتصَيَّرُ من لم ينقذَ إليها سريعا ، [ذا] ضراوة على اقتناص من لم ينتهِ إلى أوامرها مطيعاً ، فلم يُطَقْ على ذلك جَلداً ، ولم يجدْ بهذا الأمر الفادِحَ يداً ، فما أشدَّ بَسْطِي لعذره ، ومعرفتي بسببِ عَذْرِهِ ، وأملُ أن يتذكَّرَ ما كان له بفنائِهِ من نعيمٍ ، خياله بين غينيه ، وطيبِ عيشٍ ، تذكُّرُهُ أجْدَى له من حماقيه ، فتدعوهُ عواطفُ التَّربية والإيثار ، وتزولُ عنه عوارضُ السَّهْوِ والاغترار ، فيعودُ إلى رسمه ، ويعودُ من جُرْمِهِ ، ويرجعُ وقد أدَبَتْهُ النكبةُ ، وهذَّبَتْهُ الغربةُ .

١ ص : المناقض .

٢ ص : استجمام

وكان في ذلك الأوان بمدينة [تكريت ، رئيس]^١ ممن يشار إليه ، ويعولُ قومه عليه ، فرأى في منامه^٢ النبي عليه السلام مع علي بن أبي طالب ، وحضاه على الاسلام ، ووجد في الانجيل ما دَلَّه على البشارة بمحمد عليه السلام ، فاستدعي إلى الحضرة ببغداد ، وطيف به في سائر البلاد ، فكتب إليه ابن المغربي رقعة قال فيها :

ويعلمُ الله ما ورد علي وعلى كافة من حضر من المسلمين من السرور بما أبان الله^٣ من آية قطعتُ غُذرَ الجاحدين ، [حجة] استهلكتُ شبهَ العاندين الجاهلين ، لا أن هذا الدين - بحمد الله - مفتقر من بعض حواشيه ، إلى بينة تزيد فيه ، ولا أن الاستدلال الصادق كان ترك شبهة إلا فضحها ، ولا معجزة إلا أوضحها ، وزائغاً إلا قومه ، وجاهلاً إلا علمه ، وركناً للباطل إلا خفضه ، وعقداً للشرك إلا نقضه ، إلا أن المخالفين قد شغلت الدنيا أكثرهم عن التأمل ، وحجبت العادات خواطرهم عن التأول ، فبعد بالحجج السالفة ذكرهم ، واشتد إلى البراهين المستحدثة فقرهم ، فكان أبلغ [برهان] إقبال مثله إلى المحجة عن غير رغبة استفترته ، ولا رهبة هزته ، ولا محاسدة أغرته ، ولا مناظرة عزته ، بل أطلق عنان عقله ومد به راشداً حتى وقفه على الصراط المستقيم ، واستتلاه قاصداً حتى أوردته إلى المنهج السليم ، فوردت النعمة بتخييره صافية غير مكدرة ، والمنحة في استثنائه واقية غير مقصرة ، فهناك الله الاسلام ما لا يزال يتولاه به من إيضاح مناره ، وتبليج أنواره ، وإدامة صبحه

١ بياض في ص، وزدته من تاريخ المسيحي : ٢٣٥ ب والرئيس المشار اليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله ، وكان يعرف بالطران الكبير ، رئيس اليعاقبة ؛ ويذكر المسيحي ان اسلام الرجل تم يوم الخميس السابع من جمادى الأولى سنة سب [...] واربعمائة وان الوزير المغربي أرسل اليه هذه الرسالة من ميفارقين ؛ وقد أورد المسيحي جانباً من الرسالة لم يورده ابن بسام ، وانقطع فيها بضياع الأوراق ما أورده صاحب الذخيرة ما عدا سطرين منها .

٢ ص : منها .

٣ المسيحي : سروراً بما أتى الله جلّت قدرته .

٤ زيادة من المسيحي .

ضاحكاً تتصدّع عنه دياجيرُ الشبهات ، وتنجلي منه ملابسُ الضلالات ، وهنا الله الشيخ ما رآه له أهلاً من هذا السناء الذي تقفُ دونه همُّ المعالي ، وتضيءُ به ظلمُ الليالي ، وغرسَ عنده التوفيقَ الذي يسترهن لواءَ النعمة ، ويضمنُ بقاءَ العصمة .

وفي فصل من أخرى : ولولا أنني إذا أردتُ المواصلَةَ بنفسي ثَقَلْتُ ثقلين بالزيارة ، وبالذائنة^١ المستعارة ، لما استنبتُ والله على لساني قلبي ، ولا استنطقتُ يدي قبلَ فمي ، ولكن الاضطرار يقود وأتبعُ ، والزمان يقولُ فأستمع .

وله من رقعة [في] فتح : ولما تقاربتِ الفتان إذا بعدونا في عُدّةٍ قد اشتملتُ منهم على كلِّ سهمٍ في كنانتهم ؛ قد استكثروا من علوجٍ لا يحشون^٢ حومةَ اللقاء ، ولا يشتون على مقارعةِ الأكفاء ، فلما اجتمع أعداءُ الله وقلوبهم بالذعر متفرقة ، وأقدموا وأقدامهم القهقراء راجعة ، وكانت لنا عيونٌ تجثمُ على مدارجِ أنفاسهم ، وطلائعُ تقبضُ على مسارحِ الحاظهم .

وفي فصل منها : وبأدرتهم فتیان بني عامرٍ على الجردِ الصلادم^٣ ، قد بزوا الجننَ تعجلاً للطراد، وتخففوا من الرماح تقصيراً للبعد، فوكزوهم بالرماح وكزاً ترك الدروع منهم غلائل ، وأمانى الحياة فيهم قلائل ، فلم يترك القتلُ منهم إلا أنفساً عافتها كرامُ السيوف، وآخرين عزيزين تكفكف عنهم الرحمُ العطوف، يتمسكون بأنفسهم حوزاً ، ويعتدون ذلَّ الفرار عزاً ، وافترقوا إلى أوطانهم يرقبون الليلَ كما يُرتقبُ الصباح ، ويدلجون بكلِّ ماشٍ من الخيلِ بجناح ، وكان أميرهم في بلهنية الاستهامة بهم ، وقلة الفكر فيهم ، قد بات يعملُ كاسه ويلهي جلّسه ، وغدا سكران

١ غير واضحة تماماً في ص .

٢ يحشون : يدخلون

٣ ص : الصوارم

٤ ص : عن

٥ ص : عربة (دون اعجام)

على فرسٍ جموحٍ يبادرُ النهابَ وهي أنفسهم ، ويحاولُ الغنائمَ وهي مُهْجُهُمْ ،
فرَقَصَتْ به الفرسُ فصادف ذلك الأجلَ المكتوبَ له. فجزى الله هذا الحيَّ من آلِ
عامرٍ أهنأ الجزاءِ عاجلاً ، وأدومهُ أجلاً ، وثنى بيني عمنا الأقربين ، وعشيرتنا
المستخلصين ، خفاجةً ، وكذلك الجيران ، وأهل البلدِ والأعيان [١٤٤] وألفاف^١
كانتُ أسباؤهم نكرةً ، فعَرَفْتُها المواقفُ الحميدة ، وطوائف عاطلة حَلَّتْها الخطا
البعيدة ، وخاملة نبَّه عليها شكرُ السيوف لأيدٍ منهم وَصَلَتْ قصارها ، وأُوصَلَتْ في
زحامِ الوردِ حوارها .

وفي فصل له : وكلما هممتُ بمفاتحتِهِ اعترضتني خَجَلَةُ المَتَارَكَةِ ، واستوقفتني
غفلةُ المجانبة ، وخانتُ يدي قلمي ، فلم تَشْفِهِ باظهارِ ضميره ، ولم تحسنِ النيابة
عنه في الاعتذارِ من تقصيره .

وهذه أيضاً جملةٌ من شعره في أوصافِ شتى

قال :

عجبتُ هندُ من تَسْرُعِ شيبِي قلتُ هذا عقبي فطامِ السرورِ
عَوَّضتني يدُ الثلاثين من مســـــــكٍ عذارِي رَشاً من الكافورِ
كان لي في انتظارِ شيبِي حساباً غَالَطْتُني فيه صروفُ الدهورِ

والبيت الثاني منها كقول الوزير أبي محمد ابن عبدون :

يا دهرُ ذنبكَ عندي غيرُ مكفورِ على مَ عَوَّضتَ مِنْ مسكي بكافورِ

وقال^٢ :

١ ص : والفات

٢ منها أربعة أبيات في دمية القصر ١ : ٩٤ وثلاثة في الشريشي ٣ : ١٢٠ والأبيات ٩،٧،٦،٣،٥،٤،٢،١٠ في ريحانة
الألباء ٢ : ٤٧٦

عَلَّمْتُ مَنْطِقَ حَاجِيَّتِهِ وَالْبَيْنُ يَشْرُرُ رَايَتِهِ
وَعَرَفْتُ آلَاتِ النِّعَمِ بِقَبْلَةٍ فِي عَارِضِهِ
وَلَقَدْ أَرَاهُ فِي الْخَلِيجِ^١ يَشْقَهُ مِنْ جَانِبِهِ
وَالْمَاءُ مِثْلُ السِّيفِ وَهُوَ فِرْنَدُهُ فِي صَفْحَتِهِ
لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِ أَبَدًا وَلَا تَرِدُّوا عَلَيْهِ
قَدْ ذَابَ فِيهِ الْحَسَنُ^[مِنْ] حَرَكَاتِهِ أَوْ مَقْلَتِهِ
وَالسَّلَامُ أَسْلَمُ فَاحْذَرُوا مِنْ فَتْرَةٍ فِي نَظَرِهِ
صَبَغَتْ بَيَاضَ النِّيلِ حَمْرَةً وَرَدَةً^[فِي] وَجَنَّتِهِ

وقال :

تَمَنَّعَ أَنْ رَأَى زَغْبًا بِعَارِضِهِ قَدْ التَّهَبَا
وَتَاهَ عَلَيَّ أَنْ أَبَدْتُ عَقَارُبُ صُدْغِهِ ذَنبَا
وَقَدَّرَ أَنَّهُ سَبَبُ يَقْطَعُ بَيْنَنَا النِّسْبَا
وَلَا وَاللَّهِ لَا أَلُو لِحَقِّ عِنْدَهُ طَلْبَا
وَلَا خَلَيْتُ فِي كَفَيْتِهِ قَلْبًا طَالَ مَا انْتَهَبَا
أَمَّا عَيْنَاهُ عَيْنَاهُ اللَّائِيَانِ أَبَاحَتَا الرِّيَا

وقال وقد كسفت الشمس :

لَمِثْلِ ذَا الْيَوْمِ يَا مَعَذْبَتِي كَانَتْ تَرْجِيكَ أَخْتُكَ الشَّمْسُ
قَوْمِي أَخْلَفِيهَا فِي ذَا الْكَسُوفِ فَفِي وَجْهَكَ عَنْهَا إِنْ أَوْحِشْتَ^[أُنْس]^٢
وَعَالِطِي حَاسِبَ النُّجُومِ فَإِنْ لَجْتُ وَغَابَتْ أَصَابَهُ لَبْسُ

١ الشريشي والدمية : الغدير .

٢ موضع هذه اللفظة في ص : « خلف » .

وقال:

يَوْمُ الْكَسُوفِ جَلَا عَلَى بَصْرِي
قَامْتُ فَأَرْخْتُ مِنْ ذَوَائِبِهَا
فَسَأَلْتُهَا لِمَ قَدْ لَبَسْتَ دَجِيَّ
قَمَرًا أَحَارَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَا
وَتَجَلَّلْتُ مِنْ شَعْرِهَا لِبْسَا
قَالَتْ أَسَاعِدُ أُخْتِي الشَّمْسَا

وقال:

قَالُوا كَسُوفُ الشَّمْسِ مَقْتَرَبُ
ثِقَتِي بِكَاسِفِهَا وَكَاشِفِهَا
مَنْ لَوْ يَشَاءُ أَعَادَ مَشْرِقَهَا
هِيَ شُعْلَةٌ مِنْ نُورِهِ فَاذَا
قُلْتُ ادَّخَرْتُ لِدَفْعِ نَائِبِهَا
وَبِفَضْلِ مَا حِيَهَا وَكَاسِبِهَا
مَتَبَسِّمًا لَكَ مِنْ مَغَارِبِهَا
مَا شَاءَ أَظْلَمَ أَوْ أَضَاءَ بِهَا

وقال:

أُورِ كَأْسَ الْمَدَامِ فَاِنْ قَلْبِي
حَلَلْتُ بِبَابِلٍ وَأَرَدْتُ الْآ
أُتِيحَ لَهُ عَنِ التَّقْوَى ارْتِحَالُ
أَهِيَمُ بِسِحْرِهِمْ ، هَذَا مُحَالُ

وقال:

دَنْفٌ بِحَمَصٍ وَبِالْعِرَاقِ طَبِيبُهُ
مَا نَالَهُ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
لَزِمَ السَّهَادَ تَحِيْرًا وَتَلَدْدًا
زَعَمَ الْفِرَاقَ دَعَا بِهِ فَأَجَابَهُ
يُضْنِيهِ عَنْهُ بَعَادُهُ وَيَذِيْبُهُ
إِذَا غَابَ عَنْ بَلَدٍ وَفِيهِ حَبِيبُهُ
وَتَأْسَفًا إِذَا أُوْبِقَتْهُ ذُنُوبُهُ
وَنَعْمُ دَعَاهُ فَلَمْ أَرَادْ يَجِيبُهُ

١ تاريخ المسبحي : ٢٢٣/أ

٢ الشريشي ٣ : ١٢٠

وهذا كقول الآخر :

أَتَظَعُنُّ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ
وقال آخر :

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى تَشْكُو الْفِرَاقَ وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ
وقال ابن المغربي^١ :

ولما احتوى بدر الدجى صحنُ خَدِّه تحير حتى ما درى أين يذهبُ
تبلبلَ لما أنْ توسَّطَ خَدُّه وما زال من بدر الدجى يتعجَّبُ
كأنَّ انعطافَ الصدغِ لأمِّ أمالها أديبٌ يجيّدُ الخطَّ أيَّانَ يكتبُ
وهذا المعنى كقول الآخر ، وأنشدُ القطعة بكماها ، استيفاءً لجمالها :

تعلَّم العطفَ من صدغيه فانعطفَا وكان من شأنِهِ ألاَّ يفِي فَوْقِي
دَبَّ العذارُ على ميدانِ صفحته حتى إذا همَّ أنْ يسعى به وقفا
كأنه كاتبُ عزِّ المدادِ به أراد يكتبُ لاماً فابتدا ألفا
وقال ابن المغربي :

حبيبُ سرى يستقبلُ الليلَ وَخَدُّه ويسبقُ آرامَ الصريمِ وأُسْدُهُ
فلا الأنسُ من أمثاله الأدمِ عاقَهُ ولا الذعرُ من أعدائِهِ الغُلْبِ صَدُّه
يخوضُ إلى الليلِ ما بلَّ عطفه ويفرج غيلَ الدوحِ ما حلَّ عقدُه

المصراع الأول منه كقول المعري^٢ :

١ الأول والثالث في الشريفي ٥ : ٢٢٣

٢ شروح السقط : ١٢٢٣

عجبتُ وقد جَزَتِ الصِراةَ رِفْلَةً وما خَضَلْتُ مما تَسَرَّ بَلْتُ أذْيَالُ^١
 [١٤٥] / وقد طلعتُ في الرأسِ مَنِّي رَايَةً ثكلتُ بها هزلَ النعيمِ وجَدَّهُ
 كلوحُ مشيبٍ لو يكونُ^٢ تَبَسُّماً كما زعموا ما [إن] بكى القلبُ عنده
 وما زَهَرَاتُ الشيبِ فيه ظوالمُ كذا العشبُ يأتي يانعُ الزهرِ بعده
 أخذتُ من الدهرِ التجارِبَ جَمَلَةً وقبلَ أشدِّي ما بلغتُ أشده

قوله « كلوح مشيب » ينظر إلى قول ابن الرومي^٣ :

لم يضحكِ الشيبُ من فَوْدِيهِ بل كلحا سَمَّ القبيحَ من الأسَاءِ ما قُبُحا
 ان كان ابنُ المغربي قد نَقَصَ معناه ، وطمسَ سنه ، فقد زاد فيه ما ذهبَ
 ببعضِ جنائته ، ومحا كثيراً من إساءته . وكان الناسُ قديماً وحديثاً يستعِرونَ
 لبياضِ المشيبِ التَّبَسُّمَ ، حتى جاء ابن الروميَّ بحرُ الإبداع ، وعذبةُ لسانِ
 الاختراع ، فقال بيته المتقدم فأسكتَ به القائلين ، ودفع في صَدْرِ المتقدمين ، وبينَ
 أنه ربما كان الفضلُ للآخر ، وأبقى السالفُ للغابر . وأرى أَوَّلَ من نحا هذا
 المنحى ، وسلك بالشتب هذه المحجَّة المثلَى ، حيث استعار الضحكَ للشتب ، غير
 مبالٍ إلى ما في ذلك من العيب ، دعبل حيث يقول^٤ :

لا تعجبي يا عبدَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى
 فاستعار الجناح ، وغدا على ألسنة الرواة وراح ، وتتابع فيه الشعراءُ فأبدأوا
 فيه وأعادوا ، ونقصوا وزادوا .

١ الرفلة : الطويلة الذيل ؛ الصراة : مجتمع دجلة والفرات ؛ خضلت : ابتلت .

٢ ص : يكن .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣

٤ ديوان دعبل : ١١٧ وروايته : لا تعجبي يا سلم (وفي الديوان تخريج مستفيض)

وقال ابن المغربي :

ولما دعوتُ الكأسَ تؤنسُ وحشتي لبعذكِ زادتنِي اشتياقاً إلى القربِ
ومالتِ بأعطافي لها أريحيةً فقرُبكَ أحلى من جناها إلى القلبِ
فأنتِ مزاجُ العيشِ إن كان صافياً وأنتِ المعيرُ الصفو في كَدْرِ الشربِ

وقال في غلام تركي وسيم ، كان به يهيم :

غزال لم أَلِيسْ قبله التبريحَ والكمداً
أظنُّ عِداهُ حانيةً لعشقي مذ كذا رسداً

وقال :

يا أهل مصرٍ قد عاد ناسِكُكُمْ بالكَرْخِ بعد التقى إلى الفُتْكِ
جَمَشَ قلبي [مُقَرَّاطُ قُ غَنَجْ] بدا لقلبي فيه من النسكِ
رمى فؤادي بسهمٍ مقلتهِ وكيف يُخْطِي مولدُ التركِ
وذكرت بمعنى البيت الثاني من هذه قول كشاجم ، وإن لم يكن به ، فيتعلقُ
بسببه ٢ :

يقولون تُبْ والكأسُ في يد أغيدٍ وصوتُ المثاني والمثالثِ عالٍ
[فقلت لهم لو كنتُ أزمعتُ توبةً وشاهدت هذا في المنام بدا لي]

وقال ابن المغربي ٣ :

حبيبٌ مللتُ الصبرَ بعد فراقهِ على أنني علقتُهُ وألفْتُهُ
محا سنُّ يَأْسِي شَخْصَهُ من تفكّري فلو أنني لاقيتُهُ ما عرفْتُهُ

١ الشريشي ٣٠٥ : ٥

٢ انظر زهر الآداب : ٦١١ والشريشي ٣٠٥ : ٥

٣ تاريخ المسيحي : ٢٣٤/أ

وقال :

اللّٰه يعلم ما إثمُ همتُ به إلا وبَغْضَهْ خوفي من النار
وان نفسي ما هامتُ بمعصية إلا وقلبي عليها عاتبُ زار

وله في غلام نصراني :

رغبتُ في ملّةِ عيسى وما يخيبُ من يرغبُ في ملّته
رغبتني في دينه شادنُ رأيتُهُ يخطرُ من بيعته
صنعُ حكيمٍ ما أرى أنّه يسلّطُ النارَ على حكمته
إن كان ذا من ساكني نارِهِ فنارُهُ أطيبُ من جنته

ومن مرثية له في الشريف أبي الحسن ، صهره :

يا ناعيَ الدين والدنيا أشدَّ بهما في حيث سألَ بآلِ الله واديه
هذي معالي قریشٍ غاضَ آخرها ومجد هاشمَ زارَ الترابَ باقيه
قل يا أبا حسنٍ والقولُ ذو سعةٍ^١ لولا حجابُ من الثَّرياءِ^٢ يُثنيه
أآخرُ الدهرِ أم تُخنى عواطفُهُ ويفصلُ البينَ أم يُرجى تلافيه
كلّا لقد فاتَ منك الوصلُ أمله مذ شيدَ الحدثَ المأهولَ بانيه
هُنيتَ ربعاً برغمِ المجدِ تسكنُهُ تلقى أباك علياً في مغانيه
إن أخلُ بعدك بالدنيا أروّضها فقد خلا بضميرِ النبعِ باريه
هل كنتَ تعلمُ إذ عودتني أبداً حُسْنُ التَّصَبُّرِ أني فيك أفنيه

وهو القائل^٣ :

١ ص : في سعة

٢ الثرياء : الأرض ، أو الثرى والندى

٣ الأبيات في ياقوت ١٠ : ٨٢ والمنتظم ٨ : ٢٣ وابن خلكان ٢ : ١٧٦

كنتُ في سَفَرَةِ البطالةِ والغَيِّ زماناً^١ فحانَ منه قدومُ
تبتُ عن كلِّ مأثمٍ فعسى يُحْيِي بهذا الحديثِ ذاكَ القديمِ
بعد سبعٍ^٢ وأربعينَ لقد ما طلتُ إلا أنَّ الغريمَ كريمَ

انتهى ما أثبتته لأبي القاسم من فصوص نشره ، وملح شعره ، وأختم ذكره
بخبر يتعلق بكرمه ، ومحاسن شيمه^٣ : كان يوماً بداره ببغداد في نوروز سنة ثمانى
عشرة وأربعمائة ، وهو اذ ذاك وزيرها ، وله تديرها ، فدخل عليه وجوهُ أمراءِ الديلمِ
والاسفهلارية من الأتراك على طبقاتهم ، ووضعت الهدايا بين يديه على رَسْمِ
الفرس ، فلما/[١٤٦] خفَّ المجلس وتعلَّى النهار ، استؤذن عليه للديلمى مهيار ،
فأذن له ودخل ، فلما مثل بين يديه وسلم قال : أيدك الله ، هذه البضاعةُ التى معنا
كانت كاسدة ، وقد وجدنا لها نفاقاً بحضرتك ، فقال : هات ما معك ، فأنشده
قصيدته التى أولها^٤ :

* عسى مُعْرِضُ وَجْهه مُقْبِلُ *

وهي قصيدةٌ نيفَ فيها على المائة ، وقد أثبتُ ما أخرجتُ منها في موضعها من
هذا القسم ، فجعل ينشدها وابنُ المغربي يستعيد أبياتهُ النادرةَ فيها ، ويكثر إعجابه
بها ، ويجمع كفيه ويبسطهما ويقول : أحسنتَ والله ، أجدتَ والله ، إلى آخرها . فلما
فرغ أشار له إلى دراهيم ودنانير كانت بين يديه دونَ باقى الهدايا ، ففتح مهيارُ كفه
الأيسرَ وجمع بيده اليمنى حتى ملأ كفه الأيسر ، ثم فتح كفه الأيمن وجمع بيده
اليسرى إلى أن لم يبق في الموضع دينار ولا درهم ، ونهض : وسئل مهيار بعدُ عن

١ ياقوت : كنت في سفرة الغواية والجهل مفياً

٢ ياقوت : بعد خمس .

٣ بقية الطلب ٥ : ٢٩ ، ١٩

٤ ديوان مهيار ٣ : ١٢٤ وعجز البيت : فيوبه للآخر الأول .

زنة ما حصل له يومئذ فقال : كانت الدنانير ألفاً ومائة مثقالٍ وعشرين ، والفضة
ثمانية آلاف درهم .

فصل في ذكر الفقيه الحافظ

عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي^١

ناصر دين المالكية ، وإيراد قطعة من شعره

الذي هو حلاوة الأمان ، وبشر وجه الزمان

كان أبو محمد في وقته بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس ، وهو أحد من
صرّف وجوه المذهب المالكي ، بين لسان الكنانيّ ، ونظير اليونانيّ ، فقدّر أصوله ،
وحرّر فصوله ، وقرّر مجلّد^٢ وتفاصيله ، ونهج فيه سبيلاً كانت قبله طامسة المنار ،
دارسة الآثار ، وكان أكثر الفقهاء ممن لعله كان أقرب سنّداً ، وأرحب أمداً ، قليل
مادة البيان ، قليل شَبَاة اللسان ، قلماً فصلّ في كتبه غير مسائل يلقفها ولا يثقفها ،
ويؤبّها ولا يرتبها ، فهي متداخلة النظام ، غير مستوفاة الأقسام ، وكلّهم قدّ أجر
ما اجتهد ، وجزاء ما نوى واعتقد .

وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر
بالنُجَح ؛ ونَبَت به^٣ بغداد ، كعادة البلاد ، بذوي فضلها ، وعلى حُكْم الأيام في
مُحَسِنِي أهلها ، فخلع أهلها ، وودّع ماءها وظلّها . وقد حدّث أنه شيعة يوم فصلّ

١ ترجمة عبد الوهاب المالكي في طبقات الشيرازي : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والمنظم ٨ : ٦١ وترتيب المدارك
٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ ومروءة الجنان ٣ : ٤١ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمرفية العليا : ٤٠ وابن كثير ١٢ :
٣٢ والنسدرات ٣ : ٢٢٣ والفوات ٢ : ٤١٩ والزركني ٢ : ٢٠٢ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ والنجم الزاهرة ٤ :
٢٧٦ وورد في دمية القصر (١ : ٢٩٥ - ٢٩٧) ترجمة أبي نصر عبد الله بن علي بن نصر المالكي ، ولعل صوابه
« عبد الوهاب بن علي » إذ نسب له الباخرزي أبياتاً نسبت لعبد الوهاب في أكثر المصادر .

٢ ص : حصله .

٣ ص : بعد

عنها ، من أكابرها ، وأصحاب محاربا ، جملة موفورة ، وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم
عندما وقفهم للتوديع ، وعزم عليهم في الرجوع : والله يا أهل بغداد لو وجدت بين
ظهرا نيكم رغيفين كل غداة وعشيّة ، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنيّة ؛ والخبز عندهم
يومئذ ثلاثمائة رطل بمثقال . وزعموا أنه ارتجل يومئذ هذه الأبيات ^١ :

سلام على بغداد في كل موطنٍ وحق لها مني السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها قالياً لها وإنني بشطّئي جانيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ برحبها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
فكانت كحلّ كنت أهوى وصاله وتناى به أخلاقه وتخالف ^٢

وبلغني أنه اجتاز في وجهته تلك بعمرة النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاء أحمد بن
سليمان ، فضيّفه ، وكتب إليه بما أثبتته في موضعه ، وفي ذلك يقول أبو العلاء ^٣ :

والمالكِي ابنُ نصرٍ زار في سَفَرٍ بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تفقّه أحيا مالكاً جدلاً وينشرُ الملك الضليل إن شعرا

واستقرّ الفقيه أبو محمد بمصر ، فحملَ لواءها ، وملاً أرضها وسماها ، واستتبع
سادّتها وكبراءها ، وتناهتْ إليه الغرائبُ ، واثالت في يديه الرغائب ، فمات لأوّل ما
وصلها ، من أكلة اشتهاها فأكلها ؛ زعموا أنه قال وهو يُقَلَّب ، ونَفْسُهُ [قد] تصدّ
وتصوّب « لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا » . وكانت وفاته بها رحمه الله سنة اثنين
وعشرين وأربعمائة .

وغد أخرجت من شعره ما يروقُ العيون ، ويفوقُ المنشور والموزون . ومن شعره

١ وردت في أكثر المصادر التي جاءت فيها ترجمته ؛ وقيل إن الأبيات ليست له ؛ وانظر الشريشي ٤ : ٣١٧

٢ ترتيب المدارك ؛ ونجاف .

٣ شروح السقط : ١٧٤٠ وابن خلكان : ٢٢٠ والفوات : ٤٢٠ والشذرات : ٢٢٤

مما أنشده أبو المطرف المالقي^١ :

لا تتعجل قطيعتي فكفى يوماً يدُ الدهر بيننا تَقْطَعُ
عما قليل تحين^٢ فرقتنا ثمت لا مُلتقى ولا جَمْعُ

واستفضي بمدينة اسعرد^٣ ، فبلغه عن أحد أدبائها أنه قال عنه / [١٤٧] كلاماً
معناه : القاضي - أعزه الله - مجيد ، في كل ما يريد ، إلا أنه ربما فتر قوله إذا شعر ،
فقال عبد الوهاب :

أبغى رضاكم جاهداً حتى إذا
إنني لأضبح من تحن خائفاً
فالى م صبري للتعصب منكم
لو شئت أمنتني القريض من الذي
فيظل بي متمللاً متنغصاً
لكنني أرعى الوداد وإن غدا
وأظل يملكني الحنو عليكم
وأجل قدرى في المودة أن أرى
أظن بغدادى طبع خالص
هيهات إن من الظنون كواذباً
إن تعتذر منها تجدني قابلاً

أملت حُسنى عاد لي منكم أذى
وَسَلَمَكُم من حربكم متعوذاً
وإلى م إغضائي الجفون على القذى
أنا خائف ولكن لي مستنقذاً
من كان قبل الشر بي متلذذاً
غيري به متشفقاً متطرماً^٤
وأكف عائر أسهمي أن ينفذاً
بعد الحفاظ لعهدهم أن ينبذاً
يلقى هزيم من اغتدى متبغداً
والحزم أولى في الحجى أن يحتذى
أورمت تجديد الوداد فحبذاً

١ السريسي ٢ : ١١٣ - ١١٤

٢ ص : بحر

٣ اسعرد (وكتب أيضاً : أسعرد ، اسعرت ، سعرت) إلى الجنوب من ميفارقين (انظر تقويم البلدان : ٢٨٨ - ٢٨٩)

٤ ص : مسوفاً .

٥ المطرود : الصلف المكر بما لم يفعل .

طبعي التجاوز عن صديقٍ إن هفا
فتجنَّبْن عَتْبِي وَعُدْ لِمُودَتِي
واعلمْ بأنِّي لستُ غافِرَ زَلَّةٍ
ذو الحلمِ إن سألتهُ لك منصفُ
يا شاعراً ألفاظُهُ في نظمه
خذا فقد نظمتها لك حكمةً
حتى تظلَّ تقولُ من عَجَبٍ بها

وقال ١ :

وَبَغْفَرِ زَلَّاتِ الْأَخْلَاءِ اغْتَدَى
لَا تَصْغِينَ لِقَوْلٍ وَاشِ إِنْ هَدَى
إِنْ رَابِنِي ظَنُّ بَكْمٍ مِنْ بَعْدِ ذَا
فَإِذَا نَضَا عَنْهُ تَجَدُّهُ قَدْ بَدَا
دُرَّراً غَدَّتْ وَزِيرُ جَدًّا وَزَمَرَا
فِيهَا وَقَلَ لِمَثَلِهَا أَنْ يُوْخَذَا
مَنْ قَالَ شِعْراً فَلْيَقْلُهُ هَكَذَا

ونائمةٍ قَبْلُتْهَا فَتَنَبَهْتُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي فَدَيْتُكَ غَاصِبُ
خَذِيهَا وَحَطِي ٢ عَنْ أَثِيمٍ ظَلَامَةٍ
فَقَالَتْ قِصَاصُ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ
وَقَالَتْ أَلَمْ أُخْبَرْ بِأَنْكَ زَاهِدُ
فَبَاتَتْ يَمِينِي رَهْنٌ ٣ هَمِيَانٍ خَصَرُهَا

وقال ٤ :

وَلَوْ بَرَزْتُ بِاللَّيْلِ مَا ضَلَّ مَنْ يَسْرِي
أَعْدَى لِفَقْدِي مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّبْرِ

ومحجوبةٍ في الخدر عن كلِّ ناظرٍ
أَقُولُ لَهَا وَالْعَيْسُ تُحْدِجُ لِلنَّوَى

١ أوردتها ابن خلكان والفوات والشذرات و امرأة الجنان وابن كبير .

٢ في رواية : وكفي

٣ في رواية : وهي ... وهي

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في ياقوت ١٠ : ٨٨ وابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي : وأربعة في الشريشي

١ : ٢٩٩ للفاضي عبد الوهاب .

سَأُنْفِقُ رِيعَانَ الشَّيْبَةِ آفَاءً عَلَى طَلَبِ الْعِلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لِيَالِيَا تَمُرُّ بِلا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عَمْرِي
وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَوَاكِبُ لِحَاجَةٍ نَظُنُّ قَعُوداً وَالزَّمَانَ بِنَا يَجْرِي
وقال ١ :

حَمَدْتُ إِلَهِي إِذْ بُلِيتُ بِحَبَّهَا وَبِي حَوْلُ يُغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَخَالِنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْرِ
وقال :

لَا تَتْرِكِ الْحَزَمَ فِي شَيْءٍ تَحَاذَرُهُ فَانْ سَلِمْتَ فَمَا فِي الْحَزَمِ مِنْ بَاسٍ
الْعَجْزُ ذُلٌّ وَمَا بِالْحَزَمِ مِنْ ضَرَرٍ وَأَحْزَمُ الْحَزَمِ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
وقال :

لَسْتُ وَإِنْ كُنْتُ مَعْنَى بِهِ مُشْتَكِيَاً مِنْهُ أَذَى حُبِّهِ
بَلْ رَاضِياً مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ حُمِلْتُ فِي الْحَبِّ عَلَى صَعْبِهِ
مُرُّ الْهَوَى أَطِيبُ مِنْ عَذْبِهِ وَجَدْبُهُ أَنْعَمُ مِنْ خَصْبِهِ
مَا صَدَقَ الْحَبُّ أَمْرًا لَمْ تَبِتْ نِيرَانَهُ تُضْرَمُ فِي قَلْبِهِ
يَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ فِيهِ وَإِنْ أَلْ بِهِ ذَاكَ إِلَى نَحْبِهِ
لَا بَاغِيَاً مِنْهُ نَوَالاً وَلَا يَشْكُو الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ كَرْبِهِ
وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنَهُمْ نَدَمْتُ إِذْ وَدَّعْتَنِي غَايَةَ النَّدَمِ

١ انظر حاشية : ٢ في ابن خلكان : ٢٢١ ونسبها ابن خلكان نفسه في ٤ : ٣٨١ لأبي حفص الشطرنجي .

تراجعت في فؤادي للنوى حرقُ تراحمَ الدمعِ في أجفانٍ منسجم
ثم انشيتُ وفي قلبي لفرقتهم وقعُ الأسنةِ في أعقابٍ منهزم
وكتبَ يخاطبُ المستنصر بالله صاحب مصر : حصنَ الله المؤمنين من الشيطانِ
[بجنن] الطاعة ، ودثرهم من قرّ وسواسه سراييل القناعة ، وهبهم من نعيمه مدداً
ومن توفيقه رشداً ، وصيرهم إلى منهجِ الاسلام وسيله الأقوم ، وجعلهم من الآمنين
فيا هم عليه موقوفون ، وزيتهم بالتبّيتِ فيا هم عنه مسؤولون ﴿وما ربك بظلامٍ
للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦)

كتابي إليك من الحبِّ بازاءِ مصرك ، وفناء برك ، بعد أن كانت بغداد لي
الوطنَ ، والألفةَ والسكنَ ؛ ولما كنتُ على مذهبٍ صحيح ، ومتجرٍ ربيع ، كُثرتُ
عليّ الخوارج ، وشقّ [على] الماء ارتقاء المناهج ، ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن
الله لقويُّ عزيز﴾ (الحج : ٤٠) فأتيتُ مكة - حرسها الله - لكي أقضي فرضَ
الحج ، من عَجّ وشجّ ، أسألُ الله تعالى القبولَ ، وكيف وإنما يتقبّلُ الله من المتقين ؛
وقد كنتُ عندي ذا سنّةٍ ودين ، مُحبّاً في الله تعالى وفي النبيّين ، وفي محمدٍ صلى الله
عليه وسلم والمهديين ، فورد الناطقون ، وأتى المخبرون ، بخبرٍ ما أنت عليه ،
فذكروا أنّك مُدحّضٌ لمذهبٍ مالك ، موعدٌ [١٤٨] لصاحبه باليمّ الممالك ، هيهات
هيهات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾
(الزمر : ٣٠-٣١) فأبيتُ القبولَ على أمرٍ لم يصحّ بيانه لكثرة الكذبِ في الدنيا ، وإذا
لا يحلُّ لمسلمٍ أن يموتَ طوعاً ، فأردتُ الكشفَ عن ذلك بكتابٍ منك ، والسلامُ على
من اتّبع الهدى .

جواب المستنصر بالله : حرّسَ الله مهجتك ، وطوّلَ مُدَّتكَ ، وقدمَ أميرَ
المؤمنين إلى المنية قبلك ، وخصّه بها دونك ، ورد كتابك المكرّم ، وأتى خطابك
المعظم ، يُفصّحُ البكم ، ويُنزِلُ العُصمَ ، هبّتُ عليه رياحُ البلاغةِ فنمقته ، ووَكّفتُ

عليه سحائب البراعة فرَّقَتْهُ ، فإِيا له من خَطِّ بَهيٍّ ، ولفظٍ شَهيٍّ ، تذكُر فيه حُسْنَ
ظَنونكَ بنا ، وتثبتُ مآثرنا ، فلما أن عَرَّستَ بازائها ورد من فَسَحَ عليك ، فَخَذُ
بظَاهِر ما كان عندكَ وَرِدٌ ، وَدَعَّ لربِّكَ عِلْمَ ذاتِ الصُّدُورِ ، والسَّلام .

ومن شعره أيضاً قوله^١

أهيمُ بذكرِ الشَّرْقِ والغربِ دائماً وما بيَ شرقُ للبلادِ ولا غربُ
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبَّةً فعُدْتُ متى أذكرُ عهدَهُمُ أصْبُ
إذا خطرَتْ ذكراهُمُ في خواطري تنأثرُ من أجفاني اللؤلؤُ الرطبِ
ولم أنسَ من ودَّعتُ بالشَّطِّ سُحرةً وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركبُ
أليفان هذا سائرٌ نحو غربِة وهذا مقيمٌ سار عن صَدْرِ القلبِ
وقال^٢:

ومحطوطةِ المتنين مهضومةِ الحشا مُنْعَمَةُ الأطرافِ تَذمِّي من اللمسِ
إذا ما دُخانُ الندِّ من طيِّبها علا [على] وجهها أبصُرَتْ غيماً على الشمسِ
وقال :

رحلتُم فكم من أنةٍ بعد زَفرةٍ مبيَّنةٍ للناسِ شوقي اليكُم
فان كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا فقد رَدَّها في الرقِّ حزني عليكم
وقال :

يأبى مقامي في مكانٍ واحدٍ دهرٌ بتفريقِ الأحبَّةِ مولعُ
كفكفٍ قَسِيكُ يا فراقُ فأنه لم يبق في قلبي لسهمك موضعُ

١ الأبيات التالية عدا الثالث في ابن خلكان : ٢٢١ والمنازل والديار : ١١٩/أ ووردت في القسم الرابع من الذخيرة :
١٠١ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

٢ وردا في هذا القسم الرابع : ٩٦ منسوين لأبي الفضل البغدادي .

وقال^١ :

تذكرَ نجداً والحمى فبكى نجداً
وحَيْثُ أَنْفَاسُ الْخَزَامِي عَشِيَّةً
فأظهر سلواناً وأضمرَ لوعةً
ولو أنه أعطى الصبابة حقها
ولم أَسَّهْهُ وَالسَّكْرُ يَفْتُلُ قَدَّهُ
وقال :

بالكرخ من جانبِ الغربيِّ عنَّا لنا
ذوَابِتَاهُ نَجَادَا سَيْفِ مَقْلَتِهِ
ضَفِيرَتَاهُ عَلَى قَتْلِي تَضَافِرَتَا
ظَبِيٌّ يَنْفَرُهُ عَنْ وَصَلِنَا نَفَرٌ
وَجَفْنُهُ جَفْنُهُ وَالشَّفْرَةُ الشَّفْرُ
يَا مَنْ رَأَى شَاعِراً أَوْدَى بِهِ الشَّعْرُ

وقال :

من بعد ودي رمتُم أن تهجروا
وزعمتُم أن الليالي غيَّرتُ
إن شئتُم أن تُنصفوني في الهوى
رُدُّوا الْفُؤَادَ كَمَا عَهِدْتُ إِلَى الْحِشَا
ما بعدَ فُرْقَةٍ [مزا] معِين تَحْيَرُ
عهدَ اللوى لا كان من يتغير
لا تَقْطَعُوا حَبْلَ الْوَصَالِ وَتَغْدُرُوا
وَالْمَقْلَتَيْنِ إِلَى الْكُرَى ثُمَّ اهْجُرُوا
وقال :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةُ
لعمركَ ما فارقْتُ بَغْدَادَ عَنْ قَلْبِي
إذا ذَكَرْتُ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقْطَعُ
كفى حَزْناً إن رُمْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا
فكيف إذا ما ازددتَ عنها غداً بعداً
لها أن وجدنا للفرّاقِ بها بداً
من الشوقِ أو كادت تموتُ بها وجداً
وداعاً ولم أُحْدِثْ لَشَاطِئِهَا عَهْداً

١ وردت ص : ١٠٢ من هذا القسم منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال^١:

تَمَلَّكَتْ يَا مُهْجَتِي مُهْجَتِي وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ
فَجَدْتُ بِالْوَصَالِ فَدْتُكَ النَّفُوسُ وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ
أَيَا غَائِباً حَاضِراً فِي الْفُؤَادِ وَأَسْهَرْتَ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي
وَلَا خَطَرَ الْهَجْرُ فِي خَاطِرِي فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَلَقَبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ سَلَامٌ عَلَى الْغَائِبِ الْحَاضِرِ

وقال :

وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي مَا سِوَاهِ

وقال :

أَمْنَزَلْتَنِي سَلَمِي وَحَسْبِي رُبَاهِمَا فَمَجْتَمَعِي وَادِيهِمَا بِأَثَالِ
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَهَبٌ جَنُوبِي أَوْ مَضَابٌ شِمَالِي
لِبَالِي لَا أَخْشَى حَزُونََ قَطِيعَةٍ وَلَا أَمَشِرٍ إِلَّا فِي سَهُولٍ وَضَالِ
فَقَدْ صَارَ حَظِّي مِنْ جَمِيعِ لِقَائِكُمْ تَعَرُّضَ بَرْقٍ أَوْ طَرُوقَ خِيَالِ

وقال :

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ بِلَا مَرِيَةٍ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنْسَى وَلَا مُسْتَعَادٍ
مَا زَادَنِي صَدُوكَ إِلَّا هَوًى وَالشَّرُّ [مِنْ] عَيْنِكَ^٢ إِلَّا وَدَادٍ
فَاحْكُمْ بِمَا شِيتَ فِيهِ الرُّضَى وَكُنْ كَمَا شِيتَ فَأَنْتَ الْمَرَادِ

١ وردت منسوبة للوأاء الدمشقي في الشرحي ١ : ١١٢ وهي في ديوانه : ٩٩ ومنها ثلاثة أبيات في البيتمة ١ : ٢٩٦ له أيضاً .

٢ ص : وسود عينيك .

وما عسى تبلغهُ طاقتي وإنما بين ضلوعي فؤاد
وقال :

فؤادي فرّ من جسدي إليكم فضمّوا الجسم أو ردّوا فؤادي
فما في ردّو حرج عليكم
وقال :

يا لهف نفسي على شيئين لوجعاً
عندي لكنت إذن من أسعد البشر
وخدمة العلم حتى ينقضي عمري
[١٤٩] كفاف عيش يقيني كل مسألة
وقال ١ :

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم
واستهضوني فلما قمت منتصباً
لأخرجن من الدنيا وحُبكم
ألقت بيني وبين الحب معرفة
وقال :

ولما رأيت العيش أزعج للنوى
فخذ حُبّتي من ترك قلبي سالماً
يدي ضعفت عن أن تمرّق جيبها
ولو كان قلبي حاضراً لتمرّقاً
وقال :

حرّق سوى قلبي ودّعهُ فأنّني
جأورته سوء الجوار فسؤته
أخشى عليك وأنت في سودائه
لما حللت فناءه بفنائيه

١ هذه الأبيات للعباس بن الأخنف (ديوانه : ٨٤) والبيت الأول منها - في الأقل - لا يمكن أن يكون للقاضي عبد الوهاب لوروده في مصادر سابقة لعصره مثل الأغاني والشعر والشعراء : وقد ورد في الذخيرة : ٥١٤ منسوباً للعباس ابن الأخنف .

٢ ديوان العباس : بنفل : ص : معدلاً بحمل ... فعدوا

وقال :

في النَّفسِ ضيقٌ وفي الفؤادِ سَعَةٌ
البخلُ لا أَسْتَطِيعُ أَفْعَلُهُ
فآلَةُ الجودِ غيرُ مُتَّسِعَةٍ
والجودُ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَهُ

وقال :

قَضَتُ أَيَّامَنَا سَهْمًا صَحِيحًا
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْإِعْدَامِ دَيْنًا
لَمَنْ يَأْوِي إِلَيَّ فَهَمٌّ سَقِيمٌ
فَلَا زَمَنِي مِلَازِمَةُ الْغَرِيمِ

وقال :

يَحْتَاجُ مَنْ كَانَ فِي مَوَاعِدِكُمْ
أَمْوَالُ قَارُونَ يَسْتَعِينُ بِهَا
إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
وَعَمْرٍ نُوْحٍ وَصَبْرٍ أَيُّوبِ

وقال :

طَوَّلْتُ لِلنَّفْسِ فِي الْأَمَانِي
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّبَابَ وَلَّى
أَيْقَنْتُ [أَنِي] عَلَى فَنَاءٍ
يَا طَوَّلَ شَوْقِي إِلَى أَنْاسٍ
فَحَسَرْتِي الْيَوْمَ حَسْرَتَانِ
وَطَالَعَ الشَّيْبَ قَدْ عَلَانِي
مَشَمَّرَ الذِّلَّ غَيْرَ وَانٍ
خَلَّفَنِي عَنْهُمْ التَّوَانِي

وقال :

أَنَا فِي الْغُرْبَةِ أَبْكِي
لَمْ أَكُنْ يَوْمَ خُرُوجِي
عَجْبًا لِي وَلِتُرْكِي
مَا بَكَتْ عَيْنُ غَرِيبٍ
مَنْ بِلَادِي بِالمَصِيبِ
وَطَنًا فِيهِ حَبِيبِي

وقال^١ :

بَغْدَادُ دَارُ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةٌ
وَلِلصَّعَالِيكِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ

١ ورد البيتان في ابن خلكان : ٢٢١ وترتيب المدارك : ٦٩٤ والقواف : ٤٢٠ والديباج : ١٦٠ وابن كثير : ٣٣
والشرطي : ٤ : ٣١٧

أصبحتُ فيها مهاناً في أرقتها^١ كأنني مصحفٌ في بيتِ زنديق

وقال :

جَرَّدَ عَزِيمَةً مَاضِي الِهْمِّ مَعْتَزِمٌ وَدُونَ نَيْلِ الَّذِي تَبْغِيهِ لَا تَنِمِ
وَلَا يَصْدُنُّكَ عَنْهَا خَوْفُ حَادِثَةٍ فَأَنَّمَا الْمَرْءُ رَهْنُ الْمَوْتِ وَالسَّقَمِ
مَا قَدَّرَ اللَّهُ آتٍ، كُنْتَ فِي سَفَرٍ أَوْ فِي مَقَرِّكَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ

وقال :

إِنْ يَكُنْ مَا بَكَ هَزْلٌ فَالَّذِي بِي مِنْكَ جِدٌّ
جَلَّةٌ تَغْنِي عَنْ التَّفْسِيرِ : مَا لِي عَنْكَ بَدٌّ

وقال :

إِنْ تُرِيدَ الْوَصْلَ فَهَذَا أَنَا وَإِنْ تُرِيدُ هَجْرِي لَكَ الْأَمْرُ
مَا أَنَا مُحْتَاجٌ وَلَا وَامِقٌ فَوَاحِدٌ وَصْلُكَ وَالْهَجْرُ

وقال :

لَمَّا تَشَرَّنَ عَلَى عَمْدٍ ذَوَائِبُهَا يَكَادُ مِنْهَا فَتِيْتُ الْمَسْكِ يَنْتَشِرُ^٢
تَقُولُ يَا عَمَّتَا كَفَيْ ذَوَائِبُهُ وَيَحْيِي ضَنْيْتُ وَأَخْفَى جِيْدِي الشَّعْرُ
مِثْلَ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهَا فِيهِ تَضَلُّ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ
تَدْعُو عَلَى شَعْرِهَا لَمَّا أَضُرَّ بِهَا يَا لَيْتَهُ كَانَ [فِيهِ] الْجَعْدُ وَالْقِصْرُ

وقال :

رَحَلْتُ وَخَلَيْتُ الْفَوَادَ لَدَيْكُمْ رَهِيناً وَإِنْ لَمْ تَخْلُ مِنْهُ الْأَضَالِعُ
فَإِنْ أَنْتُمْ ضَعِيعْتُمُوهُ أَسَأْتُمْ وَمَا الْحَقُّ إِلَّا أَنْ تَصَانَ الْوَدَائِعُ

١ رُبَّ الْمَدَارِدِ • مَصَاعِدِ بَيْنِ أَظْهَرِهِ

٢ ص سَقَى

وقال :

أطال بينَ الديارِ ترحالي
إن بُرْتُ في بلدةٍ مشيتُ إلى
كأنني فكرةَ الموسوسِ ما
وقال يتشوق إلى بغداد^١ :

خليلي في بغدادَ هل أنتم لي
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما
وهل ذرّفتُ عند النوى مقلتنا كما
وهل فيكما مَنْ إن تنزّل منزلاً
«أجدّ لنا طيبَ المكانِ وحسنه
كما بيَ عن شوقٍ شديدٍ اليكما
على أدمعٍ منهلةٍ فتأمّلا
ولا تيأسا أن يجمعَ الله بيننا
«فقد يجمع الله الشيتين بعدما
فدى لك يا بغداد [أهلًا] منزلاً
ولا مثلَ أهليها أرقَّ شائلاً
وكم قائلٍ لو كان ودُّك صادقاً
«يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهم

على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا
إذا ما جرى ذكرُ بمن كان نائيا
عليّ كما أُمسي وأصبحُ باكيا
«أنيقاً وبستاناً من النورِ حالياً»
مُنَى فتمنينا فكنت الأمانيا»^٢
كأنّ على الأحشاء منه مكاويا
كتابي تبني آثارها في كتابيا
كأحسنٍ ما كتبا عليه تصافيا
يظنان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا»^٣
ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ واديا
وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
لبغدادَ لم ترحلُ، فكان جوابيا
وترمي النوى بالمعسرين المراميا»^٤

١ وردت الأبيات ١٢ - ١٤ من هذه القصيدة في المرقبة العليا : ٤١ وترتيب المدارك : ٦٩٤

٢ يضمن ويجري بعض التحوير في قول الشاعر :

ولما نزلنا منزلاً طلبه الندى

أجدّ لنا طيب المكان وحسنه (البيت)

٣ مضمن أيضاً من شعر المجنون .

٤ الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من شعر إياس ابن القائف (الحماسية رقم : ٤٠٦ في شرح المازوني) وإن لم يرد البيت الأوسط في الحماسية المذكورة .

«وما هجروا أوطانهم عن ملالةٍ ولكن حذاراً من شحات الأعاديا»
«إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنابها فقدت حبيبي والديارُ كما هيا»

وقال :/[١٥٠]

وماذا عليكم لو مَنَنْتُمْ بزورقٍ فأجزلتُم فيها علينا التفضلاً
فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا أناساً يعرفون التجملاً

وقال^١:

هبني أسأتُ كما زعمتَ فأينَ عاقبةُ الأخوةِ
ولئن أسأتُ كما أسأتُ فأينَ فضلكَ والمره

وقال :

ولما حدا الحادي بعيسٍ أحييتي ونادى غرابُ البينِ بالبينِ يهتفُ
بكيتُ دماً حتى لقد قال قائلُ ترى ذا الفتى من جفنٍ عينيه يُرَعَفُ

وقال :

قلتُ لها يوماً وأبصرتها بسياسةٍ في كنهها نرجسُ
ما أقبحَ الصدِّ فقالت: بلى، أقبحُ منه عاشقُ مفلس

وقال :

متى أخفَ الغرامَ يَصِفُهُ جسمي بألسنةِ الضننى الخرسِ الفصاحِ
فلو أن الثيابَ فحِصْنَ عني خفيتُ خفاءَ خَصْرِكَ في الوشاحِ

وقال^٢:

قطعتُ الأرضَ في شَهْرِي ربيعٍ إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ

١ ورد البيتان في الصداقة والصديق : ٢٠٦ (دون نسبة)

٢ وردت في ابن خلكان : ٢٢١ وتنسب للوزير أبي القاسم المغربي في دمية القصر ١ : ٩٦

فقال لي الحبيبُ وقد راني سُبوقاً [للمضمرة] العتاقِ
ركبتُ على البراقِ ؟ فقلتُ كلاً ولكتني ركبتُ^١ على اشتياقي

فصل في ذكر الأديب الأريب

أبي عبد الله بن قاضي ميلة^١

وهو من طراً ذكره ، وانتهى إلى شعره ، إذ ضرب في الأدب بأعلى قِدْح ، وافتَرَّ عنه على أَوْضَحِ صُبْح ، وأقام دَوْحَهُ على سوقه ، وبنى المنازل^٢ على سواء طريقه ، ورأيتُ أبا علي بن رشيقي قد ذكره في ما اندرج من كلامه في شعراء « الأَنْمُودَج » ، وأعرب عن فضائله ، وأوضح ما لم يخفَ من دلائله^٣ ، ولعلَّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول : إن شعراء الأَنْمُودَج مائة شاعر وشاعرة ، وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالدهم ، وتشابهت مصادرهم ومواردهم ، أفلا ذَكَرَهُمْ عن آخرهم ، وماله اقتصرَ على بعضهم دون سائرهم ؟! فبعضُ الجواب أني كثرت بهذا الكتاب عَدَدِي ، وجردته في محاسنِ أهل بلدي ، ثم عرضتُ بعد معارضته أبا منصور ، بذكرِ مَنْ هنالك من شاعرٍ مشهور ، واجتلابِ ما يتعلق بذلك من خبرٍ ماثور ، فأشرتُ إلى ذكرِ من كان في هذا الوقت المورَخ من طالهِ طَلَّقه ، وأشرق أفقه .

١ سباه ابن خلكان (٦ : ١٥٩) عبد الله بن محمد التنوخي وكتبته أبو محمد : وفي أحد أصول ابن خلكان « أبو عبد الله محمد بن محمد » : وقد ترجم له في المسالك ١١ : ٣٠٤ (وفيه نقل عن الذخيرة والآنمودج) ومذكره في كتاب التعريف بالقاضي عياض : ٧٢ : وميلة التي ينتسب إليها تقع في الجزائر .

٢ المسالك : طار .

٣ المسالك : وابتنى منازل .

٤ قال فيه ابن رشيقي (كما نقل العمري) : هو شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ، ويكثر الزجر والعبافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات (واستشهد على ذلك بقائمه) .

٥ ص : كان .

ولأبي عبد الله أشعارٌ شاردة سارت على السنة الأنام ، وكُتبت في جبهات^١ الأيام ، غير أنه لم يقع إلى منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبت . فمن ذلك ما حدث به أبو محمد بن خليفة المصري^٢ قال : لما ولي ابنُ البواب وزارة المعز بن باديس سألَه أبو عبد الله أمراً كلفه ، فمطله فيه حتى صرفه ، فكتب إليه^٣ :

أقولُ له إذ طيَّسَتْهُ رياسَةُ أتتْ غفلةً مهلاً فقد غلِطَ الدهرُ
ترَفَّقْ يراجعْ فيكَ دهرُكَ عَقْلُهُ فما سُدتْ إلا والزمانُ به سكر
فما برحتْ أيامُهُ أن تصرَّمتْ وما عندنا شكرٌ ولا عنده عذر

وأنشد أيضاً له المصري المذكور^٤ :

جاءت بعودٍ تناغيه فيتبعها^٥ فانظرْ بدائعَ ما يأتي به الشجرُ
غنَّى على عودها الأطيارُ مفصحةً رطباً فلما عسا^٦ غنَّى به البشرُ
فما يزالُ عليه أو به طربُ^٧ يهيجُهُ الأعجمانِ الطيرُ والوتر

قال ابن بسام : وهذا في ما وصف ، كقول ابن شرف^٨ :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي زكت منه أغصانُ وطابت مغارسُ
تغنَّى عليه الطيرُ والعودُ أخضرُ وغنَّى عليه الناسُ والعودُ يابس

١ المسالك : جبهة .

٢ وردت ترجمته في الأول من القسم الرابع : ٣٤٢ .

٣ المسالك : ٣٠٤

٤ وردت الأبيات أيضاً في الأول من القسم الرابع : ٣٥٦ وقد خرجتها هنالك .

٥ ابن خلكان : ويسعدُها

٦ ابن خلكان : غنت عليه ضربوب الطير ساجعة ، حباً فلما ذوى .

٧ ابن خلكان : فلا يزال عليه الدهر مصطخب .

٨ ورد بيتا ابن شرف عند ابن خلكان (٥ : ٣٤٨) برواية أخرى ، وانظر الشريشي ٣ : ٢٠٥

وأنشد أيضاً له المصري ١ :

أشقى لجدك أن تكون أديبا أو أن يرى فيك السورى تهديبا
إن كنت مستوياً ففعلك كله عوج وإن أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه حتى يكون بناؤه مقلوبا
وأنشد له أيضاً ٢ :

لدياك نور ولكنّه ظلام يحار به المبصر
فان عشت فيها على أنها كما قيل قطرة تُعبر
فلا تعمرن بها منزلاً فان الخراب لما تعمّر
ولا تذخرن خلاف التقى فيفنى ويبقى الذي تذخر
وظن أناس بأن قد سموا فقالوا علونا ولم يشعروا
كذا البحر يطفو عليه القذى ويرسب في قعره الجواهر

وكان لابن قاضي ميلة صديقان فتقاطعا وندما ، واتفق أن بنى أحدهما منزلاً ، فقبل لصاحبه : لست تجد وقتاً لمراجعة صديقك أحسن من تهنتك له بهذه الدار الجديدة ، فركب إليه وهنأه ، وكان على صاحب المنزل قباء ديباج فيه صور طواويس ، فكرر بصره فيها ذلك القاصد ، فقال له صاحبه : أعجبك هذه / [١٥١] الصور؟ قال : أجل ، فوهب الثوب له صاحب المنزل ، فقال له القاصد : وأنا عندي طواويس حية تصلح لهذه الدار ، فلبس صاحب المنزل القباء غلاماً وسياً له اسمه نحرير ، كان صديقه يهواه ، وأهداه إليه ، وأخذ صديقه الطواويس وأهداها مع غلام له اسمه بديع كان صاحب المنزل أيضاً يكلف به ،

١ الثاني والثالث في المسالك : ٣٠٤ ووردت لابن رشيق في ديوانه : ٣٧ وانظر الذخيرة ١ : ٤٤٨ والغيث ٢ : ١١٤

والشريشي ٥ : ١٢٧

٢ الشريشي ٣ : ١٠١ (أربعة أبيات)

فبلغ ذلك الاكحل تأييد الدولة^١ صاحب صقيلية^٢ ، فأمر الشعراء بصفة ذلك ، فمن شعر ابن قاضي ميلة فيهما هنالك ، من جملة قصيدة :

ولله يومكم إذ أتاك . مبتهجاً بتمام البناء
فأنفذ في حضنٍ نحريه طواويسَ موشية في قباء
فما جئكَ الليلُ حتى بعثتَ بديعاً بكلِّ بديع المكاء
بأحسنٍ مُتَّخِذٍ في البيوتِ وأطرفٍ مكتسبٍ في القباء
تقابلتما لاختلاف الصفات ولولاهما لاختلاف الهواء
ويعلي الذنابي مدلاً بها على رأسه كانتصاب اللواء
فتلحظ مرأى يروقُ العيونَ ويقضي لواصفه بالغناء
هدايا أقمتم لا يصلها ظباءٌ تجرُّ ذيولَ البهائم
وما عاينَ الناسُ من قبل ذا طواويسَ [فوق] أكفَّ الظباء
ومنها :

وعاينَ رجليه في معزلٍ من الحسنِ حلَّ عقودَ البكاء
فيهدمُ جلوته بعدما أقام لها محكماتِ البناء
ومن سامَ بالنفسِ عينَ التمام نازعه النقصُ حظَّ النماء
فيا قَمَرِي سؤددٍ قابلاً وجوهَ السَّنا بوجوه السناء
إذا الدهرُ رَفَعَ قدرَيكما فقد سُرِّيلَ الدهرُ ثوبَ العلاء
ومن شعره^٣ :

قالت الحسناء لما أن رأت أدمعي ترفضُ في ما ابتدرا
ليس هذا الدمعُ ما حُبَّرتَه أنا من يهدي إليك الخبرا

١ أحد امراء صقلية من بني أبي الحسين الكلبيين : انظر دوره في حكم الجزيرة في « العرب في صقلية » : ٤٧ - ٤٨ وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية .

٢ هذا وجه من الوجوه التي يكتب بها هذا الاسم .

٣ وردت ما عدا الثاني في المسالك : ٣٠٥

رقً في خديّ من ماء الصبا
تأخذُ الحَظ منه رَها
وله من قصيد فريد يقول فيه^١ :

ولما التقينا مُحرمين وسيرنا
نظرتُ اليها والمطايا كأنها
وقالت أما منكنّ من يعرفُ الفتى
أراه إذا سرنا يسير أمانا
فقلتُ لتريها أبلغاها بأنني
وقولا لها يا أمّ عمرو أليس ذا
تفاءلتُ في أن تبذلي طارف الهوى
وأما دماءُ الهدي فهو تواصلُ
وفي عرفاتٍ ما يخبرُ أنني
وتقبيلُ ركنِ البيتِ إقبالُ دولةٍ
فأبلغنها ما قلتهُ فتبسمتُ
بعيشي ألم أخبركما أنه امرؤ
فلا تأمنا ما اسطعما كيدَ نُطقِهِ
لئن كنتَ ترجو في منى الفوزَ بالمنى
وقد أنذر الإحرامُ أن وصالنا
فهذا وقذي بالحصى لك منذر
فبادر^٢ نفاري ليلةَ النفرِ إنه

بليبك يُطوى والركائبُ تعسفُ
غوارِها منها معاطسُ رُغفُ
فقد رابني من طول ما يتشوّف
ونوقفُ أخفافَ المطايا فيوقف
بها مستهامُ قالتا: نتلطف
منى والمنى في خيفِهِ ليس تخلف
بأن عنّ لي منها البنانُ المطرف
يدوم ورأي في الهوى يتألف
بعارفةٍ من نيل وصلك أسعف
لنا وزمانُ بالمودّة يعطف
وقالت أحاديثُ العيافة زخرف
على لفظهِ بُردُ الكلامِ المقوف
وقولا ستدري أينما اليوم أعيف
فبالخيف من إعراضنا تتخوف
حرامُ وأنا عن مزاركِ نصدف
بأن النوى بي عن ديارك تقذف
سريعُ وقل من [في] العيافة أعرف

١ أورد ابن خلكان ٦ : ١٥٩ هذه القصيدة كاملة ومنها ثلاثة عشر بيتاً في المسالك . وسبعة عشر في رفع الحجب ٢ :

٤٨ وأحد عشر بيتاً في السريسي ٤ : ٢٦١ وفي الرواية اختلافات بسيرة لا داعي لآياتها .

٢ المسالك وابن خلكان : فحاذر .

ومن ملبح الزجر وغريب الفأل قول أبي حية^١ :

جری يومَ رحنا عامدين لأرضها	سنيحُ فقال القومُ مرَّ سنيحُ
فهابَ رجالُ منهمُ فتعَفَّوا	فقلتُ لهم : جارِ إليَّ ربيع
عقابُ بأعقابٍ من الدار [بعد] ما	نأتُ نيةً بالطاعنين طروح
وقالوا حماماتُ فحُمَّ لقاؤها	وطلحُ فزيرتُ والمطيُّ طليح
وقال صحابيُّ هدهدُ فوقَ بانهٍ	هدىً وبيانُ بالنجاح يلوح
وقالوا دُمُ دامتْ موائقُ بيننا	ودام لنا حلُّ الصفاءِ صريح
لَعَيْنَاكَ يومَ البينِ أَسْرَعُ واكفاً	من الفَنَنِ المطورِ وهو مَرُوحُ

وقال ذو الرمة^٢ :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ قضبةٍ	من القضبِ لم ينبتْ لها ورقٌ خُصِرُ
فقلتُ غرابُ لا غترابٍ وقضبة	لقضبِ النوى هذي العيافة والزجر

وقال آخر^٣ :

دعا صردُ يوماً على عُصْنِ بانهٍ	وصاح بذاتِ البين منها غرابها
فقلتُ أتصريدُ وشحطُ وغربةُ	فهذا لعمري نأيا واغترابها

ومن قصيدة جحدر^٤ :

ومما هاجتني فازددتُ شوقاً بكاءُ حمامتين تجأوبانٍ/[١٥٢]

١ هو أبو حية النميري ، انظر شعره في الأمالي ١ : ٦٩ (وقارن بشرح الامالي : ٢٤٣) وزهر الآداب : ٤٧٧ ورفع الحجب ٢ : ٤٨ ومنها أبيات في الشريشي ٤ : ٢٦١ وديوان أبي حية (المورد : ١٩٧٥ ، العدد الأول : ١٣٧)
٢ زهر الآداب : ٤٧٨ ونقل المبرد ان الرواة لم يروها في ديوانه ، وانظر ديوانه : ٦٦٧ (مكارنتي) ورفع الحجب ٢ : ٤٨ والشريشي ٤ : ٢٦٠ (لجران العود)

٣ زهر الآداب : ٤٧٨

٤ وردت الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة جحدر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ والقصيدة في معجم البلدان (حجر) ، والنسخة الاستنبولية من منتهى الطلب وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦ والخزانة ٤ : ٤٨٣ ورفع الحجب ١ : ٥٠

تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على عودين من غَرْبٍ وبان
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمى وفي الغَرْبِ اغترابٌ غيرُ دان

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا أخويَّ من كعبِ بن عمرو أقيلاً اليومَ إن لم تسعداني
يحاذرُ سطوةَ الحجاجِ ظلماً وما الحجاجُ ظلامَ لجان
وكان من آخر خبره معه أنَّ الحجاجَ جَوَّعَ له أسداً ثم سلَّطَهُ عليه ، فبادر
جحدراً إليه وقتل الأسدَ ، فعفا عنه الحجاج لما رأى من جرأته ، واتخذته من
صحابته .

وحكى المدائني قال^١ : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها
رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ومضى لوجهه ، فلقيه رجل من
بني لهب فقال : يا أخا الحجاز ، مالك كاسف اللون ، هل رأيت شيئاً أنكرته ؟
قال : أجل ، غراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، قال : إنك تطلب حاجة لا
تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ينتفُ أعلى ريشه ويطايره
فقلتُ ولو أني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيفَ النهدي لا درَّ درّه وأزجره [للطير] لا عزَّ ناصره

ومن مليح الزجر^٢ قولُ أبي نواس وقد اجتمع إخوانه واختفوا عنه ، ووجهوا

١ متابع لزهر الآداب : ٤٧٩ - ٤٨٠ وانظر عيون الاخبار : ١٤٧ وديوان كبير : ٤٦١ - ٤٦٢ وفيه تخرّيج الأبيات .
ويضاف إليه ربيع الأبرار : ٢٩٦/أ والبيت الأول في اللسان (تشش) وشرح النهج ٤ : ٤٣٣ (ط . ١٣٢٩)
والشرشي ٤ : ٢٦٠

٢ بايجاز عن زهر الآداب : ٤٩٢ وانظر الشرشي ٤ : ٢٦٠

رسولاً إليه بظهرِ قرطاسٍ أبيضَ لم يكتبوا فيه شيئاً ، وخزموه بزير وختموه بقارٍ ،
ورمى بالكتاب من وراء الباب ، فاستعلم موضعهم وأنشدهم :

زجرتُ كتابكم لما أتاني يمرُّ بسائحِ الطيرِ الجوّاري
نظرتُ إليه مخزوماً بزير^١ على ظَهْرٍ ومختوماً بقار
فقلتُ الزيرُ ملهيةٌ وهو وقلتُ القارُّ من دُنِّ العقار
وقلتُ الظهرُ أهيفُ قرطياً^٢ يحرُّ العقلَ منه باحورار
فهِمْتُ إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بدارٍ^٣
فكيف ترونني وترونَ زجري ألسْتُ من الفلاسفةِ الكبار
ومن أبدع ما لأبي عبد الله وأغربه ، وأحلى الكلام وواطئه قوله من كلمة ،
يعني السيفَ ، وقد رويت لغيره^٤ :

حيث التقى أسدُ العرينِ وشادنٌ^٥ تحت اللحافِ وصارمٌ وسوارُ
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً ولقد عهدتك بالدخيل تغار
أأمنتُ نَشَرَ حديثنا فأجبتُها هذا الذي تُطوى به الأسرار
وقوله أيضاً^٦ :

وتعجبني الغصونُ إذا تثنت^٧ ولا سيمًا وفيهنَّ الثمارُ
إذا اهتزت^٧ نهودٌ في قدودٍ فقلْ للحلمِ قد ذهب الوقارُ

١ الزير : الكتان (وهو أيضاً أحد أوتار العود)

٢ زهر الآداب : يحيل : الشريشي : يحار .

٣ الشريشي :

فطرت إليكم يا أهل ودي بقلب من هواكم مستطار

٤ المسالك : ٣٠٥ والشريشي : ٤ : ٣١

٥ الشريشي : وطنية

٦ ورد البيتان في المسالك : ٣٠٥

٧ المسالك : هزت .

فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

وابتات جملة من شعره^١

كان مشتهر الاحسان ، ذربَ اللسان ، محلىً بينه وبين ضروب البيان ، يدل شعره [على] فوزِ القِدْح ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعربُ عن مكانه من العلوم ، إعراب الدمع^٢ عن سرِّ الهوى المكتوم .

جملة من شعره في أوصاف شتى

المدح وما يتصل به من النسيب

له من قصيدة أولها^٣ :

فؤادي الفداء لها من قُبِّ طوافٍ على الآلِ مثلَ الحبِّ

يقول فيها :

كَأَنَّ [على] الجَوْ فضفاضةً مساميرها فضةٌ أو ذهب
كَأَنَّ كواكبَهُ أَعْيُنُ تُراعي سنا الفجر أو ترتقب
فلما بدا طَفِقَتْ هَيَّيَّةٌ تُسْتَرُّ أحداقَهَا بالهدب
وشَقَّتْ غلائلَ ضوءِ الصَّبَاحِ فلا هُوَ بادٍ ولا محتجب

ومنها :

أبا قاسمٍ حُزَّتْ صَفْوُ الكلامِ وغادرتَ ما بعده للعرب
وليس كلامُكَ إِلَّا النجومَ علوتَ فنأثرتَها من كتب

١ كان على صلة بالوزير المغربي ، وله فيه مديح ، وقد استخدمه حسان بن مفرج (الذي نار على الفاطميين بتحريض الوزير المغربي) رسولاً إلى عرب بني قرة ببرقة لتحريضهم على الثورة ، فقبض عليه في مصر وسجن ثم قتل سنة ٤١٦ ؛ ترجمته في تنمة اليتيمة ١ : ٣٧ وابن خلكان ٣ : ٣٧٨ (وهو ينقل عن الذخيرة) وغير الذهبي ٣ : ١٢٢ والشذرات ٣ : ٢٠٤ ورملة الجنان ٣ : ٢٩ وقد وصف ابن خلكان ديوانه بأنه صغير وأن أكثره نخب .

٢ ص : الربيع ٣ ديوان التهامي : ١٥ - ٢٠

رَأَيْتَ الْفَصَاحَةَ حَيْثُ النَّدَى وَهَلْ يَنْظُمُ الرُّوْضَ إِلَّا السَّحْبُ
وَقَدْ شَرُفَ الْغَيْثُ إِذْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنَانِكَ أَدْنَى نَسَبِ
ومنها في صفة القلم :

وَأَرْعَنَ أَخْرَسَ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحَى يَلْقَى النُّجُومَ بِأَمْثَالِهَا
إِذَا وَاجَهَ الشَّمْسَ رَدَّ الشَّعَاعَ مِنْ الْبَيْضِ مِنْ فَوْقِهَا وَالْيَلْبِ
ثَبَّتَ بِأَرْقَشَ ذِي زِينَةٍ^٢ وَاعْتَرَضَ الرِّيحَ سَدَّ الْمُهَبِ
إِذَا مَا جَعَلَتْ لَهُ لَهْذَمًا تُجَلَّى الْخُطُوبُ بِهِ وَالْخُطْبُ [١٥٣]
وَطَالَتْ بِهِ مَفْخَرًا أَنَهَا مِنْ النَّفْسِ طَالَ الرِّمَاحِ السُّلْبُ
تَقَلَّمَ أَقْلَامُكَ الْحَادِثَاتِ وَإِيَّاهُ فِي الْأَصْلِ بَعْضُ الْقَصَبِ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى^٤ :

وَكَيْفَ لَا تُدْرِكُهُ نَشْوَةٌ وَاللَّحْظُ رَاحُ وَجْنَى الرِّيقِ رَاحُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْقُهُ خَمْرَةً لَمَا تَنَشَّى عَطْفَهُ وَهُوَ صَاحُ
يَسْمُ عَنْ ذِي أَشْرِ مِثْلًا يَلْتَقِطُ الظَّبْيُ بِفِيهِ الْأَفَاحُ
أَفْلَتَهُ مِنْي وَقَدْ صَدَّتْهُ بَرْقَدَةٌ صَوْتُ مَنَادِي الْفَلَاحِ
فَنَحْنُ فِي نَوْمٍ وَفِي يَقْظَةٍ بَيْنَ دَنُوٍ مِنْهُمْ وَانْتِزَاحِ
وَمَوْقِفٍ لَوْلَا التَّقَى لَا لَتَقَى فِيهِ نَجَادِي وَنِظَامُ الْوَشَاحِ
ومنها :

وَجَهْلٍ مُشْتَبِهٍ طُرُقُهُ كَأَنَّمَا هُنَّ خُطُوطُ قُرَاحِ

١ الديوان : وان واجه الريح .

٢ الديوان : ريفة .

٣ الديوان : قسراً .

٤ ديوان التهامي : ٢٢

وهذا تشبيهه مخترع ، ومعنى مبتدع .

كأنما أشباحُ أنضائنا قسيُّ نبعٍ وكأننا قداح
حتى اجتلينا بعدَ طولِ السرى بغيرِ الكاملِ وجهَ الصباح
فقال لي صحتي أبدُرُ الدجى فقلتُ لا بل هو بدرُ السباح
يُنبيكَ عن سُودده بِشرُهُ مخايلُ السُودِ خُرسُ فصاح
واصطلح الناسُ على فضلهِ واختلفوا بعدُ فليس اصطلاح
ومنها :

إن لمسَ الطُرسَ بأطرافِها فاضَ نوالاً وبياناً وساح
وشقَّ من لؤلؤهِ أفخرَ اللؤلؤِ هنَ الكلمات الفصاح^١
وهذه القصيدة مدح بها أبا القاسم بن المغربي المتقدم الذكر .
وله من أخرى^٢ :

لو جادهنَّ غداةَ رُمنَ رواحا غيثُ كدمعي ما أرذنَ براحا
ماتت لفقْدِ الظاعنين ديارَهُم فكأنَّهُم كانوا بها أرواحا
وهذا كقول ابن الرومي وقد تقدم^٣ :

فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنَّهُ له جَسَدُ إن بانَ غودِرَ هالكا
متوارثي مرضِ الجفونِ وإنما مرضُ الجفونِ بأن يكنَّ صحاحا
من كانَ يكلفُ بالأهله فليزرُ وَلَدِي هلالِ زغبة ورياحا
لا عيبَ فيهم غيرُ شحِّ نسايتِهِ ومن السباحةِ أن يكنَّ شحاحا

١ الدوان : السما

٢ في الدوان :

لؤلؤ هن الكلمات الفصاح

وسمى من لؤلؤه أبجرا

٣ دوان الهامي : ١٠

٤ لم يرد اليك نفسه فما تعدد . وإنما ورد بنان اخوان من قصيدة ابن الرومي هذه في ١ : ٢٠٨

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةٌ

ومنها في المدح :

يرمى الكتيبةً بالكتابِ إليهمُ
من نِقْسِهِ دُهِمًا وَمِنْ مِيَاتِهِ
سَاسَتْ أَقَالِيمَ الْوَرَى أَقْلَامُهُ

وله من أخرى^١ :

بعثتُ إليك بطيفها تعليلاً
فأتاك وَهْنًا وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْكَوَاكِبَ خَلَّتْهَا
أَهْدَتْ لَنَا مِنْ خَدَّهَا وَرُضَايَا
وَرَدًّا إِذَا مَا شَمَّ زَادَ غَضَاظَةً
وَجَلَّتْ لَنَا بَرْدًا يُشْهِي بَرْدُهُ
بَرْدًا يَذِيبُ وَلَا يَذُوبُ فَكَلَّمَا

وهذه كقول ابن الرومي ، وقد تقدم^٢ :

ريقُ إِذَا مَا ازْدَدْتُ مِنْ شَرِّهِ

ومنها في ذكر القلم :

يلقي العدا من كُتْبِهِ بكتائبٍ
فترى الصحيفةَ حَلْبَةً وَجِيَادَهَا
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ أَتَمُّ مِنَ الْقَنَا

وَهْنًا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا
وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رَمَاحًا

فيرونَ أَحْرَفُهُ الْخَمِيسَ كَفَاحًا
زَرَدًا وَمِنْ أَلْفَاتِهِ أَرْمَاحًا
فَأَجَمَّ أَطْرَافَ الْقَنَا وَأَرَاخًا

وخضابُ ليلِكَ قد أراد نصولا
نَظَّمَ النجومَ لرأسِهِ إكْلِيلًا
زَهْرًا تَفْتَحُ أَوْ عَيُونًا حَوْلًا
[ورداً] تَحِينَا بِهِ وَشَمُولًا
ولو أَنَّهُ كَالْوَرْدِ زَادَ ذُبُولًا
نَفْسَ الْحَصُورِ الْعَابِدِ التَّقْبِيلًا
شَرِبَ الْمُتَيْمُّ مِنْهُ زَادَ غَلِيلًا

رياً ثناني الريُّ ظمّانا

يَحْزُرْنَ مِنْ زَرَدِ الْحُرُوبِ ذُبُولًا
أَقْلَامُهُ وَصَرِيرُهُنَّ صَهِيلًا
طَوَلَا وَهْنٌ أَتَمُّ مِنْهُ طَوَلَا

١ ديوان التهامي : ٢٩

٢ الذخيرة ١ : ٣٦٣

قلم يقلّم ظُفَرَ كلِّ مُلَمَّةٍ ويردُّ حدَّ شَبَاتِهَا مفلولا
ومنها :

يدعو النبيّ من الجدود وحيدراً ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ
نسبُ ترى عنوانه في وجهه لا شبهة فيه ولا تأويلا
ومن أخرى^١ :

وأراد الخيالُ لثمي فصيّرتُ لثامي دون المراففِ سترأ
أصرفي الكأسَ من رضابك عني حاشَ لله أن أرشَفَ خمرأ
ولو أن الرضابَ غيرُ مدامٍ لم تكوني في حالة الصحو سكرأ
[ومنها في ذكر القلم] :

وإذا راش بالأناملِ منه قلمأ واستمدَّ ساءَ وسراً
قلمأ دبَّرَ الأقاليمَ حتى قال فيه أهلُ التناسخِ إمراً
يتبعُ الرمحُ أمره إنَّ عشرين ذراعاً بالرأي تخدمُ شبرا
ومن شعره مما يتعلق بأوصافِ طيفِ الخيال ، وله أغراضُ غريبة ، وألفاظ
عجيبة ، قال^٢ :

عَبَسَنَ من شَعْرِ في الرأسِ مبسمِ ما نَفَرَ البِيضُ مثلُ البِيضِ في اللممِ
فقبلتني توديعاً فقلتُ لها كَفَي فليس ارتشافُ الخمرِ من شيمي / [١٥٤]
لو لم يكن ريقُها خمرأ لما انتظقتُ بلؤلؤٍ من حبابِ الثغرِ منتظمِ
ولو تيقنْتُ غيرَ الراحِ في فمها ما كنتُ ممن يصد اللثم بالثممِ
وزاد ريقُها بردأ تحدرُها على حصي بردٍ مِنْ ثغرها شممِ

١ ديوان التهامي : ٣٦

٢ ديوانه : ٦ وهي في مدح الأمير نصر الدولة بن مروان الكردي .

ومعنى البيت الثاني من هذه كقول أبي الحسن الرضّي^١ :

وقبلته فوق اللثام فقال لي هيَ الخمر إلا أنها بفدام
وتشبيه أرياق الملاح بالراح أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يتقصّى ، ولكن
التهامي ولد معنىً حسناً ، وجزّ هاهنا للبلاغة رسناً ، بقوله : « لو لم يكن ريقها
خمرأ .. » البيت .

وفيه يقول :

إنني لأطرفُ طرفي عن محاسنها تَكْرُماً وأكفُ الكفَّ عن أمم
ولا أهمّ ولي نفسُ تنازعني أستغفرُ الله إلا ساعةَ الحلم
ومعنى هذا البيت حسن ، ولكن أبا الطيب كان أملكَ لشهوته ، وأعفَّ في حينِ
خَلْوَتِهِ ، حيث يقول^٢ :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
ألا تسمعُ كيف عَفَّ في الكرى ، وأتى من حُسْنِ اللفظ وبراعةِ القسمة بما
ترى ؟ وقد أثبت في أخبار ابن الأبار^٣ ، في هذا المعنى عدة أشعار .
وقال التهامي^٤ :

أهدى لنا طيفُها نجداً وساكنه حتى اقتنصنا طباءَ البدو والحضرِ
فباتَ يجلولنا من وجهها قمراً من البراقع لولا كُلفَةُ القمر
وراعها حرُّ أنفاسي فقلتُ لها هوأيَ نارُ وأنفاسي من الشرر
وزاد دُرَّ الشيا دُرَّ أدمعِها فالتفَّ منتظماً منه بمنتشر
فما نكرنا من الطيفِ الملمِّ بنا ممن هويناه إلا قلةَ الخفرِ

١ لم أجده في ديوان الرضّي .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٠ والذخيرة ٢ : ١٤٠

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ١٣٥ - ١٤٤

٤ ديوان التهامي : ٤١ .

فسرتُ أعشُرُ في ذيلِ الدجى وهماً
وللمجرة فوق الأرضِ مُعْتَرَضُ
وللثريا رقودُ فوق أرحلنا
كأنَّ أنْجُمَهُ والصبحُ يُغمضها
فروغَ السَّربِ لما ابتلَّ أكرعه
ولو قَدَرْنَ وثوبُ الليلِ منخرقُ
ومنها :

لو لم يكن أقحواناً تغرُّ مبسمها
يا رَبِّ معنىً بعيدِ الشأو أسلكهُ
لفظاً يكونُ لعقد القولِ واسطةً
إن الكتابة سارتُ نحو أئملهِ
تردّ أقلامهُ الأرماع صاغرةً
وفي كتابك فاعذر مَنْ يهيمُ به
الطرسُ كالوجه والنوناتُ دائرةً
وله من أخرى^١ :

قولا له هل دار في حوْبائِهِ
ريمُ إذا رفع الستائرَ بيننا
نمُّ الضياءِ عليه في غَسَقِ الدجى
أهدى لنا في النومِ نجداً كلَّهُ
وسفرن في جنح الدجى فتشابهتْ

والجو روضُ ورُهِرُ الليل كالزَّهرِ
كأنها حبِّبُ تطفو على نهر
كأنها قطعةً من فروة النمر
قسراً عيونُ غَفَّتْ من شدة السهر
في جدولٍ من خليج الفجر منفجر
بالصبح رَقَعَهُ منهنَّ بالشعر

ما كان يزدادُ طيباً ساعة السحر
في سِيلِكِ لفظٍ قريبِ الفهم مختصر
ما بين منزلة الإسهاب والخصر
والجودَ فالتقيا فيه على قدر
عكساً كعكسِ شعاعِ الشمس للبصر
من المحاسنِ ما في أحسن الصور
مثلُ الحواجبِ والسينات كالطُرُرِ

أن القلوبَ تحومُ حولَ خبائِهِ
أعشاني اللألاءُ قبل^٢ روائهِ
حتى كأنَّ الحسنَ من رقبائهِ
يبدوره وغصونهِ وظبائهِ
في الليل أنجمُ أرضِهِ وسبائهِ

١ ديوان التهامي : ٨٨ وقد مرَّ منها بيان نسبنا إلى الشاعر عبد الوهاب المالكي (ص ٥٢٤)
٢ الديوان : دون .

وجلا جيناً واضحاً كالبدر في
حتى اذا حطّ الصباحُ لثامه
حيّاً بكأسِ رضابه فرددتها
قلبي فداؤك وهو قلبٌ لم تزل
جاورتُهُ شرَّ الجوارِ وزرتهُ
حرقَ سوى قلبي ودَّعه فاني
تكويره وبعاده وضيائه
ومضى الظلامُ يجرُّ فضلَ ردائه
نفسى فداءً رضابه وإبائه
تذكي شهابَ الشوقِ في أثائه
لما حللتَ فناءه بفنائه
أخشى عليك وأنت في سودائه

ومعنى هذا البيت مشهور، وقد أجرينا منه طلقاً فيما تقدم .

ومن مراثيه قصيدته التي أولها :

حُكْمُ المنيّةِ في البرية جارٍ ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
يقول فيها :

إنّي وتُرتُ بصارمٍ ذي رونقٍ
يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره
وهلالَ أيامٍ مضى لم يستدِرْ
عجلَ الخسوفُ عليه قبل أوّنه
واسْتُلَّ من أترابه ولداته
فكانَ قلبي قبره وكأنّه
أشكو بعادك لي وأنت بموضعٍ
والشرقُ نحو الغربِ أقربُ شقّةً
أعدّته لطلابة الأوتار
وكذاك عمرُ كواكبِ الأسفار
بدرًا ولم يُهَلْ لوقتِ سرار
فمحاها قبل مَظَنّةِ الإبدار
كالقلمة استلت من الأشفار
في طيه سرٌّ من الأسرار
لولا الردى لسمعت فيه سراري
من بُعدِ تلك الخمسة الأشبار [١٥٥]

ومنها :

قَصُرْتُ جفوني أم تباعدَ بينها
لو كنت تُمنعُ خاضَ دونك فتية
أم صوّرتُ عيناً بلا أشفار
منا بحارَ عواملٍ وشفار

فَدَحَوْا فُؤَيْقَ الْأَرْضِ أَرْضاً مِنْ دَمٍ ثَمِ انْتَبَهَوْا فَبَنَوْا سَمَاءَ غِبَارٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرَوَعَ حَسَبَتْهُمْ سُحُباً مُزَّرَّةً عَلَى أَقْبَادِ
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الشَّنْتَرِيْنِي قَوْلَهُ فِي صِفَةِ الْإِكْوَاسِ :

كَأَنَّهَا وَشِعَاعُ الشَّمْسِ دَاخِلُهَا قُمْصٌ مِنَ الْمَاءِ قَدْ زُرْتُ عَلَى لَهَبِ
وَتَرَى سَيْوْفَ الدَّارَعَيْنِ كَأَنَّهَا خُلِجٌ تَمَدُّ بِهَا أَكْفُ بَحَارِ
لَوْ أَشْرَعُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ طَوْلِهَا طَعَنُوا بِهَا عَرْضَ الْقَنَا الْخَطَّارِ
وَكَأَنَّمَا مَلَأُوا عِيَابَ دُرُوعِهِمْ وَغَمُودَ أَنْصُلِهِمْ سَرَابَ قِفَارِ
فَتَدْرَعُوا بِمَتُونِ مَاءٍ جَامِدٍ وَتَقْنَعُوا بِحَبَابِ مَاءٍ جَارِ
يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وَجُوهِهِمْ كَتَرِيزِ الْهَالَاتِ بِالْأَقْمَارِ
مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الْقَنَا أَنْصَارُهُ وَكَرُمَنْ فَاسْتَغْنَى عَنِ الْأَنْصَارِ
وَاللَيْثُ إِنْ سَاوَرَتْهُ^١ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
وَإِذَا هُوَ اعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسْبَتْهَا صِلَاً تَأْبَطُهُ هَزْبُرُ ضَارِ
شَابَ الْقَذَالُ وَكُلُّ غَصْنٍ صَائِرٌ فِينَاؤُهُ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ
وَتَلْهُبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرَقِي هَذَا الشِّعَاعُ^٢ شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ
وَمِنْ أُخْرَى^٣ :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أُمُ خَانَسِي صَبْرِي فَخِيلَ لِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَسْرِي
يَقُولُ فِيهَا :

وَلَا حُزْنَ إِلَّا يَوْمَ فَارَقْتُ شَخْصَهُ وَرَحْتُ بِيَعُضِ النَّفْسِ وَالْبَعْضُ فِي الْقَبْرِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَادِثَاتِ بِمِرْصِدِ لَتَأْخُذَ كُلِّي مِثْلَ مَا أَخَذَتْ شَطْرِي
أَحِينَ نَضَا ثَوْبَ الطُّفُولَةِ نَاسِلًا كَمَا نَسَلَ الرِّيشُ اللَّوْأَمُ عَنِ النَّسْرِ

١ الديوان : الظبا . ٣ الديوان : الضياء .

٢ الديوان : بارزته . ٤ ديوان النهامي : ٧٧

وخلى رضاعَ الشدي مستبدلاً به
وَأَلْقَى تَمِيَّاتِ الصَّبَا وتبشرت
وقامت عليه للعلاء شواهدُ
طواه الردى طيَّ الرداء فأصبحتُ
وقالوا سَيْسُلِيهِ التَّاسِي بغيره
ومنها :

بضربٍ يطيرُ البيضُ من حرٍّ وَقَعِهِ
ولما تُصَفِّ في نصرَةٍ الله طعنةً
فلا تسألوني عنه صبراً فانتني
وإلا تكنُ قلبي فانك بَعْضُهُ
شعاعاً كما طار الشرارُ عن الجمر
إلى ضربة كالتبر فوق شفا نهر
دفنتُ به قلبي وفي طيه صبري
قددتكما قَدْ الهلال من البدر

قوله : « أحيان نضا ثوب الطفولة .. » كقول المعري^١ :
ترى أعطافها ترمي حمياً كأجنحة البُرَاقِ رَمَتْ نُسَالَا

وقوله : « كما استشهد العضب السريجي بالأثر » كقوله أيضاً^٢ :

* كالسيف دلَّ على التأثيرِ بالأثر *

وقوله : « كالتبر فوق شفا نهر » معناه مشهور ، إلا أن التهامي لم يُتهم فيه
ولا أُنْجِدَ ، ولا اضطلع بأعباء ما تقلد ، ولا قام ولا قعد ، وأعلق منه بنسبه الذي
يقول :

* عليهنَّ من وَقَعَ السيوفِ حواجبُ *

وقال آخر :

* فنضربهم شكلاً ونطعنهم نَقْطَا *

١ شروح السقط : ٤٧

٢ شروح السقط : ١٣٩ وصدر البيت : يبين بالبشر عن إحسان مصطنع .

وقال آخر ، وإن كان في اللفظ] وكان بين أجزاء البيت تباعد :
 طعنُ كما فَهَقَ الغديرُ يؤمُّه ضربُ كحاشية الرداءِ طويلُ
 وهذا كثيرٌ وهو من متداولاتِ المعاني ، ومنه قول أبي العشائر الحمداني^١ :
 أأخا الفوارسِ لو شهدتَ موافقي والخيل من تحت الفوارسِ تَنحِطُ
 لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تُشكِلُ والأسِنَّةُ تنقطُ
 وكان أبو الطيب يستحسنه له على قلة رضاه ، بقول سواه .

ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة

قال من قصيدة^٢ :

تحوَّل الدهرُ أحوالي وبدلني	داراً بدارٍ وجيراناً بجيرانٍ
وربَّ أمرٍ رمتني الحادثاتُ به	أرنبو إليه وحالي فيه حالان
إذا نظرتُ بعين الهزل أضحكتني	وإن نظرتُ بعين الجدِّ أبكاني
يظلم الكريمُ فلا يُسقى وقد ظفرتُ	كفُّ اللئيمِ بسيحانٍ وجيحان
تأملِ القَدَرَ المحتومَ وارضَ به	فانما وَرَنَ الدنيا بميزان
فظلَّ يزدادُ فيها كلُّ منتقص	علاً ويهبطُ منها كلُّ رجحان
كم من رجالٍ إلى الأديان قد نصبوا	وربما صيدتِ الدنيا بأديان
كم عُمِّرتُ بالحناءِ خالي منازلهم	عمارةَ الكتبِ من فقهه وقرآن
وباقلُ الخطِّ سحبانُ المقالِ فهل	كباقلٍ في تشاه أو كسحبان
تراه مجفؤً نادٍ مستضامٍ يدٍ	مستخبلاً وهو في أثواب لقمان [١٥٦]
ما ذُبُّهُ غيرُ نفسٍ لا تساعده	على لباسٍ رياء غير صَوَّان

١ البيتة ١ : ١٠٤

٢ لم ترد في ديوان النهامي .

قوله : « ويهبط منها كلُّ رجحان » ، كقول ابن الرومي^١ :
 قالت علا الناسُ إلا أنتَ قلتَ لها كذاك يسفلُ في الميزانِ ما رجحا
 وذكرت بذكره باقلاً وسحبانَ ، قولَ أحمد بن سليمان^٢ :
 إذا وصف الطائيَّ بالبخلِ مَادِرُ وعيرٌ قَساً بالفهاهةِ باقِلُ
 وقال السُّهْما للشمسِ أنتَ خَفِيَّةُ وقال الدجى للصبح لوئكَ حائلُ
 فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذَمِيمَةٌ ويا نفسُ جِدِّي إن دهرَكَ هازلُ
 وقوله : « يظلم الكريم فما يسقى .. » البيت ، معنىً قد طوي ونشر ، وعرف
 حتى أنكر ، ومنه قول بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبد الغفور ، من
 شعر اندرج له في رسالة خاطب بها بعضَ أهلِ وقتهِ^٣ :

وأَصْرَفُ عَنِ وِرْدٍ وقد غمر الندى خفيفَ عذارٍ والهَبْنَقَةَ الألقى
 ومن عجبٍ أن يُقْطَعَا كلُّ نُحْجَةٍ وأمنعَ لِلْقُرْصِ الذي قاتني ملحا

وقال التهامي^٤ :

ألا قاتلَ الله الحمامَ فانها بكتُ فَشَجْتُ قلباً طروباً إلى هندِ
 وما ذكره هنداً وقد حال دونها قنا الخطُّ أو بيضُ رقاقٍ من الهندِ
 وأسدُّ على جُرْدٍ من الخيلِ ضُمُرٌ وهيهات من تحميه أُسْدٌ على جردِ
 وبيداءٌ^٥ تكبو دون إيرادها القطا ويوهي السرى فيها قوى الحازمِ^٦ الجلدِ

١ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ وقد مرَّ في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٠

٢ يعني أبا العلاء المعري ، انظر نروح سفت الزند : ٥٣٣ - ٥٣٨

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٣٦٦

٤ في الأصل : عمر الربا .

٥ في الأصل : لجة .

٦ ديوان التهامي : ٢٠٢

٧ الديوان : ويهائم

٨ الديوان : الضيفم

مطوحة لولا الدارايُّ ما درى دليلُ بها كيف السبيلُ إلى الرشدِ
سباريتُ ما فيهنَّ زادُ لراكِبٍ سوى ما حوتُ فيها الأداحيُّ من رُبْدِ
كيهماءَ كلفتُ المطيَّ اعتسافها إلى الحَسَبِ الزاكي إلى الكرمِ العِدِّ
إلى الأسدِ الضرغام في حَوْمَةِ الوغى إذا احمرَّ في غاب القنا حَدَقُ الأسدِ
من [الأجايين] الذين جياذهمُ بأحشاءٍ^٢ من عاداهمُ أبداً تَرْدِي
نجومُ بني قحطانَ في طَخِيَةِ الدجى إلى عَدَدِ عِدِّ وألسنةٍ لُدِّ
وقال^٣ :

بين كريمين مجلسٌ واسعٌ والودُّ حالٌ تقربُ الشاسعِ
والبيتُ إن ضاق عن ثمانيةٍ متَّسعٌ بالودادِ للتاسعِ

فصل في ذكر مهيار الديلمي

وذكر جملة من شعره ، مع ما يتعلق بذكره

كان شاعرَ العراق وَقْتَهُ لا يُدَافِعُ ، ولسانَ تلكَ الآفاقِ لا يَنازِعُ ، سيلُ
أصبحت منه المذانبُ تلاعا مِثْثاً ، وبدرُ تجلَّتْ به الغياهبُ قديماً وحديثاً ، أحد من
خُلِّيَ بينه وبين الميدانِ هنالك فَجَرى وَحَدَه ، وسبق من قبله إلى غايةِ الاحسانِ فما
ظَنُّكَ بمن بعده ، وقد أخرجتُ من شعره ما يعلُّ الرفاقَ ذكراه ، ويملأ الآفاقَ سنأوه
وسناه .

١ الديوان : القصد

٢ الديوان : بأحياء .

٣ لم يرد البيتان في ديوانه .

٤ هو أبو الحسين (أو أبو الحسن) مهيار بن برزويه ، كان مجوسياً وأسلم - فيما يقال - على يد الشريف الرضي ، سنة
٣٩٤ هـ ، اقرأ ديوان شعره بجامع المنصور ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٤٢٨ : انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦
والمنتظم ٨ : ٩٤ ودمية القصر ١ : ٢٨٤ وابن الانير ٩ : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٧ وابن
كثير ١٢ : ٧٦ والنسدرات ٣ : ٢٤٢ والنجم الزاهرة ٥ : ٢٦ ، ويقع ديوانه في أربعة أجزاء (ط . دار الكتب
المصرية : ١٩٢٥ - ١٩٣١) .

جملة من شعره في اوصاف مختلفة

قال من قصيدة^١ :

مَنْ عَذِيرِي يَوْمَ شَرْقِيٍّ الْحَمَى مِنْ هَوًى جَدًّا بِقَلْبِي^٢ مَزْحَا
نَظْرَةَ عَارَتْ فَعَادَتْ حَسْرَةً قَتَلَ الرَامِي بِهَا مَنْ جَرَحَا
لَا تُعْذِرُ إِنْ عَدَتْ حَيًّا بَعْدَهَا طَارِحًا عَيْنِكَ فِيهَا^٣ مَطْرَحَا
فَدَ تَذَوَّقْتُ الْهَوَى مِنْ قَبْلِهَا وَأَرَى مُعْذِبَهُ قَدْ أَمْلَحَا
سَلُّ طَرِيقَ الْعَيْسِ مِنْ وَادِي الْغُضَا كَيْفَ أُغْسِفْتُ^٤ لَنَا رَأْدَ الضَّحَى
لَا لِشَيْءٍ غَيْرِ مَا جِيرَانِنَا خَلَفُوا نَجْدًا^٥ وَحَلُّوا الْأَبْطَحَا
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ الْحَمَى^٦ شَدَّ مَا هَجَتْ الْجَوَى وَالْبَرْحَا
يَا نَدَامَايَ بِسَلْعٍ هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْمَغْبِقَ^٧ وَالْمُصْطَبَحَا
أَذْكُرُنَا ذِكْرَنَا عَهْدُكُمْ رَبِّ ذَكَرَى قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا
وَارْحَمُوا^٨ صَبًّا إِذَا غَنَّى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدَحَا
رَجَعَ الْعَاذِلُ عَنِّي آيَسًا مِنْ فَوَادِي فِيكُمْ أَنْ يَفْلَحَا
لَوْ دَرَى ، لَأَحْمَلْتُ نَاجِيَةً رَحْلَهُ ، فِي مَنْ لِحَانِي مَالِحَا
[قَدْ شَرِبْتُ الصَّبْرَ عَنْكُمْ مَكْرَهًا وَتَبِعْتُ السَّقَمَ فِيكُمْ مُسْمِحًا]^٩
وَعَرَفْتُ الْهَمَّ مِنْ بَعْدِكُمْ فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا

١ ديوان مهباز : ٢٠٢ وقد نظمها سنة ٤١٤

٢ في الأصل : بقلبي .

٣ الديوان : فينا

٤ كذلك هي في أصل الديوان ، وجعلها المحقق : « أغسفت » .

٥ الديوان : ألشيء .

٦ الديوان : نفصوا نجدًا

٧ الديوان : من كاظمة .

٨ الديوان : واذكروا .

٩ زيادة من الديوان لاتصال السياق .

ما سمعتم^١ في السرى من قبلهم بآبن ليلٍ ساءهُ أن يصبحها
أراه قلب المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

صَوَّحْتُ رِيحَانَةَ الْعَيْشِ بِهِ فَمَنْ الرَاعِي نَبَاتاً صَوَّحَا
انْكَرْتُ تَبْدِيلَ أَحْوَالِي وَمَنْ صَحَبَ الدُّنْيَا عَلَى مَا اقْتَرَحَا
شَدَّ مَا مَنَى غُرُوراً نَفْسَهُ تَاجِرُ الْآدَابِ^٢ فِي أَنْ يَرِبِحَا
وَالْمَنَى وَالظَّنُّ بَابٌ أَبَدًا تَغْلُقُ الْأَيْدِي إِذَا مَا فَتَحَا
قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ خُبْرِي شَيْمِي بِخِلَاءٍ وَتَسَمَّوْا سَمَحَا
وَتَوَلَّجْتُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ^٣ دَاخِلًا بَيْنَ عَصَاهَا وَاللِّحَا
يَشْتَهُونَ الْمَالَ أَنْ يَبْقَى لَهُمْ فَلِمَاذَا يَشْتَهُونَ الْمِدْحَا
وهذا كقول الآخر^٤ :

أَبُو حَسَنِ يَشْهَى الْمَدِيحَ وَيَعْجُزُ عَنْ صَلَةِ الْمَادِحِ
كَبَكْرٍ شَهَى لَذِيذَ النِّكَاحِ وَتَفَرَّقُ مِنْ صَوْلَةِ النَّاكِحِ [١٥٧]
رجع :

مَا تَبَالَى مَا قَضَتْ حَاجَاتِهَا مَا دَمِيَ مِنْ خُفِّهَا أَوْ قَرِحَا
عَوَدَ الْبَدْرُ وَقَدْ قَابِلَهُ غَرَّةً مَاتَ بِهَا مُسْتَصْبِحَا
وَرَأَاهُ الْبَحْرُ أَوْفَى جَمَّةً مِنْهُ بِالنَّائِلِ لَمَّا طَفَحَا
أَنْتُمْ اسْتَنْزَلْتُمْ عَنْهَا يَدِي بَعْدَ مَا ظَنَّ بِهَا لَنْ تَسْمَحَا^٥
وقال^٦ :

١ الديوان : سمعنا .

٢ في الأصل : الأحباب

٣ في الأصل : أعلاهم .

٤ الشعر في أمالي القاضي ٣ : ١٢٧ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٩٠ ونسب فيه لابن هرمة وكذلك في المختار : ٢٩٠
وحاسة ابن السجري : ٢٦٩ وانظر ديوان ابن هرمة (جمع المعبيد) : ٢٦٣ - ٢٦٤ وفيه تخرجات كثيرة .

٥ الديوان : بعدما عز بها أن أسما .

٦ ديوان مهيار ٣ : ٣٢٧

بكر الوابل^١ تحدوه الثعامي
 وقشّت فيك أرواح الصبا
 وإذا مغنى خلا من زائر
 ففضى عهد^٢ الهوى أن تصبحي
 أجتدي المزن وماذا أربي
 وقليل قيل أن أدعو لها
 أين سكائك لا أين هم
 صدعو^٣ بعد التمام فعدت
 وتلقوا كل حيران بليد
 يا لؤاة الدين عن ميسرة
 فسقالك الري يا دار أماما
 يتأرجن بأنفاس الخزامي
 بعد ما فارق أو زير لماما
 للمحبين مناخاً ومقاما
 أن يجود المزن أطلالاً رماما
 لا يراني الله أستجدي الغماما
 أحجازاً يموها أم شاما
 بهم أيدي المرامي تترامي
 يسأل الجندل عنهم والرغاما
 والضنينات وما كن لثاما

والمصراع الأول من هذا البيت كقول أبي الفرج الوأء^٤ :
 يطل كل العباد ديتهم وهو ملي بذلك الدين

ومنها :

قد وقفنا بعدكم في ربكم
 سعد الراكب تحت [به]
 تطأ العسف فتدمي خفها
 تنزرى أنفاً في خلقها
 وقضينا استلاماً والتشا
 جسة تحبط وهذا وإكاما
 جهات الأرض شجاً ولطاما
 أن تطيع السوط أو ترضى الزماما

١ الديوان : العارض .

٢ الديوان : حفظ

٣ في الأصل : صدعت

٤ ديوان الوأء : ٢٢١ .

٥ في الأصل : تتبرا .

وبجرعاء الحمى قلبي فعُج
وترجل فتحدث عَجَباً
قل لجيران الغضا آه على
نصل العام وما نساكم
حملوا ريح الصبا نشركم
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى
وقف الظامي على أبوابكم
ما يبالي من سقبتن لمي
واعجبوا من أن يرى الظلم^١ حلالاً
أشتكيكم وإلى من أشتكي
أنتم والدهر سيف وفم
كلما عاتبت في حظي دهري
وإذا استصحت خلا فكأنني
لمت أيامي على الغدر فقد
ولزمت الصمت لا أشكوهم^٢
دفع الله وحامي عن أنا[س]^٣
كان دهري هرماً قبلهم

بالحمى واقراً على قلبي السلام
أن قلباً سار عن جسم أقاما
طيب عيش بالغضا لو كان داما
وقصارى الوجد أن نسلخ^٤ عاما
قبل أن تحمل شيحاً أو ثاماً
إن أردتم^٥ لجفوني أن تنام
أفيضي^٦ وهو لم يقض أواما
منعكن الماء عذباً والمداما
شارب وهو يرى الخمر حراماً
شمّل الداء فمن يُيري^٧ السقاما
لا يملّان ضراباً وكلاماً
زادني العتب لجأاً وعُراماً
منه جردت على حتفي حساماً
زادت الإجرام حتى لا ملأما
بعد أن أفنيت في العذل الكلاما
مذرعوني لم يضعوا لي سواماً
فأعادوه بما أبدوا غلاماً^٨

١ في الأصل : يصلح .

٢ الديوان : أذنتم .

٣ في الأصل : فتفضي .

٤ في الأصل : القتل : والظلم : ماء الاسنان .

٥ الديوان : أنتم الداء فمن يتنفي .

٦ الديوان : رجال

٧ سقط هذا البيت من الديوان .

كَفَّنِي جودَهُمْ أَنْ أَجْتَدِي وَأَبَى عَزْهُمُ لِي أَنْ أَضَامَا
وقال من أخرى^١ :

لَا عِدَاكِ الْغَيْثُ يَا دَارَ الْوَصَالِ كُلُّ مُنَحَلٍّ الْعَرَى وَاهِي الْعَزَالِي
ومنها :

وَالْغَوَانِي آزَفَاتُ لَفْمِي وَيَدِي مَرْتَبَكَاتُ^٢ فِي حِبَالِ
كُلْ هَيْفَاءَ يَمِينِي طَوْقَهَا فَحْمَةُ اللَّيْلِ وَقِرْطَاهَا شِبَالِي
وقال^٣ :

أَتَرَاهَا يَوْمَ صَدَّتْ أَنْ أَرَاهَا عَلِمْتُ أَنِّي مِنْ قَتْلِي هَوَاهَا
أَمْ رَمَتْ جَاهِلَةً الْحَاظَهَا لَمْ تَمِزْ عَمْدَهَا[لِي] مِنْ خَطَاهَا
سَنَحْتُ بَيْنَ الْمَصْلَى وَمَنَى مَسْنَحَ الظَّيْبَةِ تَسْتَقْرِي طَلَاهَا
وقال^٤ :

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قِبَابَهُمْ يَتَقَارِعُونَ بِهَا عَلَى الضُّيْفَانِ
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَبُّ الْقَرَى حَطْباً عَلَى النَّيْرَانِ
وقال من قصيدة أولها^٥ :

دَعَوْهَا تَرْدُ بَعْدَ خَمْسٍ شُرُوعَا وَرَاخُوا عَلَائِقَهَا وَالنُّسُوعَا
وَلَا تَحْبَسُوا خُطْمَهَا أَنْ تَطُولَ الْحَيَاضَ وَأَيْدِيَهَا أَنْ تَبُوعَا
وَقُولُوا دَعَاءَ لَهَا لَا عُقْرَتٍ وَلَا امْتَدَّ دَهْرُكِ إِلَّا رُبْعَا

١ ديوان مهباز ٣ : ١٣٣

٢ الديوان : آذونات لفمي ... مرتسنات .

٣ ديوانه ٤ : ١٨٩

٤ ديوانه ٤ : ٥١

٥ ديوانه ٢ : ٢٢٢

فقد حَمَلْتُ ونَجَتْ أنفُساً
حَمَلْنَ نَشَاوَى بكأسِ الغرامِ
أَحَبُّوا فُرَادَى ولكنهم
حَمَوْا راحةَ النومِ أجفانهم
وباتوا بأيديهم يسندون
وفي الركب إن وصلوا للاحقين
من الراقصات بِحَبِّ القلوب
قصائدٍ لم يَصْطَفَيْنَ المِياهُ
إذا الحسبُ اعتَزَّ من خِندِفٍ
خَرَقْنَ نقوباً لنا في السجوفِ
فَقَمْتُ أناشدهنَّ العهودَ
كرائمَ جُبْنَ الأمانِي سريعا
كلُّ غدا لأخيه رضيعا
على صيحةِ البين ماتوا جميعا
وشدُّوا على الزفراتِ الضلوعا
فوقَ الرِّحالِ جُنُوباً وقوعا
عقائلُ يَشْفِين تلك الصدوعا
حتى يصيرَ الحليمُ الخليعا
ولم يحترشنَ اليرابيعَ جوعا
مَسَحْنَ ذَوَائِبَهُ والفروعا/ [١٥٨]
جعلن العيونَ عليها رفوعا
لو يستطعن الكلام الرجيعا

قوله : « خرقن نقوباً .. » البيت ، اهتممه من قول العتبي^٢ :

وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعن بي بَدَرْنَ فرَقَعْنَ الكوى بالمحاجرِ

وأخذ هذا المعنى أبو الشبل^٣ من شعراء الدولة العباسية فقال^٤ :

رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أَهْمَةً الْكَهْلِ
فَأَعْرَضْنَ وَقَدْ كُنَّ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّيْبِ

١ في الديوان : يصطبغن . وهو خطأ ؛ واصطفان المياه : اقتسامها لشح في الماء .

٢ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو ، شاعر بصري راوية ينسب الى جده عتبة بن أبي سفيان . وتوفي سنة ٢٢٨ (انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية مصادر ترجمته) والبيت ورد عند ابن خلكان ٤ : ٣٩٩ ومعجم

المرزباني : ٣٥٧ والأغاني ١٤ : ١٩٢

٣ أبو الشبل عاصم (أو عصيم) بن وهب له ترجمة في طبقات ابن المعتز : ٣٨٠ والأغاني ١٤ : ١٨٤ وكان حياً في أيام المتوكل . وكان كثير الغزل ماجناً .

٤ الأبيات في الأغاني ١٤ : ١٩١

تَسَاعَيْنَ فَرَقْنِ السُّكُوى بِالْأَعِينِ التَّجَلِ
ومن أناشيد المبرد^١ :

سَدَدَنْ خِصَاصَ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلْتُهُ بِكُلِّ [لَبَانٍ] وَاضِحٍ وَجِبِينَ
وقال مهيأ^٢ :

لَعَلَّهُمْ لَوْ وَقَفُوا أَبْلَ هَذَا الْمَدْنَفُ
يَا قَلْبُ هَلْ أَنْتَ مَعِي^٣ أَمْ مَعَهُمْ مُنْصَرَفُ
يَا حَادِي الْأَظْعَانِ أُرْ وَدِّ، بَعْضَ مَا تَعْتَسِفُ
فَان [فِيَا] بَيْنَهَا^٥ أَفْتَدَةً تَحْتَطِفُ
عَلَى النِّقَا الْمَطْلُولِ مِنْهَا غُصْنُ مَهْفَهْفِ
إِيهِ عَلَى رِيحَانِهِ لَوْ كَانَ مِمَّا يَقْطِفُ
فَلَا بَرَا وَجَدِي بِهِمْ وَلَا أَفَاقَ الشَّغْفِ^٦

وقال من أخرى^٧ :

مُشْتَبُهُ أَعْرِفُهُ وَإِنَّمَا
يَا صَاحِبِي عَوْنًا وَإِنْ أَيَّاسْنِي
قَفْ بَاكِيًا فِيهَا فَاِنْ كُنْتَ أَخِي
يَا زَمَنًا مَرًّا كَمَا اقْتَرَحْتُهُ
مُغَالِطًا قُلْتُ لَصَحْبِي : دَارُ مَنْ
مِنْ جَلْدِي^٨ قَوْلِي لِحَوَارِ : أَعِينَ
مُؤَانِسًا^٩ فَبِكْهَا عَنْكَ وَعَنِ
بِالنَّعْفِ إِنْ عَادَ الصَّبَا فَعُدْ إِذَنْ

١ الكامل ٢ : ٢٨٤ وروايته : سددن خصاص الخيم لما دخلته .

٢ ديوان مهيأ : ٢ : ٢٨١ .

٣ الديوان : هل أنت يا قلب معي .

٤ أُرود : تمهل ، وفي الأصل أُرور .

٥ الديوان : فان بين سوقها .

٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .

٧ ديوان مهيأ : ٤ : ٤٧ .

٨ الديوان : وإن أشفني مع جلدي .

٩ الديوان : أخوا مؤاسياً .

وحاملي على السرور حاملُ في كفه وطره سيفَ الفتن
قد كتب الهجرُ على عارضه ما أقبحَ الهجرانَ بالوجه الحسن
يديرُ مما اختار عسجديةً ما قُلِّلتُ^١ عن مثلها هامةً دن

وقال يمدح الوزير ابن المغربي من قصيدة^٢ :

وقفنا وأتعب لي الرقابِ بسِقطِ الغضا^٣ طَلُلُ يَمْلُ
وفي الركبِ من ثعلٍ من يدقُّ إلا على سَهْمِهِ المقتل
أوانسُ ماتت لهنَّ الذحولُ وحُلْمَ فيهنَّ مَنْ يجهلُ
محسدة العين شهلُ اللحاظِ يصبغها ميلها الأكل
مهاوي قلائدها إن هوينَ بطاءً على غُرَرٍ تنزل
أحقاً تفنّصني بالحجازِ في شكّتي رشاً أعزل
عددتُ سنيَّ لها والبياضُ لدعوايَ في عدها مبطل
وأقبلتُ أستشهدُ الأربعينَ لو أن شهادتها تُقبلُ
وقالوا رداءٌ جميلٌ عليكَ ألا ربما كُرهَ الأجل
وما الشيبُ أولُ مكروهةٍ بمحبوبة أنا مستبدل
تمرّنْ جنبي بحملِ الزمانِ فكلَّ ثقيلاته أحمل
يردُّ يدي عن مَنالِ المنى وكفّي من باعِه أطولُ
وتعقلُ ناشطُ عزمي الهمومُ والماءُ يجسُّهُ الجدولُ
وما الحظُّ في أدبٍ مُفصحٍ ومن دونه تشبُّ مُجبلُ
يرومُ الفتى رتبةً وهو[حيث] يجعلُهُ مالهُ يُجعلُ

١ الديوان : قطعت .

٢ ديوان مهيار ٣ : ١٢٥ .

٣ الديوان : اللوى .

٤ سقط هذا البيت من الديوان .

تَشَرَّفُ بِحَظٍّ فَاِنْ الْحَظُّوَظُ
وَوَافٍ الْمَوَاسِمَ - ضَخَمَ الْعِيَابِ
حَمَى اللَّهَ لِلْمَجْدِ نَفْساً بِغَيْرِ
وَحْيَا عَلَى ظُلُمَاتِ الْخُطُوبِ
وَتُقْبَلُ بِالرِّزْقِ قَبْلَ السُّؤَالِ
ومنها :

تَخْطِي بِلَا قَدَمٍ تَسْتَزِلْ
مَنْ الْقَوْمِ تُنْجِدُ أَيْمَانَهُمْ
لَهُمْ غُرُرٌ أَرْضِيَّةٌ
وَيَوْمٍ تَوَاطَلُ فِيهِ الْعَيُونُ
تُعَارِضُ فِيهِ الْكِمَاءُ الْكِمَاءُ
بَطْعَنٍ كَمَا [شُقَّ] ٢ جِيبُ الْقَمِيصِ
ومنها :

وَتَحْتَكُ طَرْفُ يَطِيشُ الْمَرَاخُ
كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ طَافَتْ عَلَيْهِ
شَجَاهُ غِنَاءُ الطُّبَا فِي الطُّلَى
إِذَا فَاتَ سَعْيُكَ [شَاءَ] وَالرِّيَّاحُ
يَضْجُ النَّدَى خَصَاماً فَانْ
وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ حَتَّى إِذَا
بَسَطْتَ يَدَيْنِ يَدَا تَأْخُذُ النَّفْسُ فَوْسَ بِهَا وَيَدَا تَبْذُلُ
فِيْمَنَّاكَ صَاعِقَةً تُتَّقَى وَيُسْرَاكَ بَارَقَةً تَهْطُلُ

١ هذا البيت والذي يليه لم يردا في الديوان .
٢ زيادة بحسب المعنى ، اذ البيت لم يرد في الديوان .

ولم تَرَ أنواءَ من قبلها
فذاك وتفعُلْ مالا تقولُ
أُعِيذُكَ بالكلماتِ التي
فما يسعُ الجُؤما قد وسعتَ
ليهنِ الوزارةَ أنْ رُوجَّتَكَ
غدثُ بك مُحْصَنَةً لا تحلُ
وتعلمُ إن نازعتُ للرجالِ
لئن جتَّها عانساً قد أبرَّ
فمن معجزاتك أنَ الشبابَ
وإن كنتَ آخرَ خطَّابها
فضاحكُ بغداد بعد الخطوبِ
طلعتَ عليها طلوعُ الصباحِ
ومنها :

فهل أنت مُتَّشلي من نيوبِ
ومن عيشةِ كلِّ أعوامِها
فَصُنْ بك وجهيَ عَمَّنْ سواكَ
فكم راش مثلك مثلي فطارَ
وقدماً وفي لزهيرِ وزادَ
فسار به الشعرُ فيما سمعتَ
وحسَّانُ أُمِّسَتْ رِقاهُ الصَّعابِ
تعرفَ رِيحَ عطاياهمُ
وأبصرَ نغماءَهمُ نازحينَ
دهرٍ يدمِّي ولا يَدْمُلُ
وإن أخْصَبَ الناسُ، بي محل
فما مثل وجهيَ يستبدلُ
وإن كان مثلك لا يَغْفُلُ
من هَرَمٍ واهبُ مجزل
من مَثَلٍ باسمه يرسلُ
من آل جفنة تَسْتَنْزِلُ
وقد جاء يحملها المرسلُ
وبابُ لواحيظِهِ مُقْفَلُ^١

١ يشير إلى أن حسان كان قد أضرَّ في شيخوخته ، ولكنه عرف ببصيرته أن جيلة بن الأبيهم كان قد أرسل إليه عطاءً وهدايا .

ملوكُ مضوا بالذي استعجلوا وطاب لهم ذكرُ ما أجَلوا
وما فيهمُ جامعُ ما جمعتَ إذا أنتَ حصَّلتَ أو حصلوا
رمى الشعراءُ عناني إليك ففتُ وأرساغهم تُشكَلُ
وسرَّهمُ أنهمُ يعملونَ بزعمهمُ وأنا . أعمل
ولو أقنع الخبرُ بالسيفِ كان أحقَّ بضرب الطلي الصيقلُ
ببسطِكَ لي سال وادي فمي ولا ينني الكلمُ الأفضل
[فسومتها مهرةً لا يعُضُّ بغير يدي شذوها مسحلُ]^١
محرمةُ السرجِ إلَّا عليك تشرفُ منك بمن تبعلُ
كأن عبيداً تغطى بها ومسحَ أعطافها جرؤلُ

فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي الخراساني^٢

والاثنان بطرق من خبره وحميد أثره

كان أبو منصور - وقته - راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ،
أسوة المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سير المثل ،
وضربت إليه أباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في

١ الديوان : ذكر .

٢ زيادة من الديوان ليتصل سياق الأبيات .

٣ ترجمته في ابن خلكان ٣ : ١٧٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ ونزهة الالباء : ٢٤٩ ودمية القصر
(ط . حلب) : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٤٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وانظر مقدمتي محقفي كتابي التمثيل
والمحاضرة ولطائف المعارف ، ففيها محاولة لعد كتبه . ودراسة عن الثعالبي بعنوان « الثعالبي ناقدًا وأديبًا » للاستاذ
محمود عبد الله الجادر ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٤ ابن خلكان : رأس .

الغياهب ، وتوالمفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيهأ عدُّ أو صفُّ ، أو يُوفيهأ حقوقها نظمٌ أو رصف ، وقد أخرجت من نشره فصولاً أدرجها في أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفصيل أعرب بها عن ترقق طبعه وتدقق أدبه ، تشارك الأرواح في الأجساد ، وتقعّد للاقتراح بالمرصاد .

من ذلك فصول من كلامه في صدر كتابه « فقه اللغة »^١ :

مَنْ شرح الله صدره للإيمانِ اعتقد أنَّ محمداً عليه السلام خيرُ الرسل ، والاسلامَ خيرُ الملل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغات ، والاقبالَ على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاحُ التفقه في الدين ؛ ثم هي لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة وسائر المذاهب كالينبوع للماء ، والزُّند للنار . ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على تصاريفها ، إلا قوة البيان^٢ في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، اللذين هما عمدة الدين^٣ ، لكفى بها فضلاً يحسن أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله تعالى به من ضروب المباح يُكلُّ أقلام الكتّبة ، ويُتعب أنامل الحسبة .

وفي فصل^٤ :

قيض الله لها خزنةً وحفظةً من خواص الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، فنسوا^٥ في خدمتها الشهوات ، وجابوا القلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر ، وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم ، وأسهروا في تقييد شواردها

١ فقه اللغة : ١

٢ فقه اللغة : وسائر أنواع المناقب .

٣ فقه اللغة : اليقين .

٤ فقه اللغة : الايمان .

٥ فقه اللغة : ٣

٦ فقه اللغة : تركوا

أجفانهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت المصلحة ، وكلما بدأت معالمها^١ تتنكر ، وعرض لها ما يشبه الفترة ، ردّ الله تعالى لها الكرة ، فأهْبَ ريحها ، ونفَقَ سوقها ، بصدرًا من أفراد الدهر أديب ، ذي صدر رحيب ، وقريحة ثاقبة ، ودراية صائبة/[١٦٠] يحبُّ الأدب ، ويتعصب للعرب^٢ ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها ، مثل الامير السيد الأوحّد أبي الفضل [الميكالي] :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل
وما عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِي مَنْ جَمَعَ طَرَائِفُ الْمَحَاسِنِ ، وَاسْتَوَى عَلَى غَايَاتِ الْمُنَاقِبِ ، فَانْ ذَكَرَ كَرَمَ الْمَنْصَبِ ، وَشَرَفَ الْمُنْتَسَبِ ، كَانَتْ شَجَرَتُهُ الْمِيكَالِيَّةُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ وَالْعِلَاءِ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَإِنْ وُصِفَ حُسْنُ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ السَّعَادَةِ ، وَعَنْوَانُ الْخَيْرِ وَسِمَةُ السِّيَادَةِ ، كَانَ فِي وَجْهِهِ الْمَقْبُولُ الصَّبِيحِ ، مَا يَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهُ بِالتَّسْبِيحِ ، لَا سِيَّامًا إِذَا تَرَفَّرَقَ مَاءُ الْبَشَرِ فِي غُرَّتِهِ ، وَتَفَتَّقَ نُورُ الشَّرَفِ بَيْنَ أَسْرَتِهِ . وَإِنْ مُدِّحَ حُسْنِ الْخَلْقِ فَلَهُ أَخْلَاقُ خُلُقِنَ مِنَ الْكَرَمِ الْمُحَضِّ ، وَشَيْمٌ تَشَامُ مِنْهَا بَارِقَةُ الْمَجْدِ ، فَلَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَعَذَّبَ طَعْمَهُ ، وَلَوْ اسْتَعَارَهَا الزَّمَانُ لَمَّا جَارَ عَلَى حَرِّ حَكْمِهِ ، وَإِنْ حُدِّثَ عَنِ التَّوَاضُّعِ كَانَ أَوْلَى بِقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ^٥ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ :

دَنُوتَ تَوَاضَعًا وَعَلُوتَ مَجْدًا^٦ فَشَأْنُكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ

١ فقه اللغة : معارفها .

٢ فقه اللغة : بفرد

٣ فقه اللغة : للعربية .

٤ فقه اللغة : أطراف

٥ ديوان البحتري : ١٢٤٧

٦ الديوان : وبعدت قدرًا .

كذلك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأما سائر أدوات الفضل وآلات الخير وخصالُ المجد فقد قسم الله تعالى له
منها ما يباري الشمس ظهوراً ، ويجاري القطر وفوراً . وأما فنون الأدب فهو ابن
بجدها ، وأخو جملتها ، وأبو عذرتها ، ومالك أزمته ، والله هو إذا غرس الدر في
أرض القراطيس^١ ، ودرز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة
على أنامله ، فهناك الحسن برمته ، والاحسان بكليته ، فلو كنت بالنجوم مصدقاً
لقلت : إن عطاردًا تأثق في تدبيره ، وقصر عليه معظم همته ، ووقف في طاعته ، عند
أقصى طاقته . ومن أراد ان يسمع سرّ النظم ، وسحر الشعر^٢ ، ورقية الدهر ، ويرى
صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستشذ ما أسفر عنه طبع مجده ،
وثمره^٣ عالي فكره ، من ملح تترج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتُشرب بالقلوب
لسلاستها :

قوافٍ اذا ما رآها المشوق هز لها الغانيات القدودا
كسوان عبيدًا ثياب العبيد وأضحى ليبد لديها بليدا
وفي فصل^٥ :

وايم الله ما من يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاعتباس
من نوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجدي والسودد تنتثر من شائله ،
ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم^٦ من

١ فقه اللغة : القوطاس

٢ فقه اللغة : وطرز .

٣ فقه اللغة : النثر .

٤ فقه اللغة : وأثره .

٥ فقه اللغة : ٤ وليس بين هذه الفقرة وما تقدم حذف .

٦ فقه اللغة : الكرم والفضل .

الحاظه . وانتَهبتُ فرائدَ الفوائدِ من ألفاظه ، إلا تذكُرْتُ ما أنشدنيهِ لابن الرومي ^١ :

لولا عجائبُ صنعِ الله ما نبتت تلك الفضائلُ في لحم ولا عصبٍ
وأنشدتُ فيما بيني وبين نفسي قولَ الطائي ^٢ :

فلو صَوَّرْتَ نفسك لم تَرُدِّها على ما فيكَ من كرمِ الطباعِ
وثَلَّثْتُ بقولِ كشاجم ^٣ :

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى نقصٍ يوقِّيه من العين
ورَبَّعْتُ بقولِ المتنبي ^٤ :

فان تُفَقِرِ الأنامَ وأنتَ منهم فان المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ
وفي فصل ^٥ :

فاستغرقت أربعةَ أشهرٍ هناك بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، وما رمتُ في أكثرِ
الأوقاتِ في الليل والنهارِ عاليَ مجلسه ، وتعطرتُ عند ركوبه بغبارِ موكبه ، فبالله يميناً
قد كنتُ غنياً عنها لو خفت [حشاً] فيها أني ما أنكرتُ طَرَفاً من أخلاقه، ولم أشاهدُ
إلا شرفاً ومجداً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً ، أو سبَّ حاضراً ، أو حرم
سائلاً ، أو خيَّبَ آملاً ، أو أطاع سلطانَ الغضبِ والحَرَدِ ، أو تصلَّى بنارِ الضجرِ
وبطشَ بَطْشَ المتجبرِ ؛ وما وجدتُ المآثرَ إلا ما يتعاطاه ، والمآثمَ إلا ما يتخطَّاه ،
فعَوِّذُهُ بالله تعالى من كلِّ طَرَفٍ عائن ، ومن كلِّ صدرٍ خائن ، هذا ولو أعارتني

١ ديوان ابن الرومي : ١٩٦ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣٤٠ وشرح العيون : ٣٢٤ ، ٣٣٠ .

٣ مرغير منسوب في الذخيرة ٢ : ٦٨٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٥٨ والذخيرة ٢ : ٦١٨ .

٥ فقه اللغة : ٥

خطباء إِيَادَ السُّنْتِهَا ، وَكِتَابُ الْعِرَاقِ أَيْدِيهَا ، فِي وَصْفِ أَيْادِيهِ الَّتِي اتَّصَلَتْ عِنْدِي
اتِّصَالَ السُّعُودِ ، وَانْتَضَمَتْ لَدَيَّْ انْتِظَامَ الْعُقُودِ ، فَقُلْتُ فِي ذِكْرِهَا طَالِبًا/ [١٦١] أَمَدَ
الْإِسْهَابِ ، وَكُتِبَتْ فِي شُكْرِهَا مَادًّا أَطْنَابَ الْإِطْنَابِ ، لَمَّا كُنْتُ بَعْدَ الْاجْتِهَادِ إِلَّا مَائِلًا
فِي جَانِبِ الْقُصُورِ ، مُتَأَخِّرًا عَنِ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ ، فَكَيْفَ وَأَنَا قَاصِرُ الْبَلَاغَةِ^١ ،
قَصِيرُ بَاعِ الْكِتَابَةِ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَقَدْ صَدَى فَهْمِي لِبُعْدِي - كَانَ - عَنْ حَضْرَتِهِ ،
وَتَكَدَّرَ مَاءُ خَاطِرِي لَتَطَاوُلِ الْعَهْدِ بِخِدْمَتِهِ .

وَفِي فَصْلٍ ٢ :

وَمَا عَدَلْتُ بِمُؤَلَّفَاتِي عَنْ اسْمِهِ وَرِسْمِهِ ، إِخْلَالًا بِمَا يُلْزِمُنِي مِنْ حَقِّ سُودِّهِ ، بَلْ
إِجْلَالًا [لَهُ] عَمَّا لَا أَرْضَاهُ لِلْمُرُورِ بِسَمْعِهِ وَلِحَظِهِ ، وَتَحَامِيًا لِعَرَضِ بَضَاعَتِي الْمَرْجَاةِ
عَلَى قُوَّةِ نَفْذِهِ ، وَذَهَابًا بِنَفْسِي عَنْ أَنْ أَهْدِيَ لِلشَّمْسِ ضَوْءًا ، أَوْ أَزِيدَ فِي الْقَمَرِ نُورًا ،
أَوْ أَكُونَ كَجَالِبِ الْمَسْكِ إِلَى أَرْضِ التُّرْكِ ، وَالْعَوْدِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَالْعَنْبَرِ إِلَى الْبَحْرِ
الْأَخْضَرِ .

وَفِي فَصْلٍ لَهُ ٣ :

إِنْ خَيْرَ الْكَلَامِ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ مَا شَغَلَ بِخِدْمَةِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ
لَهُ عُدَّةً^٢ الْمَلِكِ إِلَى بَسْطَةِ الْعِلْمِ ، وَنُورَ الْحِكْمَةِ إِلَى نَفَازِ الْحُكْمِ ، وَجَعَلَهُ مَبْرَزًا عَلَى
مُلُوكِ الْعَصْرِ ، وَمُدَبِّرًا الْأَرْضِ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ ، بِخِصَائِصِ مِنَ الْعَدْلِ ، وَجَلَائِلَ مِنَ
الْفَضْلِ ، وَدَقَائِقَ مِنَ الْكَرَمِ الْمُحَضِّ ، لَا يَدْخُلُ أَيْسَرُهَا تَحْتَ الْعَادَاتِ ، وَلَا يُدْرَكُ
أَقْلَاهَا بِالْعِبَارَاتِ ، وَمَحَاسِنِ سِيرِ تَحْرُسُهَا أَسِنَّةُ الْأَقْلَامِ ، وَتَدْرُسُهَا أَلْسِنَةُ اللَّيَالِي

١ فقه اللغة : قاصر سعي البلاغة

٢ فقه اللغة : ٧

٣ التمثيل والمحاضرة : ٤

٤ التمثيل : عزة .

والأيام ، وهذه صفةٌ تغني عن تسمية الموصوفِ لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة^١ الأخبار ، واجتماع الأولياء ، وإصفاق الأعداء ، كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرة الدنيا ، ومَفْرُغُ الورى ، وجَنَّةُ^٢ العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلَّغَهُ الله تعالى أقصى نهاية العمر ، كما بلَّغه أبعاد غاية الفخر ، ومَلَكه ازمة الأرض ، كما ملكه أعنة الفضل ، وأدام حُسْنَ النظر للعباد والبلاد بإدامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسمُ اليُمْنِ والأمن ، ومطالعُ الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في السنّ علواً ، حتى تكون السعاداتُ وقْدَ بابِه ، والبشائرُ قرى سمعه ، والمسارُ غذاءَ نفسه ، ويتراعى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل .

وفي فصل^٣ :

هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غُررِ نجوم الأرض ، ونكتِ أعيانِ الفضل من بلغاء العصرِ في النثر ، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعر الذين أوردتُ مَلَحَ أشعارهم في كتابي المترجم بـ « يتيمة الدهر » ، فلفقتُ جميع ذلك وَسَقْتُهُ ، وجردته وَسَقْتُهُ ، وأنفقتُ عليه ما رزقته ، وعملتُه بكدِّ الناظر ، وجهدِ الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لذَّةَ الجدَّة ، ورونقَ الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء سوى كلام أهل العصر إلا في قلائلٍ وقلائدٍ من ألفاظٍ [الجاحظ] وابن المعتز ، تخلَّلتُ أثناءه ، وتوسَّطتُ تضاعيفه ، ولم أخلِ كلماته التي هي وسائطُ الآداب^٤ ،

١ ص : ومشاهدة .

٢ التمثيل : وحسنة .

٣ سحر البلاغة : ٥ .

٤ في الأصل : من .

٥ في الأصل : الألباب .

وصياقلُ الألبابِ ، وما تشتهي أنفسُ الأدباءِ وتلذَّ أعينُ الكتابِ ، من لفظٍ فصيحٍ ، أو معنى صريحٍ^١ ، أو تجنيس أنيسٍ ، أو تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل ، أو استعارة أو طباق ، على ذي رونق باقٍ . فمن مرَّافقِ هذا الكتابِ قُرْبُ متناوله من الكتابِ ، إذا وشَّو ديباجَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصَّعوا عقودَ نظامهم مما يلتقطونه من شذوره . فأما المخاطبات والمحاورات فانها تتبرَّجُ بغرَّة من غرِّره ، وتتوجُّ بدقِّره من درره .
وفي فصل^٢ :

وقد كانت تجري في مجلسه العالي نكتٌ من أقاويلِ أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتهوا إلى جمع شملها ، ولا توصَّلوا إلى نظمها ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمعُ يسيرة كالتوقيعات ، وفقرُ خفية كالإشارات ، فيلوح لي - أدام الله عزه - بالبحث على أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وما ينخرط في سلكها ، وأنا ألوذ بأكتاف المحاجة ، وأحوم حول المدافعة ، وأرعى روض الماطلة ، لا تهاوناً بأمره الذي أراه كالمكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدفٍ إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسي في عمل [١٦٢] ما يصلحُ لخدمته ، إلى أن اتفقت لي في بعض الأيام التي هي أعيادُ دهري ، وأعيانُ عمري ، مواكبةُ القمرين بمسيرة ركابه ، ومواصلة السَّعْدَيْنِ بصلة جنابه^٣ في متوجَّهه إلى فيروزباد ، ومنها إلى حداد^٤ ، بعض قرأه من الشامات ، عمرها الله بدوام عمره ، فلما :
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح^٥

١ سحر البلاغة : أو معنى بدیع .

٢ فقه اللغة : ٧ .

٣ في الأصل : جناحه .

٤ فقه اللغة : خدای زاد

٥ الشعر والشعراء : ١٣ وفي تخريج البيت انظر السمت : ٧٧ (الملحق) وديوان كبير : ٥٢٥ .

وعندنا إلى العادة عند الالتقاء في تجاذبِ أهداب الآداب ، وفَتْقِ نوافج الأخبار والأشعار ، أفضتُ بنا شجونُ الحديث إلى هذا الكتاب ، فقال لي - صدق الله قوله ، ولا أعدم الدنيا طَوْلَه - : إنك إن أخذتَ فيه أجدتَ وأحسنتَ ، وليس إلا أنت ، فقلت : سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفْعاً ؛ فأقام لي في التأليف معالمَ أقفُ عندها ، وأقفو حدَّها ، وأهاب [بي] إلى ما اتخذته قبلة أصلي إليها ، وقاعدةً أبني عليها : من التمثيل والتنزيل والتفصيل والتقريب والتقسيم والترتيب ، وانتجعتُ من الأئمة الخليل والأصمعي وأبا عمرو والكسائي وأبا عبيد وأبا زيد ، ومن سواهم من شيوخ العلماء ، وظرفاء الأدباء ، الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وأقتبسُ من أنوارهم :

وأجتني من ثمارِ قومٍ قد أففرتُ منهمُ البقاعُ

ومن كلامه في صدر كتاب اليتيمة

لما كان الشعر عمدة الأدب ، وعلمَ العرب الذي اختصَّت به على سائر الأمم ، ولبسانهم جاء كتابُ الله المنزل ، على النبيِّ منهم المرسل ، عليه السلامُ الأجل ، كانت أشعارُ الاسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين ، وأشعارُ المحدثين [ألطفَ من أشعار المتقدمين] ثم كانت أشعارُ العصرين أجمعَ لنوادر المحاسن ، وأنظَمَ للطائفِ البديع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهائها إلى أبعِدِ غاياتِ الحُسْنِ ، وبلوغها أقصى نهايةِ الجودَةِ والظُرفِ ، تكاد تخرجُ من باب الایجاز إلى الاعجاز ، ومن حدَّ الشعرِ إلى السحر ، وكأن الزمانُ أدخَلَنا من نتائجِ خواطرهم ، وثمراتِ قرائحهم ، وأبكارِ افهامهم ، أتمَّ الألفاظِ والمعاني استيفاءً لأقسامِ البراعة وأوفرها [نصيلاً] من كمالِ الصنعة ورونقِ الطراوة .

١ فقه اللغة : وأجتني .

٢ اليتيمة : الاعجاب .

ولذلك ما ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل

وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين والمتأخرين ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين عن إخلق جدته ، وبلى برده ، [ومج] السمع لمدداته ، وملا للقلب لمكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رؤاء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة في كتاب يضم نشرها ، ويشد أزرها .

وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمر باقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء ، مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الوريق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفيته شرطه ، وارتفع كعجالة الراكب ، وقضيت به حاجة في نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمستحسنين يتداولونه ، وحين أعزته بعض بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : « إن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟! ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة ومادات غزيرة حصّلت إلي بعد ، فقلت : إذا كان هذا الكتاب له موقع من نفوس الأدباء ، ومحل من قلوب الفضلاء ، فلم لا أبلغ فيه المبلغ الذي يراد ، ويستوجب من الاعتداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والاتمام [هذف] المرام ؟ فجعلت أثبته وأحموه ، وأفتتحه فلا أختمه ، وأنتصفه فلا أتمه ، والأيام تعجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة ، فاخترت لمعة من ظلم الدهر ،

١ البيتة : والمنسوخين .

٢ البيتة : المبلغ الذي يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الاعداد .

وانتهزت رقدةً من عين الزمان ، واغتنمت نبوةً من أنياب النوائب ، واستمرت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . فهذه تجمع من بدائع أعيان أهل الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر / [١٦٣] ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تقتض عذره ، ولم ينقض قديم العهد زبره .

والشرط في هذه النسخة إيراد لبّ اللباب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، فان آخرت متقدماً وقدمت متأخراً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، قال تعالى ﴿ فمّنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ (التغابن : ٢) وقال حسان بن ثابت ، وذكر بني هاشم :

بهايلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه عليٌّ ومنهمُ أحمدُ المتخيرُ
وقال الصلتان العبدى :

فملّتنا أئنا مسلمون على دينِ صديقنا والنبي
وفي فصل منه ٢ :

كان الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان شبابه^٣ قد دوّخ بلاد الشام ، وحصل في حضرة سيف الدولة بحلب ، مجمع الرواة وأهل الأدب ، ومطرح الغرباء والفضلاء ، فأقام بها مع أئمة الأدباء بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيد بها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق طبعي ، وشحد فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حدّ لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحليّة .

١ ديوان حسان : ٩٩ (وفيه التخرّيج)

٢ اليتيمة : ٢٦

٣ اليتيمة : وعنفوان أمره .

التي عَلِقَتْ بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصنُ الشبابِ رطيب ، وَبُرْدُ
الحدائثِ قشيب .

وفي فصل ٢ :

كان بنو حمدان ملوكاً أَوْجُهُهُمُ لِلصَّبَاحَةِ ، وأَلْسِنَتُهُمُ لِلفَصَاحَةِ ، وأيديهم
للسَّاحَةِ ، وعقولهم للرجاحة ، وسيفُ الدولة مشهورٌ بسيادتهم ، واسطةُ قلاذتهم ؛
عُرَّةُ الزَّمانِ والعصور ، وَمَنْ به سِدادُ الثغور ، وسَدَادُ الأمور ، وكانت وقائعه في عُصَاةِ
العرب تكفُّ بأسها وتفلُّ أنيابها ، وتُذِلُّ صِعَابُهَا ، وتكفي الرعيةَ سوءَ آدابها ،
وغزواته تدركُ من طاغيةِ الرُّومِ الثَّارَ ، وتحسُّ شَرَّهُمُ المِثَارَ ، وتُحَسِّنُ في الإسلامِ
الآثَارَ ، وحضرتهُ مقصدُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وَقَبْلَةُ الآمال ، ومحطُ الرحال ، وموسمُ
الأدباء ، وقبلةُ الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمع بيباب أحدٍ من الملوك - بعد الخلفاء -
ما اجتمع ببابه من شيوخِ الشَّعر ، ونجومِ الدَّهرِ ، والسلطانُ سوقُ يَجْلِبُ إليها ما
ينفق لديها ؛ وكان أديباً شاعراً محبباً لجيد الشعر ، شديدَ الاهتزازِ لما يُمدَحُ به ، فلو
أدرك ابنُ الروميَ زمانه ما احتاج أن يقول :

ذهب الذين يهزم مَدَاحَهُمْ هَزَّ الكِماةِ عواليَ المَرانِ
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهِمْ فالارِحيةُ منهمُ بمكانِ
وفي فصل ٣ :

كان أبو فراسٍ قَرَدَ دهرِهِ ، وشمسَ عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ،
وبلاغةً وبراعةً ، وفروسيةً وشجاعةً ، وشعره مشهورٌ سائرُ بينِ الحسَنِ والجُودَةِ
والسهولةِ والجزالةِ والعذوبةِ والفخامةِ والحلاوةِ والمتانةِ ، ومعه رِواءُ الطبعِ وَسِمَةُ الظَّرْفِ
وعزةُ الملكِ ، لم تجتمع هذه الخلالُ قبله إلا في شعر ابنِ المعتزِ ؛ وأبو فراسٍ بعدُ أشعُرُ

١ البيتة : ورداء .

٢ البيتة ١ : ٢٧

٣ البيتة ١ : ٤٨

منه عند أهل الصنعة وَتَقْدَةُ الكلام . وكان الصاحب يقول : بدىء الشعر بملك -
يعني امرأ القيس - وختم بملك - يعني أبا فراس - .

وأُطْلِتْ^١ عَنانَ الاختيار في محاسنِ كلِّ شيءٍ حسنٍ^٢ لا سيما روميَّاته التي رمى
بها هدفَ الإحسانِ ، وأصابَ شاكِلَةَ الصوابِ . ولما خرجَ نيرٌ^٣ الفضلِ من سراره ،
وأُطْلِقَ أَسَدُ الحربِ من إساره ، لم تطلْ أيامُ فرحته ، ولم تسمحِ النوائِبُ بالتجافي
عن مهجته ، ودلَّتْ قصيدةٌ قرأتها للصابي في تأبينه على أنه قُتِلَ في وقعةٍ كانت بينه
وبين بعض موالِي أُسرته ؛ وما أحسنَ وأصدق قول أبي الطيب^٤ :

فلا تَتَلَكَّ اللَّيالي إنَّ أيديها إذا ضربنَ كسرنَ النبعَ بالغربِ
ولا يُعِنُّ عدوًّا أنتَ قاهرُهُ فانهنَّ يَصِدُنَّ الصقرَ بالحربِ

وفي فصل^٥ :

كان المتنبي نادرةَ الفلكِ ، وواسطةَ عِقْدِ الدهرِ ، في صناعة الشعر ؛ شاعِرُ
سيفِ الدولة الذي جذبَ بِضَبْعِهِ ، ورفعَ من قدره ، ونفَّقَ من سِعْرِ شعره ، وألقى
عليه شعاعَ سعادته حتى سار ذكره مسير الشمسِ والقمرِ ، وسافر كلامُهُ في البدو
والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال^٦ :

وما الدهرُ إلا من رواقِ قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشداً
فسار به مَنْ لا يسيرُ مسامراً وغنَّى به من لا يغني مغرداً/[١٦٤]

١ البيتة ١ : ١٠٢ - ١٠٣

٢ البيتة : من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن .

٣ البيتة : قمر .

٤ ديوان المتنبي : ٤٢٦

٥ البيتة ١ : ١٢٦

٦ ديوان المتنبي : ٣٦١

وقد^١ ألفت الكتب في تفسيره وجلاء^٢ مشكله وعوبصه ، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده ورديشه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبحار كلامه وعونه ، ونفروا في مدحه وذمه ، والقدح فيه والتعصب له وعليه ، وذلك أدل دليل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفردة على أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ورق المعاني ، والكمال من عدت سقطاته ، والسعيد من حُسيبت هفواته .

واتخذ^٣ الليل جلاً وفارق بغداد متوجهاً إلى ابن العميد ، ومراغماً للمهلب ، فورد أرجان فطمع صاحب في زيارته باصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطفه في استدعائه ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولا أجابه عن كتابه ، وقصد عضد الدولة ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمانة ، وورود مشرع المنية . واتخذ صاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع سقطة في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بمحاسنه ، وأكثرهم استعمالاً إياها في مخاطباته .

وخطأ^٤ المتنبي في اللفظ والمعنى كثير ، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، ويفتح^٥ بذلك شعره ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فيبنا هو يصوغ أفرح حل ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفاس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة وتعويض اللفظ وتعقيد المعنى ، فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائنين ، فمن متمثل بقول الشاعر :

١ البيتة ١ : ١٢٧

٢ البيتة : وحل

٣ البيتة ١ : ١٣٨

٤ البيتة ١ : ١٦٣

٥ كذا في الأصل ، وليست العبارة في البيتة ، ولعل الصواب « ويقبح »

أنت العروس لها جمال رائع لكنها في كل يوم تُصرَع
ومن مشبه إياه بن يقدم مائدةً تشتملُ على غرائب المأكولاتِ وبدائع
الطيبات ، ثم يُتبعها بطعامٍ وَضِرٍ وشرابٍ عكر ، أو من يتبخر بالندّ المعشب المثلث
المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الاشهب ثم يرتقه^١ بارسال الريح
الخبیثة ، أو بالواحد في عقلاء المجانين ممن ينطق بنوادر الكلام وطرائف الحكم ثم
يعتريه سكر الجنون .

وفي فصل^٢ :

أبو الفرج البیغا : نجم الآفاق ، وشامة الشام والعراق ، وظرف الطرف ،
وينبوع اللطف ، أحدُ افراد الدهر ، في النظم والنثر ، ولقب بذلك للثغة^٣ [فيه] .

وكان نظيف اللبسة ، بهي الرُكبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، وأخذت
الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وملحه وأدبه ؛ ووردني كتابه سنة إحدى
وتسعين مشتملاً من النظم والنثر على ما أبدت^٤ به حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف
على ثنية الوداع ، ولست [أدري] بعد ما فعل الدهرُ به ، وأغلب ظني أنه [لحق]
باللطيف الخبير .

وفي فصل^٤ :

أبو الفرج ألوأاء : من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه
أنه كان بدار بطيخ دمشقي ينادي على الفواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار
كلامه ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعلّق بالعيوق .

١ في الأصل : يوفيه .

٢ البيتة ١ : ٢٥٢

٣ البيتة : أنرت .

٤ البيتة ١ : ٢٨٨

وفي فصل^١ :

أبو محمد الواساني : أعجوبة الزمانِ ونادرتهُ ، وفردُ عصرِه وباقعته ، وهو أحدُ المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الروميّ في أوانه .

وفي فصل^٢ :

أبو محمد بن وكيع : شاعرٌ بديع^٣ ، وعالمٌ جامع ، قد برع على أهلِ زمانه ، فلم يتقدّمه أحدٌ في أوانه ، وله كلُّ بديعةٍ تسحرُ الأوهامَ ، وتستعبدُ الأفهام .

وفي فصل^٤ :

السريّ الرفاء : وما أدراك ما السريّ ؟ صاحبُ سرِّ الشعر ، الجامعُ بين [نظم] عُقودِ الدرّ ، والنفثِ في عُقدِ السحر ، ولله درّه ، ما أعذبَ بحره ، وأعجبَ أمره !! وقد أخرجتُ من شعره ما يُكتبُ على جبهة الدهر ، ويعلّقُ في كعبةِ الظرف^٥ ، وكتبتُ منه محاسنٌ وملحاً ، وبدائعٌ وطرفاً ، كأنها أطواقُ الحمام ، وصدورُ البزاةِ البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلانِ ، ونهودُ العذارى الحسان ، وغمزاتُ الحدقِ الملاح .

وفي فصل^٦ :

عضد الدولة : [كان] على ما مكنَّ له في الأرض ، وجُعِلَ إليه من أزمّة البسط والقبض ، وخُصَّ به من رفعةِ الشان ، وأوتي من سعةِ السلطان ، يتفرّغُ للأدب ،

١ البيتة ١ : ٣٥١

٢ البيتة ١ : ٣٧٢

٣ البيتة : بارع

٤ البيتة ٢ : ١١٧

٥ البيتة : الفكر

٦ البيتة ٢ : ٢١٦

ويتشاغل بالكتب/ [١٦٥] ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل رائع قرأته للصاحب في وصف شعره ، وطلب أمد الإبداع في مدحه .

وفي فصل ١ :

الصايبي : أوحّد العراق في البلاغة ، ومن تُشئ الخناصرُ به في الكتابة ، وتنفق له الشهاداتُ ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة . وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره ، ولا بس خيره ولا مس شره ، ورؤس ورأس ، وخديم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء ، وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره ، وأراده الملوك على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة ومنية جليلة ، فلم يهدو الله للاسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه .

ع

وفي فصل ٢ :

عبد العزيز بن يوسف : أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكلم ، وأعيان الممدحين المقدمين في الأدب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة . ونثره يُعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالاجادة والاحسان فيأض .

وفي فصل ٣ :

القاضي التنوخي : من أعيان الأدب والعلم ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وإن أردت فسبحه ناسك ، وإن أحببت فتفاحه فاتك ، أو اقترحت فمدرعة راهب .

أو أشرت^١ فَنُخْبَةُ شارب ، ربحانة الندماء ، و نارنجُ الظرفاء ، ويعاشر من منه مَنْ تطيبُ عشرته ، وتلينُ قنصرته ، وتكرمُ أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسيرُ أشعاره ، حتى نظمتُ حاشيتي البرِّ والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب ، وكان له غلامٌ يسمى نسيماً في نهاية الملاحه واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصُّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعضُ من يأنس به^٢ :

هل عليّ لامُهُ مدغمٌ لاظطرارِ الشعرِ في ميمٍ نسيماً
فوقعَ تحته : نعم ، ولم لا ؟
وفي فصل^٣ :

أبو علي ابنه : هلالُ ذلك القمر ، وغصنُ ذلك الشجر ، والشاهدُ العدلُ لمجدِ أبيه وفضله ، والفرعُ المشيرُ لأصله ، والنائبُ عنه في حياته ، والقائمُ مقامه بعد وفاته ، وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وناهيك بحسنه ، وامتناعِ فنّه ، وما جرى فيه من الفأل يمينه ، لا جرمَ أنه أُسِيرُ من الأمثال ، وأسرى من الخيال .
وفي فصل^٤ :

ابن لنكك : فرد البصرة وصدُرُ أدبائها ، وفردُ ظرفائها في زمانه ، المرجوعُ إليه في لطائف الأدبِ وطرائفه ، وكانت حرفةُ الأدبِ تمسه وتجمشه ، ومحنة الفضلِ تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ؛ واكثرُ شعره مُلحٌ وطرف ، خفيفةُ الأرواح ، تأخذ من القلوبِ بمجامعها ، وتقعُ من النفوسِ أحسنَ مواقعها ، وجلّها في شكوى الزمانِ وأهله ، وهجاءِ شعراء عصره . ويشبه شعرُهُ في الملاحه وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة شعرَ ابنِ فارس . وأقَدَّرُ أنه بالجبال كهو بالعراق . وكان يقال : إذا رمى منصورُ الفقيه برجمِهِ قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيتَ والبيتين أغربَ بما جلب وأبدعَ بما يصنع ، فأما إذا قصَّدَ فقلّما ينجح ويفلح .

٣ البيمة ٢ : ٣٤٦

٤ البيمة ٢ : ٣٤٨

١ البيمة : أثرت .

٢ ورد في الذخيرة . القسم الثاني : ١٣٣

وفي فصل^١ :

ابن نباتة : من فحول الشعراء في عصره وأحاديهم ، وصدور مجيديهم
وأفرادهم ، الذين أخذوا برقاب القوافي وخوارق^٢ المعاني . وشعره مع قُرب لطفه بعيدُ
المرام مستمر النظام، يشتمل من حرّ الكلام على غررٍ كقطع الروض غب القطر ، وفقرٍ
كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، في أرق من
نسيم الاسحار وشكوى الأحباب .

وفي فصل^٣ :

السلامي : من أشعر أهل العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادةً بالاستحقاق ،
وعلى ما أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، الذي كتبت من محاسنه نزهة
العيون ورقى القلوب وسرّ النفوس . ولم يزل بحضرة صاحب بين خير
مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن أثر قصّد حضرة عضد الدولة
بشيراز ، فجهّزه^٤ الصاحب إليه وزوّده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن
يوسف قال فيه : « باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق أن حليته التي يؤديها
من نسج فكره أقل من ذلك ؛ ومن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وفقرته بالإحسان
واخترته^٥ ، أبو الحسن السلامي . وله بديهة قوية ، تُوفي على الرويّة ،
ومذهب^٦ [١٦٦] في الاجادة يهشّ السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد
امتطى أمله - وخير له - الى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر
معه بياض حاله ، فجهزت منه أمير الشعر في موكبهِ^٥ ، وحليت فرس^٦ البلاغة

١ البيتة ٢ : ٣٨٠

٢ البيتة : وملكوا رق .

٣ البيتة ٢ : ٣٩٦ ، ٤٠١

٤ في الأصل : واختبرته .

٥ في الأصل : مركبه .

٦ في الأصل : فارس

بمركبه . وكتابي هذا رائدُهُ هذا إلى القطر ، بل مَسْرَعُهُ إلى البحر .

فاشتمل عليه جناحُ القبول ، وَدُفِعَ إليه مفتاحُ المأمول ، واختصَّ بخدمة
عضد الدولة في مقامه ووطنه إلى العراق ، وتوفَّرَ حظُّهُ من صلاته وخلعه ، واللها تفتح
اللهي . وكان عضد الدولة يقول : « اذا رأيتُ السلاميَّ في مجلسٍ ظننتُ أنَّ عطارِدَ
قد نزل من الفلك إلى ، ووقف بين يدي » .

وفي فصل ١ :

ابن سكرة الهاشمي : شاعرٌ متَّسعُ الباع ، في أنواعِ الإبداع ، فائقٌ في قولِ
الطرف والملح ، وأحدُ الفحول والأفراد ، جارٍ في ميدان المجون والسخف ما أراد .

وفي فصل ٢ :

ابن الحجاج : وإن كان في أكثر شعره لم يستتر من العقل سَجَفٌ ، ولا بنى
جلَّ قوله إلا على سخف ، فانه من سَحَرَةِ الشعر ، وعجائبِ العصر ، وفردُ زمانه في
فَنِّهِ الذي شَهَرَ به ، لم يُسَبِّقْ إلى طريقته ، ولا لِحُقِّ شأوه في نمطه ، ولم يُرْ كاقْتداره
على ما يريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها
في سلكِ الملاحه ، وإن كانت مفصَّحةً عن السخافة ، مشوبةً بلغاتِ المكذِّينِ واهلِ
السطارة ، ولولا أن جِدَّ الأدب وهزله جِدُّ لصنْتُ كتابي عن كثيرٍ من كلام من يمدِّ يدَ
المجون فيعركُ بها أذنَ الحزم ، ويفتح جرابَ السخف فيصفعُ به قفا العقل .

وفي فصل ٣ :

القاضي ابن معروف : شجرةُ فضلٍ عودُها أدبٌ وأغصانها علمٌ وثمرتها عقلٌ
وعروقها شرف ، تسقيها سماءُ الحرية ، وتغذيها أرضُ المروءة .

١ البيتة ٣ : ٣

٢ في الأصل : وصور .

٣ البيتة ٣ : ٣١ .

٤ البيتة ٣ : ١١٢

وفي فصل ١ :

أبو الفرج الاصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ : كان من أعيان أدبائها
وأفراد مصنفها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء .

وفي فصل ٢ :

الشریف أبو الحسن الموسوي : [يتحلّى مع محتده الشريف] ومفخره المنيف
بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين من
مضى منهم ومن غير ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وقد شهد بما
أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، يجمع
إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها ، ويبعد
مداها .

وفي فصل ٣ :

الصاحب بن عباد : ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في
العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردّه بغايات المحاسن والشميم ،
وجمعه أشتات المفاخر ، لأن قولي ينخفض عن أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي
يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ، ولكنني أقول : كانت همته في مجدٍ يشيده ،
وإنعامٍ يجذّده ، وفاضلٍ يصطنعه ، وكلامٍ حسنٍ يسمعه أو يصنعه ، ولما كان نادرة
عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السباحة ، جُلب إليه من الآفاق وأقاصي
البلاد كلُّ خطاب جزل ، وقولٍ فصل ، وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ،
وبدائع الأفهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول وذوب العلوم ، ونثار الخواطر ودرر
القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يُعدُّ في السحر ويكاد يدخل في حدّ الإعجاز ، وسار

١ التيممة ٣ : ١١٤

٢ التيممة ٣ : ١٣٦

٣ التيممة ٣ : ١٩٢

٤ في الأصل : العقول .

كلامه مسير الشمس ، [واحتفًا] به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل
وفرسان الشعر ما يُربي عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم في الأخذ
برقاب المعاني وملك رقّ القوافي ، فانه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء ما اجتمع
بباب الرشيد من فحولة الشعراء .

وفي فصل^١ :

أبو دلف الخزرجي : شاعرٌ كثيرُ الملح والطُرف ، مشحوذُ المديّة في الكدية ،
خَنَقَ التسعين في الاضطراب والاعتراب ، وركوبِ الأسفار الصعاب ، وضربِ صفحةِ
المحراب^٢ بالجراب ، وخدمة العلوم والآداب .

وفي فصل^٣ :

القاضي الجرجاني : فرد الزمان ونادرة الفلك ، وإنسانٌ حَدَقَ العلم ، وقبةُ
تاج الأدب ، وفارسُ عسكر الشعر ، يجمعُ خطَّ ابنِ مقلّة إلى نشر الجاحظ ونظم
البحري ، وينظمُ عقدَ الاتقان والاحسان في كلّ ما يتعاطاه .

وهذه أيضاً جملة من شعره

زاره الأمير أبو الفضل الميكالي فكتب إليه^٥ :

لا زال مجدك للسَّالكِ رسيلا وعلوُ جدك بالخلود كفيلا
يا غرةَ الزمنِ البهيمِ إذا غدا هذا الوريُّ لزمانه تحجيلا/ [١٦٧]
يا زائراً مدّت سحائبُ طوله ظلّاً عليّ من الجمال ظليلا
وأنتِ بصوبِ جواهرٍ من لفظه حتى انتظمين لفرقي إكليلا

١ البيتة ٣ : ٣٥٦

٢ في الأصل : الحراب .

٣ البيتة ٤ : ٣

٤ البيتة : ودرة . ٥ . زهر الآداب : ٣١٢

٦ زهر : أهل العلا .

بأبني وغير أبي هلال نورُهُ
نقشتُ حوافر طُرْفِهِ في عَرَصَتِي
ولو استطعتُ فرشتُ مسقطَ خطوه
ونشرتُ روحي بعدما ملكتُ يدي

يستعملُ التسييحَ والتهليلا
نقشاً محوتُ رسومُهُ تقبيلًا
يجفون عيناً لا ترى التكبيلًا
وخررتُ بين يدي هواهُ قتيلا

وقال فيه ٢ :

لكَ في المفاخر معجزاتُ جَمَّةُ
بحران : بحرٌ في البلاغة شابهُ
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
شكرًا فكم من فقرة لك كالغنى
وإذا تفتَّق نُورُ شعرك ناضراً
أرجلتَ فرسانَ الكلام ورضتَ أفـراسَ
ونقشتَ في فصِّ الزمانِ بدائعاً تُزري

أبدأُ لغيرك في الوري لم تُجَمِّعْ
شعرُ الوليد وحسنُ لفظِ الأصمعي
كالوشي في بُردٍ عليه موشعُ
وإني الكريمَ بُعيدَ فقرٍ مدقع
فالحسنُ بين مرصعٍ ومصرع
راسَ البديع وأنتَ أجمدُ مبدع
بأثارِ الربيع الممرع

وله إليه جواباً عن كتاب ورد عليه ٣ :

أنسيمُ الرياضِ حولَ الغديرِ مازجتهُ رِيًّا الحبيبِ الأثيرِ
أم وروءُ البشيرِ بالنجحِ من فـلـكٍ أسيرِ أم يُسرِ أمرِ عسيرِ
في ملاء من الشبابِ جديدِ تحتَ أيكٍ من التصابي نظيرِ
أم كتابُ الأميرِ سيدنا الفر د فيا حبذا كتابُ الأميرِ
ونهارُ السرورِ ما أجتنه في سطورِ فيها شفاءُ الصدورِ
نمقتها أناملُ تفتقُ الأنـوارَ والزهرَ في رياضِ السطورِ

١ زهر : بعيون عين .

٢ زهر الآداب : ١٣٧ والبيمة ٤ : ٣٥٥

٣ زهر الآداب : ١٣٨ .

كالمنى قد جُعِنَ في التَّعَمِ الغُـمِّ مع الأَمَنِ من صروف الدهور
يا أبا الفضل يا ابنه يا أخاهُ جُلَّ باريك من لطيف خبير
شيم يرتضعن دَرَّ المعالي ويعبَرْنَ عن نعيم العبير
وسجايا كأنهن لدى البشـرِ رضابُ الحيا بأُري مشور
ومحيا لدى الملوك محيا صادق البشر مخجل للبدور

فأجابه الأمير أبو الفضل بأبيات منها^١ :

وهدي زُفْتُ إلى السمع بكرٍ	تتهادى في حليّةٍ وشذورٍ
عجب الناسُ إذ بدت من سوادٍ	في بياضٍ كالمسك في الكافور
نُظِمَتْ من بلاغةٍ ومعانٍ	مثلَ نظم العقود فوق النحور
كم تذكرتُ عهدَهَا ^٢ من عهودٍ	للتلاقي في ظلِّ عيشٍ نضير
فدُمِمْتُ الزمانَ إذ ضُنَّ عَنَّا	باجتماعٍ يضم شملَ السرور
ولئن راعنا الزمانُ [ببين]	ألبسَ الأُنْسَ ذلَّةَ المهجور
فعسى الله أن يعيدَ اجتماعاً	في أمانٍ من حادثاتِ الدهور
إنه قادرٌ على ردِّ ما فا	ت وتيسيرِ كلِّ أمرٍ عسير

١ زهر الآداب : ١٣٨

٢ زهر : عندها .

فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري^١

واجتلاب جملة من كلامه

كان أبو اسحاق هذا صدرَ النديّ ، ونكتةَ الخبرِ الجليّ ، وديوانَ اللسان العربي ، راضَ صعا بهُ ، وسلكَ أوديتهُ وشعابهُ ، وجمعَ أشناتهُ ، وأحيا مواتهُ ، حتى صار لأهله إماما ، وعلى جدّه وهزله زماما ، وطنتُ به الأقطار ، وشُدَّتْ إليه الأقتابُ والأكوار ، وأنْفَقْتُ فيما لديه الأموالُ والأعمار ، وهو يقذفُ البلادَ بدررٍ صدفها الأفكار ، وسلوكِ ناظمها الليلُ والنهار ، عارضَ أبا بحرٍ الجاحظ بكتابه الذي وسمه بـ « زهر الآداب ، وثمر الألباب » ، فلعمري ما قَصُرَ مداه ، ولا قَصُرَتْ خطاه ، ولولا أنه شَغَلَ أكثرَ أجزائه وأنحائه ، ومرج يحبو حمي أرضه وسنائه ، بكلام أهلِ العصرِ دونَ كلامِ العرب ، لكان كتابَ الأدب ، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد ، وأعمى بصيرته الحسد . ثم أخذَ بعد ذلك في إنشاءِ التواليف الرائقة ، والتصانيف الفائقة ككتاب « النور والنور »^٢ وكتاب « المصون من الدواوين »^٣ ، الى عدّة رسائل وأشعار ، أندى من نسيم الاسحار ، وأذكى من

١ ترجمة الحصري أبي اسحاق في معجم الادباء ٢ : ٩٤ - ٩٧ وابن خلكان ١ : ٥٤ والوافي للصفدي ٦ : ٦١ ومسالك الأبيصار ١١ : ٣٠٩ وعنوان الأريب ١ : ٤٣ ؛ وقد اختلف في وفاته فقال ابن رشيق كما نقل عنه ياقوت توفي سنة ٤١٣ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ ورجح ابن خلكان القول الأول دون ان يذكر سبباً لذلك ، ولعله اعتمد على ان ابن رشيق أدري بذلك من غيره؛ ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة ٤٥٠ .

٢ في المسالك : ثم غير ؛ ص : ثم أجد .

٣ يسميه الصفدي : نور الطرف ونور الطرف ، ويقول إنه اختصر فيه كتابه زهر الآداب ، وينقل التجاني في تحفة العروس : ١١٥ عما يسميه كتاب النورين للحصري وكذلك يسميه ياقوت ، ومرة اخرى ينقل التجاني عن نور الطرف : ١٣٨ ؛ وانظر عيون التواريخ (الفاتح رقم : ٤٤٤١) ٧ : ٥٧ ؛

٤ يسميه الصفدي : المصون في سرّ الهوى المكنون ، وعند ياقوت ، المصون والدرّ المكنون ؛ ومن هذا الكتاب نسخة بخزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، ذكرها الدكتور محمد بن سعد الرويشد في مقارنة أجزائها بين طوق الحيامة والمصون (مجلة الفيصل ، السنة الأولى ، عدد ١٠ ص ١٦ - ٢١) وانظر بروكلمان ١ : ٢٦٧ .

شميم الأزهار ؛ وقد أخرجت من كلامه ما لا ينكر فضله ، ولا يُنشي مثله إلا مثله ، وكانت وفاته - فيما بلغني - سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

فصول من كلامه اندرجت في تواليفه ، من نثره ونظامه

فصل ١ :

ولبني عليّ أهل البيتِ كلامٌ يعرضُ في حلى البيان ، ويُتَقَشُّ في فصّ الزمان ،
وَيُحْفَظُ على وجه الدهر ، ويفضحُ عقائل الدّر ، ويكتحلُ بنور الشمس . ولم لا
يطؤون ذيولَ البلاغة ، ويمجّرون فضولَ البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمهم البتول ،
وكلهم / [١٦٨] قد غُذِيَ بِدَرِّ الحلم ، وربّي في حِجْرِ العلم .

ما منهم إلا مُردّي بالحجى أو مُبشّر بالأحذية مؤدّم

وفي فصل ٢ :

البدیع : اسمٌ وافق مسأه ، ولفظٌ طابق معناه ، وكلامه غرضُ المكاسر ، أنيقُ
الجواهر ، يكادُ الهواءُ يسرقُه لطفاً ، والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى ابن دريد قد أغربَ
بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ،
وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض حوشية ، وألفاظٍ
عنجهية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبوع قبوله الطباع ، ولا ترتفع له حجبُ الأسعاع ،
وتوسّع فيها ، إذ صرّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوهٍ مختلفة ، وضروبٍ متصرّفة ،
عارضه بأربعمائة مقامةٍ في الكدية تذوّبُ ظرفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين واحدةٍ
منها لفظاً ولا معنى ، عطف مساجلتها ، ووصف مناقلتها ، بين رجلين يسمّى
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبو الفتح الاسكندري ، وجعلها يتهاديان الدّر .

١ زهر الآداب : ٥٦ والمسالك : ١٣٠

٢ زهر الآداب : ٢٦١ .

ويتنافانِ السحر ، في معاني تضحكُ الحزين ، وتحركُ الرصين يطالعُ منها كل طريقة ،
ويوقفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخصَّ بعضهما بالرواية .

وفي فصل ١ :

هذا كتابُ اخترتُ [فيه] قطعةً كافيةً من البلاغة في الشعر والخبر، والفصول
[والفقر]، مما حسن لفظه ومعناه ، واستُبدِلَ بفحواه على مغزاه ، ولم يكن شاردًا
حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، بل كان جميعُ ما فيه من ألفاظه ومعانيه :

في نظامٍ من البلاغة ما شـكَّ امرؤ أنه نظامُ فريدٍ
حُزنٌ مستعملُ الكلام اختياراً وتجنبين ظلمة التعقيد
وركنُ اللفظ القريب فأدركـن به غاية المراد البعيد

كتابٌ يتصرَّفُ فيه الناظرُ من نثره الى شعره ، ومطبوعه الى مصنوعه ، ومحاورته
الى مفاخرته ، ومناقشته الى مساجلته ، وخطابه المبهت ، الى جوابه المسكت ،
وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، الى أمثاله السائرة ،
وجذَّه المعجب ، الى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، الى رقيقه البارع . وقد نزعتُ فيما
جمعتُ عن ترتيب التبويب ، وعن إبعاد الشكلِ عن شكله ، وإفراد الشيء من
مثله ، فجعلتُ بعضه مسلسلاً ، وتركتُ بعضه مرسلاً ، ليحصلَ محرَّرَ النقد ، مقدَّرَ
السردِّ ، قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف . [وقد يعرُّ] ^١
المعنى فألحقُ الشكلَ بناظره ، وأُعلِقُ الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقها في
سائره ، ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المخلِّ ، وتظهرَ في الجميع فائدةُ
الاجتماع ، وفي التفريق لذادةُ الإمتاع ، فيكملُ منه ما يوقنُ القلوبَ والأسماع ، إذ

١ زهر الآداب : ١

٢ الابيات للبحترى في ديوانه : ٦٣٦ - ٦٣٧

كان الخروج من جدٍّ إلى هزل ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، أنفى للكلل ، وأبعد من الملل ؛ وقد قال أبو العتاهية^١ :

لا يضلحُ النفسَ إذ كانت مصرَّفةً إلا التنقلُ من حالٍ إلى حالٍ
وفي فصل^٢ :

ومعلومٌ أنه ما انجذبت نفسٌ ، ولا اجتمع حسٌ ، ولا مال سرٌّ ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنى لطيف ، ظهر في لفظٍ شريف ، فكساه من حُسْنِ الموقعِ فبولاً لا يُدفع ، وأبرزه يختالُ من صفاء السبكِ ونقاءِ السلكِ وصحةِ الديباجةِ وكثرةِ المائيةِ في أجمل حُلَّةٍ ، وأجل حلية .

والمعنى إذا استدعى القلوبَ إلى حفظه ، بما ظهر في مستحسنِ لفظه ، من بارع عبارة ، وناصع استعارة ، وعذوبة مؤرد ، وسهولة مقصد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابقٍ أنحاءٍ وتجانسٍ أجزاء ، وتمكّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع وجودة إيضاح ، يتقّفه تثقيف القداح ، ويصوّره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ، [فهو مشرق في جوانب السمع] .

وان كنت^٣ قد استدركتُ على كثيرٍ ممن سبقني إلى مثلٍ ما أُجريتُ إليه ، واقتصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لمح أوردتها كنوافثِ السحر ، وفقرِ نظماتها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظِ أهلِ العصر ، في محلول النثر ، ومعقود الشعر ؛ ولهم من لطائف الابتداع ، وتوليداتِ الاختراع ، أبكارٌ لم تفتزعها الأسماع ، يصبو إليها القلبُ والطرف ، ويقطرُ منها ماء الملاحاة والظرف ، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجعُ نافرَ الأنس ، تخللت تضاعيفه ، ووشحت تآليف ، وطرّزت ديباجه ، ورصعت تاجه ،

١ ديوان أبي العتاهية : ٣٢١

٢ زهر الآداب : ٣

٣ زهر الآداب : ٤

٤ في الأصل : ديباجاته .

ونظمت عقوده ، ورقمت بروده ، فنورها يرف ، ونورها يشف ، في روض من الكلم
مونق ، ورونق من الحكم مشرق .
وفي فصل^١ :

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطناب في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، بل
يتصل ولا ينقطع ، إذ كان غرضي فيه ، أن ألمع من معانيه ، ثم أنجر معه حيث
انجر ، وأمر فيه كيف/[١٦٩] مر ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرون بمثله ، وقد أحل نظاماً وأفرد تواماً ، نشرأ لبساط الانبساط ، ورغبة في
استدعاء النشاط .

وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تبلى نهايته ، إذ المعاني غير محصورة بعدد ،
ولا مقصورة إلى أمد ، وقد أبرزت في الصدر ، صحيفة العذر ، يجول فرندها ، ويثقب
رئدها ، ومن ركب مطية الاعتذار ، واجتنب خطية الإصرار ، فقد خرج من تبعه
التقصير ، وبرز من عهد المعاذير ، وإن أحق ما احتكم إليه ، واقتصر عليه ،
الاعتراف بفضل الانصاف ، فليعلم من ينصف أن الاختبار ليس يعلم ضرورة ،
ولا يوقف له على صورة ، فليكثر الإغماض ، وليقل الاعتراض ، ولو وقع الإجماع
على ما يرضي ويسخط ، ويثبت ويسقط ، لارتفع حجاج المختلفين في أمر الدنيا
والدين .
وفي فصل :

هو كليل الخاطر ، سقيم النفس ، صدى القريحة ، عديم الحس ، ذو طبع
جاس ، وفهم قاس ، ولله در ابن الرومي في قوله^٢ :

خفافيش أعشاها نهار بضوئه ولأَمَها قطع من الليل غيبه

١ زهر الآداب : ١٠٩١

٢ ديوان ابن الرومي : ١٥٧

بهائم لا تصغي إلى شدي معبدٍ فأما على جافي الحداء فتطرب
قد تعود لي الألسن بالسباب ، وعَمَزَ الأعين على الأصحاب ، واستعمل
الملق والكذاب ، فهو بين جاهل متغافل ، قد حُتِي قلبه ريناً ، وملىء لسائه مِيناً ،
وبين مَنْ سائمٌ غائمه تلذع ، وعقاربُ مكايده تلسع ، وبين مُعْجَبٍ متصَلَفٍ ، باردٍ
متكلّفٍ ، لا يرى سيويه كان على شيء ، كما لا يرى الكسائي قبله :

وإذا ما تذاكرَ الناسُ معنىً من شهير الأشعار والمجهول
قال هذا لنا ونحنُ كَشَفْنَا عنه للمستدلّ والمسئول^٢
فهو كما قال الخوارزمي : قد أسكرته خمره الكبر ، واستهوته غرة التيه ،
فخيل إليه أن كسرى حاملُ غاشيته ، وقارون وكيلُ نفقته ، وبلقيس إحدى
داياته ، وأن الشمس تطلعُ من جبينه ، والغمام يندى من عينه ، فهو يرى ببصرِ
جهله لا ببصيرة عقله ، وأن امرأ القيس ما بكى بالديار وعرصاتها ، ولا اغتدى
والطير في وكناتها ، ولا أحسنَ تقصيدَ القصائد ، وتقييدَ الأوابد ، وأن زياداً^٣ لم
ثوقد باليفاع ناره ، ولا أعتبَ النعمانَ اعتذاره ، وأن شعره لم يرقَ حتى يقال : الماءُ
أو أسلسُ ، ويجزل حتى يقال : الصخرُ أو أملس ، وأن زهيراً كان متعاطلاً الكلام ،
متداخلَ الأقسام ، غيرَ مطبّقٍ للمفاصل ، ولا مُصِيبٍ للشواكل ، وأما طبقاتُ
المخضرمين من الاسلاميين فلا يضربون إليه بِقَدَحٍ ، ولا يفوزون عنده بِنُجَحٍ .

فلو أتيناهُ بمستطرفٍ من مُبدعاتِ الهزلِ والجِدِ
أرقٍّ من دمعَةٍ مهجورةٍ مرهأً تمرّ بها يدُ البعدِ
لو قرَعْتُ سمعَ يزيدٍ سلا بحسن ما يسمع عن هندٍ

١ ص : سير .

٢ ص : عيبه المسئول والمسئول .

٣ يعني النابغة الذبياني .

٤ ص : من ند .

أَعْرَضَ عَنْهَا ثَانِيًا عِطْفَهُ وَلَمْ يُعْرِهَا عَطْفَةَ الْوَدِّ
هَذَا وَقَدْ لَاحَ بِوَجْهِ الْحَجِيِّ مِنْهَا ضِيَاءُ الْقَمَرِ الْفَرْدِ
وَأَقْبَلْتُ تَحْتَالُ فِي حُلَّةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا طُرُزُ الْحَمْدِ
وَمَا يَضُرُّ الشَّمْسَ أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْرِضُ عَنْهَا أَعْيُنُ الرَّمْدِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٌّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا
وَفِي فَصْل :

قَدْ تَقَارَبَتِ الصِّفَاتُ ، وَتَوَازَنَتِ الذَّوَاتُ ، وَتَكَاشَفْنَا لَمَّا تَعَارَفْنَا ، وَرَفَعَتِ الْخُلُودُ
حِجَابَ الْإِحْتِجَابِ ، وَحَطَّتِ الْخُلُطَةُ لَشَامَ الْإِكْتِتَامِ ، وَكُنَّا مَعَ طَوْلِ الْإِمْتِحَانِ
وَالْإِخْتِبَارِ ، وَمَدَّةِ الْإِلْتِبَاسِ وَالْإِحْتِيَارِ ، نَقْنَعُ مِنْ ارْتِفَاعِ الْقِنَاعِ بِلَمْحَةٍ ، وَمِنْ اتِّقَادِ
الزَّانِدِ بِقَدْحَةٍ ، وَنُبْرِزُ الْعِبَارَاتِ ، مِنْ مَعَارِضِ الْإِشَارَاتِ ، وَغَوَامِضِ الْإِسْتِعَارَاتِ ،
فِي طَرَاثِيزِ الْأَرْمَازِ يَدْقُ عَنْ مَسْرِى السَّخْرِ ، وَيَرِقُّ عَنْ مَجْرَى الْخَمْرِ :

فِي تَعَايِيرِنَا « اللَّطَافُ اللَّوَاتِي هِيَ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسْرِّ الْهَبَاءِ »^١
« بَلْ مِنَ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مَحْبٍ أَدَبْتَهُ عَقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ »

وَنَخْتَلِسُ حُرُكَاتِ الْبَيَانِ ، فِي سَكَنَاتِ الزَّمَانِ ، كَمَا اخْتَلَسَ اللَّفْظُ الْمَحْبُ
الْكُتُومَ . فَهَلُمَّ الْآنَ إِلَى التَّصْرِيحِ دُونَ التَّعْرِيزِ ، وَالتَّصْحِيحِ دُونَ التَّمْرِيزِ ،
وَتَعَالَ نَتَلَاظِفُ وَنَتَكَاشِفُ ، إِذْ قَدْ لَبَسْنَا ثَوْبَ الْأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ .

وَفِي فَصْل ٣ :

١ ص : الضياع .

٢ استعار البيتين من ابن الرومي ، ديوانه : ٦٧

٣ الابيات في الشريشي ٥ : ٢٢٧

إذا بدا القلمُ الأعلى براحيته مطرراً لرداءِ الفخرِ بالظلمِ
 رأيتَ ما اسودَّ في الأبصارِ أبيضَ في بصائرٍ لحظها للفهمِ غيرُ عم
 كروضةٍ خطرتُ في وشي زهرتها وافترَّ نوارها عن ثغري مبتسم
 وتبرَّجتُ في حللها وحليها ، وابتهجت بوسميتها/ [١٧٠] ووليها ، وكاد الهواءُ
 يسرقه لطفها ، والهوى يعتنقه ظرفا ، فاجتنت ما اشتيت من خزامها وعارها ،
 واجتلت ما رأيت من خيرها وبهارها ، ولثمتُ خدودَ وردِها وسوسانها ، ورشفتُ
 ثغورَ أقاحها وحودانها ، والتقطتُ ما لا تُخلقُ الأيامُ بهجته ، ولا تغيرُ الأعوامُ جدته ،
 من نورٍ يُقطفُ بالأسماعِ والأبصارِ ، وزهرٍ يُتناولُ بالخواطرِ والأفكارِ ، وسرحتُ
 الطرفَ في ما يفوتُ الوصفَ ، من غرائبِ إبداع ، وعجائبِ اختراع ، لم تفتزعها
 الأسماع .

وفي فصل ١ :

أسهمني من واضح الفجر غرة الصباح ، وقسم لي من طائر الذكر قادمة
 الجناح ، والبسني من التنويه ، ما لا يُعزى الى تمويه ، فأصبحتُ أجيلُ الجوزاءَ
 على يدِ قصور ، والثناءَ على لسانِ قصير ، ولئن كبتُ جيادي ، عن مضمار مُرادي ،
 وعجزَ لساني ، عما حواه جناني ، فتمثلت بقول الزعفراني ٢ :
 لي لسانُ كائه لي معادي ليس يُنبني عن كُنْهِ ما في فؤادي
 حكم الله لي عليه فلو أنصفَ قلبي عرفتُ قدرَ ودادي
 وقد علمتُ أن شمسَ الخواطرِ ، إذا جرتُ في فلك الضائِر ، اتصل النورُ
 المبين ، وانفصل الشكُّ من اليقين .

وفي فصل :

١ ورد بعضها في المسالك : ٣١٠

٢ هو أبو القاسم الزعفراني ، وبيتاه في زهر الآداب : ٣٢٤ والأول في المسالك : ٣١٠

فتقنا نوافج الآراب ، عن مسك الآداب ، ونشرنا طرائف المطارف ، عن لطائف الزخارف ، وتسألنا من أثواب المذاكرة ، وتجادنا أهداب المحاضرة ، من سانح فكر ، وغرائب فقر ، ألد من سمر بلا سهر ، إلى أن أفضينا الى ذكر البيت المظلوم واجب حقوقه ، السلوك به غير طريقه ، على أنه ورد من صفاء السلك ، وصحة الديباجة وكثرة المائبة في أجمل حلة ، وأجل حلية ، فكان كما قلت :

ومذهب الوشي على وجهه ديباجة ليست على الشعر
كرهرة الدنيا وقد أقبلت ترود في رونقها النضر
أو كالنسيم الغض غب الحيا يختال في أودية الفجر
هذا وهو بمحاورة الطبع للسمع ، ومباراة الخاطر للناظر ، من غير إعمال الفكر
ولا تدقيق النظر ، لكن بديهتك إذا أهداها قلبك إلى قلمك ، وأداها لسائك عن فهمك ، وأبديت بادرة ما أهديت إلى من عهدك به وهو محرر للنقد ، مقدّر على السرد ، أعرض عنه صفحا ، وطوى دونه كشحا ، حتى طال بلا طائل لديه ، ولا طلاوة عليه :

فقلت والقلب موقوف على حرق
أي القرائح يعفو لمع بارقها في عارض من ظلام الليل مرتكم
بحيث لا نحن من إقبال ذي أدب نحظى بنجح ولا إفضال ذي كرم
إذا كان من إليه تتحاكم الخصوم في كل العلوم ، فتقف منه الأبواب على
فصل الخطاب ، وفص الصواب ، ووجه الجواب ، يلحظ ما يجري لأبناء عصره ،
وأبناء دهره ، من سر البديع ، الزاهي على زهر الربيع ، والزاري بالوشي الصنيع ،
بطرف أسقم من أجفان الغضبان ، ويعيره وجهاً هو لفرط التقطيب ، كوامق فاجأه
شخص الرقيب ، أو غزل طالعه وفد المشيب ، فأى لب يصفو مزاجه ، وأي قلب
يضيء سراجة !

وهذه أيضاً جملة من شعره

حكى أبو علي بن رشيقي في كتابه المترجم : « الأنموذج » قال : كان أبو إسحاق الحصري قد نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطه ، وكان منزله لزيق جامع مدينة القيروان ، فكان الجامع بيتة وخزانة ، وفيه اجتاع الناس إليه ومعه ؛ ونظر في النحو والعروض ، ولزمه شبان القيروان ، وأخذ في تأليف الأخبار ، وصنعة الأشعار ، مما يقرب في قلوبهم ، فرأس عندهم ، وشرف لديهم ، ووصلت تأليفاته صقلية وغيرها ، وانتالت الصلات عليه ، وله شعر كثير . ومن شعره مما أنشده ابن رشيقي^١ :

إنني أحبك حباً ليس يبلغه فهمي ولا ينتهي وصفني الى صفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مني عن إدراك معرفته

وأنشد له :

ولقد تسمت الرياح لعلني فائترن من حرّ الصبابة كامناً
وأذعن من سرّ الهوى مكتوماً وكذا الرياح إذا مررن على لظى
نار خبت ضرمها تضريماً

وله^٢ :

عليل طرف سقيت خمرا من مقلتيه فمت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماءً مازج فيه العقيق درّا [١٧١]
يحرك الدل منه غصناً ويطلع الحسن فيه بدرا
[قد خط مسك بعارضيه خلقت للعاشقين عذرا]

١ البيتان في ياقوت ٢ : ٩٦ وابن خلكان ١ : ٥٤ - ٥٥ والوافي ٦ : ٦١

٢ البيت الأول في المسالك : ٣١١ وما بين معقنين زيادة عنه أيضاً ؛ والابيات جميعاً في التريشي ٥ : ٢٢٧

وقال ، مما لم ينشده ابن رشيق^١ :

تلاحظني صروف الدهر شزرا وفي عيني دموع ليس ترقا
أقلب في الدجى طرفاً قليلاً ولو نُشِرَ الذي أطوى عليه
أصمّ مسامع الدنيا عويلاً فيا مَنْ غاب عن عَيْني مَشُوق^٢
قرأتُ كتابك الأعلى محلاً فأحياني وقد غودتُ ميتاً
نقشتَ بحالكُ الأنقاسِ نوراً فذبّج من بسيط الفكر روضاً
لو استسقى الغليلُ به لرؤى هفا عطرُ الجنوبِ له نسيمُ
نثرتُ لنا على الكافور مسكاً فيا مَنْ تمسكُ الأوصافُ عنه
ومن يدعو القلوبَ إلى مناها ومن يجري اللآلئ في أقاح
ويغرسُ في رياضِ الدلِّ غصناً كأنَّ بخدّه ذهباً صقيلاً
أفرط فيك إن أفرطتُ وصفاً

كأنَّ عليّ^٣ للأيام وترا
وفي قلبي صدوع ليس تبرا
إذا جَبُّ الظلام عليّ زُراً
على من تحويه الأرض طراً
وهزَّ جوانحَ الأيام ذعرا
يرى لنواه طعمَ العشق^٤ مرّاً
لدي وموقعاً ويدا^٥ وقدا
وأشرّني وقد ضمنتُ قبراً
[جلا] لعيوننا نوراً وزهراً
أنيقاً مشرقَ الجنبات نضرا
أو استشفى الغليلُ به لأبرا
أقولُ إذا أناسمُ منه نشرأ
ولم تنثر على القرطاس حبرا
أعنةً وصَفْنَا نظماً ونثراً
بعينه فلا تأتبه قسرا
يمارِجُ ظلمه برداً وخمرا
ويُطْلَعُ في سماء الحسن بدرا
أذابَ عليه ياقوتاً ودراً
وأعجزُ عنك إن أعجزتُ شعرا

١ منها أبيات في الشريشي ٥ : ٢٣٨

٢ كذا في ص ولعل الصواب « العيش » .

٣ الشريشي : شرفاً .

٤ ص : بنورك .

ولي قلبٌ عليك لما يلاقي
ولولا ما يؤملُ من لقاء^١
سأسحبُ فيك أذيالَ الأمانِي
لعلَّ الدهرَ يُتَمِّعُ منك طرفي
وقال :

إفانِ ضمهما الهوى في خلوةٍ
فاذا الرقيبُ مُطالعٌ عن غفلةٍ
فتفرقا عن ساكِبٍ متحدِرٍ
وكأنما الوقتُ الذي سَعدا به
ليتَ الذي خلقَ الرقيبَ أصابه
قوله في ما تقدم : « وكذا الرياح اذا مررنَ على لظى » .. البيت ، كقول ابن
الرومي :

لا تغرينَ جوى بلومٍ إنه
كالريح تغري النارَ بالإحراقِ
وقال يحيى بن هذيل القرطبي^٢ :

رَوْحني عاذلي فقلتُ له
أما ترى النارَ وهي خامدةٌ
مَهْ . لا تَزْدَنِي على الذي أجدُ
عند هبوبِ الرياحِ تَتَقَدُّ

وحكى أبو صفوان العتكي بصقيلية قال^٤ : كان أبو اسحاق الحصري يختلف
إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشيخ كلفا بالمعذرين [من] الغلمان ، وهو
القائل فيهم :

١ ص : البك ، ولعلها « البين »

٢ ص : بقاء .

٣ وردا في القسم الأول من الذخيرة : ٦٢١ منسويين لابن اللباني .

٤ وردت القصة والأبيات في الشريشي ٣ : ١١٧ وابن خلكان ١ : ٣٩٤ (نقلاً عن الذخيرة)

ومعذرينَ كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسكِ تستمدُّ خلوقا
قرئوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظّموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا
فهمُ الذينَ إذا الخليُّ رآهمُ وجد الهوى بهمُ إليه طريقا

وكان يختلفُ إليه غلامٌ من أعيانِ أشرافِ القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينما هو يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام :

في صورةٍ كَمَلْتُ فخلتُ بأنّها بدرُ الساءِ لستِ وثانِ
يُعشي العيونَ ضياؤها فكأنّها شمسُ الضحى تعشى بها العينانِ

فقال له الشيخ : يا حصري ، ماذا تقول في من هام بهذا القدّ ، وصبا بهذا الحدّ ؟ قال له الحصري : الهَيَّانُ به والله غايةُ الظُّرفِ ، والصبوةُ إليه من تمام اللطف ، لاسيما إذا شاب كافورا خدّه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليلُ البهيم ، والله ما خلتُ سوادهُ في بياضه إلا بياضَ الإيمانِ في سوادِ الكفرِ وغيبَ الظلماءِ في منيرِ الفجر . فقال : صِفْهُ يا حصري ، قال : منْ مَلَكَ رِقَّ القولِ حتى أنقادت له صعاَبُهُ ، ودُلِّلَ له جموحه حتى سَطَعَ له شهابُهُ ، أقعدُ مني بذلك ، فقال : صفه ، فاني معملٌ^٢ فكري في ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصري^٤ :

أورد قلبي الردى لأم عذار بدا
أسود كالکفر في أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أتراك / [١٧٢] اطلعت على [ضميري أو خضت بين جوانحي

وزفيري ؟ قال : لا ؛ ولمَ ذاك ؟] قال : لأنني قلت :

١ الشريشي : شام كافوره . ص : شيب

٢ ص : الكفران .

٣ ص : فاني نعمل ؛ وهي بعامية الاندلس والمغرب .

٤ ابن خلكان ١ : ٥٥ ، ٣٩٤

حرَّكَ قلبي فطارُ صولجُ لامُ العذار
أسودُ كالليل في أبيضَ مثلُ النهار

فصل في ذكر الأديب الكامل أبي علي بن رشيقي المسيلي^١

وسياقة طرف من غرائب أشعاره ، وعجائب أخباره

بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدَّبَ بها قليلاً ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة. وكان أبو علي ربةً لا يبلغها الماء، وغايةً لا يناها الشدَّ والارخاء^٢. محله من العلم ، محلُّ الصواب من الحكم ، واقتدارُهُ على النثر والنظم ، اقتدارُ الوتر على السهم ، إن نظم طافَ الأدبَ واستلم ، أو نثر هلَّلَ العلمَ وكبر ، أو نقد سعى الطبعُ الصقيل وحفَدَ، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب . ولم يكن لأهل إفريقية قديماً في الأدب نبغٌ ولا عَرَبٌ ، ولا من لسانِ العربِ ورْدٌ ولا قَرَبٌ ، يدلُّ على ذلك ما وصف به أبو علي البغداديَّ أهلَ القيروان ، وقد أثبتَّه في موضعه من صدرِ هذا الديوان^٣ . ورأيتُ ديواناً مجموعاً في أشعارِ قدماءِ أهلِ إفريقية هو بالكم أشبه ، وفي لسانِ العجم أنوهُ وأثبَّه ، هذا وأجنادها على قِدَمِ الدهرِ العربُ العاربة ، وقوادها الأغالبةُ والمهالبة ، فلما زال ملكها عن أيدي العرب ، تدفَّقتُ بها بحورُ الأدب ، وطلعتُ منها نجومُ الكتب ، ورَمَتْ أفاصي البلاد ، بمثل دُرَى الأطواد ، وسمعنا بزهر الآداب ، وأنموذج الشعرِ اللباب ، وبفلان وفلان ، من كلِّ فارس ميدان ، وبحرِ

١ ترجمة ابن رشيقي في الخريدة ٢ : ٢٣٠ وانباه الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وابن خلكان ٢ : ٨٥ (وفيه نقل عن الذخيرة) ومسالك الأبيصار ١١ : ٢٢٧ ولذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب ١ : ٥٢ وللاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب بساط العقيق في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيقي ، وللدكتور عبد الرحمن باغي كتاب عنه : وقد جمع شعره اليمني في التنفيم باغي ، ولا يزال كثير من شعره غير مضمَّن في هذين المجموعين وخاصة جانب غير قليل مما أورده ابن بسام .

٢ المسالك : وغاية لا تناها الوجناء .

٣ راجع القسم الأول : ١٤ - ١٥ .

بلاغه وبيان . وقال أبو علي بن رشيقي ، وما أبو علي ؟ شعاع القمر ، وحديث السمر ، ومعجزة الخبر والخبر ، فات الأواخر والأوائل ، وأسكت المناظر والمائل .

ولما طلع نجم^١ النحوس ، بملك^٢ المعز بن باديس ، وخرج الى المهدي بسماء كاسفة الأقيار ، وذمائم أقصر من ظمء الحمار ، كان أبو علي ممن انحسر في زمرة المحروبة ، وتحيز إلى فئته المفلولة المنكوبة ، فأقام معه بها أنفة من الجلاء ، وإشفافاً من فرقة الأحبة والخلصاء ، وغشي المهدي أسطول الروم فأصبح البحر ثنايا ، تُطْلَع المنايا ، وأكاماً تحمل موتاً زواما ، فدخل يومئذ على تميم^٣ حين وضع الفجر ، وقد تم الذعر ، وضاق ذات الصدر ، فوجده في مصلاه والرقاع عليه تَرْدُ ، والشمع بين يديه يتقد ، فقام على رأسه يُنشد قصيدته التي أولها :

تثبت لا يخامرُك اضطرابُ فقد خضعت لعزتك الرقابُ
فقال له : مه ، أحال عهدك أم تغير ، أم قد أدبر بك الزمان في ما أدبر ؟
ويلك ! متى عهدتي لا أثبت ؟ إذا لم تجننا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟
وأمر بالرقعة التي كانت فيها القصيدة فمزقت ، ولم يقنعه ذلك حتى أدنوها إلى السراج فأحرقت ، فخرج ابن رشيقي يومئذ من عنده على غير طريق ، لا يعقل ما يبطأ ، ولا يدري إلى أين ينكفي ، وكان وجهه إلى صقلية ، وكان ابن شرف قد سبقه إليها ، ووفد قبله عليها ، وكان وقع بينهما بالقيروان ، [ما وقع] بين الخوارزمي وبيديع الزمان ، من مناقضات ومعارضات ، شحذت الطباع ، وملأت العيون والأسماع ، وتجاوزت الإحسان والإبداع ، فلما اجتمعا يومئذ بصقلية تنمر بعضهما لبعض ، وتشوف أعلام البلد لما كان بينهما من إبرام ونقض ، وقصد ابن رشيقي

١ المسالك : نجوم .

٢ المسالك : بسماء .

٣ المسالك : المعز : وهو أصوب

٤ المسالك : الشمع

بعضُ إخوانه وقال له : أنتمَا علما الإحسان ، وشيخا أهل القيروان ، وقد أصبحتما بحالٍ جلاء ، وبين أعداء^١ ، والأشبهُ بكما ألا تَفْريَا أديكما ، ولا تُطْعما الأعداءَ لحومكما ، فقد كان يحميكما السلطانُ ، ويمحو كثيراً من مساويكما الإخوان ، فقال له : إيتِ ابنَ شرف فخذْ عهدَهُ بذلك ، فلستُ أنا أراجِعُكَ فيما هنالك ، فأتاه وكان امرأً صِدْقٍ ، فوجده أجنحَ للسَّلم ، وأدنى إلى الحلم ، برىء إليه من صَبِيهِ وصَعْدِهِ ، وأعطاه على الوفاء بذلك صفقتي لسانيه ويده ، فكان ابنُ رشيق بعد ذلك ربما أعرض وعرض^٢ ، وتحلَّبَ إلى شيء من تلك الهنات أو تلمظ ، وأما ابن شرف فلم يحلَّ ما عقد ، ولا حالَ عما عهد .

ولابن رشيق عدة تواليف في النظم والنثر ، نثت بها في عُقَدِ السحر ، ككتابه المترجم بـ « العمدة » و « كتاب الأتموزج »^٣ ، إلى عدَّة رسائلٍ رائقة^٤ ، وبدائع فائقة . وأما الشعرُ فإنه أنسى/[١٧٣] أهله وملك منه شَحْنَهُ وَجَزَلَهُ ، وقد أثبتُ من خبره ، وحميد أثره ، ما يملأ الآذان بياناً ، ويبهر العقول [حسناً] وإحساناً .

جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره

حدثَ أبو عبد الله بن الصفار الصقلي قال : كنتُ ساكناً بصقيلية وأشعار ابنِ رشيق تردُّ عليّ ، فكنتُ أتمنى لقاءه ، حتى استغلبت الرومُ علينا ، فخرجتُ فاراً بمهجتي ، تاركاً لكلِّ ما ملكت ، وقلتُ : أجتمعُ مع أبي عليّ ، فرقةً شمانله وطيبُ مشاهدته سيذهبُ عني بعضُ ما أجِدُّ من الحزن على مفارقة الأهل والوطن ، فجئتُ القيروانَ ولم أقدِّمُ شيئاً على الوصول إلى منزله ، فاستأذنتُ ودخلتُ ، فقام

١ المسالك : الأعداء .

٢ المسالك : اعترض وتعرض .

٣ نشر العمدة عدة مرات دون تحقيق ، أما الأتموزج فمنه قطعة صالحة في مسالك الأبصار . ونقول كثيرة في الوافي والفوات وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الأدباء .

٤ من رسائله : قراضة الذهب ، وقد نشرت بتحقيق جيد قام به الأستاذ الشاذلي بويحيى . (نونس ١٩٧٢)

إليّ وهو ثاني اثنين ، فأخذ بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته عن أمري [...] و بعد أن تمكن أنسي بمجالسته قال لي يوماً : يا أبا عبد الله ، إنّ ها هنا بالقيروان غلاماً قد برّح بي حبّه ، واستولى عليّ كُرْبُهُ ، منذ عشرة أعوام ، وأنا إذ عضّ هواه على كبدي ، وسطا شوقُهُ على جلدي ، ناهضُ إليه ، وحسْبُكَ أنني ما اضطربتُ عنكَ منذ حين ، إلا أني أحدثُ نفسي بحديثه العذبِ المواردِ والمصادر ، وأعلّلها بأخباره المحمودَةِ الأوائلِ والأواخر ، فإن أنت ساعدتني على الشخوصِ إليه قَدِمْتَ عندي يداً لا يَعْدِلُهَا إلا رضاه ، فقلت : سمعاً وطاعة ؛ وصرتُ معه حتى جئنا صناعةَ الجوهريين ، فاذا بغلامٍ كأنه بدرُ غامٍ صافي الأديم ، عطرِ النسيم ، كأنما يضحكُ عن درٍّ ، ويسْفِرُ عن بدر ، قد ركبَ كافورَ عارضيه غبارُ عنبر ، فحكى كتابةً مِسْكٍ على بياض ، يجرّحه الوهمُ بخاطره ، ويدميه الطرفُ بناظره ؛ فلما رآنا الغلامَ علّته خجلةً سلبتُ وجهه أبي عليّ ماءه ، فأنشدته قول الصنوبري :

آيةٌ من علامةِ العشاقِ اصفرارُ الوجوه عند التلاقي
وانقطاع يكون من غير عيٍّ ولوعٍ بالصمتِ والاطراقِ

فقال لي : يا أبا عبد الله ، والله ما واجهته قطّ بوجهي إلا وعُشِّي عليّ ولكنّي تثبتُ^٢ بك ، وأنستُ إلى عذوبة لفظك ، مع أني لم أزود من وجهه القمر ، إلا متعةً بقده المثمر ، لتتكيسه رأسه عند طلوعي عليه ، فقلتُ : ولم ينكس رأسه ؟ والله ما رأيتُ أشبهَ بالبدر منه خدّاً ، ولا بالغصن قدّاً ، ولا بالدّرّ ثغراً ، ولا بالمسك من رياه نَشْراً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما أبصركَ بمحاسن الغلمان ، لا سيما من فضضتُ كفّ الجبالِ صفحته ، وذهبتُ وجنته ، وخافت على تفاح خدّه العيون ، فوكّلت بها الفتون ، يا أبا عبد الله : ينكسُ رأسه لأنني علّقته وخدّه هلالِي ، وفرعه ظلامي .

ولحظهُ بَابِلَى ، وقَدَّه قُضِييَ ، وَرَدُّفُهُ كُثِييَ ، وَخَصْرُهُ سَابِرِي ، وَصَدْرُهُ عَاجِي ،
فَكَانَ فَمِي يَشْرَبُ كَافُورَهُ بِالشَّفَقِ ، فَيَخْرُجُ ذَلِكَ صَدْرَ الْغَسَقِ ، فَوَكَّلَ مِنْ بَهِيمِهِ ،
رَقِيباً عَلَى فَضِي أَدِيمِهِ ، فَتَوَهَّمَ ذَلِكَ الطَّاهِرُ الْأَخْلَاقِ ، وَالطَّيِّبُ الْإِعْتِنَاقِ ، أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا
يُضْغِفُ أَسْبَابَ مَحَبَّتِهِ ، وَيُخْلِقُ رَسُومَ مَوَدَّتِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : بِحَقِّي عَلَيْكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ إِلَّا مَا
قُلْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئاً ، فَأَطْرَقَ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ ^١ :

وَأَسْمِرُ اللَّوْنَ عَسْجَدِيَّ يَكَادُ يَسْتَمْطِرُ الْجَهَامَا
ضَاقَ بِحَمْلِ الْعَذَارِ ذِرْعاً كَالْمَهْرِ لَا يَعْرِفُ اللَّجَامَا
وَنَكَّسَ الرَّأْسَ إِذْ رَأَيْتُ كَابَةً وَانْتَسَى احْتِشَامَا
وَطَنَّ أَنَّ الْعَذَارَ مِمَّا يَزِيحُ عَنْ قَلْبِي الْغَرَامَا
وَمَا دَرَى أَنَّهُ نَبَاتٌ أَنْبَتَ فِي جَسْمِي ^٢ السَّقَامَا
وَهَلْ تَرَى عَارِضِيهِ إِلَّا حَائِلًا قُلْدَتُ حُسَامَا ^٣

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر :

وَمُسْتَحْسِنٌ وَصَلِيَّ جَعَلْتُ وَصَالَهُ شِعَارِي فَمَا أَنْفَكُ دَابَّاً أَوَاصِلُهُ
كَأَنَّ بَعِينِيهِ إِذَا مَا أَدَارَهَا حُسَاماً صَقِيلاً وَالْعَذَارُ حَائِلُهُ
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّقْلِيُّ : فَلَمْ أَزَلْ أَتَكَرَّرُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ وَالْأَظْفَهُ حَتَّى
أَطْلُعَنِي عَلَى سَرَائِرِهِ مَعَ ذَلِكَ الْغَلَامِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَطْلَعْتُ لَهُ مَعَهُ عَلَى مَا يَحَاسِبُ بِهِ مِنْ
قَبِيحٍ فَعَلٍ وَلَا مَذْمُومٍ . وَكُنْتُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَخْتَلِفُ إِلَى ذَلِكَ الْغَلَامِ الْجَوْهَرِيِّ ،
فَجَلَسْتُ يَوْمًا إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ أَذْكُرُ لَهُ بَعْضَ مَا ذَكَرَ لِي أَبُو عَلِيٍّ ، فَرَأَيْتُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ،
وَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثُمَّ أَخَذَ سِحَاءَةً فَكَتَبَ فِيهَا : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كَتَمْتُ السِّرَّ
حَلِيَّةُ الْقَلْبِ ، فَإِنْ أَرَاكَ بَقِيَ عَاطِلاً » ثُمَّ طَوَاهَا وَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَقَالَ : قَدْ أَوْدَعْتُ

١ ديوان ابن رشيقي : ١٦٨ والشريشي ٢ : ٣٣٥ ٢ الشريشي : قلبي .

٣ مر هذا البيت من قبل ٣ : ٨٢٢ وروايته « وهل على عارضيه ... حائل » .

السحابةَ لفظاً موجزاً/ [١٧٤] ومعنى مُحَرَّزاً ، فاذا وردت على أبي عليٍّ فأَعْلِمُهُ أَنَّ
 المحبَّ إذا كتم رُجِمَ ، واذا نشر [فُضِّحَ] فلا يَعُدُّ بعد هذا إلى إفشاء سرِّي ، فان نَمَّ
 بحبي انتهيتُ عن زيارته والإلمام به ، وَعَوَّضْتُه من لذته بفيض الدموع ، وطولِ
 الخضوع ، حتى لا يجرع كأساً إلا مشوباً ، ولا يزرّ ثوباً إلا خضلاً بعبرة مقلته ،
 وأنا أقسمُ بحاجته إليّ ، وإدمانه بالبوح عليّ ، ألا أُخْلِي صدره من زفرة ، ولا ضلوعه
 من حمرة ، ولا جفونه من عبّرة . فجئتُ أبا عليٍّ ، فدفعتُ اليه السحابةَ وقرأها ،
 وأخبرتهُ كلامه ، فشهِقَ شهقةً توهمتُ أن ضلوعه تقضقضت ، وقال لي : أبهذا القسم
 أقسم ؟ قلتُ : نعم ، قال لي : أتريدُ أن أنظم لك منشوراً جئتني به حتى تتوهم أنه
 كلامه ؟ قلتُ : بحياتك إلا ما فعلت ، فقال ٢ :

لَمْ بَاحْ بِاسْمِي بَعْدَ مَا كَتَمَ الْهُوَى زَمناً وَكَانَ صَيَانَتِي أَوَّلِي بِهِ
 فَلَا [مَنْعَن] جَفَوْنَهُ طَيْبَ الْكُرَى وَلَأَمْزَجَنَ دَمُوعَهُ بِشْرَابِهِ
 وَحَيَاةَ حَاجَتِهِ إِلَيَّ وَفَقْرَهُ لَأُوَاصِلَنَّ عَذَابَهُ بِعَذَابِهِ
 قال أبو عبد الله : ثم استنشده من شعره فيه فأنشدني عدة مقطوعات ،
 منها قوله ٣ :

وفاير الأُلْحَاطِ فِي وَجَنَةِ كَأَنَّهُا فِي الْحُسْنِ وَرْدُ الرِّيَاضِ
 قَلْتُ لَهُ يَا ظَبِي خُذْ مَهْجَتِي دَاوِ بِهَا تِلْكَ الْجَفَوْنَ الْمَرَضِ
 فَجَاوَبْتُ مِنْ خَدِّهِ خَجَلَةً كَيْفَ تَرَى الْحَمْرَةَ فَوْقَ الْبَيَاضِ

وقوله ٤ :

إِنْ كُنْتَ تَنْكُرُ مَا مِنْكَ ابْتَلَيْتُ بِهِ وَأَنْ بَرَّءَ سَقَامِي عَزَّ مَطْلَبُهُ

١ ص : برز .

٢ الديوان : ٤٠

٣ الديوان : ٩٦ والشريشي : ٥ : ٢٣٠ .

٤ الديوان : ٣٣ والشريشي : ٥ : ٦٧

أَشْرَ بَعُودٍ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ نَحْوِ فَمِي وَانْظُرْ إِلَى زَفْرَاتِي كَيْفَ تُلْهِيهِ

وقوله :

تَمَيَّتُ تَقْبِيلاً عَلَيْهِ فَجَادَ لِي فَقُلْتُ لَهُ جُدْ لِي بِشُغْرِكَ إِنِّي

ومن جيد قوله^١ :

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانِ وَصَبْرَهُ فِيهَا ثَوَى شَخْصٌ عَلَيَّ عَزِيزُ
تَرَى أَنَّنِي فِي الْقَرَبِ مِمَّنْ أَحَبَّهُ عَلَى بُعْدٍ مَا بَيْنَ الدِّيَارِ أَفُوزُ
وَإِنْ كَانَ إِدْرَاكُ الْمُحِبِّينَ بَغِيَةً عَلَى مَذْهَبِ الْأَيَّامِ لَيْسَ تَجُوزُ

وقال فيه :

مُدْمَجُ الْخَصْرِ وَالْحَشَا يَتَشَّى إِذَا مَشَى
هُوَ بَدْرٌ بِوَجْهِهِ وَبِأَجْفَانِهِ رَشَا
مَا عَلَيْهِ إِذَا الضَّنَا شَاعَ فِي الصَّبِّ أَوْ فُشَا
جَارٌ قَاضِي صَبَابَتِي وَهُوَ لَا يَقْبَلُ الرَّشَا

وقال فيه^٢ :

وَمَهْفَهْفٍ يَحْمِيهِ عَنْ نَظَرِ الْوَرَى غَيْرَانُ سَكُنَى الْمَلِكِ تَحْتَ قَبَابِهِ
أَوْمَى إِلَى أَنْ ائْتَنِي فَاتَيْتَهُ وَالْفَجْرُ يَرْمِقُ مِنْ خِلَالِ نِقَابِهِ
فَلْتَمْتُ خِذَاً مِنْهُ ضَرَمَ لَوْعَتِي وَجَعَلْتُ أُطْفِي حَرَّهَا بِرِضَابِهِ
وَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوْهَبْتُ مِنِّْي ثِيَابِي بَعْضَ طَيْبِ ثِيَابِهِ
فَكَأَنَّ^٣ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ طَرِباً يَخْبِرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ

١ الديوان : ٩٠

٢ الديوان : ٢٧ والنريتي : ٤ : ٣٠

٣ ص : فطار .

وينظر في هذا المعنى قول ابن المعتز :

يا ربَّ إخوانٍ صحبتهمُ لا يدفعون لسلوةِ قلبا
لو تستطيعُ قلوبهمُ نَفَذَتْ أجسامهمُ فتعانقت حبا

وقال ابن الرومي^٢ :

أعانقهُ والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليه وهل بعد العناقِ تداني
وألثمُ فاه كي تموتَ حرارتي فيشتدُّ ما ألقى من الهيان
كأنَّ الذي بي ليس يشفي غليله سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

قال أبو عبد الله : وناولته يوماً تفاحةً فقال^٣ :

وتفاحةٍ من كفٍّ ظبيٍّ أخذتها جناها من الغصنِ الذي مثلُ قُدِّهِ
لها لمسُ ردفه وطيبُ نسيمه وطعمُ ثنياه وحمرةُ خده
قال أبو عبد الله ، وأخبرني أبو عليّ قال : وعدني يومَ عيدٍ بالكُونِ عندي ،
فصليت وارتقبتُ مجيئه ، فإذا بالسَاءِ قد ارعدت وأبرقت فكتبت إليه والغيثُ
منهمل^٤ :

تجهمَّ العيدُ وانهلَّت مدامعه وكنْتُ أعهدُ منه البشرَ والضحكا
كأنما جاء يطوي الأرضَ من بُعْدٍ شوقاً اليك فلما لم يجذك بكى
قال أبو عبد الله ، قال أبو عليّ^٥ : كنت [أوصي] غلاماً وضيعاً كان يختلف
إليّ وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه فأوقع به ،
فأخبرت بذلك فقلت :

١ الشريشي ٤ : ٢٩ وديوانه ١ : ٣٩٦ (بغداد) .

٢ الشريشي ٤ : ٢٩

٣ الديوان : ٦٤ والشريشي ٥ : ٢٥٤

٤ الديوان : ١٤٠ وابن خلكان ٢ : ٨٦

٥ نقلها الشريشي ١ : ٤١٦ ، وانظر الديوان : ١٤٦

يا سوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا صيغ من الخائم خلخال/ [١٧٥]
وهذا المعنى : القول فيه طويل ، وقول ابن المعتز يناسبه في المعنى لا في
اللفظ ، وهو قوله^١ :

مضى مالك والمال تسعون درهماً فآب ورأس المال ثلث الدراهم
وقال أبو محمد بن صارة الشنتريني :

مِنْ كُلِّ مَنْ نِيكَ حَتَّى صَارَ مِنْ سَعَةٍ
كَمَا تُحَلُّ يَدُ مِنْ عَقْدٍ تَسْعِينَا

قال أبو علي : وكنت أميل إلى قينة من قيان القيروان اسمها ليلي ، فعلقها
بعضُ خدام^٢ الحصون ، وكان يحسبُ خدمتها وكنسها منزلةً لا تتلم جاء متوليها ،
فنهيتها عنها فلم ينته ، فقلت فيه^٣ :

ظَنَّ أَنَّ الْحَصُونَ مَلِكٌ سَلِيمٌ وَلَيْلَى بِجَهْلِهِ بَلْقِيسَا
وَلَهُ فِي الْعَصَا مَآرِبٌ أُخْرَى حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَكُونَ لِمُوسَى

وهذا كقول إدريس من جملة أبيات :
فقال وَمَنْ هَذَا الَّذِي جَاء طَارِقاً فَقُلْتُ أَنَا مُوسَى وَهَذِي هِيَ الْعَصَا

ما أخرجته من سائر مقطوعاته في أوصافٍ شتى

قال^٤ :

١ الشريشي ١ : ٤١٦

٢ الشريشي : خالد .

٣ الديوان : ٩١

٤ الديوان : ٧١ والشريشي ٣ : ٣٢٠ وابن خلكان ٢ : ٨٨

وبك استغثت^١ على الضعيف المودي
وبعثت واحدة على النمرود

يا رب لا أقوى على دفع الأذى
ما لي بعثت علي ألف بعوضة
وله في بعض قضاة القيروان :

والطبل لا يضرب تحت الكسا
فامنعه أن يحكم بين النسا

أقولها لو بلغت ، ما عسى
قاضيكَ إن لم تخصه عاجلاً

وقال :

إنني أشم عليك رائحة الدم
حتى وطئت بها فراش الأرقم
وأمنت جهلاً من وثوب الضيغم

يا سالكاً بين الأسنة والظبا
يا ليت شعري من رقاك بعوضة
أزحمت أساد الشرى في غيلها

وأشدت له :

كقابس النار لم يشعر من الخجل
عني فقبلتها عشراً على مهل
فانما افتضح العشاق في القل

قبلت فاهها على خوف محالسة
ماذا على رصدي بالنار لو غفلوا
غضي جفونك عني وانظري أمماً

وقال^٢ :

يا مَنْ يتيه بعارضيه يريد بالعشاق شراً
ما كنت تصلح في الجديد فكيف تصلح بالمطرى

وهذا كقول أبي بكر الخالدي^٣ :

ما كان ينفعه لدي شبابُه
فعلام يجهد نفسه بخضابه

١ ابن خلكان : استغثت .

٢ المسالك : ٢٣٢

٣ لم يرد في ديوانه . وقد مر منسوباً له ٤ : ٢٥٦ .

وقال ابن رشيقي :

حجّتْ إلى وجهك أبصارنا طائعةً يا كعبة الحسن
تمسح خالاً منك في وجنة كالحجر الأسود في الركن

ولكشاجم في مثله^١ :

فلم يزل خدّه ركناً أطوف به والخال في خدّه يُغني عن الحجر

وأنشدت له^٢ :

إن زرتُه يوماً على خلوة أو زارني في موضع خال
كنتُ له رفعاً على الابتدا وكان لي نصيباً على الحال

وهذا كقول ابن الميكالي^٣ :

أفدي الغزال الذي في النحو كلمني مجادلاً فاجتنيّ الشهد من شفّتي
وأورد الحجج المقبول شاهدها مناظراً ليريني فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأيٍ رضيتُ به والرفع من صفتي والخفض^٤ من صفته

وقال ابن رشيقي ، وهو من أملح ما له^٥ :

أومى بتسليمة اختلاس والناس في حومة الوداع
أحلى وإن لم تكن سماعاً من نغم الزمر والسماع
وأفتر عن مبسم شنيب تختمه دارة الرباع

١ زهر الآداب : ٣٧٩ والحديث فيه عن المؤنث لقوله قبله :

فديت زائرته في العيد واصله والهجر في غفلة من ذلك الخبر

٢ نسبت الأبيات في زهر الآداب : ٧٢٠ لأبي الفتح البستي .

٤ زهر الآداب : مناظراً

٥ زهر الآداب : محققاً

٦ زهر الآداب : والنصب .

٧ ديوان ابن رشيقي : ١٠٩ والمسالك : ٢٣٢

وقد نَوَتْ مقلته نوماً وددتْ لو كان في ذراعي
فكان لي موقفُ افتراقٍ وللهوى موقفُ اجتماع
وقال^١ :

همَّتْ عذاراهُ بتقييله فاستلَّ من عينيه سيفين
وذلك المحمَّرُ من خدِّه دماءُ ما بين الفريقين
وقال^٢ :

غَنَّتِي يا أعرَّ ذا الخلقِ عندي «حيَّ نجداً ومن بأكنافِ نجدٍ»
واسقني ما يصيرُ ذو البخلِ منها حاتماً والجبانُ عمرو بن معدي
في أوان الشبابِ عاجلني الشيسب فهذا من أولِ الدنِّ دُردي
وقال^٣ :

اشترى خنجراً لقتلي وما ذاك يجملُ
فسلوه فإنَّ عَنْ مثلِ ذا الشانِ يُسألُ
كيف يمشي بخنجرٍ من بعينه يقتل
وقال^٤ :

شكوتُ بالحبِّ إلى ظالمي فقال [لي] مستهزئاً ما هو
قلتُ غرامُ ثابتُ قال لي اقرأ عليه « قلُّ هو الله »

وقال^٥ :/[١٧٦]

معتدلُ القامةِ والقَدَّ مورَّدُ الوجنةِ والحَدَّ

١ ديوانه : ٢١٤ والمسالك : ٢٣٢ والشريشي ٤ : ٢٩٠

٢ ديوانه : ٦٢ والشريشي ٣ : ٢٠٢

٣ المسالك (الأول والثالث) : ٢٣٢

٤ ديوانه : ٢٢٢ والشريشي ١ : ١٥٣

٥ ديوانه : ٦١ والشريشي ١ : ١٥٣ والأول والثاني في المسالك .

لو وضع الورد على خده ما عُرِفَ الوردُ من الورد
قل للذي يعجبُ من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد
وقال :

ولقد قطعتُ الليلَ في دعةٍ من غير تأثيمٍ ولا ذنبٍ
بأعزَّ من بصري على بصري وأحبَّ من قلبي إلى قلبي
وقال :

تلفتُ فما أفرقُ بين قيراطٍ ودينارٍ
ذهابَ الزيتِ في القنديلِ بين الماءِ والنارِ
وقال^١ :

ومن حسناتِ الدهرِ عندي ليلةٌ من العمر لم تترك لأيامنا ذنباً
خلونا بها تنفي القذى من عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكناً
وملنا لتقيل الخدود ولثمها كمثل جياح الطير تلتقطُ الحباً
وقال^٢ :

يا من يمرُّ ولا تمرُّ به القلوبُ من الحرقِ
بغمامةٍ من خده منها سرقِ
وكأنه وكأنها قمرٌ احاطَ به شفقِ
فاذا بدا وإذا مشى
شغل الجوانحَ والجوا رحَ والخواطرَ والحدقِ
وقال من قصيدة^٣ :

حسبي وحسبك من لومٍ وتثريبٍ بان الذي كان يغريني ويغري بي

١ ديوانه : ٣٢ والشريشي ٢ : ١٥١ وابن خلكان ٢ : ٨٧

٢ ديوانه : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٢٣٧

٣ منها خمسة أبيات في ديوانه : ٣٤

أما الشبابُ فقد ودعتُ لذته
عرفتُ حالَ الليالي في تصرفها
وذللَّ الدهرُ صعبِي فاستكنتُ له
قرعتُ سنِّي على ما فاتني ندماً
فقد رددتُ كؤوسَ اللهو مترعةً
وربما أذكرتني صبوةً سلفت
أنزَّهُ السمعَ والعينين في نَعَمٍ
من كلِّ لافظةٍ بالدرِّ باسمٍ
أيامَ تصحبني الغزلانُ آنسةً
إلا أباطيلَ أحلامٍ وتشيب
وشافهتني أفواهُ التجارب
وطال ما كنتُ من تلك المصاعيب
من الشبابِ ومنَّ باللهو للشيب
على السقاة وكانت جُلَّ مشروبي
وُزقُ الحمام إذا غُتَّتْ بتطريب
ومنظرٍ غايةٍ بالحسن والطيب
عنه محلاةٌ نوعٍ منه مثقوب
هذا على أنسي أعدى من الذيب

وقال^١ :

اختر لنفسك من تعا دي كاختيارك مَنْ تُصادق
إن العدو أخو الصديق وان تخالفت الطرائق

وأخبرني بعض وزراء اشبيلية قال : جهَّز عباد بعض التجار إلى صقلية ، وكان ابن رشيق كثيراً ما يسمعُ بذكر عباد فيرتاحُ إلى جنابه ، ارتياحَ الكبير إلى شبابه ، فلما سمع بمقدم ذلك التاجر لزم دأره ، وجعل يتردَّدُ إليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاءَ عباد ويتمناه ، والتاجرُ يعده ويمتنيه ، ويقربُ له ذلك ويدنيه ، حتى إذا ساحتِ الرياح ، وأمكن في ميدانِ البحر المراح ، ذهب التاجرُ لطيته ، وخلي بين ابنِ رشيقٍ وأمنيته ، وأخبر التاجر عباداً بذلك ، كأنه يتبجح له بما هنالك ، فبالغ عبادُ في نكاله ، وأمر باستصفاءٍ أكثر ماله ؛ ثم رام ابن رشيق بعد ذلك ركوبَ البحر فحشن له مَسَّهُ ، ولم تساعده على ركوبه نفسه ، فقال^٢ :

١ ديوانه : ١٣٠ والصريتي ٢ : ٢١٦

٢ ديوانه : ٢٢٦ والمسنك : ٢٣٣

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا جُعِلْتُ حاجتي إليه
 أليس ماءً ونحن طينُ فما عسى صبرنا عليه
 ولأبي [علي] قصيدته المشهورة التي أولها :
 من قُضِبَ نَعْمَانُ أم من كُشِبَ يبرينِ
 الله في دمِ عشاقِ مساكينِ
 يقول فيها :

عيناك أمكنتَ الشيطانَ من خلدي
 كم ليلةٍ بتُ مطوياً على حُرْقٍ
 وكلما انصدعتُ من لوعةِ كبدي
 يا ما اميلحه ظيباً فنتتُ به
 ووجنتين هما تفاحتا قبلي
 كأنَّ لمس بناني حين يلمسه
 فتورُ عينيك ينهاني ويأمرني
 أما لئن بعثُ ديني واشتريتُ به
 سبحانَ من خلق الأشياءَ قاطبةً
 ومنها :
 إن العيونَ لأعوانَ الشياطينِ
 أشكو الى النجمِ حتى كاد يشكوني
 ناديتُ يا ربَّ باديسَ بنِ ميمونِ
 فتركُ سوايَ وتفاحَ البساتينِ
 يستخرجُ الوردَ من طاقاتِ نسرينِ
 ووردُ خديك يغري بي ويغريني
 دنيا لقد بعثُ فيك الدينَ بالدونِ
 تراه صوّرَ ذاكَ الجسمَ من طينِ

يا أهلَ صبرةٍ والأحبابُ عندكم
 إني أدينُ بدينِ الحبِّ ويحكمُ
 مولاي [لا] تشمتِ الاعداءُ بي وإذا
 حاسبُ هواك بما أنفقتُ من عمري
 لو كنتُ أملكُ نفسي يا معذبها
 إن كانَ عندكم صبرُ فواسوني
 والله قد قال لا إكراهَ في الدينِ
 نسيتُ قولِي فاذكر قولَ هارونِ
 والله لو كان عمري كنزَ قارونِ
 قرَّبْتُها لك في بعضِ القرايينِ
 وكتبَ إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة/ [١٧٧]

معزُّ الهدى لازال عزُّكَ دائماً وَزَيْتِ الدنيا لنا بحياتكا

١ اضطرب الشطر ، وصورته : فم يسقي بمثل نبات الزراجين .

أَتَنَسَّى أَتَشَى يَعْلَمُ اللَّهُ أَتَنِي سررتُ بها إذ أُمُّها من هباتكا
وقد كنتُ أرجو أنها ذو بلاغة يقومُ مقامي في بديع صفاتكا
وما نحن إلا نبتُ جودك كلنا وكلُّ نباتِ الأرضِ من بركاتكا
وقال^١ :

أَسْلَمَنِي حُبُّ سُلَيْمَانِكُمْ إلى هوى أيسرهُ القتلُ
لما بدا جندُ ملاحته قال الوري ما قالتِ النمل
قوموا ادخلوا مسكنكم قبل أن تحطمكم أجفائه النجل
وهو القائل في غلام عذر يعرف بابن الكناف :

لأُم العذارِ بخده تحكي أصابع جدّه
قد خطَّها في حائطِ خوف الخطا من عدّه

ذكر الخبر عن خراب القير وان

والامام بشيء من أخبار آل زيري الغالين عليها - كانوا - وقتهم
مع ما يذكر بها ، ويتعلق بسببها

قال ابن بسام : قد قدّمتُ [أنى] أملت هذا الكتاب بخاطرٍ قد خدمت جهرته ،
وتبلّدت قريحته ، وعلى حالٍ من تصرّف الزمان ، وإلحاح الحدثان ، يتسبب تسبّب
الهجران ، ويتلون تلون الذعر في عين الجبان ،

وللموت خيرٌ من حياةٍ كأنها مُعرّسٌ يعسوبٍ برأسِ سنانٍ^٢

مع أنى لم آخذ هذا الخبر عن سند ، ولا استعنت فيه بكتابٍ لأحد ، إنما
اختلسته من ذكره أجريها ، أو أحدىةٍ إنما لذتي بين أن اكتبها وأملها ، والحديثُ

١ ديوانه : ١٤٢ وابن خلكان ٢ : ٨٨ (اعتماداً على الذخيرة)

٢ البيت الصخر أخى الخنساء ، انظر الأغاني ١٥ : ٦٣ وابن خلكان ٢ : ٨٤

طويل ، والمحصل قليل ، وإنما ألمع ها هنا شيء من أخبار مملكة آل زيري الصنهاجيين : كيف هبَّت رياحُها ، وأشرق صباحُها ، ثم نشرحُ بعضَ الأسبابِ التي خصَّتْ آثارها ، وأحصتْ ليلها ونهارها :

لما تغلب آلُ عبيدِ الله الناجمين بافريقية على مصر ، فخلص له صميمها ، وأهاب له مُلكُها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالمعز لدين الله ، اقتعادَ صهوتها ، وإثباتَ قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفسِ الطالب ، وكان له عشرةٌ من الولد : آسادُ شَرى ، وأقهارُ سُرَى ، فقال له : ادعُ لي بنيك ، فقد علمتَ رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنًا ، وأهونهم عليه شأنًا ، بلقَيْن بن زيري ، فدعا ولدهُ ما عداه ، والقدر لا يريدُ سواه ، وكانت من المعز - زعموا - اثارةٌ من علم الحداث قد عَرَفَ بها مصايرَ أحواله ، وأهلَ الغناء من أعيانِ رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية إذا صار إليه ملك مصر علامةٌ يأنسُ بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفانُ العاشق لديار أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقَّدَ تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرتَ من بنيك أحداً ، فلستُ أرى لمن ها هنا منهم أيداً ولا يداً ، فقال له : إلا غلام ، وطفق يصغرُ شأنهُ ، والمقدارُ قد عناه وأعائهُ ، ويطوي أخباره والاخبارُ تدور عليه ، فقال المعز : لا أراكَ حتى أراه ، فلستُ أريدُ سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحتُ مهابته الأهواء في الصدور ، وبعدتُ أسفاره واشتهرت أيامه ، واشتمل على صرف الأيام والليالي نَقْضُهُ وإبرامه ، بلغ بغزواته سبته - في خبرِ طويل ليس من شرط ما ألفتُ ، ولا في معنى ما صنفت - ثم أجاب صوتَ مناديه ، وخلعها على أعطاف بنيهِ ، حتى انتهت منهم إلى المعز بن باديس ، منزف العشرة ، وآخرِ ملوكها المشهورة ، فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به - زعم - سلطانه ، قتلُ الرافضة ومراسلةُ أمير المؤمنين ببغداد ،

فبعث إليه بعهدِهِ ، وجاءت الخلعة واللقبُ من عنده ، رأياً اغترَّ بباديه ، وذُهِلَ عن عواقبه وبواديهِ ، واتصلت بالعبيدي وأمرُهُ يومئذٍ يدورُ على الجرجرائي ، فاضطغنّها عليه ، وفوقَ سهامَ مكروهه إليه ؛ وكانت بطونُ من عامر بن صعصعة : زغبة وعديّ والأثبيج ورياح وغيرهم من ألفافِ عامر ، تنزلُ الصعيدَ ، لا يُسمَحُ لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين إجازة النيل ، فأراهم الجرجرائي حينه ضجّةَ السوق ، وأفرجَ عن لَقَمِ الطريق ، وأذنَ لهم في المعز ، أمنية طالما تحلبتُ/ [١٧٨] اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم وأسماعهم ، فغشاه منهم سيلُ العرم ، ورماه بنؤلول ابنة الرّقم ، وتهاون المعزُ بهم أولاً فشغلهم بخدمته ، وحملَهُم أعباءَ نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرّسونَ بجهاته ، ويدبّون إلى أنصاره وحماته ، ويطولون على مقاتله وعوراتهِ ، حتى بان لهم شأنه ، وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة . وأرادوه على الاتاة ، وجرتُ بينهم أثناء ذلك حروب ، لم يحمدها غالبٌ ولا مغلوب ، ولا أمنها بريء ولا مُريب ، أضربتُ عن خبرها لطوله ، ولأنه لم يبلغني عن مَنْ أتيقُ بتحصيله ، كان من أفرأها لأديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعةُ حيدران سنة أربعٍ وأربعين ، فانها أوهنت بَطْشَهُ ، وثَلَّتْ عَرَشَهُ ، وأرثته البوار ، وضربتُ عليه الحصار ، وأحاط الأعرابُ بالقيروان يطؤون حريمها ، ويستعرضون راحلها ومقيمها ، حتى مآجَ بعضُها في بعض ، وتبرأت منها كلُ سماءٍ وأرض ، فلما كان سنةُ خمسين أعطى الدنية ، وناشدهم التقية ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر في ماله ، وفكر في مَنْ بازائه من أقتاله ، فزفأ إلى زعمائهم بناته وكن اللآلي وأمانِي الغالي ، فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، فلما استحكم بأسه ، وأهمته نفسه ، استجاش مَنْ قِبَلَهُ ، واحتمل حُرْمَهُ وثَقْلَهُ ، وخلى الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أصهارُهُ فكانوا بحيث يسمعون نثيمه ، ويمنعونه ممن عسى أن يكيدَه ويضيمه ، حتى بلغ المهدية فأقام بها أسقطَ من الشمس في الميزان ، وأهون من القفْرِ على القبان ، ولم يكن أحدٌ في زمانه يَزيدُ بأساً في الملاحم ، ولا أطولَ يداً بالمكارم ، ولا أغنى بلسان العرب ، ولا

أحنى على أهل الأدب ، منه . ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصر بن خزرون في دفعة مائة ألف دينار إلى ما وصله به من مركب ثقيل ، وزيّ نبيل . ثم لم يمكث بالمهدية إلا نحو عامين ، وانقضت أيامه ، وغافسه حمامه ، تعالى من لا ينتقل حاله ، ولا يتوقع زواله .

فصل في ذكر الشيخ أبي الفتیان العسقلاني^١

واثبات قطعة من شعره ونثره

أخبرني بخبر هذا الرجل الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن الوزير الفقيه أبي محمد ابن العربي ، وأنه فارقه حياً يُرَقُّ وهو بالسنة [...] . وأنا أقول : إنّ أبا الفتیان هذا من فرسان هذا الشأن ، ومن أُعْطِيَ بسطةً في علمه وبيانه ، وخُلِّي بين السحرِ ولسانه ، والذي أثبت من كلامه يضرحُ قذى العيون ، ويجلو وَضَحَ الصبح المبين .

فصل له من رقعة :

مخايل السؤدد - أطال الله بقاء الشيخ - تُعثر على عقبه أخامص الكرام ، وترقم بمنافيه برود الأيام . فإدام الله تمكينه حتى يصبح سلك المجرة واهي النظام ، وتغبر في البسيطة جبهة^٢ بهرام ، [ولا زال] يعقل بساحته الأمل الجامح ، وتستوقف المراتد والمصالح ، إذ كان مفترق المجد قد أصبح في علائه مجموعاً، وشامس الفضل سامعاً مطيعاً ، وقد قرن وليه هذه الأسطر برقعة سأل عرضها على الحضرة السامية - رفع الله منارها ، وعمر بوفود السعادة ديارها - وأن يُتبعها من سديد مقاصده ما يهدي من أمها سبيل النجاح ، ويقضي لها بالمغنم وفوز القداح ، لا زال أفقه بنجوم

١ لعله مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني الذي ذكره في الخريدة (الورقة : ٢٠١ من مخطوطة باريس رقم : ٣٣٢٨) وقال إنه قدم مصر في أيام الأفضل وأورد له مقطوعة من أربعة أبيات .

٢ ص : جهات

السعادة منيراً ، وسرب الحوادث عن ساحته مطروداً مدحوراً .

ومن أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية تجبر من كَسَرَ الزمان مهيضاً ، وتلزم^١ مسنواً
للمكارم [وا مفروضا ، حتى يصبح عقد الكواكب رفيضا ، وكف المقادر مكفوفاً
مقبوضاً ،

وتُطلع^٢ للعافين في فحمة الدجى
وتودع جأش الدهر عَزَمِيْ مشمِ
سُطاً تسعُرُ الآفاق ناراً ورأفة
ومقدرة لو زاحم الأفق جَيْشُهَا
شملت الورى يا ابن المحسن مُسْدياً
وأعلمت^٣ أغفالَ الزمان بأنعم
فأوريت زنداً للمفاخر مُصلداً
أقمت لنا سوق القريض وقد عَفَتْ
فلولاك لم يلف الهداية ناظم
قضيت العلا لما أضيعت حقوقها
منيع المراقبي يستجار بعز
وتدعر أسرابُ الخطوب أو انساً
تقاضي سؤال المستمحين مث
وتدأب في حفظ الرعية ساهرا

بوارق [جود] تستطير وميضاً
يفلّ صحيحاً أو [يبلى] مريضاً
ترد^٣ هشيم المكرمات أريضاً
لغودر مسدود اللهاة حريضاً
صنائع يبعثن الكسير نهوضاً
أعدن دُجَنَاتِ الحوادث ييضاً
ورفعت طرفاً للساح غضيضاً
معانيه صوناً أن يعود قريضاً
ولم يتوخ المادحون عروضاً/ [١٧٩]
نوافل يُلَوِي دينها وفروضاً
إذا أزم الناب الضروس عضيضاً
كما دعر الليث الهزير ربيضاً
تقضي ديوناً ملحقاً وقروضاً
إذا قيد النوم الجفون غموضاً

١ ص : ويلزم

٢ ص : يتلج

٣ ص : يرید

٤ ص : وعملت

فمثلك في حُكْمِ الرياسةِ معوز وكم من نقيضٍ لو طلبتَ نقيضا
إذا ما سعى الأملاكُ خَلَقَكَ للعلا غدوتَ سماءً والأنامُ حضيضا
وله من أخرى :

شهر الصيام زائرٌ يُسْتَقْبَلُ وفدُ المغفرةِ باستقباله ، وتنحلُ ذنوبُ الأمةِ بنحول
هلاله ، وآيبُ تَقْدُمُ غرائبُ الحظِ بقدمه ، ويعنقُ جزيلُ الأجرِ بين عَنَقَه ورسيمه ،
جعلهُ الله مطهراً من دَنَسِ الآثامِ ، وعرَّةً سائلةً في جَبَهَاتِ الأيامِ ، [جالياً] لَفَسَقِ
العاصي بوضاءةِ أيامه ، ومكفراً لما اقترف من الجرائمِ في عامه ، فطوبى لمن أقضَ في
هذه المدة مضجعه ، واستعملَ منطقَه بما يُرضي الخالقَ وَمُسْتَمَعَه ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) والله جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ يجعلُ الحضرةَ
الساميةَ سابقةً في هذا المضمار ، أمانةً من عوارض الكِبوةِ والعثار :

بقيتَ لعقدِ المعالي . نظاماً ولأكرمين جميعاً إماماً
ويُجْجِلُ جودك وجهَ السماءِ برقاً خَفَوْقاً وغيثاً سجاماً
مقيماً بحيث يضيغُ التلاذُّ وتحفظ للمكرماتِ الذماما
وتودعُ آلاؤك السابغات جيدَ الرياسةِ طوقاً تواما
أيا ابنَ المكريم لا يعرفون عن دِرَّةِ المجدِ يوماً فطاماً
ومنها :

وهيجاءٌ مثلِ أوارِ الحريقِ تصطلمُ الدارعين اصطلاماً
تلثمُ خدَ الضحى عثيراً وتسفرُ فيها المنايا اللثاماً
فجردتَ عزمك في النائباتِ حصناً منيعاً وجيشاً لهاماً
مساعٍ تشقُّ جبينَ الضياءِ إذا اعتكر الدهرُ طراً ظلاماً
ويهدي إليك أريجَ الثناءِ كما خطرَتْ في الرياضِ النعامى

فَعِشْ مَسْكاً بَعْرَى لِلْبَقَاءِ لَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ فِيهَا انْفِصَامَا

ولا بَرَحَ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارَا ، وَأَخْرَجَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارَا ، يُطْلِعُ فِي
سَمَائِهَا السَّعُودَ [غَيْرِ] الْأَفَلَةِ ، وَيَقَرُّ بِبَابِهَا النِّعْمَاءَ [غَيْرِ] النَّاقِلَةِ ، وَيَجْعَلُ لِكُلِّ [لَيْلٍ] لَيْلٍ
يُدَّ جَنَاحَهُ ، وَنَهَارٍ تَفَلَّقَ إِصْبَاحُهُ ، مُتَكَفِّلاً لَهَا بِجَدٍّ يَلْقَى إِلَيْهِ زَمَامُ الْقَدَرِ تَفْوِيضاً ،
وَيَمْنَحُ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ تَرْوِيضاً .

في ذكر القاضي أبي محمد بن نعمة بن خليل^١

وإثبات جملة من نثره ونظمه

وبالسَّنَدِ الْمُتَقَدِّمِ وَصَلَ إِلَيَّ خَبْرُهُ ؛ وَهُوَ أَحَدُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِيهِ جَيِّدٌ ، وَيَبْدَى بِيَدِهِ
الْإِحْسَانُ وَيَعِيدُ ، جَزَلَ الْمُقَاطِعَ ، سَهَّلَ الْمَنَازِعَ ، وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ كَلَامِهِ مَا تَرَاهُ ،
وَتَسْتَدَلُّ عَلَى غَرَضِهِ وَمَنْحَاهُ .

فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ لِعَرَائِبِ مَجْدٍ تَبْتَدِعُهَا ، وَفَرَائِضِ جُودٍ تُشَرِّعُهَا ،
وَحَوَادِثِ أَيَّامٍ تَذَلُّ صَعَابَهَا ، وَمُسْتَأْنَفِ سَعُودٍ يَطْرُقُ جَنَابَهَا ، وَأَدَامَ أَيَّامَهَا الَّتِي هِيَ
لِلدَّهْرِ تَمَائِمُ ، وَفِي الْمَجْدِ غَمَائِمُ :

غَرُرٌ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْضَعُ فَجْرُهَا وَالدَّهْرُ مِنْ ظُلْمِ النَّوَائِبِ قَاتِمُ
كَمْ صَرَّمَتْ عَنِّي حَوَادِثٌ لَمْ تَكُنْ مَنْجَابَةً لَوْلَا الْأَجَلُ الصَّارِمُ

١ أغلب الظن أنه القاضي أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني (وحدث تصحيح في لفظة
« أحمد » فتحولت إلى « نعمة » أو العكس) ؛ ذكره العباد في الخريدة (الورقة : ١٩) من نسخة باريس رقم :
٣٣٢٨ وقال إنه « من الكتاب الشعراء والبلغاء الرؤساء ، إلا أنه مقل مع الاجادة والاحسان ، إنما يصنع ما يصنعه
تأدياً لا تكسباً ، وكان في عهد المستنصر » ؛ وأورد له شعراً في صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان .

الموطد ، والنسب الى أعلى خندف عماداً ، وأوراها في موقفِ الفخرِ زنادا ، أرومة
الرسالة وجرثومة الخلافة ، إليها انتزع هاشم ، وعنها أُخِذَتِ المكارم ، فعبد
مناف بن النضر بن كنانة نؤابة الفخر :

هنالك أبناءُ الوغى وحماتها وشمَّ العطاء الغمرُ والعددُ الدثرُ
لهم أوجُهُ زُهرٌ وأنديَّةُ خضرٍ وألويةٌ حمُرٌ وخطيئةٌ سُمُرٌ
فأما الفضائلُ المكتسبة فان مولاي الأجلُ ناظمُ أشاتاتها ، ومؤلفُ متنافراتها ،
فهوتارةٌ تحت عَذَبِ الأعلام ، وأخرى بين طروسِ أقلام ، يستصغرُ عظيَّاتِ التدبير
ثقةً بحزمه ، ولا يغفلُ صغيراتِ الامور تمضي إلا عن علمه ، فأما الحلمُ والأناة
واستلذاذُ العفوَ مع القدرة والمحافظةُ على سرِّ الخدمة فان الله تعالى وهبَ له من ذلك
ما سلَّمه إليه معانده ، وعرف فضيلته فيه حاسده :

مناقبُ نُظِمَتْ منها محامدُهُ وشيمةٌ عُرِفَتْ فيها عوائدهُ
وللندی غيرَ منزورٍ مؤمله وللردى [غير] معصومٍ معانده
يفديه وافدٌ ليلٍ أبَ زائره بنجحه وبخيلُ خابَ قاصده
فأما المواقفُ المشهودة ، والآثارُ المؤرَّخة المعدودة ، فانه فيها ملقى النصرِ ،
دائمُ الظفر ، ميمونُ التدبير ، مسعودُ الرأي ، مُبَقِّعٌ عند الانتقام ، معتذرٌ مع سعة
الانعام ، رحبُ الحمايل ، بسامُ المخايل :

يقصُرُ الناظم عن آلائه فيستعينُ بحلى الوسائلِ
لم يستعزَّ فيها له فضيلةٌ حاشا العلا ولا مقالَ الباطلِ
وإنما يكتبها عن مجده فيستهلُّ نسخةَ الفضائلِ
لم نرضَ أنْ أنالنا فصاحةً موهبةً إلا يبذلُ النائلِ
ولا زالتِ الحضرةُ الساميةُ تجدد من رسمِ الأدبِ دائرتهُ ، وتلبسُ من الثناء
نفائسهُ وجواهرهُ .

ملكٌ تملكه الندى وتجمعتُ في راحتيه غمامٌ وسائم
فالروضُ يُجذبُ وهو روضٌ ممرع والغيثُ يُقلعُ وهو غيثٌ دائم

وشتان ما بينهما : تلك سحائبٌ قد يُخلفُ بارقها ، وتُحذِرُ صواعقها ، وروضٌ
يحفُّ نباته ، وتتصوَّحُ زَهْرَاته ، ومكارمُ الحضرةِ العاليةِ تزيدُ جدَّةً على التكرار ، وتماثلُ
الفلَكُ الدَّوَّار ، وهي تباري الشمسَ [نهاراً] ، وتزورُ مزارَ الطيفِ سراراً :
مننٌ بعثنَ أهلةً مستورةً فطلعنَ في فلكِ العلا أقماراً
ومواهبٌ ومناقبٌ ومناهبٌ رَفَعَتْ له فوقَ السماءِ مناراً

ولما كانت الأوقاتُ الشريفةُ موسومةً بشيءٍ يُسمَعُ ، ومرسومةً بدعاءٍ يُرفعُ ،
وأهلتُ هذه الأشهرُ المكرمة ، وجبَ على من حضر ، بل كافةً من يضمُّه الثغر ،
إخلاصُ الدعاءِ للحضرةِ العاليةِ ، بأن يمدَّ اللهَ عليها ظلاله المسدلة ، ويديمَ لهم ما
شملهم من تمام/ [١٨٠] المعدلة ، وأن يُسعدَ أنحاءَها في طاعةِ إمامها ، ويصرفَ
أعداءَها في حكمِ حسامها ، وبثبَتَ لها من رأيِ سلطانها ما تستوفي به أقسامَ الفخر
جميعاً ، ويزيدَ لها أحداثَ الدهرِ خضوعاً :

فلقد خدمتَ بهمةٍ لا ترتضي إلا سميكَ صاحباً وضجيعاً
والجيشُ [أيقنَ] حين عاد بأنه ألقى بربعك معقلاً وريباً
وردوا غميراً من يمينك ريقاً وشرى محلُّ في ذراك منيعاً
وسهرتَ دون هجوعهم بعزائمٍ تقضي وطرفٍ لا يذوقُ هجوعاً
هذا وكم من مارقٍ مرَفَّتُهُ بيدِ تُفيضُ مكارماً ونجيعاً

والحمد لله الذي جمع للحضرةِ العاليةِ شرائطَ السؤدد ، وخصَّها بالمجد

وله من رقعة تهنئة :

لقد عجبت أيا منا [حين أبصرت] بها أروعاً زينت بحسن علائق
إذا سهكت أعطافهن تضحكت بمسكين من أفعاله وثنائه
هذا الشهر-أدام الله تمكين الحضرة العالية - مضاه لها في شرف النسب ،
والطهارة من الريب ، والله يكرّر عليها مجازة ما ارتقت فيه ليلة القدر ، وانتشر في
السماء شعاع البدر ، في عز تسكن به الخطوب العرمة ، وتنقض معه الأحداث
المبرمة .

وفي فصل منها : أرواه الله من تسنيم ، وجعله من ورثة جنة النعيم ، يرتع
في رياض الفردوس النضر ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر : ٥٥)
بعد ان يفني مدة الزمان عمرا ، ويوسع بنيه نوالاً غمرا ، ويجوز من المحامد ما تتطرز
به أردان الأيام ، وتتقوض فيه هضبات شمام .

ومن أخرى في مثله :

أجزل الله بالحضرة الاثرية بركات هذا الشهر الشريف الذي تُقضى فيه
المناسك بالبيت العتيق ، وترد بعده أيام التشريق ، ولا زال يُلقى رحاله ، ويواصل
إلفها بكره وأصاله ، في عز رفيع سماكه ، حاكمة بالبقاء أفلاكه ، ومجد راسية
جباله ، وسعادة مقرطسة [بها] نباله .

إذا انقضبت يوماً حبال سعادة غدت مُحصّدت كيف شاءت حباله
يضيء وصرف الدهر داج هلاله ويعرف في قحط السنين انهاله
وجاه نضير لا يخاف ذبوله ولا ينطفي بالعاصفات ذباله
والأرض [في] قبضته يقبض عنها أيدي العوارض ، ويُسبغ عليها ملابس
إنعامه الفائض .

ومن أخرى/:(١٨١)

ولو علمَ الطُّرسُ الذي قد حَبَّوْهُ قلائدٌ من دَرِّ الكلام المنضدِ
لقاد إليك الشكر حتى تملَّه وحتى يقول السامعون له قد
طلعتُ عليَّ من الحضرة - لا زالتْ نجومُ السعد بآفاقها طالعة ، وركائبُ
الحوادثِ عن ساحتها طالعة - رقعةٌ كريمةٌ أجلتُ ناظري في سطورها فقلت : سوسنُ
ثُبرَ على أقحوان ، أو قلائدُ عنبرٍ نُظِمَتْ في أجسادِ غزلان ، وراودتُ خاطري على بروز
ذلك الرموز فقال : أما تستحي أن تسومني ذلك ، وقد أتمدتِ الخطوبُ ينبوعي ،
ومحتِ الحادثاتُ ربوعي ، فقلتُ : خيرٌ لا بدَّ من تأمله ، وأمرُ مطاعٌ لا مندوحةً عن
تقبله .

وله من أخرى :

شهادةُ الخادم - حرس الله أيام الحضرة - شهادةٌ بسعادةٍ مستخدمه، ودلالةٌ
على تواصلٍ فضلٍ الله وكرمه، كالأصل إذا زكا أورقت فروعه، والماء إذا استجم
فاضت ينابيعه . وعرفتُ في هذه الساعة وفودَ قادم على عبدها الأمير شبل الدولة
يثري من إنعام الحضرة العالية يده ، ويورخ بآيامها الزاهرة مولده ، فشاركتُ
المذكورة في المسرة بهذه النعمة ، اشتراكنا معاً في الخدمة ، وإني وإياه فيها فرسا
رهان ، أو كالأناملِ ضمَّها اليدان ، والذي له الأسماء الحسنى يضاعفُ إحسانه
لديها ، ويجعل عواقبَ أمورها أحسنَ من مبادئها ، حتى يلوذَ الكرمُ بجناها السعيد ،
ويعيشَ الأحرارُ في فضلها كما يعيشُ العبيد .

وله من أخرى :

يا ليتَ أنَّ سوادَ طُرْفِي نائلٌ ما نال من شَرَفِ سوادِ مدادي
فعساه يطفئ لوعةً مشبوبةً أَلقت عصاها في صميم فؤادي

وأقول حينئذ : أسعد الله الحضرة السامية بهذا الشهر الميمون ، وشحن صحيفتها بأجر غير ممنون ، ولا زالت الأيام تمرُّ بها جديدةً وترجع عنها بالية ، وهي في أثناء ذلك ضامنة لها عزاً ينشر في الأفق ذوائبه ، ومجداً يحلّي بالقمرين ترائبه ، وسعداً لا تخطىء سهامه ، ولا يُفَضُّ أبداً ختامه ، ورزقاً تعذب نطافه ، وتدرّ طول الزمان أخلافه ، ورضى من الله تعالى يورث جنّات النعيم ، ويهدي إلى صراط مستقيم .

ولما وصلتُ الى هذا المكان من هذه السطور سلّمتُ إلى تحفة من الحضرة السامية كأنها لونُ المحبِّ قصيدَ بالهجران ، أو نهودُ الكواعبِ ضُمَّختُ بالزعفران ، وحين شممتها وجدتُ ذاتَ طيبين : طيبُ الأرومة ، وطيب استفادته من اليد الكريمة ، وأستغفرُ الله ، أين البرُّسُ من الحرير ، والملاّبُ من العبير .

وفي فصل من أخرى :

المكارمُ - أطال الله بقاءَ مولاي الشيخ معمرٍ الفناء ، ممتعاً بدوام العزِّ والنعماء - فروضٌ مُهتَبَلات ، ومساعٍ على الدهر مُتَّجِحات ، وبضائعٌ في اكتسابِ الشكرِ مُرَبِّحات ، ولم يزلِ الحمدُ أكبرَ تجارته ، وتقليدُ المننِ للأعناقِ أنفَسَ ذخائره ، ومن تدرَّعَ أسبابَ رياسته ، وبهر الألبابَ بياهر فضيلةِ نباهته ، وبذَّ الأضرابَ بكمالِ ورعه ونزاهته ، [وآدنا من قديم فخرِ آبائه ، وطبَّقَ الأرضَ بفيضِ بحرِ عطائه ، وطاولَ بطولِ باعِ مُروّيته ، وتصدَّرَ بواسعِ صدرِ همّته ، وأصبحَ حليةَ الزمنِ القديم ، وغرّةَ لامعةٍ في وجه الدهرِ البهيم ، عمَّ الأنامَ نفعاً ، وأتى الجميلَ خلقاً وطبعاً ، وتداركَ بقيةَ الأزمانِ المشفية ، وجدَّدَ ما أخلقَ من الآمالِ المتعفية ، فلا زالتْ قَدَمُهُ مُحَدَّوَةً رفاتِ الأعداء ، ويدهُ مضمومة أزيمة العلاء :

ولا زالَ محروساً من الخطبِ بالغاً الى غايةِ تجري فيقتصرُ المجري
ولا فقدتْ عينُ الرياسةِ شخصه ومَتَّعَ بالتأييدِ والنهي والأمر
وأدركَ من دنياه غايةَ سُؤله ونال المنى في الآلِ والمالِ والعمر

وقد تعرضتُ لواسع رأفته ، فاستعطفْتُ كريماً عاطفته ، واسترجعتُ فائتَ حظي بمراجعته ، وأعوذُ بالله أن أستنصرَ به على الزمان فيخذلني ، وإلى جوره بعد الاستسلام بعدله فيسلمني ، ويطرحنِي معتمداً من يده ، ويسقطني بالجملة عن عدده ، ويصرفني عن باب تصرفِهِ بالحرمان ، ويدودني عن بحر جودِهِ العذب مشتملَ الجوانح على غُلَّةِ الظَّمان ، ومتقدِّمُ المعرفةِ رحم ، والوفاء بالذمم كرم ، وقد ناديتُ من نداه - دام علاه - سميعاً ، وسألتُ منه جواداً لأمرِ الجود مطيعاً ، واستمطرتُ من/[١٨٢] جوده غماماً غيرَ جهام ، وهزرتُ منه حساماً غيرَ كهام ، ومن أقعدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام .

ومن شعره

قد صار يختلق المحال وَيُطِلُّ من قال ليس على الثرى مَنْ يَكْمُلُ
حكمتُ عليه معجزاتُكَ أَنَّهُ متمحِّلُ فيما حكى مُتَقَوِّلُ
لا زلتَ في كَنَفِ السَّعُودِ وظلها أبداً تحلُّ بحيثُ شئتَ وترحل
مثلَ الهلالِ يسيرُ في درجاته والشمس في أبراجها تنتقل
أصبحتَ يا دارَ المظفر كعبةً للمجد يُلْتَمُ ركنها ويقبل
فالشهبُ ليس يُغْمُ مطلعها ولا جيدُ السباء من الغزالة يعطل
يا صارمَ الملك الذي أيَّامُهُ أبداً تزان بمجده وتجمَلُ
صقلته أيدي المكرماتِ ولم تخل أن الصوارم بالمكارم تصقل
ملكُ طفيليِّ السباح يضيفُ مَنْ لم يستصف وينيلُ من لا يسأل
مذ ورَّخوا عهدَ المعالي باسمه ذهبَ التنازعُ واستبانَ المشكل
لو أَنَّ مطبوعاً يفارقُ طَبْعَهُ لحلا إذا شربَ الزلالَ الحنظل
ولما رأينا النحلَ تقضمُ علقماً

وهذا كقول المعري^١ :

والنحلُ يجني المرَّ من ثورِ الربى^٢ فيصيرُ شهداً في طريقِ رُضابه
يثشي الرجالُ على القَتيلِ بسيفه فكأنما يُحيي به مَنْ يقتلُ
وإذا لظى الهيجاءُ لثَمَ وجهُهُ أبصرته تحت القنا يتظللُ
حيثُ المغاويرُ الكماةُ تميد من نشواتٍ ما اعتصر الوشيحُ الذبلُ
خمر ترى مُهَجَّ الرجالِ دنانها لكنَّها بالسهمرية تبذل
[وإزعاق] ملحٍ لا يسوغُ لشاربٍ كدرُ وأنت السلسيلُ السدل
يا عادلاً في كلِّ ما هو فاعلٌ ما بال كفك في اللهـا لا تعدلُ
أفنى تـلادَ يديك عـلمك أنه لا يفضـلُ الأقوامَ من لا يفضـلُ

القاضي جلال الدولة بن عمار^٣

فصول من رسائله

مرحباً بطليعة السرور ، ومساعدة الدهور ، وبشير النُجج والبركة في جميع الأمور ، هذه صفةٌ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير - أطل الله بقاءه ، وأدام تأييده ونعماءه - على بُعدِ عهدٍ بكتبه وأنبائه ، بمعاندة الزمانِ لي فيه ، إلى أن أحكم أسباب البعدِ بيني وبينه ، مع تقاربِ قلوبنا وامتزاجها في حالي القربِ والبعد ، كما قال الباهلي :

وعاندني فيه ريبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ له عاشق

١ من قصيدة له في جواب شاعر مدحه اسمه محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجيلي : انظر شروح السقط : ٧٢٠ .

٢ ص : يجني السور... الوري .

٣ هو القاضي جلال الدولة (أو جلال الملك) أبو الحسن علي بن عمار تولى أمر طرابلس بعد وفاة عمه القاضي أبي طالب ابن عمار سنة ٤٦٤ فضبط البلد أحسن ضبط ، ولما توفي المستنصر الفاطمي (٤٨٧) وانقسم الولاء بين نزار والمستعلي ، كان جلال الدولة في صفِّ نزار ، فلما استتب الأمر للمستعلي قتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه (ابن الأثير ١٠ : ٧١ ، ٢٣٨)

وإني لأتذكرك وأتذكر أوقات المسرة بقربك ، والأنس بالاجتماع بك ، كما
يتذكر الشيخ الهُم شبابه ، والعاشقُ المفارِقُ أحبابه ، وأرغبُ الى الله في تسهيل أمرِ
تجمّعنا كما نحبّ ، وأدعوه ربي ﴿ عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً ﴾ (مريم: ٤٨)
وما ذلك على الله بعزیز .

نعم سررتُ والله يا مولاي بكتابك وأنستُ بقراءته ، وأوجبتُ حقاً لحامله
وهششتُ والله إليه ، كما قال قيس^١ :

إذا ذُكرتُ ليلي هَشِبتُ لذكرها كما هَشَّ للثدي الدرور وليدُ

وفي فصل :

وأما ما ذكرته من التحركِ إلى جهتنا ، فهلمّ ، قرب الله دارك ، وأدنى مزارك ،
ورعى الله جواداً يحملك ، وطيبَ ريحاً تُوصلك ، وبارك الله في ليلٍ أُنهارٍ يفتُر عن
لقائك ، ويسمُ عن شهى مشاهدتك .

وله من أخرى :

وافى كتابك مطوياً على نزه^٢ تقسّم الحسن بين السمع والبصرِ
جزلُ المعاني رقيقُ اللفظ موقنه كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر

وصل كتابك يومَ عيد التحرف كان عيداً ثانياً ، وصادف أُسِّي واهيا ، فكان له
مسنداً بانيا ، فارتحتُ له ارتياحِ الروضِ للمطر ، ولم أملّ بتكريرِ قراءته وهل تملُّ عينُ
من النظر ، فكم من معنى بديع ، ولفظ مُحكَمٍ صنيع ، وبراعةٍ أتى بها [قلمه]
شرعاً ، وبلاغةٍ جاش بها بحر طبعاً لا تطبعاً ، « وليس بمنكرٍ سبق الجواد » ولا
بمتدعٍ جودُ العهاد ، وأما النظمُ فنظمَ صفاتِ الإحسان ، واستدعى نوافج

١ لم يرد في ديوان قيس (مجنون ليلي) .

٢ ص ، وافاني ... برة .

الاستحسان ، وأما النثر ، فأبهى من منثور الزُّهر ، وأعلى قدراً من الدرّ والجوهر ؛
ولقد هزّنتني إلى لقاء مولاي لواعجُ شوقٍ تالد ، وبواعثُ وجدٍ خالد ، ودواعي أسفٍ
متضرم ، لم يُخلِّقِ البعدُ جديده ، ولا أذوى طولُ العهد عودَهُ ، ولا أنسى تقلُّبُ
الأحوالِ جهوده ، ولا نقضُ مرورِ الأيامِ مرائره ، ولا كدُّرُ تكدُّرِ العيشِ / [١٨٣]
سرائره .

.....١

[المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني] ٢

.....

... المجاذبُ أشطائه ، وإنما هو الآن يُرخي حتى يجذب ، ويجمعُ لكي يشب .

وله من أخرى :

المودّاتُ إذا كانت متينةً العقود ، صادقةً المشهود ، موضوعةً على أصلٍ
عريق ، وأساسٍ وثيق ، لم تُجزعْها^٣ الشُّبهةُ المُرْمِضةُ ، ولم تُزلزلها الأباطيلُ^٤

١ سقطت هنا - فيما أعتمد - صفحة - ضاعت بها بنية ترجمة جلال الدولة ابن عمار وأول ترجمة المجيد بن أبي الشخباء .

٢ هو الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني (يافوت ٩ : ١٥٢) والحسن بن عبد الصمد (ابن خلكان ٢ : ٨٩) وقد أشار كلاهما إلى ترجمته في الذخيرة وأثبت يافوت نقلاً عن ابن بسام أنه توفي سنة ٤٨٢ (وقع خطأ في الطبعة المصرية من معجم الأدباء : ٤٣٢) وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ويقال إن القاضي الفاضل استمد من رسائله ؛ وذكره العماد في الحريدة في العسقلانيين في القسم التابع لشعراء مصر الورقة : ١٤ (نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨) فقال : « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة ، وكان قبل عصرنا في أيام الأقيس سنة سبعين وأربعمائة » وذكر العماد أنه رأى ديوانه عند صديق له بدمشق ؛ وللمجيد مختارات من شعره في الحريدة وبمجموعة من رسائله وخطبه في الريحان والربيعان وفي جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ؛ وقال ياقوت إن أكثر رسائله إخوانيات وأورد جملة منها ؛ وجعل المبرزي وفاته سنة ٤٨٦ (اتعاط ٢ : ٣٢٨)

٣ تجزعها : تدخل عليها الجزع .

٤ ص : الأباطيل ؛ وجمع باطل عند سيبويه « أباطيل » ، وعند غيره أن أباطيل جمع أبطولة ؛ وقد تردّ « أباطيل » إلى « أباطل » حاجة الشاعر ، ولا ضرورة لذلك هنا .

المعترضة^١ ، وإن تناقلتها ألسُنُ مختلفة ، وعلّتها برودٌ من اللفظ مُقوّفة ، ولما رأيتُ زيارةً
مولاي قد صارت مُرَقّعة ، وَجَنُوبٌ^٢ مودّته قد عادت مُروّعة ، وصرتُ أرى قولهُ
متناقضاً ، وماءَ البِشْرِ من وجهه غائضاً ، من بعد ما عهدتُهُ^٣ :

تبني طلاقهُ وجههُ عن وجهه^٤ فتكاد تلقى النُجَحَ قبل لقائه
وضياء وجهٍ لو تأملهُ امرؤ صادي الجوانح لارتوى من مائه
لم أتجاسرُ على سؤاله عن العلة خوفاً أن يعيبَ عليّ الارتيابَ بوده ، وتطرُقَ
سوءَ الظنِّ على عهده ، فسألتُ من يعلمُ دفايته ، ويخبّرُ ظاهره وباطنه ، فأخبرني أن
بعضَ الناسِ - ولم يُسمِّه - نقلَ إليه عني ، فشنَّ الغارة على وفائه ، وزلزلَ أواخي
ودّه وإخائه ، فقلت . عتبٌ والله ولا ذنب ، وشكايه ولا نكايه ، وأنا أحاكمُ مولاي
إلى إنصافِهِ لا إسعافِهِ^٥ ، وعدلِهِ لا فضليهِ ، وما كان أجدرهُ برفضِ قولِ الماحل^٦ ،
وتغليبِ الحقِّ على الباطل ، ولا يرى نفسه بصورة مَنْ تَسْتَخِفُّ حصائهُ الريحُ
الخافقة ، وتشعثُ من مودّته الأقوالُ الماذقة . ولو انتقضتُ عندي المعاهد ، وقامت
عليّ - وأعوذُ بالله - الشواهد ، لكان مولاي حريّاً أن يجري في كرم اللقائِ على
العادة ، ويتأدّب بقول أبي عبادة^٧ :

أَبَيْتُ عَلَى الْخَلَّانِ إِلَّا تَحْنِيّاً يَلِينُ لَهُمْ قَلْبِي^٨ وَيَصِفُو لَهُمْ شَرِّبِي
وَإِنِّي لِأَسْتَبْقِيَ الصَّدِيقَ إِذَا نَبَا عَلَيَّ وَأَهْنَا مِنْ خِلَاتِقِهِ الْجُرْبِ^٩

١ ص : وتسيوب ؛ وتقول العرب للاتنين إذا كان متصافيين ريحهما جنوب ، قال الشاعر :

لعمري لئن ربح المودة أصبحت
شمالاً لقد بدلت وهي جنوب

٢ ورد البيتان التاليان في الخريدة : ١٥

٣ الخريدة : وده .

٤ ص : لاسعافه

٥ ص : القول الماجل ؛ والماحل : الساعي ، ومحل به : كاده بسعاية الى السلطان .

٦ هو البحرري ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٥

٧ الديوان : عطفي .

٨ أهنا : مخفف من أهنا أي أطلي بالفطران .

والآن فقد أَوْضَعْتُ وَأَوْجَفْتُ ، وتَأَلَّفْتُ مولاي واستعطفْتُ ، فان عادتُ ظلالُ
وَدَهْ مديدة ، وحبالُ كَرَمِهِ مَحْصُوفَةٌ جديدة ، فَحَسَنُ بتلك الشائِل ، أن تجمع شَمْلَ
الفضائل ؛ وإن تمادى على هذه الهجرة ، ولم يصح من نَشَوَاتِ تلك السَّكْرَةِ .
فما ذاك من ذنبٍ عليّ اجترمتهُ إليه فيجزيني به حيثُ أعلمُ
ولكنَّ إنساناً إذا ملَّ صاحباً وحاول صَرْماً لم يزل يتجرَّم
والله جلَّتْ قدرتهُ يجعلُ حفظ المودةِ عنده أوجبَ الحَقِّينِ ، وأنفعَ العَلَقَيْنِ ،
ويرفعُهُ عن السَّمَةِ بنقضِ المرائرِ ، وحليَةِ الجائرِ الغادرِ .

وسافر بعضُ أخوانه فَشَغِلَ عن وداعه فكتب إليهِ : ما أخَّرني عن خِدْمَةِ
مولاي بالوداع أني متأخِّرُ في حَلْبَةِ ولائه، ولا عارٍ من ملابس إخوانه وآلانه، ولوددتُ
لو صحبتُ ركبتهُ السعيدِ إلى الصعيد ، وقطعتُ معه عرضَ المهمِّ البعيد ، وَزَوَّدْتُ
من مجاورته قلباً معموراً بودِّه ، وَمِنْ مشاهدته طَرْفاً لا صَبْرَ له مِنْ بَعْدِهِ . وإنما حجزني
أمران كلُّ منهما يَهْدِي العذرَ وَيَسْطِطُهُ ، [ويمحو] ^١ الذنبَ وَيَحْبِطُهُ ، وهو شغلي في إنشاء
التقليد [العليّ] ^٢ وتحريره ، وفعل ما أمرتُ به الحضرةُ السامية وتقريره ، ثم خوفي أن
أرى مولاي وقد حلَّ انطلاقه ، وأسمع [أن قد حان فراقه] ، وَنَعَى غرابُ بَيْنِهِ فَقَضَّ
أضلعاً ، وأفاض نفوساً وأدمعاً ، فضعفتُ عن مشاهدة ذلك المقام ، وقصرت [عن
تحمل ذلك] الداءِ العُقام ، وظللتُ أَشِيدُ ، والدموعُ هُمُحُ ، والفؤادُ مُصَدَّعُ :

وأخرنِي يوم انطلاكَ أن أرى على جمراتِ البين [قلبي يُلْدَغُ]
فؤاد إذا قيل الفراقُ تساقطتُ خُفوقاً وأخِي صبرُهُ تتقطعُ

١ ص : مقصوفة ؛ والحبل المحصوف أو المحصف هو المحكم القتل .

٢ بياض في ص .

٣ ما يرد بين معقفين حتى آخر القطعة سببه عدم ظهور الكلمات في أواخر الأسطر ، في هذه الصفحة .

٤ ص : وأخبرني . ولعلها أن تقرأ أيضا « وأخزني »

٥ صبره : قراءة تقديرية ، وصورة الكلمة في الأصل تنسب « هزة » .

وإنسي صليبُ العودِ في كلِّ حادثٍ ولكنَّ أعوادي [لنأيكَ خِرْوَع]

وإذا استنقذَ البينُ هذه النوبة ، وخفقتُ بمشيئةِ اللهِ رياحُ الأوبة ،
وهبتُ وجهي للشحوب ، وجسمي للنَّصَبِ واللغوب ، وهتمتُ ثنايا الأرضِ إيضاعاً
وإرقالاً ، وجعلتُ مسافةَ اللقاءِ لمسافةِ الوداعِ أميالاً ، وأطلتُ شكرَ الزمانِ على ما
يحدِّده لي من مسرَّةٍ قد خلَّعتُ بردها ، واستطلتُ عهدَها ، وأنشدتُ :

طربتُ وقد جاءَ البشيرُ بقربكم وذو الشوقِ عندَ أسمِ الحبيبِ طروبُ
وقمتُ إليه راشفاً من ترابه ثرىً لك يحلو رَشْفُهُ ويطيبُ
وما يَبْعُدُ ذلك في قدرةِ الله الذي يُخْرِجُ من الشجرِ الأخضرِ جذوةَ نار ، ويهبُ
القمرَ كمالاً بعد نقصٍ وسرار .

وله من أخرى/[١٨٤] يعاتبُ بعضَ القواد :

رأيتُ فلاناً^٢ عندَ نظرتِهِ لي بالأمسِ قد قطَّبَ حاجبَهُ ، وزعزعَ مناكبَهُ ، وأوسعَ
الغلامِ من [...] ذيلِ كمِّهِ ؛ فقلتُ : ماله ؟ أنزِلَ إليه وحيً ، أم عُصِبَ به أمرُ
ونهي ، أم حصلَ من الخلافةِ على وَعْدٍ ، أم أنسى له الأجلُ مُدَّةَ العهدِ ، أم قلَّ
عَقْلُهُ فعقَّ نفسَهُ وظلمها ، وجهلَ مقاديرَ الأشياءِ وقيمها ، واعتقدَ أنَّ الدنيا طوعُ
حكمه ، والقطرُ صائبُ فهمه ، أم رأى الملائكةَ المقربينَ تتشفَّعُ به ، والخورَ العينِ
تشكو لآعَجِ حَبِّهِ ، وثَارَ الجنَّةِ تدلتُ إلى يده ، ونارَ جهنمِ تقتبسُ من زنده ، والكوثرُ
يُدُّ من مَعِينِهِ ، والسمواتِ مطوياتٍ بيمينِهِ ، والبراقُ قد أَمْتُطِي لحضرته ، والفراقُ
[...] قوَّتِهِ ، فأجبتُ بأنَّ شيطانَ ظنِّي ماردٌ ، وتصوِّري فيه - أعزه الله - فاسدٌ ، ولا
حقيقةَ لشيءٍ مما توهمته ، وسددته من القولِ وأقمته ، فقلتُ : إذا لم يكن ذاك فما

١ الشق الأيمن من هذه الصفحة أكثره مطموس ، ولذلك تعذرت قراءة بعض العبارات ، كما أن بعض القراءات المثبتة
مما لا أقطع بصحته .

٢ ص : فلان .

ذلك ؟ قيل : سَفَهُ في الرأي وأفَن ، وتَغَيَّر في الطينة وَعَفَن ، ظن أن الأحرارِ مِلْكُ عَهْدته ، والعالمَ مجموعُ في بُرْدَتِهِ ، فحين سمعتُ ذلك أَخَذَتْنِي لمولاي الحمية ، وهزَّت رأسي الأريحية وقلتُ : معاذَ الله ، إنَّ دونه في الحِصَاة^١ والكيس بطليموس ، وفي الحكمة ارسطاليس^٢ ، وإن الحكمة تُسْتَنْجَعُ من ظنِّه ، والغيثَ يرشُّ من شَنِّه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنه بحمدِ الله كما قيل :

خِرْقُ إذا أَفْضَى السَّهْطُ به كَثُرَ العِثَارُ وطَبَّقَ الزَّلُّلُ
وإذا السَّرِيرُ سَما بقعدته غَرِيَتْ بظَاهِرِ كفه القُبْلُ

فهنالك سكنتِ الألسنُ الهادرة ، ووقفتِ المَرَادَةُ^٣ الغادرة ، وعاد مَنْ حَضَرَ يُثْنِي على مولاي ويقرِّطُهُ ، ويحملُ من شكره ما يؤوده ويبيهضُهُ ، فإن كانت هذه الوكالةُ واقعةً منه بالوفاق ، فيجعلُ ثوابي عليها انحلالَ العقدة من جبينه ، وزوالَ التارُضِ من جفونه ، وخفضَ الإِصْبَعِ من سلامه ، وتركَ النزوة على غلامه^٤ .

وله من أخرى في مثله :

أرى^٥ سلامَ سَيِّدي قد تقاصرَ طويلُهُ ، وروضَ جَوْهٍ قد زاد ذبولُهُ ، وماءَ بشرِهِ
قد غاضتْ بحورُهُ ، ونشاطَ لقائه قد استمرَّ فتوره ، وما عهدتُهُ - أعزَّهُ الله - تزدهيه
الشبهة وتستخفُّهُ ، وتصدُّهُ عن كَرَمِ العهدِ وتكفُّهُ ، وينزلُ المَيْنُ من سمعِهِ بالمكانِ
المهيِّبِ ، ومن قلبه بالقابلِ المستجيبِ ، بل هو يَرْحُبُ إذا حَرَجَ المضيقُ ، ويرطبُ وقد
عَصَبَ الرِيقُ ، وتمرُّ به المَحْفِظَاتُ وهو راضٍ ، وتوقظُهُ المغايِظُ وهو متغاضٍ .

١ الحِصَاة : العقل والرزانة .

٢ ص : ارطاليس

٣ ص : المَوَادَّةُ : والمرادة : العتْبُ والنمرد .

٤ ص : ويتهضه

٥ ص : أعلامه .

٦ ص : أي

إذا أمرته مرةً من حفاظِهِ بسوءٍ نهاه خُلُقُهُ الباردُ العذبُ
فما الذي أعادَ فَلَقَهُ غاسِقاً ، وصريحهُ ماذقاً ، فان يكُ عن مللٍ فؤادِهِ ،
وتشعبٍ وداده :

فكم أخٍ غيَّره يوميَ الــــمقبلُ عن أمسي به الذاهبِ
ملٌ فلم يعطفَ لبَّ الصبا الــــحانسي ولا حقَّ العلا الواجبِ

واستقرَّت الوزارةُ لبعض أصحابه ثم توقف الأمرُ بعدُ فيها فكتب إليه :
الخيرَةُ - أطال الله بقاءَ سيدنا - نجىءُ من غيرِ الأمرِ المختارِ ، وإهي [مخبوءَةٌ تحت
أستارِ الأقدارِ ، فكم سببٍ اجتمعتُ فيه شوارِدُ الآمالِ ، ولبسَ ظاهرُهُ مسحةً من
الجمالِ ، كان المكروهُ منظوماً في تاجه ، منظوياً في أثنائهِ وأدراجهِ ، وآخرَ ظهَرٍ للناسِ
بلونٍ شاحبٍ ، ووجهٍ قاطبٍ ، كان ضامناً لابتسامِ الزمنِ ، وكافلاً بالأجلِ
الأحسنِ ، وبهذا أدبُ تعالى عباده ، وقال في الكتابِ المكنونِ ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا
شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تُحِبُّوا شيئاً وهو شرُّ لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾
(البقرة : ٢١٦) فلمح أبو عبادة هذا الأسلوبَ فقال في معناه ٢ :

والشيءُ مُنْعُهُ يكونُ بفوتهِ ٣ أحظى ٤ من الشيء الذي تُعْطَاهُ

واذا تُصَفِّحَتِ الأمورُ بعينِ البصيرةِ ، ونُظِرَتِ بالخواطرِ المستنيرةِ ، ونُفِذَتِ
بالألْبَابِ الصَّيرْفِيَّةِ لا الرَّاغِبِيَّةِ ، عُلِمَ أن هذه الرتبةَ زليقةُ الصراطِ ، سريعةُ
الانحطاطِ ، يعلو الانسانُ صهوتها ثم هو بعدُ راجلٌ ، ويتحلَّى بها وقتاً ثم هو مسلوبٌ

١ ص : ملكه .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٣ وقبل البيت .

هفأً وليس العيش ما تساه
فما أرت لرجوت ما أخشاه

والعيش ما فارقه فذكرته
ولو آنسي أعطي التجارب حقها

٣ ص : يمنعه يكون بفره . والتصويب عن الديوان .

٤ الديوان : أجدى .

عاطل ، وما لم يُوسَمَ بها فالخططُ تعتقبهُ ، والمنازل ترتقبهُ ؛ أجلٌ ، وهذه الدرجةُ كلما
خبرت الأقبامُ ، وتمادتِ الأيامُ^١ ، غاضَ معينها ، وزاد حنينها ، فمنها الكمدُ ، ومن
سيدنا الصَّيْدُ ، ومنها الكَلَفُ ، ومنه / [١٨٥] التَّيَهُ والصِّلَفُ ، حتى إذا نَغَلَ الأديمُ ،
ورُعِيَ الهشيمُ^٢ ، وتشاقتِ^٣ الخططُ ، وجار الحكمُ وقَسَطُ ، دُعِيَ سيدنا لِشَعْبِ
المنصدع ، ووَصَلَ المنقطع ، وإيجادِ الممتنع ، فهناك يَقُومُ بالأمر ، ويسهل الحَزَنُ
والوعر :

مُبَارَكُ تَطَرَّدُ اللَّوَاءَ رُؤْيَتُهُ طَرَدَ الظَّلامِ فَرَنَدَ البُلْبَجَةِ الواري^٤
وزِيرُ مُلْكٍ خَلَّتْ^٥ فِي عَدَلِ سِيرَتِهِ صَحِيفَةُ الْمَلِكِ مِنْ إِثْمٍ وَأَوْزَارِ
يَذُبُّ عَنْهُ وَقَدْ رِبَعَتْ جَوَانِبُهُ بِرَأْيِهِ الْمَكْتَسِي أَوْ سِيفِهِ الْعَارِي

وكان يوماً المجيدُ بمجلسِ الأُنْسِ ، ودَعَا بعضَ أصحابِ القلانس فلم يحضِرْ
لأجلِ الغناءِ فكتب إليه : عَجِبْتُ لمولاي كيف أَسْنَدَ في التَخَلُّفِ إلى عَذْرِ هَلْهَالِ ،
وسلكَ طريقاً صَعْبَةً المَجَالِ ، وجعل المانعَ له من الحضورِ أمراً يَقْوِي على الهمومِ ،
وَيَقْوَتْ النفوسُ فكيف الجسومِ ، ويمتزجُ بالقلبِ امتزاجُ تاموره ، وَيُطْلِقُ شكائِمَ
بهجَتِهِ وسروره ، فان يَكُ ذلكَ لدينٍ وثيقٍ ، وَخُلِقَ بالتقوى خَلِيقٌ ، فها بلغ مولاي
من حِفْظِ الشريعةِ إلى هذه الرتبةِ ، ولا وَضِعَ قَدْرُهُ بعدُ على هذه الهَضْبَةِ^٦ ، وإنما هو

١ : ص : الأناام .

٢ نغل الأديم : فسد الجلد ؛ ورعي الهشيم : مثل على اللجوء إلى غير ذي الكفاية لعدم وجود من هو كفؤ ، كما قال الشاعر :

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

٣ ص : وساقت .

٤ ص : منازل .

٥ فيه قلب ، اذ حقه أن يكون طرد فرند البلجة الواري للظلام .

٦ ص : جلت .

٧ كناية عن أنه لم يصبح بعد مشهوراً .

الآن يُحَكِّمُ أَمْرًا ، ويصيد بها إذا تعَقَّلَ عَمْرًا^١ . وإن كان لَخَوْفٍ^٢ من ثَقِيل ، وحَذَرٍ من غُلُول ، فما كان هناك إِلَّا مَنْ يَفْرُقُ السَّوْرَةَ^٣ ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، فان حَضَرَ طُويَ هذا البَسَاط ، وتَوَفَّرَتْ لِلْمَسْرَةِ أَقْسَاط ، وإن تَفَادَم وتَغَاتَم دَلَكُ^٤ عليه شَرَحُ أُمُورٍ قَدِيمَةٍ ، وظَهُورُ أَنْبَاءٍ مَكْتُومَةٍ ، وجاءنا من حَدِيثِ الْبِسْتَانِ الْحِيرِيِّ مَا يَغُضُّ مِنَ الطِّيَالِسِ وَالْقَلَانِسِ ، وَيُنْسِي يَوْمَ الْغُبَرَاءِ وَدَاحِس .

وله من أخرى في مثله :

لما هَجَرَ مَوْلَايَ مَجَالِسَنَا فِي الْجَامِعِ وَأَوْحَشَهَا^٥ ، وَأَطَالَ إِلَيْهِ ظِلًّا الْنَفُوسِ وَعَطَشَهَا ، وَأَخْلَى مَكَانَهُ مِنْ طَلْعَتِهِ الَّتِي تُطْلِعُ عَلَيْنَا مِنَ السَّرِّ مَا غَرِبَ ، وَتَوَسَّنَا بِغَرَائِبِ الْأَنْسِ وَالطَّرِبِ ، وَتَصَرَّفَ فِكْرِي فِي مَا اقْتَضَى ذَلِكَ فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَى أَمْرٍ عَازِرٍ ، وَلَا ظَفَرْتُ بِسَبَبٍ نَاصِرٍ ، ذَهَبَ وَهْمِي إِلَى أَنَّهُ اسْتَحْدَثَ وَدُودًا ، وَاسْتَطْرَفَ [خِلَالًا] جَدِيدًا ، فَتَرَكَ هَذَا الْأَنَامَ^٦ حَتَّى يَنْقَعَ أَوَامُهُ ، وَيَبْرَدَ غَرَامُهُ ، وَحِينَ ثَوَّتْ هَذِهِ الظَّنُّ^٧ فِي نَفْسِي أَفْنَذْتُ فَلَانًا لَا سَتِيضَاحَ الْخَبَرِ ، فَحَكَى أَنَّهُ الْفَى مَوْلَايَ فِي الطَّبَقَةِ الدَّهْشِيَّةِ^(٨) فَدَهَشَ لَمَّا رَأَاهُ مِنْ مَجْلِسٍ حَسَنِ ، وَمَقَامٍ صَبُوحٍ وَفَتَنٍ ، وَأُمُورٍ بَدِيعَةٍ ، وَأَحْوَالٍ وَسِيعَةٍ ، وَفَاكِهِةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَظَبِيٍّ قَدْ كَحَلَ بِالسَّخْرِ لِحَظَاتِيهِ ، وَأَطْلَقَ الْعِقَارِبَ عَلَى وَجَنَاتِيهِ ، وَنَظَّمَ السَّلُوكَ فِي ثَغَرِهِ ، وَأَنْبَتَ ثَمَرَ الصَّبَا فِي صَدْرِهِ ، يَدِيرُ عَلَى مَوْلَايَ كَأَسَا :

إِذَا أَخَذَتْ أَطْرَافُهُ مِنْ بَحُورِهَا رَأَيْتَ اللَّجِينَ بِالْمَدَامِ يُدْهَبُ

١ ص : إذا لفعل ؛ ولعل معناه : إنه يدير خطة لنيل منزلة يصبح بها عمرو رغم دهائه ودونه . ولقطة « يصيد » قد تقرأ « بصير » ، رغم وضوح الدال في الأصل .

٢ ص : للخوف .

٣ يعني يتجنب سورة السكر ، أي لا يعرب ؛ وفي ص : لهدف السرة .

٤ ص : إن تعادم وتغامر وذلك ؛ والتغامر : التظاهر بالفدامة ، والتغامر : التظاهر بالفتنة أي العجمة .

٥ ص : وأوحشنا .

٦ ص : هذه الأيام .

كَأَنَّ بِخِدْيِهِ الَّذِي جَاءَ حَامِلًا بِكَفِّهِ مِنْ نَاجُودِهَا [بَات] يُقْطَبُ

فَطَفَقْتُ مُتَعَجِّبًا لِمَا وَصَفَهُ الْمَخْبِرُ ، وَحَمْدًا [ت] اللَّهُ عَلَى صِدْقِ الْحَسِّ وَالتَّقْدِيرِ ،
وَعَذَرْتُ مُوَلَايَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَامِعِ ، وَاسْتِيفَاءِ التَّهْلَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَشَارِعِ ، وَأَوْسَعْتُهُ
مَلَامًا عَلَى التَّفَرُّدِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَالْفَاحِشَةِ الْمُتَبَيِّنَةِ ، دُونَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ ، الَّذِي
يُنْحَازُ فِي فِعْلِهِ الْحَسَنَ ، وَيَضِلُّ فِي أَذْنَى ذَلِكَ السَّنَنِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَافَ أَنْ
يَجْرِيَ هَذَا الصَّدِيقُ عَلَى طَاعَةِ شَيْطَانِهِ ، وَالْبِدَاءِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَالتَّدْحَرِجِ عَنْ
مَوْضِعِهِ وَمَكَانِهِ ، لِيَتَأَبَّطَ فِي اللَّيْلِ سِرًّا ، وَيَسِيرَ إِلَى حَيْثُ تَسْكُنُ الْغَزْلَانُ سِرًّا ، وَقَدْ
قَرَّتْ أَعْضَاؤُهُمْ نَوْمًا وَسُكْرًا ؛ وَمَعَ هَذَا فَأَوْثَرُ مِنْ مُوَلَايَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى شَانِهِ ، وَيَخْفَضَ
قَلِيلًا مِنْ عِنَانِهِ ، فَإِنَّ الْجَاهَ صَدْعُهُ لَا يُجْبَرُ ، وَالْمَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ لَا يُعْذَرُ ، وَقَدْ
شَبَبْنَا عَنْ هَذِهِ الْحَالِ ، فَيَحْسَنُ الْمَتَابَ ، وَيَسْمَحُ بَرْدَ الْجَوَابِ^١ .

وله من أخرى :

لَوْ رَأَيْتُ مُوَلَايَ وَقَدْ أُزْشِفَتْ الْخَمْرَةُ فَوَجَدْتَهَا مَرَارَةً تُدَمُّ وَلَا تُحَمَّدُ ، وَتَثِيرُ كَامِنَ
الْحُزَنِ وَالْكَمَدِ ، وَتَصَفِّحُ النَّدَامَ فَعَدَمْتُ مِنْهُمْ أَنْسَاءً عَنِ الْبَازِظِ دُونَ الْخَاطِرِ ، وَعَدَمَ
تِلْكَ الْمَحَامِدِ وَالْمَآثِرِ . فَأَمَّا الْمَاءُ فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي اتَّجَرَعُهُ وَلَا أَكَادُ أُسَيِّغُهُ شَوْقًا إِلَى تِلْكَ
الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَنْقَى مِنْهُ أَدِيمًا ، وَأَرْقُ نَسِيمًا ، وَأَمْسِكُ لِلنَّفُوسِ رَمَقًا ، وَأَكْثَرُ لَذْوِي^٢
الْحَاجَاتِ تَدْفِقًا :

خِلَاقٌ : إِمَّا مَاءٌ كَرَمٌ^٣ تَرْقَرَقَا أَغَادَى بِهِ أَوْ مَاءٌ مُزْنٌ تَصَفَّقَا
كَأَنَّ الصَّبَا جَرَّتْ عَلَيْهِ ذِيوَهَا أَصِيلًا وَفَارَّ الْمَسْكُ عَنْهَا تَفْتَقَا

١ ص : وَقُلْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْحَالِ .. وَيَسْمَحُ بِرَبِّ الْحَرَابِ .

٢ ص : ذَوِي .

٣ ص : إِمَّا مَاؤَكُمْ .

٤ ص : مَوْتِ .

وأما إرتياحي إلى الموالي السادة - حَرَسَ الله مُدَدَهُمْ ، وَكَثَّرَ بِسَاحَةِ المَكَارِمِ عَدَدَهُمْ - فإرتياحُ مَنْ رَحَلَ وَتَرَكَ قَلْبُهُ عِنْدَهُمْ ، وَإِنِّي وَإِيَاهُمْ لِكَمَا قَالَ [الأول] ١ :
 لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ قَوْمًا فَأَخْبِرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَى هُمْ
 وعلى القاضي السيد منهم السلام [١٨٦] خصوصاً ، لآتِي أَعْلَمُ عَنْ صُورَةِ
 حاله في هذا الشهر ، واحتباس يده عن كأسٍ يَجْلِبُهَا ، وفمه عن قِبْلَةٍ يَسْلُبُهَا ،
 وَقَدَمِهِ مِنَ الحَانَةِ الخَمْرِيَةِ ، وَزِيَارَةِ الغِيدِ الحُورِيَةِ ، فَذَا حَلَّتْ بِمَشِينَةِ الله أَنْشُوطَةُ هَذَا
 الْعِقَالِ ، وَأُطْلِعَ الله سَبْحَانَهُ عَلَيْهِ هَلَالَ شَوَالٍ ، فَأَنَسَ وَسَطُ القَوْمِ ، وَأَخَذَ بِثَأْرِهِ مِنْ
 أَيَّامِ الصُّومِ ، فَلْيَذْكُرْ هُنَاكَ صَدِيقًا لَمْ يَنْسَهُ وَقَدْ ضَرَبَ الْبَيْنُ رَوَاقَهُ ، وَأَطَالَ الْفِرَاقُ
 اعْتِيَاقَهُ . وَأَوْمِلْ مِنَ الله تَعَالَى أَنْ يَسَهِّلَ مِنْ قُرْبِ الدَّارِ مَا يُعِيدُ سَبِيلَكَ الْمَسْرَةَ
 مَنْظُومًا ، وَالتَّشْمَلَ بِحَضْرَتِهِ السَّامِيَةِ مَلُومًا ، فَهِيَ الْحَضْرَةُ : تَهْبُ مِنْهَا رِيَّاحُ الْعَلَاءِ ،
 وَتَحْطُّ بِهَا حَقَائِبُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، وَتُبْدِعُ فِي إِسْدَاءِ الْمُنَحِّ وَالْآلَاءِ .

والبيت الذي أنشده لزياد بن منقذ الحنظلي أخي المزار العدوي .
 قال ابن بسام^٢ : وأراه أَوَّلَ مَنْ اسْتَنَارَ مَعْنَاهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ مَا أَنْشَدَهُ

١ سبذكر ابن بسام في مايلي أن قاتل هذا البيت هو زياد بن منقذ الحنظلي أخو المزار العدوي ؛ ونسبه البغدادي في
 الخزانة (٢ : ٣٩٤) إلى المزار نفسه ، وروايته :

وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَادْكُرْهُمْ
 إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَى هَيْهِمْ
 وزعم المصري أن المزار هو نفسه زياد بن منقذ ، ونقل ذلك البغدادي عنه (٢ : ٣٩٥) ، وجاء في بعض أصول زهر
 الآداب أنه أخو المزار ، حسبما ذكر ابن بسام ، وروى البيت كما جاء في الذخيرة (انظر زهر الآداب : ١٠٦٤) قال
 البغدادي (٢ : ٣٩٦) وزعم أبو تمام في الحماسة أن القصيدة التي منها البيت لزياد بن حمل بن سعيد بن عميرة
 (الحماسة رقم : ٥٧٧) وزعم الاصفهاني في الاغانى (١٠ : ٣٣٠) والخالديان في شرح ديوان مسلم ابن الوليد
 أن هذه القصيدة للمزار بن سعيد الفقعسي ، والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوي ، قاله ياقوت في معجم البلدان
 (مادة : صنعاء) قلت : ما ذكره عن الحماسة ثابت عند التبريزي ، وفي شرح المروزقي : قال زياد بن حمل ،
 وقيل زياد بن منقذ ، وكذلك هو عند البكري ، في شرح الأمالي : ٧٠ ، وانظر العيني : ٢٥٧ وشرح شواهد
 المغني : ٤٩ وحاشية البكري : ٧٠ ؛ وكان من مناسبة القصيدة أن زياد بن منقذ رحل الى صنعاء فلم يحمدها ،
 فقال ذلك الشعر يذمها وينشوق الى وطنه .

٢ يعتمد ابن بسام في أكثر هذا التعليق على زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ .

حبيب في حماسته ، ويزعم دعبيل أن هذا الشعر له^١ :

ولما أبى إلا جماحاً فؤادهُ ولم يسأل عن ليلي بمالي ولا أهل
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي تسلى بها تُغري بليلى ولا تسلى
وكان^٢ ابن عرارة^٣ السعدي مع سلم بن زياد بخراسان ، وكان له مكرماً ،
فتركه وصحب غيره فلم يحمّد أمره ، فرجع إليه وقال^٤ :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدتهُ وجربتُ أقواماً بكيّتُ على سلمٍ
رجعتُ إليه بعد تجريب غيره فكان كبيراً بعد طولٍ من السقم
وأنشد المبرّد^٥ :

أخ لي عاداه الزمانُ فأصبحتُ مذمّمةً فيما لديه المطالبُ
متى ما تُذوّقه التجاربُ صاحباً من الناسِ تردّدهُ إليك التجارب
وأنشد أيضاً^٦ :

حياةُ أبي العباس^٧ زين لقومه لكلّ امرئٍ قاسى الأمور وجرباً
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناسِ أعتبا

١ الحماسة رقم : ٤٩٧ (١٢٩٢) في شرح المروزي ؛ وشرح المصنوع : ٢٤٩ والزهرة : ٣٤ وأمالى القالي : ١ : ٢١٠
والحماسة البصرية : ٢ : ١٧٣ وديوان ابن الدميني : ٩٤ والآل في شرح الأمالى : ٥٠٢ (للحسين بن مطير)
وديوان دعبيل (تحقيق الأشر) : ٣١٩ وديوان الحسين بن مطير (جمع محسن غياض) : ٧٠ وفي المصدرين
الآخرين تخریجات أخرى .

٢ النقل عن زهر الآداب : ١٠٦٤

٣ زهر الآداب : ابن أبي عرادة .

٤ هما في زهر الآداب ، والأول منها في عيون الأخبار : ٤ : ٤ لنهار بن تومعة ، واعتاب الكتاب ، ١٧١ (دون نسبة)
والمستطرف : ١ : ٢٢٣ لابن عرارة ؛ وبهجة المجالس : ١ : ٦٥٧ (دون نسبة)

٥ زهر الآداب : ١٠٦٥ ونسبه للبحري ، ولم أجده في ديوانه .

٦ زهر الآداب : ١٠٦٥ والكامل : ٤ : ١٢٦ والثاني في عيون الأخبار : ٤ : ٤ والعقد : ٣ : ٤٥٥ وبهجة المجالس : ٦٥٧

٧ الكامل : أبي العوام .

وقال مسلم بن الوليد^١ :

حيأتُكَ يا ابن سعدانِ بن يحيى حياةً للمكارمِ والمعالِي
جلبتُ لك الثناء فكان عفواً ونفسُ الشكر مُطلَقُهُ العَقَالِ
ويُرجعني إليك وإن تَناءتْ^٢ ديارِي عنكَ تجربةُ الرجالِ

ويتطرَّفُ هذا المعنى أيضاً قولُ ابنِ الرقاع^٣ :

وإذا نظرتُ إلى أميرِي زادني كلفاً به نظري إلى الأمراءِ

ومنه قول الرضي^٤ :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بينكمُ إلا ذكرتُ لِيالينا بذي سَلَمٍ
ولا استجدَّ فؤادي في الزمانِ هوىً إلا ذكرتُ هوى أيا منّا - القُدَمِ

ومن أخرى له عن الوزير الناصري^٥ إلى بعض القبائل : معلومُ أن الله تعالى
قد يأذنُ للنعمِ إذا خُصَّتْ بالشكرِ أن تستدني البعيدَ القصي ، وتستأنسَ النافرَ
الوحشي ، وإذا قُرِنتُ بالكُفرانِ يرحلُ منها القاطنُ ، وتستوحشُ المعاطنُ؛ ووصل إليَّ
ما كان منكم من الانحرافِ عن الحضرةِ الساميةِ والتظاهرِ بالخلافِ عليها ،
فتحقَّقْتُ أن الشيطانَ قد أعملَ فيكم كيدَهُ ، واستنفدَ في إضلالكم قُوَّتَهُ وأيدَهُ ،
وأوضَعَ بكم في مراعي وَبِيَّةٍ ، ودبَّ إليكم من طريقِ خَفِيَّةٍ ، فزَيْنَ لكم غيرَ
الحسَنِ ، وأوطأكم الجانبَ الأَخْشَنَ ، ووسمكم في أحياءِ العربِ بإخفار الذَّمِّ ،

١ زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ وديوان مسلم : ٣٣٦ والثالث في المستطرف ١ : ٢٣٣

٢ الكامل وزهر الآداب : وإن نأت بي

٣ البيت في الشعر والشعراء : ٥١٧ وقام المتون ، ٣٣٩ - ٣٤٠ وقد أورده ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة :

١١٦

٤ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ وقد ذكر ابن بسام أبياتاً من هذه القصيدة ١ : ٢٣٦٥ ، ١٤٠ ، ٣٧٩

٥ الديوان : ما ساعفتني ... بينهم إلا بكيت

٦ لم يتوجه لي على وجه الدقة من هو الوزير الناصري ، وما يزيد الأمر تعقيداً أنه يذكر « اللواء الحمداني » في هذه الرسالة . ولعله ناصر الدولة الحمداني الذي استولى على أكثر أمور مصر أيام المستنصر ، وقتل سنة ٤٦٥ .

وَكُفِّرَانَ النِّعَمِ . وَأَقُولُ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ : أَلَمْ تَصِلُوا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَتَعْرِفُوا بِهَا
 الْعَيْشَ الْوَحْشِيَّ ، وَتَحُلُّوا فِيهَا مَحَلَّ الْغَرِيبِ الْأَجْنَبِيِّ ، وَتَعِيشُوا عَيْشَ الْغُرَثَانِ
 الْخَمِيسِ ، وَتَحْطَفَكُمُ الْعَرَبُ تَحْطَفَ الْأَجْدَلِ لِلْقَنِيصِ ، فَجَمَعَتِ الْحَضْرَةُ شَتِيَّتِكُمْ ،
 وَوَصَلَتْ مَبْتُوتَكُمْ ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي سَوَّلَتْهُ لَكُمْ أَوْهَامُكُمْ ، وَحَدَّثَتْكُمْ بِهِ
 أَحْلَامُكُمْ ؟! وَايْمُ اللَّهِ لَنْ أَنْقَلِبْتُمْ عَلَى الْجَنَابِ النَّاصِرِيِّ ، وَانْحَرِفْتُمْ عَنِ اللِّوَاءِ
 الْحِمْدَانِيِّ ، لِتَصْبِحَنَّ أَكَلَةً لِلْعَرَبِ ، يَحْطُونُ أَعْلَامَكُمْ ، وَيُرْزَلُونَ أَقْدَامَكُمْ ،
 وَيَحْمُونَكُمْ وَرُودَ الْمَاءِ الْمَبَاحِ ، وَيَمْنَعُونَكُمْ حَلَاوَةَ النَّعْمِ الْمُرَاحِ ، فَارْجِعُوا حُلُومَكُمْ
 الْعَازِبَةَ ، وَتَجَافُوا عَنْ ذُنُوبِكُمُ اللَّازِبَةَ ، وَارْجِعُوا^٢ إِلَى مَنْ أَمْتَدَّ عَلَيْكُمْ ظِلُّهُ وَالزَّمَنُ
 هَجِيرٌ . وَصَفَا لَكُمْ وَرْدُهُ وَالْعَيْشُ كَدِيرٌ ، فَلَوْ قَدْ فَارَقْتُمْ جَنَابَهُ الْفَسِيحَ لَتَفَرَّقْتُمْ فِي
 الْأَرْضِ شَيْعَاً ، وَنَبَتْ بِكُمْ مَقَرّاً وَمَضْجَعاً ، وَعَثَرْتُمْ عَثْرَةً لَا يَقَالُ لَهَا [لَعَا] . وَقَدْ قَلْتُ
 وَنَصَحْتُ ، وَبَيَّنْتُ وَأَوْضَحْتُ ، وَسَلَكْتُ مَسْلَكَ الْحَدِّبِ الشَّفِيقِ ، وَبَقِيَ أَنْ يَمْنَحَ اللَّهُ
 حُسْنَ التَّوْفِيقِ .

ومن أخرى :

مَا أَعْتَمَدَهُ سَيِّدُنَا بِالْأَمْسِ مَعَ عَبْدِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ خَارِقٌ لِلْقَضِيَّةِ الْعَادِلَةِ^٣ .
 وَمَحْسُوبٌ فِي الْأَوْضَاعِ الْحَائِلَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ كَانَ مِمَّا [لَا] يَرْفَعُ الصِّيتَ وَيُبْعِدُهُ ، وَيُعْلِي
 الْجَدَّ وَيُسْعِدُهُ ، وَيُشْجِي الْحَاسِدَ وَيُغْصُهُ ، وَيَهْيِضُ جَنَاحَ الْعَدُوِّ/ [١٨٧] وَيَقْصُهُ ،
 فَاِنْ الرِّضَى بِهِ [يَعْدُ] أَفْصَاحاً بِالْفَهْمِ الْقَلِيلِ^٤ ، وَنَكُوباً عَنْ مَحَجَّةِ التَّحْصِيلِ ، وَمَا
 إِخَالَ سَيِّدَنَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ بِالذُّخُولِ فِي هَذَا الْحَيْزِ ، وَالخُرُوجِ عَنْ سِمَةِ الْمُحَقِّقِ
 الْمُمَيَّزِ ، وَلَيْسَ يَجِبُ - وَإِنْ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ شَغَفُهُ ، وَزَادَ [عَلَى] ذَوِي الْأَدَابِ حَنُوهُ
 وَتَعَطُّفُهُ - أَنْ يَشِيْمَ لَهُمْ حَدَّهُ ، وَيَهْضُمَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ ، فَانْ اسْتَهَامَ بِحُبِّ الْمَآثِرِ

٢ ص : وتساموا عن ذنوبكم الكاذبة وراجعوا .

٤ ص افصاحا بالعيم العليل .

١ ص : فتعدوا

٣ ص : العادية .

٥ ص : وجهده .

والمساعي ، وقويت منه في إكرام أوليائه الدواعي ، وأنشدَ عند قراءة هذا الفصل :

* لقد حَكَتَ الملامَ لغير داعٍ *

ثم تجاوزتْ هِمَّتُهُ النهَجَ البعيدَ ، وفرعَ نِزَابَةِ الطُّودِ المشيدِ ، واستحسن قولَ الوليد^٢ :

يُنْزِلُ أَهْلَ الآدَابِ مَنْزِلَةَ الـ أَكْفَاءِ إِنْ نَاهَزُوهُ^٣ فِي أَدْبِهِ
لَمْ يُزْهِهِ عَنْهُمْ وَهُمْ سُوقٌ فِي الْعَيْنِ وَطَاءُ الْمُلُوكِ فِي عَقْبِهِ
فَعَبْدُهُ يَسْأَلُ أَنْ يَخْتَصَرَ عَلَيْهِ فِي الْإِكْرَامِ ، وَيَقِفَ بِهِ دُونَ ذَلِكَ الْمَقَامِ ، فَاللَّمْحَةُ فِي
الْبَدْرِ تَضِيءُ السَّبِيلَ ، وَالْقَطْرَةُ مِنَ الْمَاءِ تَبْرِّدُ الْغَلِيلَ .

ومن أخرى :

مَعْلُومٌ أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ عَادَانَا بِعُجَابِهِ^٤ ، وَنَهَشَنَا بِأَنْيَابِهِ ، وَأَدَارَ عَلَيْنَا مِنْ صُرُوفِ
أَحْدَاثِهِ كَوْوَسًا ، وَجَعَلَ كُلَّ غَرِيبٍ لَنَا أَنْيْسًا ، وَلَمَّا خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْعَادَةِ ، وَسَلَكَ
فِي مَوْلَايَ غَيْرَ الْجَادَّةِ ، وَأَوْدَعَهُ عَوَارِفَ يَضِيقُ عَنْهَا بَاعُ الْكِتَابِ ، وَقَذَفَ إِلَيْهِ أَقَاصِي
خَطُوبِ الْخَطَابِ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ رُشْدَهُ ، وَأَوْجَبَ حَمْدَهُ ، وَأَطْلَعَ شَمْسَ النَّهَارِ
مِنْ مَشْرِقِهَا ، وَوَضَعَ تَاجَ الرِّيَاسَةِ عَلَى مَفْرِقِهَا .

ومن أخرى :

خَلَدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَضْرَةِ الْأَفْضَلِيَّةِ^٥ ، مَا فَضَّلَ الْأَسْمَاءُ حُرُوفًا ، وَتَقَدَّمَتْ وَأُو

١ ص : واع .

٢ ديوان البحري : ٢٤٣

٣ الديوان : شاركوه .

٤ ص : بعجائبه

٥ يعني بالحضرة الأفضلية : الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الوزارة حين مرض والده سنة ٤٨٧ زمن الامام المستنصر ، وظل على الوزارة في أيام المستعلي ثم الأمر إلى أن اغتيل سنة ٥١٥ هـ (الإشارة الى من نال الوزارة : ٥٧ - ٦٤ وابن خلدون ٤ : ٧٠) فان كان ابن أبي الشخباء قد توفي سنة ٤٨٦ فهذه الرسالة مما أنشأه في الأفضل قبيل توليه الوزارة ، يهنيه بابلاله من مرض .

العطف معطوفاً ، ولزمت الأفعال اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلَفَى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها شُمُ الملوكِ وقوفا
وتعيد سطوتها سماءَ عداتها كَسَفاً وبدرِ سُعودِهِمْ مكسوفاً

ولَجَ سمعَ العبد في هذه الساعة نَبأَ جمعٍ عن أقبايعه ، وتصاممَ عن استماعه ،
تعاشياً عن صُبْحِهِ المين ، وتغليياً للشكِّ على اليقين ، وخوفاً على العزِّ الشامخ أن
يُصْحِبَ شَمُوسَهُ ، والمجد [الباذخ] أن تَكُورَ شَمُوسُهُ ، والمحامدِ أن تُنْتَرَكُوا كِبَاهُها ،
والمناقبِ أن تَنْزَلَزَلْ مناكبها . ولما تلاه الخبرُ بما أصمت ناعقهُ ، وكذَّبَ بارقهُ ، ونطق
بأنَّ الجسمَ الشريفَ قد التفعَّ شملةَ الإبلالِ ، وعاد مزاجُهُ الى الاعتدالِ ، أطال
العبدُ في التُّرْبِ تعفيرَ خدِّه ، وبالغ في شُكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ ، فيا لها نعمةً عَدَلَتْ بها
أحكامُ الزمانِ الجائرة ، واهتدت ركائبُ الآمالِ الحائرة ، وأصبحَ الملكُ المستنصريَّ
سائلَ الغرة ، ضاحكاً الأسرة ، [والحضرة] قد تمكنت في خطاياها ، وما نزعَتْ بُرْدَ
شبابها ، وامتدَّتْ بعدَ القُلُوصِ أفيأؤها ، وأضاءَتْ في ظلماتِ الخطوبِ آناؤها :

واللهُ أكرمُ أنْ [يعذبَ مهجةً]	غَذِيْتُ	بأخلاقِ العلا أعضاءها
فاذا طمت جسمَ الخطوبِ [عرامةً]	[أرصى على]	فيض الحياءِ حباؤها
لو كان يُنْكِرُ ملكَها [رُتَبَ] العلا	أحدُ	لكان شهودها أعداؤها
ثابتُ بك الأتيامُ عن جهلاتها	وتوقَّرتُ	من أهلها سُفْهاؤها
وبعدلِ حُكْمِكَ زالَ عَنَّا ظلمها	وبنورِ مجدك	أشرقَتْ ظلماتها
نارُ اعتزامك ما ييؤُح - ذكاؤها	وسمَاءُ عَزَّكَ	ما تغيبُ ذُكاؤها
وعِراضُ فضلكَ لم تضقْ أرجاؤها	وعفاةُ جودك	ما يخيبُ رجاؤها

فالحمدُ لله الذي منح الأمة من نعمةٍ أصبحت النوائبُ بها قد دَرَجَتْ أيامها ،

١ هذا البيت والتالي له وردا في الخريدة : ١٥/أ

وَهَدَّتْ من المخاوفِ أعلامها^١ ، والبخلُ قد هُدِمَ بنيانُهُ المرصوص ، والكرمُ قد ريشَ جناحهُ المقصوص . ولم يبقَ له سحاب إلا وهو يُغْدِقُ ويَهْمَعُ ، ولا منادى إلا وهو يلبِّي وَيَسْمَعُ^٢ :

يا ماجداً نَصَرَ الشريعةَ حيثُ لا	بيضُ تُشام ولا ذوابلُ تُشَرِّعُ
والنَّصَبُ منصوبُ اللواءِ وشائعُ	في أهلهِ بَغْضُ الذي يتَشَيَّعُ
عَمَّتْ عوارفُهُ ^٣ فما من موضعٍ	إلا ونائلُهُ إليه مَوْضِعُ
سائلُ به ودمُ الفوارسِ سائلُ	يُسْقاه ظمآنُ الترابِ فينقعُ
واليومُ قد كتبتُ سَنابكُ خيلِهِ	نَقَعاً جبينُ الأفقِ منه مُقَنِّعُ
فهناك تلقى الصدرُ لا متضايقُ	والرَّوْعُ لا نخبِ الضلوعِ مروِّعُ
والشَّمْسُ تهوى أنْ تقبَّلَ كَفَّهُ	فَتُذَادُ بالسُّمَرِ اللدانِ وتمنعُ
فاقنعُ بما ملكتُ يداك من العُلا	إن كنتَ بالشهبِ الثواقبِ تقنعُ

فأما حال العبد فعلى الحالة التي يؤمِّلُ من الحضرة العلية كشفَ ضبابها ، وانتكاثِ أسبابها ، وكأنه من العبودية يفتضي ألا يُغَيِّهَ مَزْنُ مكارمها ، ولا تتجاوز عنه جفونُ مراحمها ، فيصبح وقد حَفَّتْ به الشدائدُ/ [١٨٨] وضاقَتِ عنه المصادرُ والمواردُ ،

أتركني يا دهرُ في البؤسِ مفرداً	ومالكُ رَقِي مُفَرِّدُ فيكَ واحدُ
إذا هَمُّ الأَقْوامِ شَابَتْ وأظلمتُ	فهَمَّائِهِ بِيضُ الوجوه خرائدُ
فيا قاضي الدِّينِ الذي قام حَافِظاً	حِياهُ وكلُّ واهنُ العزمِ قاعدُ

١ ص : وصدت في ... عيانها .

٢ الأبيات ٣ - ٧ من هذه المقطوعة وردت في الخريدة : ١٥/أ - ١٥ ب

٣ الخريدة : مواهبه .

٤ الخريدة : نسجت

٥ ص : الحزم .

ومن سادَ أهلَ العصر طُراً وألقيتُ له في عِراضِ الفرقدِينِ وسائدَ
أناديكَ في نادٍ يحفُّ بِي الرَّدَى وتنزلُ فيه النازلاتُ الشدائدُ
تخاطبني فيه الخطوبُ فصيحَةً ويُسهَرُ عيني ضيقُ العينِ باردُ
يطارحني صوتاً ، سروري ناقصُ إذا هو غَنائي وهَمِّي زائدُ

وللحضرة العالية الأفضلية ، الرأي العالي في انتياش العبد من هذه الغمائم ،
وكانَ ما تهبُّ له من العناية زكاةً عما ملأها الله من رزق الزمان ، ومكَّنهُ لها من
قواعد العزِّ والسلطان ، وتقرباً إليه جلَّ اسمه إذا انشقت [السماء] فكانت وردةً
كالدهان .

قوله : فهناك تلقى الصَّدْر .. البيت ، كقول المعتمد بن عباد^١ :

وأردتمُ تضيقَ صَدْرٍ لم يَضِيقُ والسُّمُرُ في تُغْرِ الصدورِ تحطُّمُ
وقال المعتمد أيضاً في صفة [مجلس] ، من شعر قد تقدَّم إنشاده^٢ :

هذي المدامُ وهذا النقلُ من جَسدي غنَّ لنفسك أشعاري بالحناني
وله من أخرى :

أطال الله بقاءَ الحضرة السامية الصارمِية^٣ ، ما عَظُمَ رجب في الإسلام ، وولجَ
الضياءُ في الظلام ، ووُشِيَتِ الطروسُ بأسنة الأقالام :

تَرِدُ العُفَاةُ شرائعاً من جودها نُسيختُ بهنَّ شرائعُ الإعدامِ

١ ديوان المعتمد : ٦٧ وقلاند العفيان : ١٦ والذخيرة ٢ : ٥١

٢ القلائد : النحور .

٣ لا أراه تقدَّم في الذخيرة ، كما أنه ليس في ديوان المعتمد .

٤ يريد بالحضرة الصارمِية : صارم الدولة بن معروف ، وقد أورد ياقوت (٩ : ١٧٥) رسالة أخرى من ابن أبي
الشخياء إليه افتتحها بقوله : أطال الله بقاء الحضرة الصارمِية ، يجري القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر
بعزائم ألويتها .. الخ .

وترى قلائدَ حَمْدِهَا وثنائها منظومةً بترائبِ الأيام
وإذا عَصَتْ نُوبُ الزمانِ وخالفتْ وقفتْ لديكِ مواقفَ الخدام

إذ كانت أيامُ الحضرةِ العاليةِ شاهدةً لها بجودِ يرشُ أجنحةَ الكرامِ
المقصودة^١ ، ويقومُ بفرائضِ المجدِ المنصوبة ، وحلمٍ تُطْلِقُ القدرةَ عنائهُ ،
ويستعيرُ الجنانَ رُجَحائهُ ، ووفاءً يَعْلَمُ الدهرَ حفظَ العهودِ ، وينقلُ طَبْعَهُ إلى الخلقِ
المحمودِ ، ورأيٍ يقطعُ والسيوفُ مُعَمَّدةً ، ويسري العودُ العتاقُ مقيَّدةً ، وبشرٍ
يُجْجِلُ ضوءَ الشارقِ ، ويضيئُ في جبينها إضاءةَ البارقِ ، وجوداً تأمرُ مكارمهُ الزمانَ
لينتصرَ بالصارمِ ذي الفضائلِ ، لا الصارمِ ذي الحمايلِ ، وينتجعُ الأنواءَ المظفريةَ ،
فَيَهْتَتِئُهَا لها بالشهرِ والسنةِ حفظاً للسنةِ المرتبةِ ، لا اعتماداً على القضيةِ المستوجبةِ ،
والله تعالى يديمُ أيامَهَا الزاهرةَ ، دوامَ نَعَمِهَا المتظاهرةِ ، فإن ذلك يَرُوْبه القريبُ
والشاطرُ^٣ ، ويتمثلُ به المقيمُ والطَّاعِنُ :

ومرَّتْ بكَ الأيامُ وهي كوافلُ	بنَّيلِ الذي ترجوه منها ضوامنُ
فيا صارماً أئتتْ عليه عُدائهُ	وأُصْدَقُ مَنْ يُشْئِي العدوَّ المباینُ
وفتُ بشروطِ الجودِ في المحلِ كفهُ	ومزنُ السحابِ الجودِ للأرضِ خائنُ
يُضِيفُ إلى إنعامِهِ بشرَ وجهه	كما جمعَ الحكمينِ في الحجِّ قارنُ
ولولا الذي قدمتُ من حسناته	لما وُجِدَتْ للدَّهْرِ فينا محاسنُ
فلا سرُّه ما بين عينيه ظاهرُ	ولا حقدُهُ ما بين جنبيه كامنُ
صفتُ لك من صَفْوِ السُّعودِ مواردُ	وجادتُ عليك المُعْصَراتُ الهواتنُ
تُقَسِّمُ طولَ الدهرِ أمناً وخيفةً	فمالكِ مرعوبُ [وعِرْضُكَ آمِنُ]

١ ص : المخصوصة .

٢ ص : ووجد

٣ الشاطر : البعيد الثاني

وله من أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السّامية معمورةً بوفود السعادة ديارها ، مشـادة
إلى [قَصْدِهَا أَنْسَاعُ الْعِيرِ وَأَكْوَارُهَا ، مَفْلُولَةٌ عَنْهَا أَنْيَابُ النَّوْبِ وَأَظْفَارُهَا ، وَلَا زَالٌ
مِنْ مَدِّ الظِّلِّ وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِنًا^١ ، يَدُّ عَلَيْهَا الظِّلُّ مَا سَرَى فِي اللَّيْلِ سَفَرٌ ، وَطَلَعَ
فِي السَّمَاءِ غَفْرٌ^٢ ، وَخَرَجَ عَنْ أَيْدِي الْكَرَامِ وَفَرٌ ، وَأَنْسَ بِالرَّكْبَانِ مَهْمُهُ قَفَرٌ :

يَطْوِعُ لَهَا الْعَاصِي مِنَ الْخَطْبِ عِزَّةً وَيَدْخُلُ قَسْرًا تَحْتَ أَحْكَامِهَا الدَّهْرُ
وَلَا زَالٌ يُعْلِي فِي الْخَلِيقَةِ أَمْرَهَا عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَنْ لَهُ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وفي فصلٍ منها :

يا صارماً حاز الثناء بأنعمٍ لا تنقضي أوقاتهن فتتقضي
لما انتَضَتْهُ يَدُ الْإِمَامِ تَحَقَّقَتْ هَذِي الْبَرِيَّةُ حُسْنَ رَأْيِ الْمُنْتَضِي
مَتَوَاهِنٌ عَنْ كُلِّ جُرْمٍ طَرْفُهُ فَإِذَا رَأَى أَكْرَمَةً لَمْ يُغِضْ
عَلَقَتْ يَدَاهُ بِكُلِّ لَدْنٍ أَسْمَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكُلِّ عَضْبٍ أَيْضٍ
وَتَرَاهُ حِينَ تَضِيقُ أَثْوَابُ الْعَلَا مَتَاسًا فِي السَّوْدَدِ الْمَتَفَضِّضِ / [١٨٩]
يَا عَاشِقَ الْعَلِيَا وَمُبْغِضَ مَالِهِ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ مَحَبٍّ مَبْغُضٍ
لَا تَسْأَلْنِي عَنْ زَمَانِي هَلْ بَدَتْ لِي مِنْهُ صَفْحَةٌ مُقْبِلٍ أَوْ مُعْرِضٍ
أَنْتِ الزَّمَانُ فَإِنْ وَجَدْتُكَ سَاخِطًا يَسْخَطُ عَلَيَّ وَإِنْ رَضِيتَ فَقَدْ رَضِيَ
كَمْ قَوَّضْتُ يَمْنَاكَ عَنَّا شِدَّةً لَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ لَمْ تَتَّقُوسْ
وَنَهَضْتَ مِنْ ثَقَلِ الْمَعَالِي بِالَّذِي لَوْ سِيمَ يَذُبُّلُ بَعْضَهُ لَمْ يَنْهَضْ
[وَبَقِيَ تُسْهُرًا^٣ كُلَّ طَرْفٍ لِلْعَدَا وَتَحَلُّ هَضْبَ سَعَادَةٍ] [لَمْ تُخَفِّضْ]

١ من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء جعله ساكنًا » (الفرقان : ٤٥)

٢ الغفر : منزل من منازل القمر ، ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

٣ بياض في ص .

[وتقطف] ١ من إنعام الحضرتين ثاراً ، وتعيدُ جَدْبَ ٢ الزمانِ ربيعاً ، وتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً ، فقد وَقَتُ لها حينَ خانتِ اليدُ بنانها ، وسنمتِ الضلوعُ جَنَانها ، وصدحتْ بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبر ، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماماً ٣ ، ورهجُ خيولهم يَسْحَبُ على الموت غماماً ، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداقِ نتقاً ، وجمع قُطري الرسالة فتقاً ورتقاً ، فلا قلصَ الله ظلها عن هذا الثغر الذي يكادُ تراهُ بكرمها يورق ، ونبتُهُ بحسنها يُشْرِقُ .

ومن أخرى له :

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور ، ورتبته عُلَتْ ٤ جميعَ الأيامِ والشهور ، فما تُنتَهَكُ للشرع فيه حرُماتُ ، ولا تُسمعُ للأوتارِ نغماتُ ، ولا تنطقُ باللغو أفواه ، ولا ترشفُ رُضابُ الكؤوسِ شفاءً ، وإذا اعتُبرتْ أوقاتُ الحضرةِ المنصورة ، وُجدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة ، إلا أن الشهر اختصه الله بشرفِ القضية ، وفرض صيامه على جميع البرية ، فلا زال على الحضرةِ العاليةِ عائداً ، ولها للأعمالِ الصالحةِ شاهدٌ : تطلعُ في لياليه الحسناتُ شمساً ، وتجمعُ بين الشفقِ والفلقِ تسييحاً ٥ وتقديساً ، خاطرةً ٦ في جلايب عزِّ يعتلقُ الدهرُ بأسبابه ، وكرمٌ يَغْرُقُ البحرُ في عبابه ، ومجدٌ تعشو النيراتُ إلى أنواره ، وتعصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره ، وتتربُّ بمكارمها الأيدي التربة ، وتثبتُ بسعدها بروجهم المتقلبة ، ويجدون ترابها في أفواههم عسلاً ، وفي أجفانهم كحلاً ، ويرون وظائفَ التوبِ عنهم تُرفعُ ، وأنفَ الحوادثِ تُجْدَعُ :

١ يبدو أنه وقع في هذه الصفحة تقطيع تداخلت فيه نهايتا سطرين ، مما أحدث خللاً واضطراباً في النص

٢ ص : تعيد أحذب .

٣ ص : وأما .

٤ ص : ونبتها .

٥ ص : على .

٦ ص : ناظرة .

قد ودَّ هذا الشهرُ أنْ هلالُهُ
 ألبسته تقوى . وألبسَ حُلَّةً
 وبرزتَ في جيشٍ تَغصُّ به الفلا
 لجبٍ شكتْ كفُ البسيطةِ ثقلُهُ
 لا بدَّ تُعرَفُ بالعراقِ جِياذُهُ
 وعلى مطأها دارعون سيوفُهُم
 وتقيم شرعُ بني النبيِّ بأرضِهِ
 لم ترضَ معروفَ العوارفِ نفسُهُ
 وإذا تمثَّى المالُ يُودَّعُ كَفَّهُ
 تركتْ سيوفُك كلَّ خالِعٍ طاعةٍ
 ومن أخرى :

لقد أسعد الرحمنُ مَنْ بات ثانياً
 إذا ما الحيا جارك في حَلَبَةِ الندى
 وما يتساوى قطُّ بحرٌ وجدولُ
 وأنت سماءُ الملكِ وابنك شمسُهُ
 إذا لم تحطْ نظماً ونشراً بمدحِهِ
 فككتْ إسرائي مُنعماً وتركتني
 إليك عنائي رغبةً وثناءً
 رمى فوق فودَّيهِ قناعُ حياءِ
 ولا كلُّ أعضاءِ الفتى بسواءِ
 وهل نُظِّرتْ شمسُ بغيرِ سماءِ
 فما حيلةُ الكتابِ والشعراءِ
 لآلائك الحسنَى من الأسراءِ

والذي جعلَ الأرضَ بساطاً يبسطُ قدرها في الآفاق ، ويجعلُ أيامها ينابيعَ
 الارزاق ، حتى لا ينطق بسوى شكرها لسان ، ولا يُرى لغيرها على أحدٍ إحسان .

١ ص : بالفراق .

٢ الأيدع : صبغ أحمر .

٣ ص : يودَّع .

وفي فصل من أخرى :

وحضر فلان-، وعليه من نعمته آثار قد حَلَّتْ عَطَلَهُ ، وسَدَّتْ خَلَلَهُ ، وظهر في
زيٍّ يكبتُ كلَّ عدولٍ وشامت ، وينطقُ بالمنةً عنه وهو صامت ، وقد سَيرَ من ذلك ما
سَيرَ غوراً ونجداً ، ونظم في ترائبِ الأيامِ منها عِقْداً ، ولا زالتُ منه لذوي الآداب
قاطرة ، وعراضُهُ بلطائمِ الثناء عاطرة ، يتغايرُ النثرُ والنظمُ على مدائحه ، وتفيض
على العافين غروبُ مواهبِهِ ومناحه . ولما اعتزم العودةَ إلى ذلك الظلِّ المديد ،
والعيشِ الرغيد ، زَوَّدَتْهُ هذه الرقعةُ مستدعياً له الزيادةَ من كرم العادة ، والحظوظِ
السَّنيَّةِ المستفادَةِ .

ومن أخرى :

أُنْبِتُ - أطل الله بقاءَ مولاي - شيءٍ أنا فيه مكذَّبٌ ومصدقٌ ، ومدافعٌ
ومحققٌ ، واحتجت بحكم ذلك الى مطالعته ، وعلم كنه حالته^١ ،

فالجلُّ كالماء يُبدي لي ضائِرَهُ مع الصفاءِ ويُخفيها مع الكَدْرِ

عرفتُ أن هذا الراقصَ البغدادي قد رفض مودته خَلْفاً ، وسلك به من الخلافِ^٢
عسفاً ، فوصله وهجر ديوانَهُ ، وأرضاهُ وأسخطَ خِلالَهُ ، واستبدل فيه مصوناً من
قدره ، واستدلَّ عزيزاً من تأنيهِ وَبرِّهِ ، وصار يهبُ النفسَ بلمسةٍ [من] إهابه ، وجميعَ
سَقْيِ النيلِ برشفةٍ من رضابه ، وينشدُ إذا تراكضت خيولُ اللهِ واللَّعبِ ، وغلظ
عليه قولُ اللاحي المؤنب :

غزاليٍّ تمتعتُ في قُرْبِهِ ونازعني الكاسَ حتى غَلَبَ
إذا ما تَنَفَّسَ في نَوْمِهِ تَنَفَّسَ عن مثلٍ ما قد شرب

١ كنه حالته : قراءة تقديرية ، اذ هذا الجانب من الصفحة قد طمس .

٢ الخلاف هنا بمعنى الخلاف .

فيا ليلُ لیتک لا تنقضي ويا صبحُ لیتک لا تقترب

فوجدتُ والله من إشاعةِ هذه الحال ما يجدهُ الخائفُ غاب واقیه ، والسليمُ
عَدِمَ طبيبه وراقیه ، خوفاً على جاء مولاي أن يميل ، وَيَشْنَعُ فيه القالُ والقليل ،
فيصلُ إلى من المصاب بذلك ما يُعْشِي الناظر ، ويخذلُ الناصر ، لاسيَّ والنسبُ حظُّهُ
من الشرف الخطير ، وقسطُهُ من الإِعْظام والتوقير ، والصغيرُ يُعَدُّ به كثيراً ، والحصاةُ
تُحْسَبُ معه ثبيراً ، ولو كان مولاي مدَّ على هذه السقطة سَجْفاً ، وشرب ذلك العُقارَ
مَرْجاً لا صِرْفاً ، لجاز أن تخفى القِصَّة ، وتُتَسَاخَ قليلاً هذه الغُصَّة ، فالعقلُ نعمَ
الرقيب ، والليلُ نهارُ الأديب^١ . ويجبُ أن يتحقَّقَ مولاي أني ما أطلقتُ هذه اللفظة
إلا وقد حَصَرَ الكتان ، والتقتُ حلقتا البطان ، وسَمِعْتُ ما يُصِيمُ الآذان .

وله من أخرى^٢ :

ما زال يختارُ الزمانُ ملوكهُ حتى أصابَ المصطفى المتَّخيراً
قل للآلئ ساسوا الورى وتقدّموا قُدماً هلموا شاهدوا^٣ المتأخراً
تجدوه أوسعَ في السياسة منكم صدراً وأحمدَ في العواقب مَصْدرًا
إن كان رأياً شاوروه أحنفاً أو كان بأساً نازلوه عنترا
قد صام والحسنات ملء كتابهِ وعلى مثالِ صيامهِ قد أفطرا
ولقد تخوَّفَكَ العدوُّ بجهدهِ لو كان يقدرُ أن يردَّ مقدراً

١ قوله « الليل نهار الأديب » فيه إشارة إلى قصة ليحيى البرمكي حين بلغه أن ابنه الفضل قد تشاغل باللذات عن
النظر في أمور الرعية - وكان والياً بخراسان - فكتب إليه يلومه ، وضمن رسالته أبياتاً يقول فيها :

فكابد الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأديب

انظر ابن خلكان ٤ : ٢٨

٢ منها ثلاثة عشر بيتاً في الحريدة : ١٦ ب وأحد عشر في ابن خلكان ٢ : ٩٠ وقال ابن خلكان : وقد اقتضت منها
على هذا القدر خوفاً من التطويل .

٣ الحريدة : هلم فشاهدوا .

٤ الحريدة والوفيات : رأي ... بأس .

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ ضُمَرًا
 تَسْرِي وَمَا حَمَلَتْ رَجَالٌ أَيْضًا
 خَطَرُوا إِلَيْكَ فَخَاطَرُوا بِنَفُوسِهِمْ
 عَجَبُوا لِحَلْمِكَ أَنْ^١ تَحُولَ سَطْوَةٌ
 لَا تَعْجِبُوا مِنْ رَقَةٍ وَقِسَاوَةٍ
 فَلِذَاكَ عَدَّكَ حِينَ يَعْرِضُ عَارِضٌ
 لَوْ رَامَ قُسْطَنْطِينَةُ لَا جَلْقًا^٢
 وَلَقَدْ قَضَتْ أَيْ الْكِتَابِ لِكُلِّ مَنْ
 جُرْدًا بَعَثَ إِلَيْهِ كِيدًا مُضْمَرًا
 فِيهِ وَلَا ادْرَعْتَ^٣ كِمَاءَ أَسْمَرًا
 وَأَمَرْتَ سَيْفَكَ فِيهِمْ أَنْ يَخْطُرَا
 وَزَلَالِ خُلُقِكَ كَيْفَ عَادَ مَكْدَرًا
 فَالِنَارُ تَقْدَحُ مِنْ قَضِيبٍ أَخْضَرَا
 وَسَطَى الْبَنَانِ وَعَدَّ غَيْرَكَ خَنْصَرَا
 بِكَ لَمْ يَدْعُ فِي أَرْضِهَا مَتَنَصَّرَا
 نَصَرَ الشَّرِيعَةَ أَنْ يِعَانَ وَيَنْصَرَا

فلا برحتِ الحضرة - حرس الله أيامها - تفتّر عن مباسمها الحسان ، وتفتخر
 بمناقبها قبائلُ غسان ، فلو شاهد أهلُ جفنة^٤ جفانها ، وأهلُ جبلة^٥ بن الأيهم
 ضرايبها وطعانها ، لعلموا^٦ أَنَّ الله أتاح السباحة والبسالة ملكاً منهم يحفظ ما ضيعه
 الناسُ من عهودها ، ويسرّح ما ذخروه من نقودها ، فما يزيد المدح مناقبه ضياءً ،
 ولا مراتبه اعتلاءً ، وإنما هو في ذلك كالمسك يطيب بنفسه^٧ طبعاً ، ويزيد
 المحارص^٨ تزوعاً ونشراً ، وإن أطال العبدُ في نشر فضائلها مقوده ، واستخدم في
 ذلك لسانه ويده ، فانما هو كمن يوقد في الشمس ذبلاً ، ويهدي إلى الفرات نطافاً
 أوشالاً ، والذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، يجعل أمداد^٩ النعيم على

١ ص : ادعرت : والتصويب عن ابن خلكان ، وفي الخريدة : اعتقلت : وهو أدق .

٢ الخريدة : عجباً لحلمك إذ .

٣ ص : لا حلاً . ولم يرد هذا البيت في الخريدة

٤ ص : تعبر

٥ جفنة : الفسانيون .

٦ ص : لعلم

٧ ص : لنفسه .

٨ كذا في ص ، ولعله : ويزيد في المجامر .

٩ ص : امتداد .

الحضرة مُغْدِقَةٌ ، ووفود المواهب بساحاتها مُحْدَقَةٌ ، ويمتَع الدنيا بحاسنها التي يتطامنُ لها ذوو الأبصار ، وتتأرجح تأرج القطر في جميع الأقطار .

وله من أخرى :

فولجتُ منزلاً قد استعار من قلب العاشق حرّاً ورهجاً ، ومن أخلاق مالِكِهِ ضيقاً وحرَجاً^١ ، كأنما زَفَرَتْ فيه النار ، ونُقِطَ على جذرائِهِ^٢ بالقار ، فجلستُ طويلاً إلى أن حضر الإخوان ، وقُدِّم الخوان ، فرأيتُ أرغفةً قد أُحْكِمَتْ في الصَّغر والإلطاف ، ولم تتعوذ قط من الأضياف ، قد مرَّت عليها أيام ، وعُيِّنَتْ بقول ابن بسّام^٣ :

أتانا بخبزٍ له يابسٍ كمثل الدراهم في خِلْقَتِهِ
إذا ما تنفَّستُ عند الخوانِ تطايرَ في البيتِ من خَفَّتِهِ

وثلاثة صحافٍ ، واسعة الأكناف ، بعيدة الأوساط من الأطراف ، قد جعلَ في قرارة كلٍّ منها ما [لا يدفعُ السَّعْبَ ، ولا تجدهُ/] [١٩١] اليدُ إلّا بالتَّعَبِ ، فجَلُنَا جَوْلَةً وعَيْنُهُ تطرف علينا شمالاً ويميناً ، وتتفقَدُ منا حركةً وسكوناً ، وقمنا ولم نقاربُ الكفافَ ، وقد ظنَّ بنا الإسرافَ ، فحضرنا مجلسَ المعاقرة فأديرَتْ علينا قهوةٌ قد حُصِّتْ باللون الكدر ، وكُثِرَتْ بالماءِ الخضرِ^٤ ،

كالْمُهْلِ تَغْلِي في البطونِ لو أنها يوماً تُعَدَّ لكافرٍ لم تحرمِ
فَحَسَوْنَا أولاً وثانياً ، وَكَرَعْنَا منها حمياً أنياً ، وقلنا لعلَّ ما يحضر من الملهيات يُصْلِحُ فاسِدَهَا ، وينفِقُ كاسِدَهَا ، ولم يكنْ بأسرعَ من أنْ افتتحتُ قَيْنَةً يحرمُ لها السماعُ ، وتستلذُّ الصممَ الأسباعُ :

١ ص : وحرِبا .

٢ ص : ولقط على جذرائه .

٣ هو علي بن بسام البغدادي (٣٠٢ أو ٣٠٣) وقد مرَّ ذكره في عدة مواطن من الذخيرة ، انظر مصادر ترجمته في

٤ القسم الأول : ١٤٢ (الحاشية : ٣)

٥ الخضر : يريد ماء فيه طحلب ، للمبالغة ، والا فقد تقرأ « الخضر » .

تُكْدِرُ صَفَوَ الرّاحِ فِي شَدْوِهَا وَتَنْفِرُ الْأَنْقَارُ مِنْ ضَرْبِهَا
لَمْ تَكُنِ الْعَلْجَةُ مَطْبُوعَةً بَلْ كَانَ مَطْبُوعاً عَلَى قَلْبِهَا
فَسَمِعْنَا وَلَأْمَرَ اللَّهِ سَلَمْنَا ؛ فَحِينَ نَجَرَ الظَّلَامُ عَلَيْنَا الذَّلِيلَ^٢ ، وَغَشَى النَّهَارُ
الْلَّيْلُ ، زُفْتُ إِلَيْنَا خَرِيدَةً رَأْسُهَا مَقْطُوعٌ ، وَوَسْطُهَا مَشْغُوبٌ مَرْقُوعٌ^٣ ، قَدْ حَفِظْتُ
عَنْ عَادٍ عَهْدَهُ ، وَاسْتَعَارْتُ مِنْ يَأْجُوجَ قَدَّهُ ، تَبَصَّ كَعْيُونِ الْجَنَادِبِ ، وَتَضَيَّ فِي
الظُّلُمَاءِ كَنَارِ الْحَبَاحِبِ ، فَقَوَّضْنَا خِيَاماً ، وَسَكَرْنَا هَمّاً لَا مُدَاماً ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّ
مَوْلَايَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَمَنَعَهُ ، وَحَمَى عَمَّا حَضَرْنَاهُ مُسْتَمَعَهُ .

وله من أخرى إلى نفيس الدولة يستدعيه :

أنا - أدام الله تمكّن مولاي - كالماء تتفرّق أجزاؤه فيلتئم، وكعرق الفصاد
تترقّب المباحض؛ فيلتحم؛ وذلك أنه - أدام الله عزّه - ارتدّ عن شريعة الوداد ، ودان في
دين المحافظة بالإلحاد ، واستعمل [من] الجفوة ما ينفر الطرف عن هجوعه ،
ويوحش الصدر من صخبه ضلوعه ، فقسوت عليه أياماً ، وأوسعته في النفس
ملاماً ، ووجدت طعم السلوة طيباً ، والصبر من الصبر عنه ضرباً ، وتشخصت لي
أخلاقه مرة المقاطف ، خربة المكاسير والمعاطف :

وإذا أفاق الجحد واندمل الهوى رأت القلوب ولم تر الأحداق

فما هو [إلا] أن اجتمعت به اليوم في المجلس المعمور حتى هبت علي رياح
صفاته فطبت تلك الكلام ، وجددت تلك الرؤوم ، وأزنتي المخفر من عهوده مخفوراً ،

١ ص : الأنقار .

٢ ص : جرى ... الليل .

٣ ص : مشغوف مرفوع .

٤ ص : المضايح .

٥ ص : وأزمت .

والمُحْصَى من ذنوبِهِ منسياً مغفوراً ، فاستحال السلُّ شَوْفاً مبرحاً ، والناضرُ من المَعْتَبَةِ
هشياً مُصَوِّحاً :

وما زال داعي الشوقِ حتى أَجَبْتُهُ بِمَطْرُوفَةٍ تَدْمَى لواهِي الأناملِ

وَصَدَرَتْ هذه الرُّفْعَةُ وأنا أودُّ كَلْفاً ، لو كنتُ فيها أَلْفاً ، تفاؤلاً بعودةِ رياحِ
الألْفَةِ ، وتسكيناً للقلبِ من نَزَوَاتِ الرَّجْفَةِ :

من الوفاءِ وفاءٌ لا يُغَيِّرُهُ مرُّ الزمانِ بإعراضِ وإقبالِ

وعندي الآن ذاك الصديقُ الذي يخطفُ العقولَ ويُدْهِبُها ، ويُغَيِّرُ على
الألبابِ وينتهبها ، ويحطِّمُ الرماحَ كرائُهُ ، ويؤمِّنُ في مضمارِ المسرَّةِ خوائُهُ ، وليس
والله تُتَصَوَّرُ لي الأقداحُ ، وتُلْتَمُ مراشفُ الراح ، إلّا ومولايَ يحاسيني كؤوسُها ،
ويجهِّزُ إليَّ خميسها ؛ وأسألهُ أن تكونَ قراءةُ هذه الرقعةِ وقد ركبَ سَمَتَ الطريقِ ،
وقابلَ الأمرُ بالتحقيقِ .

وله من أخرى ، وقد قُبِضَ على الوزيرِ وقتَ الظهرِ ، وأُفْرِجَ عنه في العشاءِ
الآخرةُ :

من كَرَمِ اللهِ وجزيلِ إِسعافِهِ ، وجميلِ صُنْعِهِ وألطافِهِ، أَنْ جُعِلَ سيدنا كالنُّجومِ
تَغيبُ ثم يرتفعُ في غَدٍ سَمَتُها ، أو كملكَةِ الشطرنجِ يقال : قد فاضَتْ ثم تعيشُ
لوقتِها ؛ وقُضِيَ لحضرته بأن تزلَّ الخطوبُ عنها زليلَ الترابِ عن مَتْنِ الصِّفا ،
وتتحامها النوائِبُ [في هبوطِها] وطلوعها ، منذ خَطَرَتِ الشمسُ في الحِللِ الجَلَناريَّةِ ،
إلى أَنْ صارت في [الثيابِ] السُّوسِيَّةِ . ونزلَ سَيِّدنا إلى دارِهِ بالسَّعْدِ المُصْجِبِ ، وفي

الموكب المتلاطم اللجب ، وترك الوزارة تدعوا من زانها وجملها ، لمن رقع هلهلها
وسملها^١ ، وإن أكتأبت ليُعديه ، وعَبَّتْ أعطافها بلطائف مجده :

يضوعُ ثَرَاهَا بالندى فتخالها رياضاً وكانت قبلُ وهي صوائعُ
صفا جُوهها بعد الكدورِ بِعَذْلِهِ وطابت حشاياها الظماء القوامح^٢

فالحمدُ لله على ما منَّ من سُرْعَةِ الإقالة ، وانقضاب تلك الحباله ، وتفضّل به
من حُسْنِ الرعاية والكفالة ، ولا زالت مواهبه - جلّت آلاؤه - تقعُ عند سيدنا من
وراء الاقتراح ، وتسخرُ له أعطاف الغدو والرواح .

وفي فصل من أخرى^٣ :

وصلتُ رقةً مولاي والصبحُ قد سلَّ على الآفاق مِقْضَبُهُ ، وأزالَ بأنوار الغزاة
عَيْبَهُ ، فكانت شهادة [الله] / [١٩٢] صُبْحَ الآدابِ ونهارها ، وشارَ البلاغةَ
وأزهارها ، قد توشَّحتْ بضروبٍ من الفضل تعطيه^٤ قاصية المدى ، وتُجْرِيه^٥ في مضمارِ
الأدب مُفْرَداً :

فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصُّبا ما ظلتُ من قِرْطاسِها أتصفُّحُ

فأما ما تَضَمَّنَتْهُ من وصفي فقد صارت حضرته [السامية]^٦ تتسمَّحُ في الشهادةِ
بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا تُوقِعُ ألفاظها إلّا في مواضع الحقيقة ،

١ كذا في ص ، ولعله « تدع »

٢ ص : وشملها .

٣ الظماء القوامح : قراءة تقديرية ، فالخط باهت كثيراً تصعب قراءته .

٤ أورد ياقوت (٩ : ١٥٧) هذه الرسالة وقال ابن أبي الشخباء كتب بها إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقة .

٥ الكلمة مطموسة في الأصل ، واعتمدت في اثباتها على معجم ياقوت .

٦ ياقوت : تفصر .

٧ ياقوت : ويجري به .

٨ زيادة من ياقوت .

فإن كنتُ قد بهَرَجْتُ عليها فلتراجع^١ في نقدِها^٢ ، تجدني لا أَسْتَحِقُّ من ذلك الإِسْهابِ فَصْلاً ، ولا أُعَدُّ للكلمةِ واحدةٍ منكم أهلاً ؛ واللّهُ يُنْهَضُنِي لشكرِ هذا الإنعامِ الذي يقفُ عليه^٣ الثناء ويظَلَعُ ، ويَحْصُرُ دونه البليغُ المِصْقَعُ :

هيهات: تُعْيِي الشمسُ كلَّ مرامقٍ ويعوقُ دون منالِهِ العُيُوقُ
وفي فصل^٥ :

وأما الفصلُ الذي ذكر أنه أَلْفاهُ في رسائل الكتاب وهو : « وأما فلان فيحلُّ في قومه محلَّ العميد ، ويفرَحُ بالضيوفِ فَرَحَ حنيفةَ بابت الوليد ، قدورُهُ عَمَّارِيَّة ، وَعَطَسَاتُ جواريه أَسَدِيَّة ، تراهنَّ أبداً يمشين في حُلَلِ الشباب ، ويهوين لو خُلِقَ الرجالُ خُلِقَ الضُّبابُ ، يتضَوَّعْنَ عن النثرِ العَبَقِيِّ ، ويرتضعن مراضعَ ثُعَالَةِ المجاشعي » . [وما أَمَرْتُ حضرتهُ الساميةُ من ذكرٍ ما فيه عندي ، فقد تَأَمَّلْتُهُ طويلاً ، وعشر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت اليه المقدرة وتجليل ذلك بسجوفِ الصَّفْحِ]^٧ .

قوله : « فَرَحَ حنيفةَ بابت الوليد » أشار الى ما قتل خالد بن الوليد المخزومي من بني حنيفة ؛ وقوله : « قدوره عَمَّارِيَّة » أشار الى قول الفرزدق^٨ :

١ ص وأصل ياقوت : فتراجع

٢ ص : بعدها .

٣ ياقوت : عنده

٤ ياقوت ، الخطيب .

٥ انظر ياقوت ٩ : ١٥٨ - ١٦٣

٦ ياقوت : الذي أودعه الرقعة الكريمة .

٧ هذه الزيادة من ياقوت ضرورية للربط ، وتوثيق نسبة الشرح إلى ابن أبي الشخاء لا إلى ابن بسام ، وفي إيراد هذه الشروح يعتمد ابن بسام الإيجاز .

٨ ديوان الفرزدق ١ : ٢٢٦

لو أن قِدرًا بَكَتْ من [طولٍ ما] حُبِسَتْ على الحفوف^١ بَكَتْ قَدْرُ ابنِ عَمَّارٍ^٢
مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مَذْ فُضٌّ مَعْدِنُهَا ولا رَأَتْ بعد نارَ القَيْنِ من نار

وقوله : « عَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّة » فأراد قولَ الأوَّلِ في هجاء بني أسد :
إذا أَسَدِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنَكَهَا فان عَطَّاسَهَا طَرَفُ الْوَدَّاقِ^٣

وقوله : « يَهُودِينَ لَوْ خُلِقَ الرِّجَالُ خَلْقَ الضَّبَابِ » فذكر المجاحظُ أنَّ للضب
أَيْرِينَ وَلِلضَبَّةِ حَرِينَ^٤ ، وأنشد قول النَمِيرِيِّ^٥ :

تَفَرَّقْتُمْ لَا زَلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ تَفَرَّقُ أَيْرِ الضَّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ
وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْقَائِلَةِ^٦ :

وَدَدْتُ بِأَنَّهُ ضَبٌّ وَأَنِّي ضَبَّيَّةٌ كُذِّيَّةٌ وَجَدْتُ خَلَاءَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَتَضَوَّعْنَ عَنِ النَّشْرِ الْعَبْقَسِيِّ » فَانَّ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : هُوَ
أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهْوٍ^٧ ، وَمَهُوٌ بَطْنٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ أَنَّ إِيَادًا
كَانَتْ أَفْسَى الْعَرَبِ ، فَوَفَدَ وَافَدُهُمْ إِلَى الْمَوْسِمِ بِسُوقِ عَكَاظَ ، وَمَعَهُ حُلَّةٌ نَفِيسَةٌ

١ على الحفوف : قلة من الدسم ؛ وفي ياقوت : عن الحفوق (مع أن أصله : على)

٢ الديوان : ابن جيار ، وبهذه الرواية يضطرب الاستدلال إذ يجب أن يقول « قدوره جيارية »

٣ البيت في الاغانى ١٢ : ١٨١ منسوب لكثير عزة (ديوانه : ٣٨٩) وروايته : إذا ضمرية عطست .

٤ انظر الحيوان ٦ : ٧٢ وانظر أيضاً ٤ : ١٦٣ - ١٦٤

٥ ص : قول البحترى : وأورده المجاحظ (الحيوان ٦ : ٧٢) دون نسبة ؛ وإنما رواية الخبر كله عن أبي خالد النميري
لا البيت وحده ؛ وقال المجاحظ ان البيت مما أنشده الكسائي . وفي ياقوت (٩ : ١٦١) وأنشد الأصمعي لابن درماء
فما رواه أبو خالد النميري .

٦ هي عند المجاحظ وياقوت حَبَى المدينة .

٧ المثل في الدرة الفاخرة : ١٤٠ (أحق من ..) والعسكري ١ : ٣٨٨ والزحشري ١ : ٨٢ وثار القلوب : ١٠٦
واللسان (فسا) : واسم الشيخ عبد الله بن بيدة ، وفي نقل ابن بسام إيجاز محل : فان الايادي نادى ألا إني رجل
من إياد فمن ذا الذي يشتري عار الفسومني ببردي هذين فقام الشيخ العبدى فقال : هاتهما ، فأترز بأحدهما
وارتدى بالآخر ، وحينئذ أشهد عليه الايادي من شهد الموسم بعكاظ .

فقال : يا معشرَ العربِ إني قد بعْتُ فسَاءَ إِيادٍ لوافِدِ عبدِ القيسِ بحلتي هذه ؛
وافترقا راضيين ، وقد شهد عليهما أهلُ الموسم ، فصارت عبدُ القيسِ أفسى العربِ .
وقيل لابن منذر^١ : كيف الطريقُ إلى عبدِ القيسِ ؟ قال : شَمٌّ ومُرٌّ ،

فإنَّ عبدَ القيسِ من لؤمها تفسو فسَاءَ رِيحُهُ يَعْبَقُ
من كان لا يدري لها منزلاً فقلْ له يمشي ويستشق

وأما مراضع ثعالة فيقال : هو أَعْطَشُ من ثعالة^٢ ، رجلٌ من بني مجاشع ، كان
ضلَّ الطريقَ هو وابنُ عمٍّ له ، فعطشا ، فالتقم كلُّ واحدٍ منهما أيرَ صاحبه يشربُ
بوله ، فلم يُغنيا عنهما شيئاً وماتا عطشاً ، فوجدا على تلك الحال ؛ ولذلك قال جرير
يعيرُ بني دارم^٣ :

رضعْتُم ثم بال على لحاكمِ ثعالةُ حين لم تجدوا شرابا

وقيل : ثعالة : الثعلب ، في تفسير هذا الخبر عن ابن حبيب ، وخالفه ابن
الأعرابي وحكى ما ذكرناه ، وأنشد أيضاً قول جرير^٤ :

ما كان يُنكَرُ في غَزِيٍّ^٥ مجاشعٍ أَكَلُ الخَزِيرِ ولا ارتضاعُ الفَيْشَلِ
وله من أخرى يعزِّي بموتٍ ولدٍ فخرِ الدولة غريقاً^٦ :

١ هو محمد بن منذر شاعر بصري مات في أيام المأمون (الأغاني ١٨ : ١٠٣ والشعر والشعراء : ٧٤٧ وطبقات ابن
العتثر : ١١٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥)

٢ ورد المثل في الدرة الفاخرة : ٣٠٩ والعسكري ٢ : ٧٠ والميداني ٢ : ٤٩ والزمخشري ١ : ٢٤٨

٣ ديوان جرير : ٨١٨ وروايته « ثم سال »

٤ ديوان جرير : ٩٤١ والدرة : ٣٠٩ والقناص : ٢٢٣ والمعاني الكبير : ٥٨٥ واللسان والتاج (فسل)

٥ الديوان : ندي ؛ ص : عدي

٦ وردت هذه الرسالة في جمهرة الإسلام ، الورقة : ٦٨ وأنها في رثاء ولد كاسي الكفاة وبين النصين اختلاف ، كما أن
الرسالة في الجمهرة اوفى مما هي في الذخيرة .

غيرُ يدعٍ من الزمان - أطلال الله بقاء [حضرة]١ سيدنا - أن تُنكَتَ حباله ،
وتَصْرَدَ نبأه، وتراشَ في قصدِ الكرام سهامه [وترَهَفَ نصالُه] وتفهُقَ بالغَدْرِ فجاجُه ،
ويمزجُ ٢ بالسُّمُ أَجاجُه، ويُثَارُ في النفوس عجابه ٣، ولذلك عرفتِ النفوسُ مواقعَ نُكْرِهِ،
وَأَنَسَتْ بغرائبِ عَدْرِهِ ومكره ، واطمأنتُ الضلوعُ وقد أصمت ضرائبه ٤ ، وهجعتُ
العيونُ وقد استيقظتُ نوائبه ، فقلَّ ما يُرَاعُ رَوْعُ بما جناه ، وتجذَلُ نفسُ [١٩٣] بما
منحه وأقناه . فاذا اصطلم [يوماً] أنفُ المجد [و]جدع ، [وفطر قلوب المكارم
وصدع] ، وخرج عن العادة المألوفة فابتدع ، فهناك يحسنُ أن تُطْلَقَ بدمه الألسُنُ ،
ويجبُ أن يُلقَى بجيشِ اللُّومِ اللَّجِبِ .

ولما طرق الفادحُ بمن لا أسميه تفادياً من تحقيقِ الخبرِ بمصرعِهِ ، وصوناً له
من مَوْرِدِ الحمامِ وَمَشْرِعِهِ ، رأيتُ ٥ المحامدَ ذاتِ نورٍ خامد ، والمآثرَ ذاتَ عِقْدٍ
متناثر ، والقمرَ قد سُم هالتهُ ، والصُّبْحَ قد خلع ٦ الليلُ عليه غِلاَّتُهُ ، وشاهدتُ
الكتابةَ مقصورة المدود ، والبلاغةَ مخموشة الحدود ٧ والأدبَ قد اسودَّت سِيحْنَتُهُ ،
واشتدَّت على الزمن ٨ وامتدت إحنته ، إذ طرق بما يتجاوزُ القدرَ ، ويوحِشُ الأضالعَ
من صحبةِ الصَّدْرِ .

١ زيادة من جمهرة الإسلام .

٢ الجمهرة : وتجذع (اقرأ : وتجذح)

٣ قدمت هذه العبارة وقد تأخرت عن هذا الموضع في ص ، اعتماداً على جمهرة الإسلام وحفاظاً على تسلسل الاسجاع
وكانت في الاصل : ويثار في قصص الكووس عجابه .

٤ الجمهرة : وأنس بعرف .

٥ الجمهرة : صوائبه .

٦ الجمهرة : تباعداً .

٧ الجمهرة : رأى

٨ الجمهرة : ألقى .

٩ الجمهرة : شواهد البلاغة متصرمة المدود والكتابة مرسومة الحدود .

١٠ الجمهرة : على الدهر

شمسُ العلا عَرَبَتْ بحيثُ ترى أبداً غروبَ الشمسِ والبدرِ
من برّه بك أن يُخْطأَ له جَنُّ بقربِ عطائكُ الغمراً
وكأنما هو دُرَّةٌ دُفِنَتْ في جَنبٍ ما ولدت من البحر^١
وتنرّهت عن أن يصافحها سَمَكُ^٢ الصفيح وظلمة القبر

فتعالى الله كيف استرَدَّ ذلك البدرُ قبل تمامه ، وذبل ذلك الزَّهرُ في كمامه^٣ ،
قبل أن تشرف بموكبه الأعلام ، وتروى من بنائه الأقاليم ، ويعبَق دَسْتُ الوزارة
بنشره ، ويُشَرَّ رميمُ السيادة بطيه ونشره ، وإيتاح^٤ للطروس من ألفاظه الدرية ما
يَفْضَحُ^٥ العقودُ الدرية ، وتُعَسِّسُ^٦ معه الليالي البدرية .

وقبل يُرى من جوده ما رَأَيْتُهُ^٧ ويسمع فيه ما سمعت من العذل
هذا والله هو المصابُ الذي تستعذِبُ فيه الحلومُ هَفَواتِها^٨ ، وتفارقُ له القلوبُ
سُويداواتِها ، وتستخفُّ النفوسُ حَمْلَ الأوزار ، وتأنفُ العيون^٩ من لقائه بالدموع
الغزار ، حتى تجعل ذلك دأبها ، وتخضبُ بالنجيع [أهدابها ، إلا] أنه نزل بالحضرة^{١٠}
ممن شُدَّتْ بالتقوى^{١١} مريزته ، وتساوت في طاعة الله علانيته وسريته ، فالجزع لا
يصبحُ مألُكهُ ، والخطوبُ لا تخطبُ تهاكهُ ، والنازلُ يُطيفُ منه بالعودِ البازل ، الذي
يتحقَّقُ أن الدنيا نسيْمُها شرار ، وطعمها مرار ، والمقيم فيها مُوجِفٌ ، والرائد مُنْبِتٌ
مُعْجِفٌ .

١ لم يرد هذا البيت في الجمهرة

٢ الجمهرة : ما وليت من النحر .

٣ الجمهرة : صم

٤ الجمهرة : قبل إكمامه .

٥ الجمهرة : وتنبه الطروس من الفاظه الدرية بما يفضح .. الخ

٦ الجمهرة : النفوس فواتها

٧ الجمهرة : الجفون

٨ الجمهرة : نزل من الحضرة العالية .

٩ الجمهرة : شزرت (أو سورت) من التقوى .

وذكرتُ بهذا الفصل ما أنشدته لبعض أهل عصري يصف غلاماً وسيماً [عامً
فانحسر منه العزم ونجا]¹ بعد أن أشرف على الموت من جملة أبيات :

شجاني المقام الصَّعْبُ لما شهدتهُ	وقد ضاقتِ الأنفاسُ والنفْسُ تذهبُ
وقد بهتت فيه اللواحظُ إذ رَكَتُ	إلى دَرَّةٍ تطفو [أواناً] وترسب
كأنَّ خليجَ الماء كان مجرَّةً	وأنت بها شمسٌ تلوحُ وتغرب
كُسيتِ اصفرارِ الروضِ عند ذبوله	ولكن على الحالين مرآكُ أعجبُ
عدا الماء من ماء الصبا فيكَ غيرَ	وما خلتُ أن الماء للماءِ يَغْضَبُ
ستبقى بهذا النهرِ للناسِ عبرةً	مؤرَّخةً في الكتبِ تتلى وتكتب
وتبني على شاطي نجاتك كعبةً	يحجُّ لها بالحبِّ مَنْ يتقرب

وله من أخرى :

لدي² - أطل الله بقاء مولاي الشيخ - نفسٌ ترى النَّعَمَ مع المهانةِ نِقْماً ،
وتجدُ طَعْمَ العيشِ مع عَدَمِ الانصافِ عُلْماً ، ولو سُمِّنتها خروجاً عن هذا الأسلوب ،
ونزولاً عن ذلك الظهر المركوب ، لرأتِ الخروجَ من الصدرِ أخْفَ عليها محملاً ،
وأعذبَ لديها مِنْهَلاً :

* لكل امرئٍ من دهره ما تعوداً * .

وهذا بثٌ اقتضاه كثرةُ تعجَّبِ مولاي من انقطاعي عن الحضرة التي بأنوارِ
مجدها تَوَضَّحتُ ، وفي بحبوبةِ عزِّها دُرَّتْ وَسَرَّحتُ ، وما أطلقَ من الألفاظِ التي لو
حاسب لسانه عليها لأَنِفَ من ذكرها ، واستغفر من إثمها ووزرِها ، وقبيحُ بمثله ممن

١ هذه القراءة بحسب المعنى لعدم وضوح الالفاظ في ص .

٢ هذا الشطر غير واضح في ص .

٣ ص : لسيدي

٤ صدر بيت للمتنبي ، عجزه : وعادة سيف الدولة الضرب في العدا .

أعطاه السؤددُ مفادتهُ ، وركبَ متنَ الشرفِ وجادتهُ ، أن يأكلَ لحمَ أخيه حياً ، ويرى غيبةَ خلطائه طعاماً مريئاً ، ولو عرف أصلَ ذلك وفَرَعَهُ ، وناجتُ به الحقيقةُ لسانه وَسَمَعَهُ ، فكيف أن يُزري وهو لا يدري ، ويتكلم وهو لا يعلم ، ويستحسن قواريضَ من القريض تترك شملَ المحامدِ مُفَرَّقاً ، وأديمَ الأعراضِ ممزقاً . ولقد كنتُ مُزْمِعاً على فراقِ العادة ، واتباعِ قولِ ابنِ ميادة^١ : [١٩٤]

وَحِكْتُ لَهُمْ مِمَّا أَقُولُ قِصَائِدًا تَحْبُّ بِهَا صُهْبُ الْمَهَارَى وَجُوهُهَا

ورأيتُ أن أنبئه مولاي على ما أنكرته : أن يكونَ بينَ أمرين : إمّا أن يسألَ عن السببِ الموجبِ لبُعدي عن تلكِ الحضرة ، أو يمسكَ عن الخوضِ في مالا تحيطُ به الخبرة ، فلعلهُ إذا علم الحقيقةَ مهَّدَ المَعذرةَ ، وبرَّدَ لَفحاتِ اللومِ المستعرة ، وتبينَ^٢ أنني ما ثبتتُ عناني عن هذا الموردِ إلا وقد ترنَّقتُ مشارِعُهُ ، ولا زويتُ وجهي عن ذلكِ المنتجعِ إلا وقد ذوتُ مراتِعُهُ ؛ وبعد ذلكِ فبين أضلعي ولأءٍ تشتبكُ أوأصرُهُ والأنسابُ منفصمة ، ويشرقُ صباحُهُ وأسرَّةُ الشمسِ مُظْلِمَةٌ ، إذا حَفَّتْ به الحفائظُ رَقَّ نسيمه ، وتساوى في الإخلاصِ حديثُهُ وقديمه :

فان أنصَفْ فان يداً تولَّتْ كسوري تهتدي لمكانِ جبري
وإن أحرَمَ قضاءَ العدلِ أَرَجِعْ إلى كَنَفَيْنِ من هجرٍ وصبرٍ

١ من قصيدة له أورد أبو الفرج أبياتاً عديدة منها (الأغاني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤) ومطلعها :
ألا حياء الأطلال طالَت سنينها بحيث التفت ريد الجناح وعينها
إلا أن البيت لم يرد في الأغاني وانظر شعر ابن ميادة (جمع الدليمي) : ١٠١ (رقم : ١٥٣)
٢ ص : ويتبين .

انتهى

القسم الرابع من كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبكمال كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً . وذلك ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف عرفنا الله خيرها ، ووقانا بمنه سوء كل ضير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

والحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

- إ -

٥٤٢	ابن الأبار أبو جعفر
انظر : الحصري أبو اسحاق	ابراهيم بن علي الحصري
(٦٢٧ - ٦٦١)	ابن أبي الشخباء العسقلاني
٤٩٠	أحمد بن عجبان
انظر : المعري	أحمد بن سليمان
٦٤٩	الأحنف
٤٨٨	الأخفش
٦٠٥	ادريس بن اليان
٦٣١	ارسطاليس
٤٨٤	أبو اسامة (جنادة الهروي)
انظر : الحصري	أبو اسحاق الحصري
انظر : الصابي	ابو اسحاق الصابي
٤٨٥	الأسعر الجعفي
٤٨٥	الأسعر المازني
٤٧٣	أشجع السلمي
٥٨٢ ، ٥٦٨ ، ٤٩١	الأصمعي (عبد الملك بن قريب)
٦٥٧	ابن الأعرابي
٤٨٥	الأعشى
٦٤٣ ، ٦٤٠	الأفضل بن أمير الجيوش

٥٣٢	الأكلحل تأييد الدولة
٥٥٢	أمامة (في شعر)
٥٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥١٦ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩	امرو القيس (الملك الضليل)
٤٧٤	أميمة (في شعر)
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت
٤٦٩	أيمن بن خريم

- ب -

٦١١	باديس بن ميمون
٥٤٨ ، ٥٤٧	باقل
٥٨٥	البتول (فاطمة)
٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٦٢ ، ٤٧٣	البحثري (ابو عبادة الوليد)
٦٤٠ ، ٦٣٢ ، ٦٢٨	
٥٣٢ ، ٥٣١	بديع (غلام)
٥٩٨ ، ٥٨٥	بديع الزمان الهمذاني
٦٥١	ابن بسام البغدادي
٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٤٩٦	ابن بسام الشنتريني
٦٣٦ ، ٦١٢ ، ٥٣٠	
٦٣١	بطليموس
٤٩٧	بقراط
٦٠٦	أبو بكر الخالدي
٥٩٨ ، ٥٨٩ ، ٥٧٠	أبو بكر الخوارزمي
٦٠٥ ، ٥٨٩	بلقيس
٦١٣	بلقين بن زيري
٥٣٠	ابن البواب الوزير

- ت -

انظر : الأكحل	تأييد الدولة الأكحل
٦٣٧ . ٥٦٤	أبو تمام (حبيب بن أوس)
٥٩٨	تميم بن المعز الصنهاجي
٥٧٦	التنوشي القاضي
٥٧٧	التنوشي ابو علي (الابن)
(٥٤٩ - ٥٣٧)	التهامي ابو الحسن (علي بن محمد)

- ث -

انظر : أبو منصور الثعالبي	الثعالبي
٦٥٧	ثعالة المجاشعي

- ج -

٥٨٤ . ٥٨١ . ٥٦٦	الجاحظ (عمرو بن بحر)
٦٥١	جبلة بن الايهم
٥٣٥ . ٥٣٤	جحدر اللص
٤٨٤	جران العود النميري
٥٨١	الجرجاني (القاضي)
٦١٤	الجرجاني (الوزير)
٥٦٠	جروول (الخطيئة)
٦٥٧	جرير (الشاعر)
٥٧٠ . ٥٤١	جعفر الطيار
انظر : ابن الأبار	أبو جعفر بن الأبار
(٦٢٧ - ٦٢٥)	جلال الدولة بن عمار
انظر : أبو أسامة	جنادة بن محمد الهروي

- ح -

٥٤٨	حاتم الطائي
٤٧٦ ، ٤٧٧	الحاكم الفاطمي
٤٨٩	حبشية بن سلول
انظر : اوتام	حيب بن اوس
٤٩٠ ، ٦٥٧	ابن حبيب
٥٣٥	الحجاج (بن يوسف)
٥٧٩	ابن الحجاج (الشاعر)
٥٥٩ ، ٥٧٠	حسان بن ثابت
٥٠٣	الحسن البصري
انظر : ذو السعادتين	الحسن بن منصور الوزير
انظر : الوزير المغربي	الحسين بن علي المغربي
(٥٨٤ - ٥٩٧)	الحصري ابو اسحاق (ابراهيم بن علي)
انظر : جرول	الحطينة
٤٨٢ ، ٤٨٨	حفص (الفارسي)
انظر : الأفضل بن أمير الجيوش	الحضرة الافضلية
٤٨٩	حمزة بن بيض
٤٦٩ ، ٥٣٤	ابو حية النميري

- خ -

٦٥٦	خالد النميري
٦٥٥	خالد بن الوليد
انظر : ابو بكر الخالدي	الخالدي
٤٩١	خليد عنين

٥٣٠ . ٥٣١

ابن خليفة المصري الحكيم

٤٨٥ . ٥٦٨

الخليل بن أحمد

- د -

٤٩٠ . ٥٨٥

ابن دريد

٥١١ . ٦٣٧

دعبل بن علي الخزاعي

٥٨١

ابو دلف الخزرجي

- ذ -

٤٦٨ . ٤٦٩ . ٤٦١ . ٥٣٤

ذو الرمة

٤٩٩ . ٥٠١

ذو السعادتين (الحسين بن منصور)

- ر -

٥٨١

الرشيد (هارون)

٥٢٩ . ٥٩٣ . ٥٩٤

ابن رشيق ، ابو علي المسييلي

(٥٩٧ - ٦١٢)

انظر : الشريف الرضي

الرضي

٦٣٨

ابن الرقاق العاملي

٥١١ . ٥٣٩ . ٥٤٠ . ٥٤٨

ابن الرومي

٥٦٤ . ٥٧١ . ٥٧٥ . ٥٨٨ . ٥٩٥ . ٦٠٤

ريحانة

٤٨٩

- ز -

٤٨٩

الزبير بن باطا

٤٨٩

الزبير بن عبدالله بن الزبير

٤٨٩	الزبير بن العوام
٥٩١	الزعفراني ابو القاسم
٥٥٩	زهير بن ابي سلمى
٥٨٩	زياد (النابغة الذبياني)
٦٣٦	زياد بن منقذ الحنظلي
٥٦٨	أبو زيد (اللغوي)
٦١٣	زيري بن مناد

- س -

٤٩١	سجاح
٥٤٨ ، ٥٤٧	سحبان
٥٧٥	السري الرفاء
٦٣٨	ابن سعدان بن يحيى
٥٧٩	ابن سكرة الهاشمي
٤٧٦	ابن السكيت
٥٧٨ ، ٥٧٩	السلامي (الشاعر)
٦٣٧	سلم بن زياد
٥٢٣	سلمى (في الشعر)
٥٣٥	سليمى (في الشعر)
٦٠٥	سليمان (النبي)
٦١٢	سليمان (في الشعر)
٤٧٩	سليمان بن الربيع
٥٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢	سيبويه
٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠	سيف الدولة الحمداني

- ش -

٥٣٠ . ٥٩٨ . ٥٩٩	ابن شرف ابو عبدالله
٥٥٥	أبو الشبل (عاصم بن وهب)
٦٢٢	شبل الدولة
٥٠٣	الشريف ابو طاهر
٦٣٨ . ٥٨٠ . ٥٤٢ . ٥١٣	الشريف الرضي
(٤٦٥ - ٤٧٥)	الشريف المرتضى

- ص -

٥٧٦ . ٥٧٢	الصايي ابو اسحاق
٥٧٨ . ٥٧٦ . ٥٧٣ . ٥٧٢	الصاحب بن عباد
. ٥٨٠	
٦٤٥ . ٦٤٤ . ٦٤٣ . ٦١٨	صارم الدولة ابن معروف
٦٠٥	ابن صارة الشنتريني
٥٧٠	الصديق (ابو بكر)
٦٠٤ . ٦٠٢ . ٦٠١ . ٦٠٠ . ٥٩٩	ابن الصفار الصقلي ابو عبدالله
٤٨٩	صفية الباهلية
٥٧٠	الصلتان العبدى
٦٠٠	الصنوبرى
انظر : ابوقمام حبيب بن اوس	الطائي
حاتم الطائي :	

- ظ -

٤٧١	ظمياء (في الشعر)
-----	--------------------

- ع -

٤٨٩	العاثُ بن ثعلبة
٦١٠	عباد (المعتضد)
انظر : البحري	أبو عبادة
٥٤٥	ابن عبدالبر الشنتريني
٥٧٨ . ٥٧٦	عبد العزيز بن يوسف
٥٤٨	ابن عبدالغفور ابو محمد
انظر : ابن الصفار الصقلي	ابو عبدالله بن الصفار الصقلي
انظر : ابو منصور الثعالبي	عبدالمملك بن اسماعيل
انظر : الأصمعي	عبدالمملك بن قريب
٤٨١	عبدالمملك بن مروان
(٥١٥ - ٥٢٩)	عبد الوهاب بن نصر المالكي
٥٠٧	ابن عبدون ابو محمد
٥١١	عبدة (في الشعر)
٤٦٩ . ٤٧٠	ابو عبيد البكري
٥٦٨	ابو عبيد القاسم بن سلام
٥٦٠ . ٥٦٣	عبيد بن الأبرص
٥٨٧	أبو العتاهية
٤٨٣ . ٥٥٥	العتبي
٤٨٣	العجاج (الراجز)
٦٣٧	ابن عرارة السعدي
٦١٥	ابن العربي ابو بكر الفقيه
٥٣٥	عزة (صاحبة كثير)
٥٤٧	ابو العشائر الحمداني
٥٧٣ . ٥٧٥ . ٥٧٨ . ٥٧٩	عضد الدولة البويهبي

٥٤١	عقيل بن ابي طالب
انظر : المعري	ابو العلاء المعري
٤٧٨ ، ٤٧٧	ابو علي البويهى (بن سلطان الدولة)
٤٨٨	ابو علي الفارسي
انظر : القالي	ابو علي البغدادي
٥٧٠ ، ٥٤٠ ، ٥١٣ ، ٥٠٥ ، ٤٧٩	علي بن ابي طالب (حيدرة)
انظر : التهامي ابو الحسن	علي بن محمد التهامي
انظر : جلال الدولة ابن عمار	ابن عمار
٦٥٦	ابن عمار
٤٨٧	عمر بن عبدالعزيز
٥٦٨	ابو عمرو (الراوية)
٦٠٨ ، ٤٩١ ، ٤٨٩	عمرو بن معد يكرب
٥٧٣	ابن العميد ابو الفضل
٦٤٩	عنقرة
٥١٣	عيسى (المسيح)
٥٨٥	عيسى بن هشام

- ف -

٥٧٧	ابن فارس
٥٨٥	ابو الفتح الاسكندري
٤٧٧ ، ٤٧٦	ابو الفتح (الحسن بن جعفر العلوي)
(٦١٨ - ٦١٥)	ابو الفتيان العسقلاني
٦٥٧	فخر الدولة كافي الكفاة
٥٧٢ ، ٥٧١	ابو فراس الحمداني
٥٨٠	ابو الفرج الاصفهاني

٥٧٤	ابو الفرج البیغا
٦٥٥	الفرزدق
انظر : الميكالي	ابو الفضل الميكالي

- ق -

٦١١ . ٥٨٩ . ٥٢٥	قارون
(٥٣٦ - ٥٢٩)	ابن قاضي ميلا
٥٩٧ . ٤٦٩	القالی ، ابو علي البغدادي
٤٧٧	قرواش
٥٤٨	قس بن ساعدة
٦٢٦	قيس (ليلى)

- ك -

٥٣٥	كثير عزة
٥٨٩ . ٥٦٨	الكسائي
٥٨٩	كسرى
٦٠٧ . ٥٦٤ . ٥١٢	كشاجم
٦١٢	ابن الكفاف

- ل -

٥٦٣	ليبد بن ربيعة
٥٤٧	لقمان
٥٧٧	ابن لنكك
٦٠٥	ليلى (قينة)
٦٢٦	ليلى (العامرية)

٥٤٨	مادر
٥٢٠	مالك بن أنس
٦٣٧ . ٥٥٦ . ٤٩٢	المبرد
٥٤٢ . ٥٤٧ . ٥٦٤ . ٥٧٢ .	المتنبى ابو الطيب
٥٧٣ .	
انظر : ابن ابي الشخباء	المجيد بن ابي الشخباء
٦١٦	ابن المحسن
٤٧٧ . ٤٩٠ . ٤٩١ . ٤٩٢ .	محمد (الرسول)
٤٩٣ . ٥٠٥ . ٥٢٠ . ٥٤١ .	
٥٦١ . ٥٦٨ . ٥٦٩ . ٥٧٠ .	
٥٨٥ . ٦٤٧ .	
٥٣٥	المدائني
٦٣٦	المرار العدوي
انظر : الشريف المرتضى	المرتضى
٤٨٧	مزرد
٥٢٠	المستنصر بالله الفاطمي
٦٣٨	مسلم بن الوليد
٥١٧	ابو المطرف المالقي
٥٦٦ . ٥٧١ . ٦٠٤ . ٦٠٥ .	ابن المعتز
٦٤٣	المعتمد بن عباد
٥٧٩ .	ابن معروف القاضي
٥١٠ . ٥١٦ . ٥٤٦ . ٥٤٨ . ٦٢٥ .	المعري ابو العلاء (احمد بن سليمان)
٦١٣	المعز الفاطمي (معد بن اسماعيل)
٥٣٠ . ٥٩٨ . ٦١١ . ٦١٣ .	المعز بن باديس

٦١٤	
٥٨١	ابن مقلة
	الملك الضليل
٦٥٧	ابن مناذر
٦١٥	المنتصر بن خزرون
	ابو منصور الثعالبي
(٥٢٩ - ٥٨٣)	(عبد الملك بن اسماعيل)
٥٧٧	منصور الفقيه
٤٧٩	مذهب الدولة (صاحب البطيحة)
٥٧٣	المهلب (الوزير)
(٥١٤ - ٥٦٠)	مهيار الديلمي
٦٠٥	موسى (النبي)
٦٦١	ابن ميادة
٦٠٧ ، ٥٨٣ ، ٥٨١ ، ٥٦٦ ، ٥٦٢	الميكالي (ابو الفضل)

- ن -

٥٧٨	ابن نباتة السعدي
٤٧٨	نحرير (غلام الوزير المغربي)
٥٣٢ ، ٥٣١	نحرير (غلام)
٥٧٧	نسيم (غلام)
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	نصر الدولة الكردي (احمد بن مروان)
٤٩٠	النطف
٥٨٩	النعمان اللخمي
(٦١٨ - ٦٢٥)	ابن نعمة بن خليل العسقلاني
٦٥٢	نفيس الدولة

النمرود
 أبو نواس
 نوح (النبي)
 ٦٠٦
 ٥٣٥ . ٤٧٠
 ٥٢٥

- ه -

هبة الله بن عيس الوزير
 هرم بن سنان
 هند (في الشعر)
 ٤٨٠ . ٤٧٩
 ٥٥٩ . ٥٠٣
 ٥٨٩ . ٥٤٨ . ٥٠٧

- و -

الواساني أبو محمد
 الواواء الدمشقي أبو الفرج
 الوزير المغربي (الحسين بن علي)
 ٥٧٥
 ٥٧٤ . ٥٥٢
 (٥٦٥ - ٥٣٧)
 ٥٥٧ . ٥٣٩
 ٦٣٨
 ٥٧٥
 انظر : البحري
 الوزير الناصري
 ابن وكيع أبو محمد
 الوليد أبو عبادة

- ي -

يحيى بن هذيل
 يزيد (بن الطرية ؟)
 يونس (النبي)
 ٥٩٥
 ٥٨٩
 ٤٩٦

فهرس القبائل والأمم والطوائف

- أ -

٥٦٥ ، ٥١٤ ، ٤٧٩	الأتراك
٦١٤	الأنبج
٥٤٩	الاجايون
٥١٤	الاسفهلارية
٦١٤	الأعراب
٥٩٧	الأغالبة
٤٩٢	الانصار
٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٥٦٥	إياد
٦٥٦	أسد

- ت -

الترك : انظر الأتراك .

- ث -

٥٥٧ ثعل

- ج -

٦٥٠ ، ٥٥٩ بنو جفنة

- ح -

٥٧١ بنو حمدان

٦٥٥ حنيفة

٦٧٨

- خ -

٥٠٧
٦٢٠ ، ٥٥٥

خفاجة

خندف

- د -

٦٥٧
٥١٤

بنو دارم

الديلم

- ر -

٦١٣
٥٩٩ ، ٥٧١
٦١٤ ، ٥٣٩

الرافضة

الروم

رياح

- ز -

٦١٤ ، ٥٣٩
٦١٣ ، ٦١٢

زغبة

بنو زيري

- ص -

٦١٣

صنهاجة

- ط -

٥٨٠

الطالبيون

- ع -

٦٥٢ ، ٤٩٨

عاد

٦٧٩

٦١٤ . ٥٠٧ . ٥٠٦	بنو عامر
٦٥٧ . ٦٥٦	عبد القيس
٦٢٠	عبد مناف بن النضر
٦١٣	العبيديون
٥٩٧	العجم
٦١٤	عديّ
٤٧٠ . ٤٧٧ . ٤٩٠ . ٤٩٣ .	العرب
٥٣٧ . ٥٦١ . ٥٦٢ . ٥٧١ . ٥٨٤ .	
٥٩٧ . ٦١٤ . ٦٣٨ . ٦٣٩ . ٦٥٦ . ٦٥٧ .	
٥٨٥	بنو عليّ

- ف -

٥١٤	الفرس
-----	-------

- ق -

٥٤٩	قحطان
٥١٣	قريش
٤٧٥	قيس

- ك -

٥٣٥	كعب بن عمرو
-----	-------------

- ل -

٥٣٥	بنو لهب
-----	---------

- م -

٦٥٧

بنو مجاشع

٥٩٧

المهالبة

٦٥٦

مهو

- ه -

. ٦٢٠ . ٥٧٠ . ٥١٣ . ٤٩٠

بنو هاشم

٥٣٩

هلال

- ي -

٦٥٢

يأجوج

فهرس الأماكن

- أ -

٤٧٤	الأهراق
٤٧١	الابواء
٤٧٢	الأبرق
٥٢٣	أثال
٥٧٣	أرجان
٥١٧	أسعد
٦١٠	- أشبيلية
٥٧٣	أصهان
٦١٣ ، ٥٩٧	أفريقية

- ب -

٥٠٩	بابل
٥٦٥	البحر الأخضر
٥٧٧	البصرة
٤٨٠ ، ٤٧٩	البطيحة
٥١٤ ، ٥٠٥ ، ٤٧٩ ، ٤٧٧	بغداد
٥٢٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ٥١٥	
٦١٣ ، ٥٥٩ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥	

- ت -

٥٠٥	تكريت
-----	-------

- ث -

٦٤٩	ثبير
-----	------

- ج -

٥٢٠	الجب
٦٥٠	جلق
٥٤٧	جيحان

- ح -

٥٥٧ ، ٥٥٢ ، ٤٨١	الحجاز
٥٧٠	حلب
٥٠٩	حمص
٦١٤	حيدران

- خ -

٦٣٧	خراسان
٥٣٣	الخيف

- د -

٥٢٧	دجلة
٥٧٤	دمشق

- ر -

٤٧٧	الرملة
-----	--------

- ز -

٤٧٢	زرود
-----	------

- س -

٦١٣	سبته
٥٥٠	سلع
٦٣٨	ذو سلم
٥٤٧	سيحان

- ش -

٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢ ، ٤٩٨	الشام
٤٦٧	شعب
٥٧٨	شيراز

- ص -

٦١١ ، ٦٠٣	صبرة
٥١١	الصراة
٦٢٩ ، ٦١٤	الصعيد
٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣ ، ٥٣٢	صقيلية (صقلية)
٦١٠ ، ٥٩٩	

- ع -

٥٠٩ ، ٤٩٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٥	العراق
٥٧٤ ، ٥٦٥ ، ٥٤٩ ، ٥٢٨	
٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦	
٦٤٧	
٥٣٣	عرفات
٦٥٦	عكاظ

- غ -

٤٦٧	الغمر
٤٧٢	الغور
٤٧٢	الغوير

- ف -

٦٥١	الفرات
-----	--------

- ق -

٦٥٠	قسطنطينية
٤٦٧	القنان
٥٩٣ . ٥٩٥ . ٥٩٦ . ٥٩٧ .	القيروان
٥٩٨ . ٥٩٩ . ٦٠٠ . ٦٠٣ .	
٦٠٥ . ٦٠٦ . (٦١٢ - ٦١٥)	

- ك -

٥١٢ . ٥٢٢	الكرخ
٤٧٧ . ٤٧٩	الكوفة

- ل -

٤٧٤	اللوى
-----	-------

- م -

٥٩٧	المسيلة
-----	---------

٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مصر
٦١٣ ، ٥٣٥ ، ٥٢٨	
٥١٦	معرة النعمان
٥٢٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مكة
٥٣٣	منى
٦١٤ ، ٥٩٨	المهدية
٤٩٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	الموصل
٤٧٨ ، ٤٧٧	ميافارقين

- ن -

٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٢٢ ، ٤٧٢	نجد
٦٠٨ ، ٥٥٠	
٦١١	نعمان
٦٤٨ ، ٥٠٨	النيل

- ه -

٥٦٥ ، ٥٤٨	الهند
-----------	-------

- ي -

٦١١	يبرين
-----	-------

فهرس الكتب المذكورة في المتن

٤٧٦	اصلاح المنطق لابن السكيت
٥٠٥	الانجيل
٥٩٣ ، ٥٢٩	الانموذج لابن رشيق
٥٩٩ ، ٥٩٧	
٥٩٧ ، ٥٨٤	زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري
٥٩٩	العمدة لابن رشيق
٤٨٩	غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام
٥٧٧	الفرج بعد الشدة للتوحي
٥٦١	فقه اللغة للثعالبي
٤٨٨	الكتاب لسيبويه
٥٨٤	المصون من الدواوين لأبي اسحاق الحصري
٤٧٦	المنخل (اختصار اصلاح المنطق) للوزير المغربي
	النور والنور (نور الظرف ونور الطرف)
٥٨٤	لابي اسحاق الحصري
٥٨٦ ، ٥٦٦	يتيمة الدهر للثعالبي

فهرس القوافي

- الألف المقصورة -

٤٨٥	الأسعر الجعفي	الكامل	وأى
-----	---------------	--------	-----

- الهمزة -

٦٥٦	حبي المدنية	الوافر	خلاء
٦٤١	—	الكامل	أعضاؤها
٦٤٧	—	الطويل	وثنائ
٦٢١	—	الطويل	علائه
٦٣٨	ابن الرقاع	الكامل	الأمراء
٦٢٨	ابن أبي الشخباء	الكامل	لقائه
	عبدالوهاب المالكي او	الكامل	سودائه
٥٢٤	ابو الحسن التهامي		
٥٤٣	التهامي	الكامل	خبائه
٥٩٠	ابن الرومي	الخفيف	الهباء
٥٣٢	ابن قاضي ميلة	المتقارب	البناء

- ب -

٥٣٧	التهامي	المتقارب	الحبب
٦٤٧	—	المتقارب	غلب
٦٠٩	ابن رشيق	الطويل	ذنبا
٦٣٧	—	الطويل	وجربا
٦٥٧	جرير	الوافر	شرايا
٥٠٨	الوزير المغربي	الوافر	التهبا

	ابن قاضي ميلة او	الكامل	تهذبا
٥٣١	ابن رشيق		
٦٠٤	ابن المعتز	الكامل	قلبا
٦٣٠	—	الطويل	طروب
٥٤٦	—	الطويل	حواجب
٦٣٧	البحثري او غيره	الطويل	المطالب
٥٨٨	ابن الرومي	الطويل	غيه
٦٣٤	—	الطويل	يذهب
٦٦٠	—	الطويل	تذهب
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	غرب
٥٢١	ابو الفضل البغدادي		
٦٣٢	—	الطويل	العذب
٥٣٤	—	الطويل	غراها
٦٠٢	ابن رشيق	البسيط	مطلبه
٥٩٨	ابن رشيق	الوافر	الرقاب
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	ويذيه
٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	القرب
٦٢٨	البحثري	الطويل	شربي
٤٦٩	—	الطويل	ومغرب
٥٤٥	ابن عبد البر الشنتريني	البسيط	لهب
٥٦٤	ابن الرومي	البسيط	عصب
٥٧٢	المتنبي	البسيط	بالغرب
٦٠٩	ابن رشيق	البسيط	يغري بي
٥٩٢	ابو اسحاق الحصري	الكامل	وتعتب
٦٠٩	ابن رشيق	الكامل	ذنب

٦٠٢	ابن رشيق -	الكامل	به
٦٠٣	ابن رشيق	الكامل	قبابه
٦٠٦	ابو بكر الخالدي	الكامل	بخضابه
٦٢٥	المعري	الكامل	رضابه
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	نائبها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	مجزوء الرمل	غريب
٦٣٢	—	السريع	الذاهب
٥١٩	عبد الوهاب المالكي	السريع	حبه
٦٥٢	—	السريع	ضربها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	المنسرح	تكذيب
٦٤٠	البحري	المنسرح	أدبه
٤٧٢	المرتضى	الخفيف	باب
٤٧٦	الرضي	الخفيف	وشعب
٥٧٠	الصلتان العبدى	المتقارب	والنبي

- ت -

٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	وَأَلْفَتْهُ
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	البسيط	صَفِيَّتُهُ
٦٠٧	الميكالى او البستي	البسيط	شَفِيَّتُهُ
٥١٣	الوزير المغربي	السريع	مَلِيَّتُهُ
٦٥١	ابن بسام البغدادي	المتقارب	خَلَقْتُهُ

- ج -

٤٩٢	الراعي الكلبي	البسيط	أَدْرَاجِي
-----	---------------	--------	------------

- ح -

٥٣٨	التهامي	السريع	راخ
٥٤٨	ابن عبد الغفور	الطويل	الألحي
٥١١	ابن الرومي	البسيط	قبجا
٥٤٨	ابن الرومي	البسيط	رجحا
٥٣٩	التهامي	الكامل	براحا
٥٥٠	مهيار الديلمي	الرميل	مزاخا
٤٨٤	جران العود	الطويل	الصرنقح
٥٣٤	ابو حية	الطويل	سنيح
٥٦٧	كثير او غيره	الطويل	الاباطح
٦٥٤	—	الطويل	صوائح
٦٥٤	—	الكامل	انصفح
٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الوافر	الفصاح
٥٥١	ابن هرمة	المتقارب	المادح

- د -

٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	السريع	مستعاد
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	نجدا
٥٢٢	ابو الفضل البغدادي		
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بعدا
٥٧٢	المتنبي	الطويل	منشدا
٥١٠	الوزير المغربي	الطويل	وأسده
٥١٢	الوزير المغربي	الوافر	والكمدا
٤٨٦	—	الرجز	وفهدا
٥٩٦	ابو اسحاق الحصري	السريع	بدا

٥٦٣	—	المتقارب	القدودا
٦٢٦	قيس	الطويل	وليدُ
٥٤٢	المتنبي	الطويل	راقدُ
٦٤٢	—	الطويل	واحد
٦٥٦	—	الطويل	واحد
	عبدالوهاب المالكي او	البسيط	رقدوا
٥٢٤	العباس بن الاحنف		
٦٢٠	—	البسيط	عوائدهُ
٥٩٥	ابن هذيل او اللمائي	المنسرح	أجدُ
٥٢٦	عبدالوهاب المالكي	مجزوء الرمل	جدُ
٥١٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بالحدُ
٥٤٨	التهامي	الطويل	هند
٦٠٣	ابن رشيق	الطويل	والحدُ
٦٢٢	—	الطويل	المنضد
٦٠٤	ابن رشيق	الطويل	قدّه
٤٧١	المرتضى	الكامل	الوادي
٦٢٢	—	الكامل	مدادي
٦١٢	ابن رشيق	مجزوء الكامل	جدّه
٤٧١	المرتضى	الهنزج	الوادي
٥٨٩	—	السريع	والجد
٦٠٨	ابن رسيق	السريع	والحد
٥٩١	الزعفراني	الخفيف	فؤادي

- ذ -

٥١٧	عبد الوهاب المالكي	الكامل	أذى
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الموذي

- ر -

٥٩٧	—	السريع	العذار
٤٩٩	—	البسيط	الصبرا
٥١٦	المعري	البسيط	والسفرا
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	مخلع البسيط	سكرا
٥٩٤	ابو اسحاق الحصري	الوافر	وترا
٦١٩	—	الكامل	اقمارا
٦٤٩	ابن ابي الشخباء	الكامل	المتخيرا
٦٠٦	ابن رشيق	مجزوء الكامل	شرا
٥٣٢	ابن قاضي ميعة	الرميل	ابتدار
٥٤١	التهامي	الخفيف	سترا
٤٦٩	ايم بن خريم	الطويل	النسر
٤٧٠	ابو نواس	الطويل	النسر
٥٣٠	ابن قاضي ميعة	الطويل	الدهر
٥٣٤	ذو الرمة	الطويل	خضر
٦٢٠	—	الطويل	الدثر
٦٤٥	—	الطويل	الدهر
٥٧٠	حسان بن ثابت	الطويل	المتخير
٥٠١	—	الطويل	سائرة
٥٣٥	كثير عزة	الطويل	ويطائرة
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	البسيط	نفر

٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	البسيط	ينتشر
٥٣٠	ابن قاضي ميعة	البسيط	الشجر
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الوافر	الثمار
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الكامل	وسوار
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الكامل	تخير
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	السريع	الأمر
٥٣١	ابن قاضي ميعة	المتقارب	المبصر
٤٦٧	المرتضى	الطويل	الغمر
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	يسري
٥١٨	الوزير المغربي		
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	الشزير
٥١٩	ابو حفص الشطرنجي		
٦٢٣	—	الطويل	المجري
٥٤٥	التهامي	الطويل	تسري
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	المياسر
٥٥٥	العتبي	الطويل	بالمحاجر
٤٨٣	العتبي	الطويل	أقصر
٥٠٧	ابن عبدون	البسيط	بكافور
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	البسيط	البشر
٥٤٢	التهامي	البسيط	والخضر
٥٤٦	المعري	البسيط	بالأثر
٦٠٧	كشاجم	البسيط	الحجر
٦٤٨	—	البسيط	الكدر
٦٢٦	—	البسيط	والبصر
٥١٣	الوزير المغربي	البسيط	النار

٦٣٣	—	البسيط	الواري
٦٥٦	الفرزدق	البسيط	عمار
٥٣٦	ابو نواس	الوافر	الجواري
٦٦١	—	الوافر	جبري
٥٠٠	—	الكامل	المستبصر
٥٤٤	التهامي	الكامل	قرار
٦٥٩	—	الكامل	والبدر
٦٠٩	ابن رشيق	الهزج	ودينار
٥٩٢	ابو اسحاق الحصري	السريع	الشعر
٥٠٧	الوزير المغربي	الخفيف	السرور
٥٨٢	الثعالبي	الخفيف	الأثير
٥٨٣	الميكالي	الخفيف	وشذور
٤٦٦	المرتضى	المتقارب	الزائر
	عبدالوهاب المالكي او	المتقارب	ناظري
٥٢٣	الوأواء الدمشقي		

- ز -

٥٠٣	ابن رشيق	الطويل	عزيز
-----	----------	--------	------

- س -

٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	والانسا
٦٠٦	ابن رشيق	السريع	الكسا
٦٠٥	ابن رشيق	الخفيف	بلقيسا
٥٣٠	ابن شرف	الطويل	مغارس
٥٢٨	عبدالوهاب المالكي	السريع	نرجس
٥٠٨	الوزير المغربي	المنسرح	الشمس

٥٢١	عبدالوهاب المالكي او ابو الفضل البغدادي	الطويل	اللمس
٥١٩	عبدالوهاب المالكي	البسيط	باس
٤٧٨	الوزير المغربي	السريع	بأمراسه

- ش -

٦٠٣	ابن رشيق	الخفيف	مشى
-----	----------	--------	-----

- ص -

٦٠٥	ادريس بن اليان	الطويل	العصا
-----	----------------	--------	-------

- ض -

٦٠٢	ابن رشيق	السريع	الرياض
٦١٦	-	الطويل	وميضا
٦٤٥	-	الكامل	فتنقضي

- ط -

٥٤٦	-	الطويل	نقطا
٥٤٧	ابو العشائر الحمداني	الكامل	تنحط

- ع -

٥١٧	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	تقطع
٥٤٩	التهامي	المنسرح	الشاسع
٦١٩	-	الكامل	وضجعا
٤٧٢	المرتضى	الخفيف	هزيعا
٥٢٥	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	متسعة

٥٥٤	مهيار الديلمي	المتقارب	والنسوعا
٦٢٩	ابن أبي الشخباء	الطويل	يلدُعُ
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	الطويل	الأضالع
٥٦٨	—	مخلع البسيط	البقاع
٥٦٢	البحثري	الوافر	وارتفاعُ
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت	الكامل	أربعُ
٥٢١	عبد الوهاب المالكي	الكامل	مولع
٥٧٤	—	الكامل	تصرع
٦٤٢	—	الكامل	تشرع
٦٤٧	—	الكامل	يرفع
٦٠٧	ابن رشيق	مخلع البسيط	الدواع
٥٦٤	أبو تمام	الوافر	الطباعر
٤٦٦	المرتضى	الكامل	معي
٥٨٢	الثعالبي	الكامل	تجمع

- ف -

٥١٠	—	البسيط	فوفى
٦٤١	—	الكامل	وقوفا
٥١٦	عبد الوهاب المالكي	الطويل	المضاعفُ
٥٢٨	عبد الوهاب الماكي	الطويل	يهتف
٥٣٣	ابن قاضي ميلة	الطويل	تعسف
٥٥٦	مهيار الديلمي	مجزوء الرجز	المدنفُ
٤٧٧	الوزير المغربي	الوافر	والشفوف

- ق -

٦٠٩	ابن رشيق	مجزوء الكامل	الحرقُ
٦١٠	ابن رشيق	مجزوء الكامل	تصادقُ
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	الطويل	تترقفا
٦٣٥	—	الطويل	تصفما
٥٩٦	—	الكامل	خلوقا
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	مطرقُ
٤٧٣	المرتضى	الطويل	مشرقُ
٤٧٤	المرتضى	الطويل	فالأبارقُ
٦٥٥	—	الكامل	العيوق
٦٥٢	—	الكامل	الأحداق
٦٥٧	ابن مناذر	السريع	يعبقُ
٦٢٥	—	المتقارب	عاشقُ
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	البسيط	والضيقِ
٥١٠	—	الوافر	الفراقِ
	عبد الوهاب المالكي أو	الوافر	العراقِ
٥٢٨	الوزير المغربي		
٦٥٦	كنير أو غيره	الوافر	الوداقِ
٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	الوافر	وضيقِ
٥٩٥	ابن الرومي	الكامل	بالأحراقِ
٤٧٥	المرتضى	الخفيف	الأخلاقِ
٦٠٠	الصنوبري	الخفيف	التلاقي

- ك -

٤٧٩	—	مجزوء الكامل	الشكوكُ
-----	---	--------------	---------

٥٣٩	ابن الرومي	الطويل	هالكا
٦١١	ابن رشيق	الطويل	بحياتكا
٦٠٤	ابن رشيق	البسيط	والضحكا
٥١١	دعبل	الكامل	فبكي
٤٧٠	المرتضى	الطويل	خيالك
٤٨٣	—	الرجز	الشك
٥١٢	الوزير المغربي	المنسرح	الفتك

- ل -

٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	التفضلا
٤٧٣	البحثري	الطويل	رسوها
٥٤٦	المعري	الوافر	نسالا
٥٩٠	المتنبي	الوافر	الزلالا
٥٤٠	التهامي	الكامل	نصولا
٥٨١	الثعالبي	الكامل	كفيلا
٤٧١	المرتضى	الكامل	نزلا
٤٦٨	كعب بن زهير	الطويل	أفعل
٥١١	المعري	الطويل	أذيال
٥٤٨	المعري	الطويل	باقل
٤٨٧	مزرد	الطويل	الحفرامل
٦٠١	—	الطويل	أواصله
٦٢١	—	الطويل	حباله
٤٧٢	المرتضى	الطويل	رسوها
٤٩٩	—	الوافر	طويل
٥٠٩	الوزير المغربي	الوافر	ارتحال

٥٤٧	—	الكامل	طويل
٥٦٢	—	الكامل	لبخيل
٦٢٤	ابن خليل العسقلاني	الكامل	يكمل
٦٣١	—	الكامل	الزلل
٦٠٥	ابن رشيق	السريع	قالوا
٦١٢	ابن رشيق	السريع	القتلُ
٦٠٨	ابن رشيق	الخفيف	يحملُ
٥٥٧	مهيار الديلمي	المتقارب	يمثل
٥١٢	كشاجم	الطويل	عالٍ
٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بأثالٍ
٦٣٧	دعبل او غيره	الطويل	أهلٍ
٦٥٩	—	الطويل	العذلِ
٥٠٣	—	الطويل	المتناولِ
٦٥٣	—	الطويل	الأناملِ
٦٠٦	ابن رشيق	البسيط	الخجل
٥٨٧	ابو العتاهية	البسيط	حالٍ
٦٥٣	—	البسيط	وإقبال
٦٣٨	مسلم بن الوليد	الوافر	والمعالي
٥٦٩	—	الكامل	مرسل
٦٥٧	جرير	الكامل	الفيشل
٥٥٥	ابو الشبل	الهزج	الكهل
٦٢٠	—	الرجز	الوسائل
٥٥٤	مهيار الديلمي	الرمل	العزالي
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	خالٍ
٥٢٧	عبد الوهاب المالكي	المنسرح	آمالي

٤٨٥	الأعشى	الخفيف	الغالي
٥٨٩	—	الخفيف	والمجهول

- م -

٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	الوافر	لديكم
٥٧٧	—	الرميل	نسيم
٤٨٩	—	الطويل	دما
٦٠١	ابن رشيق	مخلع البسيط	الجهاما
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	الكامل	نسيا
٥٥٢	مهيار الديلمي	الرميل	أماما
٦١٧	—	المتقارب	إماما
٥٢١	عبد الوهاب المالكي	الطويل	اليكم
٦٢٩	—	الطويل	أعلم
٦٣٦	زياد بن منقذ	البسيط	هم
٥٨٥	—	الكامل	مؤدم
٦٤٣	المعتمد بن عباد	الكامل	تحطم
٦١٨	—	الكامل	قاتم
٥١٤	الوزير المغربي	الخفيف	قدوم
٥٤٢	الرضي	الطويل	بفدام
٦٠٥	ابن المعتز	الطويل	الدراهم
٦٣٧	ابن عرارة السعدي	الطويل	سلم
٤٩٩	—	البسيط	أحلام
٥١٩	عبد الوهاب المالكي	البسيط	الندم
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	البسيط	تم
٥٤١	التهامي	البسيط	اللمم

٥٩١	—	البسيط	بالظلم
٥٩٢	—	البسيط	وحم
٦٣٨	الرضي	البسيط	سلم
٤٦٨	ذو الرمة	الوافر	الللجام
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	الوافر	سقيم
٥١٠	—	الكامل	الظالم
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الدم
٦٥١	—	الكامل	تحرم
٦٤٣	—	الكامل	الاعدام
٤٧٣	اشجع السلمي	الخفيف	الظلام
٤٧٤	المرتضى	الخفيف	منامي

- ن -

٥٥٦	مهيار الديلمي	الرجز	من
٦٠٥	ابن صارة	البسيط	تسعيناً
٤٧٣	المرتضى	الوافر	العيونا
٥٤٠	ابن الرومي	السريع	ظلماً
٦٤٤	—	الطويل	ضوامن
٦٦١	ابن ميادة	الطويل	وجونها
٥٥٦	—	الطويل	وجبين
٦٠٤	ابن الرومي	الطويل	تداني
٦١٢	صخر اخو الخنساء	الطويل	سنان
٥٤٧	التهامي	البسيط	بجيران
٦٤٣	المعتمد بن عباد	البسيط	بالخاني
٦١١	ابن رشيق	البسيط	مساكين

٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	مخلع البسيط	حسرتان
٤٨٥	—	الوافر	أرجوان
٥٣٤	جحدر اللص	الوافر	تجاوبان
٤٦٩	ابو حية	الوافر	أمون
٥٥٤	مهيار الديلمي	الكامل	الضيفان
٥٧١	ابن الرومي	الكامل	المران
٥٩٦	—	الكامل	وثمان
٥٦٤	كشاجم	الكامل	العين
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	الحسن
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	سيفين
٤٧٤	المرتضى	المنسرح	الوسن
٥٥٢	الوأواء الدمشقي	المنسرح	الدين

- ه -

٥٥٤	مهيار الديلمي	الرميل	هواها
٦٣٢	البحثري	الكامل	تعطاه
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	هو
٦١١	ابن رشيق	مخلع البسيط	إليه
٥٠٨	الوزير المغربي	مجنوء الكامل	رايته

- و -

٥٢٨	عبد الوهاب المالكي او غيره	مجنوء الكامل	الأخوه
-----	----------------------------	--------------	--------

- ي -

٥٢٧	عبد الوهاب المالكي	الطويل	باليا
٤٨٣	العجاج	الرجز	حي

مصادر التحقيق (١)

كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، القاهرة ، ١٩٣٠
الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي تحقيق ابراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة
١٩٦١

ابن حمديس للسقا والمنشاوي ، القاهرة ، ١٩٢٠ .
ابن حمديس للمستشرق فرانشسكو جبرائيلي (بالاطالية) ، روما
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر ، تحقيق علي محمد البجاوي ،
القاهرة

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، طهران ١٣٤٢
الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبدالله مخلص ، مصر ١٩٢٤
أنساب الاشراف للبلاذري (١/٤) تحقيق كستر ، القدس ١٩٧٢
الإنجاز والاعجاز للثعالبي (ضمن خمس رسائل) ط . الجوانب ١٣٠١
البحر المحيط لأبي حيان الجياني (ج ٢) مصر ، ١٣٢٩
بغية الطلب لابن العديم (صورة عن نسخة خطية بمكتبة الجامعة الاميركية في
بيروت)

تاريخ المسيحي (ج ٤٠) نسخة الاسكوريال
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني تحقيق البجاوي والنجار ، مصر ١٩٦٤
التبيان في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، القاهرة ١٩٣٦
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد تحقيق محمد بن شريفه
(الرباط)

الثعالبي ناقدًا وأديبًا لمحمود عبدالله الجادر ، بغداد ١٩٧٦
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي (الرباط
١٩٧٣)

(١) لا يرد هنا إلا المصادر التي لم تذكر في المجلدين الثاني والثالث .

الخريدة للعباد الاصفهاني (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٢٨)
دراسات في الأدب الاندلسي لاحسان عباس ووداد القاضي والبير مطلق (الدار
العربية للكتاب ، ليبيا - تونس) ١٩٧٦

الدرجات الرفيعة لعلّي خان بن أحمد بن محمد الحسيني ، النجف ١٩٦٢
الدرة المضية لابن أبيك الدواداري (ج ٦ من كنز الدرر) تحقيق صلاح
المنجد القاهرة ١٩٦١

دمية القصر للباخرزي (ط . حلب)
ديوان ابن المعتز (١ - ٣) تحقيق الدكتور يونس احمد السامرائي ، بغداد
١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

ديوان ابن هرمة تحقيق محمد جبار المعيد ، النجف ١٩٦٩
ديوان امية بن ابي الصلت جمع وتحقيق عبدالحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤
ديوان الحسين بن مطير جمع الدكتور محسن غياض ، بغداد ١٩٧١
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٢
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبدالكريم الاشتر ، دمشق ١٩٦٤
ديوان الشريف المرتضى (١ - ٣) تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة ١٩٥٨
ديوان المزرد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٢
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، بيروت ١٩٠٨
رسالة اعلام الكلام لابن شرف (في سلسلة الرسائل النادرة) القاهرة ١٩٢٦
رسالة الاعلام الكلام لابن شرف تحقيق وترجمة شارل بلا ، الجزائر ١٩٥٣
رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطيء ، القاهرة (الطبعة
الثانية)

رسائل ابي العلاء المعري تحقيق مرجوليوث ، اكسفورد ١٨٩٨

رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦

رجال النجاشي طهران

روضات الجنات للخوانساري ، طهران ١٣٦٧

ريحانة الالباء للخفاجي (ج ٢) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٧
سحر البلاغة للثعالبي ، وقف على طبعه احمد عبيد ، دمشق .

شرح ديوان زهير ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤

شرح العكبري = انظر التبيان

شرح المضمون به على غير اهله لابن عبدالكافي ، القاهرة ١٩١٣

شرح المقامات للشريشي (ج ٥) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة
١٩٧٦

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ط مصر ، ١٣٢٩)

شعر ابن اللبابة جمع محمد مجيد السعيد ، الموصل ١٩٧٧

شعر ابن ميادة جمع محمد نايف الدليمي ، الموصل ١٩٦٨

شعر عروة بن حزام جمع ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب بمجلة كلية الآداب -
العدد الرابع ، بغداد ١٩٦١

صبح الأعشى للقلقشندي (ج ١٤)

صوان الحكمة المنسوب لابي سليمان المنطقي تحقيق عبدالرحمن بدوي ، طهران

١٩٧٤

طبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠

طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والايباري ، القاهرة ١٩٦٢

العرب في صقلية لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤

عيار الشعر لابن طباطبا العلوي تحقيق زغلول سلام وطه الحاجري ، القاهرة

١٩٥٦

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي (ج ١٢) تحقيق فيصل السامر ونبيلة

عواد ، بغداد ١٩٧٧

عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي (مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٤١)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، القاهرة ١٢٩٢

فقه اللغة للثعالبي تحقيق السقا والايباري وشليبي ، القاهرة ١٩٣٨

- الكشاف في التفسير للزمخشري (ج ١ ، ٢) ط . مصر . ١٩٦٦
- مجالس ابي العباس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة
- مذكرات الامير عبدالله تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥
- مرآة الجنان لابي محمد اليافعي ، حيدرآباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩
- المرقية العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨
- المستطرف للابشيهي ، مصر ، القاهرة ١٩٥٢
- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ، القاهرة ، ١٩٤٧
- معجم الفاظ الحديث لفنسنك وآخرين ، لندن ١٩٣٦ - ١٩٦٩
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ط . مصر)
- المقترح في جوامع الملح (نسخة جامعة برنستون)
- المكتبة الصقلية جمع أماري ، ليسيا ١٨٥٧
- المنازل والديار لاسامة بن منقذ ، موسكو ١٩٦١
- منتهى الطلب لابن ميون (النسخة الاستنبولية)
- النتف من شعرا بن رشيق وابن شرف لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٤٣
- الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشر ، دمشق ١٩٦٧
- الوحشيات لابي تمام ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣
- الورقة لابن الجراح تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٣

محتويات الكتاب

٤٦٥	فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى
٤٦٦	جملة من شعره - في وصف الطيف
٤٧٥	فصل في ذكر الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي
٤٧٩	فصل من رسائله
٤٩٦	فصول من سائر ترسيله
٥٠٧	جملة من شعره في أوصاف شتى
٥١٥	فصل في ذكر الفقيه الحافظ عبد الوهاب بن نصر المالكي
٥٢٩	فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله بن قاضي ميلة
٥٣٧	فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي
٥٤٧	ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة
٥٤٩	فصل في ذكر مهيار الديلمي وذكر جملة من شعره
٥٥٠	جملة من شعره في أوصاف مختلفة
٥٦٠	فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي
٥٦١	فصول من كلامه في صدر كتابه فقه اللغة
٥٦٨	من كلامه في صدر كتاب اليتيمة
٥٨١	جملة من شعره
٥٨٤	فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري
٥٨٥	فصول من كلامه اندرجت في تواليفه
٥٩٣	جملة من شعره
٥٩٧	فصل في ذكر الأديب أبي علي بن رشيق المسيلي
٥٩٩	جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره
٦٠٥	ما أخرجه من سائر مقطوعاته
٦١٢	ذكر الخبر عن خراب القيروان

٦١٥	فصل في ذكر الشيخ ابي الفتيان العسقلاني
٦١٨	في ذكر الفاضي ابي محمد بن نعمة بن خليل
٦٢٥	الفاضي جلال الدولة بن عمار
٦٢٧	[المجيد بن ابي الشخباء العسقلاني]

٧٠٩ - ٦٦٥	فهارس الكتاب
٦٦٥	فهرس الاعلام
٦٧٨	فهرس القبائل والامم والطوائف
٦٨٢	فهرس الاماكن
٦٨٧	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٦٨٨	فهرس القوافي
٦٨٨	فهرس القوافي
٧٠٤	مصادر التحقيق
٧٠٨	فهرس المحتويات

بعونه تعالى
نجز طبع هذا الجزء من الذخيرة
على مطابع بيروت كومبيوتر برس
هاتف : ٣١٣٥٣٠ . ص.ب : ٢٠٣
في آذار (مارس) ١٩٧٩